المجلة الجديدة

السنة ٨
الاعداد ١ - ٦

فهرست

الثمن ٣ قروش — يناير سنة ١٩٣٩

المجلة الجديدة

٧٨

السنة ٨

الاعداد ١ - ٦

فهرست

الثمن ٣ قروش

يناير سنة ١٩٣٩

قوة المـــال



البارون والبارونة ادوار روتشيلد

تعـــد أسرة روتشيلد من اغنى الاسر فى العالم . وهى المثال على الاثر الكبير الذى للمال فى السياسة . فان هذه الاسرة هى التى اوقعت مصر فى الديون . وهى التى أقرضت اللورد بكونسفيلد ثمن الأسهم التى اشتراها باسم الحكومة الانجليزية من شركة قناة السويس بدون اذن البرلمان . وكما تأثرت السياسة فى القرن الماضى باموال روتشيلد كذلك هى تتأثر الأن بمصالح شركات البترول والكوتشوك وصناعات القطن . وغيرها

نوالبارو ادوار روتشيلد هو عميد الاسرة فى باريس

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الأول

المجلة الجديدة

العدد الاول
من
السنة الثامنة

حارة جاد ـ شارع الفجالة — مصر

يناير ١٩٣٩

افتتاحيـــــات

جرنيكا : رمز العـام الماضى

انتهى عام ١٩٣٨ على اسوأ حال لجميع الامم الديمقراطية . فان الجبهة الشعبية المؤلفة من احزاب اليسار فى فرنسا لحماية الديمقراطية انحلت . وجيوش الصين الديمقراطية تنهزم امام الديكتاتورية اليابانية . وفرانكو يوشك ان يقضى على الجمهورية الاسبانية . والدول الديكتاتورية فى انتصارات متوالية . وروسيا الاشتراكية فى تضعضع ينبىء عن فساد فى احشائها . وقوات التنازع تنتصر على قوات التعاون . ويرى القارىء فى هذا العدد (صفحة ١٦) رسما للرسام الاسبانى بيكاسو لمدينة جيرنيكا التى دمرها الجنرال فرانكو بطائراته . وهو الرمز لتغلب الوحشية على المدنية فى العام الماضى. وهذا الرسم لا يساويه فى روعة الخيال غير بشاعة التصوير التى احتواها وهى التى تنطق بفظاعة الحرب بين الاخ واخيه فى اسبانيا

وقد استعرنا هذا الرسم من «جماعة الفن والحرية» فى القاهرة

تونس

كثر الكلام هذه الأيام عن تونس التى أثارت فجأة خلافا بين فرنسا وايطاليا ولذلك نرى من

الملائم أن نذكر الحقائق التالية للتنوير

تونس قطر تشمله الحماية الفرنسية ويتولى الحكم فيه « باى » من أسرة تنتمى إلى الحسين بن على وقد تولت الحكم فى تونس منذ سنة ١٧٠٥ والباى الحاضر هو سيدى محمد الحبيب الذى ولد سنة ١٨٦٢ وتولى سنة ١٩٢٩

وفى سنة ١٨٨١ غزت فرنسا تونس واستولت عليها. ولم تجد اية معارضة لأن المانيا كانت ترى أن من مصلحتها ان يتجه النشاط او « المجد » كما كانت تزعمه فرنسا نحو تونس وتشتغل بغزوها بدلا من أن تجتر فكرة الثأر من المانيا لاسترداد الزاس ولورين الولايتين اللتين نزعتهما المانيا منها فى حرب ١٨٧٠!

ووزارة الشؤون الخارجية فى فرنسا هى التى تحكم تونس ففيها قسم لها ٠ وهى تنتدب « مقيما عاما » لكى يدير حركة الحكومة فى تونس . وهذا المقيم يعين وزارة مؤلفة من ١١ وزيرا منهم ٨ فرنسيون و ٣ تونسيون

ويبلغ سكان تونس ٢٢١٥٣٩٩ بحسب آخر احصاء . وهؤلاء جميعا من التونسيين الأصليين ومن هؤلاء ٥٦٢٤٢ يهودى . ويزاد على هؤلاء ٩١٤٢٧ من الفرنسيين (وليس منهم الجنود الفرنسيون) و ٩١١٧٨ ايطالى . وهناك جاليات اجنبية أخرى صغيرة العدد

ويجب ان نلاحظ هنا ان اليهود لا ينتمون الى رعوية اجنبية لأنهم استوطنوا تونس قبل الاحتلال الفرنسى ومعظم هؤلاء من أصل اسبانى أو ايطالى وهم يتولون الحركة التجارية والمالية فى تونس . كذلك يجب ان نلاحظ ان عدد الأيطاليين يساوى عدد الفرنسيين تقريبا ولهؤلاء الأيطاليين « امتيازات » حصلوا عليها من الباى قبل احتلال فرنسا لتونس وهى امتيازات لا تتمتع بها سائر الجاليات الأوربية . وقد اضطرت فرنسا إلى مراعاتها بعد الاحتلال . وأهم هذه الامتيازات أن يحتفظ الأيطاليون المقيمون والمولودون فى تونس برعويتهم الأيطالية . ورضيت فرنسا بالتسليم للايطاليين بهذا الحق وبغيره لأن ايطاليا لم يكن فيها حوالى سنة ١٨٨٣ ما يدل على مطامع سنة ١٩٣٨

ولكن قبل سنوات شعرت فرنسا بأن الايطاليين يندفعون فى التوالد إلى درجة تقلقها إذ قد يأتى يوم يزيدون فيه على عدد الفرنسيين وعندئذ تقوى الحجة الايطالية فى احتلال تونس دون فرنسا

وقد عالجت فرنسا هذا الموضوع بين سنتى ١٩٢١ و ١٩٢٦ علاجين مختلفين :

١ — ذلك انها نقلت عددا من المحاربين القدماء من فرنسا مع أسرهم الى تونس ومنحتهم أرضا يزرعونها ويعيشون منها

٢ — سنت قانونا منحت به أبناء الايطاليين الذين دخلوا فى الرعوية الفرنسية وجحدوا رعيتهم الايطالية السابقة حق علاوة ٢٥ فى المائة فى المرتب اذا عينوا فى الوظائف الحكومية

وهنا شعر الزعيم موسولينى بان النيـة معقودة على استهلاك الاكثرية الايطالية حتى تعود أقلية لا يؤبه بها . وعندئذ لا يمكن ايطاليا أن تجد العلل لدعوى الاحتلال . فانفذ إلى تونس أحـد دعاته وعينه قنصلا . واستطاع هذا بعد قليل من الزمن أن يحيل نصف الجالية الايطالية إلى فاشيين مخلصين لايطاليا ينظرون بعينها ويتشدقون بلغتها الفاشية

ولـكن الزعيم الايطالى فوجىء سنة ١٩٣٥ بتألب الدول عليه ومقاطعتها له فى الحرب الحبشية وتوقيع الجزاءات . ولذلك رأى من الملائم أن يتفق مع فرنسا على جحد الحقوق الايطالية فى تونس. وقد دهش الايطاليون فى تونس لهـذا الاتفاق الذى لم يكونوا يتوقعونه . ولـكن موسولينى شرط أن يرجأ تنفيذ الاتفاق الى سنة ١٩٤٥ من حيث استقلال المدارس الايطالية فى تونس . وان يرجأ عشرين سنة من حيث الرعوية الايطالية . وقبل المسيو لافال هذين الشرطين وهو يظن انه كسب بالاتفاق . فى حين ان الهدف الذى رمى اليه موسولينى لم يكن سوى استرضاء فرنسا سنة ١٩٣٥ حتى لا تجد كل الجد فى تنفيذ الجزاءات . وقد نال هذا منها وخابت عصبة الامم فى هذا التنفيذ وغزت ايطاليا الحبشة . والآن يقولون فى روما أن اتفاق سنة ١٩٣٥ لم ينفذ

والآن يريد موسولينى أن يمتلك تونس حتى تضم إلى طرابلس فيكون منها تحقيق لقسم كبير من الدولة الرومانية

جبل عتاقة

ازاء تكاليفنا الجديدة التى اقتضاها الاستقلال وزاد فى عبئها الموقف الجديد فى البحر المتوسط بل ازاء الزيادة المطردة فى السـكان مع تقهقر القطن فى مصانع العـالم وقلة مايستصلح كل عام من

الأرض للزراعة — ازاء هذا وغيره ، يجب أن نفكر فى موارد جديدة تزيد ثروتنا وتفتح أبواب الرزق لابناء الأمة . وفى مقدمة مايجب أن نبحثه هو جميع الممكنات التى تستطيع الأمة أن تعتمد عليها فى شأن السياحة فى مصر . . وقد سبق أن بينا أن بلادنا تجمع من الميزات التى تجذب السائحين ما لاتجمع مثله بلاد أخرى . ولكننا مع الأسف لانستغل السياحة كصناعة من الصناعات العظيمة التى يجب أن يحترفها شباننا بل ليس عندنا من المدارس مايختص بتدريس هذه الصناعة . مع أن فى سويسرا مدرسة عالية تدرس الشبان والفتيات السويسريين أصول العناية للفندق والمطعم . والشهادة التى تعطى لخريجى هذه المدرسة ، تستوى والشهادات الجامعية العليا فى الطب أو الهندسة أو العلوم أو الآداب .

ونحن نقف مدهوشين حين نقرأ ان فرنسا تربح كل عام من السائحين والزائرين نحو مائتى مليون جنيه ، وأن ثلاثة أرباع السكان فى سويسرا يعيشون بخدمة السائحين وأن السويسريين نجحوا فى اقناع العالم بأن جبالهم تصلح أن تخدم النقيضين فتكون مصيفا ومشتى . وليس فى سويسرا أو فرنسا من عوامل الاغراء مثل ما فى مصر مع اننا لانكاد نربح شيئا من السياحة بل حتى القليل من هذه الصناعة هو فى ايدى ابناء الجاليات الاجنبية دون ابنائنا

على اننا يجب أن نسلم بأن سويسرا تمتاز مع ذلك بالجبال التى تقطع السحب وتعلو عليها وتغرى بثلوجها فى الصيف والشتاء . وقد كان مما يؤلمنا حقا انه ليس لنا جبال عالية يمكن أن نرتاض عليها بالتسلق وان نجد فى مستواها العالى ذلك النسيم الذى تستروحه النفس فى الصيف وذلك الصحو الذى تشتاق اليه فى الشتاء . ولذلك قوبل خبر جبل عتاقة بالفرح العظيم بين عامة القراء . وهو ليس بالطبع فى مستوى جبل سويسرا وهو لا يقتنص الثلج من السحاب كما تقتنصه جبال تلك البلاد . إذ هو لا يرتفع سوى ٩٠٠ متر أى انه دون الكيلو متر بقليل

وخلاصة الخبر كما يذكر القراء ان محافظ السويس الاستاذ أحمد رسم بك زار هذا الجبل أو راده وطوف فيه وجول . فوجد انه لا يبعد عن السويس كثيرا إذ ان المسافة بينهما تبلغ عشرين مترا . فهو من حيث الاعتبارات السياحية على قيد خطوة بالاتومبيل . وهو لذلك يليق بأن يكون مصيفا ومشتى نجد فيه تلك الفرصة التى كنا نظن اننا محرومون منها على الرغم من احتواء بلادنا لجميع

الميزات السياحية . نعني هذا التسلق الذى يعد من أجمل الرياضات فى جبال الالب وغير الالب فى أوربا . فظهور جبل عتاقة أو إخراجه الى حيز الوجدان بعد أن كان منسيا يعد بمثابة الاكتشاف الذى يجب أن نشكر عليه الاستاذ أحمد راسم . ولذلك يجب أن نسارع الى استغلاله

وقد تنبه بنك مصر باليقظة المعروفة فى رجاله فى مثل هذه الظروف وعقد العزم على إنشاء فندق على قمة هذا الجبل . وهذا إقدام قد تعودناه منهم وهو إقدام يحمدون عليه . كما أن وزير التجارة والصناعة بنشاطه الذى يعرفه عند أصدقاؤه وتعلقه بالرياضة بادر الى زيارة هذا الجبل وعرف ميزاته الرياضية وهو لا بد سيقدم المعونة اللازمة للدعاية حتى ينتفع به أبناء البلاد والاجانب معا سواء فى الصيف أم فى الشتاء

على أننا ما كنا لنكتب هذه الكلمة لولا أننا سمعنا أن مدير مصلحة السياحة لا يوافق على أن تتجه الحكومة بعنايتها الى هذا الجبل وإحالته إلى مصيف ومشتى للسائحين من الاجانب والوطنيين . وهو يرى أن أولى بها ان توجه عنايتها الى تحسين مرسى مطروح لان هذا المكان يغرى السائحين الاجانب بالاصطياف أو التشتية فيه . والحق ان هذا الكلام يدعو الى العجب . فان مرسى مطروح بعيدة الشقة فى السفر ولا يمكن المتوسطين أن ينتفعوا بها . وفى أوربا والشواطىء الجنوبية عشرات من المشاتى تمتاز عليه ثم هو بعد التحسين وانفاق المبالغ الضخمة عليه لن يزيد على أن يكون تكراراً للمصاريف القائمة فى الاسكندرية وبورسعيد ورأس البر . ولكن جبل عتاقة يعد جديداً بل طريفا لان مصر كانت محرومة الى الآن من جبل يحتوى ميزات الجبال من تمكين زائريه من التسلق والاستمتاع بالجو النقى والشمس الصاحية فى الشتاء ومن النسيم الرقيق فى الصيف

التعليم الالزامى

أرسل وزير المعارف الى مفتشى المدارس الالزامية وكبار رجال التعليم يسألهم عن قيمة التعليم الالزامى ونظامه والمقترحات التى يستطيعون ان يقدموها للاصلاح اذا كان هناك ما يدعو اليها . وقبل أعوام زار أحد الوزراء المدارس الالزامية فى مديرية الجيزة ثم أصدر تقريرا يقول فيه انه وجد خريجى هذه المدارس ينسون ما تعلموه فيها وحمل على أسلوب التعليم فيها

ومن استقالة الوزير الحاضر ومن تقرير الوزير السابق يمكن القارىء ان يستخلص ان الآراء لم تستقر على قيمة هذا التعليم وان المجال لا يزال واسعا للتفكير فى التعليم الاولى من عدة وجهات ومن حيث أسلوبه وغايته معا . وبديهى ان التعليم ليس غاية فى ذاته وانما هو وسيلة الى الاستنارة فاذا فرضنا اننا علمنا شخصا ما مدة اربع سنوات او خمس فى المدرسة الاولية وأنفقنا عليه النفقات الطائلة حتى تخرج ثم بعد ذلك حرمناه من القراءة فان التعليم السابق يعود كأنه لم يكن . اذا اننا قد علمناه لكي يقرأ وهو لا يجد ما يقرأ . ثم هو بهذا الاهمال ينسى ما تعلمه . لأن القراءة فن مثل جميع الفنون يجاد بالممارسة والمرانة . وهو ينسى بالاهمال . وابناء الفلاحين حين يتركون المدارس الالزامية لا يجدون ما يقرأون ولذلك سرعان ما ينسون ما تعلموا . ولو كان لأحدهم القدرة على أن يقرأ ولو مجلة أسبوعية أو لو كانوا يستطيعون شراء كتاب بالتعاون يتناوبونه لكانوا يجدون الباعث الذى يحركهم إلى القراءة والى تذكر ما تعلموه فى المدرسة

ولذلك نحب أن نبعث إلى قلوب بعض المسيطرين على التعليم الالزامى شيئا من الشك عن قيمة هذا التعليم وأن نقول أن الاساس للثقافة العامة بين أبناء الشعب يتوقف على الحال الاقتصادية أى على قدرة المتعلمين فى المدرسة على أن يجدوا ما يقرأونه وهم لن يجدوه إلا إذا استطاعوا أن يشتروا من وقت لآخر كتابا أو مجلة أو جريدة . فاذا عجزوا عن ذلك — وهذا العجز عام بين الفلاحين . فانهم ينسون ما تعلموا . وعندنا أن الوزير السابق الذى جاء ببعض خريجى المدارس الالزامية وامتحنهم فلم يجد عندهم أية خبرة بالقراءة انما يرجع جهلهم إلى أنهم منذ تركوا المدارس لم يقرأوا شيئا . ولذلك نسوا ما تعلموه فيها . ولذلك نستطيع ان نقول أن العيب ليس فى نظام التعليم وحده بل هو أيضا فى الحال الاقتصادية التعسة التى تجعل شبان الفلاحين لا يبالون فى الدنيا غير البحث عن الطعام . وهو مع ذلك طعام الرمق من الذرة

وقد يظن القارىء اننا ندعو الى الغاء التعليم الالزامى لهذا السبب . ولكن الحقيقة أننا لا نقصد الى هذا وانما نريد ان نوجه النظر إلى أن الرقى الاقتصادى هو الاساس الراسخ لكل رقى آخر . واننا ما دمنا نريد التعجيل فى نشر التعليم الالزامى يجب ان نختار البيئة التى نتوسم فيها قدرة الناشئين على ان ينتفعوا بعد تخرجهم من المدارس الالزامية بالقراءة . وعندنا ان هذه البيئة هى بيئة

المدن دون الريف . لان العامل فى المدينة يكسب اكثر ويعيش على مستوى ارفع من الفلاح فى الريف . فاذا تعلم ابنه أو بنته فانهما بحكم البيئة المدنية وبحكم القدرة الاقتصادية يستطيعان الانتفاع بما تعلمه كل منهما . إذ قد يشترى أحدهما مجلة أو جريدة أو كتابا . بل قد يكتب أحدهما حسابا . وهو يجد فى ظروف العيش فى المدينة ما ينبه ذهنه ويبعثه على الاستزادة من القراءة . وفى غضون هذا التعليم الذى نفشيه بين ابناء العمال فى المدن نعمل للرقى الاقتصادى بين الفلاحين ونسير رويدا رويدا فى انشاء المدارس والقرى التى نتوسم فيها الرخاء والتى يكثر فيها اصحاب العقارات الصغيرة . وهذا الكلام يمليه علينا منطق صارم لايمكننا ان نهرب منه

فى السجون

فى الخمسين عاما الماضية تطور الرأى المثقف فى الجريمة . فقد ظهر لومبروزو فى السنين الاولى من هذه المدة واغرق العالم الاوربى بنظرية فجة هى نظرية استهوت الاذهان وشطحت فيها الاراء والمذاهب . وكانت فى خلاصتها أقرب الاشياء الى القول بان المجرم لامنجاة له من الجريمة لانه ورثها فى دمه فهى مقدرة عليه ولذلك لاسبيل الى اصلاحه . وانه لمما يبعث على حسن الظن بالطبيعة البشرية ويدعو الى التفاؤل ان نقول ان هذا الرأى الفج قد تغير . ويذكر كاتب هذه السطور حادثة وقعت فى السنين الاخيرة من حياة لومبروزو . فقد وقعت جناية فظيعة من مجرم فى باريس يدعى سوليان بصبية صغيرة اغتصبها وقتلها . فارسل احد الماجنين رسما لكف الكاتب فكتور هوجو الى لومبروزو واوهمه انه رسم كف ذلك المجرم وطلب اليه ان يبين العلاقة بين خطوط هذا الكف وبين الجريمة الفظيعة التى وقعت ووقع لومبروزو فى الشرك الذى نصب له . وخرج من الرسم بان صاحبه مجرم فظيع وهو رسم كف فكتور هوجو ..

ولا يقول أحد بالانكار التام لقيمة الوراثة فى الميول والنزعات والنزغات . ولكن الوراثة هنا هى وراثة الدرجة وليست وراثة النوع . واذا لم يكن السيكولوجى الامريكى واطسون قد استطاع أن يمحوا أثر الوراثة فانه نجح كل النجاح فى ايضاح قيمة الوسط وان له الأثر الفعال فى تكييف الاخلاق . وهذا هو الرأى الذى قال به روبرت أوين قبل أكثر من مائة سنة . بل ان هناك ما يدل على ان أرسطو المعلم الاكبر كان يؤمن بهذا الرأى حين قال ان الاخلاق ليست سوى عادات

وخلاصة القول ان المجرم ليس شريرا بطبيعته وانما هو وقع فى الشر بقوة البيئة المحيطة به. ولذلك فان اصلاحه مرجو فى كل وقت باصلاح هـذه البيئة أى بتعويده عادات جديدة . وعلى هذا الاعتبار لا يجوز لنا أن نقطع الامل فى اصلاح إى مجرم . بل ان هذا الاصلاح يتحتم علينا وهو حق للمجرم على الهيئة الاجتماعية التى اذاها لانها سبق لها ان اذته فى اهمال تقويمه

وهذا النظر الجديد للجريمة هو الذى يبعث بالحكومات المتمدنة على اصلاح السجون وهو الذى يجعلها تعود الى مراجعة قوانين العقوبات . ويتجه هذا الاصلاح الى جملة أشياء نذكرها فيما يلى :

١ — أن يـكون السجن مكانا لاستنباط أحسن الغرائز والميول عند المسجون حتى يخرج منه وهو يحب الهيئة الاجتماعية ويرضى بالتعاون معها فلا تمتلىء نفسه بروح الانتقام منها. ٢ — أن يعود عادات جديدة تحمله على التعاون، وليس على التنازع مع الناس. ٣— أن يعلم صناعة اذا لم يكن له حرفة يعيش منها. ٤— ألا يعاقب الشاب اذا كان دون الحادية والعشرين باية عقوبة تؤدى الى سجنه الا فى الحالات القصوى. ٥ — ان يعنى بالمسجون بعد خروجه من السجن عنـاية اللطف والرحـمة . ٦ — ألا يجلد مسجون الا فى حالة اعتدائه على السجان

هذه هى القواعـد التى يستضىء بها المصلحون للسجون . وامام البرلمان الانجليزى مشروع قانون ينطوى على هذه المبادىء قدمه السر صمويل هوروزير الداخلية . وأحسن مافيه هو عنايتـه بالاقلال جـدا من حبس الشبان لان الشاب الذى يستقبل الدنيا لا يصح أن يستقبلها فى سجن بل يجب ان تريه الهيئة الاجتماعية أحسن ماعندها من خصال البر والرحمة والتعاون .

جماعة الفن والحرية

تألفت في القاهرة « جماعة الفن والحرية » للدفاع عما يسمى عنـد الدول الديكتاتورية « الفن المنحط » ومثال هذا الفن رسم تدمير جيرنيكا التى يراها القاريء فى هذا العدد للرسام بيكاسو . والدول الديكتاتورية بما لها من السلطة الجامعة تجعل الفن في خدمتها وليس في خدمة الثقافة البشرية . واعضاء هذه الجماعة هم :

ابراهيم واسيلي — احمد فهمى — ادوار بولاك — ادوار ليفي ـ ارمان انتيبي — البير اسرائيل — البير قصيري ـ التلمساني ـ الكسندرا ميتشكويفسكا ـ اميل سيمون ـ انجلو بولو ـ انجلو دريز ـ انور كامل ـ انيت فديدا ا. بوليتس ـ ل . جالنتى ـ جرمين اسرائيل ـ جورج حنين ـ حسن صبحي ـ ا: رافو ـ زكريا العزوني « عضو نقابة المحامين » ـ سامي رياض ـ سامي هونكا ـ سكاليت ـ عبد الخالق العزوني ـ فاطمه نعمة راشد ـ فؤاد كامل ـ كمال وليم ـ لوران سالينس ـ مارسل بياجيني ـ مارسل ندا ـ مالانوس ـ محمد سيف الدين ـ محمد نور ـ نداف سيلبر ـ هاسيا ـ هنري دوماني

الفـــن الصينى

للاستاذ احمد راسم بك

ان فن التصوير يختلف كباقى الفنون من جهة أسلوبه وقواعده باختلاف الشعوب والمناطق التى يعيشون فيها . فانخفاض درجة الحرارة فى روسيا مثلا لها تأثيرها فى اخلاق اهلهـا ، ومن ثم فى اسلوبهم الفنى . ويظهر ذلك جليا فى منتجات هذا الشعب سواء اكانت تلك المنتجات فى عالم الادب او الفن ، الى حد ان الفرق بين الفن الروسى والفن الفرنسى مثلا ، يبدو واضحا بالرغم من قرب ثقافة هذين الشعبين

ولما كانت الصين بعيدة عنا كل البعد فان من الطبيعى ان يكون فنها مخالفا للفن عندنا ولا يمكننا ان نتذوقه ، دون ان نطرح جانبا جميع ما تلقيناه من قواعد فى الفن شرقية كانت او غربية

وانه ليكفى لاستطاعة تفهم الفن الصينى وتذوقه . عين ثاقبة ونفسية شفافه يكون صاحبها دقيق الحس ، حتى يستطيع ان يستظل بروح ذلك الفن ، والى جانب هذا رغبة صادقة تحملنا على اجنحة الخيال الى مواطن الجمال والغموض فيه — وهى المواطن البعيدة عن تفكيرنا المنطقى — وان نتجه الى ذلك فى احترام وخشوع دون محاولة استجلاء ما يغلق علينا من اسراره الى ان تنكشف لنا من تلقاء نفسها .

على ان جميع من وصلوا الى هذه الحالة يعجزون عن ان يفسروا لنا تلك القوة التى جـذبتهم الى ناحية هذا الفن ، وكيف تأثرت به نفوسهم على الرغم منهم وكيف مست اشعته الناحية الخفية من حواسهم .

وليس الفن الصينى من الفنون التى يمكن الوقوف على اسرارها من الـكتب فحسب ، ولـكنه





يتطلب استعدادا خاصا ووقتا لا يمكن تحديده .

ولكي يكون هناك فكرة واضحة عنه ، نعود بالقارىء الى اوربا ، حيث نرى الاوربي اذا ما استوقفه منظر شجرة تنفرد عن جاراتها بجمال فى قوة ساقها مثلا ، وثبات فروعها التى تمتد ضاربة فى الهواء لتقاوم العواصف فى حين انها تستقبل اشعة الشمس ، ثم تتناثر ثمارها فى انسجام لتسمح للنور ان يداعبها . فاذا ما ارهف حسه لنرع من هذه الشجرة ، ناشز فى حجمه واتجاهه ، معلنا تمرده على الاوضاع المألوفة ، وممثلا شذوذ العبقرية — نراه يقف امام هذه الشجرة التى صادفت هوى من فنه وارضت روح الجمال فى نفسه ، فيرسم لها صورة حية تبين « شخصية » هذه الشجرة ومايراه فيها من عظمة او جمال تمتاز به من مثيلاتها ، ويجعلها نموذجا لجنسها . نراه يحلل دقائقها عن بعد ، ويتأملها بعين فاحصة وبفكر منظم ، ويأخذ فى رسمها بدقة واتقان مسجلا اجزاءها كما لو كانت ملامح انسان يجهد ان يسجل له خلقا جميلا وطلعة وسيمة وذلك دون ان يفوته ان يثبت ادق الظلال .

ولنتخيل بعد ذلك ان مر بهذه الشجرة فنان صيني ، ولنتمثل شأنه معها ، فماذا توحى به اليه من الهام ؟

انه يشعر أمامها قبل كل شيء براحة نفسانية وطمأنينة روحانية ترفعه الى عال ، فيستسلم الى عظمة الطبيعة وتتلاشى فيها شخصيته ، الى درجة لا يستطيع ان يبقى معها فى ساحة الفن ؛ فيصبح امام هذه الشجرة فى جو فلسفي غني بالخيال تتلاحق فيه عظمة الكون وابدية فراغ تحوم فوقه الاطياف الرمزية وطهارة الارواح تحفها لذا ذات علوية هي — نعيم الايمان — وهى حالة تتجرد فيها الروح من قيود المادة فتستطيع ان تنطلق الى احضان الطبيعة فتمتزج بكنهها . وهذه الفترة التى يتمكن فيها الفنان من ان يرى ويدرك ما يخفى على سواه من اسرار الطبيعة ، فيستطيع ان يفهم لغة الرياح والسحاب وتموجات المياه ، هى الفترة التى تبوح له بسرها الاشجار والصخور والجبال والبحار وتعلن له عما يفعمها من جمال مكنون . هى الفترة التى ينشأ فيها الحب عنده تذكيه الرياح والامطار والعواطف والشمس والاشجار والازهار

من ذلك نرى بعد تعاليمنا عن هذه الحالة التى تتضاءل امامها دراساتنا . فاللوحة الصينية ماهى

الا صورة لذلك الشعور العلوى الذى تأثرت به نفس الفنان امام الطبيعة ، وهى فى الوقت نفسه الصلة الروحية التى تربطه بهواة فنه

ومن الحكم القديمة المأثورة ان القصيد هو رسم غير مسجل . كذلك يمكننا القول ان التصوير الصيني هو شعر غير مدون . ففى الحق ان الصور التى خلفها لنا الفنانون الصينيون هى اشراك لاقتناص النفوس .

ولا يندم الاجنبى اذا جهد فى استجماع حواسه ، ليتفهم هذا الفن لأنه يكافأ عن ذلك يوما بان تخلق فيه حاسة — كان يجهلها — تمكنه من الاتصال بكنه الاشياء وتبادل الصلات المعنوية

ذلك ان الانسان اذا اراد دراسة هذا الفن دراسة وافية ، مصورا كان او ناقدا وجب عليه ان يعيش فى تلك البلاد محوطا بتحفها وما ينبعث منها من اسرار يعجز اللفظ عن وصفها . ومما يؤيد هذا ما حدث فى شانجهاى سنة ١٠٣٥ عندما اوفد اليها اولو الامر اربعة من اكبر اخصائى اوربا لينتقوا بالاشتراك مع بعض الاخصائيين الصينيين مجموعة من التحف لتمثل الفن الصيني فى احد المعارض بلندن فانه لم يمض اسبوع على وصولهم ، حتى توترت العلاقات بينهم وبين الصينيين . وهذا امر مستغرب خصوصا ازاء ما هو معروف عن الصيني ، فنانا كان او عالما ، من هدوء الطبع والتواضع ، وانه يعد الاجنبى الذى يدرس لغته او فنه دائما يأتى جميلا يستحق عليه منه الشكر

فما الذى حدث اذن حتى يخرج الاخصائيون الصينيون عن طبعهم الهادىء فى ظرف كهذا ؟

لقد حدث ان جميع التحف التى وقع عليها اختيار الصينيين لم ترق عين زملائهم الافرنج الذين فضلوا عليها غيرها مما يعده الصينيون فى المرتبة الثانية من فنهم الى حد ان قام فى اذهانهم ان هؤلاء انما يقصدون النيل من فنهم باعراضهم عن انتخاب الجيد منه

ولما افهمهم بعض الاصدقاء ان الاخصائيين الافرنج لا يحملون لهم اى قصد سىء دهش الصينيون من اصرارهم على اخذ ما انتقوه من التحف وتساءلوا ان كان هؤلاء قد وفدوا لتعليمهم فنونهم ولفت انظارهم الى ما يمتاز منها

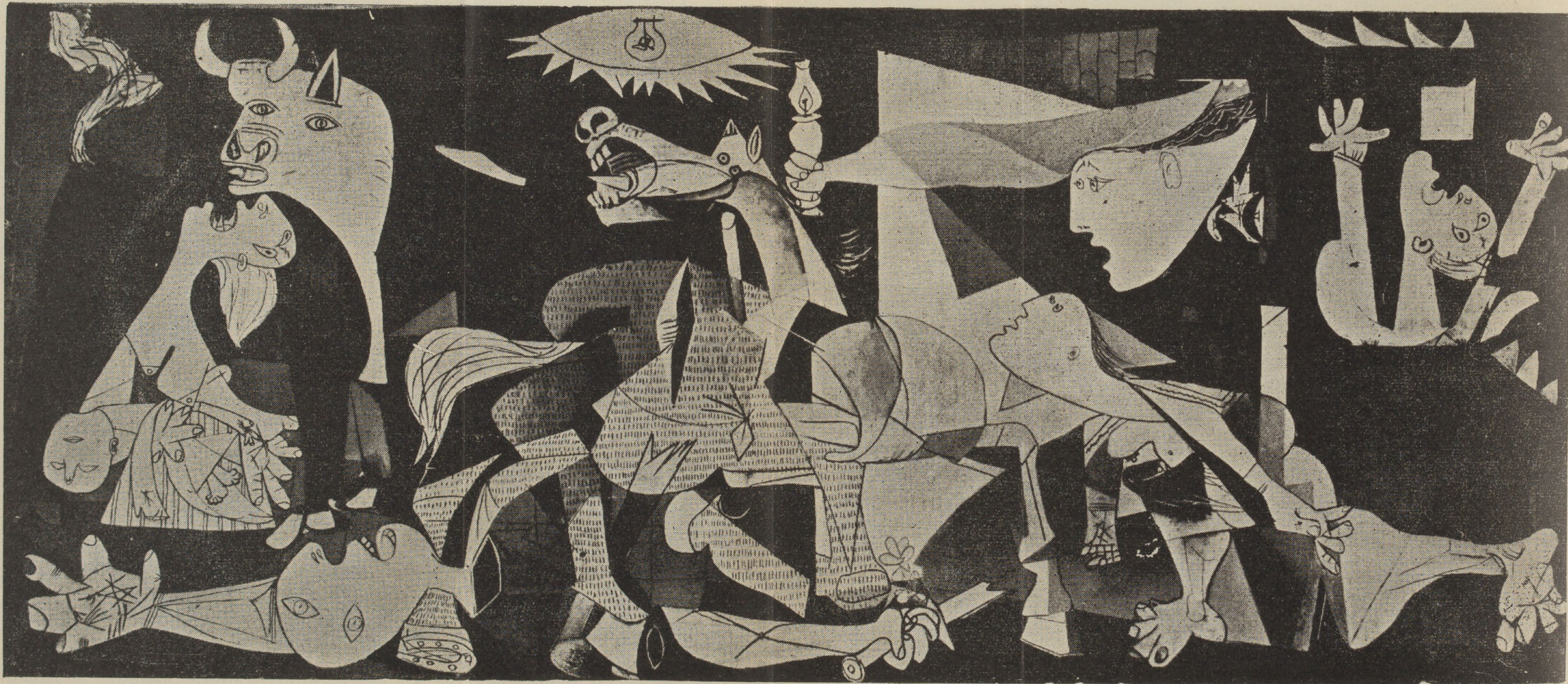
ولكنهم سرعان ما تبينوا ان جهل الافرنج باسرار فنهم هو السبب الحقيقى فى كل ذلك . فما لبثوا ان كفوا عن مناقشتهم بل قدموا لهم اعتذاراتهم وزادوا عليها عبارات الشكر والثناء للاهتمام بفنهم

اهتماما جشمهم متاعب الحضور من بلادهم .

ولما كان من طبع الصيني ، التواضع من جهة ، والتمادى باخلاص فى المحافظة على شعور الغير من جهة اخرى ، فلا يتوقع الاجنبي ان يكاشفه الصيني بمواطن الخطأ فى نظرته للفن الصيني خشية جرح احساسه . بل انه لن يجد منه الا الثناء والمديح ، اعترافا بالجميل لتفضيله دراسة فنهم عن سواه من الفنون فاذا ما مرت السنون وشعر الفنان الصيني ان الاجنبي اصبح يستطيع ان يتفهم فنه ، كشف له عن القليل من ارائه — ولكن بتأدب الصيني وتحفظه . فيبدأ فى كيل المدح والثناء لمحدثه الاجنبي ، ثم تراه — من باب التواضع المعهود — يقلل فى الوقت نفسه من معلوماته الخاصة ، بالنسبة للفنان الاجنبي الذى يجمع الى فنه الاصلى فنا اضافيا • ذلك انه يتناول بالتلميح موضوع الحديث الاصلى ، فاذا ما كان الحديث عن صورة لا تتلاقى فيها وجهتا نظرهما ، فانه يعرب عن نقده لها بمدح نظائرها موجها النظر الى محاسن الاجزاء التى تفتقر اليها الصورة ، متجنبا بذلك توجيه النقد الصريح لتلك الاجزاء . وهو لا يرضى الا ان تختتم حديثه باتهام ذوق نفسه الذى لم تكونه ثقافة واحدة ، تاركا بذلك لمحدثه تقدير ما بدأه من ملاحظات • هذا ولا يفوتنا ان مثل ذلك الصيني يدرك تماما ان ذوق محدثه المكون من ثقافات مختلفة لا يكون بحال ، فى صفاء فنان مستغرق فى ثقافة واحدة .

ولا يمكن ان يولع الانسان بالفن الصيني ويعد هاويا يستطيع ان يستسيغ اسراره ، الا اذا عاش فى وسط صيني يزخر بالتحف الصينية الثمينة لمدة طويلة ، حتى تتشبع روحه بجوها فتتكون فى نفسه تلك الحساسية التى لا يمكنه ان يتذوق بغيرها هذا الفن المعطل ، ولا استكشاف ما يخفيه من جمال مرهوب وشريف صبرى باشا من الهواة النادرين فى مصر الذين اولعوا بهذا الفن منذ عشرين عاما تقريبا وهو من ذلك العهد يدرس ويقتنى التحف الثمينة التى يصادفها ، حتى اصبح اليوم مالكا لمجموعة منه تقدر بثلاثين او اربعين الفا من الجنيهات .

ومن اظرف اسرار هذا الفن انه يطغى على نفسية صاحبه ، ولذلك نرى ان شريف صبرى باشا قد تطبع اليوم باخلاق الصينيين دون ان يشعر . فاذا ما كلمته فى التحف التى يملكها تجده يحدثك عنها بتواضع كانه يجهل قيمتها الفنية ، على حين يعلم تماما انه صاحب مجموعة فريدة فى العالم تبلغ قيمتها الافا والافا من الجنيهات .



جيرنيكا للرسام بيكاسو

بحبوش

قصة بقلم الأستاذ الكبير محمود بك تيمور

« فضلى بك » رجل أعزب من أرباب الأملاك ، له وجه محتقن مغضن ، ومشية صلبة ، يبلغ الستين من العمر ، ويعيش مع ابنه محيي فى حى الحلمية . هو بطل من أبطال المقاهى ، له محل مختار فى « قهوة الامتياز » يقصده عصر كل يوم يقضى فيه بضع ساعات مع رفاقه يتسامرون بلغو الحديث ، ويطالعون الجرائد ويشربون المقنن . ثم يقومون إلى محال الحظ والطرب فيقضون فيها سهرتهم . وجماعة « فضلى بك » يعتبرون أنفسهم من السادة الأماجد ، فهم يشربون فى غير سكر ولا عربدة ، ويقامرون فى غير تهور ، ويضحكون وينكتون فى وقار ، ويسيرون متبخترين فى عظمة . وهم يكونون كتلة متحدة متضامة ، لا تتفرق إلا إذ انتهت السهرة وعاد أفرادها إلى منازلهم .

« ومحيي » الابن الوحيد « لفضلى بك » شاب يبلغ الخامسة والعشرين عادى المواهب ، موظف فى إحدى الوزارات ، ويعيش عيشة من فى سنه من الشباب الميسورين ؛ له غرام خاص بالسيارات يشترى ويبدل فيها كل عام وفق هواه ، يحبه أبوه حبا كبيرا ويعطيه عن سعة وبلاحساب فخور به ، يرى فيه درة فريدة فى الذكاء والجمال والظرف ، وله حكايات عنه لا ينضب لها معين ، يحرص على روايتها ، يقصها على أصدقائه ويعيدها عليهم فى حماسة كبيرة .

ولمحيي كلب اسمه « بحبوش » هجين بين الكلاب الأصلية ، ولكنه لحسن حظه محبوب مدلل من سيده . يركبه معه السيارة فى تنزهاته ويطعمه من أكله ، ويعنى بنظافته عناية تفوق الوصف ، ويعد له مكانا خاصاً لنومه ؛ وكان الأب يكره الكلاب ، ولكنه إكراما لابنه قبل ذلك « الدعى »

فى منزله فى شىء من التذمر . وكان « محيى » يلاحظ أن أباه لا يحب « بمبوش » فيعتب عليه ، فيضطر الاب إلى ملاطفة الكلب وتدليله !!

« * »

وحدث يوما أن خرج « محيى » فى سيارته الجديدة مع ثلة من رفاقه لرياضة ليلية فى الضواحى وكان الجمع سكارى ، ومحيى يقود السيارة بنفسه ، وتهور فى السير فاصطدم فى عمود من أعمدة الترام صدمة أودت بحياته وجرح رفاقه جراحا خطيرة .

وكانت فاجعة أليمة كادت تقضى على الاب ، فبكى ابنه طويلا وبالغ فى لبس السواد عليه ، واعتكف فى منزله لا يخرج منه إلا إلى المقبرة لزيارة ضريح ابنه . وكان يغالى فى الاحتفاظ بكل ما تركه محيى . فأبقى حجرته كما هى ، يأمر الخدم بتنظيفها وإقفالها ، فكأنه يعدها ليوم أوبته ، وعطف على « بمبوش » عطفاً كبيراً ، فكان يطعمه بنفسه ويعتنى به ، ويقضى الساعات الطويلة وهو فى صحبته ينظر إليه بعيون مبللة بالدموع ويقول له :

— لقد كنت حبيب ابنى يا « بمبوش » ، وحبيب ابنى حبيبى .

ويقبل على الكلب يحتضنه ويقبله فى حنان كبير . والكلب ينظر اليه فى حذر متعجباً .

ولم تمض أيام حتى نقل « فضلى بك » « بمبوش » إلى حجرته ، وأعد له فراشا وثيرا تحت سريره .

وشعر الرفاق بتفكك الكتلة على أثر اعتزال « فضلى بك » « حياة القهوة » ، فعز عليهم الامر ، وقصدوا إلى صديقهم يعتبون عليه هجره إياهم ، وأخذوا ينصحونه فى رفق وثبات أن يخرج من محبسه ، ويستعيد حياته السابقة معهم ، وكلمه أحدهم قائلا :

— لم قضيت على نفسك بهذه الحياة المؤلمة ؟ كل إنسان مصيره للموت ، والحى أفضل من الميت ، فهل تريد أن تقضى على نفسك ؟

فأجاب « فضلى بك » فى مرارة :

— لقد فقدت بفقد ابنى كل شىء فى الحياة .

فأجابه آخر :

— دع المرحوم جانبا ، إنه في الجنة ونعيمها ، ولكن للحي حقوقا على نفسه ، فاتق الله في أعمالك

وأتى « بمبوش » في هذا الوقت وجعل يتمسح في سيده ، فأخذه « فضلى بك » على ركبتيه وجعل يلاطفه في حنان وقال :

— هذا هو رفيق وحدتى وأحزانى ، كلما رأيته تذكرت ابني الغـالى .... آه يا بمبوش كم كان يحبك محي !! وكم أحبك أنا اليوم !!

وتقـــدم صديق ثالث فأخذ الـكلب من « فضلى بك » وأنزله على الارض ، وقال له فى حزم وإرادة :

— والله إلا رايح معانا القهوة النهارده !!!

وتألبت عليه الجماعة ؟ وأحاطته وهى تقول بصوت واحد :

— والله إلا رايح معانا القهوة النهارده !

وبدءوا يباسطونه الحديث ويماجنونه وهم يجذبونه يريدون إخراجه معهم ، وأخيرا انفرجت شفتا «فضلى بك» عن ابتسامة ضئيلة ماكاد الاخوان يرونها حتى ضجوا بالهتاف ، واتسعت الابتسامة وازداد التهليل ... وأخير خرج «فضلى بك» مع إخوانه ، وهو مازال مترددا .

لم يطق «فضلى بك» أن يمكث فى القهوة أكثر من نصف ساعة عاد بعـــدها توا إلى منزله ، فاستقبله « بمبوش» بترحاب كبير . وأخذه فضلى بين يديه ، وقال له فى ملاطفة :

— لا تظن يا بمبوش أنى خرجت برضاى ، لا والله ، إنهم أخرجونى عنوة ، ولكنى لم أمكث إلا قليلا إرضاء لهم ، وهاقد عدت إليك ، وأتيت لك معى بحلوى لذيذة جدا . أنظر .. الله، ما ألذطعمها، ومدله يده بالحلوى ، وأخذ يطعمه إياها وهو يقول :

— خذ ياحبيبي خذ . وكل بالهناء والشفاء .

وتكررت زيارة الرفاق لمنزل «فضلى بك » ، وتكرر خروجه معهم إلى القهوة ، ولان الرجل ، وقلت معارضته لهم ، وشعر فى صميم قلبه بشيء من الراحة ، واحس بأحزانه تتضاءل رويدارويدا واعتقد حقيقة أن للحى حقوقا على نفسه يجب ألا يهملها ، ومرت الايام ولم يعد يحتاج «فضلى» لزيارة خوانه له للخروج معهم إلى « القهوة » بل تشجع وخرج بنفسه واتصل بالكتلة من جديد وأندمج فيها

وعادت الحياة القديمة تزاحم الحياة الجديدة وتتغلب عليها تدريجيا .

وعندما كان « فضلى بك » يعود إلى منزله كان يعتريه ضيق ، وإذا خطرت على باله ذكرى ابنه، ثار ساخطا ، ولكن لا يلبث حتى يستغرق فى وجوم غريب ، فيعنف نفسه ويبكتها ، ثم يأمر فى الحال أن يرسلوا الرحمة إلى « القرافة » على روح ابنه .

وإذا ما رأى « بمبوش » وقف أمامه ، وهو متكلف اللطف ، وقال له :

— يخيل لى أنك غير مسرور يا بمبوش ، عيناك تنطقان بذلك . ولكن لماذا ؟ ألا أطعمك من طعامى ؟ ألا أرقدك تحت سريرى ؟ ألا أحضر لك الحلوى دائما ؟ فم الشكاية يا ناكر الجميل ؟

ويمسك أذن الكلب يريد مداعبتها فيشدها شدا عنيفا ، ويصرخ الكلب ويجرى هاربا ، ويتمتم « فضلى » قائلا :

— حقا لقد أصبحت لا تحتمل ، لعنة الله عليك !

وكان « الفقى » يأتى كل صباح يقرأ ما تيسر من القرآن على روح المرحوم ، فتخيم على المنزل سحابة سوداء من الحزن . ويتراءى « لفضلى بك » — وصوت الشيخ يرن فى أذنه — شبح ابنه مضرجا بدمه ، ثم صورة نعشه المغطى بالحرير الابيض والمزركش بالزهر ، وهو يتهادى بين المشيعين ، فيقضى فترة الصبح وهو منكد يرزح تحت عبء ثقيل ، ويشعر كأن يدا ناشبة أظافرها فى رقبته تريد خنقه .

وفى يوم من الايام صدر الامر للفقيه أن يذهب الى « القرافة » ليقرأ الراتب اليومى هناك بدلا من قرائته فى المنزل . وظن « فضلى » انه سينعم بشىء من الراحة بعد اختفاء المقرىء ، ولكنه أخطأ فى التقدير . لقد كان يعيش فى دار كل ركن من أركانها محمل بشتى الذكريات المؤلمة عن ابنه . هذه حجرته المنظمة أشبه بقبر صامت رهيب . وهذا « الجراج » القائم بجوار الباب والذى تحول اليوم الى مخزن للمهملات ، الا يخيل « لفضلى بك » أنه يسمع منه فى هداة الليل صوت بوق السيارة ، ذلك الصوت الممتاز الذى يشبه نباح الكلاب ، فيظن أن ابنه عائد الى الدار بعد انقضاء سهرته ؟! لقد كان جو المنزل مشبعا برائحة الموت والفناء .

وصمم أخيرا على بيع منزله وسكنى مصر الجديدة بدعوى أن صحته مضمحلة وأن الاطباء

فصحوه بأن يسكن الجهات الجافة . وكان منزله الجديد « فيلا » لطينة محوطة بحديقة جميلة وجد فيها ضالته المنشودة ، وبدأ يحس فيها بانقلاب فى نفسيته . فكل شيء يدعو الى البهجة والارتياح . ولكن بمبوش . ! إن مرآه يثير أعصابه . فليأخذ مكانه اذن فى الحديقة ، وليربط بعيدا بجانب مرقده . أليس هو إلا كلبا ؟ ! فما معنى أن يبقيه داخل منزله ، ويرقده تحت فراشه ؟ ليس فى ذلك ظلم عليه ، إن « كشكه » جميل ونظيف يحسده عليه أسعد الكلاب ، ووعاءه مملوء دائما بأشهى الاطعمة ، ماذا يطلب أكثر من ذلك ؟

وكان كلما خرج « فضلى » من الدار أو عاد إليه ، رأى الكلب قد أطل من كشكه وأخذ ينبح نباحا عاليا ، فيضطر أن يذهب اليه ويلاطفه ، وارتأى « فضلى » أن يغير طريقه الى الباب وأن يتسلل وهو خارج فى خطوات اللص الحذر ، ونجح فى حيلته ، فلم ينتبه لخروجه الكلب ، واطمأن الرجل لذلك ، وظن انه قد تخلص من مضايقاته له ، ولكن فى يوم من الايام ، بينما كان يفارق الدار وهو يلتفت يمنة ويسرة خشية أن ينتبه الكلب لوجوده ، سمع بغتة « بمبوش » وقد أخذته سورة الغضب ينبح نباحا حارا مفزعا ، فأحس « فضلى » بقدميه قد تسمرتا فى الارض ، وكأن غلا من الحديد يقيدهما . وتابع الكلب نباحه فى الحاح غريب كأنه يوبخ سيده على قلة عنايته به ، وهربه منه ؛ بل ربما كان هـذا النباح ينطوى على معنى من معانى الشتم والتقريع ، فغلى دم « فضلى » ، وهرول الى الكلب ، ورفسه رفسة شديدة جعلته يعوى عواء مرا . فلم يأبه له « فضلى » وانطلق يسبه ، وينعته بأرذل النعوت ، ثم ترك المنزل وعواء الكلب يدوى فى أذنيه ، وقد أحس بأنه أصبح بعد هذه الغفلة حرا ، يدخل المنزل ويخرج منه فى أى وقت يشاء غير آبه بشيء فى الوجود . ولكنه ما كاد يسير الى منتصف الطريق حتى شعر بهم غريب يزدحم ويتكاثر فى قلبه ،أسلمه إلى تفكير عميق ، خفف من سيره وأزاح طربوشه الى الوراء ، وطأطأ رأسه .. ولم يلبث أن عاد إلى داره ، وذهب تو الى « بمبوش » يلاطفه ويقبله ويقول له :

— سامحنى يا بمبوش ، لقد أصبحت سيء الاخلاق ، ولكنى أعدك أن أكون طيبا معك . !

وكان الكلب ينظر اليه فى ذلة وخوف ممزوجين بحذر ودهشه . وأمر « فضلى » أن يأتوا للكلب « ببسكويت » فى الحال وجعل يلقمه إياه واحدة بعد أخرى .

ومضت الأيام ، واستيقظ « فضلى » ليلة من النوم على نباح « بمبوش » فطار صوابه ونزل من فوره الى الحديقة يجرى وشعر رأسه منفوش ووجهه المغضن المحتقن قد تحول الى وجه حيوان مفترس، بعيون كأنها الجمر المتقد ، وتناول فى طريقه هراوة ضخمة . وما إن رآه الكلب على هذه الحالة حتى فزع واختفى داخل كشكه ؛ ولكن « فضلى » شده إلى الخارج ، وهوى عليه بالضرب المبرح حتى حطمه تماما .

وعاد « فضلى » إلى حجرته واستلقى على فراشه ، ثم استغرق فى نوم عميق لم يستمتع بمثله فى حياته كلها . . . ! !

الشيخوخة

يبلغ عدد المسنين الذين وافوا السبعين او تجاوزوها فى مصر ١٨٥٫٣٩٣ من الذكور و ٢٢٤٫٧١٩ من الاناث حسب التعداد الاخير (١٩٢٧) لان تفاصيل نتيجة التعداد الذى اجرى فى عام ١٩٣٧ لم تخرج الى الان

وبذلك نقول ان جميع الذين بلغوا السبعين او تجاوزوها من الجنسين هم ٤١٠٫١١٢ وان الاناث الضعفاء يزيدون على الرجال الاقوياء بمقدار ٣٩٫٣٣٦

ولكن ليس قصدى هنا ان ابين ان هذا الجنس الضعيف هو فى حقيقته الجنس القوى الذى يتحمل الامراض ويعيش ويعمر فى حين نذبل نحن ونموت قبل السبعين او بعدها بقليل . ولكن قصدى هنا ان اقترح اقتراحا لابأس من ان يعد خيالا فى الوقت الحاضر . وهو أن نؤدى لهؤلاء المسنين معاشا شهريا . فاذا فرضنا ان ربعهم يجدون وسائل العيش متوافرة فانه يبقى ثلاثة ارباعهم اى نحو ٣٠٠ الف رجل وأمرأة . فاذا ادينا لكل منهم عشرين قرشا فى الشهر اى مايكفى لثمن كيلتين من الذرة فان تكاليف الخزانة لن تزيد على ٦٠٫٠٠٠ جنيه فى الشهر اى ٧٢٠ الف جنيه فى السنة

وبهذا البر نؤدى واجب الاحترام للشيخوخة المصرية . ونستغنى عن تسعة اعشار الملاجىء ونسعف الشيوخ بالقليل من خبز الذرة ونزرع بذرة صالحة للتنظيم الاجتماعى

فهل يتحقق هذا الاقتراح او هذا من الخيال ؟

كيف احييت الميت

للدكتور عيسى نوري الله

كنت أتعاطى مهنة الطب في مدينة البصرة من ايلول سنة ١٩٢١ إلى شباط سنة ١٩٢٨ . وفي يوم من أيام شهر آب سنة ١٩٢٦ أتاني عربي نجدي الاصل من أهالي الزبير اسمه ع . ع . يسكن في أملاكه في السراجة قرب البصرة ، ويبلغ من العمر ٥٥ سنة تقريبا . وهو متوسط القامة بدين الجسم يزن ٩٠ كيلو غراماً ، ويشكو من ألم في خاصرته اليمنى ومن صداع ودوار خفيف مع بعض الاختلال في النظر ، ومن تنمل في أطراف الاصابع وإمساك دائم . ولدى معاينتي له وجدت انتفاخاً قليلا في الاجفان والوجه والاطراف السفلى . وكان الضغط الدموي ١٢—١٨ بمقياس واكينر ، كما وجدت زلالا في الادرار مع تفاعل حمضي شديد . إذن كنت أمام حالة مرض برايت مزمن مع تصلب في الشرايين . وبعد أن أعطيته التعليمات اللازمة بتنظيم غذائه وما يجب أن يتناوله من الالبان والخضراوات وما يجب أن يمتنع عن تناوله ، فصدت مقدار ٥٠٠ سم من الوريد وأعطيته مسهلا شديدا مع وصفة مركبة من المدرات وقلويات وزابردين ومن مستحضرات اليود ، مع صندوق من المياه المعدنية المختلفة من فيشي وونيال و .. وأوصيته أن يراجعني مرتين في الاسبوع ، وبعد أن راجعني ثلاث أو أربع مرات قل الزلال في الادرار ونزل ضغط الدم ١٠ — ١٦ وتحسنت أحواله العمومية . فلذا انقطع عن المعالجة مدة ثلاثة أشهر تقريبا .

* * *

وفي صباح أحد أيام الجمعة من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ أتاني صهر المصاب في سيارة تبدو علائم القلق والاضطراب على وجهه ، وقال لي إن عمه الذي كان يتعالج عندي سابقاً عندما قام

مبكراً كعادته للوضوء على شاطىء النهر الجارى قرب داره فى سراجه وقع على وجهه فجأة ، ولما كان واقفاً صدفة قريباً منه انتشله من النهر حالا ووجده قد فارق الحياة أو كاد . وأضاف قائلا : « لما كنا نعلم بأنك كنت تعالجه سابقاً وقد عرفت مرضه جئنا اليك سريعا فتعال يادكتور على عجل ، فلعلك تسعفه بعلاج إذا لم يكن قد فارق الحياة » .

لقد صادفت فى حياتى الطبية الماضية ودعيت مراراً لاسعاف حوادث الموت الفجائى الحاصل من السكتة القلبية أو الدماغية . أما فى أثناء الحرب العامة فشاهدت مئات وألوفا من حالات الموت من أسباب مرضية مختلفة ، وكانت الاسعافات الطبية المعروفة التى كنا نقوم بها فى أحوال كهذه تذهب جميعها سدى . ولم أكن أعلم شيئا عن تأثير حقنة الادرينالين على القلب رأسا ، ولكن قبل وقوع هذه الحادثة بأيام قلائل كنت قد قرأت مقالا فى مجلة بارى مديكال عن حوادث إعادة الحياة لبعض الاموات فى مستشفيات فرنسا ، وذلك بحقن الادرينالين فى عضلات القلب . فعليه لم أتردد فى وضع بعض أمبولات محلول الادرينالين فى علبة مع حقنه مناسبة وابرة بلاتين طويلة مع أمبولات أخرى وأدوية وآلات ضرورية للاسعاف فى حالات كهذه . وأخذت السيارة تنهب بنا الأرض بسرعة فائقة ، حتى وصلنا الى قرية السراجة التى تبعد عن البصرة مسافة ١٥ — ٢٠ كيلومتراً ، وقد سمعنا قبل وصولنا الدار بيضع ثوان صراخا وعويلا يتصاعد من أفواه النساء اللواتى فزعن من حالة مريضهم ، ورأينا ازدحاما فى الدار . وحينما سمع الرجل الذى كان معى فى السيارة هذه الاصوات وأدرك الرعب المستولى على النساء التفت الى وقال : لقد قضى الامر يادكتور . فقلت له لا بأس . يجب أن أفحص عن المريض فحصا دقيقا ، وأنا كما تعلم عارف بمرضه السابق فلعلى أفيده بالمعالجة والاسعاف ! ! فقال لى : هيا يا دكتور !

• • •

عندما دخلت الدار وجدت جثة هامدة لا أثر فيها للتنفس ولا لنبضات القلب ، وكان الوجه محتقنا والحرارة منتشرة فى الجسم ، والعمل المنعكس مفقوداً فى الحدقات . ولدى استجواب عائلة المتوفى قالوا انهم كانوا قد لمسوا فيه تنفساً قليلا بعد الحادثة ، وقبيل وصولنا بدقيقة أو دقيقتين شهق شهقات متقطعة واسلم الروح ، ففقد بذلك النطق والحركة تماما .

وبدون أن أضيع شيئا من الوقت وضعت الحقنة والابرة للتعقيم وباشرت إجراء التنفس

الاصطناعي وجر اللسان ، وحقنت تحت الثدي الايسر من بين الاضلاع ٥ سم من محلول الادرينالين في القلب ، وواليت إجراء التنفس الاصطناعي والتمسيد على القلب ، فلم تمض بضع ثوان على هذه العمليه حتى شعرت ببدء التنفس ونبضات القلب ، وكم كان سروري عظيما لهذه النتيجة . فطلبت من الواقفين ان يسكتوا . وقلت لهم ها قد رجعت الحياة الى الميت. ثم زرقت امبولا من الاستروفانتين في الوريد ، ووضعت في فمه ملقطا لجر اللسان وداومت على التنفس الاصطناعي بلطف واهتمام وبدون انقطاع مع تمسيد على القلب ، فرجع الفعل الانعكاسي الى الحدقات وبدأ التنفس وأخذ القلب ينبض ببطء . ثم وضعت قناني حارة على أطراف الجسم وأجريت التمسيد العام للجسم ، فحدث احتقان شديد في الوجه والعيون . ولم أتردد في أن أفصد من الوريد المرفقي لاخراج مقدار كيلوغرام ونصف من الدم . ثم اخذت الادرار بواسطة الوندا . وأجريت له حقنه كبيرة لتفريغ الامعاء ، مع إجراء الحقن تحت الجلدية من دهن الكافور والكافئين والاثير ، وذلك كل نصف ساعة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر . ثم نقلنا المريض إلى السرير وأخذ في تحريك أطرافه وتمكن من التقلب اليمين وذات اليسار دون أن ينبس ببنت شفة . ثم أخذ يجول ببصره فيما حوله بهدوء ويتنفس بسكون . وقمت بعدئذ بمعالجته مدة شهر تقريباً أعوده مرتين في النهار صباحا ومساء . وفي أثناء ذلك حضر ابنه الكبير من الهند وكان تاجراً معروفاً في اللؤلؤ . قام الرجل المريض بعد الحادثة بسبعة أيام على رجليه ، ولكنه لم يتكلم مطلقاً ، وقد نسي شخصيته نسياناً تاماً ، وفقد ذاكرته حتى أنه لم يكن يميز أهله وأولاده ، وكان دائم الابتسام لهم . فاستلم ولده الكبير الذي قدم من بومبي جميع أعمال أبيه . وقد عرضت هذه الحادثة على بعض إخواني من الاطباء وشاهدوا المريض واطلعوا على تفاصيل الواقعة ، وبقيت أزوره وألاحظ صحته مدة تزيد على السنة . ولما تركت البصرة في شباط عام ١٩٢٨ ، كان الرجل لايزال فاقد الذاكرة والنطق ، ولكن حالته جيدة .

لقد وقعت حوادث موت فجائي ودعيت لعدة حالات بعد ذلك التاريخ ، فلم تفد معها حقنة الادرينالين والاسعافات الاخرى ، وهاقد مرت ١١ سنة على تلك الحادثة الغريبة في بابها .

إني أعتقد ان أهم شرط لنجاح حقن الادرينالين في القلب في حالات كهذه ، هي :

أولا — معرفة الطبيب حالة المريض السابقة .

ثانياً سرعة وصوله عقيب حصول الموت وإسعافه بدون هوادة أو تردد بحقنة الادرينالين في القلب

أمراض الشخصية

الشعور بالنقص أو عدم الكفاية

بقلم الدكتور أمير بقطر

الشخصية ما هى ؟ لنعالج هذا التعريف كما يعالجه الكيمائى : ضع فى إناء من الزجاج كميات غير متساوية من الطباع ، والدوافع ، والنزعات ، والكفايات ، العقلية منها والجثمانية ، والصفات والميول والملامح ، وآداب الكلام والسلوك ، وسائر الصفات التى تكون الفرد ، وتميزه عن سواه من الافراد . (ونقول « كميات غير متساوية » لان هذه الكميات تختلف باختلاف الافراد) . ضع الاناء فوق نار هادىء . ودع البخار ، المتصاعد منه بعد الغليان ، يتسرب إلى أنابيب زجاجية محكمة الاتصال بالاناء ، على الطريقة التى تستعمل فى الاستقطار . وبعد تكاثف البخار وتجمعه فى الاناء المعد له يعاد استقطاره بالطريقة المعروفة مثنى وثلاثا ورباعا ، إلى أن نحصل فى نهاية الامر على نوع من « الشمبانيا » — دنىء أو جيد — وهذا ما نسميه بالشخصية . فهى إذا بعبارة موجزة عصارة ، أو خلاصة جميع الصفات التى يتكون منها الفرد جسما ونفسا .

نقول إن بسمارك كان شخصية تدعو للاعجاب والاحترام ، ونقول أن لنكولن كان كذلك شخصية جديرة بالاعجاب والحب ، رغم أن صفات الاول كانت مغايرة لصفات الثانى كل المغايرة . فقد كان بسمارك رجل الحديد والدم ، رجل القوة والغلظة ، والجفاء والقسوة ، والبطش والسطوة ، فى حين أن لنكولن كان رجل الوداعة والنبل ، والهوادة واللين ، والعطف وطول الاناة ، والرحمة وحب الانسانية .

وليست الشخصية كتلة جامدة ، أو كمية غير قابلة للتغيير ، فشخصية الطفل فى الخامسة من عمره غيرها فى الخامسة عشر ، والثلاثين ، والخمسين . وللوراثة أثرها فى الشخصية ، بيد أن للبيئة —

التربية وكل ما يتأثر به الفرد من مدرسة وحكومة ووالدين ومعلمين وأصدقاء ومناخ وطعام — لكل هذه أكبر أثر فى تكوين الشخصية .

وللشخصية أمراض تنتابها ، كما تنتاب النبات والحيوان والانسان ، وجل هذه الامراض تتسرب جراثيمها فى الصغر ، فى سن الطفولة ، وفترة المراهقة على الأخص ، ولكنها قد تفتك بصاحبها فى أية مرحلة من مراحل الحياة . ويطلق علماء النفس على هذه الامراض اسما غريبا ، غير مألوف ، كمعظم الاسماء التى يتخذها العلماء حجة لجعل مصطلحاتهم فنية . وقد اختاروا لهذا المرض الوبيل كلمة complex ومعناها « مركب » وقد آثرت كلمة مرض على كلمة مركب خشية أن يهرب القارىء من الموضوع لغموض العنوان . ولست أريد من هذا البحث أن أتكلم عن جميع الامراض ، كداء العظمة ، وداء الضعة ، والمرض الجنسى (ما يتعلق بالعاطفة الجنسية) . ولكنى سأقصر البحث هنا عن داء الضعة ، أوما يسمونه بالانكليزية inferiority complex وهذا الداء عكس ما يسمونه داء العظمة . وقد ألقينا منذ عامين محاضرة نشرت فى « المجلة الجديدة » فى مقال مسهب تحت عنوان جنون العظمة . والداء الذى خصصنا هذا المقال للكلام عنه من أخطر الامراض التى تفتك بالشخصية . ولما كانت المدرسة (كالأسرة) مسئولة عن هذا الداء فى معظم الاحايين ، فانا نوجه المهيمنين على شئون التربية اليه أيضا .

* * *

ولعل أكثر العلماء تحدثا عن هذا المرض الفرد ادلر ، وقد توفى منذ عامين . وقد كان ادلر فى الاصل من أتباع سيجموند فرويد ، وكان لكليهما فضل كبير على وطنهما فينا ؛ فقد ظلت زمنا طويلا كعبة يحج اليها المصابون بهذا المرض وغيره من الامراض النفسية ، حتى توفى ادلر ، وطرد فرويد مع من طرد من بنى اسرائيل بعد دخول النازى النمسا ، وفرويد الان شيخ هرم يناهز الثمانين ، ولا يزال مكبا على عمله فى مغتربه النائى فى انجلترا . والفرق بين فرويد وادلر أن الاول يعزو جل سلوك الافراد إلى طبيعة العاطفة الجنسية فيهم — قوتها وكيفية توجيهها ، واختبارات صاحبها فيها منذ نعومة الاظفار . فى حين أن الثانى ينسب جل السلوك الانسانى إلى تلك الغريزة القوية ، الكامنة فى الأفراد التى يسميها « حب السيطرة أو السيادة » will power

وكان ادلر يعتقد أن ذلك المرض النفسانى الذى سميناه الشعور بالضعة أو النقص أو عدم الكفاية إنما يرجع إلى إضعاف الغريزة المومأ اليها ، أى حب السيادة . وكان يعتقد فى بادىء الأمر (سنة ١٩١٧) أن العيب الخلقى أو الجثمانى ، سواء أكان هذا العيب حقيقياً أم وهمياً ، هو أهم العوامل التى يتسبب عنها هذا الاضعاف . فاذا ما أصيب الطفل فى صغره بعاهة مستديمة أو مؤقتة ، أو إذا خيل اليه لسبب ما أنه ضعيف السمع أو النظر ، أو بطىء الحركة ، أو دميم الخلقة ، أو قبيح الشعر ، أو قصير الساقين ، أو أنه دون أقرانه فى هيئته العامة سواء أكان هذا أمراً يتفق مع الواقع ، أم هو مجرد خيال ، شب مصابا بمرض الشخصية الذى أطلقنا عليه اسم الشعور بالنقص أو عدم الكفاية .

بيد ان ادلر فى سنة ١٩٢٨ توسع فى هذا المبدأ وقال أن كل عيب أو نقص يلاحظه الطفل فى نفسه أو يتخيله ، بدنياً كان أو عقلياً أو اجتماعياً ، يضعف غريزة حب السيطرة فيه ، ويسبب له مرض الشخصية ، عنوان مقالنا ويلاحظ الطفل هذه العيوب بالموازنة بين نفسه وأقرانه واخوته ووالديه وغير هؤلاء . ويجدر بنا هنا أن نستدرك القول بأن شعور الصغار (أو الكبار) بتفوق الغير عليهم فى لعب الكرة ، أو الجرى ، أو طول القامة ، أو حسن المنظر ، أو الكتابة على الآلة الكاتبة ، أو الانشاء — هذا الشعور أمر طبيعى عادى لا عيب فيه ، لأنه قد يكون الحافز للتحسين والتقدم واللحاق بالغير والمنافسة الشريفة . أما إذا كان هذا الشعور عاما ، أى أن الطفل أو البالغ يرى فى معظم الأحايين أنه دون أكثر زملائه ومعارفه فى أكثر ما تمتد اليه يداه من الأعمال ، أو ما يقوم به من الواجبات ، أو ما يمتاز به من الكفايات — إذا كان هذا هو الواقع ، فان صاحبه يكون مصاباً بهذا الداء الخبيث — داء الشعور بالنقص وعدم الكفاية ، ذلك الداء الذى يبلغ بصاحبه حالة اليأس ، ويستدعى كل عطف ، والمبادرة بالعلاج .

لا بد من أن تمر بكل فرد فترات يشعر فيها بأعراض هذا المرض ، وهذه الفترات تتباين طولا وقصرا بتباين الأفراد وطبائعهم وظروفهم وأحوالهم . فمن الناس من تكون فيه هذه الأعراض كنوبات البرد الخفيفة أو الزكام البسيط ، سرعان ما تظهر حتى تأخذ فى الزوال ، ومن الناس من تبدو عليه هذه الاعراض النفسية خفيفة فى بادىء الامر ، ثم تأخذ وطأتها فى الاشتداد ، ولا تزول إلا بأعجوبة ، ومن الناس من يتمكن فيه الداء وتستحكم حلقاته ويزمن ولا يمكن التخلص منه إلا

بالموت . وإذا راجعنا أقوال علماء النفس فى هذا الموضوع فانا نجدهم يختلفون فى تقسيم هذه الاعراض إلا أنهم يتفقون فى جملتها . ويمكن أن يقال بوجه عام أنها لا تخرج عن كونها واحدة من اثنتين . فاما أن تظهر فى شكل الانزواء والابتعاد عن الغير (حياء وخوفا وخجلا واضطرابا وارتباكا) ، وإما أن تبدو بعكس ذلك فى شكل العنف ، والتدخل السريع ، وسهولة الاجتماع بالغير وحب الظهور — كل هذا إخفاء لتلك العيوب الخلقية أو الخلقية ، الحقيقية أو الوهمية . ولعل القارىء يعجب لاعراض القسم الثانى ، غير أنه قد يزول العجب إذا ذكر المثل العربى المعروف « كل ذى عاهة جبار » اذ كثيراً ما يكون العنف ، وشذوذ الطباع ، وحب الظهور والزهو والخيلاء التى يتصف بها بعض ذوى العاهات البدنية أو العيوب العقلية ، حجبا تغطى تلك العيوب ، ليس إلا .

ولنبدأ بالاعراض التى تأتى تحت القسم الاول وهى التى يحاول فيها المريض أن يتجنب الاتصال بالافراد أو الجماعات فى المجتمعات : —

(١) الشعور بالوجود الذاتى (self—consciousness) . ولا يخفى أن هذا الشعور نكبة على صاحبه فى كل ما يقدم عليه من الاعمال . فالرجل الذى يشعر بوجوده الذاتى وهو يخطب ، يتلعثم ، والذى يشعر بوجوده الذاتى وهو يرقص ، تزلق قدماه ، أو يدوس قدمى شريكه . والحشرة المعروفة باسم أم أربعة وأربعين ، أرادت مرة — على حد قول أحد علماء النفس — أن تشاهد كيف تسير ، أى أنها شعرت بوجودها الذاتى ، فتشابكت أقدامها ، وتلوت ، وتقاطعت ، فانقلبت على ظهرها ولم تستطع القيام . وما ذلك إلا لأن العادة تجعل تأدية الاعمال مسألة تلقائية محضة (أوتوماتية) ، فاذا مازالت هذه التلقائية ، وشعر صاحبها بتفاصيل « العملية » قضى على ما نسميه المهارة والسرعة الطبيعية والارتجال فى تادية الاعمال ، وقضى نصف ساعة فى ربط « الكرافتة » كما يصنع الاطفال . ومن أعراض الشعور بالوجود الذاتى كثرة الارتباك فى حضرة الغير ، وخوف الظهور فى المجتمعات العامة أو الخطابة ومواجهة الجمهور بالكلام ، والانتقاد الذاتى ، والاكثار من مقارنة النفس بالغير

(٢) شعور الفرد أو توهمه بانه سىء الحظ ، أو منكود الطالع ، أو قليل البخت . والشخص الذى تبدأ عليه هذه الاعراض لا يفتأ أن يجاهر فى كل حين ، بمناسبة أو بغير مناسبة ، بانه سىء الحظ ، وأن الفشل مكتوب على جبينه . ومن الغريب أن هذا الشعور معروف بكثرة بين الاطفال وخصوصا

البنات . ومن الاعراض المعروفة من هذا النوع ، هى التى تشكو فيها البنت من أنها بنت ، وتندب حظها لانها بنت ، وتتمنى منذ أن تستطيع الكلام فيما لو كانت ذكراً ، وتجاهر على مسمع من الجميع أنها لا ترى فائدة ما من أنها بنت . وقلما تجد ذكرا يتمنى لو كان بنتا ولكن العلماء ذكروا حالات قليلة من هذا النوع

(٣) سماجة الحركة (أو عدم التوازن) فى المناسبات الاجتماعية ، وهو ضرب من فقدان المهارة اللازمة لتادية آداب السلوك العادية ، كأن يتلعثم الرجل فى كلامه ، ويطرق برأسه وينكمش فى كرسيه أو يجلس على حافته إذا ما أراد أن يقوم بواجب اجتماعى صغير كقوله للزائر الكريم «شرفت ياسيدى» أو «تفضل لتناول فنجان من الشاى معى» . واذكر رواية سينمائية بديعة «الاخت البيضاء» منذ سنوات قليلة مضت كانت بطلتها ليليان جيش ظهر فيها شب مريض بهذا الداء وما كاد يجلس إلى مائدة أمام من حاول أن يخطب يدها حتى أخذ يتأفف ويتثاءب ويأتى بحركات بدنية غريبة تنبىء بعدم التوازن واشتداد أعراض هذا الداء . وشر البلية أن تضع المقادير امرأة سفير فى هذا الموقف . أو أن يكون رئيس مصلحة أو زعيم مصابا بهذا الداء

(٤) حسد الغير . ويكون هذا الحسد مرضا إذا جاء أولا فى مناسبات كثيرة وثانيا إذا كان الباعث الحقيقى لهذا الحسد هو التخلص من المسئولية والهرب من تأدية الواجبات والتقدم والرقى

(٥) الجبن وعدم الاقدام وخشية الفشل فى كل مشروع جديد . وصاحب هذه الاعراض يؤثر الوقوف على السير فى طريق لم يألفه والقناعة بما هو عليه : على اتيان عمل لا عهد له به . ومثل هذا الشخص لا يعرف للمخاطرة أو المجازفة معنى ولا يمكن أن يكون مكتشفا ويندر أن يكون مخترعا لانه فى كل نواحى الحياة يقدم رجلا ويؤخر أخرى . وقد لا ينتقل من مكانه أبدا خشية أن تزل قدمه أو تسقط القنطرة

(٦) «جنون الكمال» ويسميه كونكلن Perfectionistic Behaviour وهذا أعراض المريض الذى يبلغ فى الحذر ويطنب فى الاتقان حباً فى كمال موهوم لا نهاية له . وقد ذكرت فى مقال آخر من هذا النوع حكاية أديب مضى عليه عشرون عاماً وكتابه معد للطبع ، ولكنه لا يريد إرساله المطبعة حتى يستبدل كلمة بكلمة وعبارة بعبارة وقد مضى على هذه العملية حقبة طويلة من الدهر ولم يطبع الكتاب ، حبا فى ذلك الكمال الذى لا وجود له الا فى « ألف ليلة وليلة » . وهذا الاديب دقيق

فى كل شىء حتى النظافة . فهو لا يأكل بطيخة حتى يغسلها بيده (بعد الخادم) بالصابونة «واللوفة» ولا يلبس سترة حتى يعيد تثبيت أزرارها مثنى وثلاثا ورباعاً

أما فى القسم الثانى من هـذه الاعراض فكما سبق القول فتبدو لاول وهلة انها على النقيض من الشعور بالنقص، لان صاحبها يظهر بثوب صناعى يخفى تحته ذلك الشعور ، ومن علاماتها ما يأتى

(١) حب الظهور (المصطنع) . وهنا يحاول المريض أن يكون فى المقدمة أو يتحدث بصوت عال حتى لا يسمع صوت الآخرين ، أو يكون عنيفا فى حديثه متشامخا فى سيره وعمله . أو يتأنق فى الملبس تأنقا يسترعى الانظار ، باختيار الالوان الزاهية والاقمشة الاخاذة ، وقد يبالغ فى مغازلة الجنس الآخر — كل ذلك إخفاء لعيوب ظاهرة العيان فيه . وتلاميذ المدارس من هـذا النوع كثيرون ، ويصعب جداً كبح جماحهم ويغلب فيهم الميل الى مشاكسة زملائهم من التلاميذ ومعلميهم ، وكما قلنا ينطبق عليهم المثل القائل « كل ذى عاهة جبار »

(٢) سرعة التأثر وشدة الحساسية فيما يتعلق بـــكل ما يمس المريض من مزاح أو كلام عام . فالمريض من هذا النوع يميل الى تأويل أقوال الغير إلى ما يشعر بتحقيره والسخرية منه . فتجرح إحساساته لاقل كلمة ، ويحزن سراً أو يبكى جهراً ، أو يحتد غضبه فيكيل السب واللعن جزافا . وما هذا إلا لانه يشعر بالنقص أو عدم الـكفاية فى ناحية من نواحى شخصيته . والدليل على هـذا أن الثرى لا يضيره أن يمازحه صديق بعبارات تشير الى الفقر ، والوسيم لا يضيره أن يشير أحد الجالسين إلى القبح ، والمرأة حسنة الهندام لا يزعجها أن ينتقد أحـد ملابسها . والاطفال منذ بدء عهـــدهم بالدراسة شديدو الحساسية من هـذه الناحية ، وعلى القائمين بأمرهم أن يبعدوهم عن كل جو تنمو فيـه جرثومة هذا الداء . فالاطفال الذين يشعرون بعيوب خلقية ، أو خلقية ، أو اجتماعية (كفقر الوالدين وإجرامهم أو نبذهم من المجتمع) عرضة لتحقير زملائهم ، ومعلميهم أحيانا للاسف .

(٣) محاولة عنيفة (قد تـــكون فاشلة أو ناجحة بعض النجاح) للفوقان فى ناحية من نواحى النشاط ، كالرسم والايقاع على آلات الموسيقى والغناء ونظم الشعر وممارسة الالعاب الرياضية والتجارة الخ ، بشرط أن يكون الباعث على هذه كلها مداراة عيب من العيوب التى تكلمنا عنها .

(٤) كثيراً ما يظهر على الفرد المرض أو الضعف الجثمانى فى حين ان الطبيب لا يستطيع أن يجد

أثرا لهذا المرض أوهذا الضعف ، وكثيرا ما يكون الحافز لهذا الداء الميل الى اخفاء نقص فى الكفاية أو عيب ذهنى أو بدنى . ويبدأ المصاب بهذا الداء النفسانى وهو يعلم انه يتصنع المرض أو الضعف غير أنه يتمادى فى هذا التصنع الى ان يتوهم انه مريض او ضعيف حقا

* * *

واذا ما تحدثنا عن اسباب هذا المرض ، فان اول ما هو جدير بالذكر هو عدم العناية بالوالدين والمعلمين بتجنب كل ما يأتى عنه تحقير الاطفال ، او الازدراء بهم ، او السخرية منهم ، او التحدث همسا عن عيوبهم او فقر والديهم ؛ او تهيئة الجو الذى يدعو الى الموازنة بينهم وبين نظرائهم . ويحدث للاسف احيانا ان الطفل بطبيعته هو الذى يضع نفسه فى كفة وغيره من نظرائه (حقيقة او وهما) فى كفة . وقد تكون الموازنة امرا بعيدا عن الواقع او المعقول، كأن يوازن الطفل بينه وبين غير نظرائه واقرانه .

غير ان العيوب الجثمانية ، وخصوصا العاهات المستديمة ، والنقائص العقلية والاجتماعية ، هى اهم أسباب هذا المرض ، أو الشعور بالنقص وعدم الكفاية ، ولا غرابة فى ذلك فان حياة الطفل كلها حركة ،وعالمه كله نشاط ، ودنياه جرى ، وقفز ، ولعب ، وعمل ،وتسلق ، وكل ما يأتيه الفرد من حركة ، سواء أكان منفردا أم مع الجماعة . فاذا ما أنس الطفل (أو البالغ) فى ذاته العجز عن القيام بهذه كلها أو عديم الكفاية ، معيباً ، او دون افراد الجماعة منزلة . ومن الغريب ان ادلر واتباعه يعتقدون ان الطفل قد يوازن بين نفسه ووالديه ، فيجد نفسه امامهما ضعيفاً ، فاذا لم يسارع القائمون بأمره برده الى صوابه ، شب مريضا بهذا الداء .

وخليق بنا أن نذكر هنا أن الطفل إذا بلغ ضعفه العقلى درجة فى مصاف البله أو السفهاء (وهم من يغبنون فى المعاملات) والمعتوهين — هذا الطفل لا يستطيع الموازنة بينه وبين غيره ، لأنه يقرب من الحيوان ، ولذا فانه لا يعقل أن يصاب بهذا المرض . ولكن مما يؤسف له أن الطفل و متوسط الذكاء ، كثيراً ما يوجد فى بيئة من الأطفال شديدى الذكاء ، فيدفعه التنافس فى بادىء الأمر الى مضاعفة الجهد . ولكنه لا يلبث أن يجد الفرق بينه وإياهم عظيما ، ويوقن أن التنافس من العبث ، والجهد لا يجدى نفعاً ، فتهبط عزائمه ، ويقع فريسة الداء .

ومن العيوب الخلقيـة التى تتسبب عن المرض ، الفأفأة ، والتأتأة ، واللكـنة ، والتـكلف غير المقصود فى الكلام والحركة ، والميل إلى عدم الاناقة فى الملبس كتلويث الثياب ، أو قطعهـــا ، أو لبسها رغم ما تفتقر اليه من رتق أو خياطة أو إصلاح ، أو وضـع أزرار . والطفل الذى يكون من هذا النوع ، ويوجد فى غير البيئة الملائمة ، يكون عرضة للسخرية والمزاح حتى من أهله . وأذكر أن شاباً حضر إلى منذ شهور قليلة ليستشيرنى فى أمر أخته البالغة ثمانى سنوات ، وكانت كـثيرة اللـكـنة ، وقد اتضح لى بعد عدة أسئلة أن الهزء بهذه الطفلة المسـكينة لم يكن مقصورا على اخوتها الصغار ، بل على جميع أشقائها وشقيقاتها ووالديها وأصدقائهم وزائريهم . وكيف لا نتوقع فى مثل هذة الحالة أن يصاب الطفل بأشد أمراض الشخصية ؟ .

ونجد من الوالدين من هم على النقيض من هذه الحـالة تماماً . اعنى بأولئـك الذين يبالغون في العناية بأطفالهم ورعايتهم والحنو عليهم حنوا يفوق العقل والمنطق . أطفال هؤلاء يكونون عادة عالة على غيرهم ، لا يعرفون للاستقلال والاعتماد على الذات معنى . ومثل هؤلاء هم اولئك الذين يطالبهم والدوهم بما لاطاقة على البشر احتماله . اولئك الوالدون ينتظرون من أولادهم الكمال فى كل ما يأتونه من الاعمال ، وينتظرون منهم من الناحية الخلقية أن يكونوا ملائكة أطهاراً ، فلا يتركون هفوة إلا ويحاولون إرهاق أبنائهم وبناتهم بما لا يستطيع إنسان إتيانه . هؤلاء يتطلبون فى الماء جذوة نار ، والنتيجة التى لابد منها هو فشل بعد فشل ، يشعر بعده الطفل بنقص أو عدم كفاية .

ويمكن تلخيص الاسباب الآنفة الذكر فى عبارة واحدة وهو أن هذا الشعور بالنقص inferiority complex يتسبب عن شعور حقيقى أو موهوم بعدم المقدرة على إتيان أمر يخيل إلى صاحبه انه مرغوب فيه . ومن المهم أن يبدأ تشخيص المرض بايجاد السبب الاصيل والوقوف على ما يعتقده الطفل أو ما يتوهمه بغض النظر عن الواقع . والعلاج عديم النفع بغير العثور على هذا السبب .

(٥)

وليس ثمة من داء ينطبق عليه المثـــل القائل « درهم وقاية خير من قنطار علاج » كمرض الشخصية . ولذا فاننا أذا ذكرنا العلاج فان أول ما نوجه اليه الانظار هو الوقاية وتجنب كل ما يحتمل أن يكون وسيلة لسقوط الطفل فى الحفرة . والطفل وديعة فى أيدى الوالدين والمعلمين والمربيات ،

ومن أول الواجبات العناية بهذه الوديعة . بيد أننا نذكر هنا ملحوظات موجزة عن علاج هذا المرض ، رغم الاعتراف بأن هذا العلاج محفوف بالمخاطر والاشواك : —

(١) يبحث أولا إذا كان سبب الشعور بالنقص أو عدم الكفاية مصدره واقعي أو وهمي لان لكل منهما علاجاً خاصاً .

(٢) إذا كانت حالة الطفل الجثمانية لا تساعده على اللعب مع زملائه فمن الواجب إيجاد ما يسد هذا النقص فيه في ناحية أخرى ويوجه اهتمامه إلى طريق آخر من طرق التسلية ترتاح اليها نفسه.

(٣) ينبغي تضافر جميع أفراد الاسرة والاصدقاء فى الوصول الى هذه النتيجة

(٤) ولا يقصد بهذا أن يبالغ فى العطف على الطفل أو تدليله . وانما على النقيض من ذلك يجب أن تكون علاقاتنا به لا تخرج عن المألوف .

(٥) أن أكبر خدمة يؤديها أفراد الاسرة للطفل المومأ اليه هو اشتراكهم معه فى ناحية من نواحى النشاط التى تمكنه حالته البدنية من الدخول فيها .

(٦) سواء أكان السبب بدنياً ، أم عقليا ، أم اجتماعيا ، فانه يحتم أن نتجنب كل تنافس لا يرجى فيه للطفل نصيب من النجاح .

(٧) أما إذا كان سبب المرض (الشعور بالنقص أو عدم الكفاية) خيالياً أو وهمياً ، فيكون العلاج على غاية من الصعوبة . وأول خطوة يجب اتباعها هى توطيد دعائم الثقة بالطفل ، ومعنى ذلك اننا نظهر له ثقتنا فيه ، ولا نبين له مايشتم منه ضياع شىء من هذه الثقة .

(٨) ومتى رسخت هذه الثقة ، أخذ هو فى توطيد الثقة بنفسه

(٩) ومن الوسائل التى يكتسب بها الطفل هذه الثقة هو إطراء ما يأتيه من الأعمال أو كل محاولة يستبدل منها أنه يبذل بعض الجهد فى أية ناحية من نواحى النشاط

(١٠) ينبغي أن نتجنب المديح الكاذب أو الاطراء البعيد عن الاخلاص

(١١) يلزم عند تهيئة نواحى النشاط ان نبدأ بالسهل منها ، حتى نضمن نجاحه فيها لأن هذا النجاح يولد فيه الثقة بنفسه . ومتى أنسنا فيه هذه الثقة نزيد النشاط صعوبة بالتدريج .

(١٢) المسألة الهامة التى لا ينبغى أن تغيب عن بالنا فى العلاج ، هى وجوب تهيئة النواحى التى

يكلل فيها نشاط الطفل بالنجاح ، والتى نتأكد أنها تتفق ومقدرته على بلوغ ذلك النجاح . وذلك لأن سر العلاج هو أن يدرك الطفل أن له من الكفاية والمقدرة مايؤهله للنجاح فى بعض نواحى النشاط أو بتعبير آخر أن علاج هذا النوع من أمراض الشخصية هو الوثوق بالنفس .

* * *

ولما كانت العيوب الجثمانية ، خصوصاً المستديمة منها ، هى فى مقدمة العوامل التى يتسبب عنها الشعور بالنقص أو عدم الكفايه ، ولما كان هذا المرض يبدأ عادة فى سن الطفولة ، فانا نرى أن نختم هذا المقال بكلمة موجزة إرشاداً للوالدين والمعلمين :

يخطىء المهيمنون على تربية الطفل المصاب بعاهة بدنيـة فى احد أمرين (١) فاما أن يعيره الوالدون أو الاخوة أو الاصدقاء ، ولو بحسن نية : أو بغير قصد ، أو لمجرد المزاح ، كأن ينادونه بقولهم : ياعدو الشمس ويا أعرج ، ويا أعمى ، ويا أقطع ، ويا أعور ، ويا أطرش ويا أسبل ، ويا أقرع ويا أبا الليل ، أو سمبو » (إذا كان قاتم اللون) و (٢) إما أن يكونوا على النقيض من ذلك . أى أنهم يبالغون فى المحافظة على مايجرح احساسه . ويطنبون فى العطف عليه . ويسرفون فى العناية به ظناً منهم أنه عاجز جدير بالرحمة والحنان والعون . فاذا ماأراد تسلق حائط أو عربة . ولو لمجرد اللعب حملوه بايديهم . وشفعوا ذلك بكلمة أو عبارة أو إشارة . كلها عطف ورنين حزن وتأوه أحياناً . وإذا ماحاول إتيان عمل فعجز بسبب عاهة ما . هرع ذووه لمساعدته والأسف على ماحدث . وكأنه أشرف على الموت فبادروا لانقاذه .

كل من هؤلاء مخطىء كل الخطأ فى معاملة هذا الطفل المسكين وكان الأجدر بهم أن ينظروا اليه نظرتهم الى الطفل العادى حتى لايحس بإنه ليس كسائر الأطفال فتتولد فيه هـذه الذلة . وتلك الضعة التى تلازمه كل حياته ملازمة الظل للأصل . وهذه مسألة عملية واقعية نتخذها مثالا لما نقول طفل فى الثامنة من عمره أقطع الساعد الى مافوق الفخذ . يتوكأ على عكاز . حاول الصعود فوق سلم فزلت قدمـه . ووقع على الارض . ووقع عكازه . فماذا تقول الأم وماذا تفعل ؟ الجواب يختلف باختلاف الامهات ، وهذا مايحتمل أن يكون :—

(١) تضحك ملء شدقيها وتناديه يا أعرج ...

(٢) تحتد غاضبة وتقول يا أعرج . ياقليل الحيلة

(٣) تهرع اليه تحمله بين يديها ، رغم أنه لم يصبه أذى ، وفى صوتها وكلامها رنين الأسف والحزن وشدة العطف . وهى تردد قولها « ولدى » « كبدى » ..

(٤) تسرع لمساعدته وهى تجهش فى البكاء

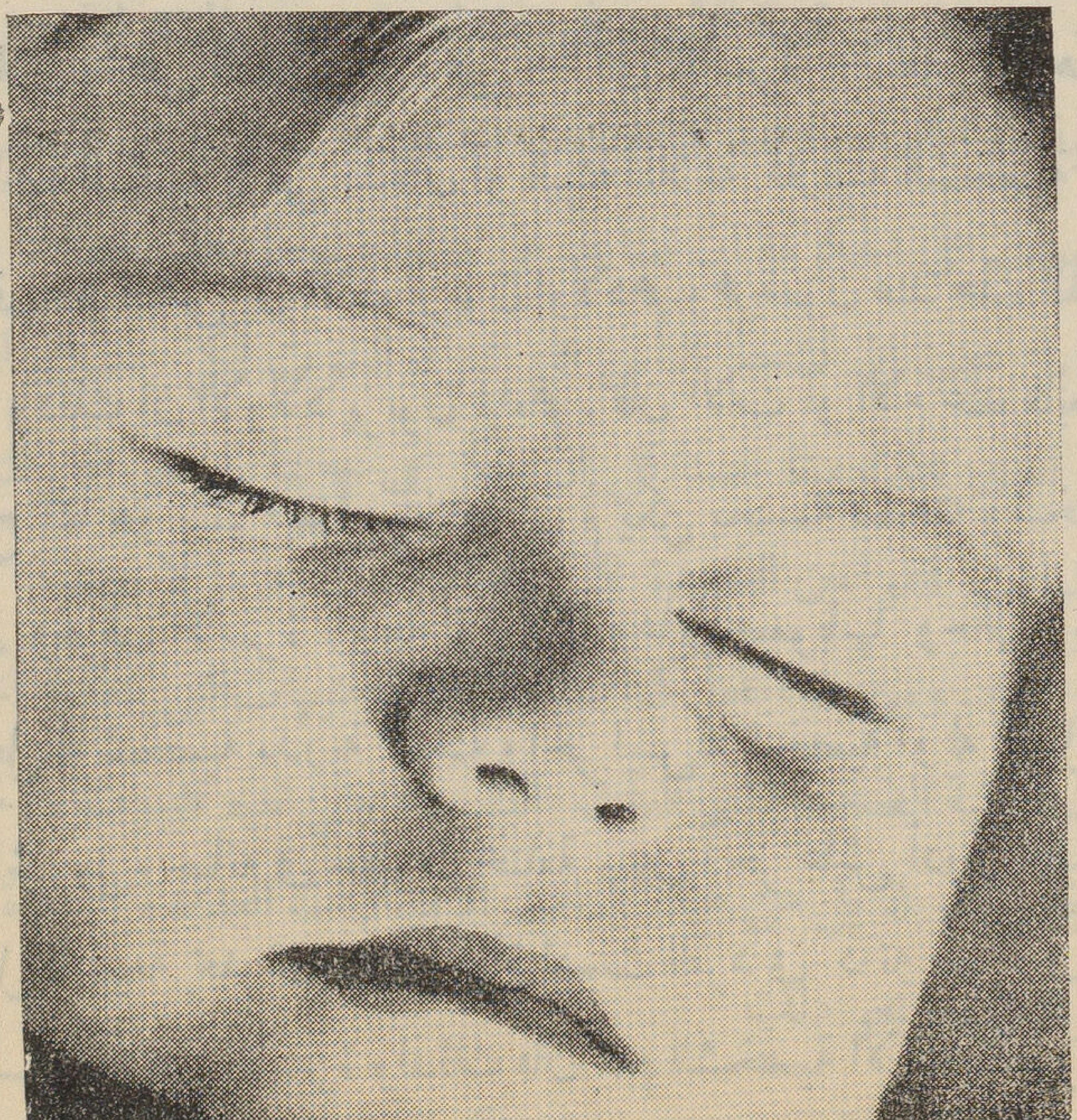
(٥) تتجاهل وقوعه ولاتعلق عليه أهميته ولكنها تنتهز الفرص المناسبة من آن إلى آخر لنصحه وارشاده فى حزم ، بين الاعتدال والشدة : كأن تقول له «أعلم انك كسائر الأطفال . قوى سليم البنيـة . ذكى . تستطيع أن تجرى وتقفز وتلعب . وليس ثمة مايعوقك عن اللحاق بأقرانك.» (هذا مع مراعاة ماقلناه فى غير هذا المـكان من هذا المقال من أنه لايجوز وضع مثل هـذا الطفل فى بيئات وأحوال يكون نصيبه فيها الفشل فى معظم الأحيان) والخطة الأخيرة هى بالطبع المثلى

ونعرف رجلا فاضلا أقطع يستطيع أن يقوم بكل مايقوم به الرجل العادى من السير السريع وصعود السلم وركوب العربات والسيارات (وقيادتها ، والسباحة ولعب التنس ، وقد أتقن الاخيرة رغم عكازه حتى أنه يفوق فيها جميع أصدقائه وعارفيه ، . ولايعوزه الرقص والزلق على الجليد . ولا غرابة اذا كان قوى الشخصية . لا أثر فيه لذلك المرض الذى ينتاب عادة أمثاله . فيظهرون اما بمظهر النفخة الـكاذبة . والعنف الشديد . اخفـاء لذلك العيب . أو يتوارون عن الأنظـار حياء وخجلا . لشعورهم النقص أو عدم الـكفاية

أطفالنـــــــــا



عندما اكبر ..



الان هدأ البيت ..

قيمة البيت والاسرة

عند الفرد والدولة والامة

للاستاذ سلامه موسى

تتوقف الشخصية على اعتبارات كثيرة ربما كان اهمها الحرفة التي يحترفها الانسان والاسرة التي يكونها . فان الحرفة تشعره بقدرته وفائدته وتبعث فيه الرغبة فى الرقى والاستزادة والتعلم وهذا كله يقوى شخصيته وينميها . وكذلك الاسرة تشعره بمسؤوليته ازاء زوجته واولاده . وهو حين يعاشر زوجته يجد نفسه مضطرا الى الاشتراك معها فى العمل والتدبير والتفكير فهو يأخذ ويعطى . وهو سيد وخادم معا . عليه عهد وله عهد . ثم هو أزاء الاولاد يجد نفسه مسئولا عن العناية بهم فى الوقت الحاضر وعن تهيئتهم للمستقبل . فالاسرة تجعله عضوا مدنيا فى الهيئة الاجتماعية وتستنبط منه أحسن الاخلاق واسمى الفضائل . وهى — أى الاسرة — تعد من هذه الناحية الاساس الحسن للهيئة الاجتماعية السامية كما هى المكان او البيئة الملائمة لتربيته الشخصية

والمألوف عند الناس ان الاباء يربون اولادهم . وهم يقفون عند هذه الظاهرة لا يتجاوزونها الى ماهو اعمق منها . وذلك ان الاولاد يربون اباءهم . فان الاب او الام عند مايعالج احدهما ابنه ويساعده على النمو والتفتح انما هو ينمو ايضاً ويتفتح ان لم يكن بجسمه فبذهنه وشخصيته . والفرق بين رجل قد بلغ الاربعين وعرف الاسرة زوجة واولادا وعانى صعوباتها وحظى بافراحها وآخر لم يعرفها، هو فرق بين رجل له شخصية مدربة ممتحنة وآخر ليس له شخصية او له القليل الغشيم منها . او هو الفرق بين رجل عاش ملء حياته فى حظوظ مختلفة وبين آخر عاش أدون الحياة واقلها خصوبة

والمتأمل للطبيعة يجد ان غاية الحياة ليست الفرد فى ذاته سواء فى هذا الحيوان والانسان . وانما هى النسل أى هى الاسرة ولذلك فان تمام الشخصية الانسانية يتوقف على تمام الاسرة . لان الاسرة تستحث كفاءاتها وتستنبط احسن ما فى خصالها . وكتب التاريخ تذكر لنا التضحية من

اجل الوطن كانها بطولة نادرة تستحق الثنــــاء . ولـكن هذه الـكتب لا تذكر لنا ملايين الاباء والامهات الذين يضحون بانفسهم من اجل اولادهم لان هذه التضحية تجرى فى طبيعة الاشياء كأن ليس فيها شىء غريب

ولـكن اذا كانت الاسرة تـكـون شخصيتنا او تضخمها وتنميها فانها هى نفسها الامتداد لشخصيتنا . ونحن حين ندخل بيتا وننظر إلى الاثاث والاولاد والاصوات والصور والنظام العام نشعر ان كل هذه الاشياء هى بعض هذه الشخصية شخصية الابوين او شخصية أحدهما . ونقول احدهما لأن الام فى مثل بيئتنا يكون أثرها فى الغالب سلبيا

وأحسن ما يمكن ذا الذهن السليم ان يطمع فيه هو الاسره السعيدة. وهو حين يجعل هذا المطمع غايته ، حتى وهو أعزب يصبح عضوا حسنا فى الهيئة الاجتماعية يعمل فيهـــا للخير والسلام ويطلب الفضيلة والبر . والاجتماع الحسن فى أمة ما هو المؤلف من الاسر الحسنة أى الاسر التى يؤدى نظام الدولة وقوانينها الى تماسكها وهذا يعنى فى النهاية ان تمسح على الزواج حرمة تكاد تشبه القداسة حتى لايقدم عليه احد من الجنسين الا وهو يشعر بفداحة المسئوليـــة الجديدة . ويتهيأ لهـا ويعنى بفضائلها . كما ان الدولة — حين تعرف قيمة الاسرة فى أشعار الزوجين بالمسئولية — يجب أن تبذل أقصى مجهوداتها لتقوية هذا البناء ودعمه كلما خشيت فيه تصدعا . ولما كـان البيت هو الصدفة التى تعيش فيه الاسرة فانه يجب على الحكومة ان تساعد على بنائها وتجعل هذا خطة لا تـكف عنها لكى تكثر البيوت الحسنة . بل يجب ان تشجع الناس على شراء البيوت لكى يسكنوا فيها مالكين غير مستأجرين . فأن الرجل الذى يملك بيتا حسنا قل ان يفكر فى جريمة بل هو اقل الناس غشيانا لأماكن اللهو . ومن هنا كـانت القوانين العديدة التى تجعل البيت حرما لا يجوز للدائن ايقاع الحجز عليه لسداد الدين او بيعه . ومن هنا ايضا كـانت ملايين الجنيهات التى تنفقها الحكومات على بناء البيوت واداء المعونات المالية الضخمة لشركـات البنــاء حتى تبيع البيوت بأرخص الاثمان وبالاقساط الصغيرة فى الآجال الطويلة بل من هنا كـانت الامتيازات العديدة للاسرة فى الضرائب وأجور السكك الحديدية والتعليم ونحو ذلك

الاسرة هى اسمى مخترعات الطبيعة فيجب ايضا ان تكون اسمى مطامع الحضارة

واذا اعتبرنا أن وقوع الجريمة برهانا على التنافر بين المجرم وبين الهيئة الاجتماعية ، وإذا لم ننس أن الجريمة تؤدى الى السجن وأحيانا الى الشنق وهى قبل ذلك تحدث الاذى لاحد الناس ، جاز لنا أن نقول ان الامم الاوربية أسعد حالا منا لأن جرائمهم أقل من جرائمنا ولان عدد الذين يشنقون فى كل عام فى مصر يزيد على عدد من يشنق فى انجلترا وهو لندا ودنمركا واسوج ونروج مع أن السكان هناك يقاربون ستين مليونا ونحن لا نزيد على ١٦ مليونا . والجريمة هى فورة الشقاء وعلامة التوتر النفسى ودونها سخط وقبل وقوعها كراهية ومقت وخصومة مضمرة بين المجرم وبين الهيئة الاجتماعية . فكثرة الجرائم عندنا وكثرة المجرمين الذين تقتلهم كل عام بالشنق تشهدان باننا لسنا أمة سعيدة . والحبس والسجن والاعدام — كل هذا قد يعد من العلاجات السلبية للجريمة ولكن العلاجات الايجابية أو الوقاية الايجابية لا وجود لها فى مصر . وهذه العلاجات السلبية لا تزيدنا سعادة بل تزيدنا شقاءا ولذلك يجب أن نفكر فى الوقاية الايجابية من الجريمة . وليس شك فى اننا حين نفعل ذلك نزيد سعادة الامة أى سعادة الفرد

* * *

وحين نفكر فى وفرة الشقاء فى بلادنا وفى وفرة السعاده فى الامم الاوربية ترد على ذهننا خواطر كثيرة قد يكون فى أولها هذا الحرمان القاسى الذى يعانيه تسعة أعشار الامه الذين كتب عليهم أن يعيشوا طول حياتهم وهم لا يأكلون غير الذرة . ولكن الذهن يطرد هذا الخاطر لصعوبة هذه المعضلة ولما تبعث من عواطف هى مؤلمة وعقيمة معا إذ ان التفكير فى هذا الحرمان لن يؤدى الى أية نتيجة مفيدة فى الوقت الحاضر . ولكن هناك ما هو دون ذلك من المسائل التى يمكن أن نفكر فى علاجها وان كنا عند التعمق نجد ان الحرمان هو الاساس لكل شقاء فى مصر : للجريمة وللمرض وللجهل وللخسة الاخلاقية وللتفكك بين أعضاء الاسرة . وللقبح العام لبيوتنا وللنفور من هذه البيوت الخ . الاسرة والبيت هو ماينبغى بحثهما وان كنا نحتاج إلى أن نتعامى عن هذا الاعتبار الخطير السابق .

* * *

والامم الاوربية أكثر سعادة منا للاسرة والبيت

فالاسرة هناك يرتبط أعضاؤها ارتباطا وثيقا . ومع ان الحرية قد استفاضت فى كل شىء تقريبا

فهى مقيدة كثيرة الأغلال بين الزوجين - حتى روسيا الاشتراكية مازالت تجعل الطلاق عسيرا جدا والامم الجنوبية فى أوربا تكاد تجعله مستحيلا - وليس شك فى ان الغلو فى هذه القيود يضر - ولكن يجب ان نذكر ان كل طلاق انما هو افلاس للاسرة وانه قد يؤدى الى تشتيت أعضائها كما يحرم الابناء من الرابطة الابوية ومن المثال الحسن بين زوجين متحابين - فهل يعسر على قادتنا ان يجدوا السبيل الى معالجة هذا التفكك فى أسرتنا المصرية ؟

ان الشاب الذى ينشأ منذ الصغر وهو لايتمتع بالالفة بينه وبين أبويه واخوته يجد ان ارتباطه بالهيئة الاجتماعية متفكك وان مسئوليته نحوها ليست عميقة فى نفسه - لان هـذه المسئولية تنبت أصولها وتنمو فى الاسرة . ويحسن المشتغلون بتحقيق الجرائم فى مصر لو انهم عنوا بتسجيل الحال التى نشأ فيها المجرم وهو صغير، هل كان فى أسرة قد شتتها الطلاق أم عاش بين أبوين واخوة متحابين حيث يتعاون الجميع على العيش وحيث لا يعرف النزاع والكراهية مكانا بينهم ؟

ان من البعيد جدا ان يجرؤ رجل أو شاب او امرأة او فتاة على الاجرام اذا كانوا مرتبطين بالحب لان هذا الارتباط يجعل شعورهم بالمسئولية او المقام الاجتماعى مرهفا . وهذا بخلاف الفرد الذى انقطعت روابطه مع اعضاء اسرته . فلنفكر كثيرا فى هذا الموضوع ولنتجرأ على التفكير

« • »

يرى القارىء أننا نجعل مقدارا الشعور بالمسئولية أساسا للسلام فى الهيئة الاجتماعية وعامل الوقاية من الجريمة وسبيل السعادة للفرد والامة . فالرجل الذى يرتبط بزوجته وأولاده ويجد هـذا الرباط وثيقـا يرفض أن يتهـاون فى أخلاقه وتخشى الخسة فى الاخلاق كما يخشى الوقوع فى الجريمة لانه يحب أسرته فيتعلق بأفرادها

وعلى هذا القياس ايضا يجب أن نجعل البيت أساسا لزيادة الشعور بالمسئولية فالرجل الذى يملك بيتـا حسنا يتعلق به . وهو لاتصاله الشخصى به كل يوم ينظر اليه كانه امتـداد الشخصية . وليس البيت عقاراً مملوكا مثل أى عقار آخر لأننا يسهل أن نبيع العقار البعيد ويشق علينا أن نبيع بيتنـا الذى عشنا فيه مع أن الاول قد يكون أعلى فى قيمته المالية . وذلك لان للثانى قيمة شخصية .

ومن الحسن للهيئة الاجتماعية ومما يزيد السعادة فى الامة وينقص الجرائم أن يكون لـكل أسرة

واذا اعتبرنا أن وقوع الجريمة برهانا على التنافر بين المجرم وبين الهيئة الاجتماعية ، وإذا لم ننس أن الجريمة تؤدى الى السجن وأحيانا الى الشنق وهى قبل ذلك تحدث الاذى لاحد الناس ، جاز لنا أن نقول ان الامم الاوربية أسعد حالا منا لأن جرائمهم أقل من جرائمنا ولان عدد الذين يشنقون فى كل عام فى مصر يزيد على عدد من يشنق فى انجلترا وهو لندا ودنمركا واسوج ونروج مع أن السكان هناك يقاربون ستين مليونا ونحن لا نزيد على ١٦ مليونا . والجريمة هى فورة الشقاء وعلامة التوتر النفسى ودونها سخط وقبل وقوعها كراهية ومقت وخصومة مضمرة بين المجرم وبين الهيئة الاجتماعية . فكثرة الجرائم عندنا وكثرة المجرمين الذين تتناهم كل عام بالشنق تشهدان باننا لسنا أمة سعيدة . والحبس والسجن والاعدام — كل هذا قد يعد من العلاجات السلبية للجريمة ولكن العلاجات الايجابية أو الوقاية الايجابية لا وجود لها فى مصر . وهذه العلاجات السلبية لا تزيدنا سعادة بل تزيدنا شقاءا ولذلك يجب أن نفكر فى الوقاية الايجابية من الجريمة . وليس شك فى اننا حين نفعل ذلك نزيد سعادة الامة أى سعادة الفرد

* * *

وحين نفكر فى وفرة الشقاء فى بلادنا وفى وفرة السعاده فى الامم الاوربية ترد على ذهننا خواطر كثيرة قد يكون فى أولها هذا الحرمان القاسى الذى يعانيه تسعة أعشار الامه الذين كتب عليهم أن يعيشوا طول حياتهم وهم لا يأكلون غير الذرة . ولكن الذهن يطرد هذا الخاطر لصعوبة هذه المعضلة ولما تبعث من عواطف هى مؤلمة وعقيمة معا إذ ان التفكير فى هذا الحرمان لن يؤدى الى أية نتيجة مفيدة فى الوقت الحاضر . ولكن هناك ما هو دون ذلك من المسائل التى يمكن أن نفكر فى علاجها وان كنا عند التعمق نجد ان الحرمان هو الاساس لكل شقاء فى مصر : للجريمة وللمرض وللجهل وللخسة الاخلاقية وللتفكك بين أعضاء الاسرة . وللقبح العام لبيوتنا وللنفور من هذه البيوت الخ . الأسرة والبيت هو ما ينبغى بحثهما وان كنا نحتاج إلى أن نتعامى عن هذا الاعتبار الخطير السابق .

* * *

والامم الاوربية أكثر سعادة منا للاسرة والبيت

فالاسرة هناك يرتبط أعضاؤها ارتباطا وثيقا . ومع ان الحرية قد استفاضت فى كل شىء تقريبا

فهى مقيدة كثيرة الاغلال بين الزوجين - حتى روسيا الاشتراكية مازالت تجعل الطلاق عسيرا جدا والامم الجنوبية فى أوربا تكاد تجعله مستحيلا - وليس شك فى ان الغلو فى هذه القيود يضر - ولكن يجب ان نذكر ان كل طلاق انما هو افلاس للاسرة وانه قد يؤدى الى تشتيت أعضائها كما يحرم الابناء من الرابطة الابوية ومن المثال الحسن بين زوجين متحابين - فهل يعسر على قادتنا ان يجدوا السبيل الى معالجة هذا التفكك فى أسرتنا المصرية ؟

ان الشاب الذى ينشأ منذ الصغر وهو لا يتمتع بالالفة بينه وبين أبويه واخوته يجد ان ارتباطه بالهيئة الاجتماعية متفكك وان مسئوليته نحوها ليست عميقة فى نفسه - لان هذه المسئولية تنبت أصولها وتنمو فى الاسرة . ويحسن المشتغلون بتحقيق الجرائم فى مصر لو انهم عنوا بتسجيل الحال التى نشأ فيها المجرم وهو صغير، هل كان فى أسرة قد شتتها الطلاق أم عاش بين أبوين واخوة متحابين حيث يتعاون الجميع على العيش وحيث لا يعرف النزاع والكراهية مكانا بينهم ؟

ان من البعيد جدا ان يجرؤ رجل أو شاب او امرأة او فتاة على الاجرام اذا كانوا مرتبطين بالحب لان هذا الارتباط يجعل شعورهم بالمسئولية او المقام الاجتماعى مرهفا . وهذا بخلاف الفرد الذى انقطعت روابطه مع اعضاء اسرته. فلنفكر كثيرا فى هذا الموضوع ولنتجرأ على التفكير

« • »

يرى القارىء أننا نجعل مقدارا الشعور بالمسئولية أساسا للسلام فى الهيئة الاجتماعية وعامل الوقاية من الجريمة وسبيل السعادة للفرد والامة . فالرجل الذى يرتبط بزوجته وأولاده ويجد هذا الرباط وثيقـا يرفض أن يتهاون فى أخلاقه وتخشى الخسة فى الاخلاق كما يخشى الوقوع فى الجريمة لانه يحب أسرته فيتعلق بأفرادها

وعلى هذا القياس ايضا يجب أن نجعل البيت أساسا لزيادة الشعور بالمسئولية فالرجل الذى يملك بيتا حسنا يتعلق به . وهو لاتصاله الشخصى به كل يوم ينظر اليه كانه امتداد الشخصية . وليس البيت عقاراً مملوكا مثل أى عقار آخر لأننا يسهل أن نبيع العقار البعيد ويشق علينا أن نبيع بيتنا الذى عشنا فيه مع أن الاول قد يكون أعلى فى قيمته المالية . وذلك لان للثانى قيمة شخصية .

ومن الحسن للهيئة الاجتماعية ومما يزيد السعادة فى الامة وينقص الجرائم أن يكون لكل أسرة

واذا اعتبرنا أن وقوع الجريمة برهانا على التنافر بين المجرم وبين الهيئة الاجتماعية ، وإذا لم ننس أن الجريمة تؤدى الى السجن وأحيانا الى الشنق وهى قبل ذلك تحدث الاذى لاحد الناس ، جاز لنا أن نقول ان الامم الاوربية أسعد حالا منا لأن جرائمهم أقل من جرائمنا ولان عدد الذين يشنقون فى كل عام فى مصر يزيد على عدد من يشنق فى انجلترا وهو لندا ودنمركا واسوج ونروج مع أن السكان هناك يقاربون ستين مليونا ونحن لا نزيد على ١٦ مليونا . والجريمة هى فورة الشقاء وعلامة التوتر النفسى ودونها سخط وقبل وقوعها كراهية ومقت وخصومة مضمرة بين المجرم وبين الهيئة الاجتماعية . فكثرة الجرائم عندنا وكثرة المجرمين الذين تقتلهم كل عام بالشنق تشهدان باننا لسنا أمة سعيدة . والحبس والسجن والاعدام — كل هذا قد يعد من العلاجات السلبية للجريمة ولكن العلاجات الايجابية أو الوقاية الايجابية لا وجود لها فى مصر . وهذه العلاجات السلبية لا تزيدنا سعادة بل تزيدنا شقاءا ولذلك يجب أن نفكر فى الوقاية الايجابية من الجريمة . وليس شك فى اننا حين نفعل ذلك نزيد سعادة الامة أى سعادة الفرد

* * *

وحين نفكر فى وفرة الشقاء فى بلادنا وفى وفرة السعاده فى الامم الاوربية ترد على ذهننا خواطر كثيرة قد يكون فى أولها هذا الحرمان القاسى الذى يعانيه تسعة أعشار الامه الذين كتب عليهم أن يعيشوا طول حياتهم وهم لا يأكلون غير الذرة . ولكن الذهن يطرد هذا الخاطر لصعوبة هذه المعضلة ولما تبعث من عواطف هى مؤلمة وعقيمة معا إذ ان التفكير فى هذا الحرمان لن يؤدى الى أية نتيجة مفيدة فى الوقت الحاضر . ولكن هناك ما هو دون ذلك من المسائل التى يمكن أن نفكر فى علاجها وان كنا عند التعمق نجد ان الحرمان هو الاساس لكل شقاء فى مصر : للجريمة وللمرض وللجهل وللخسة الاخلاقية وللتفكك بين أعضاء الاسرة . وللقبح العام لبيوتنا وللنفور من هذه البيوت الخ. الاسرة والبيت هو ما ينبغى بحثهما وان كنا نحتاج إلى أن نتعامى عن هذا الاعتبار الخطير السابق.

* * *

والامم الاوربية أكثر سعادة منا للاسرة والبيت

فالاسرة هناك يرتبط أعضاؤها ارتباطا وثيقا . ومع ان الحرية قد استفاضت فى كل شىء تقريبا

فهى مقيدة كثيرة الاغلال بين الزوجين - حتى روسيا الاشتراكية مازالت تجعل الطلاق عسيرا جدا والامم الجنوبية فى أوربا تكاد تجعله مستحيلا - وليس شك فى ان الغلو فى هذه القيود يضر - ولكن يجب ان نذكر ان كل طلاق انما هو افلاس للاسرة وانه قد يؤدى الى تشتيت أعضائها كما يحرم الابناء من الرابطة الابوية ومن المثال الحسن بين زوجين متحابين - فهل يعسر على قادتنا ان يجدوا السبيل الى معالجة هذا التفكك فى أسرتنا المصرية ؟

ان الشاب الذى ينشأ منذ الصغر وهو لا يتمتع بالالفة بينه وبين أبويه واخوته يجد ان ارتباطه بالهيئة الاجتماعية متفكك وان مسئوليته نحوها ليست عميقة فى نفسه - لان هذه المسئولية تنبت أصولها وتنمو فى الاسرة . ويحسن المشتغلون بتحقيق الجرائم فى مصر لو انهم عنوا بتسجيل الحال التى نشأ فيها المجرم وهو صغير، هل كان فى أسرة قد شتتها الطلاق أم عاش بين أبوين واخوة متحابين حيث يتعاون الجميع على العيش وحيث لا يعرف النزاع والكراهية مكانا بينهم ؟

ان من البعيد جدا ان يجرؤ رجل أو شاب او امرأة او فتاة على الاجرام اذا كانوا مرتبطين بالحب لان هذا الارتباط يجعل شعورهم بالمسئولية او المقام الاجتماعى مرهفا . وهذا بخلاف الفرد الذى انقطعت روابطه مع اعضاء اسرته. فلنفكر كثيرا فى هذا الموضوع ولنتجرأ على التفكير

« • »

يرى القارىء أننا نجعل مقدارا الشعور بالمسئولية أساسا للسلام فى الهيئة الاجتماعية وعامل الوقاية من الجريمة وسبيل السعادة للفرد والامة . فالرجل الذى يرتبط بزوجته وأولاده ويجد هذا الرباط وثيقا يرفض أن يتهاون فى أخلاقه وتخشى الخسة فى الاخلاق كما يخشى الوقوع فى الجريمة لانه يحب أسرته فيتعلق بأفرادها

وعلى هذا القياس ايضا يجب أن نجعل البيت أساسا لزيادة الشعور بالمسئولية فالرجل الذى يملك بيتا حسنا يتعلق به . وهو لاتصاله الشخصى به كل يوم ينظر اليه كانه امتداد الشخصية . وليس البيت عقاراً مملوكا مثل أى عقار آخر لأننا يسهل أن نبيع العقار البعيد ويشق علينا أن نبيع بيتنا الذى عشنا فيه مع أن الاول قد يكون أعلى فى قيمته المالية . وذلك لان للثانى قيمة شخصية .

ومن الحسن للهيئة الاجتماعية ومما يزيد السعادة فى الامة وينقص الجرائم أن يكون لكل أسرة

بيت تملكه وتعيش فيه وترثه أبا عن جد حتى ينطبع كل مكان فى البيت بأثر أفراده . فهنا ولد هذا الصغير . وهناك فى الغرفة الاخرى ماتت الجدة . وفى غرفة ثالثة كان العرس . فأن مثل هذه الحوادث هى تاريخ له قيمته العظيمة وهى أحرى بأن تكسب البيت تقاليد كأنه دولة صغيرة لها شعائرها السياسية والاجتماعية والدينية

ولو ان ما ننفقه على منع الجرائم وتعيين الخفراء وحبس المجرمين وشنقهم كنا ننفق مثله على تأسيس البيوت أو تشجيع الناس على بنائها وامتلاكها والتأنق فى تزيينها لزالت تسعة أعشار الاسباب التى تبعث على الجريمة أو على فساد الاخلاق . فان الرجل الذى يحب بيته يكره ان يسهر الليالى خارجه ويكره ان يقضى ساعة فى القهوة ويؤثر البقاء فيه على أى شىء آخر

* * *

لهذا السبب أصبحت الحكومات الاوربية تسعى لحض الناس على شراء البيوت ، وهى تقرض الشركات التى تقوم بهذا البناء الاموال الضخمة لكى تثابر على البناء . بل هناك – كما قلنا – بعض الحكومات لاتجيز للدائن أن يبيع البيت الذى يملكه المدين مهما كان له من الدين . فالبيت تتوارثه الاسرة وتعلق عليه كرامتها ويطبعها افرادها بطابعهم الشخصى حتى يعود ذكريات مجسمة وتاريخا ماثلا . ومثل هؤلاء الافراد هم النواة للنظام الاجتماعى الحسن

* * *

أسرة لاتتفكك ولاتنقسم على نفسها مؤلفة من زوجين فقط واولادهما وبيت يورث ولايباع ولايجزأ هما الضمان للسلام والعام فى الامة وللابتعاد عن الجريمة بل هما الضمان للسعادة وللحب بين أعضاء الاسرة ثم بين اعضاء الامة

ونحن احوج الى ما يزيد الارتباط بين اعضاء الاسرة من الاوربيين . ذلك ان جونا فى مصر حار يشتت ويفرق . وهو فى اوربا بارد يجمع اعضاء الاسرة فى غرفة حول النار للتدفئة . ومتى اجتمعوا فقد تحدثوا وتناقشوا . ينشأون منذ الصغر وهم يرون هذه النار تجمعهم فيذكرون طفولتهم وصباهم احسن الذكر والذه . وهذا بعض السعادة التى يحرمنا جونا منها نحو عشرة اشهر فى العام . ولكن مع ذلك ليس كبيرا على مهندسينا ان يوجدوا موقد الكل مسكن يكون وسيلة الى الارتباط

بين اعضاء الاسرة بعض الاشهر

وفى هذا الشهر (ديسمبر) يمكن القارىء المصرى ان يرى وسيلة اخرى من وسائل الارتباط نعنى بها شجرة عيد الميلاد

فان هذه الشجرة هى اختراع ألمانى يرجع الى عهد الوثنية قبل أن تعتنق ألمانيا المسيحية . ولكنها اصبحت شارة لعيد الميلاد المسيحى ، وهى تقدم الفرصة للوالدين بان يقدما الهدايا لاولادهما يوم ٢٥ ديسمبر من كل عام . وقد ألفت الاساطير عن ملك اوقديس قد شاخ وشمل رأسه ووجهه الشعر الابيض يدعى سانتاكلوز فهو يحمل الهدايا الى الصغار كل عام . وهذه الشجرة تتوسط الوليمة فى يوم العيد فيكون الفرح نعام والتهانى الكثيرة

ويوم من ايام الطفولة فى مثل هذا الوسط جدير بان يذكر فى مستقبل من الايام وان يملأ النفس بالحب للبيت وللوالدين وللاخوة وأن يزيد السعادة ويرد عن الذهن خواطر الشر ويقمع بواعث الفرقة . شجرة تؤخذ من عصر الوثنية وأساطير تؤلف لزيادة الهناء للاطفال وزيادة الارتباط بين اعضاء الاسرة يجب ان يكون فيها مغزى لنا نحن فى مصر ، ويجب ان نبعث بهذا المغزى الى التفكير فى الوسائل لزيادة السعادة بين اطفالنا حتى لا يكون العيد فرصة للاكل الكثير فقط

فاذا اضفنا الى هذا ان لكل فرد فى اوربا يوم ميلاد هو عيد يحتفل به . فتصل اليه الهدايا من الاهل والاصدقاء وتقام له وليمة ساذجة او مركبة بين اخوته وأبويه ، عرفنا قيمة البيت وقيمة الوسائل التى تربط اعضاءه ليس فقط لزيادة هنائهم بل لكى ينظروا فيما بعد الى افراد الهيئة الاجتماعية كما ينظر كل منهم الى اخوته أو أبويه اى نظرة الحب والاحترام والتعاون

فلكى نعمم السلام فى الامة ونزيد السعادة

١ — يجب ان نمنع التفكك بين روابط الأسرة بالاقلال من الطلاق وبالاقتصار على زوجة واحدة ٢ — ويجب ان نساعد على امتلاك البيوت وان نجعلها حرما لا يمكن ان ينزع من الاسرة التى نعيش فيه مهما افتقرت ٣ — ويجب ان تكون لبيوتنا تقاليد حسنة تؤدى الى احتفالات من وقت لآخر بهذا العيد الخاص لميلاد أحد الافراد ولهذه الفرصة التى تمثل يوم زواج الابوين او حتى لذكرى هذا الاخ الصغير الذى مات قبل العاشرة من عمره

فى مثل هذا الوسط الذى يظلله الحب لا يمكن ان تتسلل خواطر الجريمة الى قلب سكانه . فاذكر ذلك أيها القارىء حين تسمع عن فلاح تقول الصحف أنه قد انفذ فيه حكم الاعدام بالشنق فى صباح هذا اليوم . فان مثل هذا المسكين قد نشأ وهو لا يجد ما يربطه برباط الحب والاحترام للاسرة او للبيت ، فالاسرة مفككه ابوه قد طلق امه وهو طفل او قد تزوج عليها اخرى وبيته هو زريبة مواشيه



شجره عيد الميلاد والهدايا للاطفال معلقة بها

اسبانيا قبل فرانكو..



راقصة اسبانية

غاية الثقـــــــــافة

أن نجعل الانسان انسانيا

هذه هى الحـكمة التى قال بها الأديب الألمانى توماس مان ونحن هنا نحاول أن نشرحها ونستخرج مغزاها أو مغازيها

وقد يقال إن الانسانية هى صفة الانسان فليس هناك معنى لأن نجعل الانسان إنسانيا . ولكن هذا التحليل هو للظواهر فقط . لأننا نعرف جميعاً ان كثيراً من الناس لا يزالون بعيدين عن الانسانية وفى لغتنا العربية كلمة مروءة وهى المصدر من المرء . ومع ذلك ليست المروءة من الفضائل العامة بين الناس . بل الواقع انها أندر الفضائل وأشقها فى التحصيل

وكـذلك الانسانية من الفضائل الشاقة لا يحسن تحصيلها إلا الرجل المثقف .لان الثقافة تعرض له تاريخ الانسان وجهوده الماضية والحاضرة وارتفاعه إلى الشرف وانحطـاطه إلى الخسـة . تعرض قسوته ورحمته وقبحه وجماله . وعدالته ومظالمه وذكاءه وغباءه وتعرض له موكبـاً زاخراً بالمجاهدين والأبطال من أجل الحرية والحق والشرف . أولئـك الذين اكتشفوا واخترعوا ليس فقط فى العالم المادى بل فى العالم المعنوى فى الآداب والفنون والعقائد والمذاهب والفلسفات

والرجل المثقف يشعر أنه قد اندمج فى هذا الجهاد ان لم يكن بالعمل فبـالروح والقلب . ويرى إن الثقافة قد غرست فى نفسه مزاجا يجعله انسانيا يكره القسوة والاستبداد ويمـالىء الرفق والحرية ويحب الذكاء ويألم من الغبـاء ويطلب الصحـة بألوانها : صحـة الجسم وصحـة العقـل وصحة الضمـير . ويحب النظام ويكـره الفوضى . ويستهويه الجمـال — جمال المرأة وأيضا جمال الزهرة وجمال الفكرة وجمال الفن .

والرجل المثقف لا يطيق القسوة وهو يكره تعذيب الحيوان قبل الانسان لأنه يعامل الحيوان بالانسانية التى غرستها فيه ثقافته. ولذلك أيضا هو لا يطيق التفكير فى الحرب أو الايمان بالديكتاتورية أو التوسع الامبراطورى. وعنده من انسانيته ما يحمله على الرفق والرحمة ليس فى معاملة الناس بل فى معاملة المجرمين وليس فى النظر إلى الاخوان والزملاء بل فى النظر إلى الخصوم والاعداء

والرجل المثقف هو الذى يقيس الأشياء والناس بالقيم الانسانية. فالشىء أو الشخص لا يكون خطيراً عظيما لأن له قيمة اقتصادية أو حربية او سياسية وإنما لأن له قيمة إنسانية. والأمة الفاضلة هى تلك التى تهىء لنفسها نظاما يجعل للقيم الانسانية المكانة الاولى والغاية المقصودة من نشاط الافراد وجهدهم بحيث يتجه كل شىء نحو توفير الذكاء والجمال والنظام والصحة.

وليست الثقافة مجموعة من المعارف قد حشدت فى الذهن أو اودعت فيه كأنه خزانة من الجماد. بل الواقع أن مثل هذا الحشد أو الخزن غير ممكن. لان الذهن جسم حى وهو يتفاعل مع المعارف التى يدرس. ثم هو بقدرته على النسيان يستطيع أن يأخذ ويرفض. وقد يبدأ الانسان فى ميدان الثقافة مضطربا يتخم ساعة ويقحط اخرى. ولكنه عندما يتقدم يهتدى إلى الطريق. ويرى نفسه وهو ينمو فى انسانيته بنمو ثقافته لانه وهو يتفاعل مع المعارف المختلفة انما يتفاعل فى الحقيقة مع أساليب ومواد التفكير الانسانية فى مدى الآلاف الستة أو السبعة من السنين الماضية. وهو بذلك يكتسب بصيرة للمستقبل هى بصيرة الحكمة الانسانية القائمة على تعرف الماضى ودرس الحاضر. لانه قد وقف على مأساة الحياة البشرية وتورطها فى الاخطاء الكثيرة كما وقف على انتصاراتها القليلة فى الاكتشاف والاختراع. ففى نفسه مجهودها الشريف نحو الانسانية وفى نفسه آلامها الكثيرة الماضية. بل فى نفسه هذا الخزى العميق للمظالم المتعددة التى وقعت ولا تزال تقع بالناس. وهو يعد نفسه مسئولا عنها لان الثقافة قد غرست فيه كبرياء تجعله يشعر كأنه وكيل عن الانسانية فهو يخزى من فضائحها الماضية ولكنه يجرؤ على المطالبة بالاصطلاح لكى يبرأ من هذا الخزى. إذ هو حلقة فى السلسلة الطويلة لمكافحة هذا الخزى

عندما أقرأ ما كتبه المصرلوجى برستد فى فجر الضمير» أشعر بهذه المأساة الانسانية. فانه يصف هذا الكفاح البطىء الذى قام به المصرى الاول من أجل الحق والحرية والعدل والنظام لكى يمحو عن

نفسه عناصر الحيوانية فهناك قصة الفلاح الذى اعتدى عليه فى الفيوم ونقاشه مع المدير . وهناك لفظة «مآت» التى تدرجت فى المعانى إلى أن أصبحت تعنى الشرف والمروءة . وهناك الفضيلة التى تبدأ أولا بحب الأبوين ثم تنتهى إلى حب البشر . بل هناك هذه الفكرة المؤلمة فكرة اليأس والامل معا . فكرة «أبن الانسان» الذى يأتى لكى ينقذ البشر من استبداد المستبدين . وهناك ميزان المحاكمة تنصبه الالهة فى العالم الاخر لكى يقوم الاخلاق فى هذا العالم الحاضر

فاذا انتقلنا من مصر إلى أمم الشرق فاليونان فالرومان رأينا هذا التقدم البشرى يصطدم بعقبات من الجشع والانانية والقسوة والجهل والفوضى لان وسائل الثقافة ضعفت فمرض الضمير ونقص مقدار الانسانية فى الانسان . ثم زاد النقصان حتى وصل إلى درجة العدم فى القرون المظلمة حين عمت الجهالة جميع أفراد الامة ملوكا وسوقة . فاذا كانت النهضة الثقافية فى أوربا تبعثها خميرة عربية من ناحية الاندلس هب الضمير الانسانى وأخذت الثقافة بحظ جديد يغرس فى النفوس نزعات جريئة الى الجمال والحق والشرف والنظام

ثم نرى بعد ذلك ثورات متوالية هى ثمار الثقافة الجديدة التى جددت النفوس وزادت الانسان انسانية . فالناس يكتشفون ويخترعون . يكتشفون أمريكا ويخترعون «حقوق الانسان» للثورة الفرنسية ويكتشفون القطار ويخترعون الاشتراكية ويكتشفون قواعد الطبيعيات أو قوانينها ويخترعون عصبة الامم

ولكن ماذا أقول هل عصبة الامم قائمة أو نائمة ؟

لقد قال رجل مثقف آخر هو ولز الاديب الانجليزى اننا يجب قبل أن نصل الى تحقيق خيال الحكومة العالمية أن نجهز الناس فى جميع الامم بالجهاز الذهنى بأن نؤلف موسوعة تحشد فيها جميع المعارف وتترجم الى جميع اللغات حتى ينشأ الناس وهم على مقدار سواء من الثقافة تغرس فيهم نزعات متوافقة تجعلهم يؤمنون بقدرة الانسان على أن يكون انسانيا قبل أن يكون مصريا أو انجليزيا أو صينيا قد سلخ عن نفسه ذلك الكساء الحيوانى كما يسلخ الثعبان جلده . وعندئذ يتخلص من تلك النعرات التى يصرخ بها فضاء هذه الكرة كأنها نعيب الغربان على الحضارة القائمة

عيد الميلاد في القدس

بقلم السردار إقبال على شاه . وترجمها عن الانجليزية الاستاذ أحمد عبد المنعم

لمدينة القـدس ، فى ماتى كمسلم ، المـكانة الثانية فى القـداسة بعد مكة . فبعد أن يقوم إخوانى المسلمون بحج البيت فى مكة كل عام يؤمون مدينة القدس الشريف التى نؤمن بأن محمداً النبى الكريم أسرى به ليلا على ظهر البراق النبوى الى صخرة حمراء فى هذه المدينة عرج من فوقها الى السموات العلا فلقى العلى القدير تباركت ذاته . وما زال هذا الحجر مطمورا فى مكانه داخل قبة الصخرة .

وفى هذه المدينة أيضا بشر المسيح عيسى بن مريم بالانجيل الذى نقدسه كما يقدس العالم القرآن. وعيسى — كما هو اعتقادنا — من أعظم أنبيائنا المرسلين ، ولامه مريم عليها السلام مقامها المبجل . فلهذه الاعتبارات يرى الاسلام فى القدس البلد المقدس الأمين .

كانت هذه الروح تملأنى عندما دلفت نحو هذه المدينة الطاهرة وكنت كلما اقتربت منها ازددت احساساً براحة وغبطة واحترام جعلت تطغى على شيئا فشيئا . وعنـدما تطلعت الى السابلة المزدحـمة تبينت فى اعطافها مواكب حية متدافعة لاديان عتيقة ، كما طالعتنى قبة الصخرة المقدسة من اطار الجميز النابت حولها بحديث مختلف عن عهد آخر غير عهود تلك الأديان ، وكانت نواقيس ضخام تقرع فى مكان ما غير أن اصواتها كانت تصل الى اذنى رنينا غير منغوم . فما لبثت ان صحت « ها هو القـدس الشريف الذى ذكره الله فى كتابه العزيز » ثم قمت فصليت حمدا لله وشكرا . اولم يعرج نبي الاسلام ليلا الى العرش السماوى من هذه المدينة ! أو لم يحى المسيح الموتى باذن الله فى هذه المدينة !

وأحسست فى الهواء لفحة دافئة من تأثير الشمس فى ذلك الاسبوع من عيد الميلاد وأنا انتقل من مزار الى مزار أساوم فى الاسواق الضيقة وأزاحم مختلف الناس الواردين من جميع الاقطار من بولندة الى يافا .

وصاح دليـل نصرانى من ادلاء الحج بأحـد اصحاب الحوانيت « صباح الخير » ولـكن رد

التحية تلاشى فى غمرة استعلام احدى السائحات عن ثمن عباءة عربية من الحرير معلقة فى الحانوت الا أن السيدة رفضت أن تدفع فيها عشرين دولارا مفضلة شراء عباءة أخرى من «برادواى» أقل من هذه ثمنا .

ويمر الناس سراعا يكاد الواحد منهم لا يلقى بالا الى المقر الخامس للصليب ولكننى تمهلت وأنا أفكر فى الكفاح العنيف الذى كافحه عيسى فى طريق دولوروزا المعبد بالاحجار الذى كنت فيه أسير . ترى ما هو تاريخ البشرية الذى حوله هذا الطريق ذو العقود عن مجراه ؟ ومع ذلك فالسقاء يقود فيه حماره يبيع عليه الماء غير آبه وكهنة اليهود بشعورهم المدلاة خصلا الى وجناتهم يمرون فيه بالمشاهد التى شيدت فوقها المدنية الاوربية .

ويسير المسلمون والنصارى واليهود فى الاسواق المقبباة التى نجد فيها كل شىء من السلاح الدمشقى القديم الى انق أربطة الرقبة الحديثة وهم يتشابهون فى أرديتهم العربية الفضفاضة الا البعض القليل من العرب المستحدثين فيرتدون الثياب الاوربيه وبين هنا وهناك تلمح قسيسا من طائفة الروم بقبعته السوداء العالية أو رجلا من بنى اسرائيل بقلنسوته ذات الحافة المحاطة بالفراء ينسل خفية فى احد المنعطفات وتعود العين فتقع على الفقهاء المسلمين فى جببهم المستفيضة الواصلة الى كعوبهم وطرابيشهم المعممة منطلقين جادين الى جامع عمر .

وترى الخيل والاغنام والماعز تتدافع مع السابلة المتزاحمة أما الجمل فيتجاهل هذا السيل العرم من البشرية وهو اما شاق طريقه فى حال سبيله واما متوقف بحانوت خضرى يتذوق جزره . ووراء ذلك تلوح كنيسة القبر المقدس متجهمه غارقة فى قداسة العصور .

يكاد يمتنع على الانسان أن يتجاهل الاثر الذى خلفه فى نفسه رؤية أقدس أماكن المسيحية . وتمهيدا لدخولى اليه ابتعت بضع شمعات صغار من أحد الحوانيت واسترعى نظرى أن بواب الكنيسة مسلم وهو امتياز توارثه المسلمون من عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ورأيت الى أحد جانبي الفناء من الداخل متسولين يترنمون بالاهازيج الدينية ومعهم نفر قليل من المكفوفين تجمعوا هناك على اعتقاد منهم بأن فى «أنفاس» الحجاج شفاءهم من العمى لذاتراهم يلتمسون هذا «النفس» من كل متعبد يغادر الكنيسة . وانتشر صبية من العرب حاولوا أن يبيعونى

صورا مقدسة من حبرون وأساور من زجاج وطرفا من خشب الزيتون .

وبمجرد ما يلج الحجاج الكنيسة يحنون هاماتهم ويتجه بعضهم الى حجر الزيت المقدس فيقبلونه ثم يستأنفون سيرهم فى احترام وخشوع الى البهو البيضى الشكل حيث القبة تحملها أعمدة مربعة وهى من البساطة بحيث لا يمكن مقارنتها بما فى كاتدرائيات أوربا من جمال الفن الهندسى ولكن العبرة ليست بالجدران وانما العبرة بروح المكان . وكانت الترانيم تنبعث من أحد الابهاء شجية مطربة الا أن الموسيقى التى تصحبها كادت تفسد عليها روح الغناء . كما كان أقباط مصر ذوو البشرة السمراء مجللين بأرديتهم القومية يترنمون أمام القبر بلسانهم العربى فتبينت اذ ذاك الخطأ العظيم فى اعتبار المسيح مسيحيا للبيض فقط كما يحاول البعض أن يدعى .

أما قبر المسيح فبالرغم من أنه لا يتجاوز الاربع والعشرين قدما فى الطول والخمس عشرة قدما فى العرض فقد تبدت لى عظمته ولا غرو فهو القلب النابض لدين كبير وعندما ولجت الحجرة الداخلية الرخامية منحنيا تحت بابها الذى لا يزيد ارتفاعه على الاربع الاقدام وأصبحت فى جوف معبد القبر المقدس نفسه خالجنى شعور دلنى على مبلغ ما للقداسة من تأثير فى النفوس وكان هناك قسيس من الروم واقف ساكن لا يأتى حراكا يحملق فى صمت الى ريفى شاب وضع مسبحته على صخرة القبر وجثا بجانبه على ركبتيه والدموع منهمرة على خديه .

ولما غادرت القبر كان عدد الناس بين داخل وخارج فى نحو عشر دقائق لا يقل عن الثمانين فكان المزار لا يخلو مطلقا ولكن مظهر الحجاج كان يدل على فقرهم فتساءلت عجبا أتحول الثروة بين أغنياء المسيحيين ومهد المسيحية !

وهكذا وأنا تحت تأثير هذا الجو المشبع بالتجارب عرجت فى دروب البلد فرأيت منظرا مؤثرا شيبا وشبانا من النصارى جاثين يصلون فى أحد الامكنة المقدسة بينا حراس من المسلمين يقودون موكبا من الاباء الفرنسيسكان خلال الاسواق المزدحمة وحراسة المسلمين للمواكب الدينية المسيحية تراث آخر ينحدر من عهد الخليفة عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس سنة ٦٣٧ فلم يكتف رضى الله عنه باباحة الحرية الدينية للمسيحيين بل جعل فى ذمة المسلمين عهد السهر على سلامة المسيحيين هم وكنائسهم

وأفضى بى التجوال الى مبكى اليهود وهو فى ظاهره لا يزيد على أنه جدار من الاحجار طوله اثنتان وخمسون ياردة وارتفاعه تسع وخمسون قدماً ويقال انه الحائط الغربى للهيكل القديم ، أما من الناحية الروحية فله أثر عميق لاولئك الذين يلوذون به ويحنون عليه أكثر مما تحنو الام على وحيدها. كان اليوم الجمعة وقد اجتمع الى هذا الجدار رجال ابيضت لحاهم وشباب مرد ونساء وأطفال يبكون على طلل الاحجار. ورأيت امرأة بلغ نحيبها من المرارة ما كاد يدفعنى الى مشاركتها فى البكاء. ويشترى بعض البكائين زيتا مقدساً من رجل قريب يوقدون به قناديل صغيرة من الفخار يجعلونها فى فجوات فى الجدار متخلفة من تفتت الحجارة. وحتى بائع الزيت هذا له عينان حزينتان وبالرغم من انهما كه ببيع الزيت فهو يساعد نفراً من الشيوخ على ترديد صلواتهم.

وصلت الى قبة الصخرة المقدسة وهى قائمة خلف الحى الاسلامى مباشرة وفى جوفها حجر عظيم من الصخر الاصم الاحمر عرج منه النبى صلى الله عليه وسلم الى السماء كما نعتقد فى ليلة معينة هى ليلة الاسراء ومن ثم أصبح للصخرة لدى المسلمين قداستها. وللفناء العظيم الذى يحيط بالقبة سبعة أبواب. ومنذ أن ابتنى الخليفة عبد الملك بن مروان قبة هذا الصرح ثم جددها السلطان صلاح الدين الايوبى شاهد حرم هذه الصخرة حجيجاً من كل فج عميق من مختلف أنحاء الكرة الارضية ويحيط بالصرح ثمانية سلالم فى رأس كل سلم عقود مرفوعة على عمد ضخام فى جمال وروعة يقصر دونهما الوصف. ويغطى الآجر الملون جوانب الحرم المثمن الشكل وتتوج الحرم قبة ترتفع الى مائة وثمانى أقدام نقشت عليها بالعربية آيات من القرآن الكريم وفى داخلها اجتمعت البساطة والعظمة حول الصخرة الحمراء تحيط بها الثريات والمشاكى المدلاة من العقود أدلة مادية على صحة الايمان ويتضوع فى جوها أريج السيرة النبوية الكريمة مما لا يحسه الا المؤمنون. فليس ما يدنى هذا الحرم شىء فى العالم لدى المسلمين غير مكة المكرمة: أما السكون الشامل للمكان داخل القبة فقد أثار كوامن نفسى فسألت من مقلتى العبرات وشعرت فى ذلك الموقف بأن رسالة النبى الكريم عليه الصلاة والسلام هى الرسالة الحق دون سواها وأن فى جوف هذه الصخره من ألف عام ويزيد لتاريخاً دفينا لركن من أركان هذا الدين الحنيف.

يقع المسجد الاقصى قبالة قبة الصخرة ولهذا المسجد قداسته وقيمته الدينية الخاصة به وقد يصيب

المسلم بالصلاة فيه كثير من المثوبة فقد ورد ذكره فى القرآن مرارا . وشاهدت داخل المسجد حجاجاً من التتار من أهل بخارى ذوى عيون حالمة جالسين مع العرب اخوانهم فى الاسلام كما كان هناك حجاج آخرون من الهند وكأنهم فى صميم بلادهم . فنحن المسلمين لا نشعر بفواصل جغرافية بين بلداننا فاذا مانادى المؤذن بالصلاة ووقفنا جميعا وجوهنا الى مكة نركع معا ونسجد معا ونرتل القرآن معا ونقوم معا تستوى لدينا بلدان المصلين مهما اختلفت أو شط المزار فليس للمسلم فى الواقع قومية غير دينه وقد لا يفهم أحدنا لغة أخيه ومع ذلك فنحن كحجاج مسلمين فى هذا البلد المقدس أسرة واحدة هدفنا واحد وسندنا واحد ومثلنا الاعلى واحد .

أرونى بعد ذلك المكان الذى يسير فيه موكب الحجاج المسلمين حاملين الاعلام يبدون غبطتهم وفرحهم بالنبى موسى بمختلف المظاهر وشتى الحركات .

وجعلت الايام يتلو بعضها بعضا وأنا منهمك فى الصلاة والتأمل والتعبد حتى غصت مدينه القدس بالسائحين من الحجاج المسيحيين . وفى يوم عيد الميلاد سرت على قدمى الى بيت لحم وكان المطر رذاذا وبالرغم من ذلك واصلت السير لان الركوب الى مسقط رأس المسيح يفقد الانسان للشعور باللذة الروحية ولقد كانت المواكب بديعة حقا وهى تخترق شوارع المدينة متجهة الى كنيسة الميلاد تتجلى عليها أمارات الورع العميق . وعند ما عدت الى بيت المقدس رأيت قساوسة عائدين صحبة أيتام من اللاجئين الذين يشرفون على تربيتهم .

ووقفت بالقرب من كنيسة القيامة فوق جبل الزيتون فتبينت صحة القول المأثور ان القدس «مدينة فوق تل» فقد شاهدت من موقفى هذا منظرا عاما للاديان الممثلة بأبنيتها . ففوق الهضبة المواجهة لى يقوم الحرم الشريف وقبة الصخرة تتوج ماحولها ووراء ذلك تقع كتل متراصة من بيوت اليهود يتألف منها شارع داود الذى يمتد حتى كنيسة القبر المقدس وتقع البناية المسماة «نوتردام دى فرانس» فى الطرف الآخر وخلفها يمتد الطريق الى يافا كأنه شريط أبيض .

وألقيت ببصرى خلال أغصان الزيتون الى الوادى تحتى حيث يقع فى الغالب المسرح الذى مثلت عليه روايات الاديان المختلفة فلاحظت السلام الذى يسود جو تلك الانحاء . ان هذه البنايات التى أرى ليست من حجر وآجر وملاط بل انها أسفار وكتب تكتنز فى بطونها التواريخ والعبر .

ورأيت امرأة تحمل على رأسها جرة ماء مخروطية الشكل من الفخار تقصد الحقل حيث يعمل زوجها في حراثة الارض فطربت لهذه الشخصية الانسانية الحية تلج هذا المنظر الشائق فتكسبه طلاوة وتزيد في مظاهر الراحة والسكون التي ترفرف عليه .

ولا بد أنني قضيت وقتا طويلا تحت شجرة الزيتون وأنا مستغرق في هـذه الافـكار وأمثالها لان أشعة الشمس مالت على المآذن وبدأت الاجراس تقرع من كنائس عدة بينما أذن المؤذن في المؤمنين يدعوهم للصلاة . لقد كان على أن أناضل حتى أستطيع انتزاع نفسي من هذه المناظر الروحية الرائعة لاعود الى خضم الحياة الحديثة وما فيها من برق خلب وزخرف كاذب ؟

الصحافة

كثرت المجلات الصغيرة في كل من امريكا وأوربا . فان المجلة لا تبلغ في حجمها نصف مجلاتنا الشهرية وهي تعتمد على نشر خلاصات لما يكتب في جرائد العالم ومجلاته . وقد بلغ ما يطبع من إحدى هذه المجلات في أمريكا مليوني نسخة . وذيوع هذه المجلات دليل على الرغبة في الاحاطة بما يجرى في العالم مع اعتبار السرعة وقصر الوقت

وظاهرة أخرى فشت حديثا في لندن . وهي ان أحد المحررين المعروفين بدلا من أن يكتب في احدى الجرائد الـكبرى مقالات أو تعليقات على سير الحوادث في العالم يكتب ورقة أو ورقتين ويطبع بضع مئات من النسخ ويرسلها الى المشتركين . فالمشترك لا يقرأ هنا مجلة بل يقرأ خطابا أسبوعيا أوشهريا قد كتبه محرر معروف بتعمقه في درس السياسة العالمية وهو يعرف انه مستقل في ارائه وهذا الاستقلال هو أهم ميزة لهذه الخطابات . لان الـكاتب عند ما يكتب في احدى الجرائد يضطر الى الخضوع — ولو خضوعا سلبيا يقوم على الامتناع عن الكتابة في موضوع ما — للجريدة أما كاتب الخطاب فليس من يؤثر فيه

الزراعة فى مصر القديمة وأشهر الفراعنة عناية بها

بقلم الاستاذ عبد الرؤوف محمد طنطاوى

اشتهرت مصر بالزراعة منذ القدم إذ كانت هى الحرفة الرئيسة لسكان هذا الوادى الخصيب. فشبوا زراعا مهرة وتبوأوا مركزا فى هذا الفن حتى فى عصور ماقبل التاريخ عند ماكان القوم يتخذون من الحجارة آلات لقطع الأشجار ومناجل من الصوان لحصد الغلال.

ولقد ساعدت طبيعة هذا القطر على اطراد تقدم الزراعة فدفعت سكان النيل الأوائل إلى غرس بزور المدنية بأرض خصبة وفى وقت مبكر مهد السبيل لنمو أعرق المدنيات فازدهرت وأينعت حتى عم خيرها العالم أجمع.

وكان لفيضان النيل ذى الغرين العظيم الخصب الأثر الأكبر فى حث القوم على فلاحة الأرض وتركيز جل جهودهم فى استثمارها.

ونظرا إلى العلاقة الوثيقة بين فيضان النهر وأثره فى حالة القطر الزراعية أقام المصريون منذ أقدم العصور المقاييس النيلية للتنبؤ بحالة الفيضان وتنظيم حالتهم



أزهار البشنين (لوتس) من تابوت الملك رمسيس الثانى

الزراعية على أساس درجة علوه أو انخفاضه وبذا تمكنت الحكومة فى تلك العصور السحيقة من حصر المحصول وتقدير نسبة الضرائب الواجب جبايتها . ومن المقاييس القديمة : (١) مقيـاس مدينة بيلاق (قرب جزيرة الفيلة بأسوان) (٢) مقياس مدينة هو (بقرب نجع حمادى) (٣) مقياس مدينة حابو (غربى الاقصر) (٤) مقياس منفيس (بين البدرشين وميت رهينة) (٥) مقياس مدينة سيين (فى الشمال الشرقى من مديرية الدقهلية) .

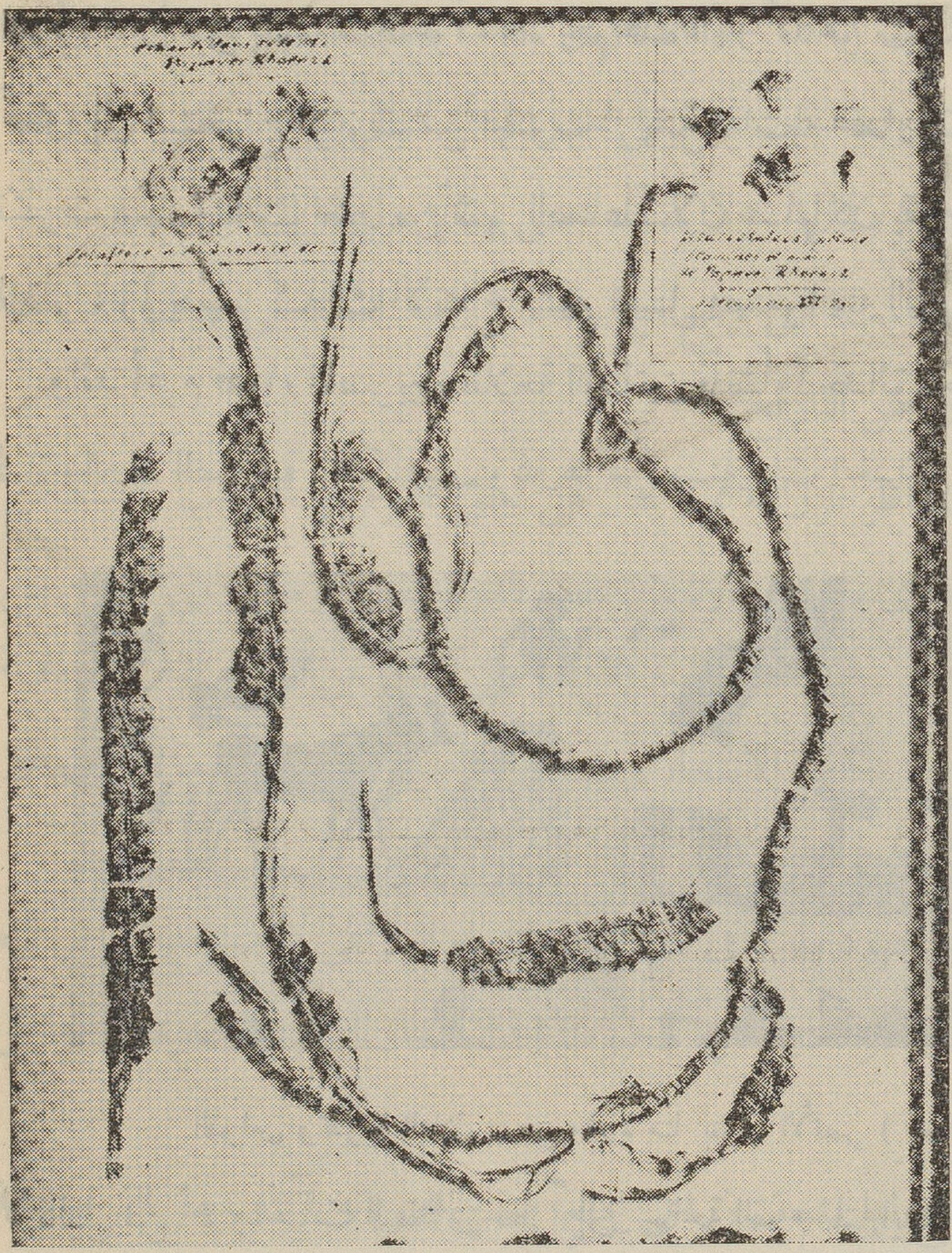
وقد توصل الفراعنة إلى رفع ماء النهر إلى السهول الزراعية وتوفيره للجهات النائية عن مجراه فأكثروا من الترع حتى عم فيضها جميع الارجـاء ؛ فاذا أضفنا إلى هذا مهارتهم فى إقامة السدود والمدرجات والقناطر وحفر الترع أمكننا إدراك مبلغ الجهود التى كانوا يبذلونها باستمرار للنهوض بالزراعة وتوفير وسائل الرى لها .

وقد روى بعض المؤرخين عن الملك نارمر «مينا» أول ملوك مصر المتحدة «٣٢٠٠ ق.م» انه تمكن من تحويل مجرى النيل إلى شرقى منف قرب البدرشين ليتمكن من تخطيط هذه المدينة ، ومن الثابت أن الملك امينمحعت الثالث «١٨٤٩ـ١٨٠١ ق م» الذى امتاز حكمه بالمشروعات العظيمة التى عادت على القطر بالرخاء والنعيم وضاعفت من محصولاته خصوصا مشروعات الرى اسس مقياسا للنيل عند سمنه (بلاد النوبة) وكان صاحب الفضل فى ابتكار طريقة ناجعة لرى الوجه البحرى أطالت مدة ريه بأن استعمـل منخفض الفيوم لخزن المياه الزائدة فى مدة الفيضان وتصريفها فى مدة التحاريق . فقد بلغ طول السد العظيم الذى أقامه ما يوازى ٢٧ ميلا تقريباً ترك وراءه أراضى زراعية تقدر بنحو ٢٧ ألفاً من الأفدنة . ويعتبر هذا العمل بلا شك أقدم مشروعات الرى (منـذ ٤٠٠٠ سنة) بالمعنى المعروف .

فالعناية بموازنة المياه فى الرى والصرف وإنشاء الجسور والقنوات والمجارى ليست من مبتكرات الأجيال الحديثة بل أنها من مجهودات الأفكار الموروثة عن الفراعنة العظام .

وأهم الحاصلات الزراعية المتوطنة فى هذا القطر منذ اقدم القمح والشعير والدخن والعدس والفول والحمص والجلبان والكتان والخروع والخس والبصل والثوم والمقات وأنواع الخضراوات التى منها الباميا والملوخية والحمـاض ؛ أما الزهور فكان منها البردى والبشنـين (اللوتس بنوعيه الأبيض

والازرق) ويلاحظ أن أزهار العنبر واللفاح والورد والاقحوان قد استجلبت إلى مصر فى عصر الدولة الحديثة . أما الاشجار فكان منها النخيل والبلح والدوم والبرساء والنبق والجميز والمخيط والهجليج والسنط والاثل واللبخ والصفصاف والكرم الذى اشتهر المصريون بزراعته وكان خمرهم المستخرج منه مرغوبا فيه بدرجة فائقة .



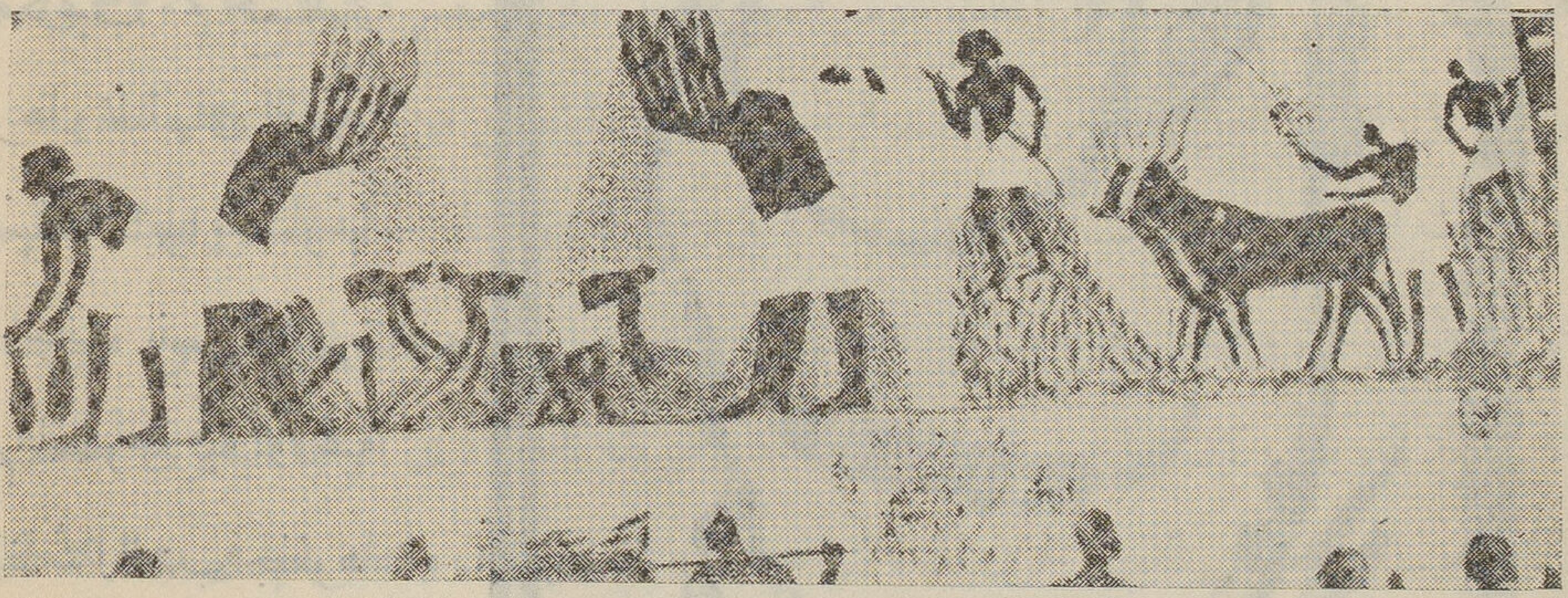
أجزاء من اكليل جنائزى مكون من أوراق البرساء وأزهار وبتلات الخشخاش من عصر الأسرة الحادية والعشرين

كذلك تقدموا فى اختيار التربة وعزقها وتنقيتها من الحصا وانتخاب البزور والعناية بها . وأقامة التكاعيب ثم جمع الثمار وعصرها وتعبئتها فى القدور وتخزينها كما كانوا يقسمونها إلى درجات بنسبة شهرة الاقليم المصنوعة فيه . ورغبة فى حفظ ثمار العنب جففوها (الزبيب) مما يدل على تفوقهم فى الصناعات الزراعية ، وخمروا عصير العنب لعمل النبيذ ومن أشهر أنواع النبيذ عندهم نبيذ مندس (تل القصر — دقهلية) ومريوط وكوينوس (قفط) وتنيس صالحجر والفيوم . ولم تقتصر شهرة الخمر المصرية على البلاد المجاورة بل تعدتها إلى بلاد اليونان وجزر البحر الابيض المتوسط

وعلى ذكر الصناعات الزراعية يجدر بنا أن نذكر فضل قدماء المصريين فى ابتكار الكثير منها

إذ ما زالت نقوشهم فى مختلف العصور التاريخية تبين درجة تقدمهم فى تحنيط الاسماك وتجفيفها وغزل الخيوط الكتانية ونسجها لدرجة أن بعضها يضارع أدق المنسوجات فى الوقت الحاضر ، كما أنهم تقدموا فى عمل النبيذ كما أسلفنا . والبيرة المستخرجة من الشعير ولم يفتهم الاحتفاظ بثمار البلح والجميز والدوم والتين حتى إنهم استطاعوا حفظ لحم هذه الثمار كما هو متبع الآن خصوصاً فى الشام ، كذلك توصلوا إلى استخراج الزيوت من الحبوب الزيتية بواسطة عصارات حجرية ، أما تربية النحل فقد انتشرت بينهم وكانت تعتبر من أشهر الصناعات لان عسلها كان يقوم بينهم مقام السكر بيننا فى الوقت الحاضر ، ولم يفتهم كذلك الانتفاع بشمع العسل فصنعوا منه التماثيل الصغيرة

ولقد أغرم قدماء المصريين بفلاحة البساتين فأنشأوا حدائق جمعوا فيها أشجار الفاكهة والازهار الجميلة والبرك الصناعية والتكاعيب وغيرها من مستلزمات الحدائق ، وكانت صناعة الباقات المنسقة



الدراس وتذرية الغلال — من مقبرة منا بغرب الأقصر (حوالى ١٤٠٠ ق . م)

والاكاليل من أهم واجبات البستانى نظراً إلى حاجة القوم المتزايدة إلى هذا الفن سواء فى حفلاتهم وأعيادهم الدينية أو فى الطقوس الجنائزية

ويجب ألا ننسى فى هذا المقام جهود الملكة حتشبسوت « ١٥٠٩ — ١٤٤٧ ق . م » فى الزراعة ومهارتها فى فن الحدائق إذ أقامت فى الدير البحرى « غربى طيبة » معبداً فخماً يحتوى على ثلاثة مدرجات تمجيداً للمعبود آمون ، وغرست الاشجار فى حدائق المعبد المقامة على تلك المدرجات بعناية فائقة وكلفت عمالها جمع الكنوز الثمينة لهذا المكان وكان من بينها ٣٢ شجرة من أشجار البخور استجلبت من بلاد « بنت » الصومال حيث اقتلعت بصيلاتها فى فصل الخريف

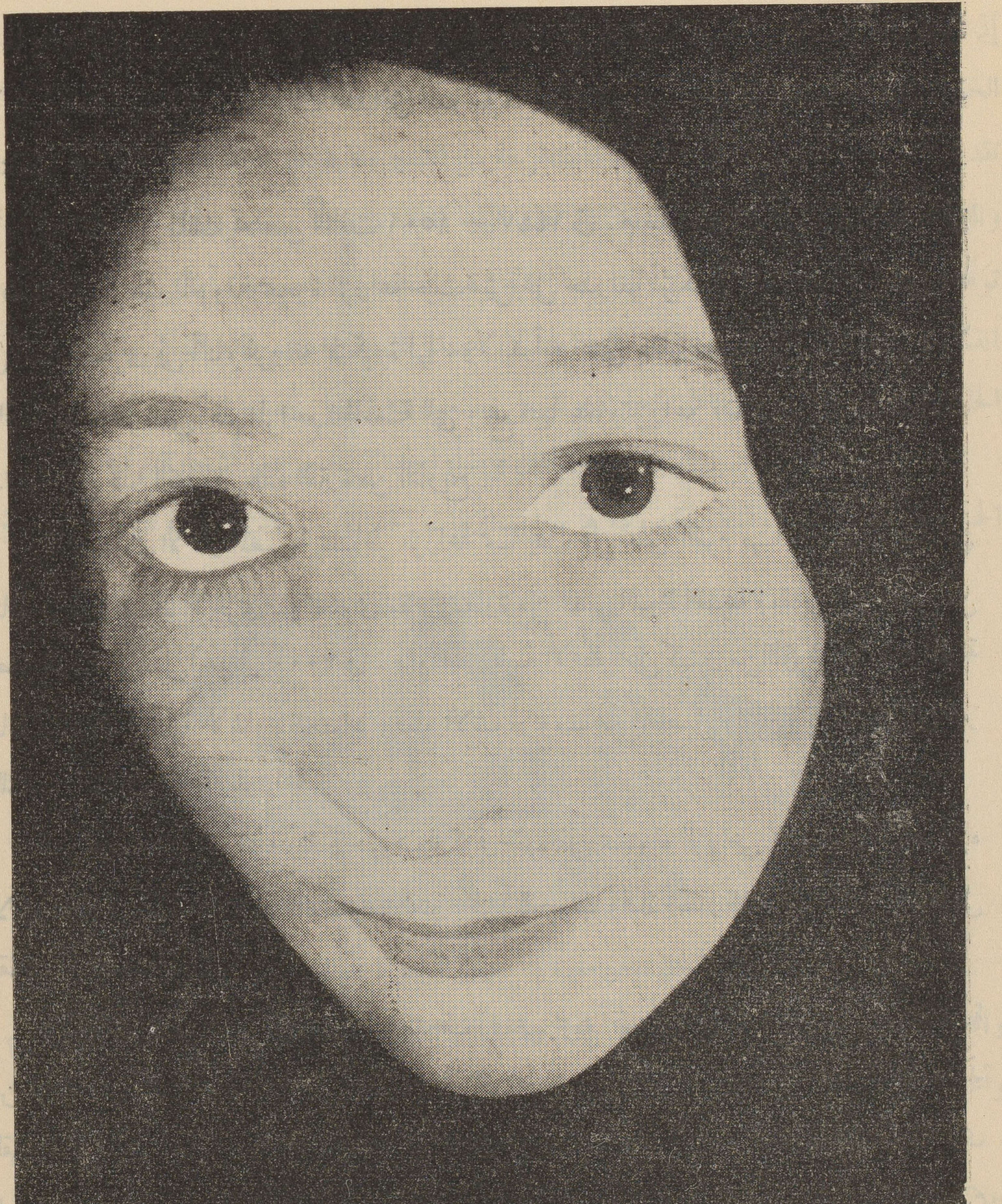
على ما يظهر قبل بدء الازهار ثم نقلت إلى مصر فى المراكب بعد وضعها فى الاصص الكبيرة ولا بد لهذه المؤسسة العظيمة ذات الحدائق المدرجة من نظام رى محكم يكفى حاجاتها كفاية مستفيضة .

كذلك يمثل الملك تحتمس الثالث ١٥٠١ — ١٤٤٧ ق . م نبأ استيراده للنباتات الاجنبية فى مؤسسته بالكرنك المعروفة بحجرة الزراعة حيث نقش على جدرانها أشكال النباتات التى استوردها من آسيا الصغرى فى أثناء غزواته المتكررة لها ، ولا بد أنه أعتنى بنقلها سليمة إلى هذا القطر ، ولا تزال هذه الحجرة من أهم المراجع الجامعة التى يرجع اليها علماء الزراعة القديمة فى تعرف النباتات الداخلة على هذا القطر فى هذه الفترة من التاريخ

ولقد حفلت الآثار المصرية بمناظر الزراعة مما يدل على تعلق القوم بها وطلب الاستئناس بمناظرها فى الحياة الاخرى . وتحتوى مقابر سقارة من عصر الدولة القديمة ومقابر بنى حسن من عصر الدولة الوسطى (حوالى ٢٠٠٠ ق . م) ومقابر طيبة الاقصر على كثير من النقوش البارزة والملونة لمناظر الحرث ورعاية الابقار والحصاد وقطع الاشجار ومساحة المحاصيل والعناية بالبساتين إلى غير ذلك من الشئون المتعلقة بالزراعة

قطر هذه حالته الزراعية وتلكم جهود ملوكه فى النهوض بمستواه الزراعى لا يستبعد عليه مركزه الاقتصادى فى العالم القديم إذ كانت مصر تعتبر مخزناً للحبوب وقبلة أنظار الشعوب القديمة إذا ماحل القحط أو نضب المعين .

وإنه لفخر لمصر عظيم أن يصبح لها متحف زراعى يجمع ضمن محتوياته آثار مصر الفرعونية من نبات وحيوان وآلات زراعية تنهض دليلا على اطراد تقدم الزراعة بهذا الوادى السعيد منذ القدم ، كما تشيد باهتمام ملوك مصر فى العهد الحديث بالشؤون الزراعية ومحافظتهم على التراث الاثرى العظيم لهذا القطر ، فعمل جلالة المغفور له الملك فؤاد الاول على إنشاء هذا المتحف المقرون باسمه الكريم وتم افتتاحه فى عهد خلفه الصالح الناسج على منوال أجداده العظام جلالة مولانا المعظم فاروق الاول أعز الله به شعبه .



عينان ناطقتان

نادى الغلمان المحرومين

فى كوبرى الليمون بالقاهرة

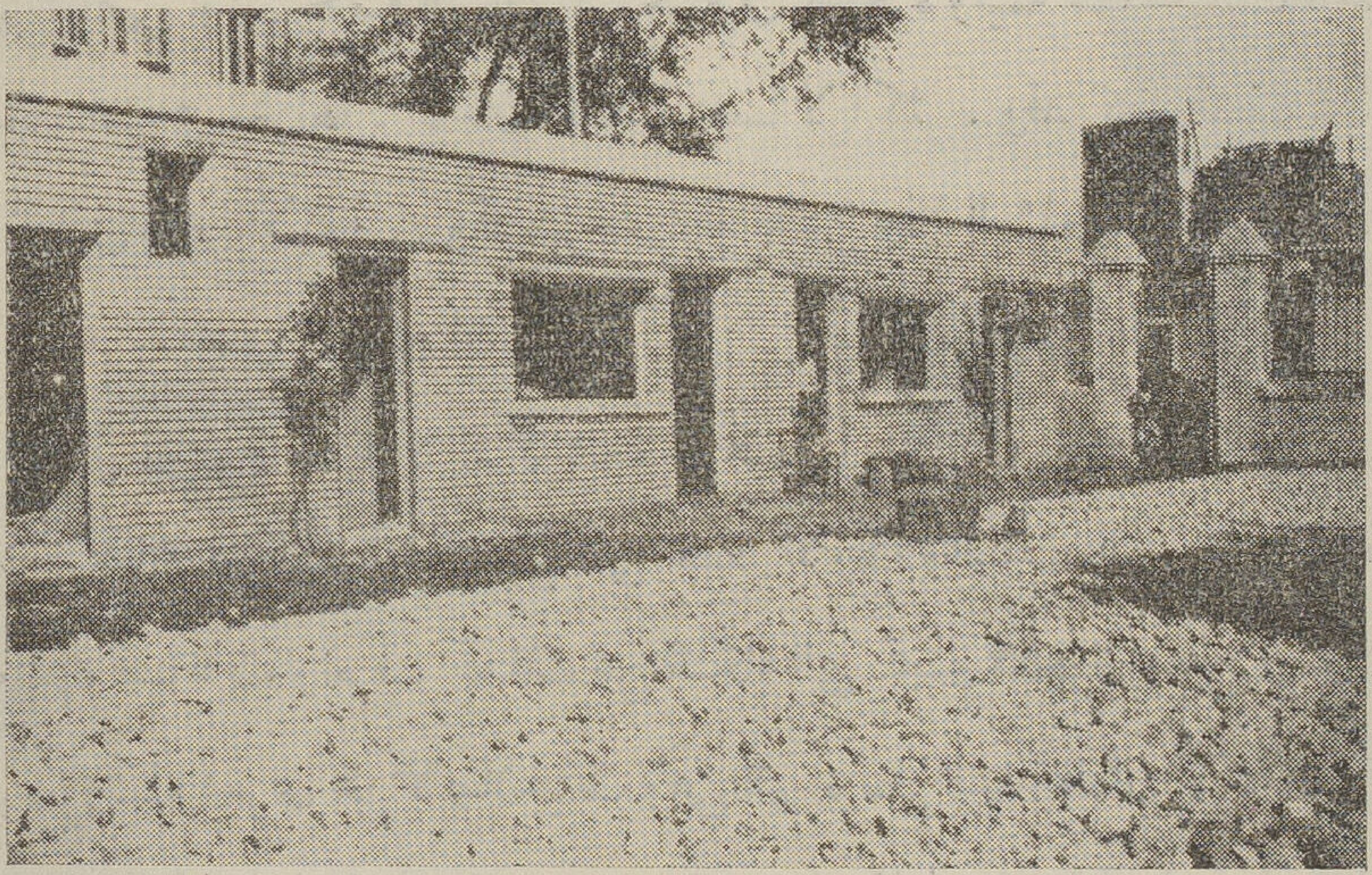
فى الشهر الماضى اولمت جمعية الشبان المسيحية فى القاهرة وليمة عشاء ليست فاخرة فى طعامها ولكنها جليلة سامية فى مغزاها . اذ كان العشاء عدسا لا اكثر . وقد كان ضيف الشرف الاستاذ مصطفى عبد الرازق وزير الاوقاف . وقد شرحت الغاية من هذا العشاء بانها جمع التبرعات لما يسمى « نادى الغلمان المحرومين فى كوبرى الليمون »

وهذا النادى من نوع جديد لا نذكر انه وجد قبل الان فى بلادنا فاننا نعرف كاننا شيئا أو أشياء عن ملاجىء اليتامى وابناء السبيل التى تجمع الاولاد والبنات الذين لا عائل لهم وتطعمهم وتكسوهم وتعلمهم صناعات ونعرف كذلك عن التكايا التى تجمع العجزة أو من فى حكمهم وتؤيهم وتعولهم وتعرف اشياء اخرى عن الاصلاحيات وهى التى يرسل اليها الغلمان الاشقياء والرجال الذين تعددت سوابقهم لمعالجة ما تأصل فى نفوسهم من شر وهذه كلها معاهد انسانية نافعة بلا مراء

غير ان نادى الغلمان المحرومين فى كوبرى الليمون يختلف عن تلك المعاهد اختلافا بينا فهو على مثال النوادى الرياضية والادبية المعروفة للشبان والرجال فى انظمتها ولكنه لطبقة الاولاد الصغار الخارجين من اوساط فقيرة جاهلة . وأعضاؤه يدفعون اشتراكات وان لم تكن بالمليمات لا بالقروش ولا بالجنيهات لتكون النسبة محفوظة بينها وبين حالة هذه الطبقة . ولم يشأ واضعو نظامه ان يجعلوا الاشتراك فيه بالمجان حتى يبعدوا عنه صبغة الملاجىء والتكايا ويربوا هؤلاء الصغار المفاليك على عزة النفس والشعور بالكرامة الشخصية والاباء . وهذه اولى الخلال الحسنة التى اريد غرسها فيهم

ولا يجهل احد نوع الاخلاق والعادات التى ينشأ عليها «صبيان» حوانيت الصناعة كالنجارة والحدادة والسباكة وغيرها . وصغار العمال وتلاميذ المدارس الالزامية الفقراء — وهى الطبقات التى يتألف منها جميع أعضاء النادى — فانهم محرومون جميعا من وسائل التهذيب والتربية الحقة عاطلون من الصفات التى تجعلهم يشبون رجالا نافعين لانفسهم ولوطنهم . فمهمة النادى

هي ان تنتزع منهم العادات التي يوشك الوسط الذى نشأوا فيه ان يطبعها فيهم ويحل محلها عادات اخرى حسنة وذلك بواسطة الارشاد والقدوة والعطف والتدريب العملى عن طريق الالعاب الرياضية والاجتماعات . وكانت العادة الاولى التي اكسبهم اياها عادة «النظافة» فأنشأ لهم حماما ومغسلا فمتى وصلوا الى النادى خلعوا ملابسهم القذرة وغسلوها ونشروها ولبسوا ملابس اللعب — وهذه يقدمها



نادي الغلمان المحرومين

لهم النادى مجانا — وبعد ما ينتهون من لعبهم يغتسلون فى الحمام ويرتدون ملابسهم النظيفة . وقد عانى روادهم صعوبات جمة قبل ان حببوا اليهم هذه العادة نظرا لما ألفوه في بيوتهم من الاهمال والسكون الى القذارة .

ومن أدلة نجاح النادى فى ذلك ان غلاما حديث العضوية لبس مرة ملابس غلام اخر خطأ فابى هذا ان يلبسها قبل أن تغسل ثانية بحجة ان العضو الجديد قذر لانه لم يتعود الاستحمام !

والخضوع للنظام عادة اخرى كسبها هؤلاء الغلمان فقد كان من طباعهم الخصام واحداث القلاقل والاشتباك بعضهم مع بعض فى مشاجرات لاتفه الاسباب فاسلس النادى قيادهم والآن شماسهم وعودهم الطاعة للحكم فى العابهم فاصبحوا يستطيعون أن يلعبوا التنس والبنج بونج والكرة . وغلام صغير فيهم يدير العابهم ويخضعون لحكمه

وأدب العبارة والـكلام كان شيئا غريبـا عنهم فما عرفوا فى حياة الشوارع غير الالفاظ النابية والشتائم كسائر الذين هم من طبقتهم . أما النادى فما زال بهم يتعهدهم بالنصح والارشاد حتى استطاع ان يطهر السنتهم بقدر الامكان من التفوه بما لا يليق واذا اختلف اثنان منهم فبدلا من ان يتقارضا السب والقذع يلجأن الى فض الخلاف بالنزول الى حلبة الملاكمة بالقفازات ثم يتصافحان بعدذلك

وقد انتزع النادى من هؤلاء الغلمان رذيلة الميل الى السرقة فاصبحوا اليوم يألفون الامانة ولم تحدث فى خلال المدة التى مضت من يوم افتتاح النادى غير ثلاث سرقات



الغلمان اعضاء النادي حول رئيسهم علي افندي

وهناك عادات اخرى غرسهـا النادى فى الغلمان المحرومين وتضمنها البيان الذى وزعته الجمعيه كحب الطائفة والايثار او الروح العام واعتراف بالجميل وسواها مما لم يكن لهؤلاء الغلمان سبيل اليه لولا هذا المعهد التهذيبي الحديث الذى تحتاج مدينة كالعاصمة الى امثاله فى كل حى من احيائها بشرط أن يتولاها شبان يكونون مثالا فى اللطف وكرم الخلق وسعة الصدر والحب والشفقة والحزم والدقة فى العمل وهى الصفـات التى توافرت فى رواد نادى كوبرى الليمون

كشف الجرائم والسيكلوجية الحديثة

الاستاذ محمد فتحى بك

آثار الانفعالات النفسية يمكن تعريفها بأنها هى الأعراض التى تبدو على الأعضاء الظاهرة أو الباطنة لجسم الانسان بسبب عامل من العوامل التى تؤثر فى تلك الأعضاء تأثيرا خاصا ، كالسرور والحزن والغضب والخوف والتهيج excitement والهبوط وغيرها ، فكل حالة من هذه الحالات لها تأثيرها الخاص فى المجموع العصبى وبجملته جهاز الحركة ، وقد دلت الخبرة على أن حالتى السرور والحزن وهما اجمالا الحالتان الرئيستان اللتان تتفرع عنهما معظم الحالات الأخرى لهما نتيجتان عكسيتان من حيث التأثير فى أعضاء الجسم ، وأعراضها متضادة ، فحالة السرور تزيد فى مدى الحركات الخارجية وتجعلها أكثر من المعتاد ، وتقلل من مدى الحركات الداخلية وتجعلها أقل من المعتاد ، بخلاف حالة الحزن فانها تؤدى الى عكس ذلك أى الى اضعاف الحركات الخارجية وتقوية الحركات الداخلية ، بمعنى أن حركة الانبساط تقل وحركة الانقباض تزيد أكثر من المألوف .

وانه لما يوجب الحيرة معرفة العلة الأساسية لهذه الظواهر العضوية المتباينة فقد يسأل الانسان نفسه لماذا تولد حالة السرور . انتشارا فى عضلات الجسم وأعضائه ، وحالة الحزن والكآبة تولد فيه قبضاً وانكماشاً ؟ ولماذا لايكون الأمر معكوسا ؟ ولكن فى اعتقادى أن هذا اللغز يسهل حله اذا كنا نسلم بصحة قانونى « الوراثة » و « النشوء والارتقاء » فان هذه المظاهر المتباينة قد ورثناها عن جدتنا الأولى فى عالم الأحياء وهى الخلية البسيطة منشأ الكائنات الحية وبجملتها الانسان فهى صفات غريزية فى الانسان والحيوان من مبدأ خلقهما حتى الآن .

ولكن الاقتناع بذلك يقتضى منا تسليما بتوافر غريزة أودعها الله فى نفس كل كائن حى منذ القدم وهى غريزة حب البقاء ، وأن جميع أعمال الانسان والحيوان ومقاصده ترمى الى هذه الغاية ،

حتى ان الميل الجنسي ، وكل مايتفرع عنه مرجعه اليها ؛ لأن القصد منه التناسل أى بقاء النوع ، فغريزة حب البقاء قد يتولد عنها كثير من العوامل التى ترمى الى الغاية نفسها ، ومن بين هذه العوامل ميل الكائن الحى الى السعى لتحصيل قوته ، ومن البدهى أن هذا السعى يتطلب منه البسط والانتشار ، بعكس عامل الخوف أو الفزع ، فانه يدعوه الى الانكماش والتقلص ، وهذه الظواهر التى تشاهد فى الأحياء الراقية تشاهد فى الأحياء الدنيئة حتى فى أبسطها تركيبا مثل الاميبا « Amoeba » ، فبعمل التجارب على هذا الكائن الحى الدقيق بوضعه تحت عدسة الميكرسكوب يلاحظ أنه يتأثر بالمنبهات ، فاذا وخز بسن حادة كسن الابرة أومس سطحه بسائل كاو او حريف ، أو سلط عليه تيار كهربائى شديد ، أو قرع بجسم صلب على اللوح الزجاجى الموضوع عليه الحيوان يتقلص وينكمش فى الحال ويأخذ شكلا كرويا ، كمن يريد أن يجمع كل قواه المنتشرة ويلم شتات أطرافه فى نقطة ارتكاز واحدة يتخذها مركزا للدفاع أو لمواجهة الخطر المحدق به ، وبالعكس من ذلك اذا لامسه سائل مغذ فانه ينبسط وتظهر أطرافه وتنتشر بقصد التهام العناصر المغذية التى بداخل ذلك السائل وهضمها ، ويسمى النوع الاول من المنبهات وهو الذى يدفع الخلية الى التقلص أو التكور « بالمنبه المنفر » والنوع الثانى الذى ينبهها الى البسط والانتشار « بالمنبه الجذاب » وهذه التجارب معروفة لكل باحث فزيولوجى وبيولوجى .

وقد تشاهد هذه الحالات بوضوح فى بعض الحيوانات ذات الخلايا المتعددة ولو كانت من النوع المنحط كالديدان والحشرات والحيوانات ذات الاصداف والدروع الطبيعية كالمحار والقواقع فانها بمجرد اللمس تتقلص وتنكمش أوتتكور أو تهرع الى أصدافها ودروعها ، وبالعكس اذا صادفت ما تستطيبه أو تلتذه فانها تنفرد وتنتشر وتفتح أصدافها وتبرز منها وقد نفسر بهذا ما نسمعه أحيانا ونعده من قبيل الاساطير والخرافات من أن زيدا من النـاس اجتذب اليه الوحوش بقيثارته أو الطيور بصفيره أو الثعابين بمزماره ، فان السرور أو الطرب يجتذبها الى مصدره ، فى حين انها تفر من الالم وتهرع الى أوكارها وتنكمش فيها خوفا ورعبا .

وكما ان الكائنات الحية من أول الخلية البسيطة الى أرقاها نوعا وهو الانسان يجذبها السرور الى مصدره وينشرها وتنفر من الألم وتفر من وجهه ، وكذلك عضلات الجسم وأنسجته وخلاياه خاضعة

لنفس هذه المؤثرات ، فلو عرض سطح عضلة من العضلات لسائل حريف أو كاو أو شديد البرودة او الحرارة أو وخزت بآلة مدببة أو سلط عليها تيار كهربائى قوى انكمشت العضلة وتقلصت حتى ولو بعد قطع العصب المحرك «لكى لا يكون هناك شك فى أن للفعل المنعكس دخلا فى تقلصها» أما لو وضع عليها سائل مغذ لذيذ وعلى درجة من الحرارة معتدلة، أو دلكت دلكا لطيفا انبسطت العضلة وانشرحت

ولا أظن أنى أكون مخطئا اذا ما قلت ان كلمة « انبساط » التى يستعملها عامتنا للتعبير عن حالة السرور ماهى الا كلمة بليغة المعنى منطبقة تماما على تلك الظاهرة الطبيعية التى ايدها العلم الصحيح حتى فى أبسط الاحياء تركيبا وأدقها حجما ، فلننظر كيف يفعل بنا السرور فانه يحملنا على بسط أيدينا وأرجلنا وسائر أعضائنا ، وكثيرا ما نشاهد الصبى عند الفرح يصفق بيديه مبسوطتين ، ويطوح برداء رأسه نحو السماء طربا ، ويفتح شدقيه بالصياح والتهليل ، ولننظر كيف يفعل بنا الحزن أو من الانقباض والانكماش وتقاص العضلات .

اليست لكل منا خبرة بما يعترى الانسان عند رؤية الاشباح المخيفة أو سماع الاصوات المزعجة أو لمس الاجسام الغريبة فى الظلام من قشعريرة خاصة فى البدن أو انقباض فى الجلد يقف منه الشعر أحيانا ، وخفقان فى القلب واضطراب فى حركة التنفس وامتقاع فى لون البشرة وبرودة فى الأطراف وما ذلك الا لكون رؤية الشبح المخيف أو سماع الصوت المزعج أو لمس الجسم الغريب كلها عوامل نفذت عن طريق الحواس « البصر أو السمع أو اللمس » الى المخ فأيقظت فيه ذكرى مخيفة فتظهر فى الحال آثار الانفعالات فى الانسان .

فاذا سلمنا بهذه الطريقة التى تدل على صحتها وتؤيدها الشواهد الكثيرة فى حياتنا اليومية ، أمكننا أن ندرك بدون صعوبة سر انكماش عضلات الجسم فى حالة الخوف وانبساطها فى حالة السرور ، فهى غريزة ورثناها عن جدتنا الخلية من بدء خلقها فى العصور الاولى وحملتها الينا سفينة الوراثة مع ما تزودته فى مراحلها من ثمرات الاجيال الغابرة وهى تمخر عباب الدهر جريا على سنة النشوء والارتقاء ومازالت ممثلة فى الخلايا الكثيرة التى تتألف منها مجموعة أجسامنا البشرية حتى الآن .

غير أن المؤثرات النفسية قد تكون مباشرة ، كوقوع حادث، فجأئى يصطدم بالحواس فينبه مركز الحركة من المجموع العصبي فتبدو آثار الانفعال الخاصة بكل حادث على حسب نوعه ، وقد يكون التنبيه بطريق غير مباشر بتنبيه مركز الحركة بواسطة الذاكرة أو المخيلة ، وعندئذ تظهر آثار الانفعال النفسانى على أعضاء الحركة بنفس الصورة التى ألفها الانسان واعتادها من قبل فى مثل هذه الاحوال أو بعبارة أخرى ان الانفعالات قد يكون مصدر التنبيه فيها اما خارجيا ، كأن يطرق عامل الخوف أو الحزن أو السرور باب الحواس فيوقظ مركز الحركة وهو يدفع الاعضاء الى العمل ، واما باطنيا بأن يقع التنبيه على المركز العصبي للحركه من الداخل مباشرة بوساطة عامل نفسانى باطنى ، كذكرى حادث مؤلم أو مخيف أو محزن أو سار ، فتظهر على الأعضاء نفس الأعراض الخاصة بكل عامل من هذه العوامل .

ولأجل تقريب ذلك للفهم يمكن من قبيل الفرض تشبيه الحوادث أو ذكرياتها بالتيارات الكهربائية ، وتشبيه الأعصاب بالأسلاك الموصلة للتيار ، ومركز الحركة سواء كان من المراكز الواقعة فى المخ أو فى الحبل الشوكى ، بالمحرك « الدينامو » والحافظة بوعاء تخزن فيه السيالات الكهربائية للحوادث عند وقوعها كما تحفظ القوى الكهربائية فى البطاريات المعروفة بالمكثفات ، فاذا وقع حادث ما أو اصطدم باحدى الحواس الخمس كحاسة اللمس مثلا التى تكون بمثابة أحد قطبي الاتصال ، يمر السيال الكهربائى « بأعصاب الحس » ومنها الى مركز الحركة (الدينامو) فيتنبه المركز المذكور ويقوم بأداء وظيفته وهى تحريك الأعضاء المسلط عليها ذلك المركز ويدفعها الى الحركة بواسطة الأعصاب المحركة .

فان كان الحادث مزعجا أو منفرا قامت الأعضاء المخصصة للدفاع عن الجسم بواجبها ، وان كان جذابا أو محرضا تولدت فيها الحركات الخاصة بالتعدى أو الهجوم ، وان كان سارا بدت على الكائن الحى علامات السرور والانشراح ، وان كان محزنا بدت عليه آثار الكآبة والانقباض وهلم جرا .

ولكن مثل هذه الحوادث لاتمر عادة من غير أن تترك صورة خالدة فى الذاكرة ، وهى حكمة أودعها الخالق سبحانه وتعالى فى نفس المخلوق لكى يتخذ له منها عبرة وموعظة ، ولكى تكسبه فى

مستقبل حياته خبرة تقيه شر الوقوع فى الخطأ أو الاندفاع الى مواضع الخطر مرة أخرى . فاذا مالمس الطفل النار مرة ولذعته رسخت هذه الذكرى المؤلمة فى ذهنه لكى لا يلمس النار مرة ثانية ، فاذا وقع بصره عليها ولو عن بعد تنبهت لديه ذكرى الألم ، بل ربما تقلصت عضلات جسمه فى موضعها السابق فلا يقربها ، ولعل الكثير منا لاحظ كيف تتقلص عضلات المعدة ويعترينا تهوع وغثيان قد يعقبهما قىء أحيانا بمجرد وقوع بصرنا على دواء أو شراب علمنا بالخبرة انه كريه الطعم ، بل ربما كان مجرد تذكره كاف لدى البعض منا لاحداث هذه الأعراض .

فمما تقدم يتبين لنا كيف أن صور الحوادث تحفظ فى المخ ، وفوق ذلك فان الشواهد كلها تؤيد أنها لا تحفظ فيه فقط لمجرد الحفظ بل تحفظ فيه بترتيب ونظام ، كما لو كان لكل نوع منها مستودع خاص به يشحن بجانب من السيال الكهربائى لكل حادث حال مروره بالأعصاب واشتغال المحرك ، وذلك حتى يسهل الرجوع اليها اذا دعت الحاجة الى الحكم على أمر من الأمور عن طريق الموازنة والقياس .

فاذا أوقظ فى الذهن نوع من الخواطر أو الذكريات اندفع السيال الكهربائى من المستودع الخاص بذلك النوع الى مركز الحركة فيقوم هذا بتنبيه أعضاء الحركة الخاضعة له ، وهذا ما يعبر عنه بحسب الاصطلاح العلمى أو الفنى بالدافع الذاتى .

انما لا يفهم من ذلك أن هناك اتصالا دائما بين مستودعات الحوادث وبين المحرك لكى يكون التنبيه واقعا باستمرار على مركز الحركة ؛ بل هذا الاتصال مقطوع كما لو كان فى طريق الأعصاب الموصلة بينهما زر كهربائى قاطع للتيار لا يتصل الا اذا عمدت يد عامل من العوامل المنبهة الى وصله حتى لا يتحمل الانسان فى حياته أو جاع مصائبه بغير ضرورة أو مقتض ولا ينوء تحت عبء ما يحمله فى ذاكرته من مجموعة آلامه وأوصابه التى انتابته فى ماضى العمر .

فاذا ما ضغطت يد العامل المنبه « زر » الاتصال ، اتصل التيار وانطلق من المستودع بعض الشحنة الى مركز الحركة ، وعندئذ تتكرر الانفعالات الخاصة بهذا النوع من الحوادث فى صورة قد تكون مخففة نوعا مما لو كان الحادث محققا كما لو كانت المكثفات فقدت بمرور الزمن جزءا من قوة كهربائيتها .

وانى لا أبغى أن ابتعد كثيرا عن جوهر الموضوع وهو ما للانفعالات النفسية من الارتباط بالجرائم فلم يحملني على هذا الاسهاب الذى قد يكون مملا الا الرغبة فى تعليل آثار تلك الانفعالات وردها الى أسبابها الطبيعية حتى يمكننا فهمها علميا والاستفادة منها عمليا ، ولكنى قبل أن أنتقل الى جوهر الموضوع أريد أن أدفع مقدما اعتراضا طالما سمعته من الكثيرين وهو ان المجرم الماهر المدرب الذى ماتت من قلبه كل عاطفة قد يستطيع استخدام كل ما أوتى من قوة فى أن يخفى عواطفه فلا تبدو عليه آثار الانفعال .

أجل قد يكون من الهين عليه أن يخفى الاثار الظاهرة لحركاته وارشاداته الخارجية أو يلطف كثيراً من حدتها بحيث لا تبدو محسوسة ، كما إنه ليس من المحتوم أن يبكى المرء عند الحزن أو يضحك عند السرور ، ولكن ليست الاعين والشفاه والايدى والارجل هى التى تشهد علينا دون غيرها ، فان هذه التزمت الصمت وقويت على الكتمان ، فهناك أعضاء أخرى لا سلطان لارادتنا عليها قد تكشف الستار بالرغم منا عن الرواية التى تمثل فى مسرح المخيلة ، وتنم عن تفاصيل المعركة التى تدور رحاها فى ميدان الضمير . وكيفية ذلك أن فى الجسم نوعين من الاعضاء من حيث الحركة فالنوع الاول تتألف منه الاعضاء ذات الحركة الأرادية أى الخاضعة فى حركاتها لمركز الارادة فى المخ ، كالأيدى والارجل والشفاه والجفون والعيون وغيرها من سائر الاعضاء التى يمكننا تحريكها أو ايقاف حركتها كلما أردنا ، والنوع الثانى يتألف من الاعضاء ذات الحركة غير الارادية كعضلات القلب المبطنة لجدران الاوعية الدموية والعضلات والانسجة الاخرى لبعض الاحشاء الصدرية والبطنية والحوضية وكذلك غدد العرق والدمع واللعاب وغيرها من الغدد ذات الافرازات المختلفة .

فالنوع الاول من الأعضاء خاضع فى حركته لجهاز عصبي يختلف فى نوعه عن الجهاز العصبى للأعضاء ذات الحركة غير الارادية ، ويسمى الاول « بالجهاز العصبى الارادى » والثانى « بالجهاز العصبى الذاتى » ، والاول مراكزه العصبية واقعة فى منطقة الحركات الارادية من المخ ، والثانى مراكزه العصبية بعيدة عن مراكز الارادة مقطوع الاتصال بها ، ومعظم هذا الجهاز الاخير مؤلف من سلسلة من العقد العصبية واقعة على جانبى العمود الفقرى (ومعروفة باسم العظيم السمبتاوى) وبعض عقد أخرى كائنة فى الدماغ ، والبعض الآخر فى جدران نفس الأعضاء المسلطة عليها هذه المراكز كما فى القلب .

فالفرق بين هذين الجهازين جلى واضح من حيث التأثير فى حركات الأعضاء ، فان كان فى وسعنا أن نمنع أيدينا وأرجلنا عن الحركة أو ابداء أى اشارة تنم عما نبطن فى نفوسنا ، فمن الذى يستطيع منا أن يغير بارادته دقات قلبه وسرعة نبضه ودرجة امتلائه وقوة ضغط دمه وكمية افراز غدة من غدد جسمه أو حركات أمعائه أو أحشائه الباطنية أو درجة حرارة جسمه ؟ فاذا كان ليس فى وسعنا ذلك وعلمنا بالتجربة والمشاهدات أن لكل انفعال نفسانى آثاراً خاصة به ومميزات تسجلها علينا أعضاؤنا المتمتعة بالحركة الذاتية كما يسجل الترمومتر والبارومتر درجات الحرارة والرطوبة ، وان أمهر ممثلى العالم مهما بلغ من الدربة والحنكة لا يقوى على سترها واخفائها . ألسنا نجنى من وراء دراسة هذه الآثار وكشفها أجل فائدة عملية ؟ وأنه بقدر ما يوجد لدينا من الآلات المتقنة الصنع التى بها يمكننا رصد حركات الاعضاء الباطنية بدقة بقدر ما يسهل علينا كشف ما يجول بخاطر المتهم الموضوع تحت الاختبار واستخراج مكنون أسراره . وإن آلات كهذه يكون مثلها كمثل المجهر الذى يكشف لنا أنواع الجراثيم ودقائق الأنسجة المختلفة للجسم فى تشخيص الحالات المرضية ؟

وقد أجرى علماء النفس تجارب عديدة بالطرق الفنية الصحيحة ، فوجد بالاختبار أن لكل حالة نفسانية تأثيرا خاصا على حركات التنفس والنبض والدورة الدموية وغير ذلك ، بحيث اذا قيست تلك الحركات بدقة ودونت فى شكل موجات بوساطة الاجهزة المخصصة لذلك والمعروفة لدى علماء الفزيولوجيا أمكن بكل سهولة تشخيص الحالة النفسية المتسلطة على الشخص وقت الاختبار ومعرفتها بدقة ، فلأجل قياس التنفس وضع جهاز يسمى البنوموجراف Pneumograph وهو اسطوانة حلزونية من السلك مكسوة بغلاف رقيق من الكاوتشوك تربط على الصدر بحيث أن أقل حركة فى التنفس تؤثر فى طول الاسطوانة فتنكمش أو تنفرد بحسب حالتى الشهيق والزفير ، وفى نهاية الاسطوانة أنبوبة رقيقة من المطاط وفى طرفها « ترمسة » مجوفة صغيرة من المطاط كذلك ، وهذه يرتكز على أحد سطحيها ذراع صغير يعلو وينخفض مع سطح « الترمسة » عند انتفاخه أو انبطاحه تبعا لدرجة امتلائها بالهواء القادم من الاسطوانة عند انكماشها أو تفريغه منها عند انفرادها . وهذا الذراع الصغير مسلط على ذراع أطول منه بمثابة مؤشر أو عقرب طويل لكى يضاعف حركة الذراع الصغير ويكبرها حتى بذلك تبدو أخف الحركات كبيرة واضحة ، والمؤشر أو الذراع الكبير تارة يكون مركبا على

وجه لوح مدرج لقياس حركات التنفس وتارة يكون طرفه مسلطاً على شريط من الورق ملفوف على أسطوانة ذات حركة آلية بطيئة منتظمة ويكون طرف المؤشر مغموساً فى الحبر لكى يرسم على سطح الشريط الموجات الناشئة عن حركات التنفس من شهيق وزفير ، وقد دل الاختبار على النتائج الآتية:

فى حالة السرور يسرع التنفس ويصير خفيفا		(تأمل الضحك)
« « الحزن يبطىء « « عميقا		(« فى التنهد)
« « الغضب يسرع « « قويا		
« « الهبوط يبطىء « « خفيفا		

ويعمل تجارب على النبض بوساطة جهاز معروف باسم سفجموجراف Sphygmograph وهو جهاز بنى على نظرية شبيهة بنظرية البنوموجراف تقريبا ، يركب فوق المعصم عادة ، حساس لنبض الشريان الكعبرى .

فوجد أن فى حالة السرور يبطىء النبض ويصير قويا .

« « الحزن يسرع « « ضعيفا

« « الغضب « « « قويا

« « الهبوط يبطىء « « ضعيفا

وهناك أيضا جهاز يسمى « بالبلتزموجراف Plethysmograph » لقياس مقدار توارد الدم فى عضو من الاعضاء وهو عبارة عن اسطوانة من الزجاج تملأ بالماء ، ويغمر العضو المراد اختياره كالساعد مثلا ويحكم سد فوهتها بمعجون يمنع تسرب الماء وبها ثقب متصل بأنبوبة رفيعة من المطاط فى نهايتها « ترمسة » صغيرة من المطاط مسلطة على عقرب يتبع فى حركته ضغط الهواء الذى يرد الى « الترمسة » ، فأقل زيادة فى توارد الدم فى العضو المختبر يظهر أثرها فى كمية الماء التى تملأ الاسطوانة فيرتفع الماء قليلا وبذلك يضغط كمية الهواء التى بداخل الانبوبة وبالتالى « الترمسة » فتنتفخ هذه الاخيرة قليلا فيتحرك العقرب . وقد وجد بالتجربة أن لكل انفعال تأثيرا خاصا فى كمية الدم التى توارد على ذلك العضو الموضوع تحت التجربة .

كذلك تظهر آثار الانفعالات النفسانية فى حركة الساق الناشئة من الدق على وتر الركبة بتأثير

الفعل المنعكس ، بمعنى أن الزاوية التى تتكون من هــذه الحركات وجدت تختلف درجتها باختلاف الحالات النفسية المتنوعة بمعنى أن لــكل حالة منها زاوية خاصة بها . وقد استخدم لذلك جهاز خاص ذو مطرقة صغيرة تدق على ذلك الوتر دقات متساوية القوة فى فترات منتظمة ، ثم رصدت الحالات النفسية المختلفة حال اجراء هــذه العملية ؛ وعلى هذا القياس قيست معظم حركات الجسم وسكناته .

* * *

وقد وضع العلامة هوجو منستر برج أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة وأحد أعلام علم النفس العملى الحديث بعض تجارب قيمة فى هذا الموضوع وذات فائدة عظمى أنقل بعضها لأهميتها :

التجربة الأولى — جاء بلوح مركب على أربع « بيل » يتحرك على سطح أملس ، ليكون اللوح سهل الحركة ما أمكن ، ثم كلف الطالب المراد اختباره بأن يضع يده على اللوح المذكور بعد أن حمل ذراعه بالقرب من المرفق بحامل متصل بحبل معلق فى السقف لتكون يده مطلقة الحرية فى التحرك الى أى اتجاه كان ، واستحضر عدة بطاقات مكتوب على كل منها حرف معين من الأحرف الهجائية واختار من بينها حرفا عرضه على الطالب وكلفه أن يحضر ذهنه فيه جيدا ، وبعد ذلك وضع الحرف بين باقى الاحرف التى صفت فى شبه نصف دائرة حول اللوح الذى عليه يد الطالب ، فلاحظ أن يده تحركت فى اتجاه مكان الحرف الذى كان حصر فيه ذهنه ، ولما نقل الحرف المذكور من مكانه تحركت اليد ثانيا فى اتجاه المكان الجديد لذلك الحرف ، وهكذا كلما غير مكان الحرف تحركت يد الطالب نحو المكان على غير قصد منه ، ومن ذلك علم الاستاذ منستر برج أن هناك صلة بين حركة اليد وبين الحرف الذى ارتبط به ذهن الطالب ، وقال انه لو جىء قياسا على ذلك بمجرم ينكر سلاحه الذى وجد بمحل الحادثة ، ووضع هذا السلاح بين عدة أسلحه أخرى فى شبه نصف دائرة حول ذلك اللوح الذى يكلف الجانى وضع يده عليه وشوهدت يده تتبع فى اتجاهها مكان ذلك السلاح دون سواه لدل ذلك على أن للمتهم صلة بالسلاح المذكور ؛ وقد اطلق على هذا الجهــاز البسيط اسم اتوماتوجراف Automatograph أى كاتب الحركة الذاتية، لانه ركب فى طرف اللوح جهازا يسجل

اتجاهات الحركة على قطعة من الورق أسفل اللوح .

التجربه الثانية — قد علمنا فيما مضى ان حالة الخوف ينشأ عنهـا تقاص فى عضلات الجسم وبالأخص عضلات أعضاء الحركة ولذلك قد استخدم الدكتور منستربرج كرة من المطاط متصلا بها أنبوبة رفيعة فى نهايتها « ترمسة » صغيرة من المطاط أيضـا والترمسة مسلطة على ذراع صغير متصل بذراع كبير يعظم الحركة مركب على لوح مقسم ، بحيث ان أقل انقباض فى الاصابع يحدث ضغطا على الكرة التى فى قبضة اليد يظهر أثره مكبرا على اللوح بوساطة المؤشر ، فاذا ذكر امام المتهم اسم المجنى عليه أو اسم متهم آخر كان شريكا له فى الجريمة بين عشرين اسما مثلا لأشخاص خرين ولوحظ أن المؤشر تحرك عند ذكر اسم المجنى عليه أو الشريك دون باقى الاسماء أمكن أن نستنبط من ذلك وجود علاقة بين المتهم والشخص المسمى بالرغم من تجاهـله اياه ، وماذلك الا بسبب كون سماعه هذا الاسم أحدث فى نفسه انفعالات نتيجـة الخوف ، فتتقلص عضلات اليد والاصابع فيضغط الشخص على غير قصد منه وبدون انتباه الكرة التى فى يده ، فيضغط الهواء الذى فيها ويملأ الترمسة فتنتفخ وبذلك يتحرك المؤشر

التجربة الثالثة — لاحظ منستربرج ان لكرة العين نوعا من الحركة قد يكون مستقلا عن ارادة الشخص وقصده فتتحرك فى اتجاه معين وهو لا يعلم من أمرها شيئا ، ولاثبات ذلك قد جهز بطاقات كتب على كل منها كلمة ذات تأثير خاص فى نفس الطالب الذى ستجرى معه التجربة ، وأخذ يعرض عليه الكلمات تباعا بعد ان اتفق معه مبدئيا على أمور معينة ، وهى ان يقرأ الطالب الكلمة التى تعرض عليه ويتأملها ثم يغمض عينه ويدير وجهه الى أحد الجانبين قليلا ثم يفتح عينيه فى الحال ، فلاحظ أنه فى الكلمات الاعتيادية كانت كرتا العينين تتبعان فى اتجاهها اتجاه الوجه أثناء تحوله عن مكان الكلمة المعروضة ، أما الكلمة ذات التأثير الخاص فانه عند عرضها لاحظ أن كرتى العينين لا تزالان فى اتجاه تلك الكلمة بالرغم من تحول الوجه عنها الى جانب آخر كما تبين له ذلك من مشاهدة عينى الطالب حال فتحه جفنيه عقب ادارته وجهه ، وقد كرر الاستاذ التجربة مرارا فكانت النتيجة واحدة فى كل مرة ، ومن ذلك أيقن ان للكلمة ذات الاهمية الخاصة تأثيرا خاصا فى حركات العينين واجتذابها الى مصدرها حتى ولو ادير الوجه الى اتجاه آخر

فلو كنا فى المسائل الجنائية نعرض تباعا على المتهم الموضوع تحت الاختبار عدة اسلحة مختلفة من بينها السلاح الذى وجد فى محل الحادث ، وظهر لنا اثناء اجراء التجربة على الوجه السالف الذكر أن هذا السلاح وحده دون باقى الاسلحة التى عرضت على المتهم نفس الاثر الذى للكلمة الخاصة لدى الطالب ، بمعنى ان كرتى عينى المتهم لم تتحولا عنه بالرغم من ادارته وجهه الى اتجاه آخر ، كان ذلك دليلا على وجود علاقة للمتهم بهذا السلاح رغما من انكاره ملكيته وتجاهله إياه

التجربة الرابعة — وهى ان يؤتى بلوحين من النحاس كل منهما متصل بأحد طرفى سلك كهربائى متفرع من بطارية كهربائية وفى طريق التيار جلفنومتر دقيق (وهو عبارة عن جهاز ذى ابرة مغناطيسية لقياس مقدار مقاومة التيار) ويضع المتهم المراد اختباره احدى يديه على لوح والاخرى على اللوح الاخر ثم تذكر له عدة أسماء شريكه فى الجريمة او اسم المقتول مثلا ، فيشاهد أن ابرة «الجلفانومتر» تتحرك عند ذكر أحد هذين الاسمين دون غيرهما من الاسماء الاخرى ، وهكذا كلما أعيدت التجربة كانت النتيجة ثابتة ، ومن هذا يستدل على وجود ارتباط بين المتهم وبين الشخص المسمى . كذلك الحال لو ذكر أمامه من يدعى جهله أو أنه لا يهمه ، لوحظ تحرك عقرب المقياس فان ذلك يدل على كذبه فيما يدعى .

وانى لأخال القارىء يساوره الشك والدهشة ، ولكن على حد المثل السائر «اذا ظهر السبب بطل العجب» ، فتعليل ذلك ليس بالامر العسير ، فكلنا نعلم من أيام المدرسة انه اذا احرج أحدنا أثناء الامتحان بسؤال صعب أو وجهت اليه من الممتحن كلمة أو عبارة محرجة أخذ العرق يتصبب من جبينه ، وما ذلك الا لكون السؤال أو الكلمة المحرجة نبهت غدد العرق الى العمل ، فيكثر افرازها ، كذلك الحال بالنسبة للمتهم الذى ذكر أمامه اسم شريكه فى الجريمة او ذكرت أمامه أمور لها ارتباط بالواقعة أو بتفاصيلها او طريقة ارتكابها ، فانه بالرغم من تظاهره بعدم المبالاة وتصنعه الجهل لما يلقى على سمعه ، نرى عقرب «الجلفانومتر» ينحرف عن موضعه ، لأن سماعه هذه الوقائع ينبه من مجموعه العصبى المراكز المتسلطة على غدد العرق حيث توجد فى راحة اليدين بكثرة فيزيد افرازها وبذلك تزيد قوة مقاومة التيار الكهربائى فيتحرك العقرب

ومهما يكن التنبيه ضعيفا والزيادة فى افراز الغدد العرقية طفيفة فانها تكفى لان يظهر اثرها فى

التيار الكهربائى حال مروره فى جسم المتهم وقت الاختبار ، كما قد يكون لافراز الغدد الصماء بتأثير الانفعال النفسى شأن يذكر فى تغيير مقاومة التيار الكهربائى حال مروره بالجسم

* * *

ومن ذلك نرى كيف ان استخراج مكنون الفكر قد يكون بطرق هى فى حد ذاتها على جانب كل البساطة غير أن مقاومة المتهم لنتائجها تكون مع ذلك خارجة عن طاقته البشرية وفوق متناول من ما اوتى من عزم وارادة وانه لا يقوى على سترها مهما حاول اخفاءها

فمثل هذه الوسائل لو هذبتها الأيدى العالمة العاملة وارتقت مع توالى الأزمان جريا على سنة الرقى الطبيعية لجميع الأشياء لابد أن تصبح يوما ما كأداة نقرأ بها أفكار غيرنا كما لو كنا نقرأ كتابا، ومع ذلك فانى أرى أن علم النفس العملى فى الوقت الحاضر قد يؤدى لنا خدمات جليلة القدر عظيمة الفائدة فى التحقيقات الجنائية .

ورب معترض على هذا يقول كيف يعتمد القاضى فى حكمه بادانة متهم على مجرد استنتاجات تافهة كظواهر الخوف والاضطراب التى تبدو على شخص متهم بجريمة ، فى حين أنه كما يمكن تعليل هذه بأنها نتيجة ارتكاب الجرم يمكن كذلك تعليلها بأنها نتيجة ارتباك البرىء ورهبته موقف الاتهام ، وهو اعتراض طالما كنت أسمعه من الكثيرين . ولكن هذا خطأ محض فى فهم المراد باستخدام علم النفس فى التحقيق الجنائى .

فليس هذا هو الغرض المقصود من القول باستخدامه عمليا فى وقتنا الحاضر ، فانه بالرغم من أن علم النفس الحديث مؤسس على قواعد علمية صحيحة نتيجة الاختبارات المتكررة والتجارب الطويلة وبالرغم من كونه قطع شوطا بعيدا فى مضمار الرقى بجانب العلوم الطبيعية الأخرى ، وبلغ شأوا عاليا فى معارج التقدم والفلاح ، فانه لم يصل بنا بعد الى الدرجة التى يمكننا معها استخدامه كفاية فى ذاته لاقامة الدليل على متهم ليس عليه أى برهان آخر ، ولكن ذلك لا يمنع من استخدامه فى الوقت الحالى كمجرد وسيلة للوصول الى الأدلة المعتبرة أمام المحاكم الآن ، والتى تثبت الجريمة على المتهم بالبرهان المقبول قانونا أمام القضاء ، ولست أرى أى محل للاعتراض على ذلك متى كان المتهم لديه الضمان الكافى بأن الذى ستقبله المحاكم فى اثبات التهمة عليه انما هو نفس الأدلة وأوجه الاثبات

العادية التى اصطلح عليها القضاء ، وانه لم يكن الغرض من استخدام علم النفس الا كواسطة للوصول الى تلك الاثباتات القانونية ، وهناك فرق عظيم بين اعتباره كواسطة للوصول الى غاية معينة وبين اعتباره هذه الغاية نفسها ، وحسب القارىء الحادثة التالية التى أذكرها بهذه المناسبة على سبيل المثال لتكون بمثابة برهان حى ودليل عملى محسوس ، وهى تتخلص فى أنه فى عام سنة ١٩١٤ وقع حادث شروع فى قتل باحدى القرى التابعة لمركز السنبلاوين ، وملخصه أن شخصا من الأهالى أطلق عليه عيار نارى من يد مجهول حال خروجه من القرية قاصدا غيطه وكان الوقت قبيل العشاء ، وقد أطلق العيار من مزرعة على جانب الطريق ، فأصيب المجنى عليه فى ساعده الأيسر ، ولما كنت وكيلا لنيابة ذلك المركز وقتئذ فقد قمت للتحقيق ، وفى خلاله حامت الشبهه حول شخص كان خطيبا لزوجة المجنى عليه ، ولكن والدها أبى أن يزوجها منه لسوء سلوكه وزوجها من المجنى عليه .

أخذت فى البحث عن هذا المتهم فوجدته فى مكان يبعد عن مكان الحادث بمسيرة ربع ساعة وهو يروى زراعة كان معينا خفيرا عليها وكانت بيده عصاه ، وقد شهد اثنان من أهالى القرية بأنهما رأياه عقب سماعهما العيار يسير على شاطىء الترعة متجها نحو المزرعة التى وجد فيها ، وكان مجدا فى السير قليلا وبيده تلك العصا ، ولما كان المتهم خفيرا خاصا لزراعة بعض الأعيان ومرخصا له بحمل السلاح فقد سئل بطبيعة الحال عن سلاحه ، فادعى فقده من عشرين يوما ، غير أن الشهود شهدوا بأنهم رأوه يحمله قبل الحادث بيوم واحد ، ولكن نتيجة التحقيق لم تتقدم بعد ذلك خطوة واحدة ، فى حين أن ماوصلت اليه من الأدلة لم يكن سوى شبهات لاتكفى لادانة المتهم قانونا ، غير أنها كونت عندى شبه عقيدة بأنه هو الفاعل ، ولذلك حصرت اهتمامى فى البحث عن السلاح ، لأنه كان الطريق الوحيد المفتوح أمامى للبحث . وبعد قليل من التأمل لاح لى أن السلاح لم يخبأ فى القرية وأن البحث عنه فيها عقيم ولابد أنه يكون خارجها ، لأن المتهم لم يكن لديه من الوقت مايكفى للعودة اليها بعد الحادث كما هو ظاهر من الوقائع المتقدمة ، وبطبيعة الحال أرجأت التفتيش الى الصباح ، لأن البحث عن السلاح فى وسط المزارع والغيطان ليلا ضرب من العبث ، فوضعت الحرس الكافى حول تلك المزارع لكى لايقربها أحد .

ولما طلع النهار خرجت لاجراء البحث والتفتيش وبصحبتى المتهم كعادتى عند كل تفتيش

لعلى استفيد مما قد يبدو عليه من التأثيرات النفسية حال اجراء البحث ، اذ كان يساعدنى أحيانا فى الوصول الى غايتى ، ولكنى بمجرد أن خرجت من القرية وقفت برهة حائرا لانى وجدت أمامى ميدانا للتفتيش متسع الارجاء مترامى الاطراف . وانى لى أن أهتدى الى المكان الذى خبأ المتهم سلاحه فيه ، وأن التفتيش فى الخلاء يتطلب عناء شديدا ومجهودا عظيما قد يستغرق كل نهارى ولا أصل الى نتيجة ما ، وبينما أنا مسترسل فى أفكارى وحيرتى ، اذ تذكرت فى الحال بعض تجارب العلامة منستربرج بشأن ضربات القلب وتأثير الانفعالات النفسانية فيها ، فوضعت يدى على المتهم، وبينما كنت ممسكا بمعصمه وضعت ابهامى خلسة على الشريان الكعبرى (وهو الذى يجس منه الاطباء عادة) بعد أن تملكت موضع النبض منه جيدا وأصبحت دقات قلبه تحت اشرافى ومراقبتى ألقيت عليه عدة أسئلة متتابعة بشأن محل اخفاء السلاح ، وعددت الامكنة التى يحتمل أن يكون أخفاه فيها ، فذكرت له بعض المزارع ثم ساقيته الخاصة ثم الترعة فالقناة فالمصرف وهكذا ، فلاحظت أن النبض عند ذكر المصرف كان يشتد ويسرع كثيرا ، واذا ما حولت الكلام عنه الى أماكن أخرى كان النبض يهدأ ويكاد يعود الى حالته الطبيعية ، وهكذا كلما ذكرت له المصرف يعود النبض فيقوى ويسرع ، وكان أثر الانفعال محسوسا لدرجة أثارت دهشتى ، وكانت دقات قلبه قوية واضحة حتى خيل الى انى أسمعها من صدره ، فترجح لدى أن المتهم القى سلاحه فى ذلك المصرف ولكنه مصرف عميق متسع العرض ممتد الطول والبحث فيه شاق ، فضلا عن أنه يستلزم مهارة فى الغوص . ففى أى مكان منه ألقى المتهم سلاحه ؟ — ان هذه لمعضلة ثانية . ولكن بعد أن قدحت زناد الفكر قليلا أمكننى تعيين ذلك المكان وتحديده بوجه التقريب ، والفضل فى هذا راجع الى العصا التى كانت بيد المتهم ، فهى التى أشارت لى ودلتنى الى موضعه . وتفسير ذلك أن للمتهم ساقية خاصة على مقربة من المصرف وقد اعتاد أن يترك عصاه فيها حينما كان يحمل بندقيته فى أثناء الحراسة كما علمت ذلك اتفاقا من التحقيق ، فالعصا كانت اذن عند ساقيته وقت ارتكابه الجريمة ، ولم تكن معه بطبيعة الحال لانه كان يحمل سلاحه ، وبعد ان اطلق العيار فر هاربا نحو الساقية وتناول عصاه منها ، كما هو ظاهر من وجودها معه عند ضبطه . ولما كانت الساقية ملكه الخاص فهو لا يخاطر بالقاء سلاحه فيها ، وأنما أول شيء يتبادر الى ذهنه هو المصرف لقربه وصعوبة انتشال

البندقية منه نظرا لعمقه ، ولما كان الجانى شديد الرغبة عادة فى التخلص من سلاحه باسرع ما يمكن فان أقرب مكان من المصرف اليه فى الواقع اتجاه الساقية هو المكان الذى يتبادر الى الذهن أنه ألقى سلاحه فيه، حتى يصبح حرا طليقا من الدليل الخطير الذى يحمله بين يديه ، وعلى أثر مرور هذه الخواطر ملت الى مأمور المركز وعينت له المكان الذى يجب البحث فيه أولا ، ولكن المتهم عند ما رأى الرجال المكلفين هذا البحث متجهين نحو ذلك المكان بدت على وجهه دلائل الارتباك والحيرة وشحب لونه وجف لعابه ، ولكى يدارى اضطرابه وقتئذ ويظهر عدم اكتراثه بما يجرى حوله أخذ يولى وجهه شطر موضع آخر ويحوله عن مكان البحث من المصرف ، ولكن بالرغم من كونه أدار وجهه فان كرتى عينيه كانتا لاتزالان فى اتجاه نفس ذلك المكان ، فازداد اعتقادى بوجود السلاح فيه وقوى أملى فى الحصول عليه ، وبالفعل لم تمض خمس دقائق فى البحث حتى انتشلت البندقية من قاع المصرف .

ان هذه المشاهدة البسيطة أثارت اهتمامى بعلم النفس التجاربى وزادتنى ايمانا بجليل قدره ويقينا بجزيل نفعه حيث رأيتنى أجنى ثمار تجربة من أسهل التجارب بغير الاستعانة بأية آلة أو جهاز خاص ، فلم أشأ أن أتركها تمر بدون أن يكون لها أثر رسمى ثابت ، فسجلتها فى محضرى الذى أخذت به محكمة الجنايات فيما بعد واعتمدت عليه فى ادانة المتهم ، وكنت من ذلك الحين أجد لذة مضاعفة وشوقا عظيما فى مطالعة ما كتبه علماء النفس فى هذا الصدد وتطبيق ما أقف عليه من المعلومات فى الحياة العلمية .

ومما تقدم نرى كيف كان البحث عن سلاح المتهم فى ميدان مخيلته أسهل منالا وأقل عناء من البحث عنه فى ميدان الطبيعة الفسيح المتعدد الامكنة المتشعب الأرجاء .

فالتجارب النفسية قد تؤدى على تفاهتها وسهولة تناولها أجل الخدم للمحقق وأعظمها فائدة اذا عرف كيف يستخدمها وينتفع بها . ومن ذا الذى ينكر على علم النفس فضله على القانون وشدة حاجة رجال القضاء اليه فهو للمحقق كنبراس يضىء له ظلمة الحوادث ؟ فيستعين به فى أشدها غموضا على استجلاء غامضها ، كما أنه يكون له منه أداة ماضية يستخدمها فى هتك ما اسدل على بعض الجرائم من الاستار والحجب الكثيفة ، وبه يستعين القاضى على فهم عقلية كل متهم أو شاهد وفهم كثير

من الأمور والمعضلات التي يشكل على الكثيرين منا فهمها أو تعليلها تعليلا صحيحا ، فيكون له خير ضمان من الوقوع فى الخطأ أو الزلل ، وبه يستطيع أن يقدر العقاب المناسب لكل مجرم تقديرا صحيحا ، ويختار له أكثر أنواع العقاب ملاءمة لعقليته ، كما أن القاضى الفطن قد يستطيع به أن ينفذ الى خاطر الشخص فان كان شاهدا يتبين مواضع الصدق والكذب من شهادته ، أو كان متهما يقرأ ماسطرته يد الحوادث على صحيفة ضميره ويعلم منها ان كان مجرما حقا فيدينه ويتبين مبلغ تأصل الاجرام من نفسه أو بريئا فيقضى ببراءته .

وهو للمحامى أكبر عون على فهم حقيقة موقف موكله ودراسة عقليته بل وعقلية القضاة الذين يتولون محاكمته ، فيسهل عليه التفاهم معهم ومخاطبتهم بالأساليب والعبارات التى يسهل اقناعهم بها والتى يستطيع بها أن يبث الى أفهامهم كل مايجول فى خاطره من آراء ، مع مايعززها من الأدلة والبراهين ، وأن يبسط لهم بأسلوب شائق سهل الفهم عليهم كل مايحيط بموكله من الشئون والظروف والأسباب الموجبة لتخفيف العقاب عنه أو اعفائه منه اصالة .

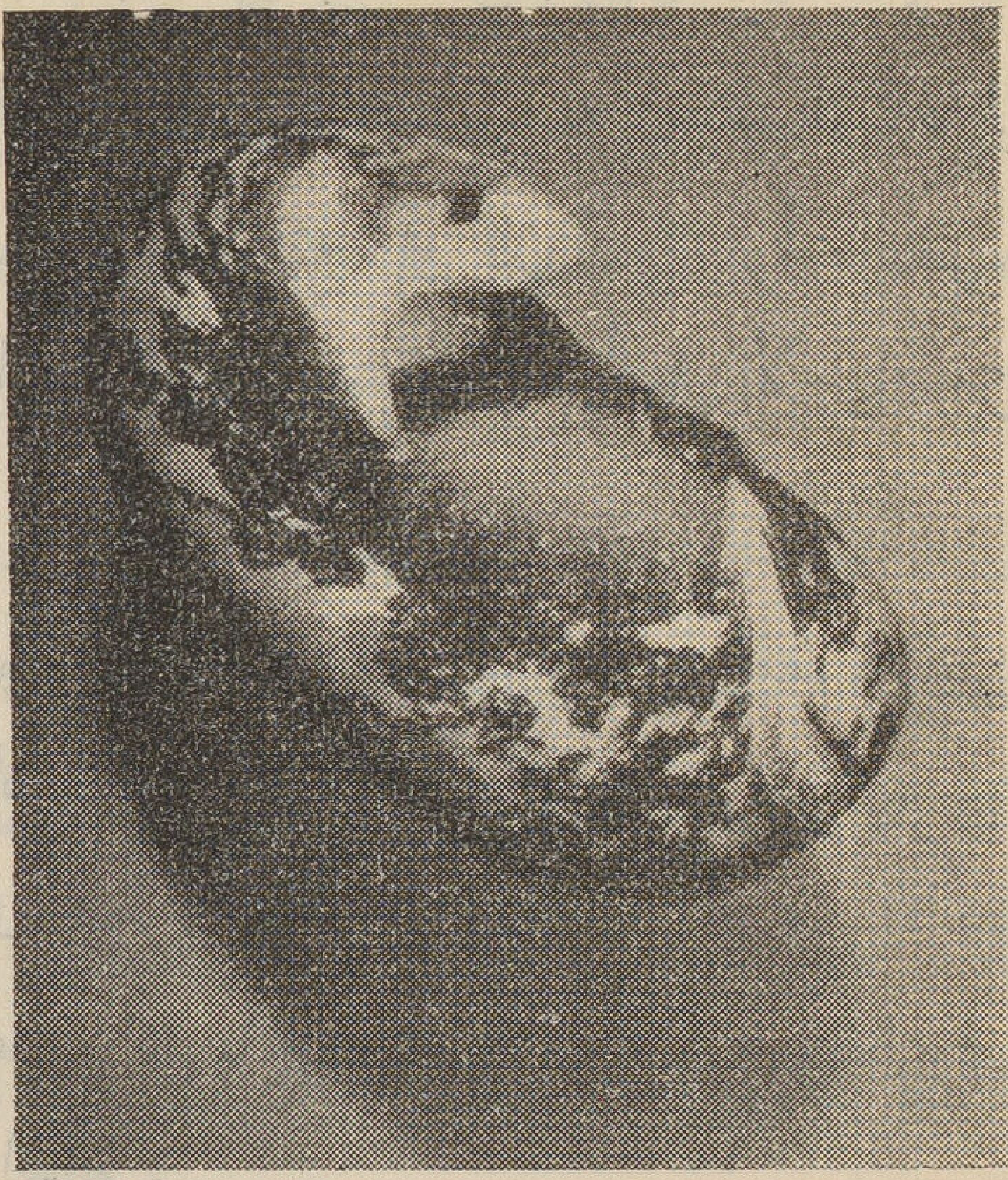
فعلم النفس فى الواقع علم جليل القدر يحتاج اليه القاضى والمحقق والمحامى والطبيب والمربى والمعلم والسياسى والاقتصادى والموسيقى والمصور والشاعر والممثل والروائى والمؤرخ والحفار والنقاش حتى التاجر والصانع ، ويمكن اجمال مزاياه فى أوجز عبارة « بأنه لغة العقول » ، اذ به يمكننا أن نتخاطب ونتفاهم وبه يمكننا أن ندرسها ونقرأ ما فيها ونقف منها على دخائلها وماتكنه من أسرار ، ونشخص أدواءها وما بها من علل أو شذوذ ، ونضع لها العلاج الذى يلائمها ويساعد على شفائها وتقويمها .

---

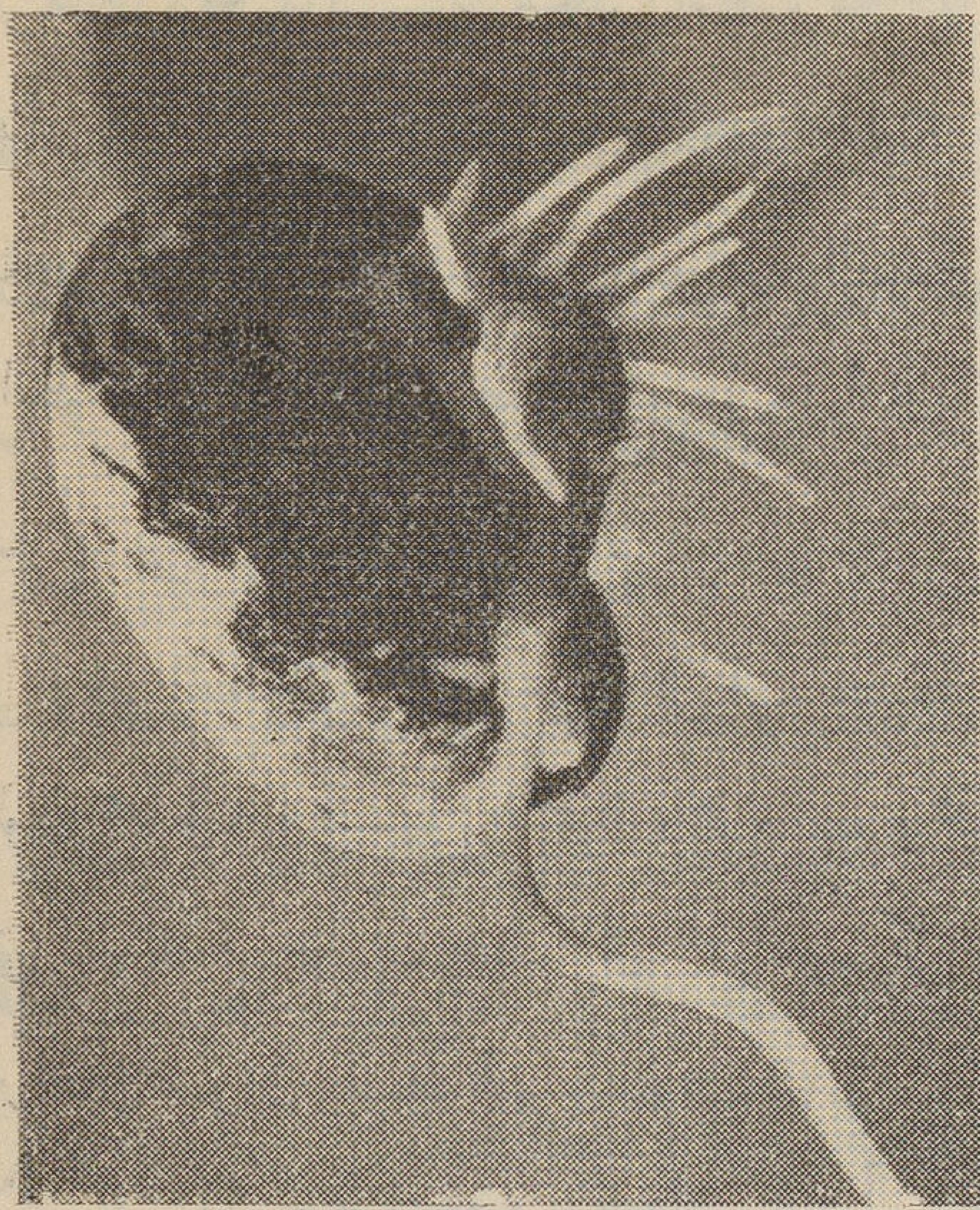
١٠٠ مليون جنيه للتجمل

ينفق الامريكيون على التجمل مائة مليون جنيه . منها ٦٠ مليونا هى ثمن المعاجين والمساحيق والطيوب والزيوت التى يراد بها التجمل وتشتريها النساء للاستعمال فى المنازل . ومنها ٤٠ مليونا تنفقها السيدات أيضا على حوانيت التزيين . وهذا المقدار الضخم من النقود قد يعد مالا ضائعا فى العبث والزهو . وهو كذلك ولكن الحضارة التى يصنع أبناؤها الاحذية ويكدسونها فى الوقت الذى لايجد فيه الفقراء حاجتهم منها لا يسعها ان تعارض فى استهلاك مائة مليون جنيه فى العبث والزهو . ذلك لان كل معضلتها تنحصر فى الاستهلاك . فما دام هناك زهو يستهلك مائة مليون جنيه فهو عمل يفرج عن العاطلين ويقدم لهم عملا أو حتى عبثا يعيشون منه !!

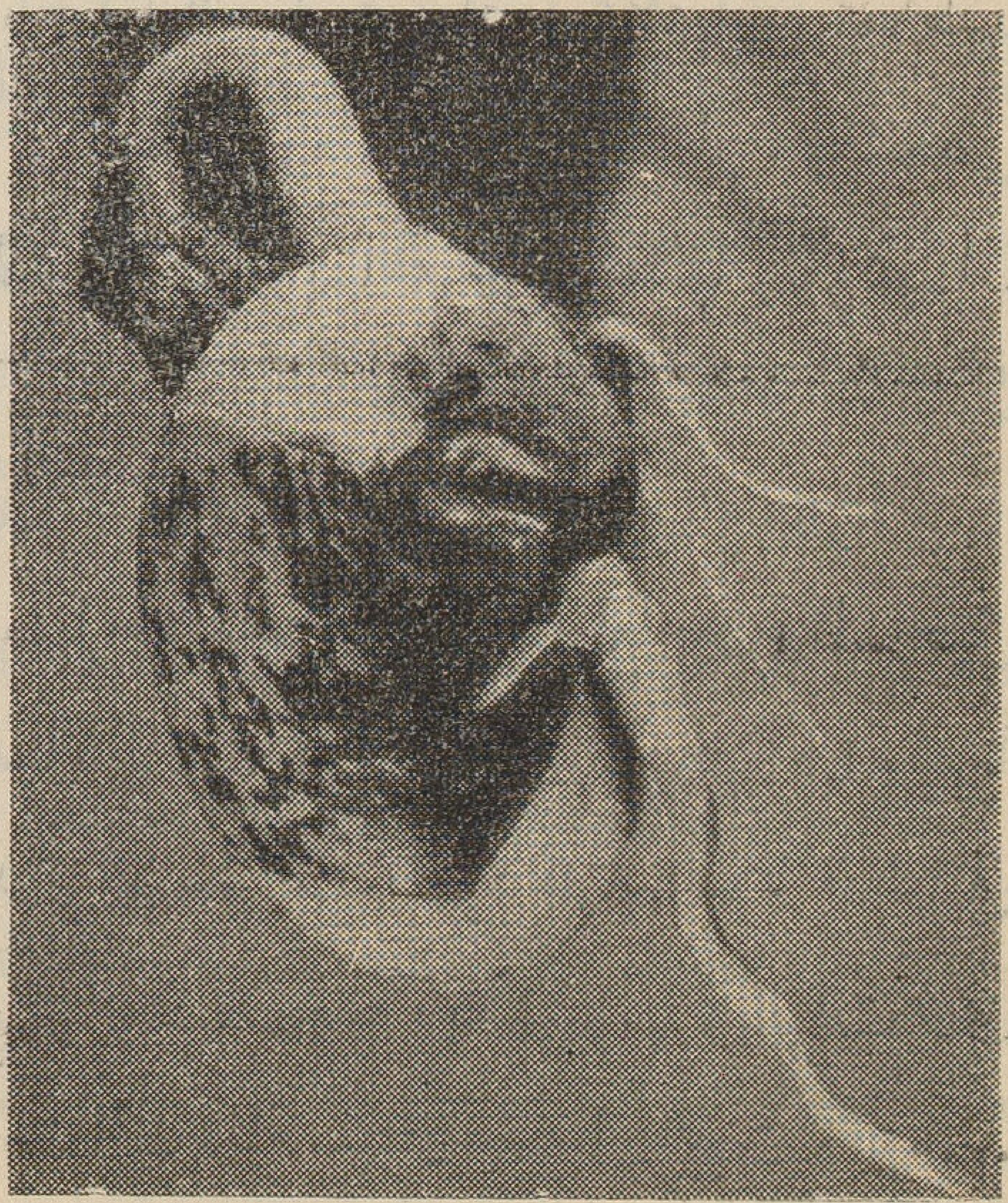
حبة الفول تنبت



أول ماتنبت تكسر القشرة ويخرج الجذر الصغير كأنه ذنب الخنزير



بعد أيام قليلة يتجه الجذر الى اسفل



ظهرت الساق فى اعلى



السـاق تنحنى وتظهر الاوراق الأولى فى طرفه

تقدم العلوم والفنون

حفائر الجامعة بتونة الجبل

يدير الدكتور سامى جبره الاستاذ بكلية الاداب حفائر جامعة فؤاد الاول فى منطقة هرمو بوليس المعروفة (بتونة الجبل) بقرب مركز ملوى فى مديرية اسيوط وقد وفق فى السنوات الثلاث الماضية الى كشف انفاق تحت الارض طويلة الامتداد تحتوى على جثث محنطة لطيور (ايبيس) المعروفة باسم (ابو منجل) وعلى جثث محنطة لقرود كانت تعبد فى العصور المتأخرة من التاريخ المصرى القديم وفى عهد البطالسة

وقد علمنا أن بعثة الدكتور سامى جبره وفقت أخيرا الى كشف خطير يعتبر من الوجهة العلمية من أهم الكشوف الاثرية التى عثر عليها للآن

وفيما يلى بيانات خاصة بهذا الكشف

وفق الدكتور سامى جبره فى الشهر الماضى الى كشف قادوس مغلق بسدادة من طين ومكسور من أحد جوانبه وفيه ملف كامل من ورق البردى مكتوب بالخط الديموطيقى ويرجح انه كتب فى عصر البطالسة ويبلغ طوله نحو متر وربع وهو مكتوب من وجهيه

وقد حمل الدكتور جبره هذا الملف فى قادوسه الى متحف الجامعة ولحسن الحظ ان فى الجامعة الآن عالما مصريا نابها فى قراءة النصوص الديموطيقية فاطلع على نصوص الملف اطلاعا مبدئيا وأسفر بحثه الاولى عن النتائج التالية :

ووجد على أحد وجهى هذا الملف نصوص القانون المدنى المصرى الخاصة بتحديد علاقات

اصحاب الاراضى مع المستأجرين وبطرق دفع الايجار بينهم وبتحديد التزامات المستأجر قبل المؤجر وقد سماها كاتب الملف بعقد (الملكية العقارية الثابتة)

ثم حدد فى نص اخر ملكية أصحاب الاراضى المقامة عليها مبان والتزاماتهم نحو الادارة الحكومية وسمى هذه الملكية (بالملكية العقارية غير الثابتة) نظرا لتغير حجوم البناء واشكاله وتناسب الضريبة المقررة عليه مع هذه الحجوم والاشكال

ثم نص اخر يدل على طريقة تأدية الشهادة أمام المحاكم ومسئولية مؤديها وما يترتب عليها من الالتزامات

والمرجح ان تكون نصوص مواد هذا القانون قد اقتطعها كاتب الملف من القانون المدنى المصرى الكامل الذي وضع فى عهد الملك (بوخور) فى العصر الصاوى الذى كانت فيه الاسرتان الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون والذى تحدث عنه المؤرخون اليونان كثيرا ولم تصل الينا نصوصه كاملة للان ولكننا نعلم أنه أصل التشريع فى العالم كله . ومن هنا جاءت أهمية كشف هذا الملف الذى سيضىء الجانب التشريعى فى المدنية المصرية القديمة

وعلى الوجه الثانى من الملف سجل الكاتب بعض رسوم هندسية لطريقة مسح الاراضى ومعرفة مساحتها بواسطة رسوم هندسية فوجدت مستطيلات داخلها مربعات ووجدت مثلثات داخلها دوائر وكلها تسجل مقاييس الاضلاع لحدود الاراضى وقد كتبت الى جوانبها أرقام حسابية تدل على أطوالها ونسبها

وقد عثر على هذا الملف فى داخل أحد الكهوف التى كانت تستعمل كدار محفوظات الموتى (أرشيف) تحت الارض الى عمق بعيد فى مدخل المنطقة المصرية القديمة المخصصة لعبادة الطائر (ايبس) الذى يمثل الاله (تحوت) اله الحكمة والعلم الذى كان يعبد فى منطقة الاشمونين (هرموبوليس) فى العصور المتأخرة فى تاريخ مصر

وفيما يختص بالطائر (ايبيس) الذى يمثل اله الحكمة والعقل ذكرت بعض النصوص القديمة ورددها المؤرخ اليونانى المشهور (هربولو) ان المصريين قدسوا هذا الطائر لتماثل شكله حينما يطوى رقبته ومنقاره مع شكل القلب الانسانى الذى يمثل الحكمة والعقل الذى يدبر العالم كله

وقد عثر الدكتور جبره فى دار المحفوظات هذه على قواديس أخرى بها تماثيل كثيرة بينها تمثال بديع الصنع للطائر « ايبيس » مصنوع من حجر المرمر الاصفر النادر وقد صنعت رقبته ومنقاره وذيله من البرونز اللامع

ويحقق شكله المصنوع على شكل قلب إنسانى تماما فكرة قدماء المصريين فى تقديس وعبادة هذا الطائر فيكون كشف هذا التمثال ايضا خطوة جديدة فى التدليل على نظرية التقديس عند المصريين وتحميل كل فلسفتهم نظرية الرمزية المعنوية

وبين ما عثر عليه الدكتور جبره ايضا تمثال من البرونز يبلغ حد الدقة والاناقة فى الصنع للاله « اوزيريس » إله الموت وقد وقف أمامه كاهن مصرى يحرق البخور بين يديه تعبداً والتماسا للبركة وقد ظهرت نسبة حجم الكاهن للاله بصورة واضحة تدل على مراعاة نسبة المقاييس فى صناعة التماثيل فى مصر القديمة

ويوالى الدكتور سامى جبره الآن البحث عن المنطقة المصرية القديمة فى مقابر « تونة الجبل » ويرجع عهدها الى الدولة الحديثة والدولة الوسطى التى بدأ فيها عمران منطقة مصر الوسطى وكانت العاصمة فيها مدينة « الأشمونين » وقد بلغت من المدنية حداً جعل البطالسة يعودون اليها مرة أخرى كعاصمة للقطر فى اوقات متفرقة

البواسير

لاشك فى ان الكثيرين يعانون متاعب جمة من ويلات هذا الداء ، ولكن قل منهم من يعرف اصله ومنشأه . ولذا رأيت أن اعطي القارىء فكرة عن هذا المرض الواسع الانتشار ليتسنى له وقاية نفسه منه

تمهيد : من بديع صنع الله ان خصص لكل عضو من الجسم شريانا ينقل اليه الدم النقى ليغذيه ، ووريدا يحمل منه الدم الفاسد فيرسله الى القلب لينقيه . وتختلف جدر هذه الاوعية — من حيث متانتها — تبعا لمهمتها ، فجدار الوريد اضعف من الشريان واقل احتمالا للضغط منه ، فاذا حال عائق

دون سير الدم فى مجراه الى القلب ، احتبس الدم فى العضو الذى يحتقن تبعـا لذلك وينتج عن هذا الاحتقان ازدياد الضغط على جدر الاوردة فتنتفخ وتتدلى ليتسنى لها احتواء هذه الكمية الاضافية من الدم

والشرج والمستقيم (الجزء الاخير من الامعـاء الغليظة) كباقى اجزاء الجسم لها من هذه الاوردة ، بل تمتـاز بأن نظام توزيع الاوعية فيها يسهل هذا الانتفاخ والتدلى مما ينشأ عنه المرض المسمى « البواسير »

انواعها : مما تقدم يتبين للقارىء ان البواسير ما هى الا أوردة محتقنـة متدلية من المستقيم والشرج وهى نوعان :

١ — داخلية — وتكون مغطاة بالغشاء المخاطى للمستقيم

٢ — خارجية — وتكون مكسوة بالجلد المبطن للشرج

ويختلف حجم الباسور ، فقد يـكون صغيرا لا يظهر الا بالفحص الطبي ، أو كبيرا يتدلى من الشرج عند التبرز ويحسها المريض

اسبابها — تنشأ البواسير عادة من :

١ — الامساك المزمن مع تجمع الفضلات فى المستقيم

٢ — الاجهاد (الحزق) فى اثناء التبرز أو التبول او السعال

٣ — كثرة استعمال المسهلات ولا سيما العقاقير القوية كالحنظل والسلامكى وغيرها

٤ — الوقوف الطويل مع ضعف وراثى فى جدر الاوعية

٥ — الافراط فى تعاطى المشروبات الكحولية

٦ — تكرر الحمل والولادة ، حيث يصحب الوضع اجهاد شديد

على أن هناك اسبابا اخرى أقل اهمية من هذه واندر حدوثا اذكر منها :

١ — امراض موضعية كالتهاب المستقيم والقولون وسرطاناتها وكتضخم البروستاتا فى الشيوخ

٢ — تليف الـكبد كنتيجة لـكثرة تعاطى الخمور او الاصابة بديدان البلهارسيا

اعراضها : اولى علامات البواسير هى ظهور دم مع البراز ، ولا يلبث المريض طويلا حتى يشعر

باستثقال فى الشرج ، واكلان حول فتحته مع انسكاب افرازات مخاطية . فاذا ما تضخمت البواسير وتدلت من فتحة الشرج أمكن للمريض ان يحسها . ويحدث الالم عقب التبرز عادة نظرا لاختناق البواسير بعضلات الشرج القابضة ، كما قد يدل الالم على حدوث تجلط بالدم الذى يملأ الباسور أو التهاب به

علاجها — يختلف تبعا لحجم البواسير وحالتها ، وينقسم الى :

١ — علاج وقتى مسكن — ويفيد فى الحالات الحديثة الظهور والتى تعقب الولادة أو فى البواسير التى يحدث بها التهاب أو اختناق ويتلخص فيما يأتى :

ا — اعطاء المريض اكلا خفيفا — حتى لا تتجمع منه فضلات كثيرة — مع الاكثار من السوائل والفواكه

ب — منع تعاطى المسهلات القوية ، والاكتفاء بتناول البارافين (ملعقة او فنجان قهوة عند النوم) لتنظيم التبرز

حـ — استعمال المراهم او الاقماع (اللبوس) المحتوية على مادة الادرنالين والهماميلس لتساعد على ضمور الباسور

د — حمامات المقعد الساخنة ولاسيما فى الحالات المختنقة او الملتهبة

٢ — علاج بالحقن — ويفيد فى الحالات المبكرة التى لم يحدث بها التهابات ، ويتلخص فى حقن قاعدة الباسور بمحلول الفنيك القوى فى زيت اللوز (٥ فى المائة)

٣ — علاج جراحى — وهو انجع الجراحات ، ويتلخص فى ازالة البواسير بالعمليات الجراحية

فاذا شعرت ايها القارىء باعراض البواسير فلا تتوان فى استشارة طبيبك واتباع ما ينصحك به ، واذا اشار عليك باجراء عملية جراحية لاستئصالها فلا تتردد فى ذلك وتوكل على الله ، فان العملية سهلة ميسورة ونتائجها مضمونة واعلم ان فى ذلك حفظا لصحتك ، وحقنا لدمك الذى ينزف تدريجيا ويسبب لك ضعفا وهزالا

محمد لطفى بيومى

العبرانيون

أين كانت الطريق التى سار فيها بنو اسرائيل عندما خرجوا من مصر

هذا السؤال قد عالجه كثيرون ومن هؤلاء جارفيس بك المحافظ السابق لمحافظة العريش وسيناء فانه يقول ان العبرانيين اتخذوا طريق الشمال لجزيرة سيناء بحذاء البحر . وان البحر الذى عبروه هو بحيرة البردويل والطريق عند البحر سهلة ليس فيها صخور ، أما طريق الجنوب فحافلة بالصخور . ويؤيد رأيه بان اليهود قضوا سنين كثيرة فى سيناء وهو يستنتج من ذلك انهم كانوا يزرعونها والقسم الشمالى يزرع ويصيبه الغيث من وقت لآخر . أما القسم الجنوبى فلا يزرع

ولكن قبل أسابيع ظهر كتاب جديد للمستر لوكاس عن هذا الموضوع وهو يزعم ان بنى اسرائيل ساروا فى الطريق التى يسير منها الحجاج المسلمون فى وقتنا الحاضر عندما يتخذون الطريق البرى الى مكة . وهذه الطريق فى جنوبى سينا تبدأ عند السويس وتنتهى عند العقبة . وعنده ان البحر الذى عبروه هو بحيرة التمساح جنوبى الاسماعيلية

ولا يزال الموضوع قيد الرجم

الغناء

لاحظنا فى مقال سابق ان غناءنا هو تثاؤب منغم ، أو بكاء ملحن ، فان الاثير المصرى يحمل كل يوم بل كل ساعة تموجات التثاؤب والبكاء على ايقاع الموسيقا . هذا من حيث الصوت . اما من حيث المعنى فانه لا يخرج عن الغرام وحرقة العشق والبعد (وهو هنا البعاد) وما إلى ذلك

وعندما نقارن بين أغانى الريفيين والسامر الذى ينعقد حول الرباب وبين أغانى القاهرة نجد الفرق واضحا وهو لا يشرف سكان القاهرة . فان العازف على الرباب لا يزال يذكر قصة أبى زيد الهلالى سلامة والزناتى خليفة وما كان لكل منهما من بطولة وشجاعة . وذلك كله فى خيال يستثير النفس ويبعث على الاقدام على ما فيه من مبالغات . فالعازف على الرباب يوحى الينا الشجاعة . وجماعة المغنين والعازفين فى محطة الاذاعة يوحون الينا الغرام وحرقته . فايهما أشرف ؟

ونحن نتأثر بالايقاع الموسيقى . وهو يوحى الينا . فاى أيحاء نريده لشباننا وبناتنا وسيداتنا ورجالنا هل الغرام أم الشجاعة ؟

الادب

اذا كان انتشار المجلات برهان الاقبال على مادتها فمن الحق أن نقول أن للادب هواة كثيرين . فقد ظهرت أو بعثت مجلة العصور بعد أن رقدت ثمانى سنوات . وهذه المجلة كان يحررها الاستاذ اسماعيل مظهر وكانت تعنى بالعلوم أكثر مما كانت تعنى بالآداب

ولكنها بعثت قبل نحو أسبوعين على يد الاستاذ محمود محمد شاكر وهى أميل إلى الادب منها إلى العلم . وأدبها من الطراز العالى الذى لا ينزل إلى التسلية أو التهريج . ونخشى أن يكون رفعها هذا داعيا إلى شىء من قلة الرواج . والاستاذ م . م . شاكر معروف فى الاوساط الادبية بتعمقه فى الادب العربى ودراسته الفذة للمتنبي . وقد أخرجت مطبعة المقتطف هذا الكتاب فكان كشفا فى الادب العربى عن حياة هذا الشاعر العظيم

فاذا أضفنا إلى مجلة العصور تلك المجلة الأخرى التى تزمع لجنة التأليف والترجمة والنشر إخراجها وهى مجلة الثقافة فانه يجوز لنا أن نقول أن الادب العربى فى نهضة وأنه يجد الاقبال الذى يستحق

عقل العالم

تحت هذا العنوان وضع الكاتب الانجليزى المعروف ه . ج . ولز كتيبا يدعو فيه الى أن تتفق جميع الامم على تأليف موسوعة أى دائرة معارف يقوم بتأليفها علماء العالم من كل قطر . ثم تترجم هذه الموسوعة الى جميع اللغات الحية . فتكون بمثابة العقل الذى يفكر فيه أفراد الجماهير من جميع الامم . وهو يزعم انهم عندما يشتركون فى ثقافة عامة واحدة فانهم ينزلون على آراء مشتركة فى السياسة والاجتماع فلا يكون هناك مجال للخلاف الذى يبعث على الحرب . أى أن المعارف الانسانية يجب أن تعبأ لخدمة الثقافة البشرية . وهو يقول « ان هذه الموسوعة تغدو وكأنها السند الذهنى الذى يستند اليه كل رجل ذكى فى العالم . وستكون حية لا تنقطع عن النمو أو التغير بالمراجعة والتنقيح . .

ويجب أن يتصل كل عقل جديد بالهيئة المنظمة لتحريرها »

وعنده ان مثل هذه الموسوعة يجب ان تطبع على مبدأ الورق السايب حتى يمكن تجديدها فى كل وقت أى يمكن أن تنزع ورقة وتوضع أخرى مكانها . فلا يعـاد طبع الموسوعة كلها بل تجدد صفحاتها من وقت لآخر . والفكرة خيال جميل شريف ولكنه قد يتحقق يوما ما

الامراض فى انجلترا

جاءت «فى نيوز كرونيكل» هذه الاحصائية الهامة

كان مجموع الوفيات فى انكلترا فى العام الماضى ٤٩٥ر٧٦٤

وفى كل الف وفاة يذهب:

٣١١ ضحية امراض القلب :

١٣٤ ضحية السرطان

١٠٢ ضحية النزلة الشعبية او التهاب الرئة او غيرهما من الامراض المتعلقة بالتنفس

٥٧ ضحية السل

كما أنه يستدل ايضا من الاحصاءات ان بعض الامراض آخذ فى الزوال

فقد توفى عام ١٨٣٧ ٥٥٨٤ بسبب مرض الاستسقـاء بينما انجلترا لا تعرف اليوم هذا المرض

وتوفى عام ١٨٣٧ ٥٨١١ بسبب الجدرى بينما لم يمت أحد بالجدرى فى العام الماضى كله

وقد انخفض ايضا معـدل الوفيات بسبب السل على انواعه وأشكاله انخفاضا عظيما فقد كانت نسبة المسلولين فى المليون فى بداية هذا القرن ١٧٣٩ فى المليون فاصبحت فى العام الماضى ٦٥٧ فى المليون

وكذلك انخفض معدل الوفيات من الحمى التيفوئيديه والبارتيفوئيدية من ١١٣ فى المليون عام ١٩٠١ الى ٣ر٣ فى المليون فى العام الماضى

اما ضحايا السرطان ففى ازدياد مخيف يبعث على التشاؤم فقد كان معدل الوفيات بالسرطان عام

١٩٠١ حوالى ٤٨٩ فى المليون فارتفعت النسبة الى ١٠١٠ فى المليون وكذلك ارتفعت فى مرض البول السكرى «الديابيطس» من ٨٨ الى ١٠٨ فى المليون وعلى كل حال فقد اثمرت الطرق الصحية التى تتبعها انكلترا فى تخفيض معدل الوفيات الناجم عن جميع الامراض انخفاضا محسوسا من ١٣ر٢ فى الالف عام ١٩١٠ الى ٩ر٢ فى الالاف فى العام الماضى

اسماعيل

بملاءمة ازاحة الستار عن تمثال المغفور له الخديو اسماعيل نشر قلينى فهمى باشا رسالة حوت بعض الذكريات عن هذا العاهل العظيم فكان مما ذكره أن اسماعيل :

١ — ارسل بعوثا متعددة من الطلبة إلى أوربا

٢ — كان أول من سن تعليم البنات بالمدارس،

٣ — هو الذى أنشأ جسر قصر النيل «كبرى الخديو اسماعيل»

٤ — هو الذى شق طريق الهرم وشيد دار الاوبرا

٥ — أوجد حديقة الازبكية بالقاهرة وحديقة النزهة بالاسكندرية

٦ — أنشأ مجلس النواب الاول لمصر

٧ — جعل مصر مستقلة استقلالا داخليا من السلطة العثمانية

٨ — وصلت الجيوش المصرية فى عصره الى بحيرة فيكتوريا والحبشة

٩ — عمم الزى الاوربى بين موظفى الحكومة

١٠ — سكب النقود المصرية فى عهده باسم مصر بدلا من اسم تركيا

هذا هو بعض ما ذكره قلينى باشا غير ذكرياته الخاصة عنه

أخبار اجتماعية

الريف

الانجليز اكثر الامم تعلقا بالريف ورغبة فى زيارته والتمتع بمناظره . وربما كان السبب لذلك تغلغل الحركة الصناعية فى وسطهم وتفشى المصانع وما تبعث من ضجيج ودخان فى سماء المدن . فان الذى يعيش فى هذا الوسط يشتاق الى نسيم الريف وخضرته وسكينته . ويوم الاحد فى انجلترا هو يوم النزوح من المدن الى الريف

وقد عنى الجمهور فى انجلترا بالريف عناية كبيرة . فأقام حركة كبيرة لمنع اقامة الاعلانات الصارخة على المناظر الريفية الجميلة لانها تشوهها أو تنقص من جمالها . وفى مجلس العموم الان مشروع قانون يقصد منه الى اباحة التجوال والتنزه فى كل ارض ريفية تكون غير مزروعة . أى ان المالك هذه الارض لا يمكنه ان يمنع الجمهور من الدخول فيها والتمتع باعشابها النضرة . والارض التى لا تزرع فى انجلترا تكتسى عادة بالاعشاب البرية الخضراء لأن الامطار تواليها وتبعث فيها الحياة أى أنها لا تكون أبدا قاحلة كما هى الحال عندما نهمل زراعة الارض عاما

ويبدو من أقوال الصحف ان هذا المشروع سيصير قانونا فى اقرب وقت

سجن فرسين

أنشأت الحكومة الفرنسية سجنا جديدا على النظام الحديث فى فرسين جاء فى وصفه ما يلى :

لكل سجين حجرة صغيرة يستقل بها وهى على غاية النظافة وفيها كل وسائل التدفئة وتجديد الهواء . ويشغل السجناء بصناعات مفيدة لا تتقزز النفس منها ولا تفتك بالقوى . وقد أدركوا ان

مثل هذه الاعمال هى ادعى ما يكون الى تهذيب اخلاق المجرمين

وللسجناء كل يوم ساعة فراغ يستنشقون فيها الهواء الطلق ضمن دائرة السجن . ولدى كل سجين ما يلزمه للاغتسال يوميا وفى كل سجن مكتبة فيها الكثير من الروايات والمجلات والكتب العلمية والصناعية يتمتع السجناء بمطالعتها كل يوم أحد . والغيت العقوبات البدنية الغاء تاماً . وليس لاحد من الحراس ان يرفع يده على سجين لاى سبب من الاسباب . ويكتفى لتأديب المذنبين بحرمانهم من النزهة ومكاتبة أقاربهم

ومرتكب الذنب الكبير يحكم عليه بالسجن فى حجرة ضيقة مظلمة ، او بارساله الى مكان التأديب حيث العقاب شديد ولكنه لا يتعدى دائرة المعقول المحمول ، وحيث يقيم السجين أياما معدودة تختلف فى كثرتها وقلتها باختلاف ذنبه . وعلى طبيب السجن مراقبة هؤلاء المذنبين مرتين فى الاسبوع على الاقل ولكل سجين الحق فى الشكوى الى مدير السجن مما يلحقه من الجور

اصلاحيات الاحداث فى ايطاليا

فى مصر اصلاحية للاحداث تابعة لمصلحة السجون يرسل اليها الغلمان والفتيات الذين تتعدد جرائمهم وتحكم المحكمة بارسالهم الى الاصلاحية ولا تنكر ان الاصلاحية المشار اليها جادة فى تهذيب الاحداث الذين تضمهم وفى تحويلهم الى اشخاص نافعين وقد دلت الحفلات التى اقيمت لهذه الاصلاحية فى الاسكندرية فى الصيف الماضى على هذه الحقيقة

وقد وقفنا اخيرا على ما تصنعه ايطاليا لامثال هؤلاء الاحداث فاحببنا ان نترجمه للقراء ليطلع عليه ولاة الامور المهتمون بمستقبل الطفولة المشردة فى مصر لعلهم يجدون فيه ما يحسن اقتباسه فى هذا الشأن الجليل

ادخلت ايطاليا فى سنة ١٩٣١ تعديلا على قانون العقوبات خاصا بجرائم الاحداث يقضى بانشاء محكمة مخصوصة لهؤلاء الاحداث وانشئت هذه المحكمة فعلا فى سنة ١٩٣٤ والفكرة فى انشائها مستمدة من مبدأ حديث اخذت به الحكومات وهو ان الحكومة لا يحسن بها ان تقتصر فى اهتمامها بالاحداث على مجرد إنزال العقاب بهم بل يجب عليها بالاولى ان تهتم بتربيتهم من جديد تربية

تعيدهم الى سلوك الطريق المستقيم وتحببهم فى العمل الشريف والامانة

واسفر عمل هذه المحكمة المخصوصة فى السنوات الاخيرة عن ملاحظات هامة للتوفيق بين هذا النظام وحقائق الحياة وفعلا ادخلت تعديلات ووضعت نصوص تستطيع المحكمة بمقتضاها ان تسير على المبدأ المشار اليه وخلاصة التعديلات هى اولا ان يكون قاضى محكمة الاحداث متخصصا تخصصا علميا كاملا فى شؤونهم ونفسيتهم وثانيا ان يتجه العقاب الى غاية اخيرة هى تهذيبهم وثالثا ان ينشأ نظام لوقاية الاحداث من ارتكاب الجرائم ورابعا ان يسهل لهم الرجوع الى الحياة الاجتماعية من دون ان يحاسبوا على « سوابقهم » او يوجه اليهم عذل لماضيهم

وشرعوا فى ايطاليا كذلك فى انشاء معهد خاص تابع للمراكز التهذيبية سموه « مركز الملاحظة » والغرض من مراكز الملاحظة هذه هو جمع الاحداث المتشردين وايواؤهم ممن لا يزيد اعمارهم على ١٨ سنة سواء كانوا مقبوضا عليهم بوساطة البوليس او انهم ينتظرون نظر قضايا مرفوعة عليهم . وفى هذه المراكز يفحصون عن كل غلام وكل فتاة فحصا علميا ويدونون كل شىء عن حقيقه شخصيته وتاريخه ويشيرون بالوسائل التى يرونها ناجعة فى اصلاحه وارجاعه الى طريق الاستقامة ولكى يكون العمل فى مراكز الملاحظة منتظما رأوا أن يجعلوها تابعة لوزارة الحقانية هى والمراكز التهذيبية

وخلاصة هذا النظام أن لا تكون الغاية الرئيسة من محاكمة الاحداث هو عقابهم بل اصلاحهم وتربيتهم وتهذيب أخلاقهم وفتح طريق حياة الجد والعمل أمامهم وهذا هو عين الغرض من التشريع المصرى ولكن الوسائل التى ابتكرتها ايطاليا لتحقيقه أوسع نطاقا ولعل الغلام المحكوم عليه هناك لا يشعر بانه محسوب فى نظر الدولة مجرما أو منبوذاً بل يحس بانه ابن من ابناء الدولة وانها مهتمة بتربيته ولعل هذا هو الذى يسعى اليه محافظ العاصمة ونعنى به سن تشريع يخول للدولة سلطة « الوالد » على الاطفال الذين ليس لهم والدون أو الذين يهملهم والدوهم ولا يهتمون أو لا يستطيعون تربيتهم . فان كان المحافظ ماضيا فى مسعاه فان فى الانظمة التى وضعتها ايطاليا ما هو جدير بالبحث والدرس لمعرفة ما يمكن الاخذ به منه

وعلى كل حال فان مسألة الطفولة المشردة عندنا يجب أن تنال من العناية فوق ما نالته الى الآن فان شؤون هذه الطفولة ما برحت متروكة لمساعى الافراد والهيئات الخيرية وليس عندنا تشريع جامع ينظم العناية بها تنظيما قانونيا ويجعل للحكومة اشرافا شاملا على أحوالها

قوانين الحرب

.... سرعان ماتنسى .... عندما تجد الامم المتمدنة انها أصبحت « غير رابحة »

« • »

منذ آلاف السنين اصر الانسان على ضرورة الحرب واعتبارها من الشرور التى لاغنى عنها فوضع لها القوانين التى يؤكد حالة السلم انها نافذة وقوية وسيعمل بها فى زمن الحرب !

ويقول المؤرخ اللاتينى ليفى أن القوانين ينبغى ان تكون واحدة فى وقت الحرب أو السلم ولكن شيشرون يقول بان القوانين فى زمن الحرب تفقد نفوذها وتصبح لاغية ولانفع منها على الاطلاق

ومن ١٦١٨ — ١٦٤٨؛ وحرب الثلاثين سنة تفتك بالمانيا فتكا

وكانت هذه الحروب الكامنة والمجاعات واعمال السلب هى التى اهابت بالعالم الهولاندى هوجو جرونس لان يضع اول نبذة هامة عن القوانين التى ينبغى اتباعها فى وقت الحرب

وقد اعتمد عليها اعضاء عدة مؤتمرات دولية وتوسعوا فى شرحها وزيادتها واهم هذه المؤتمرات هى :-

مؤتمر باريس عام ١٨٥٦

مؤتمر جنيف عام ١٨٦٤؛

« « عام ١٨٦٨

« سنت تبسبرج عام ١٨٦٨

« لهاى عام ١٨٩٩

« وشنطون عام ١٩٢١

عصبة الامم منذ تأسيسها لليوم

ومما يجمل ذكره أن شريعة مانو الهندية قد حرمت استخدام السموم فى الحروب منذ ٢٠٠٠ عام وكانت الدول المتحدثة تحرص على عدم استخدامها الى وقت قيام الحرب العالمية

وقد حرم مؤتمر وشطون عام ١٩٢٢؛ استخدام الغازات الخانقة فى الحروب واشتركت ٤١ دولة

عام ١٩٢٥ فى امضاء الوثيقة المشتركة لمقاومة الدول التى تخالف الاجماع وتستخدم الغازات الخانقة فى الحروب

الاسكندرية

سبق ان ذكرنا ان الاسكندرية كانت العاصمة الحقيقية لمصر أيام محمد على وعباس فانه كان يقضى السنوات المتوالية هناك ولذلك سبقت الاسكندرية القاهرة فى التنسيق الحديث واتخذت الشكل الاوربى أكثر من القاهرة

ويفكر بعض الانجليز فى نقل عاصمة الامبراطورية البريطانية من لندن الى أوتاوا فى كندا باعتبار انها أقرب الى مركز الامبراطورية من لندن . وقد نقلت عاصمة النمسا الى برلين . ونقل الاتحاد السوفيتى عاصمته من بتروجراد الى موسكو

فهل بعيد علينا أن نتخيل — خيالا فقط — عاصمة مصر فى الاسكندرية حيث النسيم المنعش وماه البحر الازرق ، وحيث الصيف يمكن أن يحيا فيه الانسان ويعمل ولا ينام نصف اليوم أو يأرق ثلاثة أرباع الليل ؟

قد لا يليق هذا الكلام او هذا الخيال ونحن نوشك أن نحتفل بمرور الف سنة على تأسيس القاهرة . ولكن أليس لنا أن نتخيل كما يتخيل سوانا . . .

الشنق

قدم أحد الاعضاء فى مجلس العموم البريطانى رغبة — وليس مشروعا — لالغاء الشنق مدة خمس سنوات على سبيل التجربة . فاذا مرت هذه السنوات الخمس ولم يزد فيها العدد المئوى لجرائم الاغتيال فان الالغاء يصبح دائما فى المستقبل . أما اذا دلت التجربة على أن المجرمين قد تجرأوا وأقبلوا على الجريمة فان الشنق يعاد

وقد وجدت هذه الرغبة أكثرية موافقة . ولذلك سوف تحول الى مشروع قانون قريبا

وعقوبات الاعدام بالشنق ليست كثيرة فى انجلترا وويلس . فقد بلغت ثمانى عقوبات سنة ١٩٣٥

وزادت الى تسع فى السنة التالية . وكانت فى العالم الماضى ثمانية فقط . وهــذا مع العلم بأن السكان يبلغون نحو ٣٥ مليونا (وليست اسكوتلاندا معدودة هنا)

وبكلمة أخرى نقول أن جرائم الاغتيال وعقوبات الاعدام عند الانجليز لا تبلغ نصف ما تبلغه عندنا ولا ثلثه مع اننا من حيث السكان لا نصل الى نصف عددهم

الايمان

نشرت مجلة فورم الامريكية استفتاء قام به الدكتور ادامز بين طوائف العلماء عن الايمان بالله. وقد وجد أن علماء الطبيعيات والكيمياء والرياضيات والفلك تميل كثرتهم الى الايمان . أما علماء السيكلوجية فتميل كثرتهم الى الالحاد . وقد استنتج من هذا ان المتصلين بالسيكلوجية يعرفون عن العقل أكثر مما يعرفه غيرهم من العلماء . وهم لذلك لا يؤمنون

ولكن رد عليه الدكتور براون فقال انه لا غبار على حقيقة الاستفتاء . ولكن الاستنتاج الصحيح ان علماء الرياضيات والطبيعيات والفلك يعالجون علوما قديمة راسخة قد ثبتت قواعدها وتحققت نظرياتها . وهم لذلك يؤمنون بالله فى ضوء ما عرفوا من هذه العلوم . أما علم السيكلوجية فمن العلوم الجديدة التى لا تزال تعتمد على الفروض والمذاهب . ولذلك فان ما يقوله علماء هذا العلم لا يمكن ان يعتمد عليه ولا قيمة له فى جنب ما يقوله علماء العلوم الاخرى

المواليد

يطلب هتلر من الالمان أن يبلغوا مائة مليون • ويطلب موسولينى — فى تواضع — أن يبلغوا ستين مليونا . وكل من الحكومتين الألمانية والايطالية تؤدى اعانات كبيرة للمتزوجين . وهذه الاعانات تبقى دينا قائما يجب أن يرد الى الحكومة اذا لم يثمر الزواج اولادا تزيد بهم الأمة

ونظام الاعانة فى ايطاليا يسير على النمط التالى

إذا كان الزوجان دون الـ ٢٦ فى العمر وكان دخلهما السنوى لا يزيد على ١٢ ألف ليرة منحا عند الزواج اعانة تتراوح بين ١٠٠٠ و٣٠٠٠ ليرة . وهذه المنحة تبقى كما قلنا دينا قائما . فاذا جاء المولود الأول نقص الدين بمقدار ١٠ فى المائة فاذا جاء المولود الثانى نقص ١٠ أخرى . وكذلك المولود الثالث . ويبقى على الزوجين ٧٠ فى المائة من الدين . فاذا جاء المولود الرابع الغى الدين كله . والمانيا وايطاليا تطالبان المستعمرات لأنهما تضيقان بابنائهما ..

اخبار اقتصـــــــــادية

المـالية المصرية

كتب الدكتور احمد ماهر وزير المالية في الملحق الخاص من جريدة الديلي تلغراف مايلى

ان المالية المصرية فى الوقت الحاضر تجتاز فترة دقيقة . وليس ذلك لنقص فى النظـام المالى القائم ولـكن لان العهد الحاضر هو عهد قد تحرجت فيه معظم الشؤون العامة واتصال المسائل المالية بها اتصالا وثيقا يجعلهـا — اى هذه المسائل -- متأثرة بهـذا الحالة ايضا . ومن حسن الحظ فى مصر ان تواجه البلاد هذه الحالة وهى حرة مطلقة من القيود الكثيرة التى كانت تفرض من قبل على ماليتها والتى كانت تجعلها اضعف من ان تتحمل خطورة الموقف الحاضر . والمقصود من هذه الـكلمة ايضاح الطرق التى عولج بها هذا الموقف واتجاه العلاج فى المستقبل

وسنبين هنا الاسس المتينة التى تقوم عليها ميزانيتنا . ففى السنين الثمـانى عشرة الماضية لم يقع بالميزانية اى عجز الا فى سنتين اثنتين . احداهما سنة ١٩٢٠ وكان السبب لهـذا العجز تلك الظروف الاستثنائيـة التى تلت الحرب الـكبرى . والتى اقتضت عندئذ زيادة المصروفات لان الحاجات الجديدة للتجديد والاصلاح الذى كان قد وقف مدة الحرب — كل هذا قد جعل العجز فى هـذه الميزانية ١٥،٦٠٠،٠٠٠ جنيه وهو مبلغ كاد يستهلك المال الاحتياطى ثم جاءت بعد ذلك سنة ١٩٣١ وكانت الازمة العالمية على اشدها وقد اجتاحت مصر فحدث ايضاً عجز فى الميزانية

وفيما يلى بيان بالتعديلات التى طرأت على نظام الميزانيـة لمعالجة الموقف الحاضر مع التقديرات التقريبية لما سوف يطلب منا فى المستقبل

وقبل ذلك نذكر خلاصة للميزانيات فى السنوات الخمس الماضية وهى بالمليون :

السنة	الايرادات	المصروفات	زيادة الايرادات
١٩٣٣ر٤	٣٢ر٦٣	٣٠ر٥٥	٢ر٠٨
١٩٣٤ر٥	٣٣ر٧٢	٣١ر٦٠	٢ر١٢
١٩٣٥ر٦	٣٤ر٩٦	٣٣ر٦٥	١ر٣١
١٩٣٦ر٧	٣٥ر٥٠	٣٤ر١٩	١ر٣١
١٩٣٧ر٨	٣٧ر١٥	٣٦ر٣٣	ر٨٢

هذه هى الايرادات والمصروفات المحققة. وفى السنة المالية الجديدة ٩ — ١٩٣٨ تبلغ التقديرات للميزانية الجديدة ٢٧ ، ٤٣ مليون للايرادات و ٣٩٫٠٠ مليون للمصروفات

وتقديرات الحكومة للميزانية تميل نحو التحفظ فى الايرادات اما فى المصروفات فان التقديرات قلما تبلغ ارقامها فى الواقع وهذا هو السبب فى اننا قد اعتدنا ان نجنى فى آخر كل عام — ما عدا الاعوام الاستثنائية — فائضا فى الايرادات على المصروفات ، وحتى فى سنة ١٩٣٥ حين كانت الظروف السياسية تطالبنا بزيادة فوق العادة فى المصروفات استطاعت موارد الدولة أن تثبت كفايتها حتى خرجنا من هذا العام بفائض فى الايرادات

وفى السنتين الأخيرتين ظهرت محاولات يراد بها الدقة فى التقديرات للميزانية ، وكان من أثر هذا ان نقصت زيادة الايرادات ولكن وجود هذه الزيادة يدل على أن المالية المصرية سليمة. ولم يكد الانتعاش يسود الحالة الاقتصادية فى مصر بعد الازمة المالية حتى شرعت موارد الدولة تزداد مما اتاح للحكومة أن تزيد مصروفاتها التى تتطلبها حاجات الاصلاح الاجتماعى والتطور الدولى الجديد

وقد تمكنت مصر بوجود هذا الفائض السنوى من أن تؤلف مالا احتياطيا . والمتبع فى بريطانيا العظمى ان يستخدم هذا الاحتياطى فى استهلاك الدين العام

أما فى مصر فان المتبع ان يضاف هذا الفائض السنوى الى المال الاحتياطى . وقد اتبعنا هذا التقليد لانه من مخلفات السنين الماضية حين كانت مصر مقيدة باتفاقات دولية وكان نظام الضرائب

بعيدا عن المرونة فنشأت من ذلك العادة بادخار جزء كل عام لوقت الحاجة . واستمرت هذه العادة الى الآن .

وحسبنا ان نقول هنا انه الى ان ننتهى من مشروعات الضرائب الجديدة التى سنذكرها بعد لا نستطيع ان نزعم إن نظام الضرائب فى مصر يقارب الكمال فى نظر أى وزير من وزراء المالية الذين يطمعون فى موازنة الميزانية موازنة حقيقية تنفق والواقع وليست موازنة حسابية تكتب على الورق .

وفى سنة ١٩٢٠ استهلك المال الاحتياطى جميعه تقريبا . ولكنه أخذ يتكون بعد ذلك وينمو . وهو يتكون من ١٠٫٢٥٠٫٠٠٠ جنيه موظفة فى سندات مصرية تبلغ قيمتها الاسمية ١٢٫٨٤٢٫٠٠٠ جنيه . وقد اذيعت اشاعات بان الحكومة تنوى بيع هذه السندات ولذلك يجب أن نؤكد هنا انه ليست هناك اية نية لارتكاب مثل هذه الحماقة .

وقد مضى على الحكومة أكثر من خمسين عاما وهى تنفق على أعمالها العامة من دخلها السنوى فقط حتى لو كانت تنفق على مشروعات تبرر الاقتراض . وهى فى الوقت الحاضر عاقدة العزم على أن تلتزم هذه الخطة إزاء التكاليف الجديدة التى تقتضيها مشروعات الدفاع وهى ليست بطبيعتها مشروعات انتاج إذ هى غير منتجة وسريعة الاستهلاك

وكانت الحاجة تمس على الدوام الى تعديل نظام الضرائب فى مصر تعديلا جوهريا حتى قبل الظروف الدقيقة الجديدة فقد كان التناسب معدوما بين الضرائب المباشرة والضرائب غير المباشرة مثل ضرائب الجمارك والدخان والانتاج التى كانت تبلغ أكثر من خمسين فى المائة من ايرادات الدولة . وكانت ضريبة الارض والمبانى تبلغ ١٦ فى المائة . وباقى الايرادات من الرسوم المختلفة التى تقتضيها الحكومة لقاء خدمات معينة . وكان عبء الضرائب غير المباشرة يقع أشد وقعة على الفقراء كما ان ضريبة الارض والمبانى كانت تفرض دون مراعاة القدرة على ادائها . حتى نشأ من ذلك أن كثيرا من السكان قد صاروا يؤدون الضرائب أكثر مما يجنون من الفوائد

ولم يكن من الممكن ان تعالج هذه الحال مع نظام الامتيازات الاجنبية القائم إذ كان من المستحيل عمليا فرض ضرائب جديدة على الاجانب . ولم يكن لوزير المالية فى مصر ان يفكر فى فرض ضريبة

تجبى من المصرى ويعفى منها الاجنبى . وقد كثرت الشكوى فى الماضى من جمود النظام المالى وكان كل تفكير فى زيادة موارد الدولة يجعل الصعوبات القائمة اكثر تعقيدا

ولهذا لم يكن ثم مفر من وضع سياسة سليمة . فمنذ الغيت الامتيازات الاجنبية شرعنا فى درس ما يجب ادخاله من التعديلات وإيجاد موارد جديدة للدولة حتى تتحقق العدالة بين جميع من يؤدون الضرائب . وقد استطعت ان اخرج من هذا الدرس بنتائج فتقدمت الى البرلمان بمشروعات لقيت كل ترحيب . وليس فى هذه الضرائب الجديدة المقترحة ما يعد عاليا . إذ هى معتدلة والاختبار فى المستقبل سيبين ما فيها من نقص . وهى بلا شك ستقوى الحكومة وتمكنها من القيام بمشروعات الدفاع عن سلامة البلاد

واذا رجعنا الى الميزانيات القريبة الماضيـــة يتضح لنا ما يبرر هذه الاتجاهات الجديدة . فقد زادت مثلا نفقات التعليم من ٢٬٣٠٠٠٠٠ فى سنة ١٩٢٦ و الى ٤ ملايين جنيه فى سنة ١٩٣٧

وليس هذا تقدما عظيما اذا ذكرنا ان الحكومة مضطرة الى تعويض ما فاتها فى الماضى وكذلك الصحة العامة فى حاجة الى العناية والاصلاح

وقد زادت نفقاتها من مليون جنيه فى سنة ١٩٢٦ الى ٢٬٧٠٠٬٠٠٠ جنيه بعد ١١ سنة

وهناك الدفاع الذى شرعت البلاد تدرك خطورته ، ففى سنـــة ١٩٢٦ لم ينفق على الجيش سوى ٢٬٢٠٠٬٠٠٠ جنيه فصار سنة ١٩٣٧ مبلغ ٢٬٩٠٠٬٠٠٠ جنيه

ولـكن أهمية الدفاع الوطنى تظهر فى تقديرات الميزانية الحالية إذ قدرت نفقاته بمبلغ ٦٬٢٥٠٬٠٠٠ جنيه

ومما يجدر ذكره ان الديوان الملكى قد خفض المخصصات من ٨٥٩٬٠٠٠ جنيه الى ٤٢٣٬٠٠٠ جنيه اى انه قد توافر للميزانية بذلك نحو ٦٠ فى المائة من هذه المخصصـــات . وذلك تقديرا من الديوان الملكى لحاجة البلاد الى كل قرش

وقد جاء فى خطبة العرش التى القيت فى البرلمـان فى ١٩ نوفمبر الماضى ان هناك مشروعات ستحتاج الى زيادة النفقات منها :

١ — مشروعات الدفاع التى تتضمن الجيش، والقوات الجوية ، والقوات البحرية، والاحتياطات

من الغارات الجوية .

٢ ـ الالتزامات الناشئة من المعاهدة وهى تتضمن الثكنات والطرق والجسور والسكك الحديدية

٣ — الصحة العامة التى تتضمن توفير المياه للشرب ، والمستشفيات ومساكن العمال .

٤ — مشروع التوليد الكهربائى فى خزان اسوان

٥ — الرى وانشاء القنوات الجديدة والمصارف ، واتقاء الفيضان ، وتزويد الواحات بالماء

٦ — المالية . وأهمها مسألة الديون العقارية

ولم تعين تقديرات للانفاق على هذه المشروعات لأن كثيرا منها لا يزال قيد الدرس والبحث ولكن امكن القيام مع ذلك ببعض منها. مثال ذلك تزويد مياه الشرب ووزارة المالية عاقدة العزم على بحث الموارد التى سينفق منها على هذه المشروعات من الايرادات . وهى واثقة بأن القيام بها ممكن وان كان هذا قد يؤجل تنفيذ مشروعات اخرى تعد اقل منها اهمية منها

الضرائب الباهظة فى انجلترا

فى انجلترا يؤدى الأغنياء أكثر من ثلث ثروتهم فى ضريبة الدخل . فاذا كان دخل الغنى يبلغ ستين الف جنيه فى العام وجب عليه أن يسلم للحكومة منه كل عام أكثر من عشرين الف جنيه ولا يبقى له غير أربعين الفا

وضريبة الدخل هذه مع ابهاظها تعد رحيمة الى جنب ضريبة التركات . فان الغنى الذى يترك مليونى جنيه يجب أن يسلم ورثته للحكومة من هذا المبلغ نصفه أى مليون جنيه

ولكن هاتين الضريبتين تتدرجان تدرجا عادلا . فاذا كان ما يتركه انسان لورثته خمسمائة جنيه فان الضريبة لا تزيد على خمسة جنيهات . أى واحد فى المائة . فاذا بلغت عشرة آلاف جنيه فهى أربعة فى المائة . فاذا كانت مائة الف جنيه فهى ١٩ فى المائة . فاذا كانت مليون فهى أربعون فى المائة وهكذا . والسلم طويل تبلغ درجاته فى هذه الضريبة ٣٣ درجة لكل منهـا سعر خاص يزداد كلما ازداد المال الموروث

وهكذا الشأن فى ضريبة الدخل . فان دخل الزوجين إذا بلغ ٢٢٥ جنيه فى العام عوفى من

الضريبة ثم تتدرج الضريبة بعد ذلك من واحد إلى خمسين فى المائة مع تمييز المتزوجين على العزب . ومع مراعاة عدد الأولاد . فاذا كان للزوجين ثلاثة أولاد أو أكثر فان الضريبة تكون على أقلها . ثم تزيد إذا كان الاولاد اثنين . وتزيد إذا لم يكن هناك أولاد وتزيد أكثر وأكثر إذا لم تكن هناك زوجة

وهذه الضرائب العالية يتحملها الجمهور الانجليزى بارتياح أو بمضض . وهى تمتاز بأنها تسير مع حال الرخاء العامة فاذا كان هناك أزمة أو كساد فان الرجل الذى أدى فى العالم الماضى نحو ألف جنيه فى ضريبة الدخل قد لا يؤدى شيئا هذا العام إذا اثبتت دفاتره أنه لم يكسب غير القليل الذى يعافى من الضريبة ، ومن هنا العدالة فى هذه الضريبة إذا قورنت بضريبة الارض عندنا . لان هذه ثابتة لا تتغير ولا تختلف بين سنى الرخاء والكساد وتأخذها الحكومة حين يباع القطن بثلاثين جنيها وحين يباع بثلاثة جنيهات على السواء

وتقارب ميزانية بريطانيا ٨٥٠ مليون جنيه من هذه الضرائب وغيرها . يذهب معظمها فى الانفاق على التسليح . ولكن كثيراً منها يذهب فى اعانة العاطلين والمسنين والمرضى ، وهذه الضرائب (وخاصة ضريبة التركات) تمحو رويداً رويداً التفاوت العظيم بين الاغنياء والفقراء

القناة

كثر اللغط هذه الايام عن قناة السويس . وهناك من يزعم أن الازمة القائمة بين فرنسا وايطاليا بشأن تونس ونيس وكورسيكا انما هى أزمة مفتعلة تخفى وراءها خلافا بشأن قناة السويس لان ايطاليا تريد خفض أجور المرور فى القناة وتحتج بأنها الدولة الثانية فى عدد البواخر التى تمر فى القناة وان هذا المرور يكلفها مبالغ ضخمة

وليس الايطاليون من حملة الاسهم للقناة أو هم لا يحملون منها المقدار الكافى لكى يتعوضوا بارباحها مما يؤدونه فى رسوم المرور . ذلك ان معظم هذه الاسهم فى ايدى الفرنسيين والانجليز . وتحمل الحكومة الانجليزية ٦٠٢ ر ٧٦ سهم اشتراها اللورد بيكونسفيلد سنة ١٨٧٦ بدون اذن البرلمان . وقد فعل ذلك لكى لا يفتضح السر فتعرض دولة أخرى عرضاً أكبر على حكومة مصر وهذه الاسهم التى اشتراها بيكونسفيلد لحكومته بمبلغ ٤٫٦١٦٫٦٢٢ لا يقل ثمنها الآن عن خمسين مليون جنيه

حديث الادب والأدباء

عصر الدعاية

من مقال للاستاذ عباس محمود العقاد في الدستور

أحضرنا هذا الموضوع — موضوع فلسفة الدعوة — كتاب جديد عظيم القيمة لمن يريد تقويم الافكار والدعوات وعرض الانباء والمرويات على محك الحقيقة ومقياس الامتحان، ونعني به كتاب ماكنتزى فى « صعود أسعار الدعوة » الذى ظهر بالانجليزية منذ أيام

وليس من الميسور تلخيص هذا الكتاب ولا تقديم زبدة وافية منه فى مقال واحد، ولكننا نشير الى مغزاه واسلوبه احسن اشارة إذ نلخص أسرار الدعوة الناجحة فى رأى المؤلف أقرب تلخيص مستطاع

فأول أسرارها التكرار، لان الجماهير لا تذكر طويلا ولا تلبث أن تنسى ما قيل أمس الا أن يعاد اليها ثم يعاد فى توكيد وأطراد.

وثانى أسرارها « اللون » ويقصد به المؤلف أن تصبغ كلامك بالصبغة التى تسترعى الحواس والعقول، فلا تحفل كثيرا بالادلة والبراهين، بل عليك أن تسوق الاخبار مساقا يثير العطف على وجهة نظرك والنفور والاشمئزاز من خصومك، وهذا هو التلوين أو مزج الدعوة بشعور القراء سامعين

وثالث اسرارها أن تشتمل على جرثومة من الصدق والواقع الذى يقبل الاثبات والتقرير، إذ لا ينفع التزييف إلا بجزء من الذهب الاصيل

ورابع أسرارها أن تدور حول شعار محفوظ أو كلمة سيارة يسهل انتقالها على الافواه والتغنى بها فى المواكب والجماعات

علماء كل فى فرعه الخاص . وقد تكاتفوا على التأليف والترجمة والنشر . وهم يخرجون من وقت لآخر زبدة الثقافة الاوربية فى لسان عربى مبين وطبع متقن . ويسرنا كل السرور أن نبشر القراء بأن هذه اللجنة — زيادة على ماتخرج من مؤلفات نفيسة — ستصدر فى أول يناير من سنة ١٩٣٩ مجلة اسبوعية باسم الثقافة نعتقد بما نعرف عن أشخاص القائمين بتحريرها إنها سوف تكون من الوسائل العظمى لخدمة النهضة المصرية

وهذه الكتب الخمسة التى أخرجتها اللجنة فى الشهر الماضى تعد جميعها من عيون الادب الاوربى. وكتاب الاغنياء والفقراء هو جزء من كتاب ولز الضخم الذى يسمى فى الاصل « عمل الانسان وثروته وسعادته » وولز هنا يجمع بين علم الاقتصاديات وفن الادب . وهو يحدث القارىء عن الاغنياء ويرسم الاشخاص البارزين منهم. ثم يقابل بين الفقر و كيف الغنى ويتفق الانتاج الكثير مع العوز والحاجة . وهو فى كل ذلك منير ولذيذ

والسمفونية الريفية من وضع أندريه جيد الاديب الفرنسى الكبير . والمترجم الاستاذ حسن صادق يجيد ترجمة القصص وهو ينقل إلى القارىء الجو الاصلى فى اداء ناصع . وقصة أدولف التى نقلها قبل سنوات قد دلت القراء على مكانته فى الترجمة. وهذه القصة لا تقل عنها سواء فى الموضوع أم الشكل

وجان دارك هى درامة أخرجها برنارد شو وقدم لها مقدمة بلغت فى الترجمة العربية ١٤٠ صفحة والدرامة تمثل عصر الانتقال الدينى فى أوربا أو أوائل هذا العصر حين شرع الناس يستنكرون سلطان الكنيسة ويطلبون تقرير المصير للضمير الانسانى . والمترجم يراعى الدقة ولا يتهاون فى تعبير ولذلك قد خرج كتابه وهو تحفة تقتنى وتدرس

والطلسم قصة قديمة لولتر سكوت عن الحروب الصليبية وقلب الاسد. والمعروف الان عن هذه الحروب أكثر جدا مما كان يعرف ولتر سكوت الذى مزج الحقائق بالخيال . ولكن القصة تقرأ مع ذلك فى لذة وفائدة

وتس قصة تمثل المزاج الانجليزى وضعها توماس هاردى أعظم الكتاب الانجليز الانجليزية . وقد وصفه المترجم فى مقدمته بقوله : « وهاردى حين يتنقل بحوادث قصته وأشخاصها فى ذلك المتسع المترامى بين وديان وقلاع وقرى وبلدان وجداول وغابات يصف كل منظر يقف به وصف خبير دقيق

محب للطبيعة نافذ إلى أسرار جمالها يصفها فى اقبالها وادبارها وفى رضاها وغضبها ويصف أديمها وسماءها وضياءها ووحشها وطيرها وهواءها . فلا ترى فى قصصه رجالا ونساء يتحادثون بين جدران أربعة بل ترى الطبيعة فى رحبها والحياة فى عجيجها وجيشانها والسكون فى بسطته و تناهيه ... »

وقياس الذكاء هو ثلاث محاضرات القيت فى هذا الموضوع . وهى ثمرة اختبارات قام بها المؤلف وغيره فى التلاميذ المصريين ويحسن بالمعلمين والاباء ان يدرسوا هذا الكتاب حتى يقفوا على مقدار ذكاء تلاميذهم او ابنائهم

وتأملات الفليسوف اوريليوس هى مجموعة اراء فلسفية دونها هذا الامبراطور . وبعضها بعيد بملابساته الاصلية عنا حتى لانكاد نفهمه . ولكن بعضها عصرى الصبغة . واليك بعض ما يقول :

عش كأنك ميت واستعمل باقى وجودك كما تتطلبه الطبيعة كأنها منحت عليك بها . وانك عشت كل الوقت الذى منحته حتى الآن

احبب ما يحدث لك : اعنى به ما يمنحك اياه القضاء لان لاشىء انسب من هذا

فى كل حادثة تحدث لنا يجب علينا نصب ان نضع اعيننا تذكار اولئك الذين سبقونا وقاسوا التجربة نفسها واحتدموا عليها وتذمروا منها . اين هم الآن ؟ هم ليسوا فى مكان معلوم . أتريد اذا ان تتشبه بهم؟ لتكن لك رغبة واحدة ، هى ان تعمل جيدا ما تعمله وتذكر ان مادة عملك لا تتغير

أنظر بعينى رأسك ها هو ذا ينبوع الصلاح وها هو ذا على وشك الانفجار اذا عرفت كيف تحفره وتعمقه

يجب على المرء ان يسلك حسنا ، وان يكون رزينا عند ما يمشى او عند ما يجلس وبما ان الفكر يشع على الوجه بحيث يطبع عليه الرزانة والهدوء ، فانه يجب على كل جسم ان تكون له هذه النعمة . ولكن على المرء فى كل هذا ان يتحاشى كل مبالغة

فن الحياة اقرب الى فن المصارعة منه الى فن الرقص . فعلينا ان نكون على استعداد لان نحتمل بشجاعة وثبات تلك العوارض الفجائية غير المنتظرة

ادرس حسنا أولئك الاشخاص الذين تبغى رضاهم وسل ذاتك ما هى الاصول التى تدبرهم . فان سرت هكذا فانك اما ان تعذرهم ان هم ارتبكوا هفوة بجهل منهم واما ان تستغنى عن رضاهم ان

استطعت ذلك بصعودك الى ينبوع ارائهم

قال الفليسوف افلاطون : « كل نفس مجردة من الفضيلة هى مجردة منها رغما عنها » وكذلك يمكننا ان نقول : رغما عنها نراها مجردة من العدل . ومن الاعتدال . ومن سائر الفضائل . فمن الضرورى ان لا ننسى ذلك

وقصة عنترة هى مجموعة من ترجمته وشعره وبعض ما قال المؤلفون العصريون عنه قام باخراجها الاستاذ الياس قتصل محرر مجلة المناهل فى بوانس ايرس . وقد قال فى المقدمة : « ليس بين شعرائنا القدامى من يمثل كعنترة ابن شداد الروح العربية افضل تمثيل واكمله فقد تمركزت فيه الفضائل التى كانت وما تزال من ميزات العروبة . فجمع الى الكرم والغيرة والنجدة ، والشجاعة واللطف والوقار ووقفت المصاعب العديدة فى سبيله الى هدفه المنشود . فراح يذللها الواحدة تلو الاخرى دون ان يعتريه شيء من الوهن »

كتب الشهر الجديدة

١ — الأغنياء والفقراء . تأليف ﻫ . ج . ولز . وترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود (٢٣٨ ص . من القطع الكبير)

٢ — السمفونية الريفية . تأليف أندريه جيد . وترجمة الأستاذ حسن صادق (١١١ ص . من القطع الكبير)

٣ — جان دارك . تأليف جورج برنارد شو . وترجمة الدكتور أحمد زكى بك (٣٥٥ ص . من القطع الكبير)

٤ — الطلسم . تأليف السر وليم سكوت . وترجمة الأستاذ محمود محمود محمد (٤٠٨ ص . من القطع الكبير)

٥ — تس سليلة تربرفيل تأليف توماس هاردى . وترجمة فخرى أبو السعود (٤٢٤ص . من القطع الكبير)

٦ — قياس الذكاء للأستاذ اسماعيل محمود القبانى (١٠٤ ص . من القطع الكبير)

٧ — تأملات الفيلسوف أوريليوس ترجمة الأستاذ جورج مرار العزيزات (١٤٨ ص . من القطع الكبير)

٨ — عنترة عدد خاص من مجلة المناهل (٨٦ ص من القطع الكبير)

« * »

الكتب الخمسة الأولى هى من طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر وهى اللجنة التى يعرف فيها القراء تضحيات متوالية لخدمة الثقافة العربية . وليس أعضاؤها تجاراً يعنون بالكسب فقط . ولكنهم

وخامس أسرارها أن تتوخى قبلة ملحوظة فى شخص موجود . كما صنع الحلفاء حين أرادوا اغراء الولايات المتحدة بالمشاركة والحرب العظمى فقد علموا ان الرجل الذى يقود الامة هو الرئيس ولسون وان هذا الرئيس يؤمن بالمثل الاعلى للحرية والحكومة الديمقراطية فضربوا على هذه النغمة واجتهدوا فى تصوير قضية الحلفاء كأنها قضية هذا المثل الاعلى فى جميع مقاصده وآماله ، ولم ينسوا غيره من الزعماء فضربوا على نغمة توافقهم من بعض الوجوه . وقد يصعب على الدعاة ان يتوخوا هذه الوجهة حين يكون المطلوب تأثيرا فى الالوف والملايين ، فلابد إذن من المجازفة بالخطأ فى تخمين هذه الوجهة وتقديم الراجح على المرجوح

وسادس أسرار الدعوة إخفاء سوء النية أو المصلحة المتحيزة أو المطلب الذى لا يكترث له جمرة الناس مجتمعين .

وسابع أسرارها « التوقيت » والانتظار فى موعد معروف ، حتى تصبح كالعادة التى يتعودها طلاب الرياضة والنزهة فلا تختل فى مواعيدها أقل اختلال ، ولا يمنع هذا أن تغتنم المناسبات العارضة كلما طرأت بين ميعاد وميعاد .

« • »

هذه هى خلاصة أسرار النجاح فى رأى المؤلف ، وتلك هى فلسفة الدعوة فى آراء أصحاب المذاهب الاجتماعية والحكومية ، فإذا مهدنا بهذا المقال لفريق من ضحايا لدعوات المضطربة فى هذا الزمان ان يضعوا كل كلام فى موضعه وان يردوا كل غرض إلى قراره فذلك مطلب جدير بقارئى الادب وقارئى السياسة على السواء .

الدكتور سون يات سين

لابراهيم شيونج جيونج تشونج فى منبر الشرق

من المعروف أن للصينيين حضارة عظيمة أزهرت قبل الميلاد بآلاف السنين فهم أقدم الامم فى العالم تمدنا . فقد كانوا أول من ابتكر صناعة الورق وأول من ربى دودة القز لينسجوا من خيوطها الملابس الحريرية ، وغير ذلك مما لا يتسع المقام لاحصائه . وكانوا يداً عاملة للمجتمع

الانسانى حتى استولى المنشوريون على أراضيهم فعملوا على إذلالهم وتضييق دائرة تعاليمهم ووقف تقدمهم العلمى والادبى ؛ وظلوا مقيدين بالاغلال بينما العالم يسير من حولهم متقدماً الى الامام حتى جاءهم الدكتور سون يات سين أبو الجمهورية الصينية فأنقذهم من هذه العبودية الظالمة وحررهم من تلك القيود المستبدة وأخرجهم من الظلمات الى النور .

ولد الدكتور سون سنة ١٨٦٦ بمركز من مراكز (كانتون) يسمى (بصوما) — وقد لقب باسمه الان — فى بيت فقير وكان ثانى اخواته الثلاثة وشب عزيزا كريما ذا خلق قويم لايخفض رأسه ولايذل نفسه لأى مخلوق فى مسألة مادية . وتعلم مبادىء العلوم فى مدرسة بلدته وكان متقدما من بين أقرانه متفوقا دائما عليهم وقد طبع فى نفسه الاستقلال فى الرأى منذ الصغر فلا يقبل رأيا إلا بعد نظر أو مناظرة حتى يصل اليه بعقله وتفكيره ولايحب أن يقلد أحدا دون تفكير أبدا .

وقد ساعد والده فى الحقول منذ طفولته وشغف بسماع قصص الثورات الوطنية وتواريخها فتأثر بها فى نشأته وزادت فى نفسه حبه للوطن العزيز وشغفه بتحرير بلاده واتحادها مهما لاقى فى سبيل ذلك من الصعوبات . وكان لتربيته هذه فى الصغر أثر كبير فى تحقيق أغراضه فى الكبر فقد سافر الى (تان هسيانج شان) مع أخيه الكبير وهو فى الثالثة عشر من عمره . ودخل مدرسة مسيحية هناك بقى بها ثلاث سنوات وكان دائماً فى مقدمة الناجحين . ثم رجع الى بلاده سنة ١٨٨٢ امتثالا لأمر أخيه ولما وصل الى الجمرك راقبه الموظفون مراقبة دقيقة فناقشهم مناقشة شديدة وقد زاد ذلك فى عزمه على إصلاح البلاد وتجديدها ثم تزوج بعد رجوعه مباشرة وقام يبين للناس سوء السياسة فى البلاد وتأثيره فى الحياة القومية وصرح لهم بوجوب الاصلاح والتجديد والا ضاعت حرية الشعب واستقلاله ، ثم غادر بيته وأخذ يحث الناس على التحرير من الوثنية إذا اعتقد أن لها أسوأ الاثر فى تقييد عقول الشعب واستقلاله . ولكن الناس قاموا ضده ووقفوا فى طريقه فرحل الى (هونج كونج) ودرس هناك مدة ثم اشتعلت نار الحرب بين الصين وفرنسا فى ذلك الوقت فأخذته الغيرة على وطنه وتأسف على بعده عن ميدان القتال . ونجح فى الامتحان بعد سنتين وكان أول الناجحين فتعلم فى كلية الطب فى (كانتون) ثم التحق بجامعة

الطب فى (هونج كونج) واتخذ الاستاذ جى سى ليو مدير الجامعة صديقا وبين له رأيه فى اصلاح السياسة الداخلية فوافق عليه هو وأنصاره ثم صادق الدكتور رجلين هما جواشوباى ويوشوين واتحدت كلمتهم فذهبوا الى « هونج كونج » و «أموى» ليدعوا الناس الى الثورة على الحكومة لاصلاح البلاد ومن ثمة لقبوا بالابطال الاربعة ثم بنى الدكتور مستشفى فى «أموى» بعد تخرجه من الجامعة فحسده الاطباء هناك فانتقل الى « كانتون » وجعل يكون فروعا كثيرة لجمعيته الرئيسة لاحياء الوطن فالتجأ اليه كثيرون .

وقد رحل الى (بكين) و(تيان تشين) و(هانكو) وغيرها من المدن ليعرف حقيقة البلاد وطرق المواصلات وحالات الانهر ، ثم أرسل الى رئيس وزراء الحكومة الملكية رسالة نصحه فيها بأن يستشير العلماء والعقلاء ليستغل موارد البلاد ويعمل على اسعاد الشعب ولكن الرئيس لم يقبل منه شيئا فزاره الدكتور فى بيته وطلب منه اصلاح السياسة لتحيا البلاد بعد موتها فاعتذر الرئيس وقال له انه لا يستطيع القيام بهذا العمل الجليل لانه كبير فى السن ولم تبد من الحكومة نية فى اصلاح السياسة وتقدم البلاد فعزم فى نفسه على قلبها ولو كانت ثابتة كالجبال .

شبت الحرب بين الصين واليابان سنة ١٨٩٥ فذهب الدكتور الى (تان هسيانج شان) ليعقد اجتماع جمعية أحياء الصين ورأى أن يتوجه إلى أمريكا للعمل على اتحاد الصينيين هناك غير أن الجهل المخيم على عقولهم فى ذلك الوقت لم يساعده على تحقيق غرضه ولم يجد من يساعده فى الحركة الوطنية إلا أخاه ورجلا من التجار . ثم انتهت الحرب بانتصار اليابان فأرسل اليه أعضاء الجمعية رسالة طلبوا منه فيها أن يرجع اليهم ليهاجموا (كانتون) ويتخذوها مركزاً للثورة ولكن لم يلبث الامر حتى أخمدت الحكومة نار الثورة وقتلت من قام بها . اما الدكتور فقد تنكر وفر إلى اليابان وذلك فى سنة ١٨٩٦ ثم كتب إلى صديقه جى سى ليو ليرجع إلى الصين وقصد هو إلى (تان هسيانج شان) لتوسيع نطاق الجمعية ثم لحق بأمريكا ليضم اليها جمعيات صينية أخرى وكان الناس يحبونه هذه المرة حبا شديدا . ثم وصل إلى انجلترا فقبض عليه قنصل الصين بحيلة لكنه نال حريته بمساعدة أستاذ له من قبل ثم مكث فى أوربا يدرس حالتها السياسية ويقف على القوانين والمعاهدات ، وعاد إلى اليابان ثانية وأمر صديقه جى سى ليو بالذهاب إلى ضاحية (خوى جوى) وصديقا آخر اسمه شى كيو يوى بالذهاب

إلى عاصمة (كانتون) نفسها وهو يدير الثورة فى (هونج كونج). ولما علم الانجليز بذلك قاموا لمنعها ، لكن الحرب كانت قد نشبت بين الثوار والجيوش الحكومية ودامت بضعة أشهر ، وأسفرت النتيجة عن انهزام الثوار وتضحية صديقه الثانى شى كيو يوى ولم ينجحوا إلا فى حب الناس لهم ثم ثم تمكنوا من اصدار جريدة القومية فى اليابان وجريدة اليقظة فى شنغهاى لنشر أخبارهم وايقاظ الشعب من رقوده فانتشرت تلك المبادىء لاحياء الصين واستيقظ الصينيون الميقمون فى الخارج فتقدموا بأموالهم لمساعدة الثورة ثم عقد الدكتور اجتماعا عاما فى باريس وآخر فى برلين وثالثا فى باريس أيضا وترأس اجتماع الحلفاء الثوار فى طوكيو فتعين اسم البلاد وتشكل العلم الوطنى والحزبى وأعلنهما فى داخل الصين ، ثم قامت الحرب بين الثوار والحكومة ثانية ودارت رحاها مدة من الزمن وفاز الثوار فى النهاية بالنصر العظيم بعد أن أنفقوا الكثير من الاموال والانفس. ثم عاد الدكتور الى الصين آمنا بعد أن جهد وتعب وسهر لانقاذ الوطن سنين طويلة فانتخب رئيسا للحكومة الجمهورية فى عاصمتها (نانكين) ولما تنازل الملك عن عرشه ثار رئيس وزرائه (وهو الذى نصحه من قبل) ومن معه فقتل وزير الزراعة بغير حق فحاربه الدكتور حتى مات وخلفه آخر يريد أن ينقص ماسنته الجمهورية من الدستور فغضب الدكتور وألف جبهة متحدة للمحافظة عليه فتفرق الشماليون عن الجنوبيين وظل الرئيس فى (كانتون) ثم تمرد وزير الحربية فغادرها سرا حتى أخمدت ثورة الوزير فعم الامن والسلام وزال كل ما يضر الشعب والمجتمع. ثم اتجه الدكتور إلى إصلاح البلاد لتكون قوية بين الدول وبنى أساسها متينا باحترام شعوب الصين الخمسة واتحادها وقال انهم اخوان ، ثم نظر الى الخارج فرأى أن ينقذ الضعفاء من أيدى المستعمرين لتنتشر العدالة بين الناس أجمعين ويظللهم لواء السلام الى الابد ، ثم أسس المدرسة الحربية لتدريب الشباب على العسكرية والدفاع عن الوطن. ولما توجه إلى (بكين) أخيرا لتطهير الشمال فاجأه المرض فمات فيها بعد أن بذل كل حياته من أجل إحياء البلاد ، ولم يجد وقتا يستريح فيه طول مدة جهاده الشاق ، وقد قال حينما حضرته الوفاة : «لقد جاهدت فى سبيل الوطن أربعين عاما.» وله مؤلفات وطنية منها «مبادىء الشعب الثلاثة» و «القواعد الاساسية لقيام الدولة» و «الخطط المهمة فى تأسيس المملكة» وغيرها من الكتب القيمة.

الايمان والعلم

من مقال للاستاذ عبد المنعم خلاف فى الرسالة

لا حاجة بنا الى افاضة القول فى أن العلم بمعناه الحالى — وهو اليقين والاثبات المبنى على التجربة والمشاهدة الحسية — إنما هو من أدوات الايمان بالخالق المدبر . فلو فرضنا وقالت كل الفلسفات والجدليات انه ليس هناك خالق للكون لظل العلم وحده يقول بوجود ذلك الخالق . لان كل ما فى الطبيعة يشير ويصيح بأن له خالقاً عالما يقف أمامه العقل العلمى حائرا دهشاً من سر صنعته وتركيبه وإعداده الاشياء للحياة !

واعتقادى أن أكبر خادم للايمان هو العلم الكونى ، وأن المختبرات والمعامل لو أنصف الناس لعدوها من أقدس المحاريب التى يعبد فيها الاله وينعت بما يليق بكماله وجلاله .

والالحاد بين علماء الطبيعة أقل منه فى أى طائفة من طوائف علماء العلوم أو الفنون الاخرى. ولذلك قال القرآن « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وصدر الآية يدل على أن العلماء هنا مقصود بهم علماء الطبيعة والمتأملون فيها إذ يقول « ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء »

ولو ان علماء الطبيعة يدخلون معاملهم ومختبراتهم مستحضرين روح العبادة كما يفعلون إذ دخلوا إلى المعابد إذا لتنزل عليهم إلهام وتوفيق ولذات لاتفنى .

العلم لاسلطان له على البحث فى ذاته لانه ليس من مجاله ، فمجاله مايقع تحت الحواس ، وإنما له أن يستنتج صفات الخالق. وهو فى هذا الاستنتاج يلتقى مع الفلسفة، فأرسطو الفيلسوف وأرسطو العالم الطبيعى التقا فى إثبات «السبب الاول» وكذلك اسحق نيوتن الفيلسوف والعالم التقيا فى قوله «إن خالق هذا الكون على علم تام بعلم الميكانيكا !» وقل مثل ذلك فى بقية العلماء الالهيين كباستور وغيره من العلماء الذين إن ألحدوا ! فى إله الكنيسة فلن يلحدوا فى إله الطبيعة الذى هم أقرب الناس إلى معرفته وتقدير صفاته

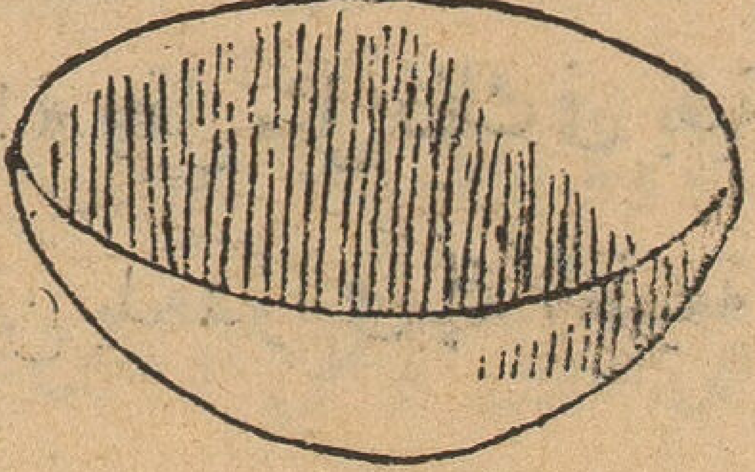
ومن المؤسف أن إله الكنيسة فى أغلب الأديان غير الاله كما يدركه العلماء فى الطبيعة. هو إله بشرى

يتشكل فى أجساد البشر فى بعض الاديان ، خاص بقبيل من الناس فى بعضها الآخر ، محب للدماء فى البعض الثالث ، محب لعذاب الناس وفناء أجسادهم فى البعض الرابع ، معقد فيه ناسوت ولاهوت وأقاليم متعددة فى البعض الخامس ، وهكذا وهكذا مما يعذر العلماء السائرون مع الفطرة البسيطة اذا كفروا به وآمنوا بمن يجدون يده فى الطبيعة

وهنا يمتاز الاسلام امتيازا رائعا فى تقديم صورة للاله هى أسمى ما يمكن أن يدركه عقل علمى عن الكمال الالهى مع بساطة واستيعاب هامس الفطرة وطابعها الذى يأخذ بنواصى جميع الناس علمائهم المنتهين وجهالهم المبتدئين ومن بينهما فى افاق المعرفة والادراك فى القطبين وفى خط الاستواء وفى الشرق والغرب .

والواقع أن كل الأديان الالهية قدمت هذه الصورة التى يدرسها العقل . ولكن يد التحريف وحب التأويل وتزيدات الكهان وعوامل الفناء التى لحقت الأديان وتقلبات الحوادث بنصوصها الاصلية التى مسخت الصورة الرائعة الكاملة التى قدمها الرسل عن الاله كما أوحى اليهم .

لقد وصف الاسلام الاله بما يرضى جميع الناس ، فوصفه بأنه جبار قهار ، ورحيم لطيف ، ومنتقم ورءوف ، إلى اخر الاسماء الحسنى حتى يرضى امثال زنوج أفريقيا وبرابرة التبت الذين لايعبدون الاله الا اذا كان جباراً ، ولذلك يصورون الهتهم كالفيلة بصور هائلة ذات عدة رءوس وأيد وأرجل ، وليرضى أمثال اليونانيين الذين كانوا يتخيلون آلهة متعددة للرحمة والجمال والتناسق والقوة والحب والحرب وغيرها .



مطبعة المجلة الجديدة

المجلة الجديدة

فهرست



الأمومة　　للرسام ريفز

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الثاني

المجلة الجديدة

العدد الثاني
من
السنة الثامنة

حارة جاد - شارع الفجالة — مصر

فبراير ١٩٣٩

افتتاحيـــــات

بعد انتصار فرانكو

سقطت برشلونة واستولى عليها فرانكو فيكون بذلك قد استولى على مايبلغ ثلاثة أرباع اسبانيا أو يزيد . لأن مدريد لاتزال فى قبضة الحكومة وجميع الاقاليم التى تقع فى شرقها الى البحر . وهذه الاقاليم ان لم تبلغ ربع اسبانيا فهى لاتقل عن الخمس . وكما ان لسقوط برشلونة قيمة كبيرة فى التهويل والدعاية فان لبقاء مدريد قيمة أخرى فى مثل ذلك عنـد الموالين للحكومة . ولذلك قد تبقى مدريد والاقاليم الشرقية مدة طويلة وقد تستعصى على فرانكو بضعة أشهر . ولكن سقوط برشلونة يدل على كل حال على الاقتراب من النهاية وعلى أن الثـــائرين قد أصبحوا فى مركز المتسلط المستقر الذى يمكنه أن يصف رجال الحكومة الجمهورية بانهم هم الثائرون المضطربون

ويجب لذلك أن نوطن أنفسنا على أن اسبانيا ستكون بعد أسابيع أو أشهر قد خضعت جميعها لفرانكو . وعلى أن حكومة بعيدة عن الانظمة الديمقراطية المألوفة ستنشأ فى هذا القطر . وليس من الضروري أن تكون هذه الحكومة فاشية أو نازية مقتبسة من روما أو برلين . ولـكن مما لاشك فيه أنها سوف تشـترك معهما فى مكافحة الحريات التى تعودنا أن نراها فى جميع الامم الديموقراطية . كما

أن البرلمان سوف يستغنى عنه لكى يقوم مقامه شكل جديد من أشكال الديكتاتورية . وعلى كل حال سوف يهنأ الاسبانيون بالاستقرار ولو فى ظل الحكم الديكتاتورى بعد اكثر من سنتين وهم يقاسون هذه الحرب الاهلية التى دمرت مدنهم وعممت بينهم القحط واليتم والشقاء . واذا كانت الديكتاتورية سيئة فأسوأ منها حرب لاتجدى

والنتيجة المحتومة لانتصار فرانكو أن اسبانيا ستظهر فى البحر المتوسط قريبا فى صف دولتى المحور بعد أن كانت قبل سنتين فى صف الامم الديمقراطية . فهناك توازن جديد لا بد من مواجهته فى هذا البحر أهم ما فيه أن ايطاليا ستزداد به قوة

كما أن فرنسا ستجد مركزها فى شمال افريقيا كله مزعزعا . وليس من المعقول أن يسمح الاسبان لايطاليا أو لالمانيا باحتلال قسم من وطنهم ولكن الامتيازات التجارية والصناعية التى حصل عليها الالمان الى الآن جزاء مساعدتهم لفرانكو سواء فى شمال اسبانيا أم فى شمال أفريقيا سوف تطلب ايطاليا مثلها بل اكثر منها . بل ليس بعيد أن ينفق فرانكو على منح قواعد حربية لايطاليا بمعاهدة جديدة تكون الغاية منها مناوأة فرنسا بغية استخلاص ما يمكن من مستعمراتها فى أفريقيا الشمالية

وقد أصبحت العلاقات الاوربية فى فوضى تمنع التهكن . فقد يقع أى شىء غير منتظر وقد لايقع المرجح الذى يدل تطور الحوادث على قرب وقوعه . فان عصبة الامم قد علاها الصدأ ولم تعد تثير فى النفس غير الاسف . وأصبح بعض الدول يحس كأنه له — بعد موت عصبة الامم — رخصة فى أن يكون بلا أخلاق . وعلى هذا يمكن أن تقع الحرب فى أى وقت اذا سنحت الفرصة لاحدى هذه الدول

ولكن هناك مع ذلك ما يبعث على الطمأنينة . فان كلا من ألمانيا وايطاليا تخشيان ظاهرة عجيبة بدت فى السياسة الانجليزية. ذلك أنه عقب اتفاق مونيخ وعقب الاتفاق بين بريطانيا وألمانيا بشأن توثيق علاقات الصداقة — عقب ذلك حدث عكس ما كان ينتظر من بريطانيا لانه بدلا من أن تطمئن الحكومة الانجليزية الى هذين الاتفاقين اذا بها تقلق أشد القلق بشكل يدعو تشمبرلين الى سرعة التجنيد والتسليح حتى كدنا لايمر علينا يوم الا ونقرأ عن أخبار التقدم الحربى الذى تنفق عليه بريطانيا أعظم المجهودات وأوفر الأموال

فكيف يتفق هذا؟ كيف يتفق أنه بعد «انقاذ السلام» فى مونيخ وبعد اتفاق ودى مع المانيا وبعد زيارة تشمبرلين لروما — بعد كل هذا يزداد التسلح ؟

أليس المغزى واضحاً وهو أن الحكومة البريطانية لم تعد تثق باستقرار أوربا ولا تثق بالمعاهدات والاتفاقات التى تعقدها ؟

نقول أن أعظم ما يبعث على الطمأنينة هو هذا الاستعداد الحربى فى بريطانيا وهو استعداد سيجعل كلا من ايطاليا والمانيا تفكران كثيرا جدا قبل الاقدام على الحرب

ولكن يبقى مع ذلك عامل سيكلوجى آخر . وهو أن هذا الاستعداد البريطانى سيبعث على زيادة التسلح فى دولتى المحور بل لعله يبعث روسيا على الاجتراء والاطمئنان الى حرب أوربية . وعندئذ تكون الشرارة التى لا يعرف مكانها . وتكون الحرب العامة

ان سقوط برشلونه هو صفحة جديدة فى مأساة السياسة الأوربية وقد ينالنا كثير من فواجعها

لعنة الشيوعيـــة على أوربا

سوف يذكر صلح برست ليتوفسك الذى عقد سنة ١٩١٧ بين المانيا الظافرة وروسيا المهزومة أو المهدمة ، بأنه كان افتتاحا لعهد جديد هو عهد اللعنة الشيوعية التى سادت روسيا وتفشت فى أوربا فكانت سببا لرجع من ناحية المحافظين والحريين عطل به الرقى العام فى انحاء أوربا بل فى انحاء العالم

ويمكن أن نقول بوجه عام أنه منذ سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٩١٤ كان يسود الفكر السياسى فى أوربا دعوة الحريين الى الاصلاح الذى يعد مزيجا من البر بالفقراء الى التوسع الدائب فى الحرية وحقوق الافراد مع الميل الذى كان يزداد عاما بعد آخر نحو الاشتراكية المعتدلة اشتراكية الاصلاح التدريجى ، وذلك بتكليف الحكومات واجبات جديدة ، وضمانات لا عهد للامم السابقة بها تكفل بها حياة الفرد حتى لا يقع فى الفاقة أو المرض أو العطل وحتى يزيد مستواه الثقافى عاما بعد الآخر

ولم تكن أمة فى أوربا تخلو عند نشوب الحرب الكبرى من احزاب برلمانية قوية او سائرة نحو القوة — تدعو الى الاشتراكية وتستعد للاضطلاع باعباء الحكم . وكان المحافظون والحريون

لا يخشون هذه الاحزاب بل احيانا يستنيرون بخططها فى تعيين الاصلاحات

وقبل اسابيع توفى واحد من هؤلاء الاشتراكيين هو المسيو فاندر فيلدت البلجيكى الذى تزعم الدولية الثانية . وهى الدولية « البرلمان الاشتراكى العالمى » التى تقول بالاصلاح التدريجى الذى ينأى عن فكرة الثورة

ولكن روسيا فاجأت العالم سنة ١٩١٧ بالاشتراكية الثورية واسست الدولية الثالثة فى موسكو لكى تكون « المشتل » الذى ينقل منه الى انحاء العالم نبات الثورة الاشتراكية . ولم يكن سادة روسيا الجدد على شيء قليل او كثير من الحنكة السياسية فى معالجة السياسة الدولية ولذلك خبطوا فدعوا إلى الثورة فى جميع الامم ورشوا الزعماء وامعنوا فى مكافحة الدين واقاموا ديكتاتورية ان لم تزد فى استبدادها على حكم القياصرة فهى لا تقل عنها

وقد تلقى العمال فى اوربا وامريكا فوز لينين فى روسيا بالاستبشار وظنوا ان عهدا جديدا قد افتتح لتحقيق الاشتراكية والسير بها نحو الشيوعية . وان هناك فى اقصى الشرق فى اوربا تجربة اجتماعية جديدة لم يسبق للبشر ان حققوها فيجب ان تتوافر النيات الحسنة على تمكين الروس من تحقيقها

ولكن لم تمض اعوام حتى اتضح لجميع المثقفين ان روسيا انما هى عبء على الاصلاح والاشتراكية وليست عونا لها. فان الغلو الذى انساق اليه زعماؤها فى الدس الحزبى فى الاقطار الاجنبية ومكافحتهم للدين واضطهادهم لخصومهم كل هذا وغيره جعل المحافظين يرعبون ويرون فى كل حركة اصلاحية بادرة من بوادر الثورة التى سوف تنتزع منهم مقامهم الاجتماعى والاقتصادى

ووقف موسولينى فى ايطاليا حوالى سنة ١٩٢٢ يستروح روح الشيوعية فى احتلال العمال للمصانع فانتهز الفرصة وتزعم ايطاليا لمكافحة الشيوعية باسم الفاشية

وقد رأينا كيف تنتصر الافكار الفاشية أو ما يشابهها فى ايطاليا ثم المانيا ثم النمسا وهنغاريا وبولندا ويوغوسلافيا واليونان . وها هى على وشك الانتصار التام فى اسبانيا . ومهما قلنا فى قيمة هذه الافكار الفاشية فمما لا شك فيه انها الرجع للشيوعية الروسية . وانه لولا هذه الدعاية الشيوعية لما كان هناك معنى للفاشية أو الاشتراكية الوطنية بل المرجح ان أوربا كانت تعيش الآن على المبادىء

السياسية التى عاشت عليها قبل الحرب الكبرى فيكون هناك المحافظون والحريون والاشتراكيون أو العمال وعندئذ كانت تسير الاصلاحات فى تدرج لا يذعر منه احد. بل كانت الاشتراكية المعتدلة يتحقق القسم الاكبر من برامجها . ويمكن ان يقال ان الاشتراكية لهذا السبب خسرت فى اوربا بقيام الثورة الروسية ولم تكسب . بل ان الاصلاحات الاجتماعية قد وقفت بعض الشىء لانها حسبت فى نظر الاحزاب كأنها تجرئة للعمال وحث لمطامعهم

ولو لم تفز أحزاب اليسار قبل سنتين فى اسبانيا بأقلية كبيرة من الشيوعيين لما وجد فرانكو سبيلا الى الثورة عليها . هذه الثورة التى لن تمضى أيام معدودات حتى تكون قد أقامت زعيمها على رأس حكومة فاشية جديدة تسير على النمط الايطالى

مساكن الفقراء

لا يتمالك كل مصرى يغار على الرقى الاجتماعى من السرور حين يقرأ المحاضرة التى القاها وكيل مصلحة العمل الاستاذ حامد العبد بك . فاننا نجد فيها تفكيرا اجتماعيا كان إلى وقت قريب لا يعد غريبا فقط بل نابيا عن همومنا الوطنية كأنه النغمة النافرة فى اللحن المنسجم .ولم يكن هذا اللحن المنجسم مع الاسف سوى المشاحنات الحزبية التى يمكن أن توصف بما هو أسوأ من هذا الوصف . بل لعل هناك من لايزال يجد هذا التفكير كذلك وانه لهذا السبب لا يستحق الالتفات او الاهتمام

ولكن من المبالغة فى الانكار أو التشاؤم ان نقول ان الوجدان الاجتماعى لا يزال ميتا أو راكداً . فان فى ضمير كل مصرى مثقف عارا مكنونا هو هذه الحال التعسة التى يشقى بها فقراؤنا من الفلاحين والعمال سواء فى مسكنهم أو طعامهم أو الحرمان العام الذى يكابدونه . والمساكن هى الاولى فى اثارة ضمائرنا لانها تجرح كرامتنا بحقارتها وتشعرنا بأننا لا نساعد الفقراء على رفع مستواهم الاقتصادى والاجتماعى

وفى المحاضرة كثير من الملاحظات النفيسة . فان الاستاذ حامد العبد بك يرى انه ليس لنا الحق فى ان نقول «مساكن العمال» وانما الاحرى ان نسميها مساكن الفقراء حتى تشمل مساكن

الفلاحين فى الريف والفقراء عامة فى المدن من عمال أو غيرهم . ويذكر القراء ذلك المنزل الذى انهدم فى القاهرة وقد بلغ القتلى فيه ١٢ قتيلا وضعفى هذا العدد من الجرحى . فان هذا المنزل هو مصداق ما قاله المحاضر إذ هو لم يكن من منازل العمال الخاصة وانما كان من منازل من الفقراء عامة . ومن ملحوظات المحاضر التى تستحق الالتفاف قوله انه يلاحظ ان سكان المنازل فى الريف يتمتعون بصحة نوعا ما اذا كانوا ذكورا . وتسوء صحتهم كثيرا اذا كانوا أناثا . وهو يعلل هذه الحال التعليل الصحيح حين يقول إن السبب ينحصر فى ان الفلاح يخرج للحقول حيث تحييه الشمس والهواء فى حين تبقى زوجته أو سائر أسرته من الاناث، فى هذا المنزل المظلم الذى يفتك بصحتهن

وقد ذكر المحاضر مروراً ان مساكن الفلاحين تحتاج الى نحو ١٢٥ مليون جنيه اذا أردنا تجديدها أى اقامة مساكن جديدة تحوى جميع الشروط الصحية بدلا من المساكن القديمة . وهذا المبلغ ضخم ومن البعيد جدا ان تفكر حكومة مصريه وخاصة فى متاعبها الحاضرة والتى ستلازمها بضع سنوات قادمة فى القيام بمثل هذا المشروع الكبير . وان كنا نشعر هنا بوخزات الضمير الذى يذكرنا باننا انفقنا فى نصف القرن الماضى على اصلاح الارض الزراعية نحو هذا المبلغ أو أكثر منه فى بناء الخزانات وحفر القنوات والمصارف والمحطات الكهربائية وتجفيف المناقع . اجل . اننا أصلحنا الريف . ولكننا أصلحنا التربة لكى تزيد غلاتها . ولم نصلح القرية التى يعيش فيها الفلاح . ولذلك فان الارض المصرية هى أخصب أرض فى العالم . ولكن القرية المصرية هى مبعث الالم والخجل لنا جميعا . بل نستطيع ان نقول أن دودة القطن التى تفتك بهذه الشجرة تجد من العناية والقوانين القهرية ما لا تجده دودتا الانكلستوما أو البلهارسيا اللتان تفتكان بجسم الفلاح وتمزقان احشاءه وتفسدان دمه . فكأن صحة القطن اغلى على نفوسنا من صحة الفلاح

ولكن اذا لم نكن قادرين على التجديد فلا اقل من الترقيع حتى يئن اوان التجديد ولا عبرة بمنازل انموذجية ننشئها هنا وهناك لان عقدتنا القائمة ليست عجزنا عن المعرفة لابناء الحسن . بل هو العجز عن توفير المال لايجاد المنزل الحسن . واذن ينحصر واجب الحكومة فى المساعدة المالية مع سن القوانين التى تضطر المالكين — فى حدود المستطاع — إلى العناية بالمساكن التى يسكنها الفقراء . فنحن نعرف مثلا من المثال الذى ضربه المحاضر عن سوء صحة النساء فى المنزل الريفى ان هذه

الحال تعود الى أن المنزل محروم من ضوء الشمس والتهوية والنظافه العامة . فهل فى الدنيا أسهل من سن قانون يشترط على كل من يملك منزلا الا تكون به غرفة بلا نافذة ؟

ان مثل هذا القانون لا يكلف الحكومة شيئا وهو لا يكلف المالكين سوى اليسير جدا من النفقات . ولكن الشمس والهواء حين يدخلان منزل الفلاح يكون منهما وقاية من الامراض ومتعة جديدة لأهل بيته

ثم بعد ذلك نتدرج فى سن قوانين تحتم شروطا صحية جديدة لا ترهق المالكين

والى هذا يمكن الحكومه – كما اشار المحاضر الى ذلك – ان تقوم بما قامت به حكومات المانيا وبريطانيا وهولندا وغيرهن فانهن قمن عن طريق المجالس البلديه" ببناء المنازل للفقراء أو أقرض الشركات التعاونيه" والخيرية والاستغلاليه" بعض المبالغ بلا ربا او بربا قليل لا يتجاوز ثلاثه" فى المائة" لكى تبنى المنازل وتبيعها على خمسين أوستين سنه" للمالكين الذين يؤدون القسط وكأنهم يؤدون الايجار فاذا انتهت المدة صار المنزل ملكا خالصا لهم . وهذه الحكومات – لكى تقلل النفقات – تجعل البناء على ارضها الخاصة" حتى لا ترتفع الاثمان . وتستطيع حكومتنا ان تفعل مثل ذلك فان ربع مليون جنيه كل سنة" يرصد لاقراض الافراد او الهيئات القائمه" بالبناء يكفل توالى التجديد لبلادنا عاما بعد عام .

ولو كنا نتبع مثل هذه الخطة" منذ سنوات لما حدثت هذه الفواجع التى تغض من كرامتنا حين نرى منازل الفلاحين أو حين نسمع عن منزل ينهدم ويقتل تحت انقاضه ١٠ او ٢٠ من المصريين المساكين

وليس المنزل الحسن من الضروريات التى تطلبها الصحة" الجسمية" وتوقى الامراض الفردية فقط بل هو ايضا شرط للصحة الاجتماعية . لأن المنزل السيء وكر الجريمة ومبعث على الانحطاط الأخلاقى

الثقافة والبيئة الاجتماعية

اذا صرفنا النظر عن الوجهة المذهبية لنظرية كارل ماركس الاقتصادية فاننا نضطر الى الاعتراف بانه لم يظهر قط تفسير فلسفى للاجتماع والثقافة مثل هذه النظرية ، ولا نكاد نعرف أداة أخرى لفهم التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله فى الاجتماع والرقى فى الانحطاط مثل هذه النظريه . ومما يؤسف

له كثيرا ان هذه النظرية أصبحت مذهبا سياسيا تجذب اليه حماسة المتعلقين به ومقت الكارهين له لأن انتقالها من ميدان الفلسفة الى ميدان السياسة قد جعلها من «العقائد» وبذلك تضيع أو تقل الفائدة التى تعود من درسها

ولسنا فى مقام الشرح لهذه النظرية . ولكننا نقول أنها تتلخص فى ان كل اجتماع فى أى أمة وفى أى عصر انما يقوم على النظام الاقتصادى السائد . فالطبقة التى تحصل على ميزات اقتصادية تحصل ايضا على ميزات اجتماعيه . وكلما انحط المركز الاقتصادى لاحدى الطبقات انحط مركزها الاجتماعى . والفلسفة والعلوم والاداب والعقائد والاخلاق والثقافة عامة هى جميعها ثمرة النظام الاقتصادى بحيث لو تغير هذا النظام لتغيرت هذه جميعها . ونحن حين نفكر انما نسير على أسلوب خاص تتقيد به من حيث لا ندرى بهذه البيئة الاقتصادية . فالاديب حين يكتب مقالا أو يؤلف قصة والعالم حين يفكر فى اكتشاف أو اختراع والفيلسوف حين يبحث عما يزعم أنه «الحقائق» والاخلاقى حين يميز بين الفضائل والرذائل ويعين القيمة الانسانية لألوان النشاط البشرى — كل هؤلاء انما يعملون وهم خاضعون للاجتماع المحيط بهم أى للاحوال الاقتصادية التى أوجدت هذا الاجتماع

ولنضرب مثلا على ذلك هذه السيكلوجية التى انشأها فرويد مكتشف العقل الباطن . فان الانسان يتوهم ان النشاط الذهنى وحركة الغرائز يجب ان يكونا بعيدين كل البعد عن نظام القرش والمليم فى الامة وعن الاعتبارات الاجتماعيه . ولكن قليلا من التأمل يثبت العكس . فان فرويد يقول ان الكبت أى قمع الشهوة انما يشيع بيننا لأننا نعيش فى بيئة اجتماعيه لا تتيح فرصة التنفيس والتفريج للشهوة الجنسية وأن أحلامنا وأمراضنا النفسيه هى النتيجة لهذا الكبت . وأن النشاط الفنى والاجتماعى انما هو كبت قد تسامينا به الى منافذ اخرى غير المنفذ الطبيعى . وهذا كله واضح ومعناه ان سيكلوجية العقل الباطن ليست حقائق مطلقة صادقة فى كل زمان ومكان وانما هى حقائق تتعلق بالاجتماع الحاضر فقط . واننا حين ننتقل الى وسط اخر له اجتماع آخر مثل روسيا لا يكون فيه الكبت أو حيث تقل خطورته لا يعود لسيكلوجية العقل الباطن ذلك المعنى الذى لها فى الاجتماع الاوربى الحاضر

وكذلك الشأن فى سائر العلوم والاداب والاخلاق والعقائد . فانها جميعها ثمرة الاجتماع وهى «مكيفة» به أى بالاجتماع فاذا تغير هذا الاجتماع تغيرت هى ايضا ، فاذا شئنا ان نعرف الاسباب التى أوجدت الفلسفة الوسيلية « أو العملية » التى قال بها وليم جيمس فيجب أن نتلمسها فى الاجتماع الذى عاش فيه هذا الفيلسوف . بل نظرية كارل ماركس نفسها انما هى نتيجة الوسط الاجتماعى فى منتصف القرن التاسع عشر . والمكشفات العلمية الحديثة هى كذلك مكيفة بالاجتماع . والأدب الذى هو استجابة الأديب للطبيعة والاجتماع انما يتكيف بالنظام الاجتماعى حتى وهو يتأمل جمال الزهرة أو النجمة لأنه انما تعلم المقابيس لهذا الجمال من البيئة الاجتماعية .

وليس هناك مفكر يمكنه أن يفكر فى الحقائق المجردة . وانما هو يفكر فى أشياء هذا العالم من حيث علاقتها بالاجتماع المحيط به . والتفكير نفسه هو بطبيعته «والفاظه» اجتماعى . ولو عاش أعظم المفكرين ذهناً فى صحراء لكان ذهنه والتراب الذى يدوسه سواء

ومن هنا نستطيع أن ندرك الاسباب التى جعلت رجال الفكر فى الامم الاسلامية يصيرون متكلمين فى القرنين الثانى والثالث . ثم فلاسفة فى القرون التاليه . لان المجتمع الاسلامى كان فى القرون الاولى دينياً أى أن الطبقة السائدة فيه كانت طبقة رجال الدين وكانت لهم جميع الميزات الاقتصادية فاستخدم التفكير فى خدمة الكلام . ثم تضعضع مركز الخلافة «الدينية» وظهر ملوك وأمراء مستقلون فانتقلت الميزات الاقتصادية اليهم وتغيرت الهيئة الاجتماعية قليلا فاخذ الفلاسفة مكان المتكلمين . ونستطيع أن نزيد فى ضرب الامثلة . وحسبنا أن نقول أن الكيمياء فى عصرنا هى قبل كل شىء علم يخدم المصانع . والسيكلوجية علم يخدم الدعاية و كفاءة العمال . أى أن للاثنين تعليلا اقتصاديا

العجوز القاصرة

قرر مجلس الوزراء فى أوائل نوفمبر الماضى الموافقة على تأليف لجنة برياسه وزير الاشغال لوضع نظام الاحتفال بمضى ألف عام على مدينة القاهرة . ومن المدهش أن يبلغ عمر القاهرة ألف عام ولما تبلغ سن الرشد ، اذ لم تنشأ بها بلدية تدير شؤونها وتكسبها الشخصية المعنوية ! بل تدير شؤون القاهرة الى الآن مصلحة تسمى « مصلحة التنظيم » هى بدعة من البدع المصرية حتى أنه — كما يقول الاستاذ سلامه موسى — لاتوجد ترجمة لاسم هذه المصلحة فى اللغات الاجنبية فاصطلح على ترجمتها

بنفس اسمها العربى !! ولبلدية القاهرة قصة غريبة هى مثال من أمثلة التراخى و الاهمال فى شؤون البلاد الحيوية . فمنذ أمد بعيد ونحن نقرأ من الصحف عن مشروع هذه البلدية : كأن يقال أن أحد كبار الموظفين قد قدم مشروعا لبلدية القاهرة وهو تحت الفحص ، أو أن الحكومة قد أوفدت بعض كبار موظفيها لدراسة نظم البلديات فى أوربا تمهيداً لانشاء بلدية القاهرة على أحدث النظم ، أو أن اللجنة الرئيسة لدراسة مشروع بلدية القاهرة قد اجتمعت وقررت تشكيل لجنة فرعيه الخ . ثم يقف الامر عند ذلك ولا نرى عملا جديا ، وكأن بلدية القاهرة هذه معضلة من المعضلات العويصه ! مع أن لكل مدينة من المدن المصرية بلدية ، بل لقد أنشئت بلديات لكثير من القرى ! ! وما على الحكومة لو أرادت اخراج مشروع بلدية القاهرة سريعا الى حيز الوجود ألا أن تتخذ من بلدية الاسكندرية نموذجا تحذو حذوه مع تفادى ما أظهره العمل فى هذه البلدية من عيوب . وليس هذا الامر بعسير : فرجال التشريع عندنا بحمد الله كثيرون ، وعقبة الامتيازات الاجنبية قد ذللت ، وكافة ما فى بلدية الاسكندرية من عيوب مدون فى محاضر لجنة تحقيقات البلدية التى استمرت تعمل فى هذه التحقيقات أكثر من عام وأعضاء هذه اللجنة جميعا موجودون اذا أريد الاسترشاد بهم . وفوق ذلك فان تشريع بلدية القاهرة سوف لا يكون تشريعا سماويا لا يجوز بعد ذلك تعديله حين يظهر العمل ما به من عيوب ! أما أن يحتفل بمرور الف عام على مدينه القاهرة بأن تولم الولائم وتنصب الزينات ثم ينتهى الاحتفال وبلدية القاهرة ما زالت مشروعا يفحص عنه والقاهرة العجوز ما زالت قاصرة كما هى فسوف يكون ذلك سخريه وأى سخريه !! الواقع أن الناس قد سئموا هذه الاحتفالات التى تقام فى كل مناسبه وبلا مناسبه وتبعثر فيها الاموال بلا ثمرة أو فائدة وان القاهرة رغم ازدياد العمران بها زيادة مضطردة ما زالت فى مؤخرة البلاد نظاما ونظافه وأناقه بل هى أقرب الا أن تكون قريه كبيرة أو مجموعة من القرى . وخير للقاهرة وأبقى أن يكون الاحتفال بمرور ألف عام عليها احتفالا عمليا نافعا وذلك بالاعتراف بشخصيتها وانشاء بلديه لها ، فتبدأ بذلك مدينة المعز لدين الله عهدا جديدا

صلاح الدين كامل



طعمها مر ..

اطالة العمر

نشرت المجلة الجديدة «عدد ينـــاير» مقالا لأحد الاطباء العراقيين قال فيه أنه استطاع أن يحيى ميتا كان قد مضت على وفاته دقائق . وذلك بأن حقن قلبه بقليل من مادة الادرينالين . وقد عادت الحياة الى هذا الميت . وعاش بعد ذلك سنوات ولـكنه فقد القدرة على النطق كما فقد التمييز بين الاشخاص

وقبل سنوات استطاع جراح روسى أن يفصل رأس كلب من جسمه ثم وصل الرأس بجهاز يقوم مقام القلب وينقل الى الرأس الدم الممزوج بالاوكسجين . والجهاز يدور بالقوة الـكهربائيه فيدفع الدم فى الشرايين ثم يسحبه من الاوردة فيبقى الرأس حيا مدة طويلة يفتح عينيه وينبح «بلا صوت طبعا» ويحرك لسانه عند شمه رائحة الطعام ويقشعر من وخز الابرة الخ

وعلى هذا المبدأ صنع لندبرج الطيار المشهور بالاشتراك مع الـكسيس كاريل العالم البيولوجى جهازا يقوم مقـام القلب وغرضهما من هذا الاختراع ان ينزع القلب العاجز من احد المرضى ويركب له هذا القلب الذى يدار ببطـارية كهربائية وهما يقولان ان صاحبه بالطبع يمكنه أن يعيش عشرات بل مئات السنين ، بل يمكن ان يركب للسليم كما يركب للعليل لأن هـذا الجهاز يمكن الاستبدال به عند بلاه

وكاريل هو الذى يقوم بالتجارب فى أنسجة مختلفة من الجسم . وهو يقول ان الانسان مجموعة من الخلايا التى يموت بعضها فى حين يبقى سائرها سليما ، بل هو يرى أنه ليس هناك ما يمنع من أن تعيش الخـلايا الى الابد ولا تعرف الموت اذا أمكننا ان نعرف كيف نخلصها من المواد السامه التى تحيط بها وتتخلف عنها فى تمثيلها الغذائى ونشاطها الحيوى . بل هو أستطاع أن يجعل نسيجا من قلب فرخ يعيش ٢٥ سنه أى أكثر من عمر الفرخ ثلاث أو أربع مرات . وهو يدعو الى ايجاد مؤسسة

مستقلة غايتها البحث عن الوسائل التى تطيل العمر فى الانسان والحيوان

وقد قام الدكتور ماكيندر الامريكى بتجربة على غاية من الخطورة . فانه حقن عدداً معينا من الكلاب بمركب من الاورانيوم . فمات بعض الكلاب ، ولم يمت بعضها من هذا السم ، فشرح بعض الكلاب التى لم تمت فوجد فى الكبد خلايا قد ماتت ، وقامت مقامها خلايا أخرى أقل كفاءة من الاصليه

ثم حقن الكلاب الباقية بحقنة ثانية من مركب الاورانيوم فلم يمت منها احد وهو يستنتج من هذه التجربة اننا نصطدم فى حياتنا بسموم كثيرة نتغلب عليها ولكن الخلايا الجديدة التى تنشأ عقب السموم والتى تنجينا من الموت هى أقل كفاية من الخلايا الاصلية . ويتوالى السنين ينحط الجسم فينتهى الى الموت

ووجد كاريل ان النشاط ينقص العمر فقد قسم جماعة من الفئران قسمين احدهما منع من الحركة إلا قليلا . والاخر بعث على اللعب والنشاط والحركة . فنقصت اعمار القسم الثانى عن الاول بمقدار ٣٤ فى المئه . ونستطيع من هذه أن نفهم لماذا تطول أعمار النساء وتقصر أعمار الرجال

واثبتت شركات التأمين ان النحافة تساعد على طول العمر فى حين يؤدى السمن إلى قصره

وقد لخص أحدهم الشروط الرئيسة التى ثبت ان جميع المسنين تقريبا يحصلون عليها أو على معظمها وهى :

١ — انخفاض ضغط الدم وبطء دقات القلب

٢ — ميزة الابوين المعمرين

٣ — النحافه

٤ — قلة المجهود العضلى بعد الاربعين

٥ — الامتناع عن الخمور او الاقلال منها

٦ — الامتناع عن التدخين

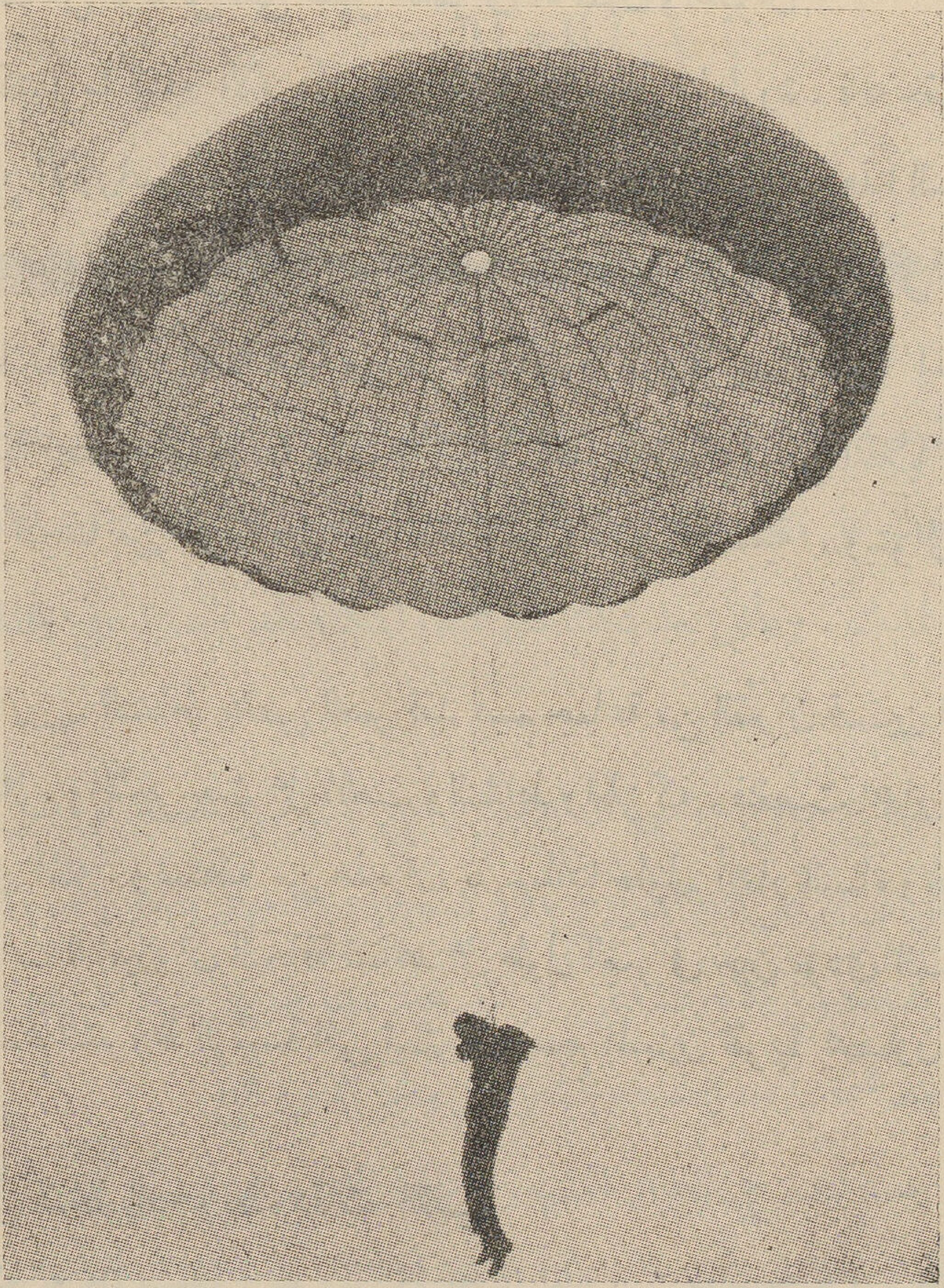
٧ — حرفة غير مكروهه

٨ — نفس متفائلة لاتبالى الهموم

٧ — شخصية متشعبة الاهتمام بأعمال مختلفة

١٠ — حظ حسن فى تجنب الحوادث

من علامات الزمن



رجل يتعلق بالباراشوت ويسقط من ارتفاع كيلو مترين

فى روسيا وألمانيا وفى كثير من الامم الاوربيه اصبح البارشوات أى المظلة التى تمنع السقوط مألوفة كأنها البسكليت عندنا . فان الشبان يتعلمون النزول بها من الطائرات على ارتفاع ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ متر . وهم يربطون أنفسهم بالباراشوت فاذا كانت الطائرة على أقصى سرعتها القوا بأنفسهم منها . فتنفتح كالمظلة وبدلا من أن تهوى ساقطة على الارض تنزل فى بطء حتى يبلغ صاحبها الارض وكأنه قد وثب مسافة متر بالليل أو أقل . والشبان والفتيات يرتاضون هذه الرياضة حتى اذا نشبت الحرب كانوا فى خدمة الجيش يحملون اسلحتهم ، ينزلون مئات والوفا فى ارض العدو ويتحصنون أو يفتحون الطريق لهجوم الجيش المغير

ثقافة بشرية؟

أم ثقافات وطنية متعددة ؟

للاستاذ سلامه موسى

يجب أن تكون لكل أمة شخصيتها التى تنطبع فى فنونها أدبا وموسيقا ورسما وغناء وغير ذلك لأن الشخصية هى نفسيتنا الخاصة التى هى ثمرة الوراثة والوسط وهما أى الوراثة والوسط لا يتكرران فى كل مكان أو زمن . ومن هنا اختلاف هذه الفنون بين أمة وأخرى وهذا الاختلاف هو من مصلحة الثقافة البشرية إذ هو يعدد الألوان الفنية ويشق بهذا التعدد طريقا للتطور ويحول دون التجمد فى هذه الفنون حتى تستحيل أساليبها تقاليد لا تقبل الرقى . والفن أقرب الأشياء الى اللغة إذ هو أداء عن النفس بالرسم أو الغناء أو الموسيقا أو النحت أو الانشاء أو النظم . ومن حق كل أمة وواجبها بل من مصلحة العالم كله أن تكون كل أمة حرة فى الأسلوب الذى تتخذ لهذا الاداء . ولسنا نعنى هنا أنه يجب على كل دولة أن تقرر لأبنائها هذا الأسلوب . لان شرط الفن الاساسى هو حرية الاداء . فالحرية الفنية لامة ما انما هى فى النهاية حرية الفرد من أبنائها فى ممارسة فنه كما يشاء

ولكن هناك — غير الفنون — ثقافة بشرية هى ثمرة الرقى البشرى كله على جوانب هذه الكرة الارضية التى نعيش عليها . واذا كان يجوز لنا أن نقول أن هناك فنا صينيا فى الرسم أو فنا ألمانيا فى الموسيقا فلا نستطيع أن نقول أن هناك ثقافة انجليزية خاصة أو ثقافة روسية خالصة لان الثقافة ملك عام للبشر وهى ثمرة المجهود البشرى كله . فلا نستطيع أن نصف الكيمياء أو الجغرافيا أو التاريخ أو البيولوجيا أو الدين أو الاجتماع بأنها يابانية أو مصرية او فرنسية . ولو كان هناك سبيل الى التأثير فى هذه العلوم بحيث ينطبع أحدها بنفسية احدى الامم لكان واجبنا الاول عند درسها أن نتخلص من هذا الطابع ولا نسلم به

الثقافة بشرية والفنون وطنية . هذا هو ما يجب أن يكون . بل حتى هـذه الفنون مع الظروف الجديدة التى تسود وقتنا من حيث التأثير الذى يحدثه السينما توغراف والرديوفون والصحف المصورة والمعارض المتوالية وتبادل التجارة قد صارت رويدا رويدا تخرج من منطقتها الوطنية الى المدى العالمى وصارت تكسب الامم المختلفة ذوقا موحدا فى الفنون أو على الاقل فى المبادىء العامة له . وما دام هذا التوحيد أو ما يقرب منه يحدث بلا قسر فلا خوف منه من حيث فناء الشخصية للفرد أو للامة . اذ هو عندئذ تطور حر وهذا التطور يجيز التشعب والانتقال والانحراف

ولكن النزعات الوطنية الحديثة قد بلغت من الحدة شأوا عظيما حتى صار دعاتها يدعون الى ثقافة وطنية . وهم بالطبع لا يستطيعون أن يصبغوا الكيمياء أو الطبيعيات بلون وطنى ، ولكنهم استطاعوا أن يجعلوا التاريخ وطنيا وأن تجحدوا النظريات الجديدة فى السيكلوجيا والاقتصاديات وأن يصبغوا البيولوجيا البشرية بصبغة وطنية . بل الدين نفسه قد لقى منهم تنقيحا ان لم نقل تحريفا حتى صارت احدى هذه الامم فى الحدة أو الغلو الذى انتهت اليه بجحد نظريات فرويد فى العقل الباطن . وتدرس النظريات الاقتصادية كما تحب أن ترى الدولة وليس كما يجب أن تكون. بل السلالات البشرية نفسها قد فقدت قيمتها البشرية وانحصرت القيمة فى السلالة التى تنتمى اليها هذه الامة أو تلك . وأصبح التاريخ يكتب وكأنه مجموعة أراء وأخبار قد مرت تحت يد المراقب الذى تعينه الدولة وقت الحرب لمنع الاخبار السيئة وتزييف سائر الاخبار . فهنا زيادة وهناك نقصان لكى لا يعرف التلميذ أو الطالب أو الجمهور غير ما تحب الدولة أن يعرفه عن غابر الامم وحاضرها .أو نقول بكلمة أخرى ان الثقافة قد عبئت لخدمة الدولة دون خدمة البشر . وهـذا يعنى ان الدولة قد احتلت المكان الذى كان للبشرية من قبل

وهنا الخطر العظيم . فان الثقافة هى مجهود البشر كله ويجب أن تبقى فى خدمة البشرية . كما يجب أن تكون البشرية فوق الوطنية . وهذه الوطنية الحادة الجديدة تجعل من الثقافة وسيلة الى العداوة بين الامم فى حين يجب أن تكون الوسيلة الى الاخاء البشرى . بل هى كانت ولا تزال كذلك فيما عدا هذه الامم التى ذكرنا . هى التراث الذى ورثنا من جميع الامم وهى التى تربطنا بالجهد الصادق نحو الرقى العام . فنحن نمارس الثقافة وندرس ونتعلم لكى نرتقى ولكى نجعل الانسان — كما يقول توماس مان — انسانيا . ولكى نزيد السعادة ولكى نمحو الحروب ونجعل التعاون يأخذ مكان

التنازع ولكي نعمم الحياة الطيبة بين جميع الناس . وقد اشتركت جميع الامم فى هذه المجهودات الشريفة وليس من حق أمة أن تستأثر بثقافة معينة وتقول بطريقة فى درس العلوم تشايع بها هدفا خاصا دون الهدف البشرى . وقد سبق للاغريق أن اصطنعوا الثقافة المصرية . وأخذ الرومان عن الاغريق وأخذ العرب عنهما كليهما ثم عادت أوربا فاصطنعت ثقافة العرب حتى انفجرت النهضة الاوربية. وميزة هذه النهضة هى الروح البشرى

وهذا الروح البشرى هو الى الان ميزة كل رجل مثقف . وهو الذى يجعله رجلا عالميا فى خدمة البشر قبل أن يكون وطنيا فى خدمة الوطن الخاص الذى ينتمى اليه. بل هذا الرجل المثقف لا يستطيع أن يفهم للوطنية مغزى الا أنها الوسيلة الفعالة لخدمة البشرية . فاذا رأى أن خدمة وطنه تقتضى المظالم وتقييد الحريات ونشر الضلالات فان الروح البشرى الذى أثمرته الثقافة فى نفسه يجعله عدو وطنه وصديق العالم. أو بكلمة أخرى نقول أن الثقافة تجعل الرجل المثقف ينظر النظرة الدينية لهذا العالم . وهى نظرة تتجاوز حدود الوطن الى المدى العالمى

وبدهى أنه اذا تعددت الثقافات وأصبح لكل أمة لونها الخاص الذى تختار منها لكى تخدم مآربها بالوطنية ، فان هذا التعدد يؤدى فى النهاية الى التفرقة والشقاق بين الامم والى أن تعتقد كل أمة أنها خير من الاخرى . فلا يكون من ذلك غير الحروب وغرس الاحقاد . وهذا هو ما نحن فيه أو فى سبيله نسير الى غايته المشئومة : اثرة وطنية تتغلب على الايثار البشرى!

ومن هنا كان اهتمام المجددين فى أوربا بتأييد الرابطة العالمية والتضامن البشرى بالدعوة إلى تأليف موسوعة تشرف عليها هيئة من الاختصاصيين فتجمع فى مجلداتها ثقافة البشر على مدى التاريخ وتترجمها الى جميع اللغات الحية حتى يقرأها الجميع من الجماهير المتعلمة فى كل أمة فيتعرف كل قارىء منهم الى المجهود الذى بذل فى الوف السنين الماضية لترقية الانسان ؛ وان هذا المجهود لم يكن قط ولا هو الان مقصور على أمة دون أخرى واننا جميعا أبناء هذا العالم يجب أن يحب بعضنا بعضا وان نجهد الجهد الشريف لرفع المستوى العام للعيش ومكافحة المظالم وزيادة الحرية والنور . وعلى هذا الاساس وضع الكاتب الانجليزى ولز تاريخه العام للبشر . وقد أتبع طريقته كثير من الكتاب المجددين

فبهذا النور يجب أن نستضىء ويجب أن ننظر الى الثقافة تلك النظرة الدينية النزيهة السامية

الاصلاح الزراعي في هولندا

للدكتور محمد على الكيلاني

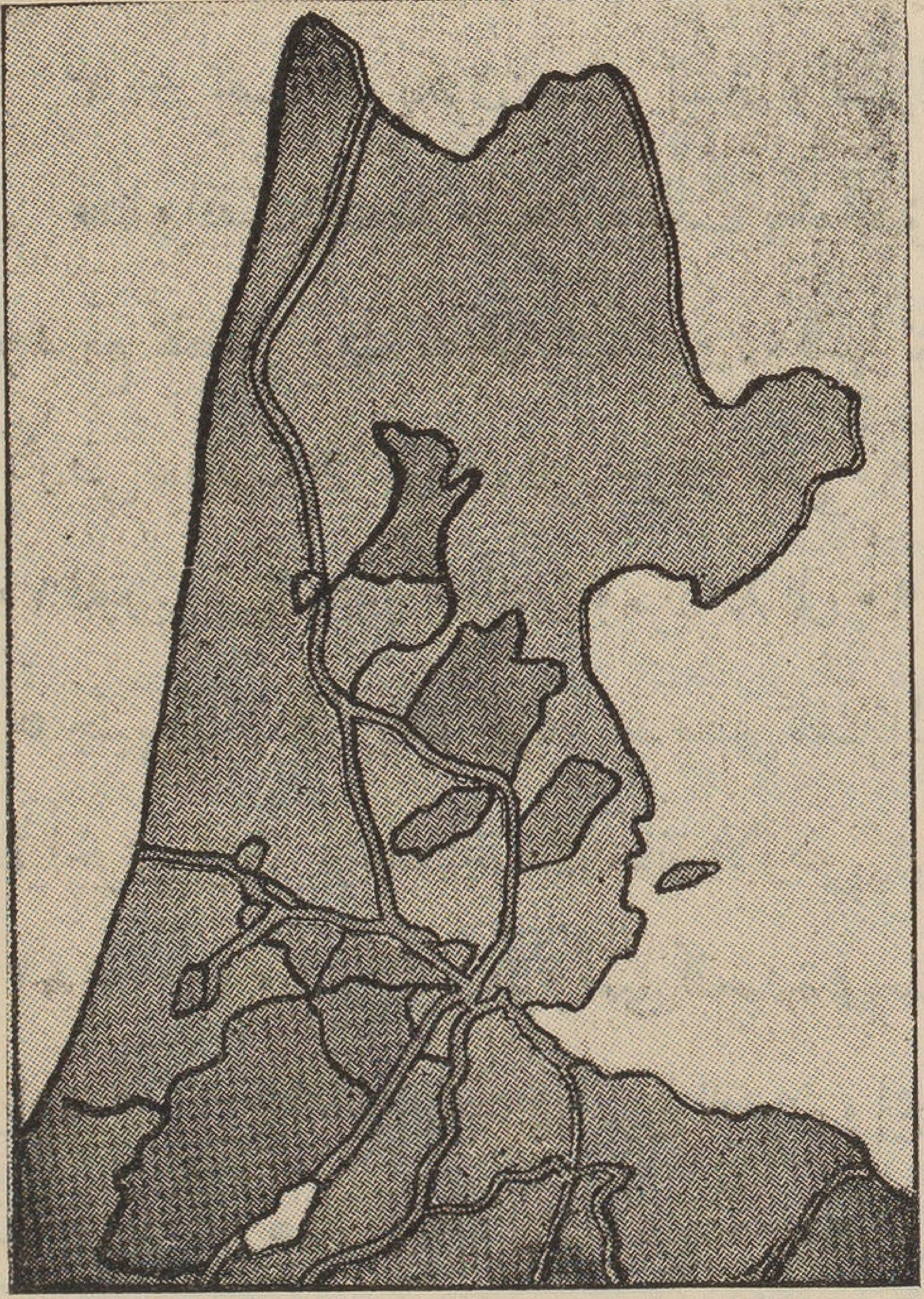
ابتدأت الحكومة الهولندية منذ ٦٠٠ سنة مضت فى السعى الى زيادة مساحة أراضيها الزراعية ولما كانت أراضى هولندا اما تحت مستوى سطح البحر أو فى مستوى مياه الانهر فقد كان لا بد من اتباع سياسة ينظم بها صرف المياه الزائدة وحماية الارض المستجدة من ماء النشع أو الفيضان، ولذا ترى الأنهر والمجارى المائية تنتشر فى هذه انتشار الشرايين فى الجسم



هولندا سنة ١٥٠٠ ومعظم أرضها مغمورة بالماء

ابتدأت هولندا منذ أربعة قرون فى الانتفاع باراضيها المغمورة بالمياه اما بتحويل تلك المياه الى الترع أو بنزحها الى البحر، ومن أمثلة ذلك منطقة بحر (الزودر — زى) حيث أصلح ما مساحته ٥٥٠ الف فدان تقدر قيمتها بمبلغ ١٦ مليون جنيه، وبهذا المشروع زيدت مساحة الاراضى الزراعية فى المملكه ١٠ فى المائة وقد انتفع زيادة على الاراضى الزراعية بتكوين بحيرة صناعية مياهها حلوة . ومن المناطق التى جففت منطقة مساحتها ٤٨ الف فدان وهى تعتبر اكبر مساحة زراعية فى قطعة واحدة فى العالم، وتقوم

الحكومة بجميع مشاريع الاصلاح ومصاريفها ، والرسمان يوضحان حالة الاراضى قبل صرف المياه عنها وحالتها بعد تحويل تلك البحيرات الى اراضى زراعية ، وهناك طريقتان لذلك . فاذا كان الجزء المغمور بالماء قريبا من نهر حفرت الترع لتوصيله اليه فينصرف الماء بطريق النهر الى البحر ، حتى اذا جفت الارض حفرت فيها المصارف والمراوى لأتمام صرفها واعدادها للزراعة ، أما اذا كان الجزء المغمور بالماء كبيرا ويتصل بالبحر مباشرة كمشروع بحر (الزودر—زى) فيقام جسر حاجز يفصله عن البحر ، وبعد ذلك تقام الاهوسة والطلمبات لرفع الماء من تلك الاراضى وصرفها بالبحر ،وقد فهمت من المناقشة أنهم فى هولندا ينتفعون بحركة المد والجزر فى البحر ، خصوصا وان درجته هناك كبيرة ، فمياه البحر تتراجع عن الشاطىء مسافة بعيدة ، والطريقة المتبعة أن تقام بوابات أوتاماتيـة على ذلك الجسر الحاجز بحيث اذا انخفض الجزر ضغطت ميـاه المصرف تجـاه الارض البوابات فتفتحها وتصب مياه الصرف فى البحر ، فاذا جاءت مياه المد من البحر كان ضغطها على البوابات عكسيا بحيث يقفلهـا وبذلك لا تدخل بالتالى مياه الى الاراضى الزراعية ، وتلك طريقة معقولة ، ولو اننى لا أجزم بمبلغ صحتها



هولندا سنة ١٩٣٤!
وقد احيل البحر أرضا للزراعة

بعد صرف الماء عن الاراضى وحفر المصـارف والترع بها وشق الطرق الزراعية ورصفها بالمكدام تقوم الحـكومة بتقسيم الارض الى مزارع ، وتتفاوت تلك المساحة فى منـاطق أرض المراعى من ٤٠ الى ٥٠ أو ٦٠ هكتارا (الهكتار يساوى ٢٫٢٥ فدان) ومن ٢٠ الى ٢٠٠ هكتارا فى الاراضى التى تصلح لزراعة المحاصيل

وبعد تقسيم الارض الى مزارع تبنى الحكومة فيها المبانى اللازمة للزارع من منزل الى اسطبل للمواشى الى مخازن للآلات الى غير ذلك ، ثم تعرضها للايجار على الزارعين بالشروط التالية :

١ — يقدم الزارع طلبا الى لجنة التوزيع بتلك المنطقة مبينا فيه اسمه وعمله وعدد أفراد عائلته ومذهبه الدينى الخ . . .

٢ — يشترط أن يكون لدى الزارع رأس مال قدره ٣٠٠ فلورين (الجنيه ٩ فلورين تقريبا) عن كل هكتار .

٣ — يجب أن يكون حسن السير والسلوك ومهنته الزراعة .

فاذا وافقت اللجنة على هذا الطلب بعد السؤال عن هذا الزارع للتأكد من ماضيه ومن انه معروف بالجد مع تفضيل رب العائلة الكبيرة ، فانها تؤجر له المزرعة لمدة ست سنين ويشمل ذلك المبانى والارض ، وقيمة الايجار لبعض العزب هى ٦٠ فلورين عن الهكتار فى السنة للسنتين الاوليين و ٧٠ فلورين فى السنتين التاليتين ومن ٨٠ الى ٩٠ فلورين للهكتار فى السنتين التاليتين اى ٣ ثم ٥ر٣ ، ٣ ثم ٥ جنيهات للفدان بالتوالى ، وبعد مضى تلك المدة ، إما ان يشترى الزارع المزرعة إذا شاء أو يؤجرها لمدة أخرى بايجار ويحدد حسب حالة الارض الزراعية ، ومتوسط مساحة العزبة الزراعية ٣٦ هكتارا « ٨٤ فدانا » ويقدر ثمن الاراضى الجيدة فى سنة ١٩٣١ بمبلغ ٢٤٠٠ إلى ٢٥٠٠ فلورين للهكتار الواحد أو من ١٢٠ إلى ١٢٥ جنيها للفدان وإيجارها حوالى ٤٤ فلورين للهكتار أو خمسة جنيهات للفدان ، ومثل هذه الارض تغل من ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ كيلوجرام من البطاطس تباع من ٣ إلى ٦ فلورين لكل ١٠٠ كيلوجرام أى أن إيراد الفدان متوسطه حوالى ٦ جنيهات .

* * *

أما مساحات المزارع المخصصه للمراعى والتى يمكن ريها من الانهر فهى تتراوح بين ٩٠ و ٣٥ هكتار ، والمقرر لها بقرة وعجل لكل هكتار من الارض ، والزارع يمكنه أن يمتلك عشرة هكتارات ويقوم بحلب عشرة بقرات ، ويمكنه أن يشتغل علاوة على ذلك كزارع مساعد فى إحدى المزارع الكبيرة القريبة منه بأجر يومى من ٣ إلى ٤ فلورين تساعده فى حياته الزراعية .

وتنقسم أراضى هولندا إلى أراضى خصبة طميية حمراء تجود فيها محاصيل الحبوب والبطاطس

واراضى متوسطة للمراعى ، وأراضى ضعيفة قلوية ، وتلك تزرع اشجار للغابات كشجر الكافور والحور وغيرها .

* * *

١ — هولندا من أهم البلدان الزراعية فى العالم ، وأولاها فى مشاريع الاصلاح الزراعى .

٢ — جميع مشاريع الاصلاح ومصاريفها تقوم بها الحكومة .

٣ — تنقسم الاراضى إلى مزارع مساحتها تتوقف على طبيعة الارض وصلاحيتها ، إما للمحاصيل أو المراعى أو الغابات .

٤ — مزارع المحاصيل مساحتها تختلف بين ٤٠ أو ٥٠ أو ٦٠ هكتارا .

٥ — مزارع المراعى مساحتها تختلف بين ٢٠ إلى ٢٠٠ هكتار .

٦ — تقوم الحكومة ببناء جميع المبانى اللازمة للعزبة .

٧ — تؤجر العزبة لفترات مدتها ٦ سنين تبدأ السنتان الأوليان بايجار ٦٠ فلورين للهكتار ثم ٧٠ ثم ٨٠ فلورين ، ويمكن استئجار العزبة لفترة أخرى تحدد قيمة إيجارها حسب خصب الارض

٨ — يشترط فى الزارع أن يكون رب عائلة وعمله السابق مرضيا وكذلك سيرته طيبة وأن يكون معه رأس مال قدره ٣٠٠ فلورين لكل هكتار .

٩ — أن يتولى الزارع خدمة عشر بقرات .

إن الطريقة التى تتبعها هولندا فى إصلاح الاراضى هى من أصلح الطرق ، فقيام الحكومة باصلاح الارض وإقامة المبانى فيه ضمان كاف لأن يكون الاصلاح تاما ، وأن تكون المبانى جميعها جميلة التنسيق كاملة النظام فى جميع قرى الريف ، فلا يترك الحبل على الغارب لكل زارع يفعل كيف يشاء ، وإن لاشتراط الحكومة أن يكون لدى الزارع رأس مال كاف قبل استئجاره الارض خير ضمان لحسن استغلالها وإدارتها ، فان الزارع المفلس لا خير منه ولا يمكنه أن يقوم بخدمة أرض هى فى بدء إصلاحها ، وليس فى طلب رأس المال أى ظلم يقع على المزارع بل فيه ضمان لنجاح المشروع وضمان لمال الحكومة وياحبذا لو طبق هذا النظام فى مصر .

وأول ما يلفت نظر الزائر عند مروره فى هولنده هو النظام وحسن التنسيق وارتفاع مستوى الحياة بين الشعب فلا يقع النظر على بيت قديم أو متهدم ، كأنما أنشئت جميعها من قريب ، ويميل

الشعب إلى الالوان الزاهية التى تسر النظر ، ولا يخلو منزل من أصص الزهور ، تحلى بها النوافذ ، فتجذب النظر اليها ، ولافرق فى ذلك بين المدن والريف ، ونسبة عدد المبانى التى تنشئها الحكومة على نفقاتها لاسكان الشعب كثيرة جدا ، وهى مع مطابقتها لجميع أصول الفن الحديث ، فان فيها جمالا جذابا ، وهى فى المدن الكبيرة عبارة عن عمارات لسكنى العمال ، أما فى المدن الصغيرة والريف فتبنى منفردة ، وتختلف ما بين منازل صغيرة للعمال إلى منازل فخمة «فيلات» لذوى اليسار واهتمام الحكومة كبير بمبانى المدارس والمبانى العمومية ، ومن النظم المشكورة أنهم ينتفعون بالحدائق ونظام الطرق والترع فى تجميل المبانى ، وهم لا يتركون أرضا فضاء دون الانتفاع بها ، فالارض الفضاء تحول إلا حدائق للنزهة والرياضة ، فاذا وصلتها المبانى وأحاطت بها اقتضبت الحديقة تدريجا ، فيترك جزء منهـــا وسط المبانى لذلك الحى . وينقل ما بها من أشجـار إلى موقع آخر ، ولا تقتصر أشجار الحديقة على الزينة فقط ، بل هى مجموعة نباتية من أشجار العالم المختلفة ، فكل حديقة فى الواقع مدرسة للشعب ، ومدير الحدائق فى لاهاى يسعى جهده إلى إدخال كل ما يمكنه من نباتات وأشجار القارات الاخرى حتى يتأقلم منها ما يكون صالحا للمملكة الهولندية ، وقد رافقته فى زيارتى لتلك الحدائق ، فرأينا بها أشجـار وشجيرات ونباتات من الهند والصين واليابان وغيرها ، وهو يقوم بتهجين البعض منها بالآخر ، للحصول على أنواع جديدة ، ولقد كان لذلك نتيجته الطيبة فقد أمكنه أن ينتج أشجارا بدلا من الصنف الهولندى الذى أصابته الأمراض الفطرية .

فمملكة هولندة مع صغرها تعد من أوائل الدول فى كثير من الاشياء ، فهى الاولى بين ممالك معالم فى نسبة الصادر والوارد بالنسبة لعدد سكانها ، وهى الثالثة فى بناء البواخر ، ويوجد بها أكبر قناة ملاحية تصل بين بحر الشمال ومدينة أمستردام ، وتلك القناة اكبر من قناة بنما ، وهى أقل الأمم فى نسبة الوفيات ، وذلك دليل على مدى نظافة الشعب وعنايته بالشؤون الصحية ، وانه وان كان نصف السكان يشتغلون الزراعة ، فان النصف الاخر يعمل فى الصناعة ، فهولندا غنية بصناعاتها كما هى غنية بمنتجاتها الزراعية ، اذ تنتج هولندا أحسن أنواع الزبد والجبن والخضر والفاكهة والزهور ، وفيها صناعات كبيرة كصناعة «لمبات» وجهازات راديو فيلبس ، وصناعة الحرير الصناعى وسكر البنجر والطيارات وصناعة الالماس ، وتفخر هولندا بأنها الثانية بعد الدول — بعد بريطانيا — فى مساحة مستعمراتها

الشاعر الهمشرى كما عرفته

ذكري وبحث وتحليل

بقلم صديقه وزميله الدكتور محمد ابو طائلة

كان اول عهدى بشعر الهمشرى حين كنت محررا « للبلاغ الاسبوعى » فى سنة ١٩٢٦ وكان من ابواب هذه الجريدة باب عنوانه « ديوان الاسبوع » أنشر به مختارات مما يبعث به الشعراء . ففى احد الايام جاءتنى قصيدة قليلة الابيات عنوانها « العين الزرقاء » وموقعة بامضاء « م . ع . الهمشرى » ولم يكن معها خطاب ولا ايضاح وانما دلنى ختم البريد انها مرسلة من المنصورة أعجبنى من ذلك الشعر رقته وحلاوته فنشرته فى اول « ديوان الاسبوع » وقدمته على قصائد شعراء آخرين معروفين . وقد كتبت تحت عنوان القصيدة انها « للاستاذ م . ع . الهمشرى » ولم أكن أعلم فى ذلك الحين ان هذا « الاستاذ » ليس الا فتى يافعا وتلميذا بمدرسة المنصورة الثانوية !

وهكذا قال الهمشرى الشعر ونشرت له أولى قصائده وهو لم يكد يتخطى دور الطفولة فكان الشاعر الموهوب منذ حداثته . وكأنما أحس قصر العمر فتعجل الانتاج الادبى ، واستمر النبوغ والعبقرية ، فما ان بلغ الثلاثين حتى كان قد صعد الذروة وأدى الرسالة .

أما آخر عهدى بشعره - ويا للأسف - فقصيدة عنوانها « عاصفة فى سكون الليل » أعدها للنشر فى مجلة التعاون فابى القدر الا ان تنشر بعد وفاته . ويراها القارىء فى ختام هذا المقال وهى آخر ما نظم من الشعر .

نشأته وبيئته:

المعروف عن الهمشرى انه ولد بمدينة السنبلاوين لأنها موطن أهله وعشيرته. ولكن الحقيقة كما عرفتها منه انه ولد «برأس البر» فى أثناء اصطياف اسرته على عادتها كل عام. وكان والده المرحوم عثمان بك الهمشرى من الاتراك المتمصرين ومن اعيان مدينة السنبلاوين، مرهوب الجانب مرجو المروءة، وكان شغوفا بالموسيقى والغناء، لا يفتأ يقيم حفلات موسيقية خاصة ويدعو اليها أصحابه من الاعيان، ويعزف فيها على «القانون» الذى كان يجيد العزف عليه، فتشق سكون



المرحوم م. ع. الهمشرى

الليل أعذب الالحان.

وفى هذا الجو الموسيقى، وتلك البيئة الفنية، وفى سكون الريف ورفاهية أعيانه، نما شاعر وترعرع، وجمع بين شاعريته المتمكنة من نفسه وبين تأثير ذلك الوسط الشعرى الجميل، فكان كالبذرة الصالحة تغرس فى تربتها الملائمة، فتنمو وتورق وتؤتى أكلها بعد حين.

وما إن شب عن الطوق ودخل مدرسة المنصورة الثانوية حتى فاضت نفسه بشعرها الكامن

يقوله على السليقة من دون كلفة ، فكان شاعر المدرسة الذى لا يبارى .

ومن عجب انه وهو طالب صغير السن بتلك المدرسة قد أكثر من الاطلاع على الادب العربى القديم حتى جنى من اللغة وألفاظها محصولا وافرا استغله فى شعره فى ذلك الحين وفى السنوات التاليات .

ولما تخرج فى مدرسة المنصورة الثانوية دخل كلية الاداب بالجامعة المصرية اذ وجدها أقرب من غيرها الى ميله ونزعته . غير انه كان فيها يتبع وحى هواه فى الاطلاع ولا يرضى ان يقيد نفسه ببرنامج الدراسة . وانتهى الامر به الى ان خرج منها بعد سنتين وراح يستزيد من الاطلاع ، وقد تفتحت أمامه ابواب الادب الانجليزى فأخذ يلجها ويجنى من هذا الأدب محصولا يضيفه الى ثروته من الادب العربى .

وفى عام ١٩٣٤ عين محررا لمجلة التعاون ومكث يدبج المقالات والقصائد حتى اغتالته المنية صباح يوم ١٤ ديسمبر الماضى على اثر عملية جراحية .

مزايا شعره :

كان طبيعيا وقد نشأ « الهمشرى » فى تلك البيئة الريفية ان يحب الريف ويعشق الطبيعة ، ومن ثم امتاز شعره أول شىء بوصف الطبيعة والاشادة بالريف . وبينا غيره من شباب الشعراء يتغزل بفتاة حسناء كان هو رحمه الله ينظم قصيدة طويلة فى وصف زهرة أو شجرة ، أو التغنى بطلوع الفجر أو ظهور الشفق ، أو الترنم بخرير الماء أو صياح الديك ، أو مثل ذلك من مظاهر الريف ومحاسن الطبيعة .

وقد خلق فى مجلة التعاون باب « الادب الريفى » و« الادب التعاونى » وفيهما كان بحق رسول الريف الى الحضر . الذى لا يفتأ يبدى جمال الحقول ويندد بمن لا يرون آياته فيفرون الى المدن الصاخبة

ومن الشعر ما تقرأه فتحس ان صاحبه نحته نحتا ، وتشعر فى قراءته بمثل ما عانى فى « نظمه » أما شعر الهمشرى ، فكالماء الزلال انسيابا : لا جهد فيه ولا عناء ، بل سليقة مطردة ، ووصف متماسك يجذب أوله آخره . وقد حقق فى شعره « وحدة القصيدة » التى كانت مطلبا قديما عجز دونه أكثر

الشعراء . فاذا قرأت قصيدة له خيل اليك لتماسكها ودقة وصفها انها « صورة » رائعة لمنظر بديع ، وحسبت ان الشاعر انما هو « رسام » أبدعت ريشته تلك الصورة . غير انه رسام لا يلهيه عن الجزء فهو يعنى بكل دقيقة ويبرزها كما يعنى بالمجموع كله .

مما يتصل بذلك وصفه « للالوان » فى قصائده وصفا ما أحسب شاعرا سبقه اليه ، حتى ان يدعى « شاعر الالوان » كما انه شاعر الريف والطبيعة وقد كان رحمه الله فى حياته الخاصة يحب الالوان ويلتفت الى كل زاه غريب منها . ويبدو ذلك فى اختياره « اربطة الرقبة » على الخصوص فقد كان كل حين يفاجئنى برباط جديد منها يلبسه ، وما أكاد أعجب من ألوانه حتى أراها جميلة غير متنافرة .

أما حسن السبك واختيار اللفظ وموسيقية الشعر ، فكلها ماثلة فى قصائده الممتعة . حدثنى الدكتور ابراهيم بك رشاد مدير التعاون قال :

« كان الهمشرى رحمه الله يعلم أولادى الصغار ففى أحد الأيام كان عليهم أن يحفظوا قصيدة انجليزية عنوانها Dawn DroPs وما يقابلها من شعر عربى ترجمها اليه شاعر لا أذكره . وقد جهد الأولاد حتى حفظوا القصيدة الانجليزية ولكنهم عجزوا عن حفظ الأشعار العربية التى ترجمت اليها حتى اعتذروا لى . بصعوبة ألفاظها . فما كان من الهمشرى إلا أن ترجم تلك القصيدة ذاتها إلى شعر عربى سلس ، وسرعان ما حفظها الأولاد عن ظهر قلب » .

ديوانه .

كان أول قصيدة نشرت « للهمشرى » هى قصيدة « العين الزرقاء » التى ذكرت فيما سلف نشرها بالبلاغ الاسبوعى . وقد ظهرت بعدها عدة قصائد فى جريدة « السياسة الاسبوعية » وقدمه وقتئذ إلى قرائها الدكتور هيكل بك « باشا » والدكتور طه حسين بك بثناء « مستفيض » ثم أخذ ينشر قصائد فى مجلة « أبوللو » التى كان يصدرها الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

وعلى ذكر هذه المجلة أقول انها اصدرت عددا خاصا به ملحمة طويلة من نظم الهمشرى عنوانها « شاطىء الاعراف » وقد أوغل فيها فى فيافى الخيال على طريقة « الفريد دى موسيه » وفى « لياليه » ولكن دون معانيه ، فقد كان الهمشرى رحمه الله لا يكتب إلا وحى نفسه ولا يرضى أن يستمد معنى

من أحد . والحق أنه بتلك الملحمة قد كون مجده فلم يعد بعدها بحاجة الى مزيد . ولو لم يكن له سواها لـكفت لان تسلكه فى عداد كبار الشعراء المجددين .

ثم نشر رحمة الله قصائد عديدة فى مجلة المقتطف ومجلة «الرسالة» على أن أكثر شعره الذى نظمه فى السنوات الثلاث الاخيرة قد خص به مجلة التعاون ، وعليها اعتمد فى كتابة هذه العجالة .

هذا وقد عزم الدكتور ابراهيم رشاد بك على جمع شتات شعر الفقيد فى ديوان يصدره قريبا ، تقديرا له ووفاء لذكراه .

اخلاقه .

كان الهمشرى شاعرا فى حياته الخاصة لا فى شعره وحده : فكان قليل النظام ، لا يحب أن يقيد نفسه بأى برنامج فى عمله ورياضته ، ومأكله ومشربه . وانما كان يتبع هواه ومزاجه وقد يترك نظم الشعر وكتابة المقالات والترجمة أياما وأسابيع ، وإذا به فى يوم أو يومين يكتب بضع قصائد ويحرر عددا من الموضوعات . ومتى وافاه هواه صمد للعمل وأبدى فيه جلدا لم أره لغيره ، وكان يساعده عليه شبابه وفتوته وبعده عن كل مرض .

أما فى «غرامياته» فكان كالفراشة تتنقل من زهرة إلى زهرة ، وقد يتدله فى حب حسناء — أو غير حسناء أحيانا كما تهديه شاعريته ! — فينظم فيها القصائد الطوال ثم لا يلبث أن يزهدها ويملها ولا يطيق رؤيتها ولكنى على خبرتى به ومصاحبتى له أعتقد أنه لم يحب غير فتاة واحدة من قريباته كان ينوى الزواج بها فماتت فى عنفوان شبابها . هذه وحدها هى التى أحبها حبا صادقا إلى آخر نسمة من نسمات حياته القصيرة ، حتى لقد سمعت أنه أوصى حين حضرته المنية بأن يدفن إلى جانبها فلم تنفذ وصيته ودفن بالسنبلاوين .

على أنه رغم جماله وشبابه وتهافت الحسان عليه ، لم يكن بالشاب الطائش الذى ينغمس فى اللهو والمتعة بل كان أقرب إلى الجد والرزانة .

وكان سريع الغضب ، سريع الصفح ، له قلب كقلوب الاطفال صفاء ، لا يعرف الحقد ولا الرياء ولا المواربة . وكان شديد الانفة من دون كبر ، كثير الاعتداد بالنفس من دون غرور ، يرحب

بالنقد ويستمع إلى النصيحة ، ولا يبدأ أحدا بعدوان . وكان قليل الكلام عن نفسه وشعره ، إلا إذا هاجمه أحد فعندئذ يدافع دفاع القوى الواثق من نفسه .

أما وفاؤه لأصدقائه فكان نادرا فى هـذا الزمان فلا عجب ان عظمت فجيعتهم فيه وان بكوه جميعا كما يبكى الأخ الشقيق أو أشد .

رسول الادب الانجليزى

كان الفقيد عضوا « بالاتحاد المصرى الانجليزى » ولم يكن ذلك عبثـا فقد عرف الانجليز من عضاء ذلك الاتحاد رسولا للأدب الانجليزى إلى قراء اللغة العربية ، وكانوا يعجبون بوفرة اطلاعه على أدبهم وتعمقه فى دراسة شعـرائهم ، وخصوصا « شيـلى » الذى كان دائم الاشـادة بجمال شعره .

ولم يقف جهده فى هذا الميدان عند حد الدراسة بل ترجم كثيرا من القصائد الانجليزية الرائعة إلى شعر عربى رصين ، لا يحسب قارئه أنه (مترجم) لولا أنه منسوب إلى أصـله . وأذكر من ذلك قصيدة IF الشاعر الامبراطورية رديارد كبلنج التى ختمها نصائح غالية للنشء البريطانى ، وقصيدة « القرية المهجورة » لاوليفر جولد سميث ، وقصيدة « إلى القمر » للشاعر شيلى أخ .

واليك بعض ترجمته من القصيدة الاولى :

اذا أنت قد صدقت نفسك بيما ... ظنون الورى ترتاب فى ذلك الصدق
وبالرغم من هذى الشـكوك عذرتهم ... وقابلت هذا الشـك باللين والرفق
اذا اسطعت أن تقصى عدوك عن اذى ... وتأمن حتى صاحبـا لك وافيا
اذا أنت قـدرت الرجال جميعهم ... ولم تك فى هذا الحساب مغاليـا

ومن قصيدة « القرية المهجورة »

وأسوأتاه لارض أصبحت غنما ... ترعاه عاجلة الاسقام والنوب
تزداد ثروتها والقوم نحوتهم ... تهوى فتوتها خوارة العصب
أهل الامارة من صيد غطارفة ... أو من ذوى الجاه والالقاب والرتب

ومن قصيدة «شيلى» بعنوان «الى القمر»

أشاحب أنت من هم وتفكير ... وساهم أنت من ضنك وتكدير
ان رحت ترقى سماء لا أليف لها ... كيما يواسيك فى ترحالك النورى
تسير بين نجوم ليس يوثقها ... عمر ومسراك فى هذى الدياجير

شاعر الطبيعة

من قصيدة للهمشرى فى وصف الربيع :

هو الربيع اذا هبت شمائله ... هز البسيطة دانيها وقاصيها
فصل جميل من الجنات مشرقه ... تبدى الطبيعة فيه كل ما فيها
كأن أيامه والسحر يطلقها ... أحلام حسناء طالت فى لياليها
كأنما النور فوق العشب مسرحها ... والزهر اسرابها رفت على فيها

ومن قصيدة له عنوانها «طلوع الفجر»

فى سكون الليل والفجر غريق ... نبه الوسنان صيداح السحر (١)
ماهذا الشرق يبدو فى حريق ... اذعر الانجم منه والقمر
ايها النعسان فى دنيا السنا ... تتمطى فى سرير الشفق
الندى حولك يهمى موهنا ... والازاهير حيارى الحدق
هتف الكروان فى الافق البعيد ... كالمصلى تحت محراب القمر
ناسك فى الليل يدعو ويعيد ... هام وجدا بالذى صاغ السحر

شاعر الريف

من قصيدة له بعنوان «مسارح الشفق»

شأن نفسى وذاك فى غرام ... ان تحب النبات والاعشابا

(١) يقصد الديك

وتلذ الجلوس فى ظل أيك ... رفرف الطير فوقه أسرابا
وانحنت تحته الغصون سكارى ... مائلات أعطافها أعجابا
يتغنى بين الثمار بلحن ... هل سمعت القيـــان غنت طرابا
من وحيدين يسجعان سرورا ... وفريدين يشدوان انتحابا
وجرى المـاء فى الغدير رحيقـا ... وجرت فوقه الزهور حبابا
وكأن النوار فيه نجوم ... ركبت تحتها المياه سحابا
وحكى السرب فى الربى مستهاما ... وحكى بينه الغـدير كعابا

ومن قصيدة له عنوانها « الاغنية المسائية أو عودة الراعى »

ها هو الليل مقبل يتهادى ... فارسا يمتطى ظهور التلال
ونسيم المساء يسرق عطرا ... من رياض سحيقة فى الخيال

ومنها قوله :

كم مشينا بين الحقول طويلا ... نشتـكى الشوق والهوى والغراما
واذا مـا تعبت نجلس حينـا ... فوق شط الغدير نشـكـو السقاما
تحت تعريشة من الـكرم نرعى ... قمر الليل فى جلال الـسكون
وخرير الميـــاه فاض غناء ... مثل قلبي يهدى اليـــك حنينى
والنسيم العليل يعبق عطرا ... يتهادى فى غيرة من دلالـــك
ونجوم المســـاء تحنو علينا ... بشعاع يحـــكى شعاع جمالك

ألشاعر الرسام:

من قصيدة للفقيد عنوانها « حدائق الشفق »

بين الدجى واحمرار شمه الشفق ... النور يرقص فى عينى ويأتلق
لا هدأة تسعد الحيران ، لاسنة ... تقر بها عين قد شفهـــا الارق
فلا أرى غير أحلام بـكوكبة ... وغير رسم سماء بات يحترق

هذا النهار خلال السحب يظهر لى ... لقد لمحت على الوادى بشائره
تلوح شاحبـة ، فى الشرق حالمة ... توشح السحب الدكنا ضفـ ره
وانت نافورة الحسنى التى خفيت ... أيان القاك أو ألقى مصـادره ؟

ثم قوله :

وكانت السحب الغيماء سـارية ... على المحيط خفاف الركب فى سرب
قد أبدعت صبغ وشى من مطارفها ... فى حمرة عجب ، فى فتنـة ذهب
وترقص الأنجم الزهراء رقصتها ... فى مطلق من أثير الجو ملتهب

ثم قوله :

أما الذى وشـع الامواه بالنور ... فزورق ناصع الالوان بلورى
بنياه فى شائب الامواج مضطرب ... يختال ما بين تصعيد وتغوير
بدا الدليل له فى الليـل منبهرا ... فى لؤلؤى من الانوار مسحور
لم يشهد الكون فى أزاله أبدا ... هذا الجلال الذى يسرى على الماء
قد ظل نجم الدجى سهمان يقذفه ... بأسهم تتهادى منه وضاء
صيغت من الليلك الغافى أشعتها ... فأصبحت بين بيضاء وزرقاء

شاعر يرثى نفسه :

كأنما كان يحس الهمشرى دنو أجله وهو فى ميعة الصبا ، وكان يردد هذا الشعور فى قصائده وإن لم يتحدث به قط لاصحابه . ولعل أصرح نبوءة له قوله نهاية قصيدة « العودة »

لقد خف نسيم الصبح يهمس ناعيا ... الى السهل أن فارق الكون شاعرا
لذا نقس النحل الزهور فجلجلت ... ونابت عن الاجراس هذى الازاهر

وكأنما كانت روحه تطل على الابدية وهو لا يزال فى هذا العالم الفانى . يدل على ذلك قوله فى القصيدة عينها :

لقد فرغت فى عالم أكثرن جولتى ... ما فرغت منى الليالى الدوائر
فيا أفق الدنيا ويا فجر ليلها ... ومن خفقت فيه المنى والخواطر
ومن تسبح الأحلام فى ملكوته ... حيارى وتغنى فى هواه المشاعر
أيا شفقا فى عالم جو أرضه ... خيال على الوادى المهوم ساحر
تحف بها فى الصمت أشجار جنة ... يفاوحنى منها على الوهم عاطر
وأسمع موسيقى بها ذهبية ... تفيض بها فوق المروج قياثر
وأترك عينى فى الخيال تشقه ... فألمح أشباحا هناك تسامر

وقوله فى قصيدة «حدائق الشفق» :

ذهلت فى حلم غاف .. وخيل لى ... إنى عبرت طريقا كلها ظلم
لم يغشها من بنى الانسان مقتحم ... قبلى وما وطئت أرضا بها قدم
تحف دغلا تثير النفس وحشته ... الصمت يحكمه والليل والاجم

وقوله فى القصيدة عينها :

أحسست بالقلب ناراً طاف طائفها ... لما رأيت غمر البحر قد سطعا
وقفت منذهلا ، أرعاه ، مفتعلا ... كأن نور آله فوقه طلعا
أحنيت رأسى اجلالا وتكرمة ... له وظلت من التقديس مختشعا

الهمشرى التعاونى

لم يكن من محض المصادفة أن يعمل الهمشرى فى قسم التعاون خمس سنوات متواليات فقد كان فى امكانه اذا شاء أن ينال «وظيفة» أحسن من وظيفته و«درجة» أعلى من درجته ، فى ديوان آخر من دواوين الحكومة . ولكنه مال الى التعاون بكل قلبه لانه ألفاه يتصل بالريف اتصالا وثيقا ، ويخدم الريفيين الذين نشأ بينهم وأحبهم حبا صادقا .

ومن ثم لم يكن عمله فى مجلة التعاون عمل « الموظف » الذى يؤدى «واجبات وظيفته» ، بل كان يشعر دائما أنه يعمل فى حركة اصلاحية عظيمة الاثر ، فلايني يكتب المقالات ينادى فيها باصلاح أحوال

الريف ويندد بأعيانه الذين تبهرهم أنوار المدن فيهربون اليها ويهملون أراضيهم ، وكان لا يفتأ يتنقل فى قرى الصعيد والوجه البحرى ليزور الجمعيات التعاونية القائمة فيها ويكتب عنها فى مجلة التعاون منوها بتقدمها أو ناصحا باصلاح عيوبها . ومن لطائفة ان شاعريته كانت تغلب عليه عند الكتابة عن تلك الجمعيات فيفيض فى وصف القرى وما حولها — وقد يقف بكلمة مثلا وقفة طويلة عند شجرة جميز صادفته فى احدى جولاته ... فتخرج مقالته قطعة من الادب أو قصيدة من الشعر المنثور

ولعل أقوى برهان على ايمانه بالتعاون انه فى آخر مرة زاره فيها الدكتور ابراهيم رشاد بك مدير التعاون بالمستشفى ، أوصاه الفقيد وهو لا يكاد يقدر على النطق بأن ينشىء جمعية تعاونية فى بلدته « السنبلاوين » قائلا انها لا يليق أن تبقى عاطلة من التعاون وقد أفنى ابنها زهرة شبابه فى خدمته .

وكان قبل بضعة أشهر من وفاته قد بدأ يدرس التعاون بالمراسلة مع كلية التعاون بمانشستر ليحوز دبلومها بعد ثلاث سنوات لولا أن دهمه الموت .

الهمشرى الصحفى

كان وقت الفقيد مقسما بين الشعر والصحافة . ونفس عمله بالحكومة لم يكن سوى عمل صحافى لانه لم يمارس طول « توظفه » غير التحرير فى مجلة التعاون . وكان رحمه الله فضلا عن ملء باب « الادب الريفى » وباب « الادب التعاونى » بشعره الجزل يكتب أبوابا أخرى ويحرر موضوعات عديدة بالمجلة ، ويترجم مختارات من المجلات التعاونية الانجليزية ويرتب أعداد المجلة ترتيب صحفى قدير .

على أنه الى جانب ذلك اشتغل بالصحافة اليومية زمانا طويلا فقد مكث زهاء العام وهو فى عداد محررى جريدة « المصرى » يترجم لها قصصا قصيرة وروايات طويلة متسلسلة ويلخص « رسائل الاقاليم » ويؤدى غير ذلك فى صميم الاعمال الصحافية . ثم انتقل الى جريدة « الدستور » فصار يكتب لها روايات متسلسلة تنشر تباعا . وكتب كذلك عدة قصص لجريدة « الصباح » وترجم كثيرا من « روايات الجيب » وكتب بعض موضوعات لجريدة « المصور » . كل ذلك وهو بعيد عن « السياسة برىء من الحزبية »

ولو لم يكن موظفا بالحكومة لبرز فى الصحافة ولصار صحفيا من الطراز الاول .

* * *

عاصفة فى سكون الليل

آخر قصيدة نظمها المرحوم م . ع . الهمشرى
ولم تنشر قبل الان

أشرقى كالفجر غراء الجبين واتركى نورك يهدى العالمين
واطلعى فى ليل حزنى كوكبا تعصمينى من ضلال العاشقين !
واطرحى فى قفر عمرى زهرة علها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمى تبسم لنا بيض المنى واضحكى .. تضحك لنا غر السنين

* * *

ها هو الليل كما كان بدا يحمل الحزن لقلبي والحنين
هيكل الاحزان فى محرابه قرب العشاق قربان العيون
عطره .. أحزان أزهار الربى ونداه .. عبرات البائسين
وسرى النسيم فى احشائه مهج ذابت وأرواح فنين
كل شيء هان فى شرع الهوى يا ملاكى .. والهوى ليس يهون

* * *

لم ير سوى الليل بنت هوى قرأت ما ستعانى فى الجبين
لبست فى بدئه ثوب الهوى وبأخراه ثياب النادمين

* * *

أو عميد بات مطوى الحشا فى سكون الليل مبحوح الانين
قام فى الليل كطيف غابر وكأن الليل محراب القرون

أو مغن غلب الحزن على — وتر اللهو لديه والمجون
ليس يدرى فكره ما لحنه — وهو رجع السحر من ماض شطون

** »

أيها الليل أتينا نشتكى — فاستمع شكوى الحزانى المتعبين
هدنا الحزن ، وأضنانا الاسى — وبرانا الوجد فى دنيا الشجون
قد شكونا .. وجئنا نشتكى — لك شيئا من خيال الذاهلين

***

اننى ياليل أحكى غنوة — فنيت فيك على مر السنين
واستحالت فى الليل قبرة — تتغنى فى دجى وادى المنون

***

اننى ياليل احكى حزمة — من شعاع فى سماء الحالمين
ضمها نحوك فكر هائل — أزعج الارباب بين الثائرين
واستحالت زورقاً تعبره — فزعات الموت ليلا فى سنين

***

هذه اغنيتى رتلتها — لك يادنياى فى دير السكون
لحنها أنت .. وحزنى وقعها — ونذير الموت بعض السامعين
لا تلومى ما بها من حزن — انما الاحزان موسيقى الحزين
أعذب الالحان لحن أفرغت — فيه انات الاسى طى الحنين
عانقينى فى الدجى .. اقتربى — اننى افزع مما تفزعين
قربى خدك .. ضمينى الى — صدرك الحانى .. الثمى هذا الجبين
انما نحن كوكب ضل فى — تيه الصحراء .. بقوم تائهين
قد نسينا كل ما كان لنا — وتركنا فى غد ما سيكون

اليهودى التائه

للاستاذ ميشيل عبد الاحد

من بين الاساطير المهمة التى يجدر بنا درسها لقيمتهـــا التاريخية ، اسطورة بروتستانتيه عن يهودى تعرض للسيد المسيح فى طريقه ألى الجلجثة منتهرا أن اسرع لا تتلكأ . فأجابه المسيح : « ها نذا ماض . . . أما أنت فستنتظرنى الى أن أعود ! » فصار على ذلك الرجل أن يطوف تائهاً فى مجاهل الارض حتى المجىء الثانى الذى يعتقد به سواد المسيحيين وصار لذلك يعرف باليهودى التـائه أو اليهودى الخالد كما هو فى الترجمات التوتونية

جاء فى النبذة التى طبعت عن هذه الاسطورة فى لندن سنة ١٦٠٢ أن بولس فون أيزن أسقف شلزويج المتوفى سنة ١٥٩٨ قابل فى همبرج فى سنة ١٥٤٢ يهوديا اسمه أحشويرى أفضى أليه بأنه اليهودى التائه الخالد الذى لعنه المسيح ، وما أن طبعت النبذة حتى تقدم كثيرون من ذوى المكانة زاعمين أن اليهودى التائه قد ظهر لهم ودونت حوادث الظهور هذه من سنة ١٦٠٢ ألى سنة ١٦٨٠ ثم انقطعت ولم نعد نذكر من الاسطورة ألا ما تركه لنا عنها أماجد الـكـتاب والشعراء الذين حاكوا حولها الروايات والقصـــائد . وقد ترجم أحدها وهى رواية « اليهودى التائه » لأوجين سو الفرنسى الى اللغة العربية أكـثر من مرة

وسواء أكـانت القصة تمثيلا لحادثة قايين الذى قتل أخاه هابيل فوقعت عليه من جراء ذلك لعنـة الطـواف والتشرد ام كـانت تحويرا لما جاء فى متى ١٦ : ٢٨ عن فم المسيح « الحق أقول لـكم ان من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته » فهى على كل حال وقبل كل شىء تصوير قريب من الواقع لحالة اليهودى وتعليل من التعليلات الـكـثيرة

لمحنته الابدية . فهذا « اليهودى التائه » يرمز ألى الشعب اليهودى قاطبة هذا الشعب الذى أفعم تاريخه بالهجرات والطواف والتشرد والاضطهاد ونمت فى طريقه الاشواك والمآسى والخطوب أن ما نراه اليوم فى المانيا وأيطاليا ورومانيا أن هو ألا حلقة فى سلسلة من هذه المحن أنهم هاجروا كغيرهم من الشعوب من بلدان تفيض لبناً وعسلا بحسب تعبيرهم ولكنهم ضربوا الرقم القياسى فى تغلبهم على كافة المصاعب وخروجهم من المحن متماسكين متراصين ، فهم لم ينقرضوا كغيرهم من الشعوب الكثيرة البائدة

ألى فلسطين استغرق نزوح اليهود من أور الكلدانيين ومن صحارى بلاد العرب — وهى أول هجرة يعرفها لهم التاريخ — من سنة ١٢٠٠ الى ١٤٠٠ قبل الميلاد وهنالك قاوموا الكنعانيين مقاومة شديدة ولم يستحوذوا منهم الا على التلال والاماكن القليلة التحصين ، ولم تسقط أورشليم فى ايديهم نهائيا الا فى سنة ١٣٠٠ ق . م . وأدى تمازجهم مع الكنعانيين ألى أقلاعهم تدريجيا عن حياة البداوة ولو أن أبناء الجنوب منهم ظلوا على معيشتهم الصحراوية مما أوجد بينهم وبين أبناء الشمال نفوراً وتباعداً فى الامزجة استمر قرونا — ولا يعزب عن البال أن سكان فلسطين الاولين — قبل الكنعانيين الساميين — كانوا من الحثيين وهم شعب آرى امتاز بهذا الانف المقوس الذى ينسب خطأ ألى الساميين وحدهم ، وفى هذا دحض لنظرية خصوم السامية

ويهمنا كمصريين أن ندرس هجرة بنى يعقوب الى مصر على أيدى يوسف الصديق — لم يكن هو أول يهودى وطئت قدماه أرضنا ، فقد حضر ألى مصر الاسماعيليون وهم من أبناء ابراهيم جده الاكبر وقد زار مصر بدوره مع زوجته ساراى وخرجا منها بخير عظيم (وهذا هو مدلول عبارة « باركه الرب » التى ترد كثيرا فى التوراة عن أفراد هذا الشعب) . سرعان ما ازدهر اليهود فى مصر ونما عددهم وثروتهم مما أخاف المصريين منهم ولا سيما أنهم شابهوا الهكسوس أو كانوا من أقربائهم بحسب رأى بعض المؤرخين - ولم تكن ثورة رمسيس الثانى عليهم الا ثورة قومية تفاقمت حتى وصلت ألى طردهم فى أيام ابنه منفتاح على أيدى قائدهم ونبيهم موسى الذى قد يعتبر أول صهيونى عرفه التاريخ لهم — أقول هذا بمعنى من المعانى لان صهيون لم تعرف ألا فى أيام داود ثانى ملوك اليهود وكانت تطلق بادىء ذى بدء على جبل صغير فى حدود أورشليم ثم صارت تطلق على اورشليم نفسها

وأخيرا اتسع معناها حتى شملت حركة اليهود التى ترمى ألى جمع شملهم فى وطن قومى ، اختير له بكل أسف ولفائدة سياسة معينة ليس ألا — بلاد فلسطين مع أن اليهود قد خرجوا منها منذ اكثر من الفى سنة .

هاجر اليهود من مصر ـ وتعرف هذه الهجره بالخروج — وهاجر منها معهم عدد من المصريين الذين قد يكونون مسئولين عن عمل العجل الذهبى الذى عبده اليهود فى برية سيناء لانه لم يكن ألا العجل إبيس بعينه — ولا غرو فقد قضى اليهود فى مصر اربعمائة سنة لا يعقل ألا تترك فيهم أثرا قويا من ديانة المصريين وعاداتهم ودمهم

بعد تشتت أربعين سنة فى شبه جزيرة سينا عاد اليهود ألى فلسطين ولكن بعد وقائع كثيرة مع العمالقة والاموريين وجلهم من أبناء جلدتهم ممن لم يهاجروا معهم ألى مصر

وما استقر المقام لليهود فى فلسطين حتى ظهر لهم فيها مناوئون مشاركون، وهم الفلسطينيون سكان كريت الاولين الذين طردهم الاغريق منها فلجأوا الى تلال فلسطين ولم يخضعوا الا بعد قرون طويلة على يدى داود . ملك اليهود بعد تمازجهم مع الموابيين والمدانيين وهم أيضا من بطون اليهود وهذا عنصر آخر يدخل فى دم اليهود فيدحض نظرية خصوم السامية

كثر اختلاط اليهود بالامم المجاورة والبعيدة فى أيام داود وسليمان ، لا سيما فى عهد الاخير الذى كانت له علاقات تجارية معروفه مع الاراميين والمصريين والاحباش هذا الشعب البائس الذى مازال يحتفظ بجاليات يهودية قوية ويفتخر بأرجاع نسب ملوكه ألى ثمرة سليمان من ملكة سبأ

كان الشرق الادنى فى ذلك الوقت اشبه شىء بالحاله السياسية والاجتماعية بالشعوب الاوربية فى الوقت الحاضر ، فى تنافس وتنافر وحروب وامتزاج أدى فى نهاية الامر — فيما يختص بالشعب اليهودى — ألى السبى البابلى سنة ٧٣١ قبل الميلاد على يد نوخذ نصر ملك بابل

دام هذا السبى سبعين سنة مكن اليهود من تلقيح حضارتهم — أذ اصبحت التسمية — بالحضارة البابلية (الكلدانية) فلما رخص لهم بالعودة ألى بلادهم وأصلاح شئونهم كانوا بحسب رأى برستد المؤرخ المشهور — شعباً جديدا له عادات جديدة ومميزات جديدة . عندئذ فقط تبدأ نهضتهم الثقافية وأشادتهم بمجد آبائهم وكتبهم الادبية (بعض أسفار العهد القديم) وعندئذ فقط يشعرون

بكيانهم الاجتماعى وبالرغم مما لاقوه من اضطهاد فى ايام استير كانت لهم مراكز لابأس بها فى البلاط الملكى وفى الوظائف الكبرى

تاريخ اليهود بعد الرجوع من السبى هو تاريخ نضال للرجوع ألى العصر الذهبى ، هو تاريخ الحنين ألى صهيون مدينة داود ، هو تاريخ التعطش ألى الاستقلال الذاتى الذى حققه لهم ملوك المكابيين الذين حكموا فى فترة الأربعمائة عام التى تفصل العهد القديم عن العهد الجديد والذين انتهى حكمهم بجلوس هيرودس الكبير على عرش اليهود ، الملك المقترن اسمه بميلاد المسيح والذى مهد خلفاؤه الطريق للفتح الرومانى ولسقوط أورشليم سنة ٦٩ مسيحية وتشتت اليهود بعده فى مجاهل الارض ألى يومنا هذا

ولعله لا يوجد بين الكتب التى تبحث فى آلام اليهود وآمالهم ألى زمن السقوط أفكه من تاريخ يوسيفوس اليهودى الذى حضر وقائع الدمار الأخيرة ، والذى يصل به حب الاشادة بمجد أبناء جنسه أن يجعل صفو بن أليفاز بن عيسو أخو يعقوب أول ملوك الكتيم اى أسبانيا

بعد سقوط أورشليم تشتت اليهود أيدى سبا فهاجر فريق منهم ألى بلاد العرب وأنشأ لهم على ممر الزمن مستعمرات يانعة كالتى أسسها اخوانهم بنوشمعون وغيرهم ممن هاجروا ايام داود أو حزقيال ، وهؤلاء وصلوا فى ترحالهم حتى بلاد الحجاز فأسسوا لهم ولايات فى خيبر ويثرب ووادى القرى ظلت مراكز قوية للتجارة العربية بين اليمن والشام الى عصر ظهور الاسلام حين تبددوا لانهم كانوا عائقا للوحدة العربية التى كان ينشدها العرب

. . .

وهاجر فريق آخر الى اوربا متجها فى طريقين مختلفين ففريق استوطن اقليم بحر الخزر شمال البحر الاسود وأتجه غربا فى محاذاة الدانوب ثم الراين حتى وصل الى بولندا وروسيا ولعل ذلك كان فى القرن الثامن عند ما أعتنق خان الخزر اليهودية هو وجمهور كبير من شعبه ، وفريق رافق العرب الفاتحين الى اسبانيا سنة ٧١١ ميلادية وبقوا فيها حتى أقصاهم عنها فردينند قشطالة فى حملته القومية المعروفة — فهاموا على وجوههم مرة اخرى واتجهت جماعات منهم ألى الموانى الايطالية فطردوا من بعضها وقبلوا فى البعض الآخر ، والذين ساروا منهم نحو الموانى الافريقية مثل بهم اشد تمثيل من

أجل الجواهر الثمينة التى كانوا يظن انهم يبتلعونها عند ما كانو يداهمون — استقر بعضهم فى البندقية بعد هجرات أخرى وهؤلاء أمدوا رحلات كولمبس بالمال الوفير عله يهتدى ألى طريق تجارى جديد يستفيدون منه أو بلاد جديدة يهربون أليها من الجور والاضطهاد ، ولا يبعد أن كولمبس نفسه كان يهوديا متنكرا مثلهم

وابحرت جماعات اخرى فى المانش بين انجلترا وفرنسا اللتين أقفلتا بلادهما حينئذاك فى وجه اليهود ، واستقرت فى هولندا حيث تنسمت أريج الحرية دينيا ومدنياً ومن هؤلاء سبينوزا الفليسوف المشهور

كانت القرون الوسطى أياماً مريرة لليهود فى أوربا فانهم حرموا ملكية الاراضى ونقابات الصنائع فلم يجدوا أمامهم ألا التجارة والاشغال المالية فأوغلوا فيها وسادوا أوربا بواسطتها حتى حسدتهم الحكومات . أما يهود أسبانيا فأنهم اهتموا بالمسائل العلمية والفلسفية فكان لهم حظ وافر فى أيقاظ أوربا من هجعة القرون الوسطى

واليوم يثور البركان من جديد فتنادى النازيه والفاشيه وغيرهما من الانظمة الدكتاتورية المغالية بمناواة اليهود وطردهم مستندة فى ذلك الى نظريات العصبيات الجنسيه ومقاومة الماركسيه والبلشفيه والماسونيه

فلا غرو ان قامت جماعات اليهود فى كل العالم تنادى بالوحدة القوميه والعودة الى بلاد الاباء التى اقسم بهم دينهم ان يعطيها لهم ولأبنائهم . ولا سيما أنهم شعبه المعزز المختار الذى شاء أن يملك عليه ويوجهه ويرفعه . هذا ما يعتقد به اليهودى ولسنا نسأله عن صحة اعتقاده وعدمها ولكننا نرى ان هذه الفكرة لا تزال الدافع القوى على تضافره وتماسكه وتكوين هذه الشخصية الخاصة التى تميزه عن غيره من الشعوب ، والتى تجعل منه اليوم وحده جنسية قوية مع أنه كما يرى المستر هنرى فيليد من المتحف الاهلى بشيكاغو ليس الاوحدة ثقافية تدعمها عصبية الأجداد مع وحدة الامال والامانى وشركة الالام والخطوب

يمكن أن تستقصى حركة الوطن القومى التى نسميها الصهيونية الى يوسف الصديق الذى لم ينس وهو على فراش الموت كعظيم مصرى أن يوصى أخوته أن ينقلوا رفاته الى أرض آبائه حينما يحنون الى وطنهم القديم ، وهذا ما تحقق على يد زعيمهم موسى كما تقدم .. ظلت الحركة بين مد وجزر الى

القرن السادس عشر حين قام دافيد روبينى وتلميذه مولكو يدعوان يهود العالم ليتحرروا ويكونوا لهم وطنا يرحب بهم ، فلما كان القرن السابع عشر رأينا منسى بن اسرائيل يفاوض الانجليز لاسكان اليهود فى انجلترا تمهيدا لارسالهم الى أورشليم ، ثم ظهر ساباتى زيفى فى أزمير وادعى أنه المسيح واستطاع أن يجمع حوله أنصارا أقوياء ظلوا يناضلون لأجل قومهم رغم سقوط زيفى — واتخذت الحركة فى القرن الثامن عشر شكلا جديدا عندما دعا موسى مندلى الدول الى تحرير اليهود سياسيا واقليميا بمعنى أن يمنحوا حيث يوجدون حريات سياسية ودينية يسيرون بها أمورهم ، وتبع ذلك حركة احياء آدابهم التى بثت فيهم شعور بكيانهم الشعبي فعمدوا الى فتح مدارس لابنائهم وتأسست جمعيات تعاونية تشد أزرهم وجمع اعانات مالية لاقامة منشآت تنشر رسالتهم وتثبت دعايتهم . وقد أبدى الانجليز عطفا معنويا نحوهم ولحوا الى ضرورة انشاء الوطن القومى اليهودى ، وكانوا يرمون الى غرض سياسى صرح به بعد ذلك هو لنجزورث فى كتابه «اليهودى فى فلسطين» الذى ظهر فى سنة ١٨٥٢ وسوكولو فى كتابه « تاريخ الصهيونية » الذى ظهر سنة ١٩١٩ وهو ضمان طريق برى الى الهند فى حالة ما اذا هددت احدى الدول طريقهم البحرى اليها . ولقد قصدوا بذلك بتر سياسة فرنسا التى كانت فى أيام نابليون ترمى الى قطع طريق الانجليز الى الهند باحتلال مصر فلما فشلوا فى ذلك اتجهوا الى اليهود يستميلونهم ليكونوا منهم فى فلسطين حاملا قويا يقطع على الانجليز طريقهم البرى الى الهند

وشاءت الظروف فى الشرق الأدنى بعد مذابح الارمن المشهورة أن تحى المسألة الشرقية ، ولما كانت المشكلة تعنى حق تقرير المصير للشعوب المهضومة سعى الانجليز حتى احتسب اليهود أحد هذه الشعوب ، وتبع ذلك طلب ساستهم أمثال لورد شافتزبرى وبالمرستون وبيكنزفيلد وسالسبرى من الباب العالى منح اليهود وطنا فى الارض المقدسة

جاء القرن التاسع عشر فأحيت معه حركة مقاومة السامية التى صادفت هوى من سياسة بسمارك والتى وصلت الى أشدها فى روسيا ، والتى عرفت فى فرنسا فى قضية الفرد دريفوس ذلك الضابط الفرنسى الشهير الذى اتهم بافشاء أسرار حربية لالمانيا فدافع عنه اميل زولا الكاتب الفرنسى المشهور فى كلماته النارية « انى أتهم » التى فازت ببراءة المتهم . ولم تكن هذه الحركات العدائية نحو اليهود إلا صدى للحركات القومية التى امتاز بها ذلك القرن فى أوربا والتى نرى التاريخ يعيدها لنا فى القرن

العشرين فى المانيا وايطاليا وغيرها .

فى وسط هذه الاضطرابات يظهر فى النمسا صهيونى قوى هوتيودور هرزل الذى يعتبره اليهود اكبر زعيم ظهر بعد موسى ولا غرو فقد أمكنه أن يحصل لهم على امتيازات محسوسة فى فلسطين بعد مفاوضات كثيرة مع دول أوربا والباب العالى ، وقد اقترح فى كتابه « المملكة اليهودية » أن يؤسس الوطن اليهودى تحت حماية السلطان وسلطته . وقد فكر فعلا أن يعطى اليهود شبه جزيرة سينا أو مستعمرة صغيرة فى شرق افريقيا تحت نفوذ احدى الدول العظمى ولكن وقفت المسألة بعد موت هرزل عند حد المفاوضة . على أن اليهود استطاعوا أن يملكوا فى فلسطين سهل جواش نجيشو الذى تبلغ مساحته ٦٠٠٠ متر ثم أسسوا فى حيفا سنة ١٩٠٨ أول مستعمرة لهم . وأخذ سيل الهجرة يغمر البلاد منذ سنة ١٨٨٢ بزيادة مضطردة الى سنة ١٩١٤ ثم هبط العدد فى سنى الحرب ، ثم عاد بعد الحرب الى زيادة لم يسبق لها مثيل وذلك نظرا لوعد بلفور وللاضطهادات التى وقعت على اليهود فى ألمانيا وغيرها

أما وعد بلفور فقد تم بناء على رسالة من هذا اللورد الى لورد روتشلد فى سنة ١٩١٧ صدرت بمصادقة الحلفاء ، وبموجب هذه المصادقة وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى رسميا منذ ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ لتكون بريطانيا مسؤلة دوليا عن تنفيذ وعد بلفور وتحقيق أمانى اليهود القومية

لقد منح العرب وعودا مماثلة ، فلم يكونوا ليثوروا ثورتهم الدموية الحاضرة والثورات التى سبقتها لولا تدفق سيل الهجرة وضياع أراضى العرب تدريجيا بامتلاك اليهود لها بأموالهم المغرية وبالاكثر لولا سياسة العداء التى بثتها الدول الدكتاتورية ضد انجلترا فى فلسطين وأوربا والمستعمرات التى توغر صدرها

أما اضطهاد اليهود فى ألمانيا فقد كان الباعث الاول عليه هو البرنامج القومى الذى أراد هتلر أن ينفذه بسياسة اليد الحديدية وبروح لا يعرف التسامح كما بين فى كتابه « كفاحى » وقد كان كذلك برنامج رمسيس الثانى وغيره ، ولكن هتلر بنى اضطهاده لليهود على اتهامات كثيرة أهمها مسألة الدم والعنصرية . وهتلر يعرف قبل غيره خطأ هذه النظرية العنصرية لان الشعوب — كما يقول ه . ج . ويلز فى كتابه مختصر تاريخ العالم — كالسحب تفترق وتلتئم

وتختلط ولبست كالأغصان التى تخرج من الجذع ولا تعود فتلاقى . ولكن هتلر أراد أن يحمس شعبه ويجعله يعتقد بأن الشعب المفرز لخلاص العالم (ولعله أخذ فكرة «شعب الله» عن اليهود الذى يضطهدهم وحورها لخدمة ألمانيا «فوق الجميع» كما خدمت اليهود وقوت عصبيتهم)

وهاك مثل لدعاية الهرجوبلز وزير دعاية الريخ مما جاء فى كتاب «أصول جديدة فى بحث الاجناس» «للعالم» هرمان جوسن الألمانى : « تتم حركة المضغ عند الاريين والفم مغلق أما عند غير الاريين فانها تتبع بصوت مسموع كما يفعل الحيوان . ولما كان للون اثره ، فان الاحمرار الذى صبغت به الطبيعة شفاه الاريين جعل لها القدرة على التقبيل والتودد . أما شفاه غير الارى الغليظة مضافة إلى أنف ذى فتحات واسعة فهى عنوان الشهوة والميل إلى الاستمتاع البهيمى ... !! »

وثمة نوع آخر من الدعاية أشر فعلا من الأول ، وهو ما جاء فى احد منشورات جوبلز نفسه « ألا تعرف أيها الرفيق الالمانى أن اليهودى .... ويهزأ بشرفك ، ويحتقر بمعتقداتك ، ويحطم كنيستك ، ويفسد ثقافتك ، ويلوث شرفك ... »

أية جريمة فى حق العلم والانسانية والعمران أكبر من هذه الترهات المسبوكة تفعل فعلها السريع الجرىء فى عقول السذج وهم سواد كل شعب ؟ بل يعرفنا جستاف لوبون أن عدوى الجموع تنتقل كالطاعون الى غير السذج فينقلبون وحوشا ومجانين يأتون ما يأتيه خصومهم اليوم لا سيما بعد جريمة جرنسبان الشاب اليهودى الطائش الذى اغتال السكرتير الثانى للمفوضية الالمانية فى باريس . هو ذا اليهود يهيمون على وجوههم مطرودين محتقرين مسلوبين مرتبكين ومربكين غيرهم من الدول الديموقراطية التى ما كانت لتفعل أقل من ألمانيا وايطاليا لو صحت تلك الجرائم والاتهامات التى يوصم بها اليهود .

ان مشكلة المشاكل اليوم هى مشكلة أيوائهم وأسكانهم واسترداد أموالهم ، فان التسامح أثبت أنهم كانوا دائما وأبدا سريعين الى لم شعث أنفسهم فالاستقرار فمزاحمة أصحاب البلاد . ويرجع تفوقهم هذا إلى عدة أسباب لعل أحدها هذا الذكاء الوراثى الغير العادى الذى أثبتته لهم مقاييس الذكاء المعروفة وقد قام ديفز وهبور وغيرهما بابحاث طويلة فى هذا الصدد نلخص نتائجها فيما يأتى : —

« إن الشىء المدهش الذى يلاحظ فى هذه الاختيارات (مقاييس الذكاء) التى أجريت هو الارتفاع

العام لذكاء التلاميذ اليهود سواء كانوا بنين أو بنات .»

«اليهود فى معظم الحالات أكثر ذكاء من غيرهم (فى انجلترا وأمريكا) أو على الاقل يتعادلون مع غير اليهود المتساويين فى المعيشة والظروف والاحوال الاقتصادية والاجتماعية»

« اليهود فى معظم الحالات أكثر ذكاء من غيرهم لا سيما من الطليان أو من شعوب وسط أو شرق أوربا »

«وجدت اختلافات كثيرة وفروق كبيرة فى الذكاء بين اليهود المهاجرين من أقطار أوربا المختلفة وذلك ناتج عن عدم تشابه المعيشة والظروف والاحوال الاجتماعية والاقتصادية»

«طالب الكلية اليهودى أكثر ذكاء من غير اليهودى بشكل واضح»

«توزيع الذكاء العالم بين اليهود أكثر تقاربا وتجانسا فيه عند غيرهم»

وهذا يعني انهم متجانسون شعبا وثقافة وظروفا ، وهذه ميزة يكتسبها بالزمن يهود كل اقليم على حدة ، فاذا حدثت هجرة وتمازج بين بعضهم ظهر الاختلاف بصورة جلية ، كما أثبتت المقاييس — ويعنى هذا من الجهة الأخرى أن اليهود حينما يهاجرون الى جهة ما يحسنون التكيف لها — وهذا ما يتضمن الذكاء بحسب تعريف أحد أئمة التربية — ولعل اتقان هذا التكييف طبقا للظروف سبب من أسباب خلودهم رغم الاضطهادات وعوامل الاغلال الكثيرة التى تتبعها ، وقد كان يتوقع من هذا التكيف ضياع شخصيتهم واندماجها فى الشخصيات الجديدة ولكن حال دون وقوع ذلك عصبيتهم القوية مضافة الى ثقافتهم التاريخية التى ظلت محافظة على سمعتها التقليدية رغم اندماجها بثقافات الامم التى يمتزجون بها بالمهاجرة وأن كان هذا الامتزاج بحكم عصبيتهم القوية بطيئا ومحدوداً ، وقد زاد هذه العصبية قوة على ممر الزمن هذه الاضطهادات المتوالية التى تقع عليهم

ويرجع تفوق اليهود أيضا الى أتقانهم فنون المال فانهم قد وجدوا بالاختبار ومن جراء كثرة المحن ان المال — بحسب تعبير ستيفنس زفيج — هو واسطة من وسائط التحرير والاستقلال وأكثرها مرونة ، وأنه خير اداة للتغلب على المحن والارزاء السياسية ، وقد استطاعوا أن يكسبوا به ولاء بعض الدول السياسية ودول المال ، وقد لجأوا الى الاعمال المالية لانهم أقصوا تدريجيا عن الاعمال المدنية الاخرى كما عن الوظائف الحكومية المهمة ، ومع ذلك فقد نبغ عدد كبير منهم فى

السياسة والعلم والفلسفة والادب أمثال دزرائيلي وصموئيل هور وهو بليشا ودى بو نو ونو بيلي وستاهل وزرنبرج وأكنر واينشتين وفرويد وبرجسون وكثير غيرهم ، وقد أضافوا إلى ذخائر الانسانية ما لا يمكن أن ينكر ، وأن أنكره هتلر وأشياعه ، اذلا يخفى أن توراتهم وادابهم أصل حل مبادىء اليوم الدينية والأخلاقية ، وانهم بكثرة هجراتهم وسفراتهم التجارية ساعدوا على تلقح مدنيات كثيرة ببعضها وايجاد حركات نهضات علمية ودينية ما زالت تتم على أيديهم

انهم اليوم يؤلفون نحو ١ فى المائة من سكان الارض أى ما يبلغ ١٧ مليون نسمة تؤلف بين قلوبهم ثقافة واحدة (على سبيل التعميم) وأمانى واحدة وآلام مشتركة لا يعوزها لتكون منهم أمة أو وحدة سياسية واحدة الا حدود أرضية معترف بها ، ولهذا تطلعوا فى القرن الأخير إلى فلسطين القديمة أرض الأجداد ليحققوا بها هذا الشرط الأخير وليكونوا منها مركزا للدفاع عن مصالحهم فى الخارج وملجأ للمنبوذين منهم فى العالم

ان العالم أجمع اليوم يتطلع الى هذا «اليهودى التائه» ليرى أين يصل به الترحال ، ولعل أكثر من فى العالم اضطرابا وترقباً هو هذا العربى المتنقل الذى يريد أيضا أن يستقر ، ويطمئن على وطنه ازاء الهجرة اليهودية

نحن والخنازير

المتأمل للشكاسة الانسانية التي تبـدو هذه الايام فى أعلى مستواها لا يتمالك من الشعور بأن الحكمة الانسانية المزعومة هى أكذوبة لا أصل لها فى طبيعة عقولنا . ويبدو من مقال فى مجلة اللانسست الطبيـة ان هناك ما يؤيد القول بأن الأصل فى العقل البشرى هو البلادة وليس الذكاء . فقد كتب أحدهم مقالا فى هذه المجلة قال فيه ان هناك ما يؤيد القول بأن الانسان لم ينحدر من أرومة قردية بل انحدر من أرومة خنزيرية . وذلك لأن وجوه المشابهة بينه وبين الخنازير كثيرة منها :

١ — إن منبت الأسنان فى الخنزير والانسان واحد. وهما من هذه الناحية قريبان جدا. وللاسنان قيمة فى التطور لا تنكر

٢ — كذلك حلمات الثدى فى الانسان والخنزير . والردة التى تحدث فى الانسان حين تظهر فيه حلمات زائدة تدل على القرابة بينهما

٣ — الخنزير أماط أو قليل الشعر كالانسان

٤ — الخنزير يعيش فى جميع الأقاليم والقارات فى الجبال والسهول وفى البرد والحر

٥ — الخنزير مختزل الذنب مثل الانسان أو يقاربه

٦ — الخنزير — مثل الانسان — قد يكون أبيض أو أحمر أو اسود وجميع هذه السلالات تتوالد كما فى الحال هى الانسان

وقد كان بعض الناس يكره أن يقال ان الانسان والقرد من أصل واحد . فماذا يقولون عن هذه القرابة الجديدة ؟

سقوط اخناتون - وعصر التقوى الفردية

عن كتاب «فجر الضمير» للمصرلوجى الامريكى الكبير برستد

للآنسة ايريس حبيب المصرى

هو ذا إذن شعب عظيم تدفقت حياته وقامت مدنيته دون عائق مدى أجيال • وفجأة وعلى الرغم من تجمع التقاليد وتكاتفها حتى صارت قوة هائلة تمكن فرد واحد من أن يوقف تيارها الجارف — فانتهكت حرمة معابدها وأغلقت هياكلها التى قدستها ذكريات الآلاف من السنين وطرد الكهنة وصودرت الأموال الموقوفة على خدمة المعابد أملا فى محو النظام القديم . ففى كل مكان حيث كان القوم يتحركون بفعل الغرائز التى رسخت فيهم بعد أجيال لا عدد لها وتحت سلطان التقاليد والعادات التى توارثوها عن هذه الاجيال التى لا تحصى كان الناس يندفعون بحكم هذه الغرائز وتلك العادات صوب هياكلهم المقدسة فيجدونها مغلقة ويقفون أمامها حيارى صامتين مبهوتين . وفى أيام الاعياد التى قدسها هى أيضا مرور القرون والاجيال كانت التسابيح وأصوات الفرح يرن صداها داخل القاعات المقدسة من حناجر المئات بل الآلاف ، ولكن هذه الأصوات خفتت بغتة وأصبحت أماكنها قاعا صفصفا ، وفى كل يوم كانت الجموع تتبع نعوش الموتى متجهة نحو الغرب وكلها أمل فى أن يرضى أوزوريس عن الفقيد الراحل فيعزيه ويقبله اليه فى حقوله ولكنهم حرموا حتى من ذلك المعزى الاكبر ولم يجرؤ أحد حتى على التلفظ باسمه ! وحتى القسم الذى اعتاد الناس أن يقسموه أمام القضاة فى دور الحكم تغير فصار لا يشمل الا اسم أتن . فصار مثلهم يومذاك كما لو أن انسان القرن العشرين قد أكره على أن يعبد ذاتا مجهولة منه ونكرة غير معروفة وأن يقسم كذلك بما يجهل .

ولا بد ان اللعنات الصادرة من جموع الكهنة الغاضبين الحانقين كانت تمتزج باللعنات الصادرة

من قلوب التجار المتذمرين : فالخبازون الذين كانوا يرتزقون من بيع الفطائر أيام الأعياد كسدت تجارتهم ؛ والصناع الذين كانوا يفتنون فى عمل التعاويذ والطلاسم ويربحون من وراء فنهم هذا المال الطائل انقطع معين رزقهم ، والمثالون الذين كانوا ينحتون العدد العديد من تماثيل أوزوريس لتوضع فى القبور مع الموتى بارت صناعتهم ؛ والكتبة الذين كانوا يقضون حياتهم فى نسخ كتاب الموتى طوردوا وضاقت بهم سبل العيش ، أولئك التجار جميعا الذين فقدوا وسائل الارتزاق انضموا بطبيعة الحال إلى جماعة الكهنة. وشاركهم فى غضبهم وحنقهم الشعب بجميع طبقاته سواء فى ذلك الحجاج الذين كانوا يفدون على أبيدوس (مقر الاله أوزوريس) سنويا ، أو الاطباء الذين كانوا يستعملون السحر والشعوذة ، أو الرعاة الذين لم يعودوا يجرأون على وضع رغيف من الخبز وقدح من الماء تحت احدى الأشجار ترضية لآلهة الشجرة حتى تحميهم وتحمى عائلاتهم ، أو الفلاحون الذين صاروا يخافون أن يضعوا تمثالا لاوزوريس وسط حقولهم دفعا للمجاعة والقحط ، أو الامهات اللواتى حرم عليهن أن يتلفظ باسماء الآلهة الذين كانوا فى نظرهن حماة الاطفال فى الظلام . وفى وسط البلاد بأسرها التى أظلمت وغشيتها سحابة من الحنق والتذمر كان اخناتون — ذلك الملك العجيب — ونفر قليل ممن أدركوا تعاليمه وتفهموها وقبلوها يقومون بشعائر العبادة للنور بقلوب مطمئنة غير مدركين الظلمة القاتلة التى غشيت كل من عداهم والتى كانت تزداد حلكة يوما بعد يوم

فلو أردنا أن نرسم صورة كاملة لعصر اخناتون لوجدنا الظاهرة الغالبة فيها هى التضجر العام والمقاومة العنيفة الخطرة من جانب الكهنة (ولو أن هذه المقاومة كانت سرية) ونزوع رجال الجيش إلى التمرد على ارادة الملك لفرط غضبهم من مناداته بالسلام — وحين نرى ما كان يبذله اخناتون من الجهود الجبارة رغم هذا الوسط الناقم عليه ندرك لاول مرة قوة الشخصية الفردية التى كانت لذلك القائد الفكرى العظيم الذى كان أول زعيم للفكر فى تاريخ البشرية . فقد كان حكمه أول محاولة للحكم عن طريق الفكر بغض النظر عن أحوال الشعب وعن رضاه . يقول ماتيو ارنولد عن الثورة الفرنسية : « ولكن ذلك الجنون الذى استولى على العقول ودفعها إلى العمل على تطبيق الآراء والافكار على السياسة تطبيقا عمليا سريعا كان فيه الخطر كل الخطر .... فالافكار كنز لا يثمن ولا يستطيع المرء أن يشبع منه ، أما اخراج هذه الافكار فجأة من عالم التأمل والنظر إلى عالم

السياسة العملية وممارستها واثارة العالم ومجاهدته بالعنف فى سبيلها فهذا شىء آخر » ولكن اخناتون لم تكن قد سبقته ثورة فرنسية يستطيع الاعتبار بها والاستفادة من تعاليمها — بل كان هو نفسه أول ثائر فى العالم . وكان يعتقد تمام الاعتقاد بأنه يستطيع أن يصوغ العالم فى قالب جديد فيحول الدين والفكر والفن والحياة نفسها من مجراها ويوجهها إلى الوجهة التى يراها بمحض ارادته القوية وبشدة التمسك بالغرض الذى وضعه نصب عينيه

وهكذا قامت مدينة أخيتاتون الجميلة — كسراب خلب جذاب وسط صحراء قاحلة مجدبة ، أو كرؤيا من الآمال والاحلام تولدت فى عقل نسى أو تناسى ان الماضى أمتن من أن يستطاع القضاء عليه . والعجب هو أن يقوم مثل هذا الرجل فى مصر حيث يبدو انه هو وحده الذى أوتى قوة النسيان . ولم يكن العالم المحيط بمصر والخاضع لها أكثر استعدادا منها الى قبول مثل هذه الأفكار العالمية

ولم تبد هذه الحقيقة المرة ولا هول الخطر الذى كان محدقا باخناتون وباعوانه الا بعد موته بسنين من وصف كتبه توتنخ أمون قال : « لقد خربت المعابد الخاصة بجميع الالهة والالهات من جزيرة الفيلة حتى الدلتا . وهجرت الأماكن المقدسة فأصابها البلى . وصارت هياكلهم كلا شىء . . وكانت البلاد فى أقسى الحالات — أما الالهة فقد تخلوا عنها . فان ذهب الجند الى سوريا لتوسيع حدود مصر أصابهم الفشل ، وان ابتهل انسان الى اله ليعينه لم يجد منه الا صدا واعراضا ... كذلك ان توجه بطلب الى إلهة لم تلب طلبه فكأنما قد صمت آذانهم عن الاستماع . » وبينما مصر تعانى هذا كله كان اتباع اخناتون يصلون ليدوم ملكه « الى أن تصير البجعة سوداء ويشيب الغراب ، والى ان تقوم الجبال وتزحف من مكانها وتجرى المياه الى فوق ! »

ولا يزال سقوط الثائر العظيم سرا من الاسرار يحجبه ستار كثيف لم يتمكن أحد الى الان من رفع أى طرف منه . وكانت النتيجة المباشرة لهذا السقوط ان عادت لأمون وبقية الالهه سطوتهم القديمة وان أرغم الكهنة الملك الشاب الضعيف (توتنخ امون) على الاستسلام لارادتهم — فعاد النظام القديم . واننا لنجد فى التقرير الذى وضعه توتنخ أمون عن نفسه صورة شيقة لقادة عصره وطريقة تفكيرهم . فهو يقول عن نفسه بانه « الحاكم العادل الذى صنع العظائم لابى الالهة أمون ، فرمم

له هياكله الخربة ومن أجله طرد الاثم خارج البلدين (مصر) واعاد البر (مآت) اليها . وجعل الشر عارا فى البلاد كما كان الحال منذ القديم . » وهكذا كان سقوط اخناتون فى نظر خصومه انتصارا للنظام القديم (مآت) وطردا للاثم .

وهكذا دنست ذكرى أول المؤمنين بالمثل العليا وإمام أصحاب الاحلام الكريمه حتى ان اسمه لا يرد بالمرة فى القوائم المنحوتة على الاثار والتى نقشت عليها أسماء ملوك مصر . وحين اضطر المؤرخون فى العصور التالية الى ذكر عصره كانوا يصفونه بانه « مجرم أخيتاتون » . وكان من الطبيعى أن يتهلل كهنة أمون باستعادة قوتهم . ومما يعبر عن عظيم ابتهاجهم تلك التسبحة التى خلفوها لنا والتى ترجع الى ذلك العصر وهم يقولون فيها :

« انك تجد من يخطىء اليك
(فلا يستطيع الهرب من عدلك)
فويل لمن يقاومك !
ان مدينتك باقية
اما من يقاومك فيسقط .

* * *

ان من لا يعرفك يا أمون تغرب شمسه !
اما من يعرفك فهو يشرق .
ومن يقاومك هيكله فى ظلام
ولكن الارض كلها فى النور .

ويبدو الحقد والانتقام فى تلك الكلمة اللاذعة : « ان من لا يعرفك (والمقصود به اخناتون) تغرب شمسه يا أمون! » ثم فى « ومن قاومك فهيكله فى ظلام . » اذ كان هذا ماقد حل بهيكل الاله الشمس فى تل العمارنة — ذلك الهيكل الذى صوره لنا فنانو اخناتون مغمورا بفيض من النور وقد تألق أتن فوقه وضمه بين أياديه المغدقة الخير !

وما بقى للان من ذلك المعبد الذى يرمز الى النور الأزلى ان هو الا اجزاء بسيطة من الاساس!

ترى هل تخلف عنه شيء آخر ؟ أيمكن ان تكون الثورة الاولى للفكر البشرى قد مرت هكذا دون ان تترك أثرا وراءها ؟ لقد كانت ثورة اخناتون حادة عنيفة بحيث لا يمكن ان تحدث تغييرا دائما او ان يكون لها أثر طويل المدى ، وكان الفن الذى انتجته أرق وأسمى من ان يدوم . فان (استوديوهات) العمارنة قد دلتنا بوضوح على افتتان المثالين الملكيين وقوة ابتكارهم فأسبغ فنهم طابعه على العصر الذى تلاه وذلك على الرغم من ان النحت والتصوير لم ينالا ما نالاه من حرية فى اى عصر اخر ولم يعبرا قط عن ذلك « الحق » غير الملموس الذى نفخه اخناتون فى فنانيه . أما فى عالم المعنويات فان البر (او الحق « ماآت ») كان قد بلغ الذروة فى أيامه . وليس من شك فى ان دقة احساس اخناتون بالجمال والبر خلال الطبيعة (وهى عمل الله) لم تمح بالمرة . ولا يسعنا الا ان نعتقد بان التسبحة التى كتبها ظلت متداولة ولو إلى حين وبأن كاتب المزمور المئة والرابع كان مطلعا عليها وذلك بعد عصر أخناتون بقرون . اذن فروح العبادة التى أوجدتها عقيدة أتن لم تتلاش تماما — وسنرى ان لها آثارا أخر على الرغم من ان العنف الذى استعمله اخناتون لنشر عبادته كان لابد ان يثير روح الانتقام الشديد المتواصل

فلا عجب اذن اذا رأينا ان العاصفة حين هبت كادت تمحو كل أثر لذلك الحالم الاول . وليس الآن لدينا من المخلفات التى توقفنا على سيرته وأخباره سوى أطلال مدينته — اطلال بائدة هى المعقل الوحيد للأحلام الكريمة والمثل العليا التى لم تخطر على بال شعب قديم الا بعد ذلك بأجيال حين اتحدت صفوف قبائل الاسرائيليين وصارت أمة واحدة أنجبت بالأنبياء ومرتلى المزامير ليحملوا الشعلة المقدسة التى لمح قبسها المفكرون وأصحاب المثل العليا من المصريين فأوقدوها وحملوها خلال عصور طويلة

وقد كان هم اخناتون الوحيد العمل على بث دعوته واتجه اهتمامه كله الى ثورته فقضى حياته متأملا حالما فى قصر الشمس بتل العمارنة بينما تجمعت جموع الحيثيين واستولت على مستعمرات مصر فى اسيا . فتقوض نفوذ الاسرة الثامنة عشرة هناك كما تقوض فى مصر تحت تأثير الكهنة والحزب الحربى — تلك الاسرة الثامنة عشرة التى سادت الشرق القديم مدى مائتين وثلاثين سنة . ومع ذلك فقد بدأ فى مصر عصر جديد بسقوط اخناتون — فقد ظلت عظمتها الخارجية وحضارتها المنظمة

العريقة فى القدم محتفظتين بمكانها الرفيع ولكن فى جزالة العبارات وفخامة الالفاظ التى جرت عليها التقاليد . اما الحقيقة فكانت قد تضاءلت فى اواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وكان صدى أتن لا يزال يتردد حتى فى الالفاظ التى كان يتحدث بها اعداء اخناتون . فان التسبحة التى اقتطفت آنفا والتى كتبها كهنة أمون لها صلة بالمعتقد الشمسى القديم وفيها يلحظ القارىء عناية رع الأبوية اذ يتغنى الكهنة « بالراعى الصالح » و « المرشد » — وهى صفات تغنى بها المصلحون الاجتماعيون منذ عهد الاقطاع . اذن فعلى الرغم من رجوع سطوة أمون وكهنته كانت الآراء والافكار التى بذرها اخناتون بثورته قد نبتت. ولم يكن ممكنا المغالاة فى سبيلها كما فعل اخناتون فعاد الشعب الى تعدد الآلهة ولكنه صار يؤمن باله شفوق يعنى بهم عناية أبوية . لهذا ليس بمستغرب ان نقرأ تلك التسبحة :

سيد الحق ابو الآلهة

خالق الناس والحيوان ،

سيد الكائنات

منبت شجرة الحياة

زارع الخضراوات حفظا لحياة البهائم

ولا يتردد كاتب هذه التسبحة فى ان يدعو الهه رع (او أتوم*) مما يظهر لنا ان حركة اخناتون قد طبعت التفكير بطابعها وقوت نفوذ رع . وتتضمن التسبحة عينها هذه الكلمات :

سلام لك يارع سيد الكائنات

. . .

الذى أمر فخلقت الآلهة

أتوم خالق الناس

الذى صور اشكالهم

وهيأ لهم اسباب الرزق ،

* أتوم اسم لاله الشمس شاع فى هليوبوليس (مدينة الشمس) فى اقدم العصور

الذى اوجد ما بينهم من اختلافات .

سامع صلوات الاسرى

راحم اولئك الذين يدعونه

مخلص الخجول من المتكبر

حامى الضعيف من القوى .

سيد المعرفة ، كلامه أمر ملكى

ان النيل يفيض من محبته

رب العذوبة ، عظيم فى المحبة

الذى يحيا الناس حين يشرق عليهم

وحتى عبارات التوحيد تتردد فى هذه التسبحة • فانه فى الوقت الذى تشير فيه التسبحة الى الالهة المتعددة يقول كاتبها :

عديم النظير خلق الكائنات

الواحد الاوحد مكون الموجودات ،

عيناه مصدر حياة الناس

ومن فمه تدفقت الآلهه

خالق النبات طعاما للحيوان

وشجرة الحياة طعاما للناس ،

الذى يهىء الطعام للسمك فى البحر

وللطيور التى تطير فى الفضاء ،

نافخ الحياة لما فى البيضة

ومحرك بويضات الديدان

الذى هيأ طعاما حتى للذباب

وكذلك للديدان والحشرات

الذى يسد حاجات الفئران فى جحورها
ويحفظ حياة العصافير
سلام لك يامن خلقت هذه كلها
ايها الاله الاوحد ذى الايادى الكثيرة
ايها النائم المستيقظ فى آن واحد
بينما البشر كلهم نيام،
مدبر الخير لكل قطعانك

• • •

سلام لك — تقول القطعان
التسبحة لك — تقول الشعوب
الى اقصى السموات والى منتهى الارض
والى اعمق اعماق البحار

وفى تسبحة اخرى لاوزوريس ترجع الى العصر عينه توجد هذه الكلمات « انت الاب والام لكل الناس وهم يعيشون بأنفاسك » واننا لنلمس روح التسامح والعناية فى كل هذه التسابيح .. روحا بدت فى مصر منذ عهد الاقطاع . فالعناية «بالخجول» ضد «المتكبر» و«الحكم الملكى» و «المعرفة» — كل هذه الصفات التى هى من صفات الفرعون قد ظهرت فيما كتب المصلحون الاجتماعيون امثال ابيوور . أما وصف الاله بانه ابو الخلائق وأمها فمن تعاليم الايمان بأثره . فبينما تحتفظ هذه التسابيح بفكرة العالمية والاستخفاف بالفروق الجنسية والرؤيا الواسعة الآفاق التى نادى بها اخناتون فانها تظهر لنا شيئا آخر ألا وهو الثقة الفردية فى خير الله وحسن تدبيره والتطلع الشخصى نحوه مما يعلن لناعن فاتحة عصر جديد من الدين الشخصى

فاننا حين نرقب القرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد — أى القرنين التاليين لحكم اخناتون نجد ان ثقة العابد بعناية الاله الشمس ويقينه بالاهتمام الالهى بكل الخلائق حتى أحقرها نجد ان هذه الثقة قد تحولت الى روح من التقوى العميقة وادراك حق لصلة الله بالناس صلة فردية

واننا لنلمس بذور هذه الروح وذلك الادراك فى تلك الكلمة التى فاه بها اخناتون .. «فانك لاتزال فى قلبي »

فأثر الحركة الدينية التى قام بها اخناتون والتعاليم التى نادى بها مصلحو العهد الاقطاعى فى سبيل العدل الاجتماعى قد سمت الى الذروة فنتجت عنها أعمق التعبيرات لأسس ما وصلت اليه الروح الدينية فى مصر . وبعد ان كانت هذه العقيدة بالصلة الروحية الفردية بين العابد وخالقه وقفا على النخبة القليلة صارت بعد مضى أجيال وبعد تطور تدريجى عقيدة عامة يدين بها الجميع

وكانت النتيجة لهذا التطور ان بزغ بين الجماهير فجر جديد من التقوى الفردية والتطلع صوب الله . وكان فجرا جديدا حقا لانه كغيره من التطورات الدينية والاجتماعية فى مصر القديمة كان أول فجر من نوعه فى تاريخ البشرية . فلا يرى له مثيل فى غير طيبة . وانه لمن الشيق جدا أن نتمكن بعد مرور آلاف السنين من أن نقف على نفسية الشعب ونتلمس ما كان يختلج فى أعماق قلوب العامة : العمال والزراع ، النجارين والكتبة ، الرجال والنساء الذين كانوا هم منتجى ثروة مصر المادية وعلى أكتافهم قامت الامبراطورية المصرية . فنجد ان أحد الكتبة نسخ تسبحة على قبره تتضمن الأبيات الآتية :

الآتى الى من يصمت
مخلص الفقير
معطى أنفاس الحياة لكل من يحب

. . . .

مد لى يدك
خلصنى وأشرق على
لأنك أنت واهب الكفاف .
أنت الاله الأوحد ولا يوجد سواك
انت رع الذى يشرق فى السماء ،
أتوم خالق الناس

الذى يستجيب الى صلوات من يدعوه ،
ويخلص الانسان ممن يتكبر عليه ،
الذى يأتى بالنيل لمن هو بينهم ،
قائد الجميع .
حين يشرق يحيا الناس ،
وتهلل قلوبهم حين يرونه ،
معطى أنفاس الحياة لمن فى البيضة ،
حافظ حياة الناس والطيور
الذى يسد حاجة الفئران فى جحورها .
والحشرات والديدان كذلك .

وإلى هذا الاله الرحوم الذى يعنى حتى بالطيور والحشرات كان يتجه رجال طيبة يبثونه آتراحهم ومشاغلهم واثقين من رفقه بهم وعنايته بشؤونهم . فقد أقام رسام حجراً فى مقبرته نقش عليه قصة ابنه وكيف أن أمون رأف به تخلصه من مرض اعتراه — فآمون صار له « الاله المهوب ، الذى يسمع الصلوات ويأتى لنجدة الفقير البائس ويهب أنفاس الحياة لمن أقعدته الأمراض » ثم يسرد قصة مراحم أمون هكذا :

التسبحة لأمون !
اننى أرتل باسمك
وأسبحك .
أرفع تسبحتى الى أعلى السماء
وإلى أقصى الارض .
أتحدث بعجائبك
للمسافر فوق النهر
شمالا وجنوبا

اخشه !
تحدث بخشيته لابنك ولابنتك
للكبير وللصغير ،
أخبر بعجائبه الاجيال الآتية
التى لم تولد بعد .
قصها على الأسماك فى البحر
وعلى الطيور فى السماء .
كررها على مسامع من يعرفها
ومن يجهلها .
اخشه .
أنت يا أمون سيد السكون
الذى يأتى حين يسمع صراخ المستغيث
حين اصرخ نحوك فى ضيقتى
فحينئذ تأتى وتخلصنى
وتهب أنفاس الحياة لمن حنى الألم ظهره
وتخلصنى أنا المقيد فى الأسر .
حين يصرخ الناس نحوك
فأنت من يأتى اليهم من بعيد . »

« نبرى رسام لأمون فى المقبرة ، ابن باى رسام لامون فى المقبرة ، قد أقام هذا الحجر ونقشه لسيده ، أمون سيد طيبة ، الذى يأتى لنجدة الفقير ، فيغنى لاسمه ويسبحه لعظم بهائه ، ويرفع اليه الصلوات أمامه وأمام البلاد بأسرها من أجل الرسام ناخت أمون* حين كان ملقى على فراش الموت فى قبضة أمون بسبب خطاياه .

* ابن نبرى الذى خلص أمون حياته

« لقد وجدت ان اله الالهة جاء كريح الشمال يسبقه عبيق الازهار ليخلص الرسام ناخت أمون ابن نبرى الرسام لامون من زوجته بيشيد .

« لقد قال : مع ان العبد من عادته ان يخطىء فان السيد من عادته ان ينعم . وسيد طيبة لايقضى طيلة يومه غاضبا ، فان غضب فلحظة تمر . . ثم يعود فينظر الينا بنعمته ويأتى لنا إلهنا بالحياة ،

« قال سأقيم هذا الحجر لاسمك وانقش هذه التسبحة عليها ان انت خلصت حياة الرسام ناخت أمون ! هكذا قلت لك وانت أصغيت لي . والآن هوذا انفذ ما وعدت به . لانك انت سيد من يدعوك وانت من يرضى بالبر وسيد طيبة .

« عملت بمعرفة الرسام نبرى وابنه خاى . »

وهكذا صار الاله الشمس أو المغتصب أمون بطل المتضايقين « الذى يسمع الابتهالات ويصغى الى صلاة من يصرخ نحوه ويأتى عند سماع صوت من يدعوه » « الاله المحب ، سامع الصلوات ، مغيث الفقير معطى القوة للمتعب . » لذلك فالأم الذليلة التى اهملها ابنها « ترفع يديها نحو الاله فيسمع صراخها . » اذن فقد صار العدل الاجتماعى الذى نشأت فكرته فى الدولة الوسطى حقا يطالب به كل انسان الهه الذى صار هو نفسه القاضى العادل الذى لا يقبل الرشوة ، رافع الحقير وحامى الفقير ، الذى لا يمد يده للغنى . » لذلك يصلى الفقير قائلا : « يا أمون أصغ لمن يقف بمفرده فى قاعة العدل ، الذى هو فقير وخصمه غنى . » فالمحكمة تستبد به طالبة « الذهب والفضة للكتبه والملابس للخدمة ، ولكن أمون يحول نفسه آخذ شكل الوزير حتى يسبب انتصار الفقير ن الفقير على حق وهو يتغلب ني الغنى . ايها الربان الذى يعرف الميناء ، امون — دفة السفينة ، معطى الخبز للمحروم ، ملكا اولا ، ياإله البدء ، ياوزير الرجل الفقير ، الذى لا يحابى ولا يحتاج الى شهود امون رع قاضى الارض باصبعه ، الذى تملأ كلماته القلب ، الذى يعيد للخاطىء النار وللعادل مكانه فى الغرب . » (مملكة اوزوريس) والغنى والفقير على السواء عرضة لغضب الاله ان أخطأوا . فمن م يهم يقسم ويحنث بقسمه يستنزل غضب الاله وهو يضرب بالمرض او العمى — ولا يمكن للخاطىء ن يتخلص من مثل هذا الجزاء ما لم يتب عن خطاياه طالبا المغفرة والصفح وهو نادم متذلل .

فهنا نجد ان الضمير قد تحرر تماما لاول مرة . اذ ان الخاطىء يقر بجهله وبانه عرضة للسقوط: « ايهـا الاله الأوحد ، ايها الاله الشمس الذى لا شبيه له ، حامى الملايين ومخلص مئات الالاف الذى يلبي نداء من يستنجد به ، سيد هليوبوليس ، لا تعاقبنى لاجل كثرة ذنوبى — فانا اجهل حتى جسدى ، انا انسان لا فهم له — أتبع أهوائى اليوم كله كما يسير الثور صوب طعامـه . » واننا لنلحظ على الفور ما بين هذه الكلمات وبين كتاب الموتى من تباين — ففى كتاب الموتى ينفى المرء عن نفسه كل خطية ويدعى البراءة الكاملة من كل عيب . اما الان فتوجد صلة روحية داخلية بين الانسان المعترف بذنبه وبعدم استحقاقه للرحمة وبين الله خالقـه . « تعال الى يارع هارا كت لتكون قائدى . » وكما يحب الاسرائيلى اورشليم مدينة الله منذ القدم فهكذا المصرى « فى القرن الثالث عشر او الثانى عشر » يمتد ببصره صوب هليوبوليس حيث بزغ ايمان اجداده منذ اكثر من ثلاثة الاف سنة . « ان قلبي ليتجه نحو هليوبوليس . . ان قلبي يفرح وصـدرى ينشرح : طلباتى تسمع وصلواتى اليومية وتسبحاتى بالليل ، ابتهالاتى تتردد فى فمى لانها سمعت اليوم . »

وفى التسابيح القديمة التى تتألف من وصف خارجى أو اقتباس للاساطير أو اشارة الى حوادث فيها والتى تتعلق بامور كلهـا خارجية كان يستطيع كل انسان ان يردد نفس الصلاة ، اما الآن فقد أصبحت الصلاة استعلانا للاخبار النفسى الفردى وتعبيرا للاتصال الشخصى بالله — اتصالا من شأنه ان يدرك العابد الهـه ويرى فيه صورة الراعى الذى يعنى بقطيعه — « يا أمون ، أيهـا الراعى الذى يقود خرافه فى الصباح ويسير بالمتألم الى المرعى ، وكما ان الراعى يهـدى رعيته الى المراعى الخصبة فكذلك أنت يا أمون تهدى المتألمين الى حيث طعامهم ، لان أمون هو راع يرعى من يتكل عليه . يا أمون رع لقد أجبتك وملأت قلبي بك . انك تنقذنى من فم الناس حين يتكلمون . » وبالطبع لا تعوزهم الوسائل المادية الخارجية لتقوية هذه الصلة الروحية بينهم وبين الههم . لذلك ينصح الحكيم كل انسان قائلا : عيد عيد الهك واذكر مواسمه ، لان الاله يغضبه من يتغافل عن حقوقه . « ومع ذلك فحتى الحكماء الذين اعتادوا التفريط شيئا ما فى العادات الموروثة والذين ينصحون بحفظ المظاهر الخارجية يرون بان أبعد الاعمال أثرا للزلفى الى الاله والحصول على رضاه هو الانصراف الى التأمل فى صمت وسكون والصلة الروحية الداخلية : « لا تكن كثير الكلام لانك فى الصمت ستصيب

الخير . اما فى المكان المقدس فالله يمقت الجلبة ، فصل انت بقلب شغوف . ان كل كلمة من كلماته مقنعة . وهو يسد حاجاتك ويسمع صوتك ويتقبل عطاياك . » ففى مثل هذا الموقف يتجه المصلى صوب الهه الذى هو له مصدر ينبوع روحى فيقول : « أيها البئر العذب لمن يعطش فى الصحراء ، انه بئر ينضب لمن يرفع صوته اما للصامت فهو متدفق — ومتى جاء ذاك الصامت فحينئذ يجد البئر . » وهذا الموقف : موقف الصلة الروحية الصامتة المتطلعة صوب خير الله لم يكن قاصرا على نخبة ممتازة من الخاصة ولا على جموع الكهنة المتعلمين ، بل ان أمون يوصف بانه « الاله الذى يأتى للصامت » على مختلفات أصغر الناس . وهذا النمو النهائى للشعور الذى كلل ثورة اخناتون الدينية الفكرية والذى كان منتهى ما وصلت اليه أحلام المنادين بالاصلاح الاجتماعى منذ عهد الاقطاع كان اسمى مرحلة وصل اليها الدين فى مصر .

وقد ظل الحكماء فى ذلك العصر محتفظين بالتعاليم القديمة من حيث المثل العليا وزادوا عليها بان طالبوا بتطبيقها عمليا . فالصيت يجب أن يحفظ نقيا : « دع كل مكان تحبه معروفا » يقول آنى . اما ادمان الخمر والابتذال فى المعيشة فمما يجب الابتعاد عنهما . ولا يتورع الحكماء عن ان يتحدثوا بصراحة تامة ومن دون خجل : « احفظ نفسك من المرأة الغريبة غير المعروفة فى المدينة ، لاتنظر اليها . لاتعرفها بالجسد لانها مياه جارفة مزبدة لا يعرف لها الرجل قرارا . ان المرأة البعيدة عن زوجها تقول : « انا جميلة » وتعلن عن جمالها يوميا . وحين تظن انها فى مأمن تحاول نصب الشباك اصيدك . يالعظم الجريمة ، عقابها الموت ان اطاعها الرجل حتى وان ظلت طى الكتمان لان الرجل يستهين بكل خطية ويقدم عليها بعد ذلك . » كذلك يجب ان يتخذ الانسان موقف الفيلسوف بازاء خيرات الحياة وملاذها فمن الحمق ان يتكل على الغنى الموروث : « لاتقل ان والد أمى له دار ومزرعة فى منطقة كذا . » وحين يصلك الارث اقتسمه مع اخوتك فلا يكون نصيبك الا المخزن . » فلا ثبات لهذه الاشياء » لانه هكذا كان منذ الأزل — ان الانسان لاشىء . واحد غنى وآخر فقير ... ومن كان غنيا بالأمس اصبح معدما اليوم ... ومجرى المياه فى السنة الماضية قد جف هذه السنة . البحار الكبيرة تنضب والشواطىء تصير بحاراً . »

وحين وصل المصرى الى ألف السنة الأخيرة قبل الميلاد وصل تطور الضمير عنده الى منتهاه

بخطوة حاسمة كانت الاجيال السابقة مهدت لها . فالصوت الداخلى الذى اشتد واصبح صاحب السيادة بلا منازع والذى كان نتيجة للعوامل الاجتماعية ونتيجة للتطور الطويل مدى قرون عديدة بفعل التأملات العميقة صار الآن صوت الله نفسه . فلقد نشأت هذه الفكرة منذ خمسة قرون عند بدء الامبراطورية المصرية — ولكن فى هذا العصر عصر التقوى الفردية صار الضمير من غير شك صوت الله . ولا يمكن بحال من الاحوال ان ينكر المذنب خطاياه لانه ادرك بان الله عالم بالخفايا والاسرار . لذلك يضع المؤمن حياته بين يدى الله تاركا له الامر بلا قيد ولا تحفظ . نعم ان رضى المجتمع لايزال امرا عظيم الخطر وضغط التقاليد الاجتماعية لايزال قويا ولكن فوق هذا وذاك تعلو المسئولية الفردية التى يشعر كل انسان انه مسئول بها امام الله العالم بكل شيء

وهذا الاتجاه الجديد يبدو لنا واضحا فى رسالة مدهشة يصح لنا ان نسميها « حكمة امينموپى » وهى الآن محفوظة فى ملف بالمتحف البريطانى . وهذه الرسالة كما هو معهود فى كل الرسائل المصرية القديمة موجهة من والد الى ابنه الا انها أكثر ترتيبا واحسن تبويبا من سواها . فهى مقسمة الى فصول منتظمة ، لكل فصل موضوع خاص . وليس ذلك فحسب بل انها مرتبة فى شكلها فهى مقسمة الى أبيات كل بيت يحوى اربع شطرات ، ولو ان بعضها يحوى ست او ثمانى شطرات . ولكن المؤلف لم يعن بترتيب الفصول ترتيبا منطقيا .

ويقول الاستاذ لانج أكبر مفسر لهذه الرسالة فى مقارنة بين امينموپى وبين من سبقوه : « ان الاراء الدينية التى لامينموپى اعمق غورا وابعد تأملا فى عالم الفكر من تلك التى نادى بها كل من سبقوه فهو يفوقهم جميعا وكانت حكمته كحكم غيره من المفكرين قائمة على اعتبار ان التقوى فضيلة والتفكير فى الموت وفى الخلود هى الدوافع الى السلوك الادبى وان الله هو موزع الارزاق . اما تعاليمه فاساسها ادراكه ان الله هو العامل الاكبر فى تحديد تأملاته ومعرفته للحياة وللسلوك . » فهو اذن يضع نصب عينى ابنه هذه الوجهة صوب الحياة وهى انه يجب على الانسان ان يحيا كل لحظة منها سواء فى البيت اوفى المكتب وهو موقن تماما بانه مسئول امام الله . وهذا التناهى فى السمو بالضمير وفى ادراك الله كما يبدو لنا خلال تعاليم مفكر مصرى عاش فى القرن العاشر قبل الميلاد من ألامور المدهشة حقا . بل ان دهشتنا لتزداد حين نعلم ان هذه التعاليم كتبت قبل ان يكتب العهد

القديم حتى انها ترجمت فيما بعد الى العبرية وكان اليهود يعرفونها تماما .

ورغبة منه فى اعداد ابنه لان يخدم حكومة بلاده يعرض هذا الحكيم لكل التجارب التى تعترض سبيله ويمحصها واحدة فواحدة ويحذر ابنه شرها . فهو ينصحه اذا اشتغل مثلا بمساحة الاراضى بما يلى :

لا ترفع الحدود المنصوبة على الحقول .

***

لا تطمع فى شبر من الارض
ولا تعتد على حدود الارملة

***

انتبه لمن يفعل هذا
ان بيته عدو للمدينة
ومخازنه ستخرب ،
ان ممتلكاته ستؤخذ من أيدى أبنائه
وتعطى لغيره .

***

لا تدوس بقدمك على المحروث من أرض غيرك
لانه من صالحك ان تكون فى سلامة معهم .

***

احرث الارض لتسد حاجتك
وكل خبزك مما تزرعه أنت
فالقليل الذى يعطيه الله
خير من الكثير عن طريق الشر

***

إن الفقر من يدى الله

لهو خير من الغنى بلا تعب ،

والخبز والملح مع فرح القلب

أحسن من الخيرات مع الشقاء .

. . . .

ومن الشيق أن نلاحظ أن امينموبى لا يزال يقيم وزناً لحكم المجتمع فى بعض المواقف — فالتزام النزاهة التامة فى الأمور المالية واجب وهو يقول :

لخير لك أن تكون محبوبا من الناس

من أن تكون خزائنك ممتلئة . . . . . .

لأن الغنى مع الضمير التعب لا قيمة له إذ

ما قيمة الثياب الناعمة

ما دام الانسان خاطئا أمام الله ؟ »

واليك نصيحة امينموبى لابنه اذا اشتغل فى مخازن الدولة واهرائها :

لا تدع الموازين تحيد ولا تتلاعب بها

لا تنقص مكاييل الغلال

لا تشته حفنة من القمح

ولا تهمل موازين الدولة

. . . .

والتشبيه الأخير غامض المعنى ولكن ربما كان المقصود ان المخازن الملكية لكثرة ما فيها لها من قوة الاغراء بالسرقة ما قد لا يجدى فى دفعه اليمين التى يقسمها من يدخل فى خدمة الملك .

والنزاهة فى العمل يجب أن يخضع لها الكبير والصغير ، فيبدأ الحكيم أحد فصوله بتلك الكلمات « لا تطمع فى مال الفقير » ثم يليها هذه « لا تطمع فى خيرات الرجل العظيم . »

ثم ان الحكيم يهمه جداً أن تسود الاستقامة كل المعاملات القانونية فيقول

لا تضطر انساناً إلى الذهاب إلى الحكمة
ولا تجعل العدل «أو البر» يحيد
بينما تعجب بالثياب الناعمة
وتظلم صاحب الثياب الرثة .
لا تأخذ هدية من القوى
ولا تظلم لاجله الضعيف .
إن العدل هبة من الله
يعطيها من يشاء .

. . . .

إن قوة من يشابهه « الآله »
تخلص البائس من ظلم القضاء .

. . . .

دع الممتلكات لاصحابها
وبذلك تنعم بالحياة .
لانك ان جعلت قلبك ينعم بما لغيرك
فسيحكم الجلاد على جسدك .

. . . .

والكلام اللين والسلوك المعتدل هما من أهم الصفات فى نظر هذا الحكيم . أما التهديد المرتفع الصاخب فلن يغير ذرة من مقاصد الله لاعدائنا :

لا تقل إنى حاكم قوى
لذلك أستطيع أن أهاجم رجلا فى المدينة.
لا تقل « بما إنى وجدت من يحمينى
فأستطيع ان أهاجم عدوى . »

الحق انك لا تعرف ما تدبير الله

ولا تدرك ما يأتى به الغد .

ضع نفسك بين يدى الله

الى ان يتغلب سكونك عليهم (الاعداء)

ثم يستمر امينموپى فى التحذير من كثرة الكلام بلا تدبر مشيرا الى ما فى هذه العادة من خطر فيقول :

ان أنت سمعت خيرا أو شرا

فكأنك لم تسمع شيئا .

كرر الخير الذى بلغك

اما الشر فاكتمه فى داخلك

ثم يستطرد الحكيم فى كلامه فيحذر ابنه من أن يتسقط الاخبار أو يستمع لما ليس من شأنه . وان تعاليمه لتشبه تعاليم بتاهوتب أى انها كانت تعاليم انقضى عليها ثمانية عشر قرنا وهى لا تزال لها أعظم القيمة فى أعين المصريين وعنهم أخذها العبرانيون .

كذلك ينصح الشيخ ابنه بتجنب الرياء وبان يكون صريحا مخلصا فى كل معاملاته :

لا تفصل قلبك عن لسانك

فبذلك تنجح فى كل مقاصدك

وبذلك أيضا تصير صاحب الكلمة المسموعة بين الناس

وفى أمان بين يدى الله .

لان الله يكره الرجل ذا اللسان المخادع

المرائى هو ما يمقت .

وان كانت معاشرة العظماء تغرى على الرياء فان مصاحبة المتسرعين ذوى المزاج الحاد خطرة كذلك لأنها تؤدى الى المغالاة فى الالفاظ :

لا تصاحب ذا الطبع الحاد

ولا ترغب فى الحديث معه

وان رسالة امينموبى مليئة بالتحذير ضد المتسرع المندفع والشخصية المثلى فى نظره هى شخصية الرجل الوديع المترفق الذى تعلم كيف يتحكم فى نفسه. والشيخ يشبه سريع الغضب والحليم بشجرتين: شجرة غير منسقة تنبت فى الخلاء من غير أن يتعهدها انسان، وشجرة نامية وسط حديقة تزينها وتظلل من فيها:

. . . .

ان الانسان الحكيم حقا الذى يختلى بنفسه
يشبه شجرة باسقة وسط حديقة،
انه ينمو وتكثر ثماره
ويحيا فى حضرة الهه،
ثماره شهية وظله مريح
ويجد نهايته فى الحديقة.

. . . .

لاتشتبك فى شجار مع ذى اللسان الحاد.

ثم يحث الشاب على عدم الاختلاط بالشخص الميال الى الخصام الحاد الطبع المندفع الذى لا يجد الشيخ كلمة يعبر بها عن شخصيته الا كلمة «حار». اما الرجل المعتدل الرصين فانه يصفه بانه «الصامت» الذى يعامل الجميع برفق ودعة.

ثم يذكر الشيخ ابنه فى هذا الصدد بأن

الله يحب من يرفه عن الفقير
أكثر مما يحب من يحترم العظيم

وبهذه الروح الوادعة المترفقة يحث الحكيم ابنه على حسن المعاملة مع الجميع:

لا تهزأ بأعمى ولا تضحك من قزم
ولا تؤذ مقعدا

ولا تحتقر انسانا بين يدى الله

ولا تكن خشنا معه ان خطأ

أما الرجال فهم من اللبن (الطوب النىء)

والله هو بانيهم

هو يهدم ثم يبنى يوميا

ويضع ألفا كما يشاء

ويعلى الفا

طالما هم فى هذه الحياة

ما أسعد من يصل الى الغرب «الابدية»

وهو آمن بين يدى الله

ولأن الحياة غير ثابتة بحيث يعلو المرء تارة وينخفض اخرى ، ولأن الانسان لا يستند الا الى ارادة الله فان امينموبى ينبه ابنه الى ان الدهر قلب والى ان دوام الغنى من المحال . فيقول له

لاتدع القلب يهوى المال

. . . .

لا تتعب نفسك فى طلب المحال

ما دامت تجد الكفاية ،

ان اتاك المال عن طريق السرقة

فلن يكون من نصيبك سوى ليلة ،

وحين يطلع عليك الصباح يكون قدضاع

. . . .

لانه قد استعار اجنحة كالاوز

وطار الى السماء

. . . .

صل الى اتن الاله الشمس حين يشرق
وقل «اعطنى الامان والصحة» ،
وهو يعطيك حاجتك فى الحياة
فتنجو من الخوف

ولتصوير الشيخ للمال الذى قد استعار « اجنحة كالاوز » صدى فى سفر الامثال ومنه رن فى العالم الغربى . وشيخنا يجد ان الاطمئنان الى مثل هذه العروض الزائلة باطل وعبث وان المأمن الوحيد هو بين يدى الله — ويجد ان الصلاة اليه هى الوسيلة «للنجاة من الخوف» وراحة النفس والنجاة من الخوف لا يتأتيان الا بالارتكان على الله ، لهذا نجد تلك الكلمات التى هى اسمى ماخط ذلك الحكيم المصرى وهى :

لا تنم بالليل متخوفا من الغد
لانه حين يشرق النهار فما هو الغد ؟
ان المرء ليجهله ويجهل ما فيه
الله فى كماله
والانسان فى نقصه ،
ان الكلمات التى يتلفظ بها الناس تختلف
كما تختلف اعمال الله
لا تقل «ليس لى خطيئة»
ولا تتعب نفسك فى التطاحن
أما الخطيئة فهى عند الله
وهى مختومة باصبعه
لا يوجد انسان كامل أمام الله ،
ولا يثبت أمامه نقص
ان أجهد انسان نفسه ليبلغ الكمال

ففى لحظة يحطمه

كن ثابت القلب وطيد العزم

ولا تجعل من لسانك دفة

وان يكن اللسان دفة السيئة

فالله سيد الـكل هو ربانها

ترى هل نسمع صدى تلك التعاليم عن الغد فى كلمات السيد المسيح حين قال «لا تهتموا بالغد؟» ربما لن نصل ابدا الى الاجابة على هذا السؤال ولـكن حكمة امينموبى قد بينت لنا من غير شك ان التعاليم الادبية المصرية قد تخطت حدود وادى النيل الى فلسطين. وليس ذلك فحسب بل ان بعضا من حكم هذا الشيخ قد شاعت بين مختلف الشعوب وهى لا تزال شائعة الى اليوم. وقد بين سيت (أحد المصرولوجيين الالمان) ان تلك السطور المبهمة عن تباين كلام الناس واعمال الله ليست سوى ذلك المثل الشائع بين الاقوام على اختلاف اجناسهم وهو: «المرء فى التفكير والرب فى التدبير» — فالمقابلة فى هذه السطور هى بين «كلمات الناس» و «اعمال الله». هنا اذن اقدم مرجع للمثل المذكور آنفا. ومثل هذه النظرية المنتشرة بين الجميع للآن والتى كانت نظرية مصرية قديمة تثبت لنا اثباتا لا يقبل الجدل بان التطور الفكرى المعنوى فى مصر يشغل الحظ الاوفر من التاريخ البشرى بأجمعه ـ لا تاريخ الشرق فحسب. لذلك كان من الواجب دراسة الاطوار الاخيرة التى وصل اليها هذا التفـكير قبل أن يجرف مصر تيار الامبرطواريات الغربية عنها.

وحين سقطت الامبراطورية المصرية فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد كانت القوى الداخلية والخارجية لمصر قد نفدت فلم تعد قادرة على اثارة التفكير الادبى الى اية ذروة مثلى أعلى مما كانت قد وصلت اليه. فحل على ذلك الشعب الذى كان من قبل ممتلئا قوة ونشاطا ركود وخمول قاتل كالمخدر وكان التغيير الذى حدث اذ ذاك لا يعدو ان يكون تغييرا فى الشكل لا ينطوى على اى تقدم فكرى وكانت سطوة الـكهنة كحزب سياسى قد بلغت حدا حمل تحتمس الثالث فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد على ان يجعل من رئيس كـهنة امون الكاهن الأعظم لمصر كلها. ومع ان هذا النفوذ كان قد تقلص ظله ايام اخناتون ولكن لم يلبث الكـهنة ان استعادوه بتمامه بل واكـثر منه بعد ان دالت

دولة أتن . حتى ان رمسيس الثانى سمح ان تكون النبوءة التى تصدر عن هيكل أمون هى المسيطرة على اختياره لرئيس كهنة أمون — وبذلك أصبح من السهل على كهنة أمون ان يجعلوا ذلك المنصب الخطير وراثيا . ولم تعد مصر تستطيع ان تقاوم هذه « الدولة القائمة » داخل الدولة بل صارت فريستها من الناحيتين السياسية والاقتصادية اذ ازدادت مطامع الكهنة وصاروا يستغلون الموارد الاقتصادية الى اقصى حد فانتهى الامر بمصر ان صارت دولة خاضعة للحكم الكهنوتى حتى انه فى سنة ١١٠٠ ق . م اضطر الفرعون نفسه الى ان يتنازل عن العرش لرئيس هذه « الدولة » الكهنوتية .

وفى خلال هذا التطور الطويل الذى ادى فى النهاية الى ان يتسلم الحزب الكهنوتى مقاليد الحكم اتخذت المظاهر الخارجية الرسمية للدين صبغة من الكرامة والعظمة لم يسبق لهما مثيل لا فى مصر ولا فى أية دولة اخرى من الدول القديمة . وستظل الهياكل التى تخلفت عن هذا العصر موضع الدهشة والاعجاب دائما ابدا — لا من حيث عظمتها الهندسية فحسب بل من ناحية ما تدل عليه من فرط الترف والرخاء ايضا . فان هذه القصور الرائعة التى للآلهة رفعت المراسيم الدينية الى مستوى سام من البهاء وبعد الأثر لم يتيسر لاى شعب آخر لا قبل ذلك العهد ولا بعده . وصار أمون الجالس على عرش من العظمة والبهاء والمتوج بهالة من المجد وسيلة هائلة فى أيدى كهنته للحكم والسلطان — واتسع نفوذه حتى ان الاحكام القضائية نفسها صارت تتوقف على هزة من رأسه ، وتناول سلطانه كتابة الوصايا والشهادة على المتهمين . وبذلك تحققت الصلاة القديمة حيث كان المظلوم يتوسل الى الاله ان يكون قاضيه ووزيره — تحققت حرفيا فنتجت عنها نتائج لم تكن لتدور بخلد الرجال الذين نطقوا بتلك الطلبة لاول مرة .

ولم يعد الدين قوة شخصية ادبية الا فى قلوب الفقراء والمتضعين من المؤمنين كأولئك الذين تلمسنا خلال صلواتهم روح التقوى والورع مما تركوه لنا فى قبورهم من لوحات وفاء لنذورهم . فهذه اللوحات ، ونصائح آنى ، وحكمة امينموبى ، نستشف منها كلها روحا من التقوى الفردية التى كانت نهاية ما وصل اليه التطور الفكرى الادبى فى مصر حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م وكان ذلك العصر موافقا لعصر انقسام دولة اليهود الى دولتين : اسرائيل ويهوذا . على ان الدولة اليهودية فى الواقع لم

يدم اتحادها الا فى حكم ثلاثة ملوك . ومن المهم جدا ان نلحظ ان التطور الفكرى الادبى فى مصر كتطور ثقافتها كان قدقارب النهاية واجتاز خمسا وعشرين قرنا منذ ان بزغت شمسه حين بدأت حياة اليهود القومية .

وحين تحول اضمحلال مصر بعد خمسمائة سنة الى عصر من التجديد سنة ٧٠٠ قبل الميلاد كان عصر التكوين والابتكار قد انقضى من حيث التفكير الدينى والادبى . فبدلا من ان تفيض مصر نشاطا وحماسة ويبدو نشاطها المتدفق فى الابتكار الفنى والادبى كما حدث لها فى كل عصر من عصور التجديد التى مرت عليها فى تاريخها المجيد — بدلا من التجديد والابتكار عمد رجالها الى النسج على المنوال القديم وتوطيده من جديد — وهذا القديم الذى كانوا يحاولون استرجاعه والنهج على منهاجه كان قاصرا على مخلفات القرون مع اغفال كل ما ادخلته الامبراطورية من تجديد . فكانوا ينظرون الى مصر القديمة خلال الحجب التى تكاثفت على ممر الفى سنة فيرون فى هذا الماضى البعيد صورة مثلى لما يجب ان يكون عليه نظام الحكم . وليس من شك فى ان هؤلاء المقلدين المقتفين أثر عهد سحيق مضى وانقضى كانوا فى محاولتهم بوضعه فى القالب القديم يرتطمون باستمرار بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة التى كانت تقف سدا منيعا بينهم وبين مقصدهم — ولم يكن ممكنا بحال من الاحوال محو ألفى سنة من التاريخ او القضاء على اثارها ما بين عشية وضحاها . فكان الحاضر ظاهرا رغم ما أسبغوا عليه من أردية الماضى وكان الرداء الذى كسوا به الحقائق المرة الراهنة رداء باليا ما كان ليستر هذه الحقائق ابدا . فاحتالوا احتيالا على هذه المشكل ولجأوا الى ما لجأ اليه اليهود من بعدهم : اى انهم عزوا الحاضر للماضى كما عزا اليهود كل قوانينهم الى موسى . وهكذا كان التجديد نظريا بحتا .

واستعاد المصريون كل المخلفات المعروفة بملفات الاهرام وعادوا ينقشونها بحذافيرها على قبورهم على الرغم من أنهم لم يكونوا يفهمون معناها . واستمروا يستعملون كتاب الموتى ولو أنهم شوهوه وغيروا وبدلوا فيه . كذلك عادوا مرة أخرى يرسمون صور الحياة اليومية على جدران قبورهم ولكن الحياة التى رسموها وقتذاك كانت صورة طبق الاصل للصور المنحوتة على جدران الاهرامات وغيرها من قبور الدولة القديمة — وبلغ من اتقانهم تقليدها إن الناظر اليها لاول وهلة لا يخالجه شك فى أنها ترجع إلى العصور التى نقلت عنها . وحدث لشدة تعلقهم بهذا القديم واقدامهم على نقله إن رجلا اسمه

«أبا» اعتزم أن يبتنى له قبراً فأرسل عماله ومهندسيه إلى أسيوط لينقلوا الصور والنقوش الموجودة فى أحد القبور بحذافيرها لا لشيء إلا لان صاحب القبر الاسيوطى كان يحمل اسم «أبا» هو أيضا !

ويجب ألا ننسى انه إذا كانت قصة ممفيس قد حفظت إلى عصرنا هذا فذلك لان أحد الفراعنة الاثيوبيين من القرن الثامن قبل الميلاد أمر بأن ينقل كتاب الاسر الاولى «كتاب للاسلاف كاد يأكله الدود فنقش على حجر من البازلت لا يزال موجوداً إلى اليوم بالمتحف البريطانى . وهكذا تسارع الجميع الى البحث عن كتب الاقدمين وملفاتهم المقدسة فنفضوا عنها غبار الاحقاب وجمعوها ورتبوها — لان الماضى صار المثل الذى يحتذى . وكان الكاهن الذى يقدس هذا الماضى يعيش فى عالم من الاشباح ولا يحمل رسالة حية الى العالم المعاصر . وكذلك كان الحال فى بابلون اذ سادتها أيضا روح الرجوع الى الماضى — وكانت على وشك ان تسود العبرانيين العائدين من المنفى أيضاً . وكأنما بدأت الشيخوخة تدب فى العالم فصار الناس يعيشون وهم ينظرون الى شبابه الغابر بألم وتطلع . وفى هذا الجهاد صوب الاحتفاظ بالقديم أخذت الديانة فى مصر تهوى تدريجيا الى الدرك الاسفل من الاضمحلال الى ان صارت كما وصفها هيرودوت مجموعة من المراسيم الالية الخارجية تؤدى بدقة متناهية دون أن تحوى أى معنى وعلى الرغم من كونها صارت جوفاء فان المصريين لفرط حرصهم على مظاهرها لقبوا بأنهم أكثر الشعوب تدينا . ولكن للاسف لم تعد هذه المظاهر تعبر عن روح نامية وثابة كما كانت أيام ان انصرف المصريون الى التأملات العميقة والتفكير المبدع .

ولقد راقبنا اجمالا تطور الافكار الادبية لدى شعب عظيم كما ازدهرت خلال ثلاثة الاف من السنين تبعا لتأثير القوى الداخلية النفسية والقوى الخارجية التى أحاطت بذلك الشعب القديم فكونت عقله ودفعته الى ادراك الله وقواه اللانهائية والمستوى الادبى الذى يحتمه على البشرية . فالالوهية كما أدركها الشرق قديما كانت مظهرا للاختبارات الشخصية وكل الصور التى تخيلها الاقدمون عنها تعبر عن اسمى ما أدركه الناس وشعروا به — فجمعوا كل ما حلوا به فى شخصية سامية مثلى هى شخصية الله — وهذه الشخصية المثلى رسموها فى شكل انسانى نبيل . وليس من شك فى ان تلك الكلمة التى فاه بها انجرسول والتى قصد بها التهكم اللاذع وهى : « ان نزاهة الاله هى انبل عمل .

— ليس من شك فى ان هذه الكلمة تعبر عن حقيقة رائعة . فنحن تتبعنا الفكر المصرى القديم

ورأينا كيف ان هذا الخيال الرفيع قد عثر على « الهه النزيه » ، ونحن ورثنا الهنا عن العبرانيين . ولكن يحق لنا الان أن نتساءل عما ان كان هذا التراث الديني الادبي قد بدأ مع العبرانيين أو أن التاريخ بما كشفه لنا من حقائق قد برهن لنا على ان هذا التراث أقدم عهدا من العبرانيين وانه يرجع الى عصور سحيقة امتزجت مثلها العليا وتأملاتها بأحلام العبرانيين وغيرهم من الامم القديمة فانتقل الينا تراث سام وهو أنبل من خلفته البشرية بأجمعها بل هو الرسالة المثلى التى تسلمها الانسان عن أبيه الانسان



فتيات تركيات فى ريف الاناضول



فتيات تركيات يدرسن بالمكرسكوب فى معهد غازى بانقره

وليم مكدوجال

استاذ علم النفس بجامعة ديوك بنورث كارولينا (١٨٧١-١٩٣٨)

للدكتور صبرى جرجس

ولد وليم ماكدوجال فى انجلترا عام ١٨٧١ ودرس فى كلية الدين بمانشستر ، ثم التحق بكلية سنت جون فى كامبردج حيث نال اجازته الطبية ، وقد درس ايضا فى مستشفى سنت توماس وفى جامعة جوتنجتن . وبعد تخرجه بقليل التحق بالبعثة الانثروبولوجية الذاهبة الى غينيا الجديدة وبورنيو بصحبة ريفرز ومايرز

وبعد عودته سنة ١٩٠٢ عين معيدا لعلم النفس فى جامعة الكلية بلندن ومنهـــا انتقل الى اكسفورد مدرسا للفلسفة العقلية ، وفى ذلك الحين تفرغ الى عمله الجامعى وانقطع اليه باذلا فيه كل جهده ونشاطه على الرغم من ضآلة مرتبه يومئذ . ثم جاءت الحرب الكبرى فالتحق بالقسم الطبي من الجيش ، وعندما انشىء مستشفى ليتلمور لمعالجة الامراض الوظيفية كان هو كبير اطبائه ، فجمع حوله عددا من الشبان الناشئين امثال هادفيلد الذين صاروا فيما بعد من تلاميذه ، وقد قضى هذا المنصب زهاء العام ، ولما حاول أن يعود بعد الحرب الى وظيفته فى اكسفورد قوبل بصدمة شديدة اثرت فى نفسه ايما تأثير فقال لاحد اصدقائه «لقد بذلت قصارى ما استطيع من جهد فى خدمة وطنى فى اثناء الحرب وهائنذا اعود الآن لارى معملى يؤخذ منى »

ثم عين بعد ذلك استاذا لعلم النفس فى جامعة هارفارد فشغل بذلك نفس الكرسى الذى كان يشغله وليم جيمس فى وقت ما . ولبث فى هذا المنصب حتى عام ١٩٢٧ حين تركه ليشغل المنصب الذى ظل فيه حتى يوم وفاته — استاذا لعلم النفس بجامعة ديوك وقد كانت جامعة ديوك فى ذلك الحين

جامعة جديدة لم يتم انشاؤها بعد ، وكان هو كهلا فى السادسة والخمسين من عمره وبذا وجد نفسه وهو فى هذه السن ينشىء فى جامعة جديدة قسما جديدا لعلم النفس يبعد كل البعد عن التقاليد الجامعية التى استهل بها حياته ، بيد انه فى خلال الاحدى عشرة سنة التى قضاها فى هذا الكرسى استطاع ان ينشىء كلية اثبتت على مر الايام انها على قدر كبير من النشاط والحيوية والانتاج .

« • »

هذه المامة سريعة بحياة وليم مكدوجال الجامعية ، يتبين منها انه لم يتمتع بالاستقرار والهدوء اللازمين للبحث العلمى ، ولكن على الرغم من هذا الاضطراب الذى لازمه فان حياته الجامعية كانت على الدوام مفخرة له



وليم مكدوجال

اما اخلاقه فكانت اخلاق « الجنتلمان » بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، وفيا لاصدقائه الى ابعد حدود الوفاء ، رب اسرة نادر المثال ، بل ان الذين يعرفونه بين اسرته لا يستطيعون ان يفصلوا اراءه فى السيكولوجية والاجتماع عن توفيقه وسعادته فى حياته البيتية .

وقد كان مكدوجال مهاجما بارعا قويا ، ولكنه لم يكن ضيق الافق باى حال كما هو الشأن مع اغلب المهاجمين ، وكان يقسو فى هجماته ولا يقبل الهوادة عند ما يلمس التلاعب بالمنطق او البعد عن الطريقة العلمية . وكان لا يعرف الخوف عند ما يقتنع ، ولا يبالى مصلحته قط عند ما يدفعه اقتناعه برأى الى مهاجمة رأى آخر يدين به الناس مهما كان حظه من القوة والذيوع ، وقد كلفه هذا الخلق كثيرا من المتاعب وكان هو السبب الاهم فى تركه هارفارد ، اذ انه اعلن حينذاك تلك الحرب العنيفة المعروفة على الماديين والسلوكيين فلم تتسع لها صدورهم . وكان الى جانب هذا قوى الملاحظة دقيقا فى دراسة الخلق الانسانى : فى ابسط مظاهره وبيئاته وفى اكثرها تعقيدا ونفاقا على السواء .

وقد عزا البعض إلى مكدوجال انه كان حاسما فى أرائه ، متعصبا له ، متغطرسا فى الاعتداد بها ،

ولـكننا نظن إن هذه الصفات يمكن أن تعزى إلى طريقته فى البحث أكـثر مما تصف تفكيره نفسه ، ولعلنا ننصفه فنقول إن تفكيره كان استنتاجيا أكثر منه استقرائيا .

* * *

ويعد مكـدوجال من العلماء متأخرى الانتاج ، ولـكن أكثر عهوده انتاجا كانت ى اثناء وجوده بهارفارد .

وقد كتب قبل التحاقه بها بضعة كتب هى :

« مقدمة للسيكولوجية الاجتماعية » و « الجسم والعقل » و « قبائل الباجان فى بورنيـــو » و « عقل الجماعة » وكان أولها هو أكثرها ذيوعا وانتشارا ولعلنا لا نخطىء إذا قلنا بأنه سيظل يقرأ ويرجع اليه بعد أن تعفى وتنسى كثير من كـتب علم النفس ذات الحظوة الـكبيرة اليوم .

وفى هارفارد نشر الـكتب الآتية :

« التقدم والانحلال القومى » وفى هذا الـكتاب حقائق لا يزال المجتمع فى الدنيا بأسرها بحاجة إلى تفهمها وهضمها . ثم أعقب هذا بكتاب « ملخص فى علم النفس » و « الأخلاق وبعض المشاكل الحديثة » و « الاتحاد الذى لا يهـدم » و « ملخص فى السيـكولوجية غير الطبيعية » و « الأخـلاق وسلوك الحياة »

أما المرحلة الأخيرة ، وهى مرحلة جامعة ديوك فقد نشر فيها الـكتب الآتية :

« قهر الحرب » و « المادية الحديثة والتطور الضرورى » و « اضطراب العـالم » و « نشـاط الانسان » و « الدين وعلوم الحياة » و « حدود علم النفس » . وقد ظهر آخر كتبـه وهو كـتاب « مشكلة الحياة » فى شهر نوفمـبر الماضى . وليس فى هذه الـكتب جميعهـا ما يمكن أن يعد كـتابا كبيرا ، وأشهرها هو كـتاب « الدين وعلوم الحياة » وفيه يقرر مكـدوجال عقيدة دينية انتهى اليها على الأرجح من دراسته المتصلة للغرض من السلوك الانسانى . وقد يكون لتغيير موقفه الذى بدا فى هذا الـكتاب سبب آخر يتصل بحياته الخاصة : هو أنه كـتب بعد موت ابنه فى احد العروض الجوية بوقت قصير .

اما حماسته لليوجنيه ومناداته بانحلال الجنس فانهما التفاعل الطبيعى والمعقول لاعتناقه اراء لامارك

وقد ظهر اثر هذه الحماسة ايضا فى تجاربه العجيبه التى قام بعملها على الفيران محاولا ان يثبت بهـا ان الـكفاءات المـكتسبه يمكن ان تنتقل بالوراثة ايضاً . وقام العالم الروسى الـكبير بافلوف بعمل تجارب مماثلة ثم بعد ان قبل نتائجها عاد فنبذها فخنق عليه مكدوجال لقصوره عن متابعة ابحـاثه واكتفائه باربعة اجيال ، فى حين ان تجاربه هو كانت امتدت الى الجيل الخامس والعشرين . وقد بقى مكدوجال فى هذه التجارب ، كما كان فى جميع تجاربه الاخرى ، الرجل العملى الامين الى ابعد حدود الأمانة

« • »

اما أراؤه في السيكلوجية فلا يمكن الالمام بها جميعا فى هذا العرض الموجز ، وحسبنا هنـا ان نذكر شيئاً عنها مع الاشارة الى أهم نقط الخلاف بينه وبين غيره من اصحاب المدارس الأخرى .

وسيكوجية ماكدوجال هى فى لبابها «سيكولوجية غرضية »

وللسيكولوجية الغرضية مذهبان: (ا) مذهب الهيدونية(اللذة):وهو يقول ان بعض الاهداف يسعى اليها لانها تعطينا الوانا خاصة من الشبع والارتواء . و(ب) مذهب الهورمية وهو يقول ان الاهداف يسعى اليها لذاتها ، اى لما فيها من القيمة الذاتية بغض النظر عما قد يصاحب تحقيقها من اللذة . وسيكولوجية مكدوجال الهورمية هى المثال الهام لهذه المدرسة ، فانها تقرر بأن كل انسان او حيوان يملك نزعات او دوافع يؤدى كل منها الى غاية محددة وهذه النتيجة النهائية هى الغرض وهذه النزعات او الدوافع تفسر كل انواع السلوك ، والسلوك هنا كلمة ينبغى ان ينظر اليها بمعناها الرحب .

ولن يكون عجيبا بعد هذا ان يكون لمـكدوجال رأى خاص فى الغريزة يختلف عن اراء غيره عموما ، وعن اراء مدرسة التحليل النفسى (المدرسة الفرويدية) على وجه الخصوص .

فان مـكدوجال يعرف الغريزة بانهـا « ميل نفسى جسدى موروث (او خلقى) من شأنه ان يوجه صاحبـه الى ادراك امور من نوع خاص والعناية بهـا ، وان يجعله يحس باهتياج عاطفى ذى صفة خاصة عند ادراك مثل هـذه الامور ، وان يدفعـه الى التصرف على صورة خاصة ، او على الاقل يجعله يشعر بدافع للتصرف على نحو هذه الصورة » .

أو بعبارة أخرى ان محل ألوان النشاط الغريزي عند مكدوجال ترجع الى اتجاهات فطرية (أوخلقية) تنقسم بحسب طبيعة الافعال التى تحدثها والنتائج المباشرة التى تحققها. وهو ينظر الى هذه الاتجاهات من ثلاثة نواح: (١) ناحية المعرفة أو الادراك «وهذه تتضمن ان كل غريزة يثيرها منبه من نوع خاص». و«ب» ناحية العاطفة «وهذه تتضمن الاحساس النوعى الخاص الذى يعقب اثارة الغريزة». و«ح» ناحية النزوع أو الرغبة «وهذه تتضمن الفعل الذى يقع بناء على ذلك الاحساس»

ومن ثم فان الغرائز فى نظر مكدوجال هى نزعات خلقية لا تظهر الا فى مواقف خاصة فقط، محدودة فى تطبيقها، نزاعة الى الاستجابات المباشرة عادة، ولا تعمل الا تحت تأثير منبهات نوعية خاصة.

أما نظرة المدرسة الفرويدية الى الغريزة فتختلف عن هذه النظرة كل الاختلاف. فان فرويد وأتباعه يعدون ان محل سلوك سواء أكان غريزيا أم لا يرجع الى أحد الدوافع الآتية:

«ا» الدافع الذاتى «دافع الذات» و«ب» الدافع الجنسى «دافع الجنس» ويضيف البعض الى هذين الدافعين دافعا ثالثا هو «ح» دافع القطيع (دافع الجماعة). فهنا نرى ان السلوك الانسانى يخضع لثلاثة دوافع رئيسية وحسب، وهذه الدوافع تعرف طبقا لنتائجها أو اهدافها النهائية لا اهدافها القريبة أو المباشرة كما يقول ماكدوجال، وتخدم على الترتيب والتوالى حاجات الذات وحاجات الجنس وحاجات الجماعة.

ولعل خير محاولة للتقريب بين هذين الرأيين هو أن نذكر ان الكائن قد تكون له اهداف غريزية بعيدة كما تكون له اهداف مباشرة، وان أى هدف من هذه الاهداف المباشرة قد يكون مرحلة ليس الا فى طريق الاصول الى هدف بعيد، أو بعبارة أخرى الا نعد الغريزة كما يفهمها مكدوجال كواحدة من هذه الدوافع الثلاثة، ولكن كخطوة فى سبيل تحقيقها، فلا نعد مثلا غريزة المشاكسة أو القتال جزءا من أحد هذه الدوافع الثلاثة ولكن نعدها خطوة فى طريق كل منها، فهى يمكن أن تكون خطوة لهدف هو فى نهايته ذاتى، أو لهدف جنسى، أو لهدف اجتماعى. وبعبارة أخرى يمكن أن تستخدم الحاجات الاساسية الثلاث كل غريزة من غرائز مكدوجال فى سبيل تحقيق هدفها النهائى.

ويمكننا الان ان نلخص نقط الخلاف بين الاثنين ، فيما يتعلق بالغرائز ، فيما يأتى :

(١) يرى مكدوجال ان الاهداف التي ترمى اليها الغرائز هى اهداف مباشرة او قريبة بينما يراها فرويد اهدافا نهائية او بعيدة

(٢) يرى مكدوجال ان الغرائز لاتنشط الا اذا اثارتها منبهات نوعية ، بينما يربط فرويد بالنشاط الغريزى حالة من التوتر او الاهتياج تدفع الكائن الى محاولة الافصاح حتى مع غياب المنبهات الخارجية .

ونحن لهذا نرى لم تتضمن الشهوة الجنسية (اللبيد) كل الاتجاهات الغريزية التى تنمو فى النهاية الى حفظ النوع . فليس الامر فى هذه الحالة هو مجرد نزوع الى القيام بعملية الانسال (وهى الغريزة الجنسية عند مكدوجال) ولكنه يشمل أيضا كل الاتجاهات التى تعمل على اظهار الجاذبية التناسلية والفوارق الجنسية والاحتفاظ بها فالأنسان يتوقف على الجاذبية بين الجنسين ، وهذه الجاذبية تتوقف بدورها على الفوارق الجنسية — العقلية والجسدية على السواء .

وثمة نقطة أخرى خالف فيها مكدوجال المدرسة الفرويدية : هى نقطة التناسلية الطفلية التى ترى دلالة جنسية فى كل عمل يقوم به الفرد حتى فى اثناء الرضاعة . فقد هاجم ماكدوجال هذا الرأى فى كتابه « ملخص فى السيكولوجية المرضية » وقال ان مدرسة التحليل النفسى يخطئها التوفيق حينما تحاول ان تلتمس البرهان على هذه المزاعم فى مشاهدات مبعثرة وذكريات لا يركن اليها لاشخاص مصابين باضطرابات عصبية . وهو يعترف بانه من الممكن ان تكون بعض حالات الاستمناء فى الاطفال راجعة الى نشاط جنسى ، ولكنه يقول ان هذه الحالات يجب ان تعد غير عادية ، بل يجب أن تعتبر امثلة استثنائية لنضوج مبكر كتلك التى يظهر فيها النضوج المبكر فى الصفات التناسلية الثانوية ؛ ويمضى فى رأيه فيقول ان كل التواريخ الذاتية التى تصف الحياة الجنسية تجمع على ان الغريزة الجنسية تبدأ فى اظهار بعض نشاطها فى الطفل المتوسط العادى حولى سن الثامنة او التاسعة — وهذا يخالف رأى فرويد الذى يقول بان الغريزة الجنسية تنشط فى الطفل فى السنوات الاولى من حياته ثم يعقب ذلك دور خمود . ويقول بعض اصحاب هذه التواريخ الذاتية انهم يذكرون تماما كيف تعرضوا لاهتياجات تناسلية فى اوقات مختلفه ، حدثت عند بعضهم

عند الطفولة وتأخرت عند البعض حتى سن العاشرة دون ان يكون لها اى تأثير عليهم فى ذلك الحين ثم لما جاء الوقت المناسب بعد بضع سنوات ظهرت الغريزة الجنسية عندهم فى كامل قوتها .

وقد اختلف مكدوجال مع المدرسة الفرويدية فى نظريتها فى « مركب العشق الوالدى » التى تتلخص فى ان الطفل يميل الى الوالد من الجنس الآخر ، وان هذا الميل ينطوى على عامل تناسلى غير منكور . وهو يتفق مع غيره من الباحثين فى ان تفضيل الطفل لاحد الوالدين يتوقف كلية على ايهما يكون اشد رعاية له واكثر استجابة لمطالبه وحاجاته ، وهذا لاعلاقة له بجنس الوالد فى شىء . وينكر بشدة الرأى القائل بان حب الطفل للوالد من غير جنسه .

وقد دارت حول هذا الموضوع مناقشات طويلة عنيفة ، ودافع الفرويديون عن نظريتهم قائلين ان التحريم القانونى المتواصل قد أثر فى ضغط العشق الوالدى لا كفعل فقط ، ولكن أثر فى ضغطه كرغبة ايضاً ، ويعترفون بان هناك نفورا شاملا عاما من العشق الوالدى ويعزون هذا النفور الى منعه . ولكن حديثهم فى هذا الموضوع لا يخلو من بعض المتناقضات . وليس من شأننا الان ان نخوض فى بحث تفاصيل النقاش فى هذه النقطة ، وانما حسبنا ان نسجل هنا هذا الخلاف على ركن من الاركان الهامة فى التعاليم الفرويدية .

ولمكدوجال رأى عن « عقل الجماعة » اثار كثيرا من الاعتراض . وهو يتلخص فى أن الطريقة التى يتصرف بها الناس ويفكرون كجماعة تختلف عن الطريقة التى يتصرفون ويفكرون بها كافراد ، وهذا يتضمن انه لا يعد عقل الجماعة مجموع عقول الافراد ، كما انه لا يعنى حين يتكلم عن الجماعة جماعة واحدة ولكنه يعنى عدة جماعات وهذا يجعل رأيه عرضة للتجريح فى مواضع كثيرة ويزيد ضعف رأيه انكشافا ووضوحا حين نذكر انه يتحدث عن الجماعات المنظمة ، مما يجعل الاركان الاساسية فى نظريته تختلط

ومن تقرير الحقيقة ان نقول ان مكدوجال ليس اول من ابتكر نظرية عقل الجماعة ، فقد سبقه اليها روسو تحت اسم الادارة العامة وهيجل تحت اسم « روح العشيرة » ورينان تحت اسم « الضمير الجامع » وهى كلها اسماء يعنى اصحابها بها فى النهاية هذا المعنى ذاته .

ولكن مهما يكن من اختلاف مكدوجال مع المدرسة الفرويدية على التفاصيل فانه كان على استعداد

حسن لقبول كثير من ارائها المركزية دون أن يعبأ بما يحوطها مما كان فى نظره مزاعم لا مبرر لها ومن ثم فانه كان عميق التقدير لفرويد ، بل لقد قال عنه « من الممكن أن نجد ثغرات لنقد نظريات التحليل النفسى فى جميع نواحيها ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن فرويد قد أحدث تغييرا دائم الاثر والدلالة فى الفكر البشرى »

أما السلوكيون فهم الذين أثاروا أقسى هجماته ، فان السلوكية تنكر الاحساس الذاتى والاستبطان ولا تعترف بشىء غير المشاهدة الموضوعية ، وهى كذلك لا تعترف باثر الوراثة الا من الناحية الجسدية فقط ، وقصارى ما تسمح به هو أن بعض الصفات الجسدية الموروثة قد تساعد أو تمنع نمو بعض المميزات العقلية ، دون أن تصلنا هذه المميزات عن طريق الوراثة من أسلافنا . ومن الواضح أن فهم الغرائز على طريقة مكدوجال لا يجد له محلا فى النظرية السلوكية لانها تعزو كل الاستجابات المركبة فى الافراد الى عادات اكتسبت أثناء الحياة الأولى لا الى الغريزة

وقد كانت السلوكية عندما هاجمها ماكدوجال فى أوجها ، ولكنه لم يبال شيئا ، وما زال بها يكشف كل يوم عن ناحية من نواحى الضعف فيها ويهدم كل يوم ركنا من أركانها حتى استقرت حيث ينبغى أن تكون : طريقة فى البحث السيكولوجى ، لا مدرسة فلسفية قائمة بذاتها . ولعل هذه النهاية للسلوكية كانت من اكبر عوامل عزاء مكدوجال فى سنيه الاخيرة .

أما مع يونج فقد كان اكثر اتفاقا واحتمالا لآرائه ، كما انهما كانا يتفقان فى كثير من تفاصيل « السيكولوجية الغرضية » ومما يلفت النظر فى مكدوجال أنه وقد جاوز الخمسين ، واستفاضت شهرته كعالم له أثره فى الاوساط العلمية سلم نفسه للتحليل النفسى بواسطة يونج ، ولم يكن ليقوم بهذا العمل لو أنه كان كما يدعى بعض خصومه متعجرفا وعنيدا

(*)

أما اراؤه ومبادئه الاجتماعية فقد ضمنها كتابية « الاخلاق وبعض المشاكل الحديثة » و « الاخلاق وسلوك الحياة » وفى هذا الكتاب الاخير يحمل حملة شعواء على نظرة الاباحة والاستهتار التى أصبح الناس ينظرون بها الى العلاقات الجنسية ، وينتقد المقاييس الخلقية الجديدة التى أخذت تحتل مكان المقاييس القديمة . وقد هاجم بصفة خاصة تلك المداعبات الجنسية « التى لا تنتهى الى الفعل ذاته »

التى أصبح العرف يبيحها للجنسين وخصوصا فى الجامعات ، لاعتقاده أن مثل هذه المداعبات يجب أن تنتهى الى نتيجتها الطبيعية وهى الاتصال الجسدى — فاذا وقفت دونه كما يحدث فى بعض الاحيان كان فى هذا كثير من الاجهاد للجهاز العصبي بصفة خاصة وللصحة بصفة عامة ، فضلا عما فيه من الهبوط عن المستوى الادبى الذى ينبغى على الشخص المهذب ألا يتخطاه

ولنظرته فى هذه الامور ناحية أعم من الناحية الفردية وهى الناحية الجنسية ، وقد ضمن فى كتابه « الأخلاق وبعض المشاكل الحديثة » رأيه فى المشكلة التى طالما أهمته واستغرقت الكثير من عنايته : مشكلة انحلال الجنس فعالجها فى بحث أمين مقبول

غير أن الكثيرين يرون فى اراء مكدوجال عن الحياة الزوجية والاجتماعية اتجاها رجعيا ، ولذلك حمل عليه البعض حملات قاسية فيها الكثير من السخرية والتقريع ، وقال بعض نقاده أن نظرته الى الجنس والدين هى النظرة الدينية الضيقة فى أفقها ومداها ، وأحرجه البعض الآخر فقارن موقفه الضيق من مشاكل الحياة الجنسية بالموقف الرحب الذى يقفه كتاب آخرون من أمثال الن كى وهافلوك اليس ومارجريت سانجر وغيرهم . ولكن كل هذا لم يثنه عن رأيه فظل يكافح عنه بكل ما يستطيع من قدرة وايمان حتى آخر حياته

« * »

هذا عرض موجز سريع لحياة رجل عاش مكافحا من أجل العلم ، أمينا لمبادئه ، وبموته تختفى من مسرح الحياة شخصية فذة معروفة ، وفريدة فى كثير من النواحى .

غرامة

لكل أمة محاكمها التى تعكس كالمرآة عقليتها . فقد حدث أن سيدة كانت فى أحد الشوارع فى لندن فتصادم أمامها اتومبيلان وأغمى عليها وأفاقت من الاغماء وهى متأثرة بصدمة عقلية . وهذا مع العلم بان واحدا من الاتومبيلين لم يمسها فتقدمت الى المحكمة تشكو صاحبي هذين الاتومبلين فحكمت لها المحكمة بتعويض عليهما بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه

تقدم العلوم والفنون

أصل القاهرة

ان « القاهرة » الحالية ، أو على الاصح مكانها الحالى ، كان مدينة فى القديم ، فثابت فى تاريخ مصر انها كانت ضاحية لا عاصمة وكان اسمها المصرى القديم «قارهة» وترجمته «مكان الموقعة» التى ورد وقوعها فى أساطير المصريين بين «حور» و «ست» من معبودات المصريين القدماء ويرجع وجودها إلى نحو عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد أى إلى عهد الاسرة الثالثة التى كانت تتخذ منف عاصمة لمصر

وكانت «القارهة» تقع بين «منف» البدرشين الحالية و «أون» عين شمس الحالية .

فلما جاء عهد الأسرة الرابعة اتخذ ملوكها لانفسهم عاصمة جديدة فى منتصف المسافة بين «منف» و «أون» على الشاطىء الغربى للنيل وسموا هذه العاصمة الجديدة «جيزة» ومعناها بالمصرية القديمة «المنتصف» وسكنوها وأقاموا مقابرهم فى أقرب صحراء اليها أى فى منطقة اهرام الجيزة .

وزاد عمران ضحية «القارهة» ، التى كانت على الشاطىء الشرقى للنيل ، بانشاء العاصمة الجديدة «الجيزة» على الشاطىء الغربى تجاهها لكنها لم تكن فى يوم من الايام القديمة عاصمة للقطر المصرى

ولما احتل الاغريق مصر اطلقوا على هذه الضاحية اسم «بابلون» وهذا الاسم ايضا مصرى الاصل كان يطلق على جزيرة الروضه الحالية وأصله: — «رحاب — ن — أون» وقد حذف الاغريق منه حرف الحاء لعدم وجودها فى اللغة اليونانيه ، والراء المصرية معروف أنها خفيفة النطق جدا الى حد انها تحذف أحيانا . ومعنى الكلمة «قصر النيل التابع لعين شمس»

ثم جاء الرومان فأقاموا فى «بابلون» حصنا وثبتوا تسمية الاغريق «بابلون» لهذه الضاحية التى كانت قد كبرت فى عهدهم وأصبحت مدينة كبرى فتحها العرب من ناحية الحصن وسمعوا الرومان يتحدثون عن «الفوساط» الكلمة اللاتينيه التى تعنى الخنادق التى أحاطوا بهـا الحصن فسموها «الفسطاط» ونزلو بها وأصبحت التسمية عربية

وأخذت الفسطاط تتحول كعاصمة الى القطائع بالقاهرة وتحولت دفة الزمن فاصبحت العاصمة القديمة «الجيزة» ضاحية للقاهرة وأصبحت «القارهة» الى «القاهرة» الضاحية القديمة عاصمه ..

ترى هل أثر الانقلاب الزمنى بدوره على الاسم فقلب «القارهة» الى «القاهرة» كما قلب العاصمة الى ضاحية والضاحية الى العاصمه ...

حسن صبحى

الامبراطورية

فى يوم ٢٤ نوفمبر من السنة الماضية طلبت وزارة البحرية البريطانية من جميع البواخر أن تعين مراكزها فى البحار أو الموانى . وكان هـذا الطلب بالراديوغراف أى التلغراف الجوى . وأجابتها البواخر فنشرت خارطة عن ذلك تبين فيهـا مواقف أو أماكن البواخر حين أجابت على السؤال الموجه اليها . ويتضح أنه فى ذلك اليوم كان ١٧٧١ باخرة فوق الامواج تقطع البحار و ٧٠٥ باخرة راسية فى الموانى

وقد نشرت احدى الجرائد هذه الخارطة. والمتأمل لها يعرف عظمة هذه الامبراطورية ومداها ففى ذلك اليوم — ٢٤ نوفمبر — كان فى المحيط الأطلنطى بين أوربا وأمريكا ما يزيد على الف باخرة ومن جبل طارق الى الهند خط لاينقطع من البواخر . وحول استراليا وأفريقيا الجنوبية مئات من البواخر حتى ليتوهم الناظر الى الخارطة أن بحار العالم كلها انجليزية

الغرق

وبتهجيز البواخر بجهاز الرديوغراف أصبح جميعهـا مؤمنا تقريبا من أخطار البحـار . ومن البعيد جدا أن تغرق باخرة فى المحيط فى أيامنا . لأن الباخرة تحتاج عادة الى ساعتين قبل أن تغرق

وهى عندما تصاب بأى حادث خطر تذيع على العالم ما حدث لها وتبين مكانهـا من البحر أو المحيط فتسارع سائر البواخر الى اغاثتها . بل تسارع أحيانا الطائرات الى ذلك

ولما اصطدمت الباخرة تيتانيك بالبارجة فى عرض المحيط الاطلنطى سنة ١٩١٢ بقيت اكثر من ساعتين قبل أن تغوص ولو انها كانت مجهزة بالراديوغراف لامكن انقاذ جميع المسافرين فيها . بل الواقع انها كانت مجهزة ولكن الجهاز كان مختلا وكانت الأجهزة فى ذلك الوقت غير متقنة الصنع والعامل المكلف الالتفات غير مدرب فضاعت الباخرة قبل التبليغ

تونس

يحسن الاوربيون فى التمييز بين القطر والعاصمة . فهم يقولون تونسيا للقطر . وتونس للعاصمة وكذلك يفعلون فى التمييز بين العاصمة والقطر فى الجزائر ولكننا نحن نضع اسمـا واحدا لكليهما فيكون هذا سببا للارتباك . بل هذا يضطرنا الى أن نقول تونس القطر ، وتونس المدينة

وتونس المدينة يبلغ سكانهـا ٣٥٠ الف منهم ١٨٤ الف من المسلمين و٦٧ الفا من الايطاليين و٣٢ الفا من اليهود و٧ الاف من سـائر الاجانب ولكن معظم هؤلاء من المالطيين . والبلدة قسمان احدهما الحى العربى والاخر الحى الاوربى على نحو ما نرى فى بور سعيد أو الاسماعيلية ويسمى الحى العربى «القصبة» أو «المدينة» وهو مشيد على النمط القديم حيث الازقة الضيقة والاسواق التونسية الاصلية التى تباع فيها جميع المصنوعات والمحصولات التونسية وجميع العرب تقريبا فى تونس المدينة يمكنهم التفاهم باللغة الفرنسية

حضارة

للحضارة ثمنها العالى . فازاء الرفاهيـة التى تجلبها لنا تجعلنا عرضة للاخطار . فقد ذكرت التلغرافات ان عدد القتلى يوم ٢٥ ديسمبر الماضى وهو عيد الميلاد ويوم أول يناير أى رأس السنة قد بلغ فى الولايات المتحدة ٤٠٩ وهذا غير الجرحى

ومعظم هؤلاء القتلى قد لقوا حتفهم تحت الاتومبيلات

والبيت المتمدن الآن هو شبكة من الاخطار . فهناك المصعد الكهربائى الذى يؤدى الخلل فيه الى الموت السريع . وهناك المطبخ الذى يجرى فيه الطبخ والتبريد بالقوة الكهربائية وهى عند مايتعرى جزء صغير من أسلاكها تكفى لقتل من يمسها . بل هناك الانزلاق فى الحمام وهو يحدث من الكسر للاجسام ما لا تحصى حوادثه

ولا تقل حوادث البيوت لهذا السبب عن مليون حادث فى الولايات المتحدة كل عام . وليست جرائم الاتومبيل بالمقابلة الى ما يحدث فى البيوت خطيرة أو كبيرة

النحل فى علاج الروماتزم

للدكتور رياض عبد العزيز البسيونى

قام كثير من العلماء مثل الدكتور مارسلين راى والدكتورة مدام مارى فيزالكس الاختصاصية فى الحقن ضد مرض الروماتزم ، والبروفسير موريس بيران الاستاذ بكلية الطب بباريس ، والاستاذ ج . ليرميت بجامعة باريس ، والدكتور جينو بجامعة نانى ، والاستاذ روخ بجامعة جنيف ، وغيرهم بدراسة موضوع استعمال سم النحل فى علاج الروماتزم بالحقن ، وأثبتوا فائدته فى ذلك . وترجع فكرة استعمال مصل النحل فى الاصل إلى الطبيب الفرنسى العلامة دى مارتيس وذلك فى عام ١٨٥٥ ، حيث قام بتجارب متواصلة مدة ٢٣ سنة ، حتى تبين الفائدة فى لسع النحل كعلاج لروماتزم المفاصل الحاد . وكيفية العلاج هى أن يعرض المصاب بأن يلسعه عدة لسعات على مقربة من المفصل المصاب (وسينصرف الالم بعد ذلك) وتكرر العمليه للوصول إلى الشفاء التام ، ويجب أن يحصل اللسع بمجرد جمع النحل المراد استعماله لهذا الغرض ، وفى اقل وقت ممكن ، كما يجب اجتناب حبس النحل لمدة طويلة قبل عملية اللسع ، لئلا يفقد مفعوله بسبب تقاتل أفراده ، وفقد بعض المصل الذى يحتويه ، وكذلك يجتنب إحداث ضغط شديد عليه فى أثناء العمل ولهذا يستحسن استحضار الشخص المراد علاجه على مقربة من خلية النحل ، حتى يتم اللسع فورا . وأكثر الحالات التى كان يعالجها الاستاذ بيران ، كان فيها يمسك النحلة بالملقط بمجرد انطلاقها من الخلية ، ويضعها على الجزء المصاب فى الحال . وقد تردد بعض المصابين بالروماتزم ، على منحل الوزارة

الرئيسى بالجيزة بقصد شفائهم من هذا المرض باسم النحل وكانت النتائج فى جميع الحالات مرضية .

يستحسن اختيار طائفة قوية تحتوى على ستين الف نحلة فى المتوسط حتى لا تتأثر برفع مئات النحل منها للاستعمال فى عملية الحقن ، فتستحضر انبوبة زجاجية ذات فوهة متسعة ، توضع على منضدة الطيران للخلية ، وتوجه فوهتها نحو مدخل الخلية ويستعان بقطعة قماش نظيف لتضييق مدخل الخلية ، وجعل الفتحة تماما بفوهة الزجاجة ، ويدق على جانب الخلية لاحداث صوت فيندفع النحل داخل الانبوبة لاستطلاع الامر ويتكاثر بسرعة داخلها .

وبعد الحصول على العدد الكافى من النحل تغلق فوهة الزجاجة بغطاء وتستعمل فى عملية الحقن مباشرة ، وذلك بوضع الزجاجة منعكسة على لوحة مسطحة نظيفة أو منضدة مثلا ، ويستخرج منها النحل واحدة واحدة بسهولة بواسطة الملقط مع الاحتياط خشية موتها ، ويعالج بها الجزء المصاب . وعادة عند وضع النحل على الجسم المصاب تبدأ باخراج حمتها (زبانها) فاذا لم يحدث فيستعان على ذلك بالضغط قليلا على النحلة بواسطة الملقط ، مما يضطرها إلى اللسع

ولما كان لسم النحل أهمية كبيرة لاستعماله كمصل لعلاج المصابين بأمراض الروماتزم بالحقن فقد أعدت مناحل كثيرة فى الخارج لتربية النحل بقصد الحصول على مصله وحفظه داخل أنابيب خاصة لهذا الغرض واستعماله فى الحقن عند الحاجة .

الاوانس

قرأنا فى إحدى الجرائد السودانية التى تصدر عن الخرطوم هذا الاعلان التالى

« بشرى لجمهور السودان الكرام . مخازن الشاى تتشرف باعلان زبائنها الكرام بأنه يوجد بمحلاتها مدموزيلات للشراء والبيع »

وهذا فى السودان ! فهل أصبح لاغراء الوجه الحسن هذه القوة الاقتصادية حتى يعتقد التجار فى الخرطوم انهم يمكنهم ان يجلبوا جمهور المشترين بايجاد بائعات دون بائعين !

وهل هذا هو السودان نفسه الذى قام بالدعوة المهدية قبل خمسين عاما ؟

أخبار اجتماعية

الزواج

سينفذ منذ أول يناير سنة ١٩٣٩ قانون جديد فى فرنسا . وأهم ما فى هذا القانون أنه يضرب بيد من حديد جميع المتهاونين بكرامة الأسرة أو من يعملون لانحلالها حتى يخرج عن مألوف الفرنسيين فى الأخلاق السامية . وهذه الأخلاق تختلف بين أمة وأخرى . والفرنسيون على الرغم من غلوهم فى الحرية يحرصون أشد الحرص على تماسك الاسرة وارتباط أعضائها . ولذلك فان الطلاق نادر جدا فى فرنسا

وقد نص القانون على معاقبة الرجل الذى يتزوج اكثر من امرأة بالسجن عشر سنوات . وكذلك المرأة التى تتزوج اكثر من رجل . وجميع الامم الاوربية تعاقب على تعدد الأزواج أو الزوجات ولكن العقوبة الشائعة هى السجن سنتين لا أكثر . ورفع العقوبة فى فرنسا الى عشر سنوات يدل على حرص الفرنسيين على تقاليد الاسرة الفرنسية

التأليف

ذكرت الصحف أن هناك مشروعا بقانون لحفظ حقوق التأليف فى مصر . وفى أيام وزارة صدقى باشا كان هناك من يفكرون فى مثل هذا المشروع ولكنهم كفوا عنه عندما عرفوا الحقائق

وهذه الحقائق لم تتغير منذ خمس سنوات . فانه ليس فى مصر من المؤلفين من يخشى استغلال مؤلفاته سواء بالطبع أم النقل أم الاقتباس أم الترجمة . وهو اذا خشى ذلك وجد فى القانون المدنى

كفايته من الحماية . ولو أن هذا المشروع ولد الميلاد الطبيعى لوجب أن يقترحه المؤلفون أنفسهم ولكنهم لايفعلون لانهم قانعون بالحال الحاضرة عارفون بالحقائق . وأهم هذه الحقائق أن المؤلفات فى كساد

ثم يجب ألا ننسى أنه اذا نص فى القانون الجديد المقترح اصداره على حماية المؤلفين الاوربيين فان حركة الترجمة تقف وقوفا تاما وذلك لان هؤلاء المؤلفين سيرفضون نقل مؤلفاتهم الى اللغة العربية مالم يقدم لهم لقاء ذلك ثمن باهظ يحسبون أنه من حقهم لانهم يجهلون حال الكساد التى تعم التأليف والمؤلفات فى مصر . ومثل هذا النص يكون الضربة القاضية على الثقافة العصرية فى مصر

واذا كان بعض النهضة الاوربية يعود الى العرب فمن حق مصر أن تنقل المؤلفات الاوربية بلا أى أجر الى أن تصل الى حال متوسطة من الرواج للمؤلفات

السجون المصرية

أصدر اللواء محمد حيدر باشا تقريرا عن السجون وقد جاءت فيه فقرات تستحق الدرس كما يستحق واضعها الثناء ، واليك بعضها :

« .. على ان السجون من ناحية كونها أبنية وأدوات ، قد تليق لنزول سجناء الامس وسجناء اليوم ،

« .. أما من ناحية الروح ، فهى التى يجب أن تتجدد وتتطور وتشيع فى اجوائها عامة على نمط يتفق وروح العصر ، والمستوى الذى وصلت اليه الانسانيه ؛ وصارت عليه المدنية الفردية والاجتماعيه »

وأيضا :

« ولما كان من شعار السجون بجانب التأديب ، التهذيب والاصلاح كان لا بد لها من وضع تلك الوسائل المتفق على أنها من عدة التهذيب والاصلاح فى المقام الاول من عنايتها . فيسرت للمسجونين بقصد خلق أو تنمية الفضائل وكبح الغرائز . وتوطيد الشعور الانسانى فى نفوسهم — الحصول على ما يرغبون فيه من الكتب . والتصانيف الدينيه والعلميه والادبية والتاريخية ليطالموها

وليأخذوا عنها ، بل وليدرسوها اذا لزم مدة اعتقالهم

«وذهبت فى هذا الى حد تمكين المعتقلين من طلبة العلم من الاستمرار فى دراستهم فى السجون حتى لقد أدى بعضهم فى أثناء الاعتقال امتحاناتهم الجامعيه العامة بنجاح

« وبهذا التشجيع من جانب المصلحة ، اقبل المسجونون المتعلمون على الاطلاع على كتب يستوردونها . وفى النية انشاء مكتبة فى كل سجن تتكون نواتها من الكتب التى ينتهى أصحابها من الاطلاع عليها ثم ينزلون عنها مختارين لمكتبات السجون خدمة منهم لمصلحة المسجونين »

فى برلين

ينبع قلم المرور فى برلين اسلوبا طريفا فى تلقين الجمهور السلوك الحسن فى الشوارع سواءا كانوا ركابا أم مشاة . فأن المخالفة التى تقع من واحد منهم يحكم عليه للحظته بالغرامة فيؤديها وهو فى مكانه وقت مخالفته

ولكن الغرامه ليست كل شىء . لأن هذا المخالف يجب أن يرسل للحظته أيضا الى مدرسة خاصة تعلمه كيف يسير فى الشارع . وهو يقضى هناك نصف يوم فى هذا التعليم الشاق بروح ويجىء لكى يتقن كيفية المرور

اللغة

من أحسن الاخبار التى تبعث على السرور ان الجامعة الامريكية فى بيروت أعدت العدة لجعل التعليم فى السنين القادمة باللغة العربية بدلا من اللغة الانجليزية .وقد كانت هذه الجامعة تستعمل اللغة العربية فى الزمن الماضى ولكنها أهملتها ولم تجد من الحكومة العثمانية وقتئذ ما يحملها على تفضيل اللغة العربية

والان تعود هى من تلقاء نفسها لتقرر التعاليم باللغة العربيه . وهذا وحده يدل على المكانة العظيمة

التى تكسبها لغتنا يوما بعد يوم . اذ فى الوقت الذى تسمع فيه ان ايطاليا وفرنسا قررت كل منهما تعليم لغتنا باعتبارها لغة حديثة تقرر الجامعة الامريكية تعميم الدراسة بها فى كل كلياتها وتحسن جامعة اليسوعيين أيضا فى بيروت اذا هى استبدلت باللغة الفرنسية اللغة العربية كلغة للتعليم .

للعاطلين

فى حكومة الولايات المتحدة شىء اسمه «ادارة تقدم العمل» وقد انفقت هذه الادارة منذ انشائها قبل بضع سنوات مئات الملايين من الجنيهات وغايتها استخدام العاطلين . وهى لذلك تبتكر الاعمال الجديدة أو تنهض بالاعمال الكاسدة

فهى مثلا تشق الطرق الجديدة وتفرشها بالاسفلت على مسافات تبلغ الارقام الفلكيه . فان بعض هذه الطرق لا يقل طوله عن المسافة بين الاسكندرية والحبشة أو بينها وبين بحيرة فكتوريا فى افريقيا . وهى تبنى الجسور والمنازل وتشق المصارف فى الارض الزراعية وتغرس الاشجار للغابات .

ولكنها أيضا تعمد الى العمل الكاسد فتقويه . وقد وصف أحد الكتاب مثلا مما تقوم به هذه الادارة فى هذه الناحية . فقال ان تجليد الكتب كان قد كسد فى الجنوب . فلم يكن من هذه الادارة الا أن كلفت جميع مصانع التجليد ان تجلد كتب المدارس بأنواعها المختلفه . فجمعت هذه الكتب وهى تبلغ الملايين فجلدت بالكرتون المكسو بالقماش وأعيدت الى التلاميذ . وأمكن بذلك استخدام ألوف العاطلين فى هذه الصناعة . وهكذا الشأن فى غيرها

أخبار اقتصادية

القطن

يعرف القراء أن الحكومة الامريكية حاولت مرات متوالية تخفيف الازمة عن الزارعين فكانت مرة تحرث القطن بعد أن تفتح لوزه . ومرة أخرى تؤدى اعانة على الثمن . ومرة ثالثة تشترى القطن

وقد اصبح المتراكم من السنين الماضية نحو مائة مليون قنطار منها نحو سنين فى يد الحكومة وأربعين فى يد الزارعين : والمعضلة الان هى ماذا يفعلون بهذا القطن ؟

فلو انه عرض للبيع واشترته مصانع العالم لكفاها سنوات تاليه لا يمكن فيها بيع محاصيل القطن الجديدة . ولذلك يفكرون الان فى الولايات المتحدة فى استهلاك اكبر مقدار من القطن فى صنع الذخائر الحربيه والاقمشة التى توزع بالمجان على الفقراء وفرش الشوارع به تحت الاسفلت لتثبيته حتى لا يتشقق وصنع الخيام للمدارس ونحو ذلك

ولكن هل يكفى هذا للاستهلاك ؟

السودان

كانت الازمة العالمية — الى جنب اسباب اخرى — من أعظم البواعث التى جعلت الحكومه السودانية تستخدم اكبر عدد ممكن من الشباب السودانيين وذلك لأن الحكومة رأت سنة ١٩٣٠ ان تكاليف الادارة السابقة كبيرة فاستغنت عن كثير من موظفيها من الانجليز واستخدمت السودانيين . ويبلغ السودانيون الموظفون الان ٧٣٫٤ فى المائة من مجموع الموظفين فى السودان

وهذا حسن . ولكن مما يؤسف له أن الحكومة السودانية فى رغبتها الغالبة فى الاقتصاد اضطرت الى الغاء الانظمة المدنية السابقة مثل المحاكم . وأحالت القضايا الى العمد والمشايخ الذين يعملون بلا أجر . وكلنا يعرف كيف يكون العمدة أو الشيخ عندما يفصل فى القضايا بالمجان

رخاء السودان

مما يؤسف له أن تقرير حاكم السودان نشر باللغة الانجليزية فقط . ومثل هذا التقرير يجب أن يكون قيد بنان الكاتب والمالى وكل مشتغل بالشؤون السودانية المصرية . ولذلك كان يجب أن يترجم الى العربية وأن يوزع على المصالح والشركات المتصلة بهذه الشؤون . وقد بلغت التجارة الخارجية للسودان نحو ١٥ مليون جنيه أو بالارقام المضبوطة ١٤٬٩٩٨٬٥٧٢ جنيه

وهذا العدد يزيد على ما كانت عليه هذه التجارة سنة ١٩٢٩ أى أعظم سنى الرخاء التى أعقبتها الازمة . وليس فى العالم غير القليل من الاقطار الذى يمكنه أن يفخر بان تجارته فى هذه السنوات الاخيرة زادت على ما كانت عليه سنة ١٩٢٩ . ويزيد من قدر هذا الرخاء ان تجارة السودان الخارجية كانت قد هوت سنة ١٩٣١ الى ٦ ملايين جنيه والنهوض من ستة ملايين الى خمسة عشر مليونا فى مدى ست سنوات يعد وثبة عظيمة يغبط عليها السودانيون . وهى وثبة تدل على ان السودان فى نمو متزايد عاما بعد آخر

ولذلك يجدر بنا ان نحلل الصادرات والواردات الرئيسة حتى يقف عليها جمهور التجار والصناع فى مصر ويستغلوا حاجات القطرين بما يعود عليهما بالمنفعة المتبادلة

ففى سنة ١٩٣٧ كانت الواردات الى السودان تبلغ ٥٣٤٩٠٠٣ جنيه استغرقت المنسوجات منها ١١٠٥٩٣٥ جنيه ومعظم هذه المنسوجات أى ما يقارب المليون هو من الاقمشة القطنية التى يمكن مصر أن تقوم بها جميعها . ويلى ذلك فى القيمة السكر الذى يستغرق من الواردات ما تبلغ قيمته ٥٨٠٠٤٣ جنيه أى اكثر من نصف قيمة الواردات من الاقمشة القطنية . والسودان يعد فريدا فى استهلاك السكر وهذا يدل على ادمان السكان هناك للشاى والقهوة . وهو يؤدى فى ثمن الاول ٢٧٣٤٤٦ ج . وفى ثمن الثانية ٢٤٤٠٦٥ ج

واذا استثنينا الاقمشة والسكر والشاى والبن وهى جميعها تستهلك من الواردات نحو ٤٢ فى المائة من المجموع فان أهم الواردات حسب قيمتها ما يلى :—

دقيق القمح	٢١٣٦٠٧ ج
مصنوعات المعدن	٤٨٢٦٧١ ج
أتومبيلات الخ	٢٠٤٣٢٢ ج
دخان الخ	١٨٣١٦٢ ج
رز	٣٥٠٠٠ ج
توابل	٣٠٠٠٠ ج
صابون	٣٨٠٠٠ ج
أحذية	٨٦٠٠٠ ج

ويجب أن نلاحظ أن كثيرا من هذه الواردات قد استوردته الحكومة . ولكن هناك مجالا واسعا للسعى الحر اذا درس تجارنا وصناعنا ما يحتاج اليه السودانيون . فنحن نستطيع أن نقدم للسودانيين أجود الاقمشة القطنيه وكذلك دقيق القمح والدخان والرز والصابون والأحذيه الخ ..

أما صادرات السودان فقد بلغت سنة ١٩٣٧ مبلغ ٨١٣٠٤٥٣ ج أهمها بالطبع القطن المحلوج وقيمته ٥٣٩٢٥١١ جنيه ثم بذرة القطن وقيمتها ٥١٤١٦٤ ج ويلى ذلك :

الصمغ	٧١٧٧٩٨ جنيه
الذرة والدخن	٢٨٣٥١٠ «
السمسم	٢٨٤٥٧٣ «
الجلود	٢٤٤٢٢٥ «
الماشيه	٥١٥٠٤ «
الدوم	٧٠٩٨٩ «

ويلى ذلك البلح والسمن والملح ولب الجرنة والفول السودانى والفول

ولا بد ان نلاحظ هنا ان القطن وبذرة القطن هما احتكار الحكومة ولذلك لا يمكن أن يحسب لهما حساب فى التجارة المتبادلة بين مصر والسودان . ولسنا نظن أن هذه الحال سوف تدوم . فان الحكومة السودانية خففت بعض الشىء من القيود القديمة على الامتلاك وهناك افراد يزرعون القطن الان على حسابهم ويتجرون به . والمستقبل فى السودان أعظم من الحاضر . ويجب ألا نترك الفرص القادمه تستغل حتى تصبح وقفا على غير المصريين والسودانيين

الغلاء

عندما ينخفض النقد انخفاضا تدريجيا يزيد الغلاء ولكن فى تدريج ايضـا بحيث لا يحس به الجمهور . ففى مدى السنوات السبع الماضية ارتفع سعر الجر من ٤٥ قرشا الى ٨٠ قرشـا . ولما كان الجنيه المصرى مرتبطا بالاسترلينى فان هذا الغلاء عندنا يسير فيما يشبه الغلاء العام فى العالم . ذلك لأن امما كثيرة — غير بريطانيا وأمبراطوريتها — قد اتبعت قاعدة الجنية الاسترلينى وسارت عليها

ويمكن من ناحية أن نقول أن بعض البضائع الاجنبية قد أصبح غالى الثمن . ولكن ما نبيعه نحن قد أصبح أيضـا غالى الثمن . ولو كنا نبيع القطن على قاعدة الذهب لانخفض ثمن القنطار الى ١٥٠ قرشا أو أقل

ومن البعيد جدا أن تعود قاعدة الذهب الى ما كانت عليه قبل سبع سنوات



كتب الشهر الجديدة

التربيـة البدنيـة

تأليف الاستاذ على حلمى صفحاته ٢٦٠
من القطع الكبير . موضح بالصور : مطبعة النصر . بمصر

الاستاذ على حلمى هو أركان حرب مدرسة البوليس والادارة . وهو كثير التأليف فيما يتعلق بهما فان له ستة مؤلفات تدل على درس عميق لجميع مسائل البوليس والادارة وهى خير ما يقرأه رجالهما عن عملهما وواجباتهما . وهذه المؤلفات هى :

١ — الدليل لعمد البلاد ومشايخها

٢ — ضباط البوليس

٣ — التدريب العسكرى للبوليس المشاة

٤ — سلامة الدولة فى تعاون الشعب والبوليس على حفظ الامن والنظام واحترام القانون

٥ — أنظمه البوليس الحديثة فى ألمانيا وما يمكن اقتباسه منها فى مصر

٦ — نظام البوليس

وقد أصدر حديثا كتابا ضخما تحت عنوان « التربية النظامية » وهو يبحث النظام ونهضة الامم والقرية المصرية والاصلاح الاجتماعى . وسلامة الدولة . والبوليس والجمهور ومقاومة الجرائم . والمرور وتفادى أخطار الطريق . وشرح للنظم الاوربية . والتربية البدنية والتدريب العسكرى . ومفاخر الجيش المصرى . والروح القومية

ومن هذا الذى ذكرنا يتضح للقارىء مدى البحوث التى طرقها المؤلف . فانه يكتب عن

الثقافة البدنية والقوة الحربية أيام الفراعنة ومحمد على وفى العصر الحديث .ويقدم للقارىء آراء فنيه هى غاية فى الاستقصاء العلمى عن مكافحة الجرائم . وهو حين يطرق موضوع الاصلاحات يكتب وينير فى توسع وعطف على الفقراء عامة والفلاحين خاصة . وهذا الى نحو مائة صورة كبيرة بعضها بالالوان لمناظر رياضية أو حربية لمصر القديمة والحديثة.وحسب القارىء لكى يعرف تشعب الموضوعات أن نقول أن المؤلف كتب خمس عشرة صفحة عن الجيش المصرى أيام الفراعنة . وعن اصلاح القرية المصرية تسع صفحات وهذه أمثلة تدل القارىء على تشعب الموضوعات التى يطرقها المؤلف وجميعها تدور حول النظام فى الامة ورجال البوليس والادارة . ونحن نقتبس من المؤلف بعض ما قال عن الفراغ وكيف يستغل فى ايطاليا :

« وضع زعيم ايطاليا فى عام ١٩٢٥ نظاما ثابتا لشغل أوقات الفراغ بين الطبقات العاملة فى الشعب الايطالى . فعمل على نشر الثقافة والرقى الاجتماعى وعلى العناية التامة بالعامل الايطالى باعتباره دعامة من دعائم الثروة الاهلية ومن مبادئه أن هذا العامل لا يكفى أن تساعده الطبقة الحاكمة ماديا وتوفر له سبل العيش . وتنمى له مرافق حياته المادية فحسب . بل تعمل أيضا على حماية فراغه وتجديد قواه ما دام هذا العامل هو الذى يقوم على كتفه الانتاج العام ... ولهذا النظام ادارة عامة رئيسة تتبعها فروع كالاندية يبلغ عددها ثمانية وتسعين الفا ويكفى للاشتراك فى أحد هذه الاندية أن يثبت الطالب أنه ايطالى الرعوية وأنه عامل.وقد بلغ المشتركين فى السنة الاولى ٢٨٠٥٨٤ وبلغوا الآن ثلاثة ملايين وهم يعنون عناية خاصة بغرس حب الزراعة فى نفوس الفلاحين والاستقرار فى الارض والاخلاص لها وتشجيعهم على زراعة الحدائق الصغيرة وتربية الدواجن وما الى ذلك ويمكن تلخيص هذا النظام فى ثلاث نقط رئيسة هى :

١ — التعليم الفنى والثقافة الشعبية

٢ — التدريب الجسمانى

٣ — المساعدات الاجتماعية والصحية

وللوصول الى هذه الغاية استعانوا بالوسائل الآتية :

١ — الاكثار من الجمعيات التمثيلية وانشاء المسارح العامة واقامة حفلات تمثيلية كل أسبوع

تقتصر على الطبقات العاملة وجعل الدخول اليها باجر زهيد جدا لا يتجاوز القرشين

٢ — الاكثار من الآلات السينمائية المتنقلة للدعاية الصحية فى الاوساط الريفية واظهار ما فى ايطاليا من مناظر طبيعية جميلة

٣— الاكثار من توزيع أجهزة الراديوفون على المشتركين من هؤلاء العمال بثمن زهيد مع تسهيلات كبيرة فى الدفع

٤— انشاء مكتبات المطالعة العامة وتجهيز اتومبيلات متنقلة لأعارة القرويين الكتب والمجلات والعناية بطبع الكتب المفيدة وبيعها للفلاحين بأثمان زهيدة جدا

٥— تكوين فرق موسيقية شعبية

٦— توجيه الشعب نحو مختلف الالعاب الرياضية .

٧— الاكثار من الرحلات الى الريف .هذا هو بعض مانقلناه من الكتاب مما يعد من المعلومات الجديدة عن الحركات النظامية فى أوربا مما يصح لمصر أن تقتبس منه

وكتاب « التربية النظامية » حافل بمثل هذه المعلومات التى ينتفع القارىء بدرسها والتبصر فى مزاياها التى تستحق أن تصطنع فى مصر . والمؤلف يشكر الشكر الجزيل على هذا المجهود الوطنى العظيم فى خدمة الثقافة الرياضية والنظامية والاجتماعية

سيرة رسول الجهاد

تأليف الاستاذ حبيب سعيد صفحاته ٢٩٨ من القطع الكبير اصدرته جمعية نشر المعارف المسيحية . بمصر

رسول الجهاد هذا هو بولس الذى يعزى اليه الفضل الاكبر فى نشر المسيحية . وقصة بولس من اغرب القصص . فانه نشأ عدوا للمسيحية يتعقب المؤمنين بها ويدعو الى اضطهادهم ، ثم حدث له انقلاب فجائى فاصبح مسيحيا متحمسا يخدم الدين الجديد فى العلن والسر ويؤسس الكنائس فى انحاء الدولة الرومانية . والقارىء لرسائل بولس يشعر انه تشبع بروح المسيحية حتى صار يتحدث عنها كالملهم . والمظنون انه قتل فى ايام نيرون

وقد استطاع الاستاذ حبيب سعيد ان ينسج قصة رائعة من حياة هذا المجاهد بحيث يقرأها

القارىء فى لذة واستمتاع . واليك ما يقول فى المقدمة :

أما التاريخ الذى نمهد له بهذه الكلمة فهو الدعاوة الاولى بالانجيل فى صدر المسيحية ، وأما الرجل فهو بولس الطرسوسى رسول الجهاد الامين

والى هذا الرسول يرجع الفضل فى المناداة بالمسيحية ديناً جامعاً شاملا ، فهو الذى حمل رسالتها الى العالمين اليونانى والرومانى بعد أن كانت محصورة فى تخوم فلسطين عقيب قيامة المسيح وصعوده الى السماء

ولكى يرسم الكاتب صورة حية للرسول لابد من التوفر أولا على دراسة سفر الاعمال والرسائل من أسفار الانجيل الكريم والالمام ببعض مظاهر الحياة القديمة فى القرن الاول المسيحى وأحوال الامبراطورية الرومانية فى تلك الحقبة من الزمن ، والمشاهد التاريخية التى تنقل فيها من ولاية الى أخرى فى الامبراطورية ، وموقف اليهود السياسى وأحوالهم الاجتماعية فى ذلك العصر وأخلاق الحضارتين اليونانية والرومانية ، وبعض النظم الاجتماعية التى سادت تينك الحضارتين ، والاديان التى اعتنقها القوم ، والآلهة التى عبدوها ، والملاهى التى شغفوا بها ، والقوانين التى خضعوا لها ، والطرقات التى ساروا فيها ، ومواقع المدن والاقاليم التى زارها الرسول فى رحلاته ......

* * *

وهذا ما حاولت أن أصفه بعض الوصف فى هذه السيرة مستعيناً بما كتبه الأئمة الاعلام من قبل فى اللغتين الانكليزية والفرنسية

ولم أتعرض الى فلسفة الرسول الدينية اللاهوتية الا قليلا ، ولكنى أفرزت فصلا خاصاً لكل رسالة من رسائله فى موضعها من تاريخ حياته . ذلك لانى اعتقد ان رسائله الخالدة تصور لنا قصة حياته الداخلية كما تصور لنا السهول والهضاب والانهار فى آسيا واليونان وايطاليا مشاهد حياته الخارجية ففى تلك الرسائل الحية التى لن تبلى الازمان جدتها ، نشهد الكفاح الصابر المثابر ، والصبر الجميل الحازم ، والمحبة الباذلة المتفانية . فيها نشهد الغيرة المتقدة ، والكياسة اللبقة ، والحزن الباكى على خطايا الآخرين ، والجرأة العنيفة التى لاتخشى فى الحق لومة لائم . فيها نحس ذلك العطف الابوى يريقه سخياً على زملائه وأصحابه ، وذلك الحنين الدافق تفيض به نفسه نحو تلاميذه وأنصاره .....

حياة الطفل

تأليف الدكتور مصطفى الديواني . صفحاته ١٧٦ من القطع المتوسط . مطبعة فتح الله الياس نورى بمصر

مؤلف هذا الكتاب هو طبيب معروف وهو اخصائى فى امراض الاطفال ويقوم بتدريس هذا الفن فى كلية الطب . ويواجه القارىء فى الصفحة الاولى اهداء المؤلف كتابه الى زوجته فيشعر بالاحترام لهذا الزوج الراقى المتمدن . والكتاب معجزة فى ايجازه وكفايته . فانه يبتدىء بالحامل ثم يتدرج من الولادة الى تربية الطفل فيذكر الملابس والحمام والسرير والتنزه والتغذية وجوع الطفل ونموه الى التسنين والتمريض . والكتاب موضوع على طريقة السؤال والجواب بحيث يمكن الام مها كان مستواها ان تفهمه . واليك مايقول عن طريقة اعطاء زيت السمك للطفل :

ان زيت السمك من الأدوية التى تعطى بكثرة للاطفال كقو . وكثير من الأمهات يرتكبن أخطاء فى أثناء اعطائه للطفل مما يسبب له اشمئزاز ويحول دون الاستمرار فى أخذه . وهناك نصائح أسديها للامهات فى هذا الصدد وهى : —

أولا — اذا كانت الأم نفسها تكره طعم زيت السمك أو رائحته فيجب عليها أن لاتبدى علامات الاشمئزاز فى أثناء ملء الملعقة من الزجاجة ويجب أن لايسمعها الطفل وهى تتمتم مشفقة مسكين ياولدى . كم أنا آسفة لارغامك على شرب هذا الدواء الكريه » . لأنه اذا سمعها تقول ذلك أو رأى الاشمئزاز باد على وجهها استغل شفقتها وامتنع عن أخذ الدواء .

ثانيا — يجب أن لايعطى الطفل رشوة مقابل أخذه الدواء ، لأن ذلك يجعله يشعر بسلطته على والديه فيتعود على ذلك فى كل مرة يقدم له فيها زيت السمك .

ثالثا — يجب أن لا نضغط الطفل أو نرغمه على أخذ زيت السمك ، لان الطبيعة البشرية تأنف من قبول ما يملى عليها

رابعا — يبدأ باعطاء زيت السمك فى سن مبكرة لانه كما كان الطفل صغيرا كان من السهل تعويده قبول الدواء . والواقع أن الطفل أحوج ما يكون الى زيت السمك فى الستة الاشهر الاولى من عمره .

خامسا — يعطى زيت السمك فى مواعيد منتظمة يوميا ، وبذلك يتعوده الطفل ويعتقد انه جزء من برنامجه اليومى .

سادسا — اذا لم يقبل الطفل زيت السمك كما هو يمكن اعطاؤه له فى اللبن أو عصير البرتقال أو العنب أو الطماطم .

سابعا — اذا احتاج الامر فى البداية لتشجيع الطفل فيمكن للام أن تشرب قليلا من الدواء أمامه لتريه أنه دواء مقبول .

ثامنا — يمكن للاطفال الكبار عدم التنفس فى أثناء أخذ الدواء حتى لايشعروا برائحته وطعمه .

تاسعا — يمكن ازالة بقع زيت السمك من الملابس والاقمشة بغسلها جيدا بالماء والصابون واذا لم يكف فنقعها فى ماء الاوكسيجين بضعة ساعات .

ومعظم هذه النصائح تنطبق بطبيعة الحال على أى دواء آخر خلاف زيت السمك يكون غير مقبول الطعم أو الرائحة .

مقيد

تأليف الاستاذ جبران مسوح : صفحاته ٩٦ من الكبير ـ طبع فى توكومان

هذا الكتاب لايمكن ان يؤلف فى مصر او فى الشرق العربى كافة . فانه ثمرة البيئة الحرة التى يعيش فيها المؤلف فى امريكا الجنوبية . والمؤلف يحمل كثيرا على الدين كأنه هو العلة لتأخر الامم ولكنه يهمل العوامل الاقتصادية التى هى السبب الحقيقى لهذا التأخر . وهو احيانا ينطق بالحكم السامية . ولكننها تضيع فى وسط الزوبعة التى يقيمها حول الاديان

تصحيح خطأ

وقع خطأ مطبعى فى المجلة الجديدة الشهرية (عدد يناير) وذلك بوضع صفحة ١٠٣ بدلا من ١٠٧ وبالعكس فننوه بذلك مع الاعتذار

حديث الأدب والأدباء

برتراند رسل

من مقال للاستاذ زكى نجيب محمود فى مجلة الثقافة

برتراند رسل فليسوف انجليزى معاصر ، بل هو زعيم الفلاسفة الانجليز المعاصرين ، أنفق الشطر الاول من حياته العلمية فى دراسة الرياضة والمنطق ، فأكسبناه وضوحا فى التفكير لا يكاد يدنو منه فى ذلك أحد من معاصريه . . . ولم تكد تضع الحرب الكبرى أوزارها حتى خرج برتراند رسل من صمته الدفين تحت أكداس المنطق والرياضة ، وانطلق فى العالم كالشعلة المندلعة يخطف الابصار ويأخذ الألباب ، جازعا مما شهده العالم من صراع وقتال ، وقد راعه أن يرى الوف الشباب يسيرون فى خيلاء وزهو ليلاقوا حتفهم فى حومة الوغى ! فبدأ يفكر فى وسيلة الخلاص ، فكانت هذه الكتب التى أخرجها للناس ، وهذه الفصول التى يذيعها فيهم حيناً بعد حين .

وأول ما يستوقفنى من رسل أسلوبه فى التفكير ، لأنه أسلوب أومن به وأحتذيه ، فهو يأبى أن يكون فى تفكيره فردا فى قطيع ، ويقف عند المسائل وقفات تقصر أو تطول ، حتى يتبين فيها الرشد من الغى ، وليس أبغض على نفسه من رأى يأخذ به الناس فى تسليم لا يقبل الشك ، بل ليس أبغض على نفسه من هذه الافكار التى يطلق عليها الناس اسم « البديهيات » ثم يقبلون عليها اقبالا لا روية فيه ، ولكم هلل وكبر حين سمع برجال نهضوا يتحدون قداسة تلك البداءة ، وألحوا يطلبون لكل بديهية ما يؤيدها من دليل ، وكم هلل وكبر حين سمع بمن أثبت أن الخطين المتوازيين قد يلتقيان وأن الكل قد لا يكون أكبر من جزئه . ذلك أن رسل يحب لنا أن نفكر أحرارا من كل أغلال وأصفاد ، ويحب لنا أن نشك حتى يتبين اليقين .

وهل فى العالم كله حقيقة واحدة تستعصى على الشك ؟ ستقول : نعم ، وهل أشك أو يجوز أن أشك فى أن هذا مكتب أمامى ، صنع من الخشب ، وطلى باللون الاصفر ، وانتثرت فوقه الكتب والاوراق ؟ ستقول هذا ، وسيجيبك رسل بأن الشك فى هذا جائز بل واجب ، ولو أمعنت فى الفكر لألفيت هذه الأمور الساذجة العابرة تحتمل كثيرا من التفكير . .

انظر معى إلى مكتبك مرة أخرى ، ما لونه ؟ لا تقل فى بساطة الاطفال إنه أصفر لأن ألوف الالوان تتعاقب عليه طول النهار والليل ، كلما اختلف مقدار الضوء الساقط . ولو رسمه فنان عشرين صورة فى يوم واحد فى أوقات مختلفة لخرجت كل صورة على شىء من الخلاف مع سائر الصور . . وما شكله ؟ ستقول . مستطيل السطح مثلا ، مع أنك لم تره مرة واحدة فى حياتك مستطيلا ، وإن خالجك الشك ، فاجلس وحاول أن ترسم ما تراه على الورق ، إذن لوجدت السطح يضيق هنا وينفرج هناك ، بل لو جلس حوله عشرون راسماً لما وجدت رسمين اثنين ينطبقان ، فليس فى لمكتبك شكل واحد بل أشكال متعددة وإن شبه لك أنه مستطيل . ثم ما ملمسه ؟ ستسرع إلى جواب بأنه ناعم مصقول ، ولكن تريث قليلا وانظر إليه بمجهر وحدثنى كيف تراه ، ستراه ودياناً وجبالا وهضابا تحت زجاجة المجهر ، وكلما اختلف المنظار شدة وضعفاً اختلف معه سطح المكتب نعومة وخشونة فأى هذه الصور جدير أن يكون صوابا ؟ وأيها محكوم عليه بالبطلان ؟

وحسبى هذا ، فلن أطيل الوقوف عند مكتبك ، ولعلى قد وقفت إلى شىء أرجو مخلصاً أن ترسخ جذوره فى العقول ، وهو ألا يلقى الانسان أحكامه جزافا ، والا يسرع إلى تصويب رأيه وتخطئة غيره إلا بالدليل والبرهان ، فها قد رأينا أتفه الاشياء تحتمل اختلاف الرأى . . فالأصول الأولى التى ننشرها عن رسل ، وننشرها عن إيمان وعقيدة ، هى أنه إذا كان فى الموضوع رأيان ، فحكم العقل ، ولا تقض فى الامر بهواك ، وإنه من الغفلة أن يقضى الرجل العادى فى امر اختلف فيه علماء والخبراء ، فينبغى أن يكون لنا الضمير العلمى فى شئون الحياة جميعا ، ولو نجحنا فى ذلك وحده كان كفيلا للبشرية بالنهوض السريع . خذ لذلك أمثلة سريعة مقتضبة : يقول بعض علماء الاقتصاد إن الاشتراكية سبيل النجاة بالانسانية مما يرهقها من الكوارث الفاجعة ، فينهض قوم يعارضون ويزعمون أنها نزعة لا تتفق وطبيعة الانسان ، ولو اصطنع هؤلاء ضميراً علمياً ، لما ضاقوا صدرا بالرأى

الجديد ، ولافسحوا له فى مجال التجربة ، لعله يعود على البشر بخير موفور . . نسمع عن أهل التبت أن المرأة يحل لها أن تتزوج أكثر من رجل ، ويسمع المسيحيون عن المسلمين أنهم يجيزون للرجل أن يتزوج أكثر من امرأة ، فيقابل كل فريق ما يسمعه عن الفريق الآخر بشيء من النقد ، ولو اتخذ أسلوب التفكير الصحيح لتريث فى حكمه ، لعله يسخر من صوابه .

نريد شيئا من الشك ، أو بعبارة أخرى نريد للعقل أن يسيطر ، وللعاطفة أن تنكمش حين نصدر الاحكام ، لانها مضللة مفسدة للرأى فى أكثر الاحيان ، ومع ذلك فالناس يصدرون كثيرا عن عواطفهم حين يفكرون : . فلو قام فرد بين الناس يزعم أنه ملك انجلترا ، لحكم عليه الانجليز بالخبل أو الجنون ، وأودعوه السجن أو البيمارستان ليسلم الناس من شره وأذاه ، أما إن نهض هذا الفرد بعينه وزعم للناس أن الامة الانجليزية تنزل بين الامم منزلة الملك بين الناس ، لرفعوه وأكبروه ، مع أن الموقفين فى عين الاجنبي المحايد متساويان : فى الاول يعلو بنفسه باطلا ، وفى الثانى يسمو بأمته باطلا . ولكن الموقف الاول صادف فى الناس نفورا لانه يصدم رغباتهم ، وصادف الثانى اعجاباً وقبولا لأنه يتفق وهواهم ، والواقع — كما أشرت — أن لافرق بين الحالتين ، سوى أن هذا جنون جماعة ، وذلك جنون فرد واحد ، وسينزل على رأسك السخط والغضب إن ناقشت الجماعة فى موضوع جنونها ، كما تعرض نفسك للخطر إن ناقشت الفرد المخبول فى موضوع جنونه . . فانظر كم يصدر الناس فى حكمهم عن الهوى ! نعم هم يصدرون عن عواطفهم حين يفكرون ، ثم يقيمون الدليل العقلى بعد ذلك ، وهم يلوون هذا الدليل العقلى حيث شاءوا ، حتى يجيء مطابقاً لما أرادوا ، ونحن نطالبهم أن يعكسوا الوضع ، فيبدءوا بالمنطق العقلى لينتهى بهم إلى حيث يريد الله أن ينتهى .

من هو الشيخ أبو نظارة

من مقال لابن النرجس فى زهرة الشرق

ابو نظارة هذا . هو يعقوب بن رافائيل صنوع ولد فى القاهرة سنة ١٨٣٩ من ابوين اسرائيلين . واتقن فى حداثة سنه تعاليم التوراة فأصبح مؤمنا بعقيدة وجود الله سبحانه وتعالى . ثم عكف على دراسة الانجيل والقرآن وتعمق فى عقائد الاديان القائلة بوحدانية اللاهوت وكان والده

وكيلا للمغفور له أحمد باشا يكن رأس العائلة اليكنية فى عهد ساكن الجنان المغفور له الحاج محمد على باشا والى مصر . ولما شاهد المغفور له أحمد باشا يكن نباهة يعقوب أرسله لأوربا على نفقته لتعليمه اللغات الاجنبيه والعلوم العصرية . فسافر الفتى يعقوب الى مدينة ليفورنو من مدن ايطاليا حيث تعلم العلوم وبرع فى اللغات الاجنبيه . ثم عاد لمصر بعد ثلاث سنين وكان قد بلغ من العمر السادسة عشر وفى اثناء ذلك توفى والده فحزن عليه حزنا عظيما وبكاه بكاء كثيرا وبعد برهة من الزمن أخذ يدرس اللغات الاجنبيه لابناء الاعيان وبعض انجال الامراء حتى نبغ على يديه من ارتقوا الى أعلى الوظائف والمراتب

وفى سنة ١٨٧٠ انشأ اول مسرح عربى فى القاهرة بمساعدة ساكن الجنان باعث نهضتها المغفور له الخديو اسماعيل الذى منحه لقب «موليير» مصر ونشطه وأمده بالمال على عمله وكثيرا ما شهد تمثيل رواياته . وبلغ مجموع ما ألفه من الروايات اثنتين وثلاثين رواية غرامية وهزلية منها ما هو بفصل واحد ومنها ما هو بخمسة فصول ثم أسس سنة ١٨٧٢ جمعيتين علمتين أحداهما «محفل التقدم» والاخرى «محبي العلم» وتولى رياستهما . وفى سنة ١٨٧٤ سافر الى اوربا حيث مكث بها مدة يدرس احوالها السياسية واخلاق شعوبها . ثم رجع لمصر مشغوفا بتفوق الافرنج وملتهبا بالغيرة ليبث روح الحضارة والعمران بين الشعب المصرى

وكان المغفور له السيد جمال الدين الافغانى الفيلسوف الشرقى العظيم والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمهما الله . متحدين معه بعرى المحبة وقد درسا عليه شيئا من اللغة الفرنسية . فاتفق ثلاثتهم على اصدار جريدة عربية هزلية لانتقاد أعمال الحكومة ثم قر رأيهم على أن يتولى ادارتها صاحب الترجمة ويشتركا فى تحريرها معه . وقد اوعز فيلسوف الشرق العظيم السيد جمال الدين الى صاحب الترجمة فى ايجاد اسم هذه الجريدة يليق بمشربها . فخرج هذا الى منزله باحثا عن حمار يركبه فاذا بالمكارين أصحاب الحمير قد تجمعوا حوله وأراد كل منهم أن يركبه حماره فلما زاحموه أحب التخلص منهم واذا بصوت من ورائه يناديه « يا أبا نظارة زرقاء » وكان وقتئذ يستعمل النظارات الزرقاء لوقاية عينيه من أشعة الشمس فرن هذا الصوت فى أذنيه واستحسن عبارة « ابى النظارة الزرقاء » وصمم على اتخاذها اسما للجريدة الهزلية . فرجع من ساعته الى السيد جمال الدين وأخبره بما حصل له مع المكارين أصحاب الحمير واختياره الاسم المذكور اسما للجريدة . فضحك من كلامه واستحسن

الاسم وهكذا أصدر العدد الاول فى سنة ١٨٧٧ من هذه الجريدة التى تعد أوائل الجرائد الهزلية بمصر وبين الناطقين بالضاد فانتشرت فى البلاد العربيه حتى صار اسمها ملازما لصاحبها الذى أطلق عليه من ذاك الحين « الشيخ أبو نظارة » وكان أول من استعمل اللغة الدارجة عند عامة المصريين فى الكتابة فتبعه الكثيرون من الكتاب الذين أصدروا جرائد شتى بالقلم العامى فى جميع الاقطار العربية شرقا وغربا

ولذا كانت معظم مقالات هذه الجريدة تنتقد أعمال الحكومة فى ذلك الوقت وكان قد صدر من هذه الجريدة خمسة عشر عددا وعطلتها الحكومة وتقرر نفيه خارج القطر

فسافر الى فرنسا وهناك فى باريس استأنف اصدار جريدته «رحلة أبى نظارة زرقاء» منتقدا فيها أعمال الحكومة الامر الذى ترتب عليه تحريم دخولها للقطر المصرى فما كان من صاحبها الا أن أضطر ألى تبديل اسمها تارة باسم «ابى زمارة» وطورا باسم « أبى صفارة » وحينا باسم «الحادى» وآنا باسم « الوطنى المصرى » أو « النظارات المصرية » لئلا تفوت القراء فائدتها . ثم اصدر مجلة « التودد » وجريدة « المنصف » وجريدة « العالم الاسلامى » وغيرها

وفى سنة ١٨٨٦ أصدر جريدة بثمانى لغات سماها « الثرثارة المصرية » أو « البافار اجبسيان » ولعلها أول جريدة صدرت بثمانى لغات على ما نعلم .

ولم تقتصر همته على تحرير جرائده هذه بل كان يرسل من حين لآخر بمقالات ضافية الذيول لنشرها فى الجرائد الفرنسية الكبرى مثل الطان والماتين والفيغارو وغيرهما من امهات الجرائد الفرنسية

* * *

وفى سنة ١٩٠٠ اقامت الحكومة الفرنسية معرضا لصحافة عاصمتها فوفد عليه كثير من عظماء الامم شرقا وغربا .

وكان من ضمن زوار هذا المعرض السيد حسن بن السلطان عمر المنزوانى على رأس وفد من بلاده . فانتهز صاحب الترجمة هذه الفرصة وخطب خطبة بعشر لغات مختلفة رددت صداها جرائد فرنسا وما كاد ينتهى من خطبته هذه حتى حمله جمهور السامعين يتقدمه جوق الموسيقى إلى ساحة

« برج ايفل » حيث دعا دعاءا حارا ختمه بالنشيد الفرنساوى والمصرى وكان فى ذلك الوقت شاه العجم يقيم فى « كنتر كسفيل ليبين » فاستدعاه فى ضيافته وأهداه وساما عاليا وخاتما ثمينا .

ولما زار سمو الخديو السابق باريس سنة ١٩٠٠ ونزل فى مدينة ديفون تشرف صاحب الترجمة بمقابلة سموه فعطف عليه وأذن له بالرجوع لمصر فاعتذر لسموه وفضل الاقامة بفرنسا وفى سنة ١٩٠٢ وافقت مرور خمس وعشرين عاما على ظهور جريدته الاولى فاحتفل أصدقاؤه من سوريين وتونسيين وجزائرين ومصريين وفرنسيين به احتفالا فخما فى احدى الفنادق وأقاموا له مأدبة أنيقة جمعت مائة شخص وتبارى فيها الخطباء بمدحه والاشادة بفضله .

وفى سنة ١٩٠٥ جرى له الاحتفال باليوبيل الخمسينى لدخوله فى سلك التأليف والتدريس فكان هو أول صحافى عربى نال هذه المكرمة الشريفة فى حياته . وبمناسبة هذا اليوبيل اجمعت الجرائد العربية والافرنجية على الاشادة بمدحه وتواردت عليه رسائل المدح والاطراء من الامراء والعظماء والكتاب والشعراء من الشرق والغرب وحاز من رؤساء الحكومات وسامات الشرف الكثيرة التى زينت صدره . وذلك مصداقا لسمو منزلته الادبية والعلمية عندهم . ولا عجب فى ذلك فقد كان له دراسات عامة بلغات شتى قديمة وحديثه بحيث أنه كان يكتب نثرا وشعرا بالعبرانية والعربية والايطالية والفرنسية والانجليزية والالمانية مع إلمام بالاسبانية واليونانية علاوة على اتقانه الفنون الجميلة كالموسيقى والرسم وألف الحانا بديعة أهداها للملوك والامراء . وكان يرسم بقلمه الصور التى تنشر بجرائده . وكان مرتبطا بعلائق مودة وصداقة مع اكبر عظماء مصر وسوريا وتونس والمغرب الاقصى والهند . هذا فضلا عما أحرزه لدى الكتاب الفرنسيين . وله مع اكثر سلاطين الاسلام مكاتبات تضمنت آيات الثناء والمدح . ونال القابا عظيمة منهم . نذكر منها لقب « موليير مصر » من المغفور له سكن الجنان الخديو اسماعيل على أثر حضوره تمثيل بعض رواياته ولقب « صديق الاسلام » عند تشرفه بمقابلة سلطان تركيا سنة ١٨٩١ ونال لقب « صديق فرنسا الكبير » سنة ١٩٠٠ على أثر افتتاح معرض فرنسا العام وأحرز لقب « شاعر الملك » من شاه ايران ولقب « كوكب الشرق » من سلطان الهتروان ولقب الوطنى المخلص من سمو الخديوى السابق ولقب « مقوى الرابطة الاخوية العامة » من دوق بدرو امبراطور البرازيل

وفى سنة ١٩٠٨ لما أعلن الدستور العثمانى ومنحت تركيا الحرية سافر الى الاستانة للاشتراك مع العثمانيين فى أفراحهم الوطنية ومكث بها فترة من الزمن كان فيها موضع الاكرام والاجلال من العظماء والكتاب الاحرار ثم عاد لباريس ومن ذلك الوقت أخذ نور عينيه يضعف حتى كف بصره — وفى سنة ١٩١٠ أصدر العدد الاخير من جريدته « أبى نظاره » بعد انتشارها أربعا وثلاثين عاما مدافعا عن حقوق وادى النيل . وفى سنة ١٩١٢ توفاه الله فى باريس ونعته شركة تلغرافات روتر الى الشرق والغرب

كابيك

توفى الكاتب السلوفاكى كارليل كابيك وهو معروف باللفظة التى سكها والتى اصطنعتها جميع الامم وهى «روبوت» بمعنى الرجل الآلى

وقد مات ولما يبلغ الاربعين مع أنه حاز من الشهرة مالا يصيبه ذوو السبعين من الادباء. وربما كان شيوع هذه اللفظة هو السبب لشهرته . على أن قيمته كانت كبيرة فى توجيه الاذهان الى الاثار السيئة التى يثمرها فى الاجتماع الحاضر هذا العصر الالى أى عموم الالات لجميع الوان النشاط الانسانى. وقد ترجمت مؤلفاته الى معظم اللغات الحية وكان قد هجر وطنه وقتا طويلا فى التنقل بين عاصمة وأخرى فى أوربا حتى انتهى به التجوال الى لندن التى اتخذها دار سكنى له

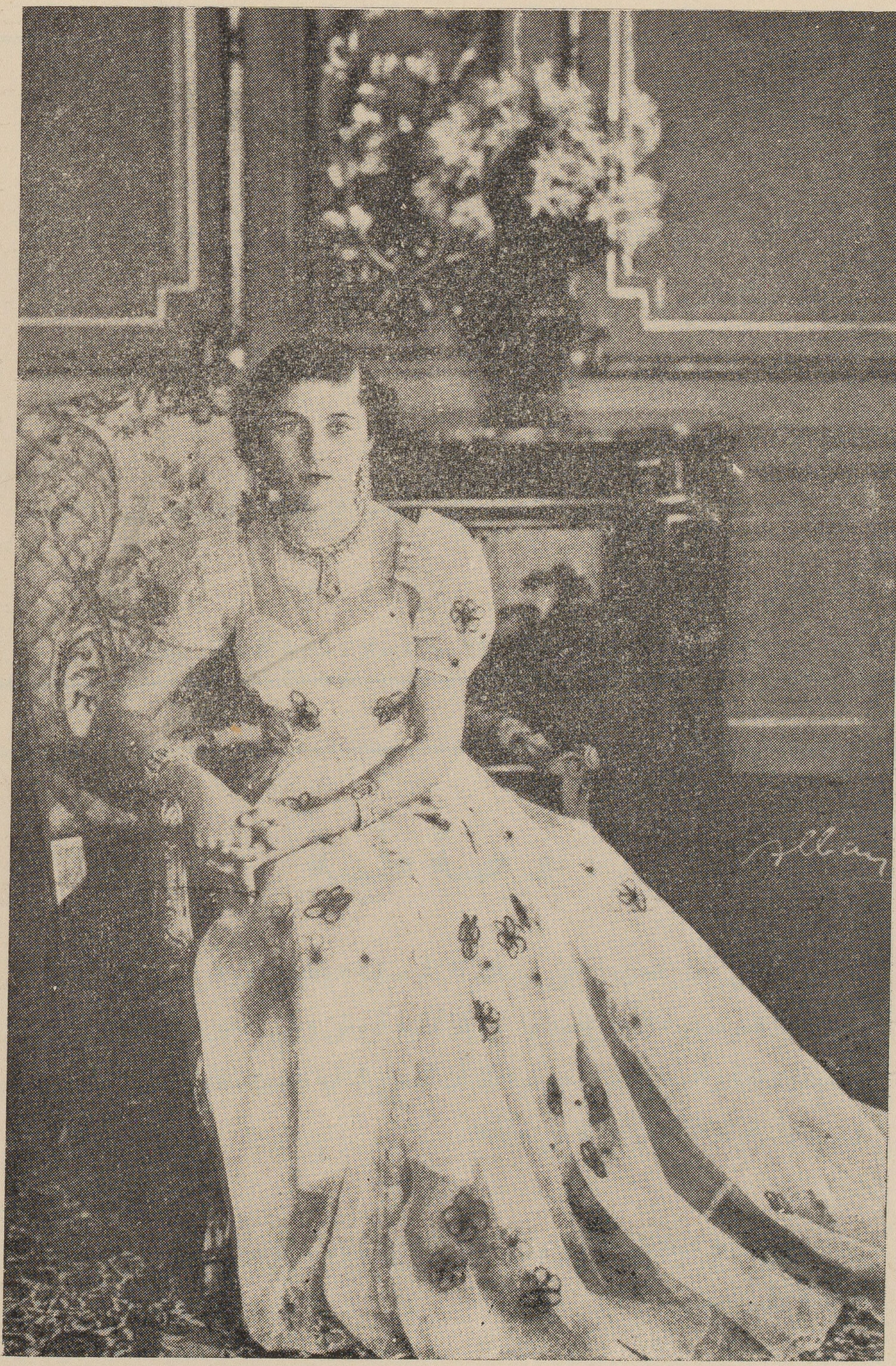
٣/٨

المجلة الجديدة

فهرست

الثمن ٣ قروش

مارس سنة ١٩٣٩



صاحبة السمو الملكي الاميرة فوزية التي ستزف هذا الشهر الي صاحب السمو الملكي الامير شاهبور ولي عهد ايران

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الثالث

المجلة الجديدة

العدد الثالث
من
السنة الثامنة

حارة جاد ـ شارع الفجالة ـ مصر

مارس ١٩٣٩

افتتاحيـــــات

الشخصية الانسانية

الشخصية مثل جميع الاشياء السامية فى الاجتماع الانسانى يستعصى تعريفها التعريف المشبع . ولكن هذه الحال عامة فى كل ما يسمو في اجتماعنا فنحن يشق علينا أن نعرف الدين أو الشرف أو البطولة أو السمو . وقصارانا أن نلتمس الامثلة الانسانية التى تبرز فيها هذه الصفات فتتمثل بها

ولذلك يسهل علينا أن نقول إنه كان لنا بليون شخصية عظيمة . ثم نقول بعد ذلك أن لغاندى شخصية أخرى عظيمة . ومع تناقض هاتين الشخصيتين فاننا نعترف بهما . ولكن تناقضهما الواحد للعنف والآخر للرفق يبين لنا صعوبة التعريف للشخصية

وفيما بين نابليون وغاندى لنا شخصيات مختلفة تتفاوت قوة وتختلف نوعا . وهذا الاختلاف لازمة من لوازم الشخصيات . لان اعظم ميزات الشخصية هو الاستقلال . نعنى استقلال الفكر والضمير والاخلاق

فكيف تنشأ هذه الشخصية ؟

ليس شك فى ان للوراثة التى يتكون بها الجسم اعضاؤه وخلاياه وغدده أثر فى تكوين الشخصية

ولكن هذا الأثر نكاد نعجز عن تعرفه وقياسه أو تقويته إلا إذا كان النقص واضحا جدا. وانما أعظم ما يكون الشخصية بعد ذلك هو البيئة الاجتماعية والثقافية ونعنى هنا البيئة الحره التى ينشأ فيها الفرد وهو يتعلم ويتدرب فى انطلاق الحواس وحرية الذهن . وليست هذه الحرية مع ذلك فوضى ولكنها ليست أيضا تقييدا. وكلاهما — الفوضى والتقييد — لا يعمل لتكوين الشخصية . فالرجل المقيد باغلال أو الذى نحبسه فى سجن لا يمكن ان تتكون له شخصية . وكذلك الرجل الذى يعيش فى غير نظام فى فوضى الأسرة المتفككة وتشرد الشوارع وتسكع الكسب وتقلب العيش لا يمكن أن تتكون له شخصية. ولكن النظام الحسن يتيح من الحرية ما يجعل التدريب ممكنا . ولذلك نجد أن الرقص اجمل من المشى على الرغم بما فيه من القيود التى نحد بها من الحركات المطلقة للمشى

وكذلك الشخصية تنمو فى البيئة الحرة التى تجمع مع ذلك من القيود ما يحتاج اليه النظام والتدريب. وهذا النظام والتدريب يوسعان أبعاد الشخصية وينميانها. فنحن حين نتعلم ونتدرب نعانى قيودا فى التعليم او التدريب . ولكن شخصيتنا تكبر بهما. والرجل المحترف يتقيد بحرفته التى تحبس حريته بضع ساعات كل يوم ولكنها أى هذه الحرفة تكبر شخصيته لانها تربيه كل يوم وتنمى ذكاءه وتجعله يتمهر فى حركاته ونظراته وبفكره بخلاف ما يحدث للرجل العاطل الذى يظن انه لا رقابة عليه . وكذلك يفضل ايضا المتزوج الاعزب لان مسئوليات الاول أكبر وهمومه اعم واتصاله بنبع الحياة اهم

تكبر الشخصية الانسانية بالتربية وبالحرفة وبالزواج والاسرة وبالاجتماع الحسن المنظم وبالثقافة والدين والفلسفة والفنون. بشرط أن تمارس هذه الاشياء جميعها فى حرية. نختار ما نود ان نثقف به أنفسنا ونترك الحرفة التى نكره ونصطنع تلك التى نحب ونتزوج مختارين . ونستطيع ان نترك الاجتماع الذى لا نجد فيه التربة الصالحة لنمونا وسعادتنا

وهذه الحرية التى نشرطها هى التى تجعل لنا شخصيات مختلفة لان كلا منا يسير فى الطريق التى يختار من ثقافة أو دين وفن او عادات حتى اذا بلغ الاربعين أو الخمسين صار له ما يشبه الكيان المستقل فى وسط الامة التى يعيش فيها . وصار يعتز باستقلاله وصارت له كرامة خاصة تبعثه وقت الحاجة الى ان يقف تلك المواقف التاريخية يصيح فيها فى وجه الظالم « لى ضمير » وهو عندئذ فى عالم الاجتماع كأنه سلالة جديدة فى عالم البيولوجية

ومادامت الحرية هى الشرط الأول لتكوين الشخصية فاننا لا يمكننا ان نعين طرازا للشخصيات وان نصبها فى قالب . لأن الحرية تقتضى الاختلاف . والدنيا فى حاجة من وقت لآخر الى امثال نابليون فى العنف وغاندى فى الرحمة

ولم تثمر الحضارة والثقافة معا ما هو خير من الشخصية الانسانية سواء فى الأزمنة القديمة أم الحديثة . وذوو الشخصيات العظيمة هم الثمرة العالية للبيئة الاجتماعية والثقافية . ومن مصلحة الاجتماع أن يتوسع فى الحرية الثقافية والدينية لكى تبقى التربة على الدوام صالحة لنمو الشخصيات

اما اذا وقفت الدولة وجعلت نفسها فوق الفرد وقررت له ثقافته وسلوكه وحرفته وتعليمه فانه ينشأ فى قيود محيطة تحول دون نمو شخصيته فهو يجب الا يقرأ هذه الجريدة او المجلة أو هذا الكتاب وهو يجب أن يقول بهذا المذهب الاقتصادى دون سواه ، وهو يجب أن يتجنب الحديث فى هذا الموضوع أو ذاك الى آخر ذلك من القيود التى تعوق النمو الذهبى والاخلاقى والدينى وفى مثل هذا الوسط الذى يسود الآن فى الدول الجامعة سواء كانت فاشية أم شيوعية لا تنمو الشخصيات

انما تنمو الشخصية حيث الحرية التى تنأى عن الفوضى كما تنأى عن القهر : حرية النظام

البابا بيوس الحادى عشر

فوجىء نحو ثلثمائة مليون مسيحى كاثوليكى بوفاة البابا بيوس الحادى عشر رئيس الكنيسة الكاثوليكية . وهذه الكنيسة لا يضارعها فى القدم سوى القبطية الارثوذكسية . والذين يقرأون الصحف يسمعون عن لفظة بابا او بطريرك . والحقيقة ان الكنيسة سواء فى روما أم فى القاهرة لا تعرف هاتين اللفظتين . لأن البابا فى رومة هو « أسقف روما » فقط وهو الحادى والستون بعد المائتين . وبطريرك الاقباط فى مصر هو أسقف الأسكندرية

ولكن لما كانت رومة هى عاصمة الدولة الرومانية تضخم مقام الأسقف الذى يقيم فيها حتى رأينا فى القرن الرابع للميلاد أن القديس أوغسطين — وقد كان أسقفا — ينبه على وجوب الطاعة لاسقف رومة . ولما كانت الاسكندرية عاصمة مصر أيام دخول المسيحية فان الاسقف الذى كان يعين لها اصبح له مكان الرياسة لسائر الاساقفة

والكنيسة الكاثوليكية تعد نفسها أم الكنائس . وقبل نحو عشر سنوات انشيء بمساعى الانجليز والامريكيين ما يسمى «اتحاد الكنائس» لضم جميع الكنائس المسيحية على اختلاف مذاهبها فرفضت الكنيسة الكاثوليكية الدخول فى هذا الاتحاد اعتدادا بنفسها وانها هى الام التى يجب ان يعود اليها أولادها الذين انشقوا عنها . ولا شك فى انها تشعر بقوتها ونظامها وثروتها . وهى تعانى هذه الايام بعض الشدائد ولكنها رأت من زعازع التاريخ ما يجعلها تطمئن ولا تخشى القلاقل الحاضرة . وقد اكتسبت من اعتباراتها الماضية فى مدى ألفين من السنين خبرة واسعة تجعلها تلتزم المحافظة وتأبى التجديد . فقد درجت مثلا على ان الطلاق محرم وان المسيحى الذى يتزوج على الأرض قد تزوج فى السماء وهى ترفض كل الاراء العصرية عن هذا الموضوع ولا تبالى الانتقاد . وهى ترى أن ابناءها يطمئنون اليها ، وبرهانها البارز على ذلك ان الكاثوليك اقل الطوائف المسيحية انتحارا فى جميع الامم . فكأن غيرهم غير قانع بالحياة فى حين انهم راضون بها بفضل كنيستهم وايمانهم بها

وقد امضى البابا بيوس الحادى عشر سبع عشر سنة على كرسى رومة . ومات وهو فى الحادية والثمانين . وقد عكرت عليه السنوات العشر الاخيرة صفو الشيخوخة . فأنه رأى مذاهب جديدة ينادى بها فى اوربا الوسطى وخاصة فى المانيا والنمسا حيث لغط المسئولون من رجال الدولة عن فصل الكنيسة من الدولة أسوة بفرنسا والولايات المتحدة . ورأى دعايات سياسية واجتماعية تنافى الروح المسيحى فى كل من ايطاليا والمانيا كما يفهم هذا الروح حبر من أحبار الكنيسة فى ضوء تقاليدها الماضية ومستقبلها القادم . وكانت الاشتراكية التى تمارس فى روسيا مع صبغتها العدائية للدين شوكة تولم ضميره الدينى منذ تولى كرسى رومة . وقد اصدر منشورات ضد الشيوعية الروسية . ولكن البابا بيوس الحادى عشر جاء متأخراً نحو الف سنة من حيث تحريك أوربا إلى المناضلة عن الدين المسيحى . وهو ينتقل إلى العالم الآخر فى الوقت الذى يفكر فيه خمسون مليونا من المسيحيين الكاثوليك (فى المانيا والنمسا) فى فصل كنيستهم عن الدولة

ومما يعزى اليه انه عقد الصلح بين البابوية وبين دولة ايطاليا بعد خلاف دام ٥٨ سنة . ففى سنة ١٩٢٩ اعترفت حكومة ايطاليا بدولة الفاتيكان أى دولة البابا وعينت حدود أرضها فى بقعة تتحيز

جزءاً من رومة وجزءاً آخر من الضواحى . ولم يكن البابابيوس غيورا كل الغيرة على هذا الاتفاق كما يدل على ذلك انه عند ماوقف موسولينى يعرض هذا الاتفاق على البرلمان ذكر انه لولا الدولة الرومانية لما عاشت المسيحية . فلم يكن من البابا المتوفى الا ان سارع إلى الاحتجاج وهدد بنقض الاتفاق إذا لم يعتذر الزعيم الفاشى عن هذا الخطأ . لأن عنده ان المسيحية اكبر من الدولة . وهى تعيش ولو ماتت الدولة . وكان ان اعتذر موسولينى

* * *

وقد كان البابا المتوفى امينا على مكتبة الفاتيكان . فكان بحرفته اسقفا وبمزاجه رجلا متقفا لاتكاد تفوته قراءة كتاب مهم فى اللغات القديمة أو الحديثة . وكان يؤلف منشوراته الكنيستية باللغة اللاتنية القديمة فى عبارة فصيحة . واعظم منشوراته ذلك الذى شرح مواقف الكنيسة ازاء الزواج وموقفها ازاء حركات العمال . وقد التزم التقاليد الصارمة فى المنشور الاول ورضى بشىء من الاراء العصرية فى المنشور الثانى

وفى يوم ٣ مارس يجتمع الكرادلة لانتخاب البابا الجديد بالقرعة السرية

اقتصادياتنا الزراعية

أشار الاستاذ حسين محمود عنان بك فى مذكرة للمجلس الاستشارى الاعلى لوزارة الزراعة إلى ضرورة الحذر من المبالغة فى استعمال الآلات الزراعية لانها تحدث عطلا فى الزراعة . ولما كان كاتب هذه السطور مشغولا منذ سنوات بهذا الموضوع فانى أرى التوسع بعض الشىء فى شرحه

١ — فقبل نحو ست سنوات القيت محاضرة فى قاعة يورت قلت فيها ان الدوائر الزراعية الكبيرة احدثت عطلا بين الفلاحين لانها اغرقت فى استعمال الآلات الزراعية . وليس من الضرورى ان يكون هذا العطل دائما على طول العام . إذا يكفى ان يحرم الفلاح من العمل والكسب معظم العام ولا ينال أجرا إلا على ايام قليلة تحتاج الدائرة الى عمله فيها . وهو لذلك فى قحط ان لم يكن فى جوع . لأن الدائرة الكبيرة تستخدم الالات الزراعية فى الحرث والرى والحصاد . وهذه الالات تغنى عن العمال او لاتحتاج إلا الى القليل منهم

ولما كان نصف الارض الزراعية فى القطر كله يملكه اقل من ثلاثة عشر الف مالك فان هذه الدوائر كثيرة جدا والعطل فيها — مع ما يستتبعه من قحط — فاش فيها كل الفشو . ولا شك فى ان هذه الدوائر — مع جميع الاعتبارات — تكسب من استخدام الآلات الكبيرة . وان كان ينتج من استخدامها فساد خفى فى الاقتصاديات الزراعية من حيث استغنائها ايضا عن الماشية وما يستتبعه هذا من فقدان الاسمدة البلدية

٢ — وقبل نحو ثلاث او اربع سنوات كتبت فى البلاغ أبين كيف ان الاتومبيل قد انتشر فى المدن والريف لنقل الناس والبضائع . وان انتشاره قد افسد الاقتصاديات الزراعية . وذلك انه لم تكن تخلو عزبة صغيرة او كبيرة فى مصر من الخيول والجمال . وكان وجودها يستدعى الرواج فى العلف اى التبن والشعير والفول . وكان الفلاح يكسب فى نقل القطن وفى تزويد المدن الكبيرة مثل القاهرة والاسكندرية وطنطا بالعلف يستنتجه من ارضه . فلما جاء الاتومبيل فسد هذا النظام وصرنا نشترى البنزين بالثمن الذى كنا نؤديه للفلاح

٣ — ثم جاءتنا النكبة الثالثة فى السماد الكيماوى . بل هذا السماد نفسه هو الذى جرأ كبار المالكين على الاستغناء عن الماشية لانهم لم يعودوا فى حاجة الى متخلفاتها المخصبة للارض . بل هو جرأ حتى المالك المتوسط الى هذا الاستغناء الكلى او الجزئى فضعفت التربة وفقدت خصوبتها السابقة والاستغناء عن الماشية قد استتبع — كما قلنا — استغناء عن العمال

وبذلك نستطيع ان نقول ان استعمال الالات الزراعية البخارية او الموطرية وكذلك انتشار الاتومبيل واخيرا الاغراق فى استعمال الاسمدة — كل هذا قد جعل الدوائر الزراعية الكبيرة وهى تملك نحو مليونين ونصف من الافدنة كما جعل المتوسطين من المزارعين فى بعض الاحيان يستغنون عن الماشية وهذا الاستغناء عن الماشية قد أدى الى الاستغناء عن العمال الفلاحين وأحدث بينهم قحطا جزئيا . كما ان قلة الماشية فى الريف او عدمها قد جعل الاعتماد كبيرا على الاسمدة الكيماوية فكان هذا سببا لضعف التربة المصرية التى لا تحصل على الغذاء الصحيح الذى يحمل اليها الفيتامينات المخصبة فى متخلفات الحيوان . وقد فى كتب المزارع الانجليزى المستر بنسوزان فى مجلة سبكتاتور مقالا عن الضرر العظيم الذى يعود على الارض من اقتصارها على الاسمدة الكيماوية

والآن يرى القارىء اننا فى سلسلة من أسوأ الحلقات . وان ما يضر الزراعة المصرية يضر أيضا بالفلاح الاجير . وان جشعنا الاعمى الذى يجعلنا نعقد المؤتمرات لابادة دودة القطن ولا نفكر فى عقد مؤتمر لابادة الدود الذى يأكل أجسام الفلاحين — هذا الجشع هو نفسه الذى أفسد اقتصادياتنا الزراعية فجاءنا الفقر من حيث كنا نتوخى الغنى . فتربتنا قد فقدت خصوبتها وعزبنا قد خلت من الماشية . وفلاحنا قد استغنينا — أو كدنا نستغنى — عن عمله لاننا نستعمل البنزين والفحم

وزراعة بلا انسانية هى زراعة تستحق ان تموت . والانسانية تنادينا الآن ان نغير خططنا التى سرنا عليها مدى خمسين سنة وان نرسم للاقتصاديات الزراعية خطة جديدة أساسها ان قيمة الفلاح اكبر جدا وجدا من قيمة القطن . وكفى

طرد مياه البحر واستثمار أرضه

فى الشهر الماضى كتب الدكتور محمد على الكيلانى مقالا منيرا عن الخطط الزراعية التى تتبعها هولندا وكيف انها شرعت منذ ٦٠٠ سنة فى زيادة المساحة لارضها الزراعية بنزح مياه البحر وتجفيف قعره حتى يعود تربة زراعية صالحة . وقد أرفق مقاله بخارطتين أحداهما تبين هولندا حوالى سنة ١٥٠٠ والمياه تغمر معظم وأرضها الاخرى تبينها فى سنة ١٩٣٤ حين صارت قطرا زراعيا عظيما وخاصة بعد أن نزحت المياه من بحر زودرزى . وقد زار هو نفسه هذا القطر العجيب الذى تملكه أمة نشيطة احترفت الزراعة الدقيقة وبدلا من أن تغير على الاقطار التى تجاورها تعمد الى البحر فتحاربه وتأخذ منه حاجتها من الارض . فهى تتوسع وتغزو ولكن دون أن تحارب الامم وتقتل الناس

وقبل أيام زار مصر هولندى كبير هو المسيو كرول . وهو المدير العام لمياه الشرب التى يشربها الهولنديون فى المدن والقرى . وفى قطر مثل هولندا حيث تستوى الارض بسطح البحر أو تنخفض عنه يصعب استنباط المياه العذبة لان البحر يرشح ويصيبها بملوحته . وهذا هو حالنا فى أرضنا الشمالية بالدلتا . ولذلك تعنى الحكومة الهولندية العناية الكبيرة بايجاد الماء العذب لسكانها . والمسيو كرول هو المدير العام للمصلحة القائمة بهذا العمل

وقد ألقى المسيو كرول محاضرة عن اصلاح الارض فى هولندا أى كيف يغزو الهولنديون البحر

ويطردون مياهه ويستعمرون أرضه ، وقد زادنا معرفة بهذا الموضوع على ما سبق للدكتور الكيلانى ان شرح بعضه . فانه بين كيف أن بحر زودرزى الذى نزحت مياهه كان يبلغ فى العمق ثمانية أمتار (وبحيرة المنزلة عندنا لا تزيد على متر) وقد فصلته الحكومة الهولندية من البحر بسور حاجز كلفها أربعين مليون جنيه . ثم نزحت المياه المالحة . وغمرت الارض بعد ذلك بمياه عذبة من نهر الرين والموز وبعض الانهر الصغيرة الاخرى . وتركت المياه العذبة راكدة مدة حتى امتصت أكبر مقدار من ملوحة الارض ثم نزحت هى أيضا . فصارت الارض بعد ذلك صالحة للزراعة وهى الآن يزرع فيها القمح والبنجر والبرسيم وسائر النباتات التى تتفق والدورة الزراعية عند الفلاح الهولندى . وشقت المجارى والقنوات وبعضها من السعة بحيث يمكن السفن الكبيرة أن تمر فيه

وهذا المجهود الذى قامت به هولندا جدير بأن يفتح أعيننا . فان بحيراتنا فى شمال الدلتا مثل المنزلة والبرلس ومريوط لا يزيد العمق فى معظمها على متر ويمكن بسهولة نزح المياه منها واكتسابها للزراعة ولا قيمة لما يقال عن الفوائد التى تعود من تربية السمك فيها . فان القطر الذى يملك الغمر فى بحرين عظيمين — البحر الاحمر والبحر المتوسط — لا يفكر فى الضحاضح . وحاجتنا الى السمك لا تعالج بتخصيص بحيرات له ولكن بايجاد الخبرة والوسائل لصيده من هذين البحرين العظيمين . وربع فدان من الارض المزروعة يساوى ربع مائة فدان بل أكثر من مياه بحيراتنا . ومما يلاحظ أن الحاجز الذى اقامته هولندا للفصل بين زودرزى والبحر كلفها أربعين مليون جنيه . ولكننا لا نحتاج لمثل هذا الحاجز . فان بحيراتنا محجوزة مفصولة عن مياه البحر الا فى ثغرات صغيرة يمكن اقفالها بأقل النفقات . واذن لم يبق سوى تكاليف النزح

وازاء الزيادة المطردة فى السكان وبطء الحركة الصناعية بل ازاء التكاليف الجديدة التى يقتضيها استقلالنا يجب ان نفكر فى التوسع الزراعى ونأخذ فى الاقتداء بهولندا فى غزو البحر . ولسنا نقول هذا لاننا نستصغر من شأن الحركة الصناعية بل لاننا نستبطىء تقدمها الحاضر . وعندنا ان الحركة الصناعية لا تزيد ثروة الامة فقط بل هى الوسيلة الى تعميم الحضارة الحديثة . لان هذه الحضارة هى — بعد كل شىء — صفة المدينة والمصنع وليست صفة الريف . فاذا كان لنا حافز واحد لزيادة الزراعة وهو الحافز الاقتصادى فان لنا حافزين لزيادة الصناعة وهما الثروة والحضارة

والمتأمل لهذا القطر الغنى بمصادرة الطبيعية ، الفقير فى نشاط ابنائه يشعر بأن لاحد لزيادة ثروته الزراعية والصناعية . فاننا بعد أن ننتهى من تجفيف نصف مليون فدان من هذه البحيرات نستطيع إن نزرع بأقل مجهود هذه الصحارى المنخفضة فى شرقى الدلتا والقاهرة الى السويس . كما نستطيع ان نجد فى حديد اسوان وفى قوة المياه الساقطة فى الخزان ما يكفى لايجاد حركة صناعية تستوعب جميع المواد الخامة عندنا . ولكن كل هذا ينتظر نشاط مصر . فأين هو ؟

رجال الذهن الفنيون

منذ ظهرت الدول الديكتاتورية — روسيا ثم ايطاليا ثم المانيا — ظهرت ايضا تلك الشخصية الشاردة شخصية رجل الذهن الفار أو المطرود . وهى شخصية عرفها التاريخ ايام الانقلابات . فان المغول شتتوا أدباء بغداد ومثقفيها كما شتت الحكم الاسبانى فى القرن الخامس عشر العرب . بل كما شتت الفتح التركى للقسطنطينية سنة ١٤٥٣ الفقهاء البيزنطيين فى انحاء اوربا . وكان هذا التشتيت سببا لاحداث نهضة فى الامم التى نزل فيها الفارون او المطرودون من رجال الذهن . لأن الثقافة تضوى بالتوالد الداخلى وتقوى بالتزاوج مع العناصر الغريبة . اعتبر ذلك بثقافة العرب التى وثبت عندما امتزجت بثقافة الإغريق . واعتبر ذلك ايضا بنهضتنا الفكرية التى تعزى الى اللقاح الاوربى .

وقد طردت روسيا السوفيتية جميع رجال الذهن الذين لايؤمنون بنظرية كارل ماركس والذين لايصفقون لكل ماقام به لنين او يقوم به ستالين . ثم جاءت ايطاليا ففعلت العكس وطردت جميع الزعماء المفكرين من خصوم الفاشية وفعلت مثل ذلك المانيا وزادت بطرد اليهود

واصبحت المدن الكبرى فى اوربا وامريكا حافلة بالعلماء والادباء من المسيحيين واليهود الذين ثبتت عليهم تهمة الديمقراطية ولصقت بهم . وبديهى ان الدول الديكتاتورية لاتطرد العامة أو من لايخشى شأنهم . وانما هى طردت الخمائر أى ذوى الأذهان الناضجة الذين يؤلفون النظريات ويرسمون المثل العليا ويوجهون العقول وجهات تخالف مبادىء الدول الديكتاتورية وهم دعاة الحرية الفكرية التى لاتتفق والنظام الشيوعى أو الفاشى . ومع ان الامم الديمقراطية تشعر بالعبء الجديد الذى التى عليها بتشتيت هؤلاء الرجال واضطرارها الى ايوائهم فانها ايضا تشعر بانها ستنتفع بهم من

حيث انهم عنصر غريب يصح ان يكون لقاحا جديدا للثقافة الوطنية اذا امتزجت بها واندغم فيها. لأن الاستقلال قد ينجح فى الاقتصاديات وقد يكون اثره حميداً حين تعمل الامة على الاستغناء عن كل ماتستطيعه من الواردات الأجنبية. ولكن حتى هنا يجب الشك فى المبالغة فى هذا الاستقلال. على ان مما لا يتحمل الشك بل مما يجب توكيده ان الثقافه لايمكنها أن تعيش مستقلة

وقد انتهز الانجليز والامريكيون هذه الفرصة واستخدموا المئات من هؤلاء الفارين او المنفيين. وقد انشئت لهذه الغاية جمعية فى بريطانيا تسمى « جمعية حماية العلوم والثقافة » وقد استطاعت ان تستخدم الى الآن ٥٢٤ فى وظائف ثابتة و٣٠٦ فى وظائف غير ثابتة. ومعظم هؤلاء من الألمان المسيحيين او اليهود واكثرهم من العلماء فى الكيمياء اوالطبيعيات او الطب او الاقتصاديات ومن اغرب ماوجدته هذه الجمعية عدد كبير من المبعدين الذين اختصوا بتاريخ الفنون : وهذا التاريخ من الموضوعات التى يدرسها الالمان ولايكاد يباليها الفنانون او المؤرخون فى الأمم الديمقراطية. وقد استخدمت الجمعيـــة من هؤلاء ثلاثين الى الان سوف يكونون خميرة للتثقيف الفنى فى المستقبل. والجامعات الامريكية وكذلك جامعات بريطانيا ومستعمراتها تجد الميدان واسعا لاستخدام عدد كبير

ولكن بين هؤلاء المبعدين من كانوا يعملون فى الصحافة او الأدب. وهؤلاء قد اعتادوا اللغة التى نشأوا عليها وتعلموها ومارسوا التأليف بها. ولذلك يصعب الانتفاع بهم فى امة غريبة والجمعية تتصدق عليهم بما يعولهم كما تبحث فى الوقت نفسه عن اعمال — معظمها فى التعليم — تتفق وكفاءاتهم. وقد استطاعت هذه الجمعية ان تجمع من التبرعات مايبلغ ٩٠٠٠ جنيه تنفق منها على المعوزين العاطلين من هؤلاء اللاجئين كما تبحث لهم عن وظائف يمكنهم ان ينفعوا بها وينتفعوا

ولكن اذا كان هؤلاء المبعدين اللاجئين سيحدثون اثرا حسنا فى الامم الديمقراطية بثقافتهم الاجنبية فهل هناك من يشك فى الاثر السيء الذى يحدثه غيابهم عن روسيا والمانيا وايطاليا؟

الفن في المعمعان

اذا وجهنا أنظارنا إلى الظروف الفنية من منتصف القرن الماضى إلى نهايته وجدنا أن النظرية التى تنير تجارب الفنانين فى ذلك الحين هى نظرية « الفن للفن » وهى لم تكن إلا صدى التطور الاجتماعى العام الذى تلا انتصار حرية التجارة وإلغاء أغلب واثقل الرسوم الجركية فى العالم وأما خصائص الحاله التى نجمت عن هذا الانتصار فهى من ناحية السياسة ، الحرية النسبية المتروكة للهيئات حتى ولو هددت مبدئيا النظم القائمة ، ومن جهة الفلسفة ، نمو المذاهب التطورية التى تمثل بصورة صريحة أمزجة المجتمع المتفائلة واعتقاده فى تقدم بشرى لاحد له . ومن ناحية الفن إرضاء الفنان للفنان لكى يختار مايشاء من الموضوعات ويتخذ أى سبيل يروقه فى تكوين فنه بحيث لا يختلط فنه بالحياة الاجتماعية

وهذه النظرية المعروفة « بالفن للفن » مكنت الفنان من إصلاح وسائل فنه الداخلية ، ذلك ما أحدثته الحركة التأثيرية فى تجديد التقاليد الفنية ولكنها جعلت الفنان فى عزلة تامة عما يجرى فى الحياة العامة . والذين أطلقوا سراح الفن من أسره هم أنصار الفكرة التكعيبية Cubisme فأحدثوا تغييرا جوهريا فى بصيرة المجتمع .

ونحن نجد أن ثبات العمار الاجتماعى يعزى إلى قدرته فى توسيع المضايق الاقتصادية ويعزى أيضا إلى استمرار بعض التصورات الذهنية الاجمالية . وكذلك يمكننا أن نذكر أن الفنانين التكعيبيين باعتدأهم على المصطلحات الابصارية العامة للجميع ادخلوا الفن فى غمرة المواد الاجتماعية . ونفهم اليوم من تشكيل المدن الحديثة وأنوارها الوضاءة ومظهر عماراتها الذى جمع بين الاناقة والجفاء أن المبدأ التكعيبى قد استوى على جزء كبير من الحياة المعاصرة . ومادام إتقان الالات المتواصل قد سلك سبيلا لارضاء شهوات البشر الحقيقية فصح أن ترد حساسية الانسان ردا جديدا على عجائب الصناعة والعلم

فاذا ما انتهى القرن التاسع عشر حميت الحركة التى كانت تكون كل شىء بألوان نفسية وما إن طلع علينا القرن الجديد حتى رجع الفنانون إلى الحقائق المجسمة وأخذوا يبنون عليها تجاربهم الفنية ثم شرعوا بطبيعة تقدمهم فى معرفة المادة يقلبون جميع المدركات المنظورة القائمة على وجوه مختلفة . ومن ذلك الحين انشق الفن عن بقية المجتمع إذ تكونت له بصيرة خاصة متجهة إلى نظام مستقبل الكون بينما يتمسك المجتمع برموز الحياة الحاضرة والماضية . وكلما اشتدت الازمات الاقتصادية وازدادت الحالة خطرا فى البلدان الكبرى اتسعت رقعة الخلاف بين طليعة الفنانين والنفوذ الاجتماعى وأصبح البون بينهما شاسعا ونجد الآن أن الحكومات الأتوقراطية قد وضعت يدها على العمل الفنى وراقبته مراقبة شديدة فلم تسمح له أن يتجه اتجاها لايناسب مزاجها السياسى

وللفنان أن يختار موضوع قضيته وأن ينضم إلى مشايعيها وأن يقبل جميع عواقب موقفه هذا. والمثل الاعلى فى تحمل نتيجة فنه هو المصور الاسبانى الشهير « بابلو بيكاسو » الذى سخر عقبريته فى خدمة معتقده الجمهورى فصور بقدرة شاذة بشاعة الحرب الاسبانية فأوجدت صورته الرئيسية « جيرنيكا » دهشة وتأييدا عظيما فى العالم كله (وقد نشرتها هذه المجلة فى عدد سابق).

وفى نفس هذا الموضوع خطب الأستاذ جوبلز ونحن معه فى الرأى قائلا : فى الوقت الذى تكتب السياسة روايات الشعوب وتضنى فيه القيم القديمة وتحل محلها قيما أخرى نقول أن ليس للفنان الحق أن يقف مكتوف اليدين أمام تلك الحوادث »

نعم أن للفنان حقا بل واجبا فى رفع صوته وفى الاشتراك فى المعمعان الاجتماعى ولكننا نعتقد أن محله لا يكون إلى جانب الدكتور جوبلز وأنصاره بل هو يجب ان ينحاز إلى جانب كل شعب يجاهد فى سبيل خيره وسلمه وحريته

جورج حنين

كيف نحب القريب؟

(للدكتور مزاريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاسبق)

ليست مبادىء الاخلاق الحديثة بنت اليوم ، بل قد نشأت عن الوصية القديمة التى قالها مؤسس المسيحية : « تحب قريبك كنفسك » . فمن هو قريبي ؟ اننا نتحدث عن المثل الاعلى فى الانسانية ، وأنا أقبله وأسلم به ولكنه فى نظرى ذو معنى مزدوج : فهو أولا وقبل كل شيء المثل الاعلى للرجولة الحقة فى الانسان ذاته . وثانيا هو تقديرنا لزملائنا فى الانسانية بالمعنى الواسع الذى لا يحده جنس ولون أو دين

ومحبة الانسانية تميل ، فى سهولة ، الى أن تكون مبهمة غامضة ، تملأ خيالاتنا أكثر مما تكون حقيقه راهنة . وذلك لان المحبة ينبغى أن تتركز فى موضوعات معينة بالذات . وليس يستطيع الانسان أن يحب جميع الناس على قدم المساواة . فاننا نختار ، ولا عيب فى هذا ، من يكونون موضع حبنا ، ولا بد ان يكون لمحبتنا هدف معين تتجه اليه .

وطبيعى أن تشمل محبتنا أولا الاقربين الينا فالاب والام والاخ والاخت والزوجة والولد — هؤلاء اقرباء لنا . ولعلنا لا ندرك الى أى حد نقدر أن نعين ونعمل فى هذه الدائرة الضيقة التى نحب أفرادها . فما علاقتك بالاقربين اليك ؟ ما أقل معرفتنا بهم أحيانا . وما أقل محبتنا لهم فى الواقع . وهذه حقيقة قد تصدمنا حين تتكشف لنا فكيف نحب من لا نعرفهم الا قليلا . ان أولادنا هم أقرب الناس الينا . وقد قيل « أكرم أباك وأمك » ومن الضرورى ان تضيف الى هذه الوصية « اكرم نفس ولدك . فكر فى الاجيال الآتية ! لتكن محبتك متبادلة » .

كذلك قريبة المرء هى زوجته ، كما ان قريب الزوجة هو بعلها . وهذه العلاقة الوثيقة بين الاثنين تتطلب الولاء والاخلاص فى الحياة اليومية . والزوجة مساوية تماما للزوج ، وليس ثمة الا فارق جسمانى لا معدى عن الاعتراف به ، وهو أن المرأة أضعف .

واذا كانت محبة الانسانية جمعاء فكرة غامضة مبهمة ، أفتكون أكثر ايضاحاً وأقرب الى الدقة فى التعبير اذا قصرنا المعنى على الامة أليست فكرة الامة ؟ أليست فكرة الامة مبهمة وغامضة أيضاً ! انها أقل فى التعميم من الانسانية ، لاشك فى ذلك . ولكن فكرة الوطنية والقومية مبهمة غامضة فى نظر الكثرة من الناس ؛ وشأنها شأن الانسانية سواء بسواء . وكم من أكاذيب وضلالات أدخلت علينا باسم الوطنية كما أدخلت علينا باسم الانسانية

والمحبة والانسانية ينبغى ان تكونا ايجابيتين . والناس احيانا يحسبون كراهتهم لامة أخرى كأنها حب لامتهم وشعبهم . وانه لاسمى وأرقى ألا نحمل ضغينة ولا كرها ، وان نحب محبة ايجابية . ولست أريد هنا مناقشة الفكرة التى تزعم أن الانسان مستطيع أن يحب امة غريبة كما يحب امته ، فهذا يبدولى على أى حال غير طبيعى . ولكن اذا أحببنا امتنا ، واسرتنا ، وحزبنا ، محبة ايجابية ، دون ان يشوبها شىء من روح الكراهة والحقد نحو الآخرين ، فانه ينفتح امامنا عالم اخلاقى جديد

وينبغى ان تكون المحبة عاملة نافذة فعالة ، أى أن نعمل شيئا لاجل القريب . على أن الهياج والجلبة والصخب ليست عملا ، فالعامل هو الذى يكون هادئا شاعرا بمسئوليته . عالما الهدف الذى يرمى اليه . والناس فى هذا العصر يمتدحون العمل فى كل مكان ، ولكن يفوتهم أن الانسان قد يعمل وهو فى حالة الجمود وعدم الحركة . ولقد قال ملتون الشاعر الانكليزى : انهم أيضاً يخدمون ، الذين يقفون وينتظرون » ولا ندحة لنا عن مراقبة الحوادث وتحين الفرص ، فالعمل ليس المثل الاعلى ، ولا الغرض النهائى ، انما هو وسيلة فقط

والذى نسميه عملا هو عادة بعض الواجبات الحقيرة الصغرى التى نستنكف أداءها . وكلنا « رومانتيكيون » الى حد ما . نريد ان نكون ابطالا نتميز بعظائم الأعمال ، ونحب المغامرات والاشياء البارزة . ولكن كم من القواد والابطال ، وكم من أتيحت لهم الفرصة للقيام بعظائم الاعمال الباهرة ؟ نريد كلنا ان نكون زعماء ولابد أن يكون بيننا زعماء ، والزعيم ليس السيد المتسلط الآمر الناهى . ان الزعيم الصالح هو الذى يعرف كيف يخدم ويضحى . وبين الناس قليلون من أتيحت لهم الفرصة أن يضحوا بحياتهم . ومع ذلك فاننا كلنا نصور لانفسنا المواقف التى نرضى فيها بذل حياتنا انتصاراً لقضية . وما هذه كلها الا اوهام وخيالات وأقوال . فالذى تتطلبه منا الانسانية ، واسرتنا ، وحزبنا ، وزملاؤنا ، هو العمل المنتج الهادىء

ايران الجديدة

امة حيــة يرشدها ملك عظيم

بقلم الاستاذ عبد المنعم حسن

اذا كان للهر هتلر ان يفخر بدمه الآرى ، فان لكتشل بهلوى — الشخصية الرمزية لايران — ان يزهو بآريته العتيدة ، فليست كلمة ايران الا مرادفا ، بل اصلا للكلمة الاوربية « آرى »

والايرانى اليوم اذ يضع على رأسه القبعة ويأخذ بآخر مظاهر المدنية لاتفرقه عن احدث الامم الاوربيــة وارقاها . ولا اود الكلام عن ايران القـديمة ومجـدها ، فذلك معروف ، موجود فى الكتب ، ولكننى اود التحدث عن ايران الحديثة ، مستندا الى مشاهـداتى الشخصية واحاديثى مع كبار رجالها وفضليات سيداتها ...

اثرت الحرب الكبرى فى النفسيــة الايرانيــة اكبر تأثير اذ عانت ايران اعواما طويلة من من الفوضى عقب تلك الحرب ، وكانت حـدودها مسرحا للعصابات الاجنبية ، وارضها رزقا مباحا للجنسيات المتباينة ، وضعفت حكومة ذلك العهد حتى اقتصر حـكم الشاه احمـد على طهران ، فزاد النفوذ الاجنبي حتى كانت سنة ١٩٢١ وظهر الرجل العظيم شاه احمد بهلوى ، وهو ضابط ايرانى ولد فى مازانيدان سنة ١٨٧٨ ، فأخذ يناضل لانقاذ وطنه بقيادة الجنود الذين ظلوا مخلصين له ، فاجلى الروس بعيـدا عن المنطقة التى كانوا يحتلونها ثم دخـل طهران فى ٢٢ فبراير سنـة ١٩٢١ . وكان شعب ايران يرى هذه التطورات ويرقب نتائجها وهو ساكن ، هادىء يقظ كعادته .

وعين رضا خان وزيرا للحربية فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١ ثم رئيسا لمجلس الوزار فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٣ . وفى هـذا اليوم نفسه رحل احمـد شاه الى أوربا ، وانقضت الايام فى اصلاح وجهود جبارة ليس من السهل أن أرويهـا فى هذا الحديث العـاجل ، حتى كانت نهاية سنة ١٩٢٥ فاذا

بالشاه احمد يعلن عودته من أوربا ، ولكن الشعب الايرانى كان يتظاهر فى الشوارع متسائلا عن هذا الشاه الغائب ، فبلغته الانبـاء فى يوم ٢٣ سبتمبر ، وكان مقرراً العودة فى يوم ٢٥ ، فعـدل وبقى حيث كان . واجتمع البرلمان فى ٢٩ اكتوبر ووقف « نائب شاب » صار فيما بعد من رجال الدولة هو السيد دفار فاقترح خلع أسره كاجار من العرش واسناد الحـكم إلى رضا خان . وانصرف النواب على ان يتشاوروا فى هـذا الامر ثم عادوا الى الاجتماع بعـد يومين فاقترعوا على خلع كاجار وتأليف حكومة مؤقتة . وعين رضا خان وصيا بدلا من شقيق الشاه احمد الذى نفى



صاحب الجلالة رضا بهلوى شاه

واجريت انتخابات جديدة لعقد اجتماع برلمان مكون من ٢٨٠ عضو. ثم اجتمع النواب فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ واقترعوا بالاجماع على اعطاء العرش للامبراطور الحالى الذى تولى العرش يوم ١٧ ديسمبر

وفى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٦ احتفل فى قصر جولستان بتتويج الامبراطور، فوضع رئيس الوزارة التاج الامبراطورى على رأس رضا شاه

هذا هو تاريخ ايران الحديثة فى كلمات، فما هو دور رضا شاه بهلوى فى النهضة الحديثة بعد أن تربع على عرش ايران؟

انى أحيلك على ما قاله الامبراطور نفسه إذ صرح لعالم فرنسى جليل كان يقوم بتحقيق علمى، فى آسيا المسلمة فقد قال له «ان جهود حكومتى موجهة كلها لجعل ايران بلداً صناعيا وبناء سياستها الاقتصادية على أسس صناعية وقد بذلنا جهوداً كثيرة وسنبذل جهوداً أكثر منها لسعادة الشعب الايرانى ورقيه. من ذلك اننا نفكر فى اعطاء الزراع مساحات كبيرة من الارض. لقد كنت أفكر فى انه لابد من تغيير أساس الحكم، فأردت أن أقيم فى ايران جمهورية، ولكن الجمهورية للايرانيين ليست الا البولشفية، أو شيئا يقرب من ذلك، وذلك مالا يريدونه، ولذلك انتهى بى التفكير الى أن اقبل عرش ايران»

هذه هى سياسة رضا بهلوى، ولقد اكتسب إعجاب الدول، فخطبت وده

ووجه الامبراطور عنايته الى الصناعة. فمد الخطوط الحديدية، وبدأ بالخط الكبير الذى أوصل قزوين بالخليج الفارسى، ثم خط تبريز — تريبيزوند

وهبط النفوذ الخارجى وزال. ففى سنة ١٩١٩ كانت الجيوش الروسية تحتل تركستان وجزء من القوقاز، وفى سنة ١٩١٠ وصلوا الى انزيلى، فى ايران، وأزاحوا الانجليز، وكانت لهم من ذلك مآرب، ولكن معاهدة سنة ١٩٢١ وضعت حداً لكل هذه المشاغبات

وكون رضا خان فرقا من الجندرمة. وألغى النظام القديم وحمل على العصابات والقبائل المشاغبة وانتشر رجال الجندرمة على الحدود فوطدوا الامن فيها، فليست هناك اية عصابة، بل هى آمنة كالعواصم الكبيرة وهذا اصلاح له شأنه، فقد كانت هذه الحدود غير آمنة، بل ان بعض البلاد الايرانية كانت خطرا على الامن بعد غروب الشمس

وزيدت على الجندرمة طوائف كبيرة من البوليس .. وفرضت نظم شديدة وضعت كل شيء في نصابه

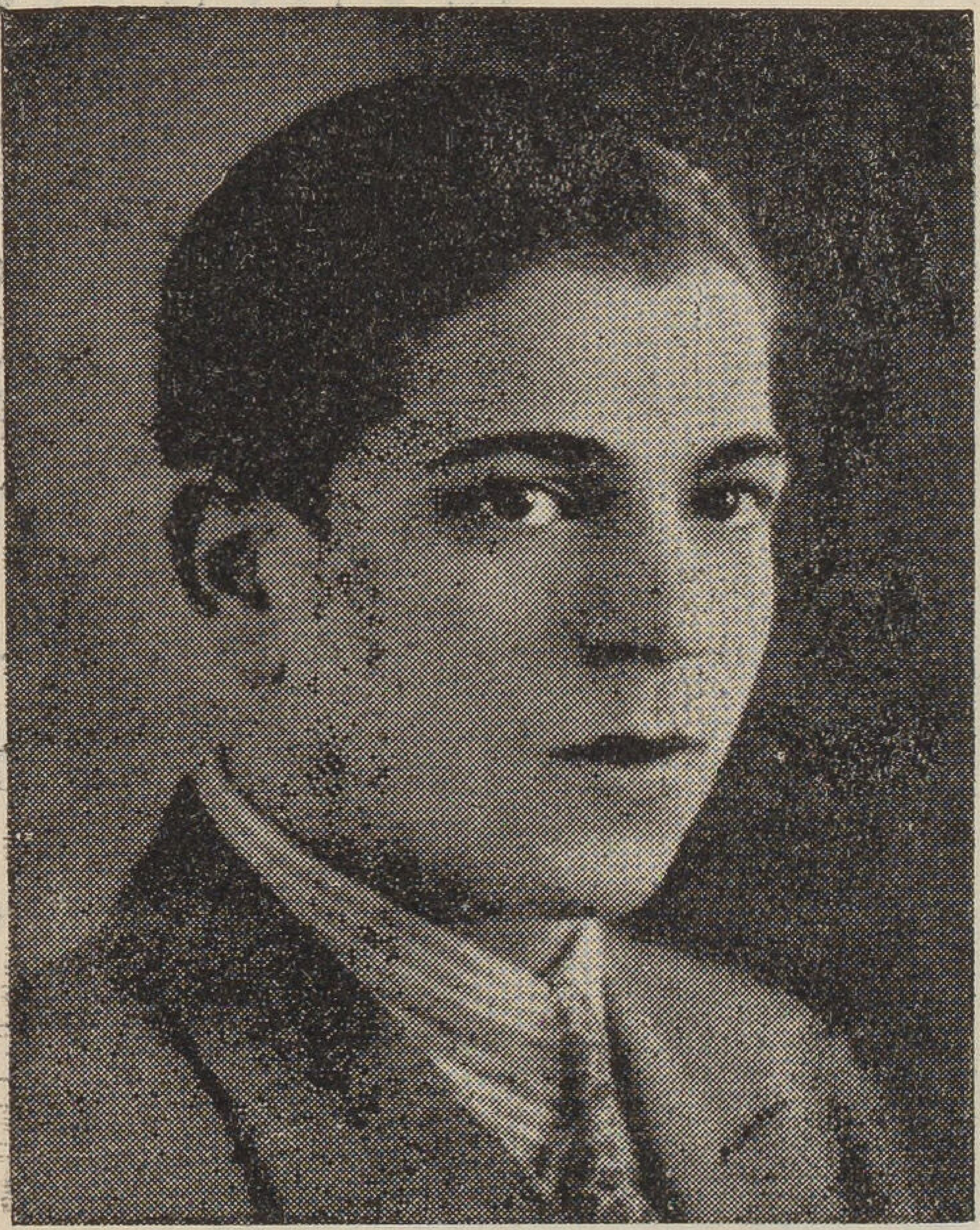
وقد قل عدد الجرائم التى أصبحت نادرة فى ايران .

أما الجيش فقد أدخل عليه رضا بهلوى اصلاحات جمة وهو من اصل عسكرى ، فهو يتعهده دائما بعنايته ونصائحه .

وقد استقدم بعثة عسكرية من فرنسا فنظمت المدرسة الحربية . ولو انك راجعت ميزانية ايران لوجدت الدفاع الوطنى يستولى على ربعها . وهذه الاستحكامات كافية لحماية ايران من أى اعتداء أجنبي ؛ ونرجو أن لاتضطر ايران الى ذلك ، وأن تظل على صفاء دائم وسلام تام مع الدول الاخرى

وبخاصة تركيا والعراق وافغانستان وقد ابرمت معهن معاهدات للصداقة .

اما الامتيازات الاجنبيه فقد الغيت بجرة قلم ، كما فسخ العقد المبرم مع شركة الانجلو برشيان للبترول



الاستاذ عبد المنعم حسن

نظام الحكم

ونظم الشاه حكومته ، التى تتكون من ثمانية وزراء ورئيس الوزارة وثلاثة وكلاء للوزارات ، وهو يشرف على اعمالهم ويوجه سياسة الدولة بنفسه

أما البرلمان الايرانى فعدد أعضائه ١٣٦ نائب يشترك فى انتخابهم كل ايرانى بالغ الحادية والعشرين (ولا يشترك فى الانتخاب رجال العسكرية والقضاء) ويشترط فيمن يرشح نفسه

للانتخاب أن يكون بالغا الثلاثين والا تزيد سنه على ٧٠ عاما وألا يكون من السلك العسكرى أو من كبار الموظفين المدنيين أو القضائيين ولليهود نائب واحد يمثلهم وكذلك للارمن نائبان ومدة النيابة عامان ويجوز اعادة انتخابهم إلا اذا تجاوزوا السبعين عاما ، وليس فى ايران أحزاب سياسية، ولا معارضة

واذا كان اهتمام الشاه موجها إلى الصناعة فليس معنى ذلك أن الزراعة مهملة فقد وزعت على المزارعين قطع من الارض واعطوا البذور والآلات. وتشجع الحكومة زراعة القطن والطباق وغيرهما

وتقدمت الصناعة الايرانية بحيث أصبحت منتجات ايران تكفيها مؤونة الطلبات الخارجية فأموالها تتداول فى داخلها . ونظمت شركات مساهمة كثيرة واستقدم خبراء أجانب للصناعات المهمة مثل الغزل والاسمنت والمصانع الكهربائية ومصانع السكر والنسيج . وهناك مشروع ضخم للصناعات المعدنية

وكان لابد لهذه النهضة الصناعية والتجارية من مواصلات منتظمة . فمد الشاه خطا حديديا بين قزوين وخليج العجم ويجرى العمل لمد خط حديدى بين طهران وتبريز

وقد رأى الشاه أن يعمل على اعداد الفنيين الاجانب فى أقرب وقت فارسل بعثات الى أوربا وعاد كثيرون ممن أوفدوا وكلفوا جسام الاعمال وأصدر الشاه أوامره بتعميم التعليم وجعله الزاميا ، فأنشئت فى كل المدن الايرانية مدارس ابتدائية وثانوية والتعليم العالى فى ايران يشمل الحقوق والطب والآداب والعلوم والهندسة والصناعات وكل الاساتذة فى هذه الكليات من الايرانيين عدا بعض الاساتذة الألمان واثنين من الفرنسيين

وتعمل الاكاديمية الايرانية الان على اعداد قاموس جديد للغة الايرانية بعد إخراج الكلمات الاجنبية الدخيلة على اللغة

تغيير الزى

وأخذ الشاه بروح العصر فقضى على الزى أو الازياء القديمة للرجال والنساء ، وأصبح الرجال يلبسون البذلة الافرنجية والقبعة والنساء يخرجن سافرات فى أزياء عصرية وعم ذلك كل بلاد ايران فلاترى فيها اليوم سيدة محجبة أو زيا غير الزى الاوربى

منع الزواج بأكثر من واحدة

وأصلح القضاء ، فعدلت القوانين المدنيـة ، وأعطيت المرأة حقوق الرجل ، وهى تتمتع اليوم بمركزها فى البيت كما أن لها دورها فى المجتمع.

ولم ينس الشاه الاصلاح الاجتماعى ، فمنع تعدد الزوجات . وهكذا أظهر جـلالته حزما وعملا سريعا . فحطم كل العقبات التى كان يخشى أن تعترض نجاح برنامجه الاصلاحى العظيم . وبث روح العمل فانشأ المصانع ومد السكك الحديدية و نظم الامن العام

وأثبت رضا شاه للعالم أن بلاده ليست متحفا للاثار القديمة ،ولـكن فى وسعها أن تعمل و تجارى العالم الغربى فى تقدمه وقد فعلت.

وليست إيران بالدولة المنعزلة عن العالم كما قد يتوهم البعض . فبينها و بين باريس ٧٠٠٠ كيلومتر وفى الاستطاعة الذهاب اليها بالطرق التاليـة : بالطائرة من باريس إلى بغداد ثم بالسيارة من بغـداد الى طهران وتستغرق هذه الرحلة من خمسة إلى ستة أيام .

وبالسكك الحديدية عن طريق روسيا ؛ أى من باريس إلى با كو عن طريق برلين ، فرصوفيا شبتونكا ، كييف (ومدة هذه السفرة خمسة أيام) ثم بالباخرة الروسيـة من با كو إلى بهلوى فى يوم واحد وبعد ذلك بالسيارة من بهلوى إلى طهران فى يوم واحد

وهناك طريق « اكسبريس الشرق » من باريس إلى استـانبول فى ثلاثة أيام ، ومنها الى تل كوتشك ومن طريق انقرة فى ثلاثة أيام ثم . ارة إلى الموصل كيركون بالسيارة فى يوم واحـد ثم بالقطار الى خانيكان فى ١٢ ساعـة ويلى ذ. ـ سفرة يومين بالسيارة من خانيـكان إلى كرمان شاه وحمدان ثم طهران . أى عشرة أيام وهذا طريق أطول من الطريقين الاولين

وهناك طريق بحرى من مرسيليا إلى بيروت ثم يقطع المسافر صحراء سوريا بالسيارة إلى بغداد وهناك سيارات دورية مريحة بها أسرة للنوم ومطعم وتقطع المسافة فى ٣٠ ساعة وموعدها مرتان فى الاسبوع ويلى ذلك السفر من بغداد إلى طهران بسيارات منتظمة فى يومين وهذا الخط هو احتكار للحكومة الايرانية

اما الطريق من مصر الى ايران فعدة خطوط . فأما السفر بالطيـارة إلى فلسطين وتبلغها فى ثلاث

ساعات وخمس وعشرين دقيقة ، وتقدم شركة مصر للطيران خطا يوميا من مطار الماظه إلى حيفا ومنها بسيارة الشركة إلى داخل المدينة فى ٢٥ دقيقة . ثم بالسيارة إلى بيروت فى ثلاث ساعات ويستغرق طريق البحر من الاسكندرية إلى بيروت، يوما واحدا فى الباخرة. ثم يقطع المسافر صحراء سوريا إلى بغدادثم بالسيارة إلى طهران كما قدمنا

وقد أصبح السفر من الهند إلى ايران متيسرا الآن فهناك خط جوى بين كراتشى وبغداد ثم السكك الحديدية والسيارات

ولعل من الظريف أن نقارن مواصلات ايران اليوم بما كانت عليه فى الماضى ، فقد أسس أول خط حديدى فى ايران أيام حكم ناصر الدين شاه . وكان طول هذا الخط تسعة كيلو مترات ويصل طهران بالشاه عبد العظيم

وقد قامت مشروعات كثيرة لانشاء خطوط حديدية كبيرة لتصل ايران بالخطوط الدولية ، ولكن هذه المشروعات ظلت راقدة حتى اتى رضا شاه بهلوى فنفذها دون أن يعتمد أى قرض من الخارج خصص لها دخل احتكار الشاى والسكر ودخل البترول الذى تستغله الشركة الانجليزية الايرانية . وجزىء المشروع على اجزاء طرح جزء فى مناقصة عالمية فاشتركت فى انشائه شركات من كل الدول . ويبدأ هذا الخط من بندر شاه وهى ميناء قزوين الشرقية وينتهى عند بندر شاهبور على الخليج الفارسى .ويبلغ طوله ١٤٣٥ كيلو متر . ويتخذ من سلستين هائلتين من سلاسل الجبال هى البوز فى الشمال وزاجروز فى الجنوب ويبلغ ارتفاعه عن مروزه بالسلسلة الاولى ٢١١٢ مترا ويمتاز ١٠٨ ! قنطر

التجديد فى المجتمع الايرانى

واذا كان لكتشيل بهلوى ان يزهو بخلود شخصيته فان كاجى بابا (رمز اصفهان) ان يفخر القوميته ـ فقد تغير كل شىء فى طهران واصفهان وكل مدن ايران ، تغير الزى وتبدل طراز البناء وحلت المقاهى الموسيقية محل مقاهى الشاى القديمة ، ولكن شيئا واحدا بقى فى ايران الجديدة هو الروح الايرانية ، واللغة الايرانية ، وكل ماهو ايرانى الاصل ـ اما الزى ، واما طراز البناء، واما الكهرباء والطيارة ، فكل هذه من أساليب العصر فلاضير ان يتبعها الانسان، بل ان فى اتباعها تأثيرا

كبيرا على تفكيره وتقدمه ، وانما العيب هو فى التخلى عن الروح القومية والتمسك بقشور بالية من العتيق . فما كان الزى فى يوم ماعنوانا لبلد او مفخرة لأمه .

ان ايران الحديثة لتغالى فى التمسك بقوميتها ولغتها . حتى انك لاتسمع لهجة اجنبية فى شوارعها ، وقد بلغ من الرغبة فى المحافظة على اللغة الايرانية ان خذفت منها الكلمات العربية واستبدلت بكلمات ايرانية .

وإنى لأرسم للقارىء فى هذا المقال صورة لطهران الحديثة ومافيها من آثار وكنوز ليتبين مقدار ماوصل اليه القوم من مدنيه مع المحافظة الشديدة على قوميتهم

تقع طهران عاصمة إيران على ارتفاع ١١٣٢ مترا على سفح جبل البورز وشمالى الصحراء . وهى تبدو من الجو على بعد كبير كأنها واحة خضراء

ولم تكن طهران فى الايام الخاليه إلا قرية صغيرة من ضواحى راجى أوبرئى فلما قضى المغول على معالم هذه المدينة سنة ١٢٢٠ اتسعت طهران وازدادت أهميتها لما بدأ الشاه عباس يعنى بأمرها وينشىء فيها الحدائق الكبيرة ثم جاء كريم خان فبنى فيها المبانى الحكومية

ولما ولى أغا محمد أول ملوك أسرة كاجار سنة ١٧٨٧ جعل طهران عاصمة لايران وقد بلغ سكانها ٧٠٠٠٠ نفس فى نهاية القرن الثامن عشر

وفى سنه ١٨٧٠ وسع ناصر الدين شاه العاصمة الجديدة وأحاطها بالقلاع . وبنى أبوابا هائلة مزخرفة أبدع زخرفة

وقد انهارت هذه الابواب تحت معاول التجديد فى الايام الأخيرة . وأسس فى عهد ذلك الملك جامع « سيبا هسلار » الذى حول الآن الى كلية للدين . وبنى بيت الوزير نظام الملك الذى يعد من أفخم المبانى الايرانية . وقد حول الآن الى مطعم اسمه « لوجانته » وله شهرة كبيرة فى تقديم أطباق « البولو » أى أكلة الرز الوطنية ، ولهذا البيت أو المطعم حديقة غناء وسطها حوض كبير وفى صالونه نقوش بديعة تمثل بحجم طبيعى شاه ايران جالساً على العرش يرأس اجتماع ممثلى الدول الاجنبية الممثلة فى بلاط طهران

ومن آثار طهران البارزة القصر الملكى القديم لاسرة « كاجار » وقصر جولستان وحديقة

أزهار . وقد بنى القصر منذ اكثر من قرن ويحيط به برجان مربعان مغطيان بالقيشانى الوردى والازرق . وهو مغلق الآن لايستعمله الشاه الحالى . ولابد لزيارته من إذن خاص من البلاط الامبراطورى ومن البوليس

صور من العاصمة

ويكشف داخل القصر عن عجائب تاخذ بالبصر . وبخاصة قاعة العرش ، فهى مرصوفة بالقيشانى الوردى والازرق . ومغطاة بالسجاد القديم ، واكثره من الحرير ، فهو يكون مجموعة نادرة فى العالم مازالت حية الألوان والرونق

وتمتد على طول الجدران دواليب زجاجية تحوى كنوزاً ثمينة بينها الحلى الذهبية القديمة والاحجار النفيسة والآثار النادرة التى كان يتلقاها ملوك الفرس من الملوك الاجانب

وفى نهاية القاعة يقع عرش المغول القديم تحت سقف مذهب ومطعم بالاحجار وقطع الزجاج العاكس ويعد هذا العرش من أندر آثار الدنيا كلها : وله ثمانى درجات من الذهب الخالص . وفروع من الذهب . وأوراق من المرمر وأزهار صناعية من أنفس الاحجار الكريمة . ويمثل هذا العرش ثعبانا كبيراً زينت أجزاؤه بالاحجار الملونة وزين ذيله الفخم بأحجار حمراء تعلوها شمس صناعية من الجوهر ويجد الزائر أمام هذا العرش الاثرى عرشا آخر ، على شكل مقعد كبير لايقل عن الأول روعة وفخامة

وفى قاعة أخرى عرش ثالث من الرخام وهو عرش كريم خان ملك زند شيراز . ويقوم على دعامات نقشت عليها وجوه نسوية غريبة وأسود صغيرة

ويعد ميدان سيبا ، وسط طهران . وترجمة اسمه بالعربية « ميدان المدافع » وهو ميدان مثلث طوله ١٠٠ متر وعرضه ٢٥٠ مترا وتحيط به دور الوزارات ومبانى الحكومة والبنك الامبراطورى لايران ويمكن تقسيم العاصمه الى قسمين يختلفان كل الاختلاف . ففى الجنوب تقع المدينة القديمة باسواقها ، وفى الشمال تقوم المدينة الجديدة التى تتسع وتكبر بسرعة كبيرة فان الشاه الحالى يسير فى تنفيذ صلاحاته مسرعا

وفى طهران الشمالية تجد الشوارع الكبيرة المرتبة على احدث النظم . وقد عممت الاضاءة الكهربائية حتى فى الازقة كما عمم التليفون الاتوماتيكى

ومن بين الشوارع الهامة ، شارع سيبا ، والشارع الملكى (كايبان — اى شاه) وشارع الاليزار وبها المحال التجارية الكبيرة وهناك محال تجارية تملكها البلدية لبيع الصناعات التي تحتكرها الحكومة وبخاصة صناعة النسيج . وقد بنيت المبانى الحكومية الكبيرة وفق طرازين اساسيين . طراز من الاسمنت المسلح وعليه غطاء من الآجر الفاتح اللون . وطراز فيه روح العمارة القديمة

اما المنازل الخاصة فتبنى عادة من الآجر الفاتح اللون على انه مازالت فى طهران مساكن جميلة على الطراز الايرانى القديم ، سميكة الجدران ، دافئة فى الشتاء ، طلقة الهواء فى الصيف ، تحيط بها الحدائق العالية الاسوار

وفى العاصمة عدد كبير من الفنادق والمسارح والمقاهى ذات فرق الموسيقى ودور السينما الناطقة ، والسينما التهذيبية وتخضع الافلام لرقابة حكومية شديدة . وفى ايران ٤٦ صحيفة و ٣١ مجلة

وتخترق العاصمة سيارات « الاتوبيس » والعربات ذات الخيول والسيارات الامريكية وعربات الماء النظيف الذى يباع على الابواب إذ أن مشروع الميـــاه الصالحة للشرب ومشروع المجارى لم ينفذا بعد .

وأهم مايلفت نظر السائح المتجول فى طهران ، ولاسيما إذا كان هذا السائح مصريا ، هو أن كل الأسماء والدلالات المكتوبة على المحال التجارية هى باللغة الايرانية ، حتى لو كانت اوربية ، وهذا إجراء اجبارى فاستعمال للغات الاجنبيه محرم حتى فى اعلانات السينما . واذا كتب أوربى الى أية مصلحة حكومية له علاقة بها بالفرنسية أو الانجليزية تلقى الرد بالايرانية .

والمعيشة غالية نوعا فى طهران وبخاصة أجور السكن . وقد درس بنك « ملى ايران » هذه المشكلة وهو يطبع نشرة باسعار الحاجيات . ولكن ماكان ثمنه مائة منذ عامين أصبح اليوم يباع بمائة و خمسين . و يتغير سعر قطع ، وكل هذا راجع الى زيادة العمران فى ايران الحديثة الناهضة

أما المدينة القديمة فى طهران فمازالت محتفظة بشرقيتها ، وبها بيوت جميلة ، وأسواقها عامرة الحياة ، وأقوامها يشربون الشاى فى مقاه كبيرة

لكن معاول الهدم تمشى الى هذه المدينة الاثريه لتقيم محلها مدينة جديدة ، هى روح العصر ، ورمز التقدم والنجاح

البيت والاسرة

ترسيم لكتاب مضمر

رقى الاجتماع المصرى . وحضارة الامة المصرية . وسعادتنا وقوتنا وثقافتنا ومستقبلنا — كل ذلك يتوقف على شيئين: أولهما معالجة الحرمان الذى يعانيه تسعة أعشار الأمة برفع المستوى الأقتصادى للفلاحين والعمال والوسائل لذلك كثيرة متعددة . والثانى هو تنظيم الأسرة والبيت وهذا موضوعنا الحاضر

وقد كانت النية ان نقتصر على مقال أو مقالين فى هذا الموضوع . ولكن ماهو ان بدأنا فيه حتى تشعب وبرزت تفاصيله واتضحت خطورة بعض نواحيه . ولذلك أرى أن أضع هذا الترسيم التالى لكتاب يمكن أن يؤلف بالفصول الآتية :

١ — ففى أول فصل يجب أن نبين ان من أسمى غايات الطبيعة تأسيس الأسرة واننا حين نرجع الى أبعد الاطوار نجد ان السمك قد عرف الأسرة التى كانت بعد ذلك وسيلة الى نشوء كثير من الصفات الاخلاقية العالية فى الحيوان . ثم كان الاجتماع فى الانسان فكان التطور أيضاً يسير نحو تأسيس الاسرة . حتى ليمكن ان يقال ان الاسرة الراقية هى عنوان الجماعة او الامة الراقية . والمكان الاول للحب والرحمة والتعاون والتضحية هو الاسرة سواء فى الحيوان والانسان

٢ — ثم نشرح الفرق العظيم بين الحيوان الذى لايعرف الأسرة . وهو يعيش منفردا وأحيانا لايعرف حتى الانثى التى يلقحها وبين الحيوان الذى عرف الاسرة . ففى الحال الثانية نجد الاخلاق التى تؤدى الى الفضائل . ونجد التعاون

أما عند الأول فنجد التنازع . والاسرة هى أساس الاجتماع فى الانسان . وهى بهذه المثابة أساس

الذكاء فما فينا من كفايات أو اخلاق إنما يرجع فى النهاية الى الاسرة التى جعلت الاجتماع ممكنا . وانحلال الاسرة فى الانسان يؤدى الى انحلال الاخلاق فى أفراد هذه الاسرة

٣ — بعد ذلك نبحث عن السعادة ولسنا نقول انها الغاية الوحيدة للانسان ولكن نقول انها واحدة من أسمى غاياته . وان الاجتماع الحسن يجب ان ينشدها لجميع أفراده ويوفرها . والانسان فى صميم كيانه حيوان إذا كفل له المأوى والطعام والانثى صار سعيدا . وقد تكون هذه السعادة بدائية غشيمة . ولكنها حقيقية

وهى تكفل اطمئنان الفرد وسكونه الى الاجتماع المحيط . وهذه الاشياء الثلاثة — المأوى والطعام والانثى — لاتتوافر الا بالاسرة . ولا ترقى الا فى الاسرة الراقية . والاجرام بعيد مع توفير هذه الشروط

٤ — ثم نبحث بعد ذلك الوسط السيء الذى يعيش فيه الصبى المحروم من الاسرة أو الذى يعيش فى أسرة مفككة . قد مات أبواه . أوقد انفصل كل منهما من الاخر أو قد ارتبط أحدهما برباط خارجى . فان مثل هذا الصبى تتشتت عواطفه وهو لا يجد من الحب والعناية فى البيت المقدار الذى يربطه به ويجعله يحفل بحرمة البيت ويستحى من ارتكاب الجريمة أو الرذيلة

٥ — وهنا يجب أن نشرح قيمة الاسرة فى الاخلاق . فان الاسلوب السلوكى أو الاخلاقى الذى ينشأ عليه الطفل فى السنوات الاربع أو الخمس الاولى من عمره يثبت فيه ويعتاده سائر حياته حتى ولو بلغ السبعين . فيجب أن يلقى فى البيت حبا ومعونة . وتعليما وعناية حتى ينشأ وهو يعامل الهيئة الاجتماعية ويحبها كما عامل أفراد أسرته وأحبهم لانهم أحبوه

٦ — يجب ان نشرح الظروف التى تعيش فيها الاسرة المصرية ونقابل بين هذه الظروف ومايقابلها عند الامم الاخرى . وهذه الظروف اقتصادية وثقافية .

٧ — بعد ذلك يجب أن نرصد فصلا للحماة التى تشقى مئات بل الوفا من الاسرة هذه العجوز التى تتسلط على البيت ولاتطيق رؤية منافسة جديدة تقاسمها حب ابنها

٨ — يجب أن نبحث المضارة فى مصر واثرها فى افراد الاسرة وخاصة فى الاطفال

٩ — ثم نبحث بعد ذلك هذه العادة الفاشية فى بعض الطبقات بيننا وهى حفلة الزار . ومغزى هذه الحفلة من الناحية السيكلوجية و كيف نفسر بهذه الحفلة علل الاجتماع المصرى الحاضر

١٠ — ثم يجب ان نعرض لقوانين الزواج والطلاق فى مصر والامم الأخرى وقيمتها فى التأصيل البشرى

١١ — بعد ذلك يجب أن نعقد فصلا للتمييز بين حق الزواج وحق التناسل . وهذا التمييز قد جرت عليه بعض الامم وخاصة الفاشية

١٢ — وقد يرى البعض أن نتفكه بذكر تلك العادة التى فشت بين اسلافنا الفراعنة وهى زواج الأخت . وقيمة هذا الزواج من الناحية اليوجنية أو الاجتماعية عند الفراعنة

١٣ — وهنا نرى من الضرورى أن نبين قيمة الاسم للاسرة . هذا الاسم الذى حتمت تركيا على ابنائها اتخاذه . فان للاسم قيمة كبيرة فى تاريخ الاسرة وزيادة كرامتها ومايجر فى أثره من التبعات التى تعود بالفائدة العظمى للاسرة وللامة

١٤ — وكل ماسبق انما يختص بالاسرة ولكن البيت هو الصدفة التى يعيش فيها أعضاؤها فيجب أن يلقى من العناية والرعاية بعض ماتلقى الاسرة . ويجب أن يكون للبيت حرمة فيحاط بالحماية حتى لايباع ولايحجز عليه للبيع ولاينقل لغير ورا ثه . وإذا كان اسم الاسرة سيعيش مئات السنين فيجب أن يعيش البيت مثل هذا العمر

١٥ — وهنا يجب ان نقارن بين الاسرة والبيت . فكل اسرة بمثابة السلالة المنفصلة بعض الشىء من الامة ونحن حين نذكر الاسرة نتخيلها كما هى الان فى هذا العام . ولكن الاسرة بعد أن نحوطها بالشروط التى ذكرنا ستمتد إلى الف أو الوف الاعوام . لها اسم ولها بيت لاينفصل من الاسم . ولها تاريخ ولها صور وتماثيل فى هذا البيت وذكريات تحرض على المجد والشرف والسمو البشرى

١٦ — ولنا هنا كلام عن اثاث البيت كيف يكون فى هذه الاسرة . فان البيت هنا يجب أن يكون متحفا لايدخله شىء الا وعليه طابع المتانة ومن اعلى الاطرزه لانه ليس بيتا يتغير عاما بعد اخر يؤجر او يستأجر . ولا هو بيت هذا العام ولا هذا القرن بل هو بيت يرافق الاسرة فى تاريخها الماضى

والحاضر والمستقبل ولذلك لايمكن ان نتهاون فيما يدخله من اثاث،

١٧ — ولكننا إلى الآن لم نتحدث عن المرأة ومقامها فى هذه الاسرة وحقوقها فى هذا البيت - ولكن ليس شك ان المرأة هى سيدة هذا البيت لها حقوق السيادة وعليها واجباتها. فكيف تكون مثل هذه المرأة؟

***

هذا هو الترسيم لكتاب نتوخى أن يؤلف عن الاسرة والبيت .

وقد يقال هنا اننا قد خرجنا فى هذا الترسيم عن المقترحات العملية التى يمكن الأخذ بها فى مصر وتجاوزناها الى خيال يبعد تحقيقه - ولكن الاختبار يدل على أن الغاية البعيدة التى ترسم المثل الاعلى هى التى تبعث على العمل المفيد . إذ لابد من الطموح والتشوف إلى المستقبل ويجب أن نعلق اصلاحاتنا بابعد غاية وأن لم يتحقق منها سوى القليل حتى لا نطمئن إلى هذا القليل بل نبقى على الدوام ونحن مثابرون على التطور - أو بكلمة أخرى يجب أن نجعل الخطة العملية موجهة الى غاية ترشدها خطة نظرية تحث على النشاط والهمة وتبعث على الدرس الذى لاينقطع

للوطن

قبل ست سنوات اعلنت إحدى الهيئات الوطنية فى انجلترا انها تدفع مكافأة قدرها الف جنيه للمهندس، الذى يمكنه ان يبنى منزلا قد عينت مساحته وطبقاته بحيث لايحتاج فى بنائه الى استعمال اى مادة اجنبية - وهذا بالطبع لتشجيع الصانعين الانجليز على القيام بصنع جميع مواد البناء وقد بنى هذا المنزل هذا العام ونال احد المهندسين هذه المكافأة . فلنتعظ

السلام العالمى

للسيدة هدى شعراوى

السلام العالمى أمنية غالية تبدو للمتفائلين عزيزة المنال الا أنها ممكنة التحقيق . لذلك نجدهم لايألون جهداً ، ولا يدخرون وسعاً فى السعى وراء تحقيقها والعمل على توطيد السلام . أما المتشائمون —ومعظمهم من النفعيين مع الأسف— فانهم يؤكدون أن السلام حلم من الأحلام — . وهم يزعمون أن الميل الى الحرب غريزة فى الانسان بدافع تنازع البقاء . ويدعمون نظريتهم بأن الطبيعة لم تختص النوع البشرى وحده بهذه الغريزة ، بل شملت بها نوع الحيوان الذى يفترس قويه ضعيفه بما وهبته من سلاح طبيعى . وبناء عليه فالحرب لامفر منها ولاعلاج لها . وان فكرة إبطالها والسعى وراء توطيد السلام فكرة خاطئة نشأت عن توهمات الخياليين الذين يعيشون فى الاحلام بعيدين عن الحقائق ومع أن كل المظاهر — مع الاسف — تدعو الانسان الى التسليم كرهاً بالكثير من نظرياتهم الا اننى مع هذا أفضل الأخذ بنظرية أهل الخيال لأنها هى وحدها الجديرة بالانسانية السامية الرفيعة كما انها هى التى تفسح للناس مجال الامل فى هذه الحياة الفانية . والأمل ضرورة من ضرورات الوجود وأن لاحياة بلا أمل . والظمآن اذا سار خلف السراب فى طلب الماء كثيرا ما يسعده الحظ بالوصول الى ما يطفىء ظمأه . والا كان الأمل على الأقل دافعاً له الى الصبر والمثابرة فى المضى وراء الغاية .

منى ان تكن حقاً تكن أسعد المنى   والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

فاذا قارنا بين نظرية المتشائم الذى يقطع علينا سبيل الأمل فى السلام ، ونظرية المتفائل الذى ينشد السعادة من طريق السلام ، واعتقدنا مع جماعة المتفائلين أن السلام وإن كان عزيز المنال إلا أنه ميسور التحقيق ، وجب علينا حينئذ أن نبحث عن الوسائل التى تؤدى بنا الى تحقيقه وتوطيد دعائمه

معتمدين على حسن نيتنا وقوة إيماننا ، لتذليل كل الصعاب التى تعترض المجاهدين فى سبيل السلام مهما لقينا فى هذا السبيل ، من سخرية المتشائمين ومعارضة المغرضين

على المرء أن يسعى الى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصـــد

أما المقارنة بين الانسان والحيوان لتقوية حجة مؤيدى الحرب ونظرية داروين فهى ، قياس مع الفارق ودليل ضعيف على صحة هـذه النظرية ، للتعاون العظيم بين النوع البشرى والحيوان فى الخلق والاستعداد . ولو أن الطبيعة قد وهبت الحيوان سلاحاً طبيعياً . إلا أنها غرست فيه الالهام باستعمال هذا السلاح فى حالتى الجوع والدفاع عن النفس فقط ، لأنها خلقته ضعيفاً محدود الادراك غير مسئول إلا عن نفسه . أما الانسان فقد فضله الله سبحانه وتعالى على باقى مخلوقاته ، وتفنن فى ابداعه وخصه بمميزات رفعت من قدره ومرتبته عن باقى الـكائنات ، أهمها العقل ، والذاكرة ، والنطق ، وأعطاه بذلك مقاليد أمور الحياة ، ووضع عليه مسئوليات تصريفها ، وجعل من هذه المميزات سلاحه وقوته والدليل على ذلك أن الحيوان يولد مجهزاً بالأسلحه اللازمة لضمان حياته ، فهو يخلق بمخالبه وأنيابه ، ولا يكاد يحتاج منذ ولادته الى معين على السير وطلب القوت . أما الطفل ، فيحتاج منـذ ولادته لرعاية والديه وتعهدهما له فى غذائه ، وجميع مرافقه ، ويظل كذلك حتى تتكون مداركه شيئاً فشأ ، ويبلغ السن التى يستغنى فيها عن معاونة غيره ، والاعتماد على نفسه ليقوم هو بدوره ، فى اسداء المعونة لأمثاله فى الحياة الاجتماعيـة . لذلك يرى المتفائلون بحق أن الانسان مخلوق اجـتماعى لا يمكنه أن يعيش بمفرده ، بل لابد له من التعاون وتبادل المساعدة بينه وبين بنى جنسه ، بل بينه وبين سائر المخلوقات . وقد خلقه الله لرقى الـكون وعمرانه لا للهدم والتخريب فهو لذلك دائم الطموح الى أسمى درجات الـكمال . وكثيراً ما يكبو الطامح فى طريقه الى الغاية .

ولـكن ما كانت هذه الكبوات دليلا على أنه سيبوء بالفشل فلا بد له إذن من استئناف خطواته الطبية ، والمضى فى سبيل الخير . وهـذه الفـكرة هى التى تحدو بأصحاب المثل العليا الى الاستمساك بحبال الامل فى تحقيق فـكرة السلام ، لاعتقادهم أنه بفضل الترقى والتقدم ، لابد أن يسمو الانسان على مطامعه ويرتفع فوق ميوله ومصالحه الخـاصه . فتتحول غريزة القتال لديه الى قوة انشائية منظمة تساعده على أداء رسالته المثلى للمجتمع ، وبذلك سينتهى به هـذا التدرج حتما الى وضع نظام جديد

يضمن للعالم سلامة وطمأنينته . وأى وقت أنسب للعمل على تحقيق هـذه النظرية الاسلمية من وقتنا هذا ، الذى لاتقتصر فيه مضار الحرب على المتحاربين، بل تتعداها الى الامنين ، ويتأثر بنتائجها العالم كله ، لمـا أصبح بين الدول من مصالح مشتركة وارتباطات دولية تضطر الصغير منها والـكبير ، الى خوض غمار الحرب فيخرج الجميع منها بسبب الاختراعات الجهنمية الحديثة،منهوكى القوى خاسرين، إلا فئات محدودة تذكى نار الحرب ولا تـكتوى بأوارها ، لأنها تستغلها فى تنفيذ ماربها وغاياتها . وأى دليل على قولنا هذا ، أصدق من نتائج الحرب العالمية الـكبرى التى ما زال العالم يرزح تحت أثقالها ، بما خربت من مدن عامرة وبما خلفت بين الامم من ضغائن ، وبما ألحقته بالتوازن العالمى من اختلال شديد الخطر ، حتى أصبح العالم يعيش على فوهة بركان يكاد أن ينفجر عند حدوث أية أزمة دولية . فمن مخلفات الحرب العظمى ، ماتقاسيه الانسانية اليوم من أزمات اقتصادية ، وحروب داخلية ، ومطامع استعمارية لاحد لها ولا رادع. عمادها الظلم البين والتعدى على الضعيف ، والاستهتار بالارواح البريئة والحقوق المشروعة .

* * *

ليست فكرة السلام وليدة اليوم ، بل هى فكرة نشأت منذ القدم فى عصور مختلفة عقب الحروب المتوالية المنهكة ، لميل الانسان الطبيعى الى الهدوء . وحاجته الى الراحة والطمأنينة . ففى زمن الفراعنة حاول اخناتون التمهيـد لبث روح السلام ، ومساواة الولايات الخـاضعة له فى المعـاملة والحقوق ، وتوحيد العقيدة الدينية بأن الشمس هى مصدر الحياة للجميع . ولـكى ينفذ هـذا المشروع ، نقـل العاصمة من طيبة الى تل العمارنة التى بناها ليقيم فيها على نظم جـديدة تناسب الحياة الجـديدة ، التى كان يهيئها لبلاده ، فازدهرت فى عصره الفنون والصنائع . ولـكن مع الاسف بينما كان يدعو هو الى بث روح التاخى وتوطيـد السلام فى ترتيله للاله آتون ، كان أمراء سوريا والولايات التابعة لمصر ، يتغنون بالاناشيد الثورية ، فهال الـكهنة والوزراء هذا الانقلاب فثاروا عليه وبثوا روح التمرد فى الاهلين . وكان كلما نبه رجاله الى الخطر الذى يهدده ويهـدد سيادته لمقاومة أعدائه ، يقول « دعوا السيف فى غمده . من حمـل السيف مات به » واخناتون هو حمو الملك توت عنخ آمون الذى اكتشفوا فى قبره أجمل الاثار المصرية ، وأبدعها رسما وأدقها صنعا .

وفكر من بعده اسكندر الاكبر فى نشر السلام ، بانشاء التعاون بين الاغريق وغيرهم من أمم الشرق ، على أساس المساواة . وفى عصور مختلفة ظهر رجال مفكرون وفلاسفة أوقفوا أفكارهم وجهودهم على خدمة السلام،منهم أفلاطون ، وشيشرون ، ومارك أورليوس امبراطور روما،وغيرهم من الذين كانوا يعتقدون أن الحرب اجرام ووحشية .

ثم ظهر الدين المسيحى ، ونشر بتعاليمه السامية روح التسامح والتضحية بين الناس . وكان قصد العناية الالهيه منه ، أن يرفرف السلام على العالم ، وأن تعم أركانه السعادة والصلاح . ولكن هذه المبادىء الكريمة التى تحث على الاخاء والوئام ، لم ترق فى أعين اليهود فقاوموا المسيح ، وأشعلوا نار الفتنة ضده بين شعب الرومان الملحد اذ ذاك فحكم على المسيح بالصلب وعلى أنصاره بالاضطهاد ، فرفعه الله اليه ليكون آية للعالم فى التضحية ، والتفانى فى اعلاء كلمة الله ونشر السلام على الارض .

فاذا أنصفنا الحقيقة والتاريخ ، قلنا ان جميع الاديان حثت على التسامح ونشر روح الاخاء ، الا أن المسيح يعتبر أول واضع لاسس السلام والتسامح على الارض ولكن مع الاسف أساء بعض الرؤساء الروحانيين فهم تعاليم المسيح ، ولم يعملوا على اقامة صرح التعاون والمحبة بين البشر ، على الاساس المتين الذى وضعه . وسادت روح التعصب الدينى القرون الوسطى المظلمة ، وكان من أثر ذلك تلك الحروب الصليبية التى سموها حروباً مقدسة ، وذلك التعذيب الرهيب الذى كان يقوم به رجال التفتيش للقضاء على مخالفيهم فى العقيدة والرأى ، مما لا يغيب على كل العارفين بالتاريخ .

وفى مثل هؤلاء يقول شاعرنا الكبير شوقى رحمة الله عليه :

عيسى سبيلك رحمة ومحبة ... فى العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امرأ ... هان الضعاف عليه والايتام
يا حامل الآلام عن هذا الورى ... كثرت عليه باسمك الآلام
أنت الذى جعل العباد جميعهم ... رحماً وباسمك تقطع الارحام

وفى أوربا بدأت فى سنة ٩٩٠ أول حركة فى سبيل ما أطلقوا عليه اسم هدنة الله Térve de Dieu وذلك بتشكيل المجمع الاسقفى Conseil du Puy الذى تكون من عصبة جمعت بين النبلاء والفلاحين الذين تعهدوا باحترام ميثاق السلام واكتملت هيئة هذا المجلس سنة ١٠٩٦ باجتماع

Verbun sur Saone فيردون سيرسون وتعهد أعضاؤه أن يحترموا فى أوقات الحرب الزراعيـة والحيوانات الاليفة والاموال والـكنـائس . وفى سنـة ١٠٣١ اجتمع مجلس ليموج limoge الذى اقترح فرض الحجر الدينى على كل اقليم لايحترم هذا الميثاق بتشكيل هيئة نظامية أسقفية لترغم كل من يخرج على هـذا الميثاق باحترام السلام . وفى سنة ١٠٥٤ انعقد مجلس كليرمون وفى ١٩ نوفمبر سنة ١٠٩٥ اعلن البابا اوربين الثانى كقانون عام للعالم المسيحى ان السلام هو غاية الله . ولكن هذه الروح الطيبـة تضاءلت أمام الحروب الصليبيـة ، إلا أنها كانت تعود للظهور فى كثير من أوقات الهدنة فى عقول المفكرين والفلاسفة أمثال « دانتى » و « بيير ديبوا » . فقد لاحظ « دانتى » انقسام العالم الى اجزاء متعددة ، لاغاية لها سوى الحرب والقتـال ، فأراد القضاء على هذه الحالة بتوحيـد العالم ونشر السلام فى أرجائه . فوضع كتـابا عن « الملـكية » واقترح فيه اتحاد دول العالم المختلفة تحت رياسة ملك واحـد . وفى داخل هذا الاتحاد تحافظ كل دولة على استقلالها الداخلى ، وتعترف بسلطة هذا الملك فى فض كل نزاع ينشأ بينها وبين غيرها من الدول المشتركة فى الاتحاد . وبذلك يتحقق السلم الدائم لسعادة الانسانية ورخائها . أما « بيير ديبوا » فقد رغب فى تنظيم العالم المسيحى فقط . ولذلك اقترح انشاء مجمع دينى يدير الشئون العـامة المتعلقة بالجماعة المسيحيـة مع احتفاظ كل دولة مسيحيـة باستقـلالها . فاذا نشأ خلاف بينها وجب حله بطريق التـحكيم واذا امتنعت دولة مسيحية عن الخضوع لهذا المجمع ، وجب تطبيق عقوبات عليها ، فتحاصر وتمنع الواردات عنها حتى تذعن بفعل الجوع .

ولـكن اقتراحات دانتى وديبوا لم تخرج الى حيز التنفيذ وظل الانقسام موجوداً والفوضى سائدة وظهرت الدول الحديثة ، واستندت الى مبدأ السيادة المطلقة ، وأنكرت التعاون بينها وتنازعت البقاء فظهر نظام التوازن الاوروبى القائم على الميول الفردية المحضة لـكل دولة بذاتها وأصبح قبلة تلك الدول ، فزال كل أمل فى توحيد العالم واخضاعه لسيادة واحدة ، وتبخرت غاية القرون الوسطى وحلت محلها غاية الاثرة والمنفعة والسيادة .

وتطورت أوربا بعد ذلك تحت تأثير عصر النهضة « الرنيسانس » فنشأت فـكرة الاصلاح الدينى ، والثورة ضد الـكنيسة الرسمية فزادت عوامل الفوضى والانقسام وتعددت الحروب الدينية

ودامت قرنا كاملا ، حتى انتصرت فكرة الاصلاح فى النهاية فى أواسط أوربا وغيرها ، وكان انتصارها قضاء مبرما على ماتبقى من وحدة أوروبا .

وهكذا سادت الحروب المتعددة القرن السادس عشر والسابع عشر ، وأنتجت فى النهاية ثورة فكرية فى سبيل السلام ، وأبرزت طائفة من المفكرين والفلاسفة أمثال ديكارت وهوبز وسبينوزا وليبتنز الذين حاولوا اقامة نظم فلسفية ، ووضع أساس نظرى للحرية الفردية والحزبية السياسية .

وظهرت مؤلفات كثيرة حاول واضعوها خلق نظام جديد لتحقيق السلم العالمى . ومن بين هذه الكتب كتاب « تقريظ السلم » الذى صور فيه مؤلفه خسائر الحروب وفظائعها ، وأظهرت حسنات السلم وفوائده . وكذلك كتاب LeNouveau Cynee لأمريك كروسيه فقد بحث فيه عن اقامة نظام دولى يتفق ومبدأ السيادة المطلقة فاقترح انشاء جمعية دولية تجتمع فى مدينة البندقية ، وتشترك فيها جميع الدول بغض النظر عن الاديان لما بين الدول المختلفة من روابط التضامن التى تحتم عليها جميعا ، العمل على استتاب السلم وتوطيد اركانه . وذلك بفض جميع المنازعات التى قد تنشأ بينها ، بالطرق الودية وبدون الالتجاء إلى الحرب . ومن بين هذه المؤلفات المؤلف الذى وضعه L'Abbé St. Priere واقترح فيه مشروعا لتحقيق السلم الدائم بعقد معاهدة بين الدول لاقامة تحالف دائم بينها والاتفاق فيه على استنكار الحرب ، وعلى حل منازعاتها المختلفة بطريق الوساطة . وفى حالة فشل هذه الوساطة ، تتجه الدول الى هيئة مكونة من الممثلين السياسيين للدول الحليفة ، كى تلزم الدولة المعتدية باحترام الحكم الصادر عليها . فاذا رفضت التنفيذ وجب على هذه الهيئة ، أن تستعمل القوة ضدها حتى تنزل على حكمها ، وتعوض الخسائر الناتجة من عملها .

اعقب ذلك الثورة الامريكية والثورة الفرنسية التى نصت فى دستورها الصادر فى مايو سنة ١٧٩٠ على تنازلها عن الدخول فى حرب مقبلة وعن عدم استعمال سلاحها فى وجه حرية أى شعب . ولكنها لم تلبث ان أعلنت الحرب على النمسا فى ٢٠ ابريل سنه ١٧٩٢ . وتلتها حروب الجمهورية وبعد انتهاء هذه الحروب وسقوط نابليون ، وضع مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ نظاما جديدا فى أوربا يستند الى مبدأ التوازن وانشاء مجتمع الدول الأوربية (Uu conce:t Europeen) للمحافظة على النظام الموضوع . وكان القيصر اسكندر الاول قيصر روسيا هو أول من قدم اقتراحا بنزع السلاح

فى سنة ١٨١٦ وبعده تألفت ثلاث جمعيات سلمية فى الولايات المتحدة وهى جمعية الصداقة المسيحية وجمعية نيويورك للسلم ، وجمعية ماساشوستس للسلم . واندمجت هذه الجمعيات معاً فى جمعية واحدة تحت اسم الجمعية الامريكية للسلم سنة ١٨٢٨ وكان لهذه الجمعيـة اثرها فى انتشار فـكرة السلام فى أميركا وبريطانيا وفرنسا . وتبع ذلك مؤتمرات عدة عقدت فى باريس ولم تأت بثمرة .

واجتمع أول مؤتمر للسلم فى بروكسل سنة ١٨٤٨ وتلاه مؤتمرا باريس ولندره . واتفق فى هذه المؤتمرات على انشاء جمعيات سلمية جديدة ، ومنع القروض الحربية ، ونشر معاهدات التحكيم بين الدول ، وتخفيض التسلح ووضع قواعد للقانون الدولى

وفى سنة ١٨٥٥ ألف الـكاتب الروسى الشهير « ليون تولستوى » كتابه « سباستبول » ضمنه وصف حصارات تلك المدينة فى اثناء حرب القرم . ثم كتب بعده كتاب (الحرب والسلم) وهو بمثابة احتجاج على الحرب . وبقى تولستوى طول حياته يجاهر بان القوه لاتعالج بالقسوة ، بل يجب أن تنفذ وصية الانجيل : « من ضربك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر » ولقـد كان لهذا الـكاتب العظيم تأثير كبير فى حركة العصيان المدنى التى قامت فى روسيا .

وفى سنة ١٨٨٩ ابتدأ التنظيم الدولى للافـكار السلمية ، وعقدت المؤتمرات العديدة لهذا الغرض بعد انشاء مكتب السلم بمدينة برن سنة ١٨٩١ . واقترح بعد حرب السبعين انقاص التسلح عـدة دفعات ، فى برلمـانات انجلترا وفرنسا ، ثم عقد مؤتمر السلام فى لاهاى سنة ١٨٩٩ بنـاء على عودة القيصر نيقولا الثانى وطرحت فيه مسألة انقاص التسلح ، ولـكنه لم يسفر الا عن التصريح الآتى وهو « يرى المؤتمر ان نزع السلاح الذى أثقل كاهل الامم أمر مرغوب فيه جد الرغبة لسعادة العـالم المـادية والمعنوية » . ولم يكن لهـذا المؤتمر أى تأثير ولانتيجة ، ولم تكد أعماله تنتهى ، حتى بدأت الحرب بين بريطانيا العظمى وجمهوريات ترنسفال واورانج فى جنوب افريقيـا فى اكتوبر سنة ١٨٩٩ بل اضطر القيصر نفسه أن يجرد جيوشه لرد غارة اليابان على منشوريا فكانت الحرب قاسية بين الفريقين (١٩٠٤ — ١٩٠٥) .

وعقدت بعد ذلك مثل تلك المؤتمرات بواشنجطن سنة ١٧٩٩ والمكسيك سنة ١٩٠٢ وريودجانيرو سنة ١٩٠٦ وهكذا تدرجت الافـكار السلميـة وارتقت . وبعـد ان كانت قاصرة على الاحتجاج

الأدبي على الحرب ، تحولت الى مجهودات وضعية لاقامة نظام دولى ذى صيغة اجتماعية ، الغرض منها ضمان حياد الشعوب والدول ، وتعاونها على أساس السلم والقانون ، وجعل التحكيم هو الوسيلة لفض المنازعات الدولية .

فعقد فى لاهاى سنة ١٩٠٧ بناء على دعوة الولايات المتحدة ، المؤتمر الثانى للسلام ، وكان أوسع نطاقا من مؤتمر سنة ١٨٩٩ اذ حضره مندوبو ٤٤ دولة أى جميع دول العالم المتمدينة تقريباً ، وتمت فيه اتفاقات عديدة خاصة بحق الحروب وبداية الأعمال العدائية فى الحرب . وعقد كذلك مؤتمر للسلم فى بونوس ايريس سنة ١٩١٠ .

وبالرغم من المؤتمرات التى عقدت فى القرن التاسع عشر للسلام ، والوسائل التى درست لفض المنازعات الدولية على اساس السلم ، وبالرغم من الجمعيات المتعددة التى انشئت لوضع القانون الدولى واستيفائه ، فان ذلك كله لم يمنع نشوب الحرب العظمى ، التى اشترك فيها العالم كله تقريبا ، ومازلنا نعانى نتائجها المرة حتى الآن

على أن ما عاناه العالم مدة الحرب العظمى من الكوارث المتنوعة لم يثبطهم العاملين ، بل ضاعف من نشاطهم فى الاستمرار على الدعوة للسلام ، ودفع المفكرين الى استنباط الطرق الفعالة ، التى تؤدى الى استتبابه . فتكونت منهم جماعات مختلفة لخدمة ذلك الغرض . منها لجنة بريس فى انجلترا سنه ١٩١٧ التى وضعت مشروعا لمنع الحروب ، وكونت جماعة أسمتها عصبة الامم فى سنة ١٩١٧ ، ومنها الجماعة المعروفة باسم لجنة تدعيم السلام . التى تكونت فى أمريكا برياسة الرئيس « تافت » وجماعة عصبة الامم الفرنسية . التى تكونت تحت رياسة المسيو ليون بورجوى Lcom Bourgeois . ثم عنيت بعض الحكومات بتلك الحركة السلمية وعملت على نجاحها . وكونت حكومات السويد والنرويج ودانمارك لجانا . كانت تعمل مستقلة ثم وحدت جهودها . فلما انتهت الحرب عهدت حكومات الحلفاء الى لجنة من كبار علماء القانون الدولى العام ، وضع صيغة لعهد ينظم هذه الجماعة ، فلما أتمت اللجنة عملها ، وضعت مشروع عصبة الامم ، فأقرته دول الحلفاء وعرض على حكومات بعض الدول المحايدة ، لابداء ملحوظاتهم عليها ، وأخذ ببعض هذه الملاحظات ووضع العهد فى صيغته النهائية فى ابريل سنة ١٩١٩ ، وأدمج فى المعاهدات التى عقدت مع دول الأعداء ، ووضع التنفيذ فى سنة ١٩٢٠ . وراعت اللجنة

فى وضعها لمشروع عهد عصبة الامم ، الاقتراحات التى وضعتها الحكومة الانجليزية واقتراحات الرئيس ولسن ، التى تتضمن انشاء جمعية تضم شعوب العالم ، يكون عملها ضمان طرق المواصلات البحرية العظمى ، وحرية الملاحة فيها لجميع الشعوب ، ومنع الحروب التى تقوم خروجاً على المعاهدات أو قبل أخطار سابق .

وظهر تصريح ولسن فى ٨ يناير سنة ١٩١٨ ذلك التصريح الذى كان لشروطه الاربعة عشر ، تأثير عظيم على العالم المتعطش للسلم ، إذ أحل الامل محل اليأس فى قلوب بعض المتحاربين ، وغير المتحاربين ، وكان له رنة سرور عظيمة ، على الاخص فى البلاد الضعيفة التى علقت عليه أمالها فى تحقيق أمانيها القومية ، ولكن بكل أسف ، أن هذه الشروط التى استقبلها العالم بالتهليل والتكبير ، لم تصادف من الحلفاء تأييدا ، واستنكرها الشعب الأمريكى استنكارا أعجز الرئيس ولسون عن الدفاع عن مشروعة والعمل على تنفيذه .

ولكن هذا لم يثن من عزم الرئيس وتمسكه بوضع أساس متين للسلام ، فلما عقد مؤتمر الصلح ، اختلفت فيه وجهات النظر لاختلاف المذهب ، اذ كان المؤتمرون الاوربيون يرمون الى تحقيق نظريتهم المبنية على التعاون الدولى والمحالفات ، بينما يرمى الامريكيون الى التعاون بين الدول مع الاحتفاظ بمذهب مونرو . ولما لم يؤخذ باحدى هاتين الطريقتين بتمامها ، نجح الرئيس ولسن فى وضع عهد جمعية الامم على أساس التعاون الدولى والتضامن بين الدول . بيد أن بقية المعاهدة لوحظ فيها من الموازنة الدولية شىء كثير .

وفى سنة ١٩٢٥ عقدت الدول الغربية الاربع الكبرى معاهدة لوكارنو لصيانة السلم على حدودها ونبذ الحرب . وفى سنة ١٩٢٨ أمضت جل دول العالم (ميثاق بريان — كيلوج) الذى يقضى فى مادته الاولى بنبذ الحرب كأداة للسياسة الوطنية فى مختلف الدول واعتبارها خارجة عن القانون **Hors la Loi**

ولكن بكل أسف نقضت بعض الدول معاهدة لوكارنو . ولم يكن حظ ميثاق (بريان — كيلوج) بأحسن من ذلك ، فقد فسرته الدول الموقعه تفسيراً يذهب بكل قوة فعلية له . وما على الباحث الا أن يقرأ مذكرات السير أوستن تشمبرلن فى سنة ١٩٢٨ وتقرير لجنة الشؤون الخارجية بمجلس شيوخ الولايات المتحدة فى يناير سنة ١٩٢٩ فيجد فيهما الدليل القاطع على ذلك .

وهنا أتحاشى التعرض للدخول فى شرح ماهية عصبة الامم ، وشروطها ومبادئها وأغراضها التى تحتاج الى شرح طويل يخرج منه الانسان صفر اليدين ، لانها بنيت على أساس تنفيذ معاهدة فرساى التى أملتها الانانية والقوة . تلك المعاهدة التى محتها القوة كما أوجدتها . ويكفى أن نستشهد هنا على ضعفها ، ببعض ماجاء بخطبة المستر نيفل تشمبرلن التى ألقاها فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٨ بمجلس العموم حيث قال : « هل يظن أحد هنا أن عصبة الامم بتكوينها الحالى يمكنها أن تضمن السلام العام ؟ اذا كان الامر كما أظن وهو أن عصبة الامم بتكوينها الحالى لا يمكنها أن تكفل لاحد الضمان المتبادل فلا يجوز لنا أن نحاول خداع أنفسنا وايهام الدول الصغيرة بأن عصبة الامم قادرة على حمايتها من الاعتداء . وان تبقى تلك الدول على هذه العقيدة فى الوقت الذى نعلم فيه أنه لاينتظر شىء من هذا . »

ثم قوله : « ما معنى هذه العبارة : ان السلام لا يمكن ضمانه الا بالثقة المتبادلة بواسطة عصبة الامم ؟ أى بلد فى أوربا عند ما يهدده جار أقوى منه يمكنه الاعتماد على عصبة الامم لحمايته ضد الاعتداء ؟ انى أتحدى أى عضو من المعارضين أن يجاوب على سؤالى هذا . إنه لا يمكن لاحدهم الا أن يجاوب صراحة بأنه : لا يوجد »

وعصبة الامم فى رأيى كشركة مساهمة ، أراد مؤسسوها أن يستأثروا بأرباحها ، فضعفت الثقة فى أسهمها ، وتدهورت أثمانها ، بسبب انسحاب رؤوس الاموال منها ، فأصبحت مهددة بالافلاس وهذا ما يؤسف له غاية الاسف . وقد كان من المستطاع بشىء من انكار الذات ، والمساعدة البريئة أن تصبح عصبة الامم بفضل الاخلاص المتبادل ، موردا للربح المعنوى الحلال .

لا ننكر أن عصبة الأمم استطاعت فى السنوات الأولى من تكوينها ، تسوية حوالى ثلاثين مشكلة دولية مختلفة ، منها مسألة جزر « الند » بين فنلندا والسويد ومسألة كورفو ، والنزاع البولونى اللتوانى ، والنزاع اليوغوسلافى الألبانى ، والنزاع اليونانى البلغارى ، والنزاع بين بوليفيا وبرجواى ، وغير ذلك وأنها أدت خدمات إنسانية جليلة ولكن بعض الدول العظمى التى أسستها لم تستطع كبح جماح مطامعها الاستعمارية ، ولم تساعدها على الاستمرار فى عملها الانسانى ، بخروجها على مواثيق العصبة ، ومحاربة الدول الآمنة المطمئنة وانسحاب بعضها ، مخالف بذلك العهود التى وقعها ، فضعفت عصبة

الامم بخروجها منها ، وقلت هيبتها فعجزت العصبة عن مد يد المعونـة للدول التى استنجدت بها ، كالصين والحبشة وأسبانيا وفلسطين ، ومما يؤسف له ويحزن العالم أن الدول العظمى ، التى أدعت فى البداية . انها انما خاضت غمار الحرب للدفاع عن الضعيف . ولتحرير الشعوب المظـــلومة : هى بعينها التى نـكثت العهود التى وقعتها وشجعت الدول الاخرى على خوض غمار الحرب

أســـقف

الدكتور بارنز هو أسقف برمنجهام وهو دكتور فى العلوم ويأبى فى بعض الاحيان الا أن ينظر النظرة العلمية التى يضيق بها بعض رجال الدين . ولـكن الحرية الدينية فى انجلترا واسعة مستفيضة ولذلك لم يضطر مرة الى أن يقف موقف السؤال والجواب

ومن ارائه هذه التى أشرنا اليهـا قوله فى الـكنيسة ان الوسيلة الى السلم يجب أن يكون أساسها تسليم جميع المستعمرات البريطانيه لعصبة الامم . وأن الشبـان يجب أن يرفضوا التجند . وأن ضبط التناسل واجب على الزوجين وعلى الحكومه ان تبيح وسائل هذا الضبط . وان بريطانيا يجب أن تقتدى بألمانيا فى تعقيم المرضى والبله الذين يخشى انتقال افاتهم الى أولادهم

وهذا الـكلام لايجد معارضة على صفحات الجرائد والمجلات ولـكنه ثقيـــل على اذان المصلين عند مايلقى عليهم من منبر الـكنيسة .

تسعة وثمانون شهرا في المانيا

للاستاذ حسني العرابي

في سنه ١٩٣١ سافر الاستاذ حسني العرابي الى المانيا . فلم تمض عليه أسابيع حتى فوجىء بحرمانه من الرعويه المصريه بقرار من مجلس الوزراء أيام وزارة اسماعيل صدقي باشا . فلم يستطع العودة الي مصر الا في ديسمبر الماضي بعد أن قضى ٨٩ شهر في المانيا
وفيما يلي بعض اختباراته في تلك المدة

ربما تتبع كثير كتابات الصحف المحلية عن مأساتي في سني النفي والتشرد الطويلة التي قضيتها في المانيا . ولكن مما لا ريب فيه أنكم جميعا تجهلون تماما تفاصيل هذه المحنة : ولا تعلمون شيئا عما قاسيته في المنفى أو عما صادفني من المصاعب التي تتكسر عندها عزائم الرجال وشجاعة الشجعان صدقوني انه كان كفا موصولا غير مقطوع ندر أن صادفه رجل ولم تهن له قوة أو يهيض له جناح ليس له ما يسد الرمق أو لباس عادي يستر الجسد أو سقف يأوي صاحبه تحته اذا جن الليل . كفاح قاس من أجل الحصول على كتاب جديد أو زيارة قطعة روائية أو نزهة خلوية للترويح عن النفس من عناء هذه الحرب المشبوبة وتغذية الذهن الجائع وسط الشبع والري في برلين بلد العلم والفن والثقافة والرياضة . كفاح عنيف من أجل المرأة أو في سبيل الحب بنعمته ونقمته حيث الجو والمحيط والبيئة كل ذلك يغري ويشجع على الوقوع في شباك الحب . وأخيرا الكفاح من أجل المحافظه على الكرامة رغم كل ما حاق بي من مكاره وأحاطني من محن

وليس في النية تلاوة فصول هذه الرواية عليكم فقد كتبتها في نحو الف صحيفة . ولكني سأكتفي بأن أعرض هنا بعض صور منها . لعل فيها حافزا لبعض الشباب على الاعتصام بالصبر في كفاحه اليومي . واستسهالا للصعب كلما تعقدت الامور واختل ميزانها أمام عينيه ، وترغيبا في

المغامرات شأن الشباب الحى المتعطش الى المعرفة والتجربة وأخيرا أرجو أن يكون معرض صدرى تسليه لقلوبكم قبل اذانكم حتى يبقى منها شيىء فى نفوسكم بعد انقضاء المحاضره

لندع جانبا الاسباب التى حفزتنى لمغادرة أرض الوطن عام ١٩٣١ قاصدا المانيا ونكتفى بالاشارة فقط انى خرجت من مصر مزودا بجواز سفر مصرى صالح لخمسة اعوام ، وانى لم أكن فارا من وجه العدالة ، كما انه لم تكن هناك قضايا معلقة ضدى

وصلت الى المانيا فى أوائل شهر أغسطس عام ١٩٣١ وبقيت بها بضعه شهور لم أتعرف فيها بألمانى واحد ولا اختلطت بمصرى . وقصرت وقتى قبل الظهر على استكمال دراسة الالمانيه بالاشتراك مع سيدة امريكية فضلى تعرفت بها منذ اليوم الاول . وفى الليل على زيارات التياترات ودور السينما وعدا هذا أو ذاك أتعرف أحوال البلد بقدر المستطاع .

وعادت السيدة الى بلادها ! وكنت قد استكملت ما أردت معرفته . واستراحت أعصابى من عناء العمل الشاق الذى كنت أقوم به فى مصر . وضاقت بى برلين على رحبها . وأحسست وحشة بعد سفر السيدة وحنينا لاهلى وصحبى ففكرت فى العودة الى الوطن فكتبت الى مصر ليرسلوا لى نفقات الطريق . فجاءنى رد عجيب مظروف لا يحمل جوابا لا ولا نقودا ولكنه يحمل مقصوصة من الاهرام ليس عليها أى تعليق بها نص المرسوم الملكى الذى صدر بتجريدى من الجنسية المصريه . صدمة لم أكن أتوقعها ولا عملت لها أدنى حساب تلاها آليا سحب جواز السفر المصرى منى واعطائى جوازا بغيضا أشبه بتذكرة الشخصية يعطى للذين لا وطن لهم . كنت أطلق عليه تذكرة الدفن . فقصدت دار المفوضية المصريه فقوبلت من موظف صغير هناك بالنظر الشزر والتخوف . فدرت بتذكرة الدفن هذه على قناصل الدول جميعا بقصد الحصول على تأشيرة أو مايسمونه بالفيزا فكان نصيبى الرفض . فعدت الى غرفتى وقدماى لا تكادان تحملانى من الاعياء وأغلقت بابها على ، عادتى كلما تحزبت الامور ، وبقيت جامدا فى مكانى ساعة لا أحس ولا أشعر شيئا ثم خرجت الى الهواء الطلق ، وأخذت أسير على غير هدى مدة من الزمن ، فابتدأت تعود الى مشاعرى . فأخذت مجلسى على مقعد وما أكثرها هناك . واستعرضت حالى . وفجأة حببت إلى الحياة ، فأشعر بنشوة دونها نشوة الظفر ، وتمر أمام عينى صور من عظماء الرجال الذين جاءوا وتشردوا منذ عرف

تاريخ الانسانية للانسان . فأنفض عني رداء اليأس وأراني أترنح فى ثيابى عجبا بنفسى وكبرياء . وانهض واقفا وقد صممت على أن أعيش مهما كلفنى ذلك

ولم أعجب لهذه الظاهرة . فطبيعتى طبيعة ثائرة يزيدها التحدى صلابة وقوة ويؤجج فيها نار الحياة ، كما أن العكس يضعف فيها روح المقاومة ويلين من حديثها الى حد الاستسلام والضعف . فأخذت طريقى مرة أخرى الى غرفتى . وأخذت ورقا وقلما وبدأت أحسب نقودى فرأيتنى لا أزال أملك ما يقرب من الخمسة الجنيهات . فقدرت اخلاء غرفتى وكنا فى منتصف الشهر وكانت تكلفنى وحدها نحو ثلاثة جنيهات فى الشهر والانتقال فى أول الشهر الى غرفة رخيصة متواضعة مع الاقتصاد التام فى نفقاتى لاطيل فى حياتى أياما أبحث لى فيها عن عمل أو مخرج من هذه الورطة . واتخذت قرارات للسير عليها . وكان من بين ما قررته أن أخرج من وحدتى وانفرادى والاختلاط بالناس عساى ان أوفق عن طريق هذا أو ذاك الى عمل وأن اكتفى فى اليوم بوجبتين من الطعام بدل ثلاث أو أربع الخ . الخ .

واندفعت لساعتى فى الطريق نشطا خفيفا كأنى لم أصب بسوء . فأخذت أرتاد المتنزهات العامة ودور الكتب حيث يكثر العاطلون وغيرهم اتحدث اليهم سائلا ومستفسرا . وبحثت عن أرخص مقهى فى كل برلين وأصبحت أتردد عليه مرة فى اليوم . وكان لحسن الحظ مقهى نظيفا يؤمه فقراء الادباء والفنانين وأما أكثرهم فى ذلك الوقت . ثم شرعت أقطع الشوارع والطرقات جيئة وذهوبا أحدق فى وجهات الحوانيت وأقرأ اليافطات المختلفة وأفكر فيما اذا كانت توجد فرصة لكسب بضع قروش . وتعرفت فى تطوافى بشاب سورى يدرس الطب دعانى لزيارة الجمعيه العربية التى كان وكيلها فزرتها مرة وتعرفت بالرئيس وبعض الاعضاء والقيت بينهم كلمة عن الحالة فى مصر . وانقطعت بعد ذلك عنهم : واستلفت نظرى يوما فى تطوافى يافطة تحمل اسم الجمعية الالمانية الشرقية : فتهللت أسارير وجهى . وقلت فى نفسى هنا سأجد عملا . وصعدت السلم وطرقت الباب ، وطلبت مقابلة الرئيس فقيل لى غير موجود . فقلت فليكن السكرتير . فأدخلونى عند سيدة عجوز قدمت نفسها بالدكتورة س . سلمت وقدمت نفسى لها كاديب مصرى . وقلت أن يافطة الجمعية قد لفتت نظرى فأردت أن أعرف شيئا عن مقاصد الجمعية . فحدثتنى السيدة أنها لتنمية العلاقات الاقتصادية بين

المانيا والشرق القريب . وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث فسألتها عما اذا كانوا فى حاجـــة الى خدماتى وأخذت أعدد لها كل ما أستطيع القيام لهم به ، وأنى أستطيع أن ألخص لهم مثلا كتابات الصحف العربية أسبوعيا مما يساعدهم كثيرا فى أعمالهم . فشكت سوء حال الجمعية وانها لا تستمد أية معونة من الحكومة ، وانها على وشك إقفال أبوابها . ولكنها رغم ذلك وعدتنى أن تتفاهم مع الرئيس الاستاذ الدكتورى بشأنى ، وأن أمر عليها بعد يومين . ومررت بعد يومين . وقدمتنى السيدة للرئيس وهو رجل مسن تكاد تكون أيامه معدودات . فاتفق معى على كتابة تقرير اسبوعى نظير جنيه فى الاسبوع . فخرجت من عنده أرقص فرحا فى الطريق وأصيح بالعربية : لقد أنقذت ! لقد نجوت ! وأول شىء صنعته أن انتقلت الى غرفة رخيصة بجنيه فى الشهر . وبقيت أكتب تقاريرى وأتناول الاجر عليها اسبوعيا وظللت أعيش على ثلاثة جنيهات بضعـــة شهور فساءت صحتى لسوء الغذاء ولم أحتفظ بشىء من مظهرى الخارجى بغير النظافة رغم بلاء ثيابى .

وذهبت يوما فى آخر الاسبوع بالتقرير فلقيتنى الدكتورة س وعلامات الأسى والاسف على وجهها : ولم تتسلم تقريرى وأنبأتنى أن الرئيس الاستاذ الدكتور ى قد توفى : وأن الجمعيـــة لا تستطيع الاستمرار بعده لانقطاع مورد عظيم من مواردها وذلك ما كانت تتقاضاه من الرئيس هذا عدا الحال العامة مما لا يبشر بأى نجاح : وسلمتنى أربعة جنيهات لاستعين بها مدة من الزمن حتى أجد لى عملا وأشارت على أن أعالج حظى فى الصحافة . فأخذت المبلغ وشكرتها : ولمحـــاولاتى فى الصحف قصص طريفة لا يتسع الوقت لذكرها :

وخرجت من عندها لا أكاد أعى ولا أبصر فكانت الدور والناس وكل شىء يرقص أمام عينى وأحسست الارض الفضاء تدور

وكانت البطالة يومئذ قد بلغت فى المانيا أشدها . وعض الجوع ملايين الناس فكانت تقع الرجال والنساء فى الطرقات صرعى من الجوع . وشهدت حادثتين بعينى رأسى خارت فيهما قوى بعض العمال العاطلين . فأسلما فيهما الروح الى بارئها . فتحققت انى هالك لا محالة فابتسمت ابتسامة احتقار لقسوة الانسان على أخيه الانسان . وهان خطبى على ، واستجمعت قواى . وقلت فلاناضل بما بقى معى من نقود ، ولا عتب على ولا ملامة بعد ذلك إذا أنا خررت صريعا فى الميدان

وانتقلت مرة ثالثة الى غرفة أحقر من الأخيرة . استغفر الله بل الى قبر . الى قبر رطب مظلم فى وضح النهار لا أظن أحدا سكنه قبلى ولا بعدى نظير نصف جنيه فى الشهر . وأخذت أخزن فيه خبزا وأداما كالجبن ومحفوظات العلب وغيرها خوفا على نفاد النقود منى . وكم كنت أتمنى لو كنت جملا لأخزن هـذا الطعام فى جوفى حرصا عليه من التلف . وبقيت أجلس فيها . أغسل ملابسى وأنشرها وأصلحها ، أقرأ قطعة من هذا الكتاب وأضعه جانبا ثم أتناول اخر أقرأ منه قطعة وأطرحه ناحية . حتى اذا جن الليل أخرج الى المتنزهات العامة لأتريض قليلا ولاشم الهواء . وانقطعت عن الناس جميعا وقاطعتهم ، وكرهت من اعرفه منهم ومن لا أعرفه . واشتدت فى الكراهية الى حد أنى كدت أخرق قوانينهم وأعرض نفسى للعقاب . فالقانون يقضى عند الالمان على الساكن عند انتقاله من مسكن الى مسكن أن يعلن دائرة البوليس التى كان يسكن فيها كما عليه أيضا أن يعلن دائرة البوليس التى سكن فيها وذلك كله كتابيا على طلب مطبوع لهذا الفرض حتى يسهل معرفة كل شخص فى المانيا فأهملت عمليتى التقييد هاتين عشرة أيام حتى لا يهتدى الى أحد من معارفى . ولما كانت المدة المحددة لنا ذلك الوقت لأخطار البوليس يجب أن لا تزيد على أربعة عشر يوما والا تعرض الساكن وصاحب المسكن للعقاب أخذت صاحبة الدار تلح على كل يوم فى استيفاء هذه الاجراءات فكنت أعدها وأسوف

وصاحبة الدار « فراو زور » أو بالعربية السيدة حامض شمطاء تجاوزت السبعين قد حفرت المتربة والاسى فى وجهها خطوطا عميقة ، قصيرة نحيلة الجسم ثرثارة ككل العجائز . قد أحط عليها الدهر بكلكلة فى هـذا العمر ولم يبق لها من حطام الدنيا غير مسكنها الذى اضطرت الى تأجيره لتستعين على تكاليف الحياة الثقيلة . جاءت الى بعد أن يئست منى وبعد أن تسرب الى نفسها الشك فى أمرى ودقت على الباب فى الصباح المبكر وكنت لا أزال راقدا فى فراشى فنهضت لاستقبالها وكانت الدموع تنهمر من عينيها انهمارا فظننت فى الامر شيئا فأخذت أطيب خاطرها وسألتها عما حدث . فقالت فى ذلة وانكسار «يا بنى لا مؤاخذة ان حالتك مريبة وأنا خائفة منك» «منى أنا ؟» فقالت وصوتها يتهدج بالبكاء « نعم منك انت . أنت تجلس طول النهار فى غرفتك لاتزور ولا تزار ولا تؤدى عملا ثم تسرح بالليل وتماطل فى تقييد اسمك فى دائرة الشرطة » « اسرح بالليل واماطل

ماهذا الكلام ايتها السيدة ؟ » « نعم تسرح بالليل واغلب الظن أنك مختفي عندي من أعين البوليس . ارحم أيها الرجل ضعفي وعجزي فانا امرأة عجوز مسكينة وقد كنت في صباي في نعمة ورغد من العيش وقد اضطررت في هذه السن الى تأجير غرفي حتى لا أتسول فلا تجر على كما جار على الزمن . وأنا أعرف دائرة الشرطة في حياتي ولا أذكر اني صنعت شيئا لاحد بارك الله لك في الاجرة التي دفعتها لي خذها ثانية وغادر منزلي » وأخذت تشهق وتتشنج ولولا أني تمالكت نفسي هذه الساعة لقضيت عليها بلطمة واحدة فقد اذتني في شرفي وعزتي في وقت كنت أحس فيه بظلم العالم كله لي . فمسحت كتفيها بيدي وقلت لها ممازحا « وان كان قد حكم عليك الزمان بعد عز فقد حكم على أيضا بعد عز فنحن في البلوى سواء وما أحق الواحد منا بعطف أخيه . وأقسم لك اني لست بمجرم وما مسألة التقييد الا اهمال سأتلافاه اليوم ودعيني حتى اخر الشهر ولك بعدذلك الخيار في بقائي أو اخراجي » فخرجت تمسح عينيها وتتمتم بكلام لا أفهمه

وارتديت ملابسي وغادرت غرفتي وأخذت أتسكع في الطريق ، ثم درت عدة دورات في منتزه هناك قريب ، حتى كانت الساعة التاسعة . وقصدت صاحبة الدار القديمة لتوقع على لي طلب الاخلاء فما وقع نظرها على حتى صرخت في « اين أنت ؟ لقد قلبنا عليك برلين رأسا على عقب وسألنا ادارة الشرطة عن عنوانك الجديد فلم نقف لك على اثر . » فوجمت لمفاجآت هذا الصباح . وقلت في نفسي « ترى قد اثار مسلكي شكوك الناس في ؟ ألست حرا في ان أسلك مع نفسي كما أحب وأختار ، إن هؤلاء الاوغاد يظنونني مجرما . » والتفت الى محدثتي وقلت لها : ماذا حدث أنا لم ارتكب جرما أيتها السيدة ؟ فقالت خذ مكانك ووضعت يدها على الة التلفون فحسبتها تطلب ادارة الشرطة ، فلم أفزع لحركتها ، ولم يكن عدم فزعي عن شجاعة او احساس بالبراءة ولكنه احساس اخر احساس عدم الاكتراث . واستوى السجن عندي والحرية كما تعادلت عندي البراءة والاتهام . وتكلمت السيدة طويلا على التليفون . ولم أفهم منه شيئا لاني لم أحاول أن أفهم شيئا . وقامت الى عملها ورجتني أن أبقى مكاني . فبقيت . وهل كان في الامكان غير هذا

وبعد قليل دق جرس الباب ودخل زائر لم أتعرفه الا بعد أن سلم علي وهز يدي سائلا عن صحتي وعاتبا على لعدم زيارته وجرني معه قائلا « أسرع أسرع ! فليس في الوقت متسع . أين

كـنت مختبئا طول هذه المدة » فتذكرت أنه رئيس الجمعية العربية الذى تعرفت به منذ مدة . فتبعته دون أن أسأله الى أين . وتمتمت . صباح غنى بالمفاجآت ! فنادى سيارة وركب وركبت معه. ووقفت السيارة بنا أمام جامعة برلين وأرسل ببطاقة لعميد كلية اللغات الشرقيـــة . وسمح لنا بالدخول . فاستقبلنا رجل ملتح نحيل الجسم أصفر الوجه يشع الذكاء من عينيه أحسن استقبال . وقدمنى رفيقى اليه فزاد فى تلطفه وأمر لنا بالقهوة والسجاير . فتنبهت قليلا من حالة الجمود التى كانت قد استولت على . وكلما أفقت قليلا من هذه الحاله زادت دهشتى وفضولى مما يجرى حوالى ولـكـنى لم احاول استكشاف شىء وقلت فلأدع الرواية تمثل حتى النهاية . . !

وحدثت فترة صمت قصيرة ثم بدأ العميد يتكلم من جديد ولكن باللغة العربية الفصحى موجها كلامه الى . لقد تشرفت ياسيدى الاستاذ !!! أين كنت مختبئا طول هذه المدة ؟ فقاطعته بشىء من السخرية « شرف الله قدر سيدى العميد كنت معتزلا الناس لاستريح منهم ولاريحهم منى » فاستأنف الحديث أنا أعرف اسمك منذ زمن بعيد ، وكتـابك كذا المترجم عن الانجليزية فى مكتبتى وأظن انى قرأت لك شيئا فى الصحف العربية . انت بدون شك الأديب الذى كتب عنه المؤرخ الألمانى هانزكون فى كتابه « الاستعمار والشرق » وصمت قليلا ثم قال : لعلك تعرف الدكتور المصرى . لقد كان استاذا عندنا للغة العربية وقد سافر الى مصر فلجأنا الى رئيس الجمعية العربية لترشيح استاذ بدل الدكتور وفذكر لنا اسمك . وكنت أعرفه فرجوته ان يكون واسطة تعارف بيننا والان احب ان اسألك ما اذا كان وقتك الثمين يسمح بأعطاء بضعة دروس فى العربية لطلابنا . نـكون سعداء جدا لو تفضلت وقبلت » استاذ اللغة العربية ! وقتى الثمين ! ماهذا العبث كله؟ احالم انا؟ أبى جنة ؟ أو أنا محموم ؟ لا ، لاهذا ولاذاك هذان الرجلان القاسيان متآمران على يهزآن من ضعفى . وثارت ثائرتى وصممت على تحديهمـا وليـكن مايـكون . واجبته انا بدورى « هذا شىء بسيط ! ووقتى الثمين يسمح لى بذلك » فشكرنى وسأل متى استطيع البدء فى العمل قلت اليوم وانبت نفسى انى لم اقل الســاعة . فقال حسـنا اذن الى الساعة السابعـــة مساء وحدد لى الاجر وودعنا الى السلم فهزنى رئيس الجمعية العربية من كتفى متهللا واخذ يدى بين يديه وقال « مبروك » عدة مرات واستأذن منى

وكانت الساعة الحادية عشر، فوقفت بجانب سور الجامعة الخلفي وأخذت استعرض حوادث هذا الصباح وأحسست رأسي يغلي . وقلت فيم العودة الى غرفتي وليس فيها ما يسر أو يسلي وخفت دموع فراو زور وتنهداتها ورأيت أن أبقى في هذه المنطقة حتى الموعد المضروب حتى اتحقق انى في يقظة وأن عقلي لا مساس به . ودرت أتسكع هنا وهناك وأقول بصوت عال: استاذ لغة عربية في جامعة برلين ! لقب لا بأس به ! هل يسمح وقتك الثمين ! واضحك ضحكات جنونية مسموعة وأخذ مني التعب مأخذه ففكرت أن أجلس في حديقة الجامعة هنيهة وعدت فنهرت نفسي كيف يليق باستاذ اللغة العربية أن يجلس في طريق تلامذته . واستحثثت الوقت ولكنه لم يشفق بي واعتصمت بالصبر مرات . وأخذت مجلسي على مقعد قريب ولم أذق طعاما ولا شرابا في يومي حرصا على القليل من المال الذي كنت أملكه . وشددت القبعة على رأسي حتى أخفي وجهي عن تلامذتي وأخيرا جاء الموعد ودخلت مدرسة اللغات الشرقية متثاقلا في مشي لا عن تعب ولكن عن تصنع . فقادني أحدهم الى غرفة التدريس ووجدت نفسي بين السبورة وبين الطلبة فكدت أفضح نفسي وأصيح أيها الناس لست مدرسا ولم أكن في حياتي مدرسا ماذا تريدون بي ! ولكني استجمعت قواي مرة أخرى ودرت دورة بين الصفوف . وتناولت من أمام الطلبة كراسة بعد الاخرى وأخذت أقلب فيها . وأخذت فكرة عن معلوماتهم وعما يتعلمونه وعدت الى مكاني وابتدأت في التدريس وكأن وحيا نزل علي من السماء أو فيضا الهيا فانطلقت القي درسي بلباقة وتسلسل وبدون توقف حتى آخر الساعة . ولحظت علامة السرور والاعجاب مطبوعة على الوجوه فسلمت وأردت الانصراف فاستوقفني أحد السامعين وهنأني باسم المدرسة وقدم لي نفسه الدكتور ن زميل مستشرق نروجي ويدرس العربية أيضا . وقال فيما قاله أن الادارة أرسلته ليكتب تقريره عني ولكنه سيحضر حصتي بدون انقطاع للاستفادة وقد بر بوعده طول مدة عملي . وأخذت طريقي الى فراو زور نشطا كأن لم يكن بي شيء من آثار التعب . وشرعت ادندن طول الطريق . وقلت أرخ ياولد هذا التاريخ السعيد في حياتك ففيه قد ضمنت لأول مرة حياة سعيدة .

وانقضى فصلان دراسيان علم في غضونهما أعوان الشرق المصريين بما انا فيه من طمأنينة فاستكثروا ذلك علي وكادوا لي فكتبوا لأولي الأمر كتابا نبشوا فيه تاريخ حياتي ففصلت من

عملى طبقا للقوانين الجديدة من حرمان الذين اشتغلوا فى ماضيهم بالماركسية من وظائف الدولة . فكرة يعلم الله أنى طلقتها منذ زمن بعيد وأمقتها كل المقت وعدت مرة أخرى الى التشرد وهكذا كلما بسم الدهر مرة عبس لى مرات .؟وكلما ذللت صعوبه عثرت بصعوبات مما هو مسطور فى مذكراتى عشت فى مصر ما يقرب من خمسة وثلاثين عاما لم أعرف فيها هذا الذى يسمونه حبا ويؤلفون فيه القصائد ويكتبون فيه القصص . وكنت فى شبابى أتشبب وأتغزل ولكنه على سبيل التقليد فقط .وفقط بعد أن اكتملت الاربعين وفى منفاى عرفت ما كنت أجهله وكويت به مرتين ولا محل لتسبيب جهلى بالحب فى مصر ومعرفتى به فى المانيا لضيق المقام وسأذكر واقعة الحب الثانية حدث أنى لما فارقت خطيبتى بعد أن فسخت عقد الخطبة مرضت مرضا شديدا أو نقص وزنى عشرين كيلو وخيف على حياتى. فقد كان حبى لها وشغفى بها لا يقدر . وكان بين أصدقائى رجل داهيه عرف أن طب الطبيب لا يفيد فى هذا المرض وأن دواء الحب فى الحب

فعرفنى بفتاة مثقفة ليست على شىء كثير من الجمال ولكنها كى يقول الفرنج Interresting وكانت أديبة فاضلة معروفة لها خمسة كتب فى السوق ترجمت الى خمس لغات : كما كانت كريمة الخلق : زارتنى يوما بعد التعارف وعرضت على أن نكتب معا قصة بالألمانية عن البيئة المصرية وحببت الى الفكرة وقالت انها ستدر علينا ارباحا عظيمة . وبعد تردد قبلت اقتراحها . وتعود صديق الطرفين مساعدتى فى الذهاب الى دار الآنسة وفى العودة لضعف جسمى . ولم يمض أسبوع حتى تحسنت صحتى بعض الشىء واستغنيت عن مساعدة الصديق . وكنت اذهب اليها كل يوم فى الساعة العاشرة وأبقى عندها حتى الثانية بعد الظهر . كانت تجلس فى هذه الفترة الى الآلة الكاتبة وأجلس بجوارها أملى عليها قصتى وكانت تقدم الى فى اثناء ذلك نقلا وفاكهة كثيرا ما كان هو كل ما اتناوله من الطعام فى يومى فقد كنت أعيش فى ذلك الوقت على درس أو درسين أعطيهما بعد الظهر . وكانت بجانب الكتابة وحسن الضيافة تواسينى وتعطف على . وتقدمت صحتى بمرور الأيام وألفت عشرتها واصبح لقاؤها ضرورة من الضرورات . وابتدأت تتنبه مشاعرى بتحسن صحتى وأحسست عطفها على ففسرته بحبها لى وكنت ابتدأت ان احبها . فأردت أن اختزل الطريق وأريح قلبينا . فبعثت لها بعد خروجى من عندها بكتاب غرامى وبقيت طول الليل

مسهداً يكاد يعميني الحب ويذيبني الخجل ، وترددت فى الصباح فى زيارتها كعادتى ولكن الشوق تغلب على فهرولت اليها فقابلتنى كعادتها ولم تحمر لها وجنة ولم يند جبين ولا عبس لها ثغر وشكرتنى فى اثناء محادثاتنا على كتابى واستمر العمل كالعادة ...

وكتبت لها ثانيا وثالثا وخرجت من الغموض فى شرح حالى الى الافصاح ولكنها بقيت هى هى المرأة الكريمة المتأنية الطيبة القلب البعيدة النظر سيدة نفسها . فثرت وغضبت وعددت كرمها احسانا وتلطفها شفقة ممقوتة ، وعطفها لعبا بى . وهددتها بالمقاطعة اذا لم ترد على كتاب منى فردت ولكن ردود الاتشبع غلة محب وان أشبعت غلة أديب وتحديتها فكانت كل مرة كان يتحطم رأسى ! ومر على هذه الحال خمسة شهور ولم أعد أطيق ذلك . ولم نعد نكتب شيئا فى الكتاب فقد كانت جلساتنا مجرد مجادلات ومنازعات وتوسلات . فأخذت أبحث عن سبب لفصم عروة صداقتنا والرحيل عن برلين الى أى بلد آخر ولو الى الجحيم .

وكنا لا نفترق سبتا ولا أحدا وحدث بعد تصميمى هذا بيومين أن قالت لى « لا تأت الى غدا » نار وكبريت ! لا آتى اليك غدا !! ؟ ولماذا ؟ « عندى ضيوف من أهلى . » «قبل الظهر» « قبل الظهر وبعده » فألقيتها أعتباطا « أعيد ميلادك الليلة ؟ » فقالت فى حياء نعم ، موعدنا بعد غد أخفت على عيد ميلادها حتى لا ترهقنى بأن أهديها فيه شيئا . فوضعت يدى فى جيبى فلم أجد شيئا حتى ولا لشراء وردة واحدة . ياللذلة والعار ! ففكرت كثيرا أن أجد طريقا للحصول على شىء من النقود ولكن رأسى الخاوى عجز . فعدت الى دارى كئيبا ذليلا . وجلست الى مكتبى وأردت أن أقتل الوقت فأخذت ورقا وقلما وبدأت أكتب قصة صغيرة تحت عنوان « طليق يحن الى الرق » ومن عجب أن الافكار توارثت على بشكل عجيب فانتهيت من تحبير القصة فى ساعتين ثم خطر لى خاطر غريب فأخذت ورقة جديدة وكتبت عليها كتابا للسيدة أهنئها فيه بعيد ميلادها وكأديبة أقدم لها القصة المرفقة هدية فى عيد ميلادها . ورجوت أبنة صاحبة الدار أن توصل كتابى هذا الى صاحبة العنوان وأعطيتها نظير ذلك كتابا من كتبى .

وتنفست الصعداء وكان حملا ثقيلا سقط عن عاتقى ونسيت الجوع ونسيت منازعاتى مع السيدة وخرجت الى أحد المتنزهات طلبا للرياضة . وفى المساء عدت الى بيتى فأخبرتنى صاحبة الدار

أن الانسة «ا» دقت لى التليفون خمس مرات وأنها تركت لى خبرا آخر مره أن أذهب اليها ولو فى منتصف الليل . فأخذتنى الدهشة وقلت مريضة بدون شك . وذهبت اليها مسرعا . ودققت الجرس ففتح الباب ووجدتها أمامى باسطة ذراعيها الى . وخاطبتنى لاول مرة بضمير المخاطب المفرد دليل الصداقة وعدم الكلفة . وقادتنى الى غرفتها فاذا شموع وشراب وفاكهـــة وزهور وقالت لى اسمع وصلتنى هديتك وأنا فرحه وفخورة بها . وفى كل حياتى لم تصلنى أثمن منها ولا هدايا من نوعها . ومن شدة اعجابى بها بعثت بأهلى الى دورهم والليلة لك وحدك . وأنا أعتبر من هذه الساعة الهك الهى وأهلك أهلى وبلدك بلدى .

حديث الحب حديث يطول فلاقف عندهذه النقطة السعيدة ومن شاء مزيدا فليتتبع مذكراتى التى ستظهر قريبا

بقيت كلمة الختام . لو أن ما لقيته من عناء وبؤس وشقاء ووحشة ومعرفة وعلم وتجربة يمكن استبداله بنصاب وعرض على استبداله بالف الف جنيه أو يزيد فأقسم غير حانث فى يمينى لرفضت هذا العرض ولا يأخذكم العجب كما أخذ كثيرين ممن يعرفونى كيف صبرت على كل هذه الآلام والمحن وكيف تحملتها وكيف غالبتها وغلبتها فشعارى كان دائما « ان الحياة عقيدة وجهاد »

الحرب

أصبحت الحرب ويلا ووبالا على المدنيين كما هى على الجنود . ولذلك قدمت الحكومة البريطانية مشروعا لتأمين المدنيين — مدة الحرب — من القتل أو الاصابة وتأمين البواخر والسفن التجارية ومشحوناتها . وتأمين المبانى التى يملكها الافراد أو الشركات

وكانت الحكومة البريطانية تؤدى معاشا لورثة القتلى من الجنود . وهى الان — بهذا التأمين — ستؤدى معاشا لورثة القتلى من المدنيين بلا أدنى فرق بين الجندى والمدنى

وهذه التأمينات المختلفة تدل على التطور الحديث فى الحروب فان كل فرد فى الامة أصبح جنديا معرضا للموت أو الاصابة

اسيوط القديمة والحديثة

للاستاذ بيومي على نصار بك مدير أسيوط

اسيوط أكبر مدينة فى الصعيد ومن أقدم المدن المصرية المعروفة فى التاريخ القديم اذ كانت عاصمة لاهم اقاليم الصعيد واكثرها عمرانا وثراء ومنعة وكانت محاطة بغابات كثيفة من أشجار السدر والفاكهة والنخيل

اما ولاية اسيوط القديمة آنت خينت فكانت تمتد من قرية مير شمالا الى قرية شطب جنوباً (٥٥ كيلو متراً)

وقد يبدو الآن ان ذلك الاقليم كان صغير الاتساع بالنسبة لعاصمة الصعيد . ولكن الثابت انه كان يعد من اكبر اقاليمه اذ ان الصعيد كان مقسما الى اكثر من عشرين اقليما لكل اقليم امير يحكم واله يعبد .

واقدم اسم لها ذكره التاريخ هو سيوط مقر الاله أنوبيس ثم أطلق عليها اليونانيون عند حلولهم لوادى النيل ليكوبوليس أى مدينة الذئب لما ثبت لهم من التاريخ انها كانت مقر الاله المذكور وهو معبود اسيوط المقدس الذى كان يمثل فى شكل ذئب . وظلت هذه التسمية الى عهد الفتح الاسلامى لوادى النيل حيث رجعوا بالتسمية الى اصلها الصحيح وهو سيوط وورد على هذه الصورة فى الكتب العربية

وابان الحملة الفرنسية هرع اليها بعض المماليك والامراء للاقامة فيها فراراً من الفرنسيين وبنوا فيها قصوراً عظيمة وحمامات وقيساريات وغير ذلك كما حصنوا سورها وبواباتها القديمة ، وقد بعث اليها نابليون بتجريدات عسكرية لفتحها والاستقرار فيها ليمكن لرجاله الهيمنة على شئون الصعيد كله.
وقد عسكرت الجنود عند سفح الجبل الغربى تجاه المدينة حيث نصبوا مدافعهم وضربوا بها المدينة

حتى خربوا كثيراً من معالمها القديمة ومبانيها الجميلة ولم يسع اهلها الا التسليم بعد ذلك . فدخلها الغزاة واستقروا فيها بعض الزمن . بعد ذلك وفدت عليها البعثات العلمية للبحث والدرس والتنقيب عن معالمها واثاراها القديمة فكانت الحملات اولا والبعثات العلمية ثانياً موفدة الى اسيوط

ومن المحقق ان مدينة اسيوط متناهية فى القدم الا ان التاريخ لم يذكر شيئاً عنها قبل الاسرة العاشرة حوالى ٢٤٠٠ سنة قبل الميلاد اذ كانت كما سبق القول المقر الرسمى للاله اتوبيس الذى كان يمثل فى صورة ذئب تقدم له القرابين ويعبده الناس فكانوا يقدسون الذئب لذلك وينقشون صوره فى مقابر الملوك والامراء كما يحنطون جثته ويكفنونها فى لفائف الكتان ويدفنونها فى مقابر أولئك العظماء وهو يمثل الاله اتوبيس أو دليل الاموات الذى يقودهم فى الآخرة الى طريق الجنة والنعيم المقيم

وتوجد سلسلة كبيرة من المقابر الاثرية المنحوتة فى الجبل الغربى قبالة أسيوط وممتدة الى الجنوب لمسافة ستة كيلو مترات تقريباً حتى تنتهى عند ناحية دير ريفا حيث تبدأ الى الجنوب ايضا سلسلة أخرى من تلك المقابر كانت معدة لدفن امراء شطب التى كانت ولاية اخرى غير ولاية اسيوط

اما سلسلة المقابر الاولى الخاصة باسيوط فقد كانت مخصصة لدفن امراء اسيوط ولدفن حيوان الذئب المقدس وهى على طبقات فوق بعضها .

ومن اهم هذه المقابر ثلاثة فى الطبقة العليا مشرفة على مدينة اسيوط وهى مقابر ثلاثة من أمراء اسيوط الافدمين وهم تيف يب وولديه خيتى الاول وخيتى الثانى وهم من امرء اسيوط فى عهد الاسرة العاشرة . ولهذه المقابر الثلاثة اهمية تاريخية كبيرة اذ انها تعتبر اكبر مصدر لتاريخ الاسرة العاشرة حيث كانت الدولة فى حالة انحلال شديد بسبب الحروب والثورات الداخلية التى شنها امراء معظم الولايات القبلية ضد الملك ليستقل كل بولايته ولتنصيب نفسه ملكا مطلقا عليها

اما الامير تيف يب فقد كان امير اسيوط فى عهد الملك ميرى كيرى **Merikeri** وقد كان ذا حظوة كبيرة لديه ومقربا عنده عن سائر امراء الولايات لاخلاصه الشديد للملك ولانه حارب كثيراً من امراء الولايات القبلية وطردهم من اماراتهم جنوباً لغاية معبد ابيدوس ليخضعهم للملك المذكور . وقد كان منقوشاً على باب مقبرة ذلك الامير ما يأتى — « ارجوكم يا من تمرون بمقبرتى ان تصلوا من اجلى »

ولما كانت الامارة على اسيوط وراثية وبخاصة لشدة اخلاص الامير تيف يب للملك ميرى كيرى فقد عين الملك نجله خيتى الاول اميراً على ولاية اسيوط وقد كان ذلك الامير ايضا مثل أبيه شديد الاخلاص للملك ميرى كيرى وحارب معظم امراء الولايات القبلية لاخضاعهم للملك وبذل فى ذلك مالا وجهوداً طائلة . وقد كان مقر الملك المذكور مدينة « ليشت » قبالة البدرشين على النيل ولكن نظراً لخروج معظم الامراء على حكمه وانتقاضهم له حضر الى اسيوط للاستنجاد باميرها خيتى الاول فجهز الامير اسطولا نيلياً عظيماً وسار بالملك فى مظاهرة حربية نيلية وبرية متجهاً نحو الشمال حتى اعاده الى عرشه فى المقر المذكور .

ولم يكتف الامير بذلك بل توجه جنوباً بعد عودته الى اسيوط وحارب الامراء القبليين وخصوصا امراء طيبة (او الاقصر) واغتصب منهم مدينة تينيس التى كان يطلق عليها اسم « بوابة الشمال » ولذلك منحه الملك لقب حاكم الصعيد العسكرى وامير اسيوط

ويطلق على مقبرة خيتى الاول مقبرة الجنود لانه وجد بها نقوش كثيرة تمثل صفوفاً متراصة من الجند مدججين بحرابهم ودروعهم كما مثلت نقوش أخرى جانباً من الاسطول المصرى الذى قاده لاخضاع الولايات القبلية والبحرية لحكم الملك ميرى كيرى

اما الامير خيتى الثانى فقد تولى امارة اسيوط بعد وفاة ابيه وذكر التاريخ انه كان اميرا وديع الخلق عظيم الثراء وكان يمتلك اطيانا زراعية واسعة ورثها عن ابيه فوق الاقطاعية التى كان يستغلها بحكم امارته على الولاية .ومن اعماله انه شق ترعة كبيرة للرى فى ولايته كما كان يختزن كثيرا من محاصيل الحبوب لتوزيعها على الفقراء والعمال فى ولايته عند اشتداد حاجتهم اليها دون مقابل . وكان يلقب ذلك الامير قائد مصر الوسطى وامير اسيوط

وقد بذل كل من هؤلاء الامراء الثلاثة كل مقدورهم فى تعزيز اركان المملكة المصرية وبذلوا من الاموال والجهود فى ذلك شيئا كثيرا الا ان استمرار الفتن والقلاقل والحروب الداخلية لم تبق على كثير من معالم الحضارة والعمران فى عهد الاسرة العاشرة ولذلك تعتبر مقابرهم الثلاثة ذات شأن كبير فى تاريخ تلك الاسرة المالكة وايراد كثير من اخبارها فى النقوش التى وجدت بها

وفى الطبقة التى تلى تلك المقابر مباشرة توجد مقبرة امير اسيوط هيبزيفا وهى تعتبر اكبر مقبرة

حجرية اكتشفت فى الديار المصرية وقد كان صاحبها المذكور يطلق على نفسه الالقاب الآتية :

«امير اسيوط وخادم الاله ويبواويت ورئيس كهنته . المشرف الاعلى على شئون مصر العليا وبلاد النوبة المولود الشرعى للام المقدسة ايديو Idi — o نائب الملك سينوسربت الاول Senusret والحاكم بامره . عظيم العظماء »

وسبق القول ان الدولة كانت فى حالة انحلال شديد فى عهد الاسرة العاشرة وتلتها الاسرة الحادية عشر فلم تعمر كثيراً ولم تستطع تثبيت دعائم الملك أو السيطرة على كل الولايات لانتشار الثورات والحروب الداخلية ولم تنقطع هذه الحالة تماماً ولم يعد للبلاد امنها ورخاؤها الا فى عهد الاسرة الثانية عشر التى بدأت بحكم الملك امنمحعت الاول ٢٢٠٠ — ١٩٨٨ قبل الميلاد وهو الذى اعاد تأسيس الملك على دعائم ونظم قوية وفى عهده استقرت الامور وزهت الحضارة وازداد العمران بعد أن تغلب على جميع العصاة وعلى المصاعب الكبيرة التى لاقاها فى اصلاح البلاد وتنظيمها وقد ترك فى انحاء مصر من الاثار والمعالم ما يشهد له بالجد والسعى وراء مصلحة بلاده كما استخرج كثيرا من المعادن من مناجم الصحراء وشبه جزيرة سيناء والذهب من شمال بلاد النوبة (الدر) حيث كان يوجد فيها بكثرة

وبعد ان حكم عشرين سنة بمفرده اشترك معه فى الحكم ابنه سينوسريت الاول Senusret أو Unsertsen أو Sesostris لمدة عشرة سنوات ثم توفى وحكم بعده ابنه المذكور خمسا واربعين سنة قاد فيها كثيرا من الجيوش لتأديب اللوبيين واخضاع النوبة

ومن اشهر اثاره مسلة عين شمس وبدأ مشروع بحيرة موريس (قارون) وبنى معبدا بوادى حلفا وكانت مدة حكمه من سنة ٢١٨٨ الى سنة ٢١٤٣ قبل الميلاد وكان مقر ملكه فى مدينة ليشت سالفة الذكر

وكان من اكبر الامراء المقربين لديه امير اسيوط هيبزيفا الذى عاونه فى معظم حروبه وغزواته وقد قام على رأس جيش كبير لاخضاع بلاد النوبة ثم فتح السودان وقد كان يخشى الموت ويحسب له كل حساب نخشى أن هو مات الا يقوم كبير كهنته بمقر امارته وهو اسيوط باداء واجباته الدينية لروحه بعد الموت فاراد ان يقيده بقيود يضمن معها ان يقوم باداء تلك الواجبات على الوجه الاكمل

وهى تشمل تقديم الهدايا والاطعمة والقرابين لروحه ولاله وبيواويت حتى يقوده للنعيم الخالد فحرر عشرة التزامات Contracts مع كبير كهنته وارفقها بخطاب يلزمه فيها باداء تلك الطقوس كاملة وقد كانت هذه الالتزامات محررة على ورق البردى ومختوم عليها فى غلاف لا يفض الا عند موته

الا ان الامير ادركته المنية فى طريقه لفتح السودان فمات عند ناحية يقال لها كرمه kerme بجوار الشلال الثالث وعلى بعد ٢٤٦ ميلا جنوبى حلفا فدفنه اتباعه فى مقبرة كبيرة هرمية الشكل بنيت من الطين والطوب كما دفنوا معه زوجته سينوى Senuwy ووالدته (أيديو) Idi — o وخلقا كثيراً من كبار قواده وجنود حرسه وكثيرا من التحف والتماثيل التى جلبها معه من أسيوط وعندما ورد نبأ وفاته الى أسيوط خشى رئيس كهنته ان تضيع الالتزامات المحررة على ورق البردى اذا ما مات هو وتعطل مفعولها فوفاء لسيده المتوفى قام بعمل تغييرات كبيرة فى النقوش والرسوم السابق عملها فى مقبرته وسجل مكانها نصوص تلك الالتزامات العشرة لتكون مستديمة الخلود ليقوم من يخلفه فى رياسة الكهنة على تنفيذ ما جاء بها واحترامها

ويذكر المؤرخون ان هذه هى أقدم التزامات مكتوبة عرفها التاريخ منذ الخليقة مع أن صاحبها كان من أمراء الاسرة الثانية عشرة

وقد احتوت مقبرته باسيوط كثيرا من هذه البيانات كما نقش على جدرانها تفاصيل غزواته وحروبه مع امراء طيبة — كما نقش على نقوش لصورة الذئب المقدس ولصورة الامير وهو جالس الى منضدة تقدم له الهدايا وفى صورة اخرى يرى واقفا وامامه ثلاث من النساء يقدمن اليه زهر اللوتس — ويوجد على جدران تلك المقبرة ١٠٥ سطر رأسى من الهروغليفى عن ذكر اعماله وغزواته

وقد أطلق العامة على هذه المقبرة اسم (اسطبل عنتر) وغير معلوم على وجه التحقيق منشأ هذه التسمية الشاذة أو سببها الا ما ورد فى بعض تواريخ المتأخرين من أن هذه المقبرة لاتساعها الكبير وارتفاعها عن المدينة فى الجبل الغربى عسكرت فيها فصيلة من سوارى الجيش الفرنسى بخيولها فاطلق ذلك الاسم عليها مجازا Stable of Anter

وقبل أن أترك تاريخ اسيوط القديم أود أن الفت النظر الى شىء له أهمية عظيمة مما يتصل باقليم

اسيوط وهو انه كان يعيش فى مغارات الجبل الشرقى قبالة النواورة والعثمانية (مركز البدارى) فى عصور متناهية فى القدم أول شعب عرف الزراعة والصناعة قبل عهود الاسر أى حوالى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد حيث كانوا يزرعون القمح والكتان وغيرهما على منواله يزيد عن حاجة استهلاكهم المحلى مما علمهم شيئا من التجارة فى شكل مقايضة كما انهم مهروا فى غزل الكتان ونسجه وكانوا يلبسونه كما يلبسون بعض الاحيان جلود الماعز . ويكاد يجمع كل المؤرخين على ان البداريين هم أول زراع وصناع ظهروا فى عالم الوجود

وفى ذلك الزمان السحيق ايضا اجادوا صناعات الفخار والخزف حتى ان خزفهم اكتسب شهرة عالمية فى التاريخ قلما يغفلها كتاب وضع عن تاريخ مصر القديم وامتازت اوانيهم الخزفية بدقة الصنع وكمال الاستدارة ؛ لونها أحمر غامق لامع وتحيط بها عند الفتحة حلقة سوداء وهى رقيقة السمك ومتينة للغاية وصغيرة — كانت هذه الآنية من أهم ما يقتنيه ملوك الاسر وامراء الولايات للاستعمال اليومى لتناول الشراب أو لتدفن مع مومياءهم حتى تكون كؤوساً لهم يشربون بها رحيق الآخرة — واسمها العلمى فى التاريخ The Badarian Potter وقد حمل معه أمير اسيوط هيبزيفا كمية كبيرة منها فى رحلته الى السودان ووجدت مدفونة فى مقبرته بالكرمة .

ولقد كان لاهل اسيوط ميزة المعرفة والمدنية وقوة البأس كما كانت لهم الزعامة على أهل الصعيد كله . وهم مشهورون منذ القدم بحرصهم وذكائهم ودأبهم على تحصيل العلوم والفنون والتعمق فى البحث والاستقصاء . وقد نشأ بينهم فى القرن الثالث للميلاد ذلك الفيلسوف بلوتيناس Plotinus الذى ولد باسيوط فى سنة ٢٠٥ ميلادية وعند ما بلغ السابعة والعشرين من عمره رحل الى الاسكندريه ليدرس علوم الفلسفة فى مدرستها الكبرى التى كانت تعرف فى عهد ملوك البطالسة بدار التحف — فكان بلوتيناس بعد دراسته بها يعد من أكبر فلاسفة زمانه

وحسب الاسيوطيين فخرا أن نبغ منهم فى القرن الخامس عشر للميلاد عالم اسلامى كبير هو المرحوم الاستاذ جلال الدين الاسيوطى الذى ألف حوالى ٢٧٠ مجلد فى مختلف علوم الديانة الاسلامية وكثير منها يدرس بالجامعة الازهرية للآن — وقد كان نابغا ذكيا حفظ القرآن الكريم وأجاده كل الاجادة قبل أن يبلغ الثامنة من عمره . وكان زاهدا تقيا متفرغا للعلم كما كان فقيرا

معدما لا يملك شيئا متواضعا كل التواضع مع علمه الغزير

وقد كانت اسيوط الى عهد قريب أكبر سوق فى الصعيد لتجارة البضائع السودانية ومنتجات الواحات وبلاد المغرب حيث كانت ترد لها كل سنة قافلة مكونة من ألف من الابل تبدأ رحلتها من دارفور بالسودان مارة فى طريقها ببعض الواحات والآبار الرومانية القديمة المتناثرة على دروب الصحراء الملتوية وكانت تقطع تلك المسافة فى اربعين يوما كاملة تأتى بعدها لاسيوط بانواع شتى من حاصلات تلك الاصقاع وهى العاج الخام وقرن الخرتيت، واخشاب الصندل والابنوس والصمغ العربى وجلود الحيوانات المفترسة وريش النعام والتمر هندى وبعض حاصلات بلاد المغرب التى يحملونها من الواحات فوق ما جلبوا من السودان . وبعد أن تفرغ تلك القافلة احمالها العظيمة تعود الى السودان محملة بكثير من خيرات مصر وبضائعها ومصنوعاتها وبذلك كانت تروج التجارة والصناعة فى اسيوط وبخاصة صناعة التحف والادوات العاجية والخشبية الدقيقة وصناعة الاثاث والجلود مثل سروج الخيل وأعمدة السيوف والخناجر وقرب الماء . ولعل رواج تلك الصناعات حقبة من الدهر فى اسيوط هو السر فى مهارة اهلها الوراثية فى عصرنا الحاضر . ولقد توقف سير تلك القافلة على أثر امتداد السكك الحديدية والبواخر النيلية حتى اصبحت تربط الديار المصرية بأعالى النيل فى جنوب السودان

أما اسيوط الحديثة فهى كما كانت فى كل العصور وكما ستبقى أبد الدهر عاصمة الصعيد وأكبر مدنه أزدهارا وثراء وهى عاصمة مديرية اسيوط التى تعتبر أهم مديريات الوجه القبلى والمديريه الثانية فى الاهمية بين مديريات القطر كله

وقد انتشرت الثقافة الحديثة بين الاسيوطيين وكذا حب الرياضة والاجتماع حتى تعددت الاندية الرياضية فى المدينة وكذلك فى أهم عواصم مراكز المديرية

وقد انتشر بينهم التعليم لدرجة مشهودة محمودة حتى نبغ من بينهم كثير من العلماء وقادة الرأى فى هذه الديار فى عصرنا الحاضر

وانى اذ أشير الى التعليم فى هذه المدينة لا يفوتنى ان اذكر الكلية الامريكية باسيوط التى انشئت فى سنة ١٨٥٠ والتى لها فضل كبير فى نشر الثقافة الحديثة بين مختلف طبقات الشعب ولا تزال

تؤدى رسالتها الى يومنا هذا على الوجه الاكمل

وتقع مدينة اسيوط على مسافة ٣٧٦ كيـلو متر جنوبى القاهرة عاصمة القطر المصرى — وهى مقامة على رقعة كبيرة من الارض تبلغ مساحتها ٢٠٠٠ فدان محصورة بين الجبل الغربى ونهر النيل. جوها معتدل شتاء شديد الحرارة صيفا ولو ان جفافه يلطف من حدة الحرارة نوعا ما

ويبلغ عـدد سكانها ١٣٩ ٦٩ نسمة وأهم اعلامها معـهد فؤاد الاول التابع للجامعة الازهرية . الذى أمر بأنشائه ساكن الجنان المغفور له الملك فؤاد الاول وقد تم بناؤه على الطراز العربى الجميـل وافتتح للدراسة فى أغسطس سنة ١٩٣٤

ومن أهم معالمها أيضاً قناطر اسيوط التى تقع شرقى المدينة وقـد تم انشاؤها سنة ١٩٠٢ وتمت تقويتها فى مايو سنة ١٩٣٧ وتستعمل كقناطر حجز لتغذية الترعة الابراهيمية التى تأخذ مياهها من النيل امام تلك القناطر لتروى جميع اراضى الصعيد الواقعة بحرى المدينة حتى حدود القاهرة

وهى مشهورة الآن بصناعة التحف الثمينة التى تصنع من سن الفيل والابنوس والصندل والعود وكذا بصناعة التلى الذى يعجب به السائحون كثيرا ويقدمونه هدايا لذويهم عند عودتهم لبلادهم

كذلك تقـدمت باسيوط صناعة السجاد المصرى بالوانه الطبيعية والمصبوغة واصبح يضارع فى جودته ودقة صنعه السجاد العجمى المشهور

ويزور اسيوط كل شتاء جمهرة كبيرة من السائحين لمشاهدة معالمها وآثارها حيث يصلون اليها من القاهرة بطريق النيل على بواخر مستكملة كل وسائل الراحة أو بطريق السكة الحديدية أو بالطائرات التى تسير بين المدينتين يوميا طوال السنة

الشتاء في أوربا



الثلج الأبيض يكسو الأرض

تجربة انجليزية جديدة

فى الصحة الاجتماعية والجسمية

فى بكهام أحد نواحى لندن بناء من الزجاج أو معظمه من الزجاج ينفذ ضوء الشمس الى كل مكان فيه فى النهار ويتلألأ فى الليل إذا اضيئت مصابيحه . وإذا سمينا هذا البناء ناديا فاننا نصيب . ولكننا نصيب ايضا إذا اطلقنا عليه اسم المطعم أو المصحة او المستوصف . بل ربما كان اسم النادى اقل الاسماء انطباقا عليه . ذلك لاننا قد ألفنا تأسيس الاندية لكى تضم طبقة معينة من الرجال أو من النساء يشترك أعضاؤها فى مستوى اجتماعى بحيث يتفقون فى الاذواق . ولكن هذا النادى واسمه الحقيقى « مركز بيكهام الصحى » انشىء للعائلات فلا يجوز للاعزب ان يدخله . وانما يدخله الرجل وزوجته وأولاده . وجميعهم أعضاء فيه ولكل منهم وسائل لتسليته الرياضية والثقافية كما يجد الطعام والشراب . والى هذا كله يجد العضو ما يضمن له الصحة . فان العائلة حين تلتحق يفحص عن اعضائها مهما كانت مظاهر العافية بادية عليهم . لان الفحص هنا لا يقصد منه البحث عن المرض فقط بل البحث عن الامارات الضعيفة الخفية الاولى التى تسبق المرض . وذلك ان كثيرا من المرضى يعانون الالام المختلفة لامراض مستعصية كان يمكن انذارهم بما سوف يقعون فيه لو انهم جعلوا الطبيب يفحص عنهم فحصا عاما تاما . مثال ذلك ان المرض السكرى يكمن فى الدم سنوات وليس له ادنى علامة تدل عليه الى ان يتفاقم فيظهر فى البول . والحمض البولى كذلك يختبىء صامتا مخامرا الى ان يثب وثبة مؤلمة فى احد الاعضاء فيظهر لنا فى شكل الرومتزم او غيره . وكان يمكن توقى هذين المرضين لو أن المريض حصل على انذار سابق . وهذا هو ما يقوم به اطباء « مركز بيكهام الصحى » فان كل عضو يفحص عنه ويحلل دمه ويبين له ما يجب عليه ان يتخذ من الحيطة لكى

يتجنب الوقوع فى هذا المرض او ذاك فيقال له هذا الطعام مفيد وهذا مضر وهذا الوزن لجسمه يجب ان يزاد او ينقص . وهذه الرياضة المعينة لاتليق له فيتخذ غيرها مما يليق . وهلم جرا

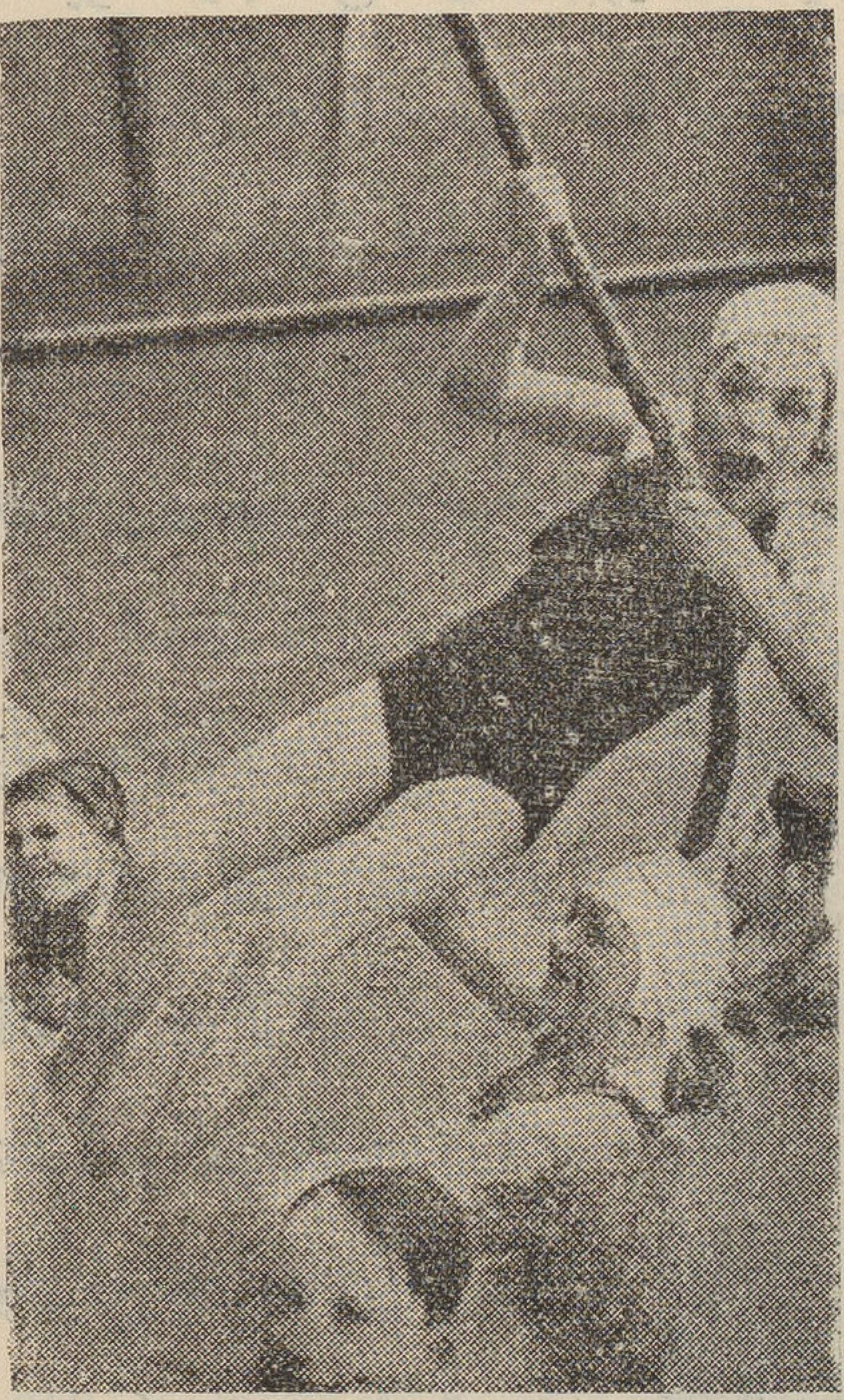
ولكن صحة الجسم وحدها ليست هدف النادى . فان الصحة الاجتماعية هدف آخر . وذلك ان الاندية فى صميمها تعد من المؤسسات التى لا تتفق كل الاتفاق وسعادة العائلة لان رب العائلة يترك بيته اى زوجته واولاده لكى يقصد الى خلانه و اصدقائه فى النادى فالعائلة فى ناحية وربها فى ناحية . وأندية النساء كذلك ولكن هذا النادى اى هذا « المركز » يحتم على الرجل ان يحضر مع اعضاء عائلته وهو بالطبع لا يلازمهم طول مكثه فى النادى بل قد يفترق الجميع او قد يجمعون كما تشاء لهم الوان التسلية المختلفة ولكنهم جميعا فى كل وقت على مقربة بعضهم من البعض . والتعارف ليس بين فرد وفرد بل عائلة وعائلة . فالعائلة هنا تزداد تماسكا



مركز بكهام الصحى

والاجتماع يزداد قوة. ولذلك يمكن أن يسمى هذا «المركز» مؤسسا صحيا كما يمكن أن يسمى مؤسسا اجتماعيا

وفيما يلي بعض المعلومات عن هذا النادى ننقلها لكى نلفت النظر إلى امكان تأسيس ما يشبهه فى القاهرة. او على الاقل لكى يساعد على ايجاد العقلية الاجتماعية :



حوض السباحة

١ ـ النظرية الاولى فى النادى أن الوقاية خير من العلاج

٢ ـ فى النادى ملعب وحوض للسباحة ومسرح للتمثيل (من اعضاء النادى) وقهوة. ومحضن للاطفال. وغرف مختلفة للبليارد والشطرنج الخ

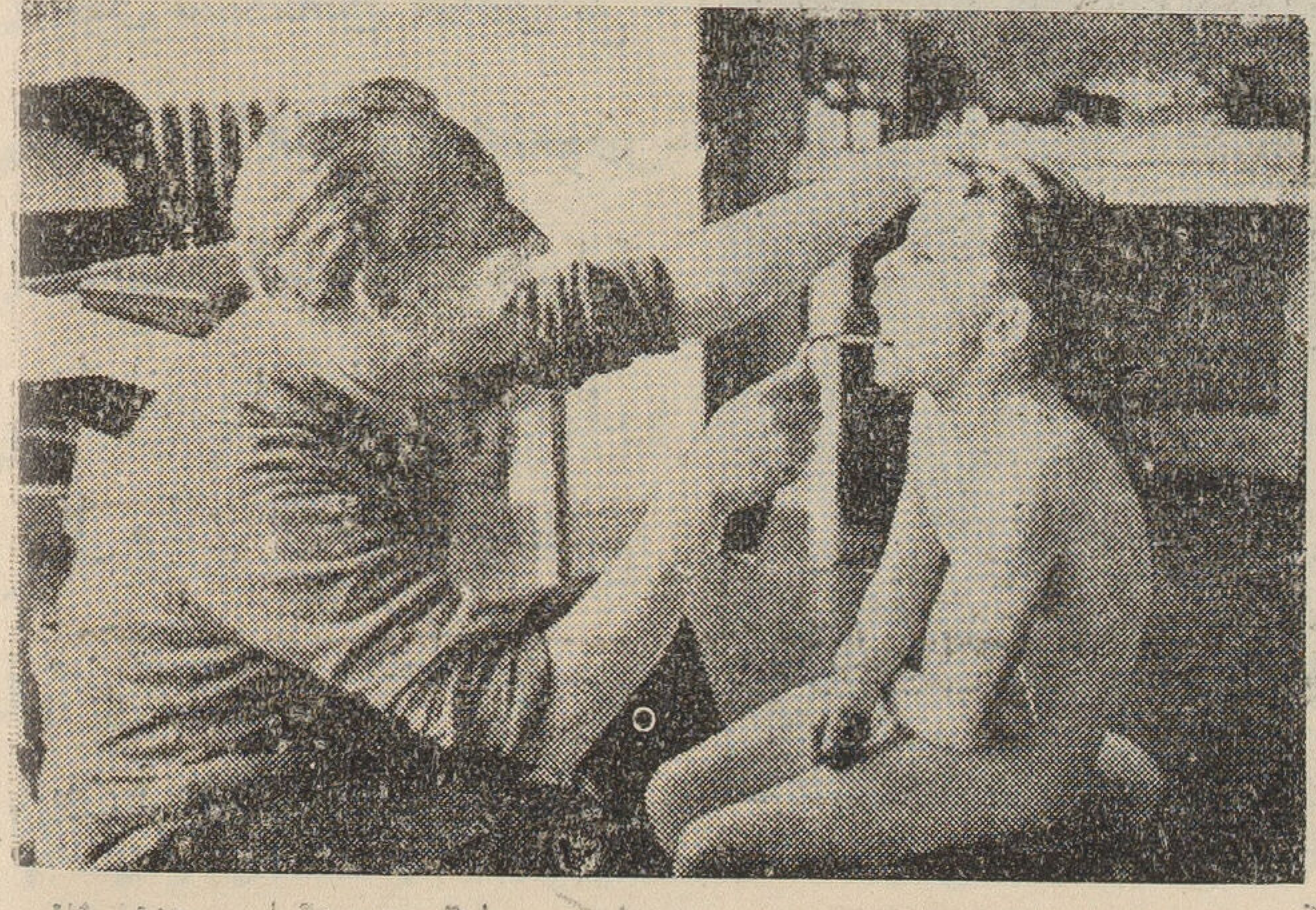
٣ ـ الاشتراك خمسة قروش لكل عائلة فى الاسبوع ونصف هذا المبلغ لكل ولد فى العائلة يزيد عمره على ١٦ سنة

٤ ـ يجب على كل عضو فى العائلة أن يتقدم للفحص الطبى فى مرات معينة طول العام

٥ ـ دخل النادى من الاشتراكات التى يؤديها الاعضاء ومن التبرعات. وقد تبرع اللورد نوفيلد بألف جنيه

٦ ـ هاك مثالا من الاعضاء الذين حضروا فى يوم من الشهر الماضى ٣٢٩ سيدة و ٢٣١ رجل ، ٢٥٨ طفل بين الخامسة والسادسة عشر فالمجموع ٧٥٩ . وبلغ مجموع من حضروا فى الأسبوع نفسه ٤٦٢٦

٧ ـ تبين من محادثة كثير من الاعضاء انه لم يكن لهم اصدقاء غير اقاربهم ولكنهم استطاعوا بهذا النادى أن يختلطوا وان تتسع علاقاتهم الاجتماعية وان يكسبوا اصدقاء من غير اقاربهم



الفحص الطبي

٨ ـ بالنادى اربعة اطباء وكيماوى يختص فى الكيمياء الحيوية يقومون بالفحص

٩ ـ ليست مهمة هؤلاء درس المرض بل درس الصحة

مستقبل الثقافة في مصر

للاستاذ عزمى الدويرى

أرغب قبل كل شيء فى أن أعلن للقراء أمراً قد يعد فى ظاهره تافها يسيراً ، ولكنه عندى وعند المدقق أمر خطير . أرغب فى أن اعلن للقراء انى قرأت كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر »



الدكتورطه حسين بك

كله وهو جزءان صفحاتهما ٥٥٠ — وهذا ليس بالشيء القليل لأمرين يسيرين ، أولهما أنى اعلم أن الكثيرين من النقاد أو الذين يعتبرون انفسهم نقاداً لا يقرأون ما يتصدون لنقده من الكتب . فبعضهم يكتفى بقراءة العنوان . والكتاب، عندهم يعرف من عنوانه اوالبعض الآخر قد يكلف نفسه شيئاً من العناء فيقرأ الفهرست أو يتصفح الكتاب كما يقال وعلى هذا الاساس يبنى رأيه ثم يكتب نقده الذى لا يخرج عن امرين لاثالث لهما فهو اما ذم شنيع أو مدح شنيع كذلك !

والأمر الثانى انى اقيم فى عاصمة أحد الاقاليم وأعرف طائفة كبيرة من المتعلمين ، أوممن اعتدنا أن نعتبرهم متعلمين . أعرف طائفة كبيرة من الاطباء والمهندسين والمحامين والمدرسين وكبار الموظفين وأعرف أن أحدا من هؤلاء جميعاً لم يقرأ هذا الكتاب على الرغم من مكانة مؤلفه فى عالم الادب وعلى

الرغم من خطورة موضعه . بل أعرف أن أحدا منهم لم يسمع باسم هذا الكتاب . فهم منصرفون عن القراءة الجدية المثمرة الى تلك القراءة الهينة السهلة التى يستعان بها على قطع الوقت وتزجية الفراغ . هم منصرفون الى روايات الجيب وما الى روايات الجيب من السخافات. ومن يدمن روايات الجيب يستحيل عليه أن يطيل النظر فى كتب طه حسين وامثال طه حسين . وليسمح لى الدكتور ان انبئه عن يقين انه مسرف فى حسن الظن بالقراء اذ حسبهم قوما نياما ، مسرف أيضا فى حسن الظن بقدرته على ايقاظهم بما ينوى ان ينشره فى « الثقافة » من فصول عنيفة فى نقد الادباء المعاصرين. انهم ياسيدى الدكتور قوم أموات وما أحسبك تزعم القدرة على احياء الموتى . انا يائس يادكتور من إصلاح هذا الجيل و كنت يائسا من المستقبل . كنت يائسا من الجيل الجديد أيضا حتى قرأت كتابك « مستقبل الثقافة فى مصر » فانار أمامى السبيل. وتبدل يأسى رجاء وقنوطى املا . نعم كنت وطائفة من الشباب المثقفين يائسين من مستقبل الحياة الديمقراطية الصحيحة فى مصر . نتلفت حولنا فماذا نرى؟ ثلاثة عشر مليونا أو أكثر من المصريين فى فقر مدقع وجهل مطبق . ثلاثة عشر مليونا أو أكثر من العبيد. فكيف السبيل الى تحريرهم ؟ بل كيف السبيل الى اطعامهم وتعليمهم ؟ وبكلمة كيف نرفعهم الى مستوى الانسانية؟ هذه هى المسألة التى تحيرنا وتربكنا وتصدم أذهاننا بقسوتها . فنستسلم الى اليأس والقنوط. وكيف لانيأس ونحن ننظر الى القادرين الذين يتعلق بهم أملنا فنراهم نياما . ننظر الى السادة والقادة وذوى اليسار وأصحاب الثقافة والنفوذ فنراهم جامدين لايتحركون لهذا الشقاء الذى يحيط بهم من كل صوب. ثم ننظر فنرى موجة الرجعية والاتجاه نحو الشرق تطغى على الحياة المصرية كلها وتغرق كل صوت يرتفع بالدعوة الى التجديد واصطناع حضارة القرن العشرين . صوت واحد كان دائبا فى الدعوة الى التجديد لايبالى صياح الصائحين ولا صخب الصاخبين . هو صوت الكاتب المفكر الجرىء الاستاذ سلامه موسى . فقد كنا نقرأ له فى مقدمة كتابه « اليوم والغد » قوله : —

« كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت امامى اغراضى من الادب كما ازاوله . فهى تتخلص فى انه يجب علينا أن نخرج من آسيا ونلتحق باوربا . فانى كلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له وشعورى بانه غريب عنى ، وكلما زادت معرفتى باوربا زاد حبى لها وتعلقى بها وزاد شعورى بانها منى وانى منها » وقوله : — « انا كافر بالشرق مؤمن بالغرب . وفى كل ما اكتب احاول ان

اغرس فى ذهن القارىء تلك النزعات التى اتسمت بها اوربا فى العصر الحديث والجعل قرائى يولون وجوههم نحو الغرب ويتنصلون من الشرق لأنى اعتقد ان لارجاء لنا فى النجاح فى العالم الا اذا تملصنا مما اكتسبناه من العادات الشرقية فى نظام العائله ونظام الحكومة والنظر للمرأة والنظر للادب حتى فى النظر للصناعات والمعايش «وكنا نقرأ قوله عن « الرابطة الشرقية » التى كانت قائمة بالقاهرة قبل بضع سنوات . — « ان هذه الرابطة أو الجامعة غير طبيعية . فلست احس ان هنـاك شيئاً يربطنى باليابانيين أو الصينيين الا هذه الرابطة الانسانية التى تسع كل شىء تقريبا ... والحقيقـة انه يوجد بيننا وبين اوربا من الروابط ماهو امتن واقوى مما يوجد بيننا وبين الصينيين أو اليـابانيين » أو قوله : — « ان العلماء يتجهون اليوم الى القول بان مصر هى التى افشت الحضارة فى العالم وان المصريين القدماء لم يكونوا امة شرقية . بل كانوا امة غربية الدم والمزاج . وان غربيتها هـذه هى التى يسرت على اوربا اصطناع حضارة المصريين لأن الاوربيين وجدوا أن القائمين بهذه الحضارة يمتون اليهم بنسب الدم وقرابة العصب فلم يتوجسوا شرا من بدع المصريين بل نقلوها واصطنعوها وارتقوا بها . فاذا كانت الاقدار قد قيضت لآبائنا ان يخترعوا الحضارة ويشبوا بالانسان الى نورها فهل يليق بنا نحن ابناءهم الذين يجرى دم الفراعنة فى عروقنا أن نركد فلا نبتدع ولا نشب ؟

«كلا . اننـا لن نكون حفدة أولئك الجدود العظام مالم نقف فى مقدمة الامم نعمل لخير العالم كما عملوا ونتطوى على النية الحسنة التى انطووا عليها ونبشر بحضارة جديدة ونغامر من أجل رقى الانسان. نركب الطائرات ونخترع فيها . ونلتحق بتلك الشعوب التى خرج منها هؤلاء الجدود فنلبس لباسهم ونسير سيرهم ونتثقف بثقافتهم »

كنا نستمع لهذا الصوت فيساور نفوسنا شىء من الامل ولكنه كان أملا ضعيفاً لان الصوت نفسه كان ضعيفا لايكاد يرتفع حتى يضيع صداه وسط تلك الجلبة العنيفة التى يثيرها الرجعيون والجامدون. فكنا نتألم اشد الالم ونروح نتساءل . لماذا ينفرد سلامه موسى دون سائر قادة الفكر فى مصر بهذه الدعوة الجريئة الى التجديد الجرىء والى اصطناع حضارة القرن العشرين بحذافيرها ؟ وكنا نتمنى على الله أن تنضم الى صوته أصوات أخرى نعلم علم اليقين ان اصحابها مجددون . بل مسرفون فى التجديد ليس فى ادبهم أو آرائهم فقط بل فى حياتهم أيضا . وقد حقق الله امنيتنا أتم تحقيق . فاخرج

لنا الزعيم العظيم طه حسين كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » فاثلج صدورنا ونفى عن نفوسنا اليأس ورد اليها الطمأنينة والثقة والأمل . نعم فلست اغالى اذا قلت ان عظمة طه حسين لم تتجل فى كتاب من كتبه كما تجلت فى هذا الكتاب الفذ . لقد بلا الدكتور طه حسين شؤون التربية والتعليم والثقافة زمنا طويلا وكان ينشر من حين الى آخر آراءه الجريئة فى هذه الشئون فى بعض الصحف والمجلات . وأخيراً سنحت له الفرصة فأملى هذا الكتاب الضخم الذى لم يدع كبيرة ولا صغيرة من شئون التربية والثقافة الا تناولها بالبحث والتمحيص فجاء كتاباً جامعاً مانعاً كما يقولون .

ويخيل الى أن المؤلف بذل جهدا كبيرا فى وضع هذا الكتاب فهولم يتناول معضلات التربية والتعليم وشؤون الثقافة فى مصر فى سهولة ويسر . ولم ينظر اليها نظرة عابرة كما قد يفعل الكثيرون ممن يعالجون هذه المعضلات . ولكنه روى كثيرا وفكر كثيرا . ثم بحث ودقق فى البحث. يعينه فى بحثه وتفكيره اختبار طويل ومعاناة متصلة لهذه المعضلات جميعا . فلا جرم ان تكون نتيجة هذا البحث الدقيق والفكير العميق هذه الثمرة الطيبة التى فصلت لنا شئون الثقافة فى مصر تفصيلا دقيقا ووقفتنا على أخطاء الماضى وواجبات المستقبل جميعا .

ولايسع القارىء مهما كانت نزعتـه الا أن يعجب أشد الاعجاب بكثير من الخصال الجليلة السامية التى تشيع فى هذا الكتاب من أوله الى آخره . لايسعه الا الاعجاب بديمقراطية المؤلف ، ونزعته الى حرية الفكر .وصراحته . وجرأته فى قول الحق. أو ما يعتقد أنه حق . وأخيرا لايسعه الا الاعجاب بسلامة منطقه . ونصاعة تفكيره . وشعوره العميق بالمسئولية وبأنه انما يحمل امام نفسه وأمام أمته تبعات جساما. فيدفعه هذا الشعور الى أن يعالج هذه المعضلات التى أمامه بروح الصرامة والحزم والجد لايلين ولايفتر ولا يدارى بل يدلى بالرأى تلو الرأى ويقيم الدليل تلو الدليل غير آبه لسخط الساخطين أو صخب المنافقين .

وأحسب انه يكفى ان المع الماعاً خفيفاً الى بعض الموضوعات التى عالجها الدكتور طه حسين فى كتابه العظيم ليتبين لك انى لا اغالى ولا اتجنى على الحقيقة اذ اثنى على المؤلف الكبير هذا الثناء . بل ليتبين لك انى مهما أثنيت فلست ببالغ بعض ما له علينا من حق التقدير والاجلال .

مهد الدكتور للبحث بهذا السؤال :أمصر من الشرق الثقافى أم من الغرب الثقافى ؟ وهو لم

يشأ أن يجيب على هذا السؤال اجابة سريعة مقتضبة ولكنه أملى نحو ستين صفحة بحث فيها تاريخ مصر القديمة و الحديثة واتصالها بشعوب بحر الروم ونشأة العقل المصرى .وانتهى الى القول بأن العقل المصرى ليس شرقيا ولكنه غربى . ومن ثم فان السبيل أمام المصريين واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء. وهى واحدة فذة ليس لها تعدد . وهى أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا . ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب . ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع »..« وقد يقال أن الحضارة الاوربية مادية مسرفة فى المادية ، لا تتصل بالروح أولا تكاد تتصل به . وهى من أجل ذلك مصدر شر كثير تشقى به أوربا ويشقى به العالم كله أيضا . ثم يقال بعد ذلك أن أوربا نفسها قد زهدت فى حضارتها وضاقت بها . وأخذ جماعة من كتابها وعلمائها وفلاسفتها يرغبون عن هذه الحضارة ، ويلتمسون لقلوبهم وعقولهم غذاء فى روحية الشرق . أفنقبل على الحضارة الاوربية حين يزهد فيها الاوربيون ؟ ومالنا نكبر هذه الحضارة وقد أصفرها أصحابها ؟ وما لنا نترك الخير الذى يرغب فيه الاوربيون الى الشر الذى يرغب عنه الاوربيون ؟ أقرأت هذا ؟ إن بين المصريين خاصة والشرقيين عامة قوما يملأون به أفواههم ويجرون به أقلامهم ويلقون به فى نفوس الشباب فلا يلقون الا سيما زعافا . من الحق أن الحضارة الاوربية عظيمة الحظ من المادية ولكن من الكلام الفارغ والسخف الذى لا يقف عنده عاقل أن يقال انها قليلة الحظ من المعانى السامية التى تغذو الارواح والقلوب . من الحق أن الحضارة الاوربية مادية المظاهر . وقد نجحت من هذه الناحية نجاحا باهرا . فوفقت الى العلم الحديث ، ثم الى الفنون التطبيقية الحديثة.ثم الى هذه؟ المخترعات التى غيرت وجه الارض وحياة الانسان . ولكن من أجهل الجهل وأخطأ الخطأ أن يقال أن هذه الحضارة المادية قد صدرت عن المادة الخالصة . انها نتيجة العقل.انها نتيجة الخيال . انها نتيجة الروح . انها نتيجة الروح الخصب المنتج الحى الذى يتصل بالعقل فيغذوه وينميه ويدفعه الى التفكير ثم الى الانتاج ثم الى استغلال الانتاج ، لا نتيجة هذا الروح العاكف على نفسه ،الفارغ لها، الفانى فيها الذى تفسد الاثرة عليه أمره فلا ينفع ولا ينتفع ولا يفيد ولا يستفيد » . ومن رأى الدكتور ان الدولة وحدها يجب أن تشرف على التعليم الاولى والثانوى مهما يكن وفى أى بيئة من

البيئات المصرية والاجنبية القائمة فى مصر . فيجب أن يكون لوزارة المعارف مفتشون يلاحظون التعليم الاولى والثانوى فى الازهر ويرفعون تقاريرهم عنه الى الوزارة ويجب أن تشترك وزارة المعارف فى الامتحان لهذين النوعين من التعليم اشتراكا يمكنها من الاشراف عليه والرضى عنه . هذه أمور تفرضها طبيعة الاشياء . ونحن نطلبها بالقياس الى الازهر كما نطلبها بالقياس الى التعليم الحر المصرى والاجنبى . وهناك شىء يجعل حاجة الازهر الى اشراف الدولة على تعليمه الاولى والثانوى ضرورة ماسة فى هذا الطور من أطوار الحياة المصرية وهو . أن الازهر بحكم تاريخه وتقاليده وواجباته الدينية بيئة محافظة تمثل العهد القديم والتفكير القديم أكثر مما تمثل العهد الحديث والتفكير الحديث . ولا بد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الازهر الى الملاءمة بين تفكيره وبين التفكير الحديث . والنتيجة الطبيعية لهذا اننا اذا تركنا الصبية والأحداث للتعليم الازهرى الخالص ، عرضناهم لان يصاغوا صيغة قديمة . وباعدنا بينهم وبين الحياة الحديثة التى لا بد لهم من الاتصال بها والاشتراك فيها . وعرضناهم لطائفة غير قليلة من المصاعب التى تقوم فى سبيلهم حين يرشدون ، وحين ينهضون بأعباء الحياة العامة . فالمصلحة الوطنية العامة من جهة ، ومصلحة التلاميذ والطلاب الازهريين من جهة أخرى تقتضيان اشراف وزارة المعارف على التعليم الاولى والثانوى فى الازهر

ويرى المؤلف ان التعليم الاولى الالزامى ركن أساسى من أركان الحياة الديمقراطية الصحيحة . فالدولة الديمقراطية ملزمة ان تنشر التعليم وتقوم عليه لأغراض عدة . أولها ان هذا التعليم الاولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الفرد ليستطيع أن يعيش .

والثانى أن هذا التعليم الاولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الدولة نفسها لتكوين الوحدة الوطنية واشعار الامة حقها فى الوجود الحر المستقل . وواجبها للدفاع عن هذا الوجود .

والثالث ان هذا التعليم الاولى هو الوسيلة الوحيدة فى يد الدولة لتمكين الامة من البقاء والاستمرار لأنها بهذا التعليم الأولى تضمن وحدة التراث الوطنى اليسير الذى ينبغى ان تنقله الاجيال الى الاجيال . وأن يشترك فى تلقيه ونقله الافراد جميعاً فى كل جيل . وليس الافراد مكلفون دفع الضرائب التى تمكن الدولة من البقاء اذا لم تضمن لهم الدولة أيسر ما يحتاجون اليه ليعيشوا وليكونوا أمة واحدة قادرة على الوجود ثم الخلود . واذا انتزعنا من رؤوسنا هذه الفكرة السخيفة التى تقول بان

الغرض من التعليم الاولى فى قطر كمصر انما هو محو الامية ، وجعل أبناء الشعب قارئين كاتبين فى اقصر وقت ممكن بحيث يكتفى من المعلم بالقدرة على تعليم الصبية القراءة والكتابة وأوليات الحساب ؟ اذا انتزعنا من رؤوسنا هذه الفكرة واقتنعنا بان التعليم الاولى أهم وأقوم وأعمق من تعليم القراءة والكتابة والحساب ، فقد يجب علينا ألا نكتفى بالمعلم الاولى كما هو الآن . ويشترط الدكتور الحصول على الشهادة الثانوية لدخول الطلاب مدارس المعلمين الاولية بل يذهب الى أكثر من ذلك فيقول : ان الشىء الذى لاشك فيه أن التعليم الجامعى اذا أضيفت اليه أصول التربية التى تتصل بحياة الطفل وتنشئه كان أقرب للنهوض باعباء التعليم الاولى من أى شىء آخر .

ثم يقول « ومن أغرب التناقض أن نزدرى المعلم الاولى أو ننظر اليه نظرة عطف واشفاق خير منهما الازدراء ، ثم نطلب اليه ونلح عليه فى أن يشيع فى نفوس أبنائنا العزة والكرامة والحرية والاستقلال .

« ولا أعرف شرا على الحياة العقلية فى مصر من أن يكون المعلم الاولى كما هو الآن عندنا سىء الحال منكسر النفس ، محدود الامل ، شاعرا بانه يمثل أهون الطبقات على وزارة المعارف شأنا . »

ينتقل بنا المؤلف بعد ذلك الى التعليم الثانوى فيقول « والخطأ كل الخطأ أن ننظر الى التعليم الثانوى على انه لون من الوان الترف . وفن من فنون المتاع الذى يمكن الاستغناء عنه . والاكتفاء بما هو دونه . فليس التعليم الثانوى ترفا ولا متاعا . بل ليس التعليم العالى ترفا ولا متاعا . بل ليس هناك نوع من التعليم يمكن ان يكون ترفا أو متاعا . وانما التعليم كله على اختلاف انواعه وفروعه ضرورة من ضرورات الحياة فى أى أمة متحضرة وابواب التعليم على اختلاف فروعه يجب أن تكون مفتوحة للناس على اختلاف منازلهم . »

وانت تعلم أيها القارىء أن بين المصريين قوما يكرهون التوسع فى التعليم العام والتوسع فى التعليم العالى لان الشبان الذين يخرجون من المدارس والكليات يكثرون ويضخم عددهم فى كل عام ومناصب الحكومة محدودة . والاعمال الحرة مسدودة وتوشك ان تضيق بهؤلاء الشبان اذا اطرد توسع الدولة فى نشر التعليم العام . فامر هؤلاء الشباب صائر اذن الى البطالة . والبطالة منتجة للقلق . ثم الى السخط ، ثم الى اضطراب النظام الاجتماعى . هكذا يفكر فريق من المصريين

فانظر الى الدكتور طه حسين كيف يرد عليهم فى هذا الفصل الرائع من فصول الكتاب . وانظر اليه كيف يلزمهم الحجة ويقول لهم « صحيح ان مشكلة بطالة المتعلمين خطر على الاخلاق ، وهى خطر على النظام الاجتماعى نفسه . لانها تدفع الشباب الذين لا يجدون عملا يكسبون منه القوت الى كثير من الآثام والموبقات . ولأنها تذيع السخط فى نفوس الشباب وتدفعهم الى بغض النظام الاجتماعى والضيق به ثم الى انكاره والخروج عليه . كل هذا خطر لا شك فيه . ولكنه لا يعالج بتضييق التعليم . ولابانشاء نظام الطبقات . ولا باحتكار العلم لطائفة قليلة . وفرض الجهل على كثرة الشعب . وانما يعالج باصلاح النظام الاجتماعى نفسه ، وجعله قادرا على أن يتيح لأبناء الوطن جميعاً أن يعيشوا على أرض الوطن وأن يعيشوا من كدهم وجدهم وعملهم . ولا أن يتكلف بعضهم الجد والكد والعناء لينعم بعضهم الآخر بالبطالة والكسل والفراغ . ولا أن يذوق بعضهم البؤس الذى ليس بعده بؤس ويشقى بعضهم بالضنك الذى ليس بعده ضنك ، ليستمتع بعضهم بهذا النعيم الآثم البغيض الذى يبدد فيه المال ، وتمتهن فيه الكرامة . وتبتذل فيه الفضيلة ويستحيل فيه الانسان الى حيوان تقوم حياته كلها على ارضاء الخسيس من الغرائز والشهوات .

لن تعالج أزمة البطالة باكراه الشعب على الجهل ، وانما تعالج بفتح أبواب التعليم للشعب على مصاريعها ، وبالاسراع فى ذلك حتى يرشد الشعب ، وحتى يرى ما فى حياته من خير فيستزيد منه ، وما فى حياته من شر فيصلحه أو يلغيه الغاء

يجب ان يتعلم الشعب الى اقصى حدود التعليم ، ففى ذلك وحده الوسيلة الى أن يعرف الشعب مواضع الظلم ، والى ان يحاسب الشعب هؤلاء الذين يظلمونه ويذلونه ويستأثرون بثمرات عمله وجده فيردهم الى الانصاف والعدل ، ويضطرهم الى أن يؤمنوا بالمساواة قولا وعملا ، والى أن يحققوا المساواة فى سيرتهم ، لا فى هذه الالفاظ الجوفاء التى يضللون الناس بها تضليلا . اذا تعلم ابناء الشعب عرفوا ما لهم من حق فى حياتهم الداخليه فلم يسمحوا لقلة مهما تكن ان تظلم الكثرة ، وعرفوا مالهم من حق فى حياتهم الخارجية فلم يسمحوا لدولة مهما تكن أن تظلم مصر أو تستذلها . التعليم ، والتعليم وحده ، على ان يكون صحيحاً مستقيم الأساليب ، هو الذى يضمن للمصريين العدل والمساواة فيما بينهم وبين انفسهم . والعزة والكرامة فيما بينهم وبين الاجنبى »

وبعد فانى أستطيع ان أمضى فى الاقتباس من الـكـتاب على هذا المنوال ولـــكن صفحات المجلة محدودة فلاقصر على الرغم منى ، واكـتفى باشارات موجزة الى بعض المعـضـلات التى عالجها الدكـتور بحذق ليس بعده حذق . فمنها مشكلة اعداد المعلمين للتعليم العام ومشكلة الامتحانات . والـكتب التعليمية المقررة . والغرض من التعليم العام وضرورة الايمان بمهمة التعليم العام والشعور بخطره وقدســيته فى نفوس المعلمـــين والمشرفين عليــه . وتعليم اليونانيــة واللاتينيــه ومشكلة تعليم اللغة العربية . والازهر واللغة العربية وحق الدولة فى اعداد معــلم اللغة العربية وسبيلها الى ذلك . والتعليم العالى ومشكلاته والتعليم الدينى فى الازهر . والتعليم الدينى للاقباط . والانتاج العقلى . والترجمة والنقل من اللغات الاوربية واثرهما فى توجيه الثقـافه. ووجوب انشاء مكتب للترجمة من اللغات الاوربية.وقلة انتاج المثقفين واسبابها . وخطر السينما على التمثيــــل . ووجوب حماية التمثيل والعناية به . وواجب مصر نحو الاقطار العربية . الخ الخ . .

ولا يسعنى قبل ان اختم هذا الفصل الا ان اشير اشارة قصيرة الى بعض الآراء الناصعة التى شاعت فى صفحات الـكـتاب : —

فاللغة العربية هى لغتنا الوطنية فنحن نتعلمها ونعلمها لانها جزء مقوم لوطنيتنا ولشخصيتنا القومية لانها تنقـل الينا تراث آبائنا وتتلقى عنا التراث الذى ستنقله الى الاجيال المقبلة. ثم لانها الاداة الطبيعية التى نصطنعها فى كل يوم بل فى كل لحظة ليفهم بعضنا بعضا. ولنفهم أنفسنا أيضا. لاننا لا نفهم أنفسنا الا بالتفكير ونحن لا نفكر فى الهواء ولـكننا نفكر بالفاظ هذه اللغة .. فنحن اذن نتعلم اللغة العربية ونعلمها لانها ضرورة من ضرورات حياتنا الفردية والاجتماعية . . واذن فنحن لا نتعلم اللغة العربية ولا نعلمها لانها لغة الدين فحسب ، وانما نتعلمها ونعلمها لانها أوسع من ذلك وأشمل واعم . ونحن لا نتعلم اللغة العربية ونعلمها لانها لغة القدماء من العرب والمستعربين ، وانما نتعلمها ونعلمهــا لانها لغتهم ولانها لغتنا ولانها لغة الاجيال المقبلة أيضا أو لاننا نريد أن تظل لغة لهذه الأجيال

وفى الارض امم مدينة كما يقولون ؛ وليست اقل منا ايثارا لدينها ولا احتفاظاً به ولا حرصاً عليه ، ولـكنها تقبل فى غير مشقة ولا جهد ان تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التى تفكر بها وتصطنعها

لتأدية أغراضها ، ولها فى الوقت نفسه لغتها الدينية التى تقرأ فيها كتبها المقدسة وتؤدى فيها صلاتها . فاللاتينية مثلا هى اللغة الدينية لفريق من المسيحيين ، واليونانية هى اللغة الدينية لفريق آخر والقبطية هى اللغة الدينية لفريق ثالث ، والسريانية هى اللغة الدينية لفريق رابع وهذه الاجيال من الناس نصرانية تؤمن بدياناتها كما نؤمن نحن بالاسلام ، لايمنعها من ذلك انها تتكلم فى حياتها العادية والعقلية لغات اخرى غير هذه اللغات المقدسة . فالذين يزعمون لنا اننا نتكلم العربية ونعلمها الا انها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك النتائج العلمية والعملية انما يخدعون انفسهم أو يخدعون الناس . وليس ينبغى ان تقوم حياة الامم على الخداع . ويمضى الدكتور فى هذا التدليل المنطقى السليم فينتهى الى القول بان اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدين يؤمنون وحدهم من دونها ويتصرفون وحدهم فيها . ولكنها ملك للذين يتكلمونها جميعاً من الامم والاجيال وكل فرد من هؤلاء الناس حر فى ان يتصرف فى اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التى تبيح له هذا التصرف .

واذن من السخف ان يظن ان تعليم اللغة العربية وقف على الازهر والازهريين . ومن حق الدولة بل من الحق عليها ان تعد المعلمين للغة العربية كما تعد المعلمين للتاريخ والجغرافيا وللطبيعة والكيمياء . .

وقد كان الدكتور موفقاً الى أبعد حدود التوفيق فى قوله ان اعداد رجال الدين المسيحى لاخواننا الاقباط محتاج الى عناية خاصة من الدولة ، ومن الاقباط أنفسهم ، لاسباب طبيعية يسيرة فان الاقباط مصريون يؤدون الواجبات الوطنية كاملة كما يؤديها المسلمون ويستمتعون بالحقوق الوطنية كاملة كما يستمتع بها المسلمون . ولهم على الدولة التى يؤدون اليها الضرائب ، وعلى الوطن الذى يذودون عنه ، ويشاركون فى العناية بمرافقه ما للمسلمين من الحق فى العناية بتعليمهم وتقويمهم وتثقيفهم على احسن وجه واكمله . وقد قرر الدستور المصرى الذى نؤمن به جميعاً ان المصريين سواء فى الحقوق والواجبات ، لم يفرق فى هذه المساواة بين المسلمين وغير المسلمين .

ورجال الدين المسيحى سيتصلون بالصبية والشباب من الاقباط يعلمونهم دينهم ويفقهونهم فيه فلا بد من ان تتحقق الملائمة بينهم وبين المعلمين المدنيين لتتحقق الملاءمة بين الثقافة الدينية التى

يحملونها الى هؤلاء الصبيـة والثقافة المدنية التى يحملها اليهم المعلمون المدنيون . وحتى يعصم الصبية من التناقض الشنيع الذين يكون بين ما يلقيه اليهم المعلم وما يلقيه اليهم القسيس ان وكل هذا التعليم الى القسيسين .

. . واتصال القسيسين بالمؤمنين من الاقباط اشد من اتصال رجال الدين بطبقات المسلمين كما هو معروف. فلا بد اذن من ان يتثقف هؤلاء القسيسون تثقيفاً ملائماً للحياة الحديثة وللعصر الحديث حتى لا يحملوا الى الناس باسم الدين ثقافة تضطرهم الى الحيرة والاضطراب والعجز عن احتمال اعباء الحياة المدنية .

والـكنيسة المصرية مجد مصرى قديم ومقوم من مقومات الوطن المصرى. فلا بد من ان يكون مجدها الحديث ملائماً لمجدها القديم .ولا ينبغى ان تخلى بين رجالها وبين هذه المحافظة الخاطئة التى قد تغض من هذا المجد وتضع من قدره. وما ينبغى ان نقارن بين رجال الكنيسة القبطية ورجال الـكنائس الاخرى فنرى هذه الفروق التى أقل ما توصف به أنها لاتلائم الـكرامة المصرية ولا ينبغى ان يرضى عنها المصريون . ونتيجة هذا كله ان الدولة المصرية والـكنيسة القبطية يجب ان تتعاونا على اصلاح التعليم الدينى المسيحى وتنظيم المعاهد التى تخرج القسيسين والرهبان . . وليست اللغـة العربية لغة المسلمين وحدهم ولـكنها لغة الذين يتكلمونها مهما تختلف اديانهم . ومادام الاقباط مصريين ومادامت اللغة العربية مقوما من مقومات الوحدة المصرية والوطن المصرى فلا بد من يتثقف بها الاقباط كما يتثقف بها المسلمون . ولا بد من ان يتثقف بها رجال الدين من الاقباط كما يتثقف بها رجال الدين من المسلمين . .

وانظر الى رأى الدكتور فى الانتاج الأدبى والادباء المحدثين اذ يقول . . . أدركنا هذا العهد الذى التقى فيه جيلان من الادباء المثقفين ، نزل احدهما عن حتى عن رجولته ، فاصبح ظلا للمنعم عليه بالقليل أو بالكثير . ونزل احدهما الاخر عن كل شىء فى سبيل هذه الرجولة . فاضطر السادة والقادة والاغنياء والمترفين لا ان يكبروه ويقدروه فحسب بل ان يتملقوه ويترضوه ويصبحوا ظلاله فى بعض الاحيان . فهذا هو الفتح الاول الذى ظفر به الجيل الحديث من المثقفين . وهناك فتح اخر ليس اقل منه خطر ولا اهون منه شأنا وهو هذا الذى انتهى اليه ادباؤنا حين ثبتوا لمقاومة الشعب وتنكر

السلطان وكيد السياسة ، حتى كتب لهم النصر على هذا كله. وانتصرت أراؤهم ومقالاتهم على الرغم مما احتملوا من العنف. وما اضطروا اليه من ضيق وما خضعوا له من الفتنة فى أنفسهم واخلاقهم وفى حريتهم : فمنهم من اضطر الى الجوع ومنهم من عرف الفاقة ، ومنهم من ذاق حياة السجن ، ومنهم من تعرض لألوان من الخطر قد تكون اشد من هذا كله واسوأ عقبى . ولا يكتفى الدكتور بأن يظفر الادباء من تشجيع الدولة اياهم بالمال وحده لان هناك شيئا آخر لعله أعظم خطراً من المال وهو الحرية . فالادباء عندنا ليسوا احراراً لا بالقياس الى الدولة ولا بالقياس الى القراء. وما اكبر النبوغ الذى يضيع هدراً لأنه يكظم نفسه ، ويكرهها على الاعراض عن الانتاج خوفاً من الدولة أو خوفا من القراء ، فليس كل موضوع يعرض للاديب عندنا تسيغه القوانين ويحتمله النظام ويرضى عنه ذوق الجمهور . ولعل ما يباح للادباء أن يتعرضوا له وينتجوا فيه أن يكون اقل جدا مما يحظر عليهم أن يتناولوه ويخوضوا فيه . ما اكثر الذين يعيبون ادباءنا بانهم لا يتصلون بالشعب ولا يصورون حياته كما هى ، ويتهمونهم ظلماً ، لانهم يتكلفون الارستقراطية ويتصنعون الامتياز . ولكن دع ادباءنا يتصلون بطبقات الشعب فيصوروا آلامها وحياتها البشعة ، ثم انتظر بعد ذلك ما سيصب عليهم من اللوم ، وما سيهيأ لهم من الكيد. وما سيوجه اليهم من التهم وما سينالهم من المكروه

ما اكثر ما يعاب ادباؤنا بأنهم لا يؤمنون الا بظواهر النفوس ولا يصورون دخائلها، ولا يتعمقون فى ضمائرها ، ولا يرسمون شيئا من ذلك فيما ينتجون ، ولكن دعهم يفعلون ما يلامون اهماله ، ودعهم يظهرون النفس الانسانية عارية كما يفعل زملاؤهم الاوربيون . . . دعهم يفعلون ذلك ثم انتظر ما يصب عليهم الجمهور ورجال الدين وادارة الامن العام والنيابة من المكروه . .

هذا ولا الاخذ على كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » سوى أمرين يسيرين جدا ، ليسا فى صميم الموضوع ولكنهما على الهامش كما يقال : أولهما ان الكتاب مبوب تبويبا منطقيا دقيقا مفصلا ولهذا التبويب فهرست فى آخر الكتاب أو على وجه الدقة فى آخر الجزء الثانى من الكتاب . ولكنك تفتح الكتاب وتمضى فى القراءة فلا تجد أثرا لهذا التبويب الدقيق المفصل بل تجد بدلا منه ارقاما مسلسلة تبدأ بالرقم ١ فى الجزء الأول وتنتهى بالرقم ٦٠ فى الجز الثانى . وأنا لا أفهم الحكمة فى هذا . ولعله أن يكون أسلوبا جديدا من أساليب التبويب. ولعل

الدكتور يرشدنا الى وجه الصواب فيه . والامر الثانى هو ان الدكتور يسمى الحضارة الراهنة فى الغرب « الحضارة الاوربية » فليسمح لى أن اعترض على هذه التسمية لانها أولا ليست حضارة أوربا وحدها ولكنها حضارة امريكا ايضا . ولانها ليست حضـارة اوربية خالصة ولكنها حضارة الانسانية كلها . فالانسانية كلها تقريبا ساهمت فيها قليلا أو كثيرا . ويعلم الدكتور أن الفراعنه هم أول من اخترع الحضارة على ضفاف النيل وانها انساحت من هذا الوادى الى العالم كله فانتقلت الى الاغريق والرومان والعرب ثم الى أوربا فى العصر الحديث . فنحن اذن نتجنى على الحقيقة والتاريخ اذا أسميناها « الحضارة الاوربية » أو « الحضارة الغربية » وخير تسمية لها فى رأيى هى « حضارة القرن العشرين » ولعل هذه التسمية أن تجعل الشرقيين أو من يحسبون أنفسهم شرقيين لا يصدون ولا يتوجسون خيفة من اصطناع تلك الحضارة . أما اذا قلنا « الحضارة الاوربية » فقد القينا فى نفوسهم الخوف والاشفاق من أوربا ومما يصدر عن أوربا . وأنى أشاطر الدكتور رأيه فى أنه يجب على المصريين أن يصطنعوا حضارة القرن العشرين بكل ما فيها من خير وشر وحلو ومر . لاننا نحن الذين أوجدنا الحضارة التى بلغت من الرقى والقوة مبلغا كبيرا فى هذا القرن ، فاذا اصطنعناها فانها بضاعتنا ردت الينا بعد أن شاركت الانسانية فى رقيها وتقدمها .

وبعد فانى معجب أشد الاعجاب بكتاب الدكتور ، معجب بكل فصل من فصوله ، معجب بهذه الاراء الحرة الجريئة المنبثة فى كل صفحة منه . وعندى انه يجب على أولى الامر أن يسارعوا الى اتخاذ هذا الكتاب دستورا لشئون التربية والتعليم والثقافة فى مصر . بل أنه هو الدستور الذى نحن منتهون اليه فى وقت قريب أو بعيد سواء أردنا ذلك أم لم نرده لان ظروف الحياة وعوامل التقدم والرقى ستضطرنا اليه اضطرارا !!

قناة السويس ومستقبلها

نشرت مجلة سبكتاتور الانجليزية مقالا للسر ارنولد ولسون العضو في مجلس النواب البريطاني عن قناة السويس ضمنه آراء ومقترحات غريبة آثرنا ان يقف عليها القراء لكي يعرفوا مايجرى فى أذهان بعض الانجليز بشأن القناة . وننشر هنا خلاصة المقال فيما يلي :

ان قناتى بناما والسويس تعدان من الامثلة التاريخية الهندسية التى غيرت مجرى التاريخ والتجارة . فان قناة بناما تملكها حكومة الالويات المتحدة وهى التى حفرتها وهى التى تديرها كأنها احدى المصالح الحكومية . وقد احتاج الرئيس تيودور روزفيلت الى ان يفصل بناما من كولومبيا . ولكى يصل الى هذه الغاية اتخذ من اساليب المعاملة لجمهورية كولمبيا مايحسن اغفاله . ولولا قناة السويس لبقيت مصر الى الان اقليما من اقاليم تركيا .

وقد كانت كراهية اللورد بالمرستون رئيس الوزارة الانجليزية وكذلك الباب العالى فى استانبول لقبول مقترحات دلسبس الخاصة بانشاء القناة قائمة على اعتقاد أن هذه القناة سوف تهدم سيادة تركيا فى الشاطىء الجنوبى من البحر الابيض المتوسط . وهذا كله من التاريخ ولكنه يشع ضوءا على اصرار الحكومة المصرية على ان تصير المالكة للقناة بعد سنة ١٩٦٨ حين تنتهى مدة امتياز الشركة وعلى رفضها تجديد هذا الامتياز

ولكن السياسة الدولية لم تكن الهم الاكبر عند دلسبس ازاء الهموم المالية ولو لم يشتر سعيد باشا اسهما من الشركة بمقدار ستين مليون فرنك لما استطاعت الشركة ان تسير فى عملها وقد حاول دلسبس ان يبيع القناة للدول البحرية سنة ١٨٧١ ولكن عرضه قوبل بفتور وان كان اللورد دربى كان يرى ان تحال القناة الى لجنة دولية تديرها كمصلحة عامة غير ان الباب العالى رفض هذا الاقتراح وآثر عليه ان تكون بريطانيا نفسها هى المالكة للقناة . وقصد دلسبس الى لندن

لكى يتمم الصفقة على هذه القواعد ولكن المستر جلادستون رفض البحث فى هذا الموضوع

ولكن التيار انعكس . فان سعيد باشا وخلفه اسماعيل باشا كانا قد وقعا فى دين يبلغ مائة مليون جنيه فى ثلاث عشرة سنة . ولم يكن هناك ما يمكن بيعه غير أسهم القناة فاشتراها دذرائيلى للحكومة البريطانية وكان هذا مما أثار دهشة جلادستون الذى كتب الى اللورد جرانفيل يقول :

« هل تسلطنا على القناة مدى الحرب تختلف من سيادتنا على البحر المتوسط ، وهل لمصر قيمة فى هذا التسلط ، فاذا لم يكن الامر كذلك ذن التسلط على القناة هو عبء حربى جديد لنا »

ولم يقدر هو ولا دذرائيلى عقب شراء الحكومة لـ ٤٦ فى المائة من الاسهم انه ليس لبريطانيا مثل هذا القدر المئوى فى أدارة القناة أو الرقابة عليها . لأن شروط الشركة كانت (ولاتزال) تنص على أنه لا يجوز لحامل الاسهم ان يكون له أكثر من عشر أصوات مهما كان عدد الاسهم التى يحملها وقد استطاع ان يحمل الشركة على تعيين ثلاثة أعضاء من ٣٢ عضواً فى مجلس ادارتها . وقد أضيف الى هؤلاء سبعة مندوبين غير رسميين . ولكن نفوذ هؤلاء كان ضعيفا

وطلبات ايطاليا الحديثة التى يمكن استنتاجها من الخطب والتصريحات هى ثلاثة . تجارية وسياسية وحربية . فهى أولا تطلب خفض الرسوم . ولولا الحاجة الى الارباح العالية لامكن خفض الرسوم الى النصف ويبلغ الربح من ذلك ٦ فى المائة أو أكثر . ولكن هذا الخفض الاجبارى يعد مجحفا بحملة الاسهم الفرنسيين وخاصة اولئك الذين لم يشتروا اسهمهم من زمن بعيد . وقد اقترح ان ينقل عددا من اسهم الحكومة البريطانية الى ايطاليا . ولكن هذا لن يجدى لان هذه الاسهم لا تمنح حاملها حق التمثيل فى مجلس الادارة

أما من الناحية السياسية فان ايطاليا ترغب فى الاعتراف العملى المكشوف باتفاق سنة ١٨٨٨ وهو الاتفاق الذى ينص على بقاء القناة مفتوحة لجميع السفن حتى البوارج وقت الحرب وفى اى الظروف وان القناة تبقى تحت حماية اوربا جميعها . وهذا هو رأى اللورد دربى سنة ١٨٧٧ حين انذر روسيا وأبلغها انها لن يمكنها لا هى ولا تركيا ان تسد القناة أو تحاصرها . وهذا الرأى يختلف قليلا من الذى ابداه جلادستون لمجلس العموم سنة ١٨٨٣ حين قال :—

« إننا لم نشترك فى استخدام نفوذنا الذى نلناه بمركزنا الوقتى والشاذ فى مصر لكى ننقص أى

حق مكتسب بالقانون . ولن نستطيع ان نتعهد بأن نقوم بأى عمل يخالف الاعتراف بأن القناة قد حفرت لمصلحة جميع الامم وان الحقوق المتصلة بها هى من المصالح الاوربية العامة »

وأما من الناحية الحربية فان ايطاليا ترتكز هنا على موقفها السياسى . وربما هى تطلب ضمانا بان القناة لن تقفل فى وجهها لاى سبب كان الا بالحصار الذى يحدد بثلاثة أميال خارج القناة . وهو الحد الذى يخضع له جميع الامم مدة الحرب

وليس للقناة الآن مركز دولى . ولا يمكن هذا إلا بالاتفاق بين الدول . واتفاق سنة ١٨٨٨ لم يجعل القناة محايدة بل جعلها عمومية من حيث انها اصبحت ممرا حرا للمتحاربين . ويمكن أن نفهم رأى الحكومة الايطالية بأن نضع نفسنا مكانها فى ممتلكاتها الافريقية وبأن نذكر أيضاً ماكان يقوله بعض أعضاء مجلس العموم سنة ١٩٣٥ من دعوة الحكومة البريطانية لان تجبر حكومة مصر على مطالبة شركة القناة (ومركز ادارتها فى باريس) بأن تقفل القناة فى وجه البوارج والبواخر الايطالية

والآن ماهى القواعد التى يمكننا أن نصل بها الى تسوية دائمة ؟ لن يكون هذا باستبقاء المركز الحاضر أو باعادة توزيع الاسهم والمقاعد فى مجلس الادارة . ولكن فى يد الحكومة المصرية مفتاح الحل العادل فان فى مستطاعها — إذ اقبلت الحكومتان الفرنسية والانجليزية — ان تنهى الامتياز الحاضر وهو لا يزال باقيا له ثلاثون سنة ثم تشترى الاسهم الحاضرة وتدير بنفسها القناة باعتبارها مصلحة حكومية قامت ببنائها أيد مصرية واستخدم فيها المال المصرى . وهى بلا شك عند ما يتم لها هذا سوف تستبقى الموظفين الحاضرين فى الشركة وهم ممن لا يشك فى كفاءتهم كما تقبل أيضا هيئة دولية استشارية تمنحها حقوقا كبيرة للادارة ويكون فى هذه الهيئة أعضاء من الدولة التى تستخدم القناة أكثر من غيرها

ويمكن الحكومة المصرية باعتبارها إحدى دول البحر المتوسط التى تنتظر مستقبلا عظيما امامها أن تأخذ على نفسها ادارة القناة كمصلحة عامة مع قليل من الربح . وقد قال سعد زغلول باشا حين كان وزير اللحقانية فى ١٦ مارس سنة ١٩١٠ امام الجمعية التشريعية انه عند ما تعود القناة الى مصر فأنها أى مصر تضطر إلى أن تجعل المرور فى القناة بالمجان وتنزل عن الربح الذى ننتظره من امتلاكها لها . وقد اتبعت الولايات المتحدة فى قناة بناما مثل هذا الاقتراح وعاد عليها بالفوائد الجليلة

ومثل هذه الخطة ستؤدى الى خسارة مالية هى الفرق بين القيمة الحاضرة للاسهم و بين القيمة الاصلية . وهذا دون احتساب موجودات الشركة وهى عالية الثمن ودون احتساب المبلغ الذى تدفعه الحكومة المصرية للشركة كثمن للمواد المنقولة والظن ان مجموع هذه المبالغ يصل الى ١٥ مليون جنيه . وهو مبلغ يعد صغيرا فى جنب العدالة الدولية فقد مضى الزمن حين كان يمكن شركة تجارية مهما كانت كفاءتها ان تقعد متربعة فوق ممر دولى تفرض على المرور فيه المكوس وكأنها لاتبالى العواقب التجارية لمكوسها والصدى السياسى لهذه العواقب

السويس

السويس فى تطور لا ينقطع بهمة محافظها الحالى الاستاذ احمد راسم بك . واذا استمر هذا المحافظ على نشاطه فانه لن تمضى مدة طويلة حتى تكون هذه المدينة قد اصبحت مشتى ومصيفا للوطنيين والاجانب معا . وحسبنا ان نذكر بعض ما قام به المحافظ إلى الان

١ — لفت نظر الامة والحكومة معا الى جبل عتاقة الذى يحتضن السويس و يبلغ ارتفاعه ٩٠٠ متر و بين مزاياه فى ان يكون مشتى بديعا لا مثيل له الى الان فى مصر

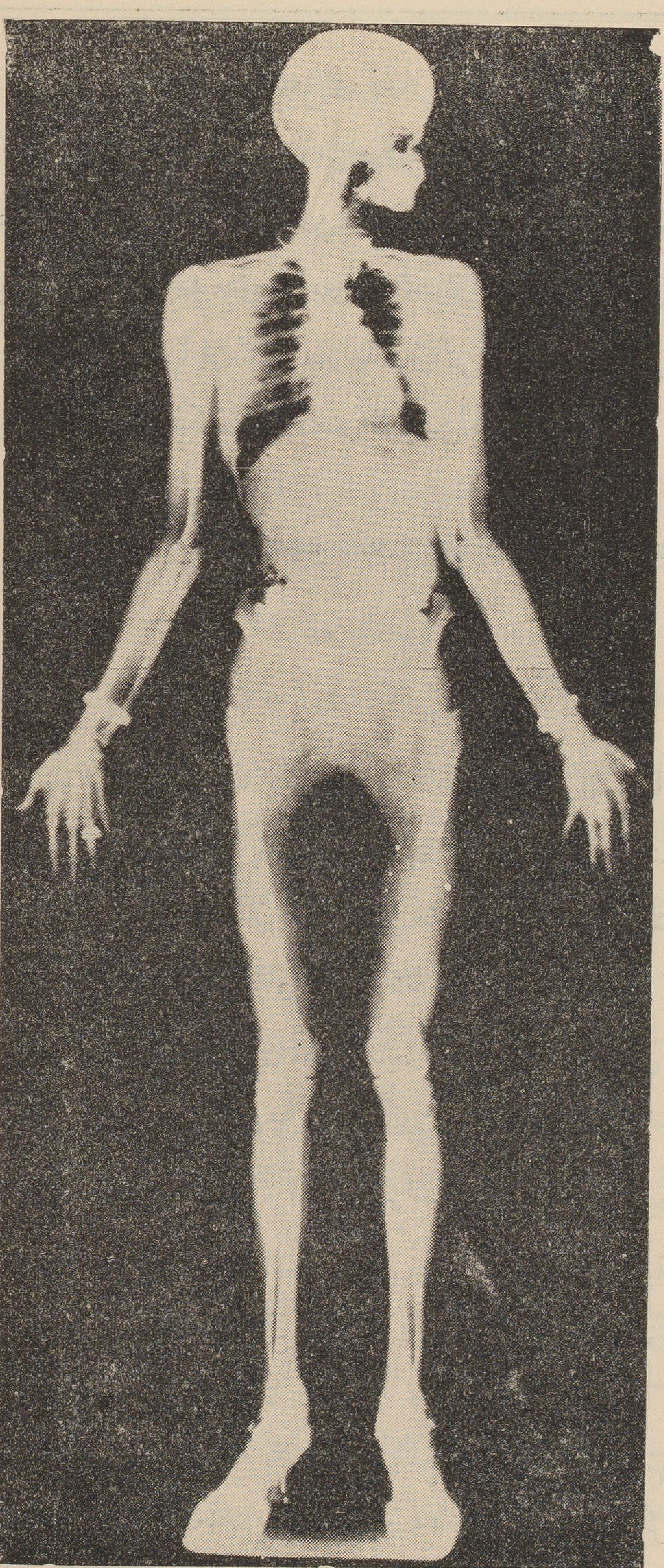
٢ — انشأ متحفا يحوى مئات الصور والتماثيل

٣ — سعى حتى تقرر انشاء قسم خاص للاحياء المائية يضم الى المتحف

٤ — سعى حتى تقرر انشاء طريق بين السويس والاسماعلية تقوم بمعظم نفقاته شركة قناة السويس

٥ — استطاع أن يتفق مع بنك مصر على ان ينشىء فندقا يسع ثلاثين غرفة غير الكبائن للزائرين من سكان القاهرة

هذا هو بعض ما قام به راسم بك مع انه لم تمض عليه أشهر فى منصبه . ومن هنا نعرف مقدار الفائدة التى تعود على مدننا من المدير او المحافظ النشيط . ويذكرنا هذا النشاط بما قام به الشاذلى باشا فى اسيوط حين ردم البركة التى كانت تكفل لعاصمة الصعيد عشرين او ثلاثين مرضا مختلفا



هذه الصورة لسيدة فى كامل ملابسها وزينتها . وقد اخذت باشعة رونتجن . وقد بلعت السيدة سلفات الباريوم قبل تصويرها فظهرت احشاؤها لأن هـذا المركب معـدني . كما ظهرت العظام والسواران والخاتم

ترغيد الحياة في الريف

للدكتور ابراهيم رشاد بك مدير التعاون

إن ترغيد الحياة فى الريف ، لايمكن أن يتحقق إلا بعد أن تتغير نفسية المفكرين فى بلادنا ، وتتقرر قواعد جديدة تختلف عن القواعد القائمة . وإلا فكيف يمكن أن ترسم قواعد لهذا الترغيد ، وأكثر المفكرين عندنا لايزال ينظر إلى الفلاح على أنه عامل من عوامل الانتاج لا أكثر ولا أقل . فمثله عندهم مثل تربة الأرض ، أو النبات الذى تنبته ، أو الحيوان الذى يعمل فيها .

فاذا تحرك هؤلاء إلى العناية بالفلاح ، فلا تزيد عنايتهم على أن يستغلوه لانتاج الثروة التى يريدون ، وليتهم أخلصوا حتى فى هذه الناحية ، فان خوفهم من إيقاظه وتنبيهه إلى أنه من النوع الآدمى الذى هو أشرف المخلوقات ، مما يستتبع مطالبته بنصيبه الحق فى الثروات التى ينتجها ، وفى الحياة الطيبة التى هو خليق بها ، إن خوفهم من هذه اليقظة وهذا الانتباه ، جعلهم يماطلون فى العمل على تحسين حاله ، ويقدمون عليه تجويد تربة الأرض وأنواع النبات والحيوان .

فنحن نرى النشاط قائما فى دور الحكومة وفى الجمعيات لجعل الرى والصرف على أحدث النظم العصرية ، ونرى العلماء فى المعاهد عاملين على تحسين أنواع النبات والحيوان ، مما وصل بنا إلى نتيجة محمودة فى سبيل تحسين هذه العوامل للانتاج فى الريف . كل ذلك وهذا العامل الانسانى أى الفلاح ، لم نبذل فى سبيله من الجهود إلا القليل . فلا علمناه ولا بحثنا مختلف معضلاته ، ولا هذبنا عاداته ، ولا صنا ثروته بل لم نحاول درسه وفهمه . وهكذا لم نحله محل الاعتبار الكافى فى أى ميدان مادى أو أدبى .

وأنى لذاكر هنا للعظة والاعتبار ، مامهد الطريق للاصلاح الريفى فى أحد البلاد الأوربية :

أهل القرن التاسع عشر على ألمانيا بأربعة من أفذاذ كتابها جمعوا حولها نفرا من الأدباء ، وأخذ

الجميع على عاتقهم دراسة الريف وأهله دراسة استنفدت طول ذلك القرن تقريبا ، وقد ظهرت هذه الدراسة فى شكل روايات وقصص ريفية صوروا فيها للحضريين الألمان ريف بلادهم ، وفتحوا عيونهم على مافى هذا الريف من جمال رائع ، بدا فى الطبيعة الباسمة بأشجارها وأزهارها ، وجداولها وأطيارها وسكونها الشامل ، وجلالها الضافى . ثم عرضوا فى هذه الكتابات إلى شخصيات الريفيين الذين يقطنون هذه الجنان بما فى هذه الشخصيات من بساطة أو من تعقيد ، ومن جد أو من هزل ، ومن بديهة مسعفة أو تفكير بطىء . وبذلك استطاعوا أن يقفوا الحضريين من الألمان على جمال ريفهم وخصائص سكانه ، وهم الغالبية العظمى من الشعب ، بعد أن كانوا يجهلونهم وينأون عنهم ، كما وقفوا الريفيين أنفسهم على دقائق حياتهم وما يكن فيها من جليل المعانى والأسرار ، ولم تقف رسالتهم عند الدراسة وإماطة اللثام عن العيوب والمآخذ ، بل وصلوا بها إلى وصف العلاج الصحيح ، فتناولوا مختلف المشاكل وافتنوا فى ضروب الاصلاح ، عارضين من الصور والأمثال مايشجع على الكفاح فى الحياة وعدم الاستسلام إلى الحوادث ، مع الاعتماد على النفس والتضامن فى العمل .

وقد حمل عبء هذه الرسالة أولئك الأربعة من الكتاب الأفذاذ وهم : اورباخ وجوتهلف وروترو شتفتر الذين خدموا الأدب الألمانى والشعب الألمانى فى وقت واحد .

* * *

ذكرت هذا لأبين أننا إلى الآن لم نخط فى سبيل إصلاح الريف المصرى ، حتى الخطوة الأولى وهى تفهم الحياة الريفية على حقيقتها . ومما يؤسف له أن نظل نجهل نفسية السواد الأعظم من الريفيين طول هذا الأمد ، وإنى لأرجو وقد ضربت هنا هذا المثال الألمانى أن تخرج من بين صفوف أدبائنا فى المستقبل القريب فئة تعمل فى هذا الميدان . وتقفنا على حقيقة نفسيتنا ، فتسهل للمصلحين عملهم المجدى .

أوضحنا أن هناك تقصيرا أو قصورا فى جهادنا لترغيد الحياة فى الريف ، فعلى من تقع التبعة فى ذلك ؟

فى رأيى أن المسئول هو طغيان عامل آخر من عوامل الانتاج وهو المال ، واستئثاره بحصة الأسد من الغلة الناتجة من هذه العوامل مجتمعة . فالمال قد بنى قلاعه وأقام حصونه ووطد دعائمه فى

جميع مرافق البلاد ، دينية كانت أودنيوية أو ديموقراطية أو ديكتاتورية . بحيث أصبح هو السلطة العليا فى كل زمان ومكان . نعم ، أصبح السلطة التى تتحكم فى كل عناصر الحياة ، لا فى مصر وحدها بل فى العالم بأسره ، يستوى فى ذلك الريف والحضر . وبذلك أصبحت الثروة عندنا — وهى محصورة فى أيدى عدد قليل من المصريين والأجانب — هى الحاكم بأمره .

فأنى لنا فى مثل اجتماعنا هذا ، أن نبحث فى وسائل ترغيد الحياة فى الريف ، أى الخطوة الاخيرة نحو إسعاد الريف وأهله ، والتى تسبقها خطوات كثيرة فى ميدان تحسين الحياة المادية للأهلين ؟ . أنى لنا أن نبحث فى هذا وفوق رءوسنا طغيان المال . وليس فى حسبانه مانفكر فيه ؟ .

* * *

هذه هى المعضلة الكبرى لافى مصر وحدها بل فى غيرها من الممالك . وهذا هو سبب اضطراب الامور قوميا ودوليا . فان خضوع الدنيا بما فيها من جماد ونبات وحيوان وإنسان لسلطان المال واصحابه ، هو مصدر كل البلايا التى ترزح تحتها الانسانية .

وإذا كانت مصر أكثر شعورا بهذا من بقية الامم ، فلان الانسان فى بلادنا لم ينل من العناية — كانسان — الا النزر اليسير ، فى حين أن غيرنا من الشعوب المتحضرة قد عنى به عناية تعتبر فى نظرنا نحن المصريين جليلة ، ولو انها فى نظر أهل تلك البلاد غير كافية فنرى الفلاح عندهم يتوفر لديه الكثير من أسباب الحياة المادية والمعنوية ، على حين أن فلاحنا كاد يكون محروما حتى من ماء الشرب النقى ! ومن الاضاءة المنظمة ، ومن السكن النظيف ، ومن وسائل الاستشفاء الى غير ذلك مما نعلم وتعلمون . ناهيكم بالنواحى المعنوية للحياة فهى ليست معدومة فحسب بل ينكرها على الريف وأهله فريق « النابهين » منا ، خشية تنبه الفلاحين الى حقهم فى الثروات كما قدمنا .

من ذلك نرى أن أم المسائل عندنا الآن ، أن يتحول « النابهون » منا أولا عن هذه النزعة الرجعية ، ويتقرر فى أذهانهم أن الفلاح انسان مثلهم من أسرة آدم وحواء ، لا يجوز أن ينظر اليه كمجرد عامل من عوامل الانتاج ؛ بل هو قبل كل شىء عضو من الاسرة الانسانية ، له حقوق أدبية ومادية ، يجب أن ينالها ليعيش عيشة راضية من الوجهتين الحسية والمعنوية . وفى الوقت نفسه لا خطر من رفعه الى هذا المستوى ، بل بالعكس فان فى ذلك كل الاستقرار . وفيه السبيل الى زيادة

الثروات ، وقبل أن يعتنق « النابهون » هذه الفكرة يكون من العبث أن نضع برنامجا مصريا لترغيد الحياة فى الريف ، بل ولا لما يجب أن يسبق ذلك تحسين الحياة المادية فيه .

موقفنا فى هذا كموقف «روبرت أوين» ذلك المصلح الاجتماعى الذى ظهر فى انجلترا فى أوائل القرن التاسع عشر ، مهيبا بأصحاب الاموال أن يتقوا الله فى العمال ، مقيما الادلة على أن فى ذلك خيرا كثيرا لهم وللعمال معا فما لبثوا أن اقتنعوا بأن لا تنافر بين المصلحتين ، بل هناك كل التوافق بينهما . وفى تضامن الفريقين فى العمل واشتراكهما فى الثروات الناجمة منه ضمان لاستقرار الامور ، ورفع لمستوى الحياة القومية عامه . وقد كان هذا بدء حركة إصلاح أجتماعى شامل ، تناولت وضع التشريع الوافى لمصلحة العمال على اختلاف طوائفهم . كما كانت مطلع عهد ارتفع فيه مستوى العمال وشعروا بالانصاف ، ونظرت الدنيا إلى العمل والعامل نظرة تنطوى على التقدير والاحترام .

ولكن مما يؤسف له أن العناية بالعمال فى المدن ، حيث بدأ « أوين » دعوته كانت أكثر منها بالنسبة للعمال فى الريف ، نظرا لتشتت شملهم وتوزع قواهم ، وحتى فى الوقت الحاضر ، نرى أن عصبة الامم تهتم بمصالح عمال الصناعة الى حد أنها انشأت لهم ديوانا خاصا من اهم دواوينها فى جنيف لديه مجموعة من المعلومات الدولية والتشريعات الخاصة بالعمال فى جميع أنحاء المعمورة ، عدا الابحاث والاسفار والاحصاءات والتقارير ، وغير ذلك مما يدل على عظيم اهتمامها بهم ، وهى فى الوقت نفسه تهمل عمال الزراعة أى الفلاحين إهمالا كاملا ، وقد وجهنا الى ذلك نظر المستر بتلر Mr Butler مدير مكتب العمل الدولى فى العصبة فى أثناء زيارته الاخيرة لمصر ، وبينا له أنه إذا كان المكتب قد أوفد مديره الى مصر مرتين إحداهما فى سنة ١٩٣٢ والثانية فى سنة ١٩٣٨ . لدرس حالة عمال الحضر فى مصر وتقديم تقرير عنها ، فما أجدر هذا المكتب بدرس حالة الفلاحين فى الريف وهم الكثرة العظمى من العمال التى تعيش فى أسوأ حال من البؤس والشقاء فهم أجدر طوائف العمال بالرحمة ، وأحوجها الى الانقاذ .

ان المقاومة التى كان يلاقيها « روبرت أوين » من أصحاب الاموال فى عصره ، يلاقيها الآن كل مصلح اجتماعى فى مصر ، ولكن عن طريق مستتر فأحيانا يظهر هؤلاء «الرأسماليون» فى ثياب رجال السياسة ، أو رجال الحكومة ، أو الاعيان أو أصحاب الاعمال الحرة . وقد جمعتهم فيما سبق

تحت كلمة « النابهين » . وهؤلاء هم الذين يجب كسبهم أولا للسياسة التى أشرنا اليها آنفا .

* * *

انى لا أومن بالطفرات ، وهذا ما جعلنى أرصد حياتى للعمل فى الحركة التعاونية ، رغم علمى ببطء أساليبها وبعد نتائجها ، وبمقاومة أكثر قوة فى العالم لها ، ألا وهى « الرأسمالية » وبخذلانها فى كثير من الاحيان على أيدى من وجدت لانقاذهم جهلا منهم بها أو طمعا فى فضلها .

ومع ذلك كله فانى أرى أن الاصلاح التدريجى ، ومماشاة التطور الطبيعى ، هما أضمن طرق التقدم وأمتنها ، وإذا لم يؤخذ بهذه الطريقة مع بساطتها وهدوئها ، خصوصا فى بلادنا التى لا تزال تعيش باوضاع قديمة ،وعادات عتيقة ، ومدنيات متوارثة ، فان أكبر الخطر أن تجد المبادىء العنيفة والخطط الفاتكة سبيلا اليها ولا يعلم الا الله ماذا يكون .

نعود الى ما قلناه من أن « النابهين » هم الواجب كسبهم للفكرة .

أولا — فكرة الاعتراف بآدمية الفلاح . وما يترتب له على هذا الاعتراف من حقوق . ذلك أن بين هؤلاء « النابهين » ، الوزير الذى يملك من السلطة ما يسهل تحقيق مرامى هذه السياسة ، ومنهم المفكر الذى يشغل نفسه والرأى العام بها ، ومنهم الكاتب الاجتماعى الذى يستطيع أن يدعو لها ، ومنهم البرلمانى الذى يعمل على وضع التشريع لها ، ومنهم الزارع الكبير الذى ينفذها .

هذا هو التسلسل الطبيعى للفكرة ، تهيأ النفوس والاذهان لها ، ثم يبدأ العمل لتنفيذها . ولا يمكن أن يقع هذا كله الا على أيدى قادة الرأى العام أولا وهم من فصلناهم من طوائف « النابهين »

عندما بدأ فلاسفة المدنية الريفية وعلماء الاقتصاد الاجتماعى فى أواخر القرن الماضى يضعون مبادئهم وينشرون تعاليمهم ، ساروا فيها بالوضع الطبيعى فاتخذوا شعارهم الثلاثى الاركان : « تحسين الزراعة وتيسير التعامل وترغيد الحياة » .

ولما كان تحسين الزراعة من واجب الحكومات ، تركوا لها هذا الامر تقوم به وزارات الزراعة نظريا وعمليا ، تعاونها فى ذلك الجمعيات الزراعية فأخذ العلماء يفكرون ، والمعامل تبحث فى مختلف نواحى الزراعة من تربة ونبات وحيوان حتى اذا وصلوا الى النتائج المرجوة ، حملوها الى الزارع وأقنعوه عمليا بصحتها وما تنطوى عليه من مزايا ، فما لبث أن أخذ بها فسادت البلاد ، وبهذا تقدمت

الزراعة وارتقت الفلاحة ، وكثرت الثروات وعمت الخيرات .

ولما وضع علم الاقتصادى الزراعى ، ظهر بفضله أن الزارع لا يمكنه أن يجنى ثمار عمله إذا هو أهمل الناحية الاقتصادية لمهنته ، فلا بد له إذن من معرفة أصول ادارة العزب ونظم الاسواق ، وأساليب التمويل الزراعى وكيفية الاستفادة من الاحصاءات الزراعية الى غير ذلك مما لو أهمله لاشترك فى أرباحه التاجر والمالى بل لحصلا على حصة الاسد منه

لما اتضح كل ذلك ، قامت وزارات الزراعة فى الامم الناهضة بانشاء أقسام فيها للاقتصاد الزراعى ، بجانب أقسامها للزراعة الفنية ، تتناول بحث الاقتصاديات الزراعية بحذافيرها ، ووضعت نتائج ذلك كله تحت نظر الزراع ومساعدتهم على الاخذ بكل مفيد من الناحية الاقتصادية ، كما تفعل فى الناحية الزراعية الفنية ، وبذلك استكمل نقص ظل قائما سنين طوالا فى اعمال وزارات الزراعة ولعل الوقت قد حان لان تقوم وزارتنا المصرية للزراعة ، بانشاء مصلحة فيها للاقتصاد الزراعى فتستكمل عدتها لتعليم الزراع المصريين مهنتهم على أتم وجوهها

أما الشق الثانى — وهو تيسير التعامل — فقد رأى هؤلاء الفلاسفة وأولئك العلماء أن الخطة المثلى لذلك هى اتباع النظم التعاونية وفيها الكفاية لتنظيم الناحية الاقتصادية من حياة الزراع ، من تدبير المال اللازم لهم وتمكينهم من الحصول على حاجياتهم من بزور وأسمدة وعلف ولوازم منزلية جيدة النوع ، مقبولة السعر ، ومن استعمال الالات الزراعية الحديثة ، الى غير ذلك مما يحتاجون اليه لمهنتهم كمنتجين ولبيوتهم كمستهلكين . كذلك بيع حاصلاتهم فى داخل البلاد وخارجها واقامة الصناعات الزراعية التى تساعد على تصريف ما ينتجون ، كل هذه الشؤون يتناولها الزراع بواسطة جمعياتهم التعاونية تحت إشراف هيئاتهم العليا للتعاون ، من اتحادات وجمعيات مركزية ، الا أن الجمعيات فى البلاد الحديثة العهد بالنظم العصرية تشرف عليها الحكومات كما هى الحال فى مصر

بقى الشق الثالث من القاعدة الثلاثية الاركان وهو ترغيد الحياة فى الريف : إن سعادة الريف وأهله تتطلب توفر أمور معينة فوق تحسين الزراعة وتيسير التعامل : اننا نطالب بأمور ، اهمها توفر الصحة ونشر التعليم : هذان أمران نعلم انهما يعتبران عادة من اختصاص الحكومات ولكن لنا فى ذلك رأينا اننا نطالب كذلك بضرورة ابراز الوجهة الاجتماعية للتعاون ، وعدم الاقتناع

بالوقوف عند الخدمات الاقتصادية التى تقوم بها جمعياته ، كما اننا نطالب بقيام المرأة بـــدورها فى اسعاد الريف .

هذه أمور أربعة هى من الاهمية بمكان ، ولو نظمت فى مصر ووضع لها برنامج يتحقق فى عدد معين من السنين ، كما فعل موسوليني ومصطفى كمال وهتلر ، لضمنا تقدم ريفنا وإسعاده

وانى لشارح بقدر مايسمح لى الوقت . كلا من هذه الأمور الأربعة

١ — الصحة

ليسمح لى أهل الطب ، وان لم اكن منهم أن أتحدث فى موضوع خاص بهم ، وإنما ارجو أن تكون صفتى الاقتصادية الاجتماعية،شفيعا لى إليهم فى ان انظر الى الموضوع من ناحية معينة .

إن الامراض المختلفة المنتشرة بين فلاحينـــا قد أضعفت أجسامهم الى درجة قللت من قوة إنتاجهم ورفعت نسبة الوفيات ، خصوصا بين أطفالهم ، كما أن البيئة التى يعيش فيهـا فلاحنا محاطة بعوامل تضنى العافيـة ، فمن بيوت غير صحية ، إلى مياه للشرب ملوثة ، إلى برك مسممة ، إلى غير ذلك . مما دعا حكومتنا الى بحث هذه المسائل من سنوات مضت ، ووضع خطط لمعالجتها ، ولـكن بطء النتائج شغل البال ، والمال اللازم غير متوفر ، ومن أجل هذا قام غيرنا من الامم الشبيهـة بنا بابتكار نظم جديدة يجب أن نعنى بدرسها ، لعل فى الاقتباس منها ما يسهل علينا المهمة ، ويقرب الوقت الذى نرى فيه ريفنا يرتع فى بحبوحة الصحة والعافية .

كانت القرى فى يوجوسلافيا فى حالة سيئة من الناحيـة الصحية ، وكانت مجهودات مصلحة الصحة العمومية هناك غير مسعفة ولا كافية .

ولما كان التنظيم الصحى فى القرى يحتاج الى باهظ النفقات مما لا قبل للحكومة بتحمله ، أصبح لا مندوحة من حصولها على المساعدات المحليـة . وخير هذه المساعدات ما جاء منظما ، الامر الذى وجه أولى الامر الى استخدام النظام التعاونى فى هذا الميدان ، وهـكـذا تعاونت الحكومة والشعب على إنشاء جمعيات تعاونية للصحة ، يتولاها الاعضاء ، وتخصها الحكومة بامتيازات .

وتتفـاوت عضوية الجمعية الواحده بين ٢٠٠ و ١٠٠٠ وتخدم عددا من القرى متوسطه خمس.

وأبسط ما تقوم به هو أن تعين طبيبا مقيما وممرضة ومولدة ، وتعد صيدلية .

وتقيم الجمعيات الكبيرة دارا للصحة فى شكل بناء يشمل عيادة وصيدلية ، وبجانبها مسكن للطبيب ، وعنبرات صغيرة للرجال والنساء ، وصالة للمحاضرات ، وصمامات.

وتمول هذه الاعمال تبرعات الموسرين ، ومساعدات الحكومة والسلطات المحلية ، وأجور الكشف الطبى واثمان الادوية مع زهادتها .

وميدان هذه الحركة أوسع من مجرد المداواة فهى لا تعمل يدا بيدا مع مصلحة الصحة للعلاج فقط ، بل وللوقاية والتطعيم الالزامى ضد مختلف الامراض . تقوم هذه الجمعيات كذلك بمقاومة الامراض الوبائية والاجتماعية ، كما أن لديها الاستعداد للعناية بالاطفال . ونشاطها يتناول مدد الحمل والرضاعة وفترة الدراسة وكذلك تقوم بتوفير المياه الباقية ، وتصريف الفضلات ، والتخلص من القاذورات وتنظيم التعليم الصحى للبنين والبنات .

والنجاح الذى صادفته هذه الحركة المنتشرة جمعياتها فى أنحاء يوغوسلافيا ، دليل واضح على أن الخدمات الصحية تنجح تماما ، إذا انشط الاهالى واشتركوا جديا فى العمل مع الحكومة .

٢ — نشر التعليم

إننا — كأمة — لانزال نتخبط فى ميدان التعليم ، إذ لم نهتد حتى الان إلى سياسة تعليمية مستقرة ذات غاية معينة وإساليب مرسومة ، واذا كان هذا هو الحال فى التعليم الجامعى والثانوى والابتدائى فما بالك بالتعليم فى الريف ؟ هذا النوع يجب أن يوفق فيه بين التعليم العام ، وبين مطالب حياة الريفيين .

وما عرفت نظاما فى التعليم جمع هذين المطلبين ، أفضل من « كتاتيب القرى » المنتشرة فى الدانيمارك Folk School ويجمل برجال التعليم عندنا أن يقفوا على هذا النمط فى تعليم الريفيين عله يساعدهم على وضع نظام فى ريفنا يحقق أغراض البلاد .

إن فى هذه الطريقة الفريدة فى بابها كثيرا مما ينبغى اقتباسه اذ هى تجمع كما قدمنا بين التعليم العام

وبين ما يفيد الفلاحين معرفته ، وما يساعدهم على تكوين شخصياتهم ، وتقويم أخلاقهم ، وتهذيب نفوسهم ، وفيها يتعلمون شيئا عن تاريخ بلادهم وأدبها ، وعن الظواهر الطبيعية مع شيء من شئون الفلاحة والبسائط فى الاقتصاديات الزراعية ، الى غير ذلك ، بطريقة لا يعتمد فيها على الكتب والكراسات ، بل على مقدرة المعلم على توصيل معلوماته لتلاميذه بالتحدث والمناقشة بأسلوب من شأنه أن يحبب اليهم تلقى تلك المعلومات ، ولا امتحانات ولا شهادات لهذه الكتاتيب ، اذ الغرض منها مجرد التعليم والتثقيف ، وتغذية الفلاحين بالمعلومات الكافية للقيام بأعمالهم اليومية باقبال ومقدرة مع عدم حرمانهم من الثقافة العامة ، الخاصة ببلادهم . ومن ضروريات التعليم القراءة والكتابة والحساب والدين ، بطريقة عصرية محببة اليهم دون ضغط وبأيسر ما يمكن من التكاليف .

إن التعليم فى هذه الكتاتيب لا يراد به مجرد الاستفادة المادية ، بل تكوين شخصية الانسان . لذلك فان التلميذ صغيرا كان أم كبيرا ، يتلقى خلال مدة دراسته عدة أشياء لازمة له فى حياته الخاصة والعامة ، لم يكن يعلمها من قبل ، يخرج بعدها الى ميدان الحياة وقد اعد العدة للعمل فيه وكله أمل ، ووجهة نظره الى الحياة سامية ، واستعداده طيب ، معتبرا مصلحته ومصلحة المجموع واحدة .

لم أضرب هذا المثل لاقول بتقليد هذا النظام بجملته لان هذا عسير علينا من حيث الادارة والتمويل ، اللذين يقع عبئهما فى الدانمارك على الشعب وفى مصر على الحكومة ، وانما أردت أن نقتبس من برنامج هذه الكتاتيب ، ومن طرق التدريس فيها .

٣ — ابراز الوجهة الاجتماعية للتعاون

ان اهمال التعاونيين للوجهة الاجتماعية من حركتهم ، وانصرافهم عنها الى الوجهه الاقتصادية واعتبارهم إياها بيت القصيد ، لهو جهل منهم بحقيقة التعاون ، وضعف فى نفسيتهم ، ناشيء عن المغالاة فى تقدير المادة ، وهذا ما أسقط أمضى سلاح فى أيديهم لاسعادهم وهم غير واعين .

ان الحقيقة فى التعاون هى أن اصلاح حالة الشعب الاقتصادية خطوة أولى الى تحسين حياته الاجتماعية وأن الاولى هى البداية والثانية هى النهاية ، وبين هذه وتلك مراحل يترقى فيها الخلق الفردى ، وتظهر قوى الفرد الكامنة . واذا لم يكن لاى نظام اصلاحى للهيئة الاجتماعية ثمرة غير

الثمرة المادية . فان أثره فى تحقيق الحياة الطيبة يكون ضعيفا ؛ فيجب والحالة هذه اعتبار الثروة والسعادة ، أمرين منفصلين ، كل منهما جدير بالاهتمام

والى أن يؤمن التعاونيون المصريون بهذه النظرية ، تظل حركتنا التعاونية جامدة عند تحسين المادة ، دون أن تترك فى النفوس الاثر الذى يهذبها ، والذى يظهر الخفى من فضائل الشعب .

ان من المبادىء التعاونية ، أن تخصص كل جمعية نسبة معينة من أرباحها للقيام بأعمال تعود على الناحية بالرقى الاجتماعى . فاذا كانت قائمة فى قرية انشأت فيها مكتبة وصالة للاجتماعات ، وصهاريج للمياه النقية ، وقامت بتنظيف وانارة طرق القرية ، وأوجدت مكتبا لتعليم اطفالها ، ومكانا لاسعاف مرضاها وغير ذلك من الاعمال الاجتماعية ، التى يسعد بها الاهلون

إذا لم تقم الجمعيات بذلك كله ، وآثرت أن تخص الناحية الاجتماعية المذكورة بقليل من الارباح ، ليظفر أعضاؤها بالكثير ، فقد قصرت فى واجبها أيما تقصير .

يبث التعاون فى الناس فضائل خلقية ، أظهرها تأدية الواجبات والمطالبة بالحقوق ، والمساواة فى المعاملة ، وحرية الفكر ، وأدب المناقشة ، واحترام رأى الاغلبية ، وانكار الذات ، ونشر روح الاخاء والمودة بين الجميع .

تدرب الجمعيات التعاونية أعضاءها على الاقتصاد فى النفقات وتكاليف الانتاج ، كما تعودهم الادخار والاعتماد على النفس ، فوق أنها خير مجتمع لتبادل الاراء . والتفاهم على ما ينفع أعضاءها فى أعمالهم وحياتهم الاجتماعية

٤ ـ دور المرأة فى ترغيب الحياة الريفية

ان الدور الذى تلعبه أية مجموعة من الناس ، لا يكون له أثره المرجو الا اذا انتظمت قوى هذه المجموعة فى سلك هيئات لها دستور يلتزم . وبرنامج يعمل على تنفيذه باخلاص ومقدرة

فلا ينتظر اذن من نسائنا فى الريف — وهن نصف شعبه ، وعليهن العبء الأكبر من ترغيد الحياة فيه — أن يقمن بدورهن على أتم وجوهه ، الا اذا نظمن جهودهن . يقول البعض ، ان عدم التعليم حائل دون التنظيم ، لكن هذه الفكرة قضى عليها الآن ، وأصبح واضحا أن التعليم شىء

والتنظيم شيء آخر . ولو أن كليهما يساعد الآخر ويسهل مهمته . فلندع التعليم يسير فى طريقه ، ولنسر نحن بالتنظيم فى طريقنا . والاثنان يغزوان الجهالة والتأخر ، كل حسب أصوله وطبق أوضاعه .

إن تنظيم هذه الحركة النسوية فى الريف ، ولو أن القائمات بالعمل فيه سيكن القرويات أنفسهم فان القيادة ستكون حتما فى أيدى سيدات من ذوات الجاه والثروة والتعليم . فهن وحدهن القادرات على إيقاظ الغرائز للنهضة الاجتماعيـة فى الريف ، ولديهن من سعة الوقت ، مايسمح لهن بذلك . فايجاد رابطة بين نساء مصر فى الريف بهذا الوضع ، أمر لابد منه ، بصرف النظر عما بينهن من فروق فى المراتب وفى السياسة وفى العقيدة .

إن المركز العام لهذه الحركة سيكون حتما فى العاصمة ، وله فروع فى الاقاليم ، وأمره موكول الى لجنة تنفيذية تعمل على جمع المعلومات المختلفة من الريف ، وعلى تعرف حقيقة الفروع . اما هـذه الفروع فهى جمعيات نسوية محلية منتشرة فى الارياف ، تعمل بواسطة لجان منتخبة من أعضائها .

ويعين المركز العام « منظمات » يضعن معلوماتهن وخبرتهن تحت تصرف الفروع ، فيزرنها من حين الى آخر ، ويجتمعن بأعضائها يبثثن فيهن الروح ، ويقدمن من الارشادات ما يشجعهن على عملهن ويوجههن التوجيه الصحيح .

كما أن المركز العام يعين معلمات يزرن الفروع ، ويعيشن بين أعضائها مدة قد تصل الى شهر ، يقمن فى أثنائها بتعليمهن أصول الصحة والاسعاف والطهى والتطريز ، ويلقين عليهن محاضرات فى موضوعات تهمهن ، كالنظافة وتربية الاطفال ، وترتيب البيت ، ويبصرنهن بالصناعات القروية .

واذا استدعى الامر يعين المركز العام مولدات وممرضات يرسلهن الى الفروع عند الحاجة ليقمن بمهامهن .

وتقوم مالية هذه الحركة على الاشتراكات وتبرعات ذوى الأريحية ، وعلى المساعدة المالية التى تقدمها الحكومة . وتتلخص أعمال هذه الحركة فى ثلاثة أقسام رئيسة .

١ — العمل لتقدم الزراعة ، ومايتبعها من صناعات ريفية ، وذلك بتربية الدواجن ، والاعتناء بتغذية الأبقار وحلبها وبتربية العجول وغزل الصوف ، وإنتاج العسل ، وما إلى ذلك .

٢ — العمل لتنظيم المعيشة المنزلية وتجميلها ، وإنما يكون ذلك بتقوية روابط التعارف والمودة

بين الأسر وانتفاع ذات البيت الوضيع بمشاهدتها فى البيوت الرفيعة . خصوصا فيما يتعلق بالنظافة وتربية الاطفال .

٣ — العمل فى الحياة الفكرية والاجتماعية . ويمكن تيسير هذه الغاية بتهيئة صالة بالقرية . تستخدم لالقاء محاضرات وتمثيل روايات . وعرض صور سينمائية وإقامة حفلات فى الأعياد والمواسم وغيرها .

الخلاصة

١ — الاعتراف بالفلاح كمواطن ، واحلاله المحل الخليق به فى الحياة المصرية ، وإعطاؤه حقه فى ثروة البلاد ، وعدم حرمانه من الثقافة القومية .

٢ — جعل النظام التعاونى بشطريه الاقتصادى والاجتماعى أساسا لتنظيم التعامل فى الريف ، من بيع وشراء وادخار واقتراض ، ولرفع مستوى الحياة الاجتماعية فيه .

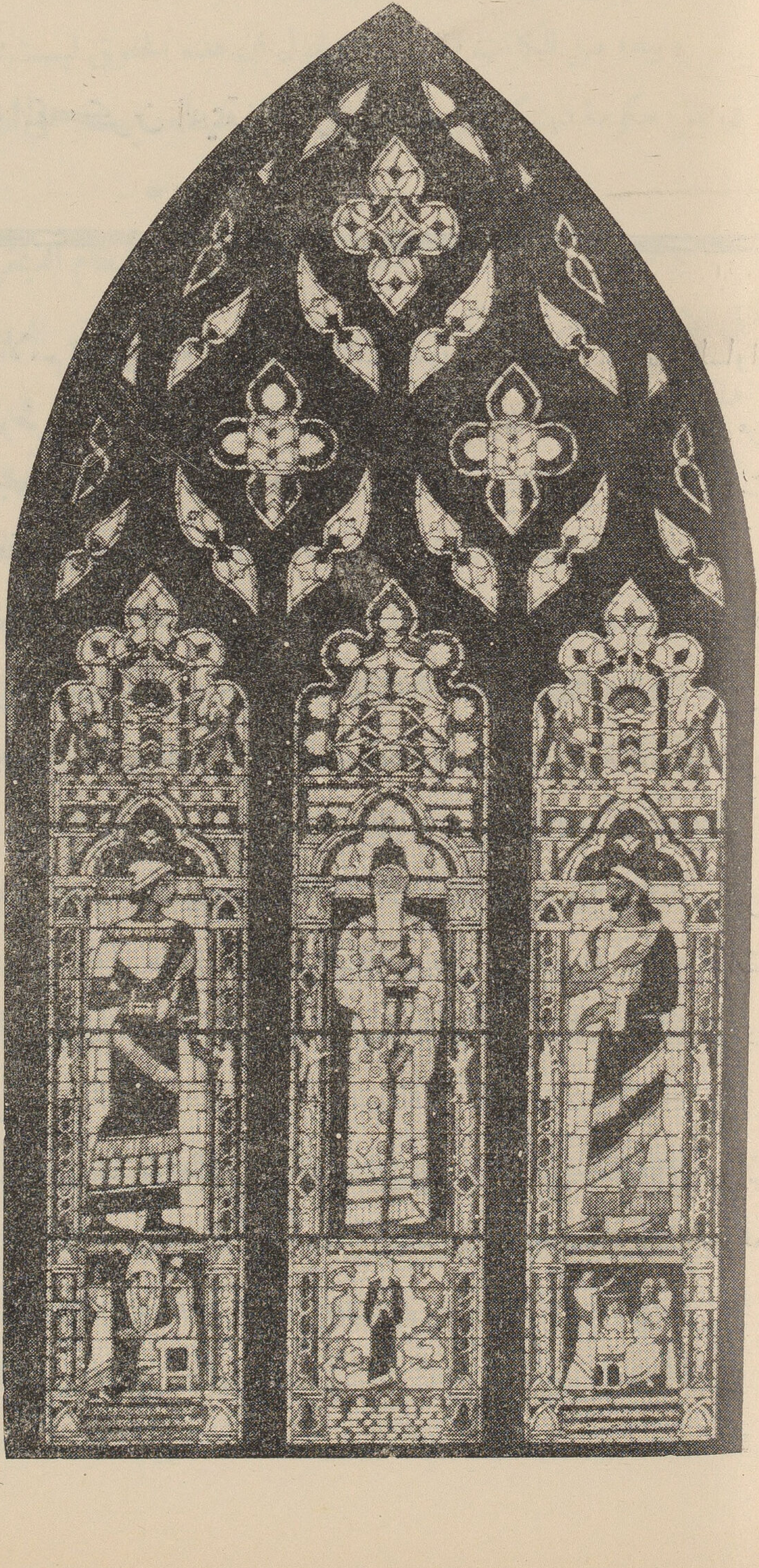
٣ — وضع التعليم والصحة وضعا جديدا يحقق مطالب الريف دون تردد ولا إبطاء .

٤ — إدخال المرأة الريفية فى الميدان للعمل على ترغيده ، وتحميلها مسئولية هذا العمل القومى.

* * *

هذه هى الاركان الاربعة الاساسية لترغيد الحياة فى الريف . لخصتها بكل ايجاز راجيا أن يعمل الجميع على حمل الحكومة — أيا كان لونها — على العناية بها ، فلا يلهيها ما أمامها من مشاكل حزبية أو مشاغل دولية ، عن هذا الواجب القومى الذى هو من الاهمية بمكان عظيم ؟

سحر الزجاج



تمتاز الكنائس الكبرى في اوربا وامريكا بالنوافذ من الزجاج الملون . وهنا نافذة زجاجية في كنيسة واشنطون الكاتدرائية وفي وسطها صورة النبي دانيال .

امتحان النظام الديمقراطى

ابحاث المفكرين الديمقراطيين ودفاعهم عنه

اخذ القلق يبدو فى جميع الامم الديمقراطية عن هذا التراث الذى تفخر به من الحرية والمساواة والعدالة وما الى ذلك ازاء النهوض الذى يبدو عند الامم الديكتاتورية وما يتبع هذا النهوض من التحدى . ولذلك قل ان تخلو مجلة اوجريدة من البحث عن ميزات النظام الدايمقراطى بل لقد اصدرت بعض الجرائد ملاحق لبحث هذا الموضوع كما ان اعدادا خاصة من المجلات قد ارصدت له

والمؤسسات والافكار والعقائد تقوى بالامتحان والتجربة اذا كانت سليمة . كالجسم السليم يزداد قوة بالمرانة . ولكنها — مثل الجسم العليل — تضعف أو تموت اذا كانت عليلة . ولذلك من الرجولة ان ينهض الدايمقراطيون هذه الايام للاجابة على تحدى الامم الديكتاتورية وان يفحصوا عن النظم الديمقراطية ويبينوا ميزاتها ويبرزوا عيوبها بالمقارنة الى ما يجرى فى الديكتاتوريات

وقد خصت احدى الجرائد اليومية الكبرى فى الولايات المتحدة وهى «ذى كرستيان سينس مونيتور» هذا الموضوع بعدد منها تناول فيه الكتاب المختلفون جميع نواحيه مع تعدد وجهات نظرهم فشرحوا ماهية الديمقرطية ثم اوضحوا ما يجب على الحكومات التى تتصف بها لكى تقوى نظمها . ونحن ننقل فيما يلى بعض هذه الاراء

فقد قال أحد هؤلاء الكتاب ان الديمقراطية تعنى عنده السعى لخدمة جميع افراد الامة . وإن النظم الديمقراطية يجب ان يكون فيها من اللدونة ما يجعلها قادرة على التكيف للخدمة العامة فى حدود الحقوق التى يستمتع بها الافراد فى ظلها . اما هذه الحقوق فهى

١ — الخطابة الحرة والصحافة الحرة

٢ — حق العبادة كما تمليها الضمير الشخصى

٣ — حق الالتجاء الى المحاكم لتقويم الخطأ

٤ — العيش بالمساواة فى فرص الكسب

ويبدو من الكاتب انه يريد ان يقول ان هذه الحقوق ليست مما يتمتع به اولئك الذين يعيشون فى ظل حكومة ديكتاتورية . ونظن ان كل منصف يضطر الى التسليم بهذا النظر

* * *

وكتب آخر يقول ان الاساس الذى يبنى عليه النظام الديمقراطى يرجع الى حق الجيل الجديد فى الاستمتاع بجميع ما كسبه الجيل السابق . وان الحقوق الديمقراطية (وهى الاربعة المذكورة هنا) يجب ان يرافق كل منها الشعور بالمسئولية فلا يجوز الغلو فى ممارستها . فاذا كان من مبادىء الديمقراطية التسامح والرضى بالتسليم بهذه الحقوق فان من مبادئها الاخرى التحفظ والاعتدال . وهاتان الصفتان ضروريتان فى مجابهة التحدى الذى تلقاه الحكومات الديمقراطية من الدول الديكتاتورية

ثم يقول الكاتب ان قدرة الناس على الانتاج قد زادت على ما كانت عليه مائة ضعف . وان طرق التوزيع القديمة لم تعد كافية تلائم هذا الانتاج وقد اتهمت النظم الديمقراطية بعجزها عن حل هذه المشكلة وصار خصومها يقولون بالالتجاء الى الديكتاتورية للوصول الى هذا الحل ولكن الكاتب يقول ان هذا الانتاج العظيم قد اخترعت وسائله عقول عاشت فى ظل النظام الديمقراطى وهى كما اخترعت هذه الوسائل للانتاج تستطيع هى ان تخترع وسائل التوزيع دون ان تتخطى المبادىء الديمقراطية أى الحقوق التى ذكرنا

وكتب ثالث يقول ان الديمقراطية ليست نظاما للحكومة فقط بل هى طريقة للعيش والحياة . فيجب ان تكون فى بيوتنا ومدارسنا

فاذا عاملنا الاطفال فى البيت ، او الصبيان فى المدرسة فاننا يجب الا ننسى ان نغرس المبادىء الديمقراطية فى نفوسهم حتى يشبوا وهم ديمقراطيون بالمزاج وليسوا ديمقراطيين بالنظام فقط . وهذا المزاج يكون لهم الاخلاق التى تكفل لهم السلامة من الانقلابات السياسية فى المستقبل

فلا بد إذن من ان يكون الاب فى وسط عائلته حاكما ديمقراطيا لايجور ولايستبد . ويجب ان يعلم ابناءه التعاون والحكم الذاتى والقدرة على فض الخلاف بأنفسهم ويجب ان يقدر ما عندهم من

استقلال فى الرأى والتفكير ويشجعهم عليه

وكتب آخر يقول أن الديمقراطية هى كما قال ابراهام لنكولن « حكومة الشعب لاجل الشعب ومن الشعب » وعلى هذا التعريف يجب على كل امريكى لكى يتمتع بنعمة الديمقراطية ان يهىء نفسه بالواجبات والمسئوليات التى يطلبها هذا التعريف . فيجب ان تستعمل اصواتنا فى الانتخابات بذكاء وفهم . وان تخضع مصالحنا الشخصية للمصلحة العامة .. وان ندرس مسائل الامة الداخلية ومسائل العالم عن طريق الجرائد والمجلات والكتب الحسنة حتى لا نتورط فى الخطأ عند ما نطالب بممارسة حقنا فى التصويت ويجب أن نشجع ونؤيد انشاء المدارس والمكتبات المجانية وان نتسامح مع جميع الناس، مهما اختلفوا فى الدين او الدم

* * *

والمستر لويد جورج هو الآن شيخ هرم فى الخامسة والسبعين وقد هجر كفاح السياسة ولكنه لم يهجر درسها .وهو الآن يمارس الزراعة فى عزبة قريبة من لندن يربى الخنازير ويزرع الشليك ويغرس اشجار التفاح . وقد أحال الأرض القاحلة الى ارض خصبة بالعناية بردمها وصرفها وتسميدها

ويعرف القراء لويد جورج بأنه كان زعيم الاحرار او الحربين وهو ديمقراطى يؤمن بأن صوت الشعب يجب أن يعلو . وهو صاحب الفضل فى قانون معاشات الشيخوخة كما هو صاحب الفضل فى ادارة الحكومة مدة الحرب الكبرى

وقد زاره رئيس تحرير مجلة نيوستيتسمان وحادثه عن الديمقراطية والديكتاتورية وأيتهما اكثر كفاءة وأقدر على إسعاد الامة . فكان مما قاله لويد جورج ان الامم الديكتاتورية تمتاز برجلين فذين هما موسولينى وهتلر . وليس شك فى ان لكل منهما عبقرية القيادة . ومن سوء الحظ ان ليس للامم الديمقراطية مثل هذين القائدين . ومن هنا توهم التفوق عند الامم الديكتارية . ولكن يجب ألا ننسى ان موسولينى وهتلر بل لنين وستالين ايضا انما ارتفعوا الى مراكزهم الديكتاتورية فى اوساط ديمقراطية أذنت لهم باجتماعاتهم ومظاهراتهم الاستفزازية .ومع ذلك فان النظامين — الديمقراطى والديكتاتورى — لم يتح لهما ان يوضعا تحت الامتحان . وما أصابه كل من المانيا

وإيطاليا من النجاح انما يعود الى ضعف القادة عند الدولتين الديمقراطيتين . ولـكن يجب ألا ننسى ان الامتحان القاسى مدة الحرب الـكبرى قـد أثبت قوة الأمم الديمقراطيـة ازاء الديكتاتوريات الحربية حتى سحقت هذه الديكتاتوريات

قال المحرر : هل تذكر ان اختبارك مدة الحرب الـكبرى قد اقنعك بأن الاتوقراطية تمتازعلى الديمقراطية فى الحروب

فقال لويد جورج : ليس هنـاك تجربة هى أقسى من تجربة الحروب فى إظهار الـكفاءات . وأعظم حرب فى العالم قد كسبتها الامم الديمقراطية . وهذا على الرغم من ان المانيا والنمسا قد دخلت كل منهما الحرب ولها ميزات فى الاستعداد بالذخائر والمواصلات الداخليـة . ولـكن النصر كان فى النهاية للامم الحرة لان لهـا مؤسسات حرة حيث يتصل مركز السلطة بسواد الشعب . فـكان القادة لهذا الشعب أعضاء فى البرلمـان وفى المجالس المحلية حتى اذا قاربت الحرب نهايتهـا كان فى كل قرية او مدينة رجال مدربون قد أعدوا للحرب. وكانت الامم الديمقراطية قد اعتادت وارتضت التجند والاستعداد

فقال المحرر : ماهو عندك الامتحان الحق لمعرفة الـكفاءة فى الأمم ؟

فقال لويد جورج : هو قبل كل شىء الرخاء بين افراد الشعب والقناعـة .. وليس شك فى ان سواد الأمة فى كل من فرنسا و بريطانيا يستمتع برخاء اعلى مما يصل اليه الشعب فى إيطاليا . ومثل هذا يقال — بدرجة اقل — عن الشعب الالمانى . وقد نلحظ على السطح ان السخط والقلق يعمان فرنسا وانه ليس لهما نظير فى ايطاليا . ولـكن السبب لهـذه الظاهرة السطحية هو ضغط الحرية فى ايطاليا

فقال المحرر :هل احتجت مدة الحرب الـكبرى إلى تنقيح النظام الديمقراطى لـكى تزيد كفاءة الحـكومة فى متابعة الحرب ؟

فقال لويد جورج : لم أحتج إلى شىء من ذلك . و كذلك سلفى المستراسكويت . فان مؤسساتنا الحرة سارت فى عملها بلا عائق وبلا خطأ . ولم نغير شيئا فى نظام البرلمان . وقد وافقت على عقـد جلستين سريعتين فقط للبرلمـان مدة الحرب لـكى لاتذاع الاسرار . واعتمدت على ثقتى بالاعضاء

فلم يفش سر . وكان البرلمان يختصر المناقشات للسرعة . وقد نقصت عدد الوزراء . ولكن هذا النقص لا يعد مخالفة دستورية إذ له سوابق

فقال المحرر : هل حدث مدة الحرب أن المعارضة للحكومة كانت تعطل الأداة الحكومية ؟

فقال لويد جورج : تولى الحكومة البريطانية مدة الحرب الكبرى ثلاث وزارات واحدة حرة. واثنتان قوميتان ولكنى لا أذكر أن البرلمان رفض ان يمنحنى أو يمنح سلفى المستر اسكويث السلطة التى كنا نحتاج اليها لزيادة الكفاءة فى الهيئة التنفيذية . فان الهيئة التى اختارها الشعب الديموقراطى سواء فى بريطانيا أم فرنسا كانت تستجيب لكل ما تطلبه الوزارة . فلا أنا ولا المستر اسكويث ولا المسيو كلمنصو « فى فرنسا » شكونا من تعطيل البرلمان لنا . وإذا كان قد حدث تعطيل أو عرقلة أو عجز فى الادارة الحربية فلا يعزى هذا إلى البرلمان وانما يعزى إلى خطأ القيادة السياسية أو الحربية أو البحرية

قال المحرر : يقول بعضهم أن ما يطلب من الادارة الحكومية الآن اكثر جداً مما يمكن أن يتحمله نظام برلمانى . فهل لديك مثال أو أمثلة على كذب هذه الدعوى؟

فقال لويد جورج : فى مدة الحرب قمنا بأعمال ومجهودات ليس لها نظير فى المطالب الحاضرة . ومع ذلك لم تجد أية صعوبة من النظام البرلمانى . فقد انشأنا وزارة راقبت الصناعات والمواد الخامة سميناها وزارة الذخائر وانشأنا وزارة أخرى استولت على جميع السفن والبواخر سميناها وزارة الملاحة . ووزارة ثالثة استولت على الطعام سميناها وزارة الطعام وقد أدت كل منهن عملها بلا خطأ أو عائق من البرلمان . لانها كلها سارت على أساس المساواة والحق والعدل . وقد كنت انا رئيس وزارة ومع ذلك كانت تمر بنا أيام فى البيت لا نجد فيه الطعام الكافى اذا وفد علينا ضيف . وكنا لا نجد كفايتنا من الزبدة أو اللحم أو البطاطس . وهذه المساواة هى التى جعلت الامة كلها ترتضى الضيق .

فقال المحرر : هل تعتقد أن البطء فى اتمام الاستعدادات الحربية يعود الى أن النظام الديموقراطى بطىء بطبيعته

فقال لويد جورج . تعد الديموقراطية بطيئة من بعض الوجوه . لانها تكره الالتجاء الى العنف لتحقيق أغراضها . ولكن لهذا أيضا ميزته عند الامم الديموقراطية التى تكره الحرب ولا تضعها لى القمة فى المجد وقد كانت المانيا وايطاليا لا تهددان العالم بالحرب حين كانت كل منهما ترتكز فى النظام على المؤسسات الديموقراطية

تقدم العلوم والفنون

تأخر الصحة العامة

يمكن مصر أن تفخر بشيئين لولا الاستقلال لما تحقق أحدهما نعنى التعليم والصحة . فان الادارة الوطنية امتازت على الادارة الانجليزية السابقة بالعناية بالتعليم والصحة والانفاق عليهما بسخاء لم يكن معهودا فى السنين الماضية . وهذا السخاء ما زلنا نثابر عليه لأن الامة والحكومة معا تشعران بان ثقافة الذهن وصحة الجسم هما أهم ما ينبغى أن ينفق عليه من ميزانية الدولة . وهما خط الدفاع الاول فى كل أزمة سواء أكانت داخلية أم خارجية

وحسبنا ان نذكر برهانا على هذه العناية ان ما كنا ننفقه سنة ١٩٣٣ أى منذ خمس سنوات على وزارة المعارف لم يكن يزيد على ٣٬٠٢٩٬٦٩٨ جنيه فأصبح فى سنة ١٩٣٧ يبلغ ٣٬٨٨٢٬٣٣٦٠ وكان ما ننفقه على وزارة الصحة فى تلك السنة ١٬٣٢٨٬٥٣١ فأصبح فى سنة ١٩٣٧ يبلغ ١٬٩٣٢٬٥٧١ والمشروعات القائمة سواء فى التعليم أم فى الصحة ستجعل هذه المبالغ تزداد عاما بعد آخر . بل ربما تكون الزيادة أكبر فى الصحة مما سوف تكون فى التعليم لان وجدان الامة نحو الصحة العامة يزداد تنبها وقوة بالظروف الجديدة التى تجعلنا نعبىء قوانا لايجاد جيش قوى تؤيده من خلفه طبقات الامة جميعها . والصحة هى الشرط الاول للكفاءة العسكرية

وقد أثبت الفحص الطبى للجيش ، وكذلك امتحان الالتحاق بالكلية الحربية ، ان الصحة العامة على اسوأ حال . وانه لا يكاد ينجو من الامراض سوى خمسة فى المائة من السكان . ولم نكن فى حاجة الى مثل هذه الشهادة من الجيش أو الكلية الحربية لان جميع الذين يعرفون الريف وخاصة فى الوجه البحرى يوقنون بسوء الحال العامة للصحة . وحال المدن لا تفضل الريف الا قليلا ، وهى مع ذلك غاية فى السوء كما أشار إلى ذلك التقرير الجديد عن صحة الاسكندريين . فقد جاء فى هذا التقرير أنه ولد فى الاسكندرية فى العام الاسبق ٥٩٦ مولودا ميت لم يكن بينهم سوى

خمسة من أبناء الاجانب . وأن من كل الف من السكان المصريين يموت ٢٢٩ طفل مصرى . ولا يموت من أطفال الاجانب سوى ٥٤ فى الالف . ثم ان الوفيات عامة بين المصريين فى الاسكندرية تبلغ ٢٩٫٥ فى المائة وهى بين الاجانب ٧٫٧ فى المائة

والاسكندرية هى صورة مصغرة للقطر كله . بل ربما كانت صورة حسنة مع هـذا السوء لان الحال فى سائر المدن والقرى المصرية أشنع منها . ولذلك نعتقـد أن واجبات وزارة الصحة كثيرة وخطيرة . وكل ما نرجو ان تتجه خطتها أو خططها نحو الوقاية قبل العلاج . ولسنا نتعامى عن الحقيقة المؤلمة وهى أن العلاج أخف من الوقاية وأقل نفقات وأسرع فى النتيجة . وان وزارة الصحة مضطرة لهذا السبب إلى بذل المجهود نحو العـلاج . ولـكن الجمهور المصرى يمكنه أن يصبر للنتائج الثابتة بالوقاية ولا يلح فى طلب النتيجه العاجـلة الزائلة إذا هو أرشد الى الحقـائق واوضحت القيم الصحية له . فان الحقنة التى تعطى لمعالجة البلهارسيا مثلا سريعة الاثر وأقل تكاليف من تجفيف خمسة آلاف فدان تحيط بالقرية وتعج بالديدان . ولـكن الاثر الباقى للتجفيف وليس للحقنة

وهذا هو الشأن فى جميع الأمراض الأخرى .

وعلى هذا نظن ان من واجب وزارة الصحة ان تبحث طعام الجمهور وعلاقته بالامراض وكذلك المساكن فى الاحياء الفقيرة والنظافة العامة . وقد سارت الوزارة فى ذلك شوطا ولـكنه ليس بعيداً . ولا تزال أمامها أشواط تستحق السعى . فقد يحق للوزارة هـذه الايام أن تتساءل هل من مصلحة الصحة العامة أن يكون ثمن القمح فى لنـدن نصف ثمنه فى القاهرة . وهذا على الرغم من أن الخبز هو طعام العاصمة الاساسى وهو ليس كذلك فى لندن . وعلى الرغم من الفاقة والضيق هنا واليسر والثراء هناك . وما يقال عن القمح يقال عن السكر أو الذرة أو غيرهما . بل يمكن ان تتساءل : ما قيمة المصلحة الـكبيرة تقام لمعالجة السل اذا كانت الاحياء الوطنية تعج بالمساكن الرطبة المظلمة ؟ وما قيمة الخيام تنصب خارج القرى لمعالجة أو حجز المصابين بالتيفوس اذا كان أهل القرية عاجزين عن شراء الصابون لازالة القمل العالق بملابسهم واجسامهم ؟

هذا وذاك هما من واجبات وزارة الصحة وهما يعدان من خطط الوقاية وليسا من خطط العلاج . وهذا ما نرجو من وزارة الصحة أن تلتفت اليه

أوربا

ليس فى العالم قارة انشقت على نفسها واحتدمت فيها العداوات مثل القـارة الأوربية . ومع ذلك تظهر فى هذه القاره دعايات عجيبة . منها دعاية يقوم بها الكونت كاليرجى وهو من نبلاء النمسا كان أبوه نمسويا وامه يابانية . وهذا الاب النمسوى نفسه كان فى الاصل هولنديا . فالكونت كاليرجى يجمع فى عروقه دماء هولندية ونمسوية ويابانية ودعايتـه هى انشاء « الولايات المتحدة الاوربية » على نسق الولايات المتحدة الامريكية . وقد يقال ان هـذا الوقت هو أسوأ الاوقات لاختيار هذه الدعاية ولكن لماذا لا تقول أنه أحسن الاوقات لهذا السبب نفسه اى أنه الأوربيين عند ما يرون الاحقاد تزداد وخطر الحروب يعمهم جميعا يضطرون الى التفكير فى انشاء « الولايات المتحدة الاوربية »

وقد كان المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية قبل ثمانى سنوات يؤمن بهذه الدعاية ويسعى لها . والكونت كاليرجى لا يزال يطرق الابواب ويعلو المنابر فى الدعوة الى الاتحاد . وليس النجاح بعيدا

مقابلة

المقابلة بين المال والدين وايهما خير للناس تعد عندنا ضربا من الزندقة ولكنها ليست كذلك عند الامريكيين

ففى الولايات المتحدة مجلة ضخمة يباع العدد الواحد منها بريال كامل تسمى فورتشن . وقد استفتت القراء عن هذا الموضوع وهو هل الولايات المتحدة فى حاجة الى لاصلاح الدينى أو الى الاصلاح الاقتصادى . فكانت الاجابة ان ٤٣ فى المائة يقولون بالاصلاح الاقتصادى . و٣٦ فى المائة يقولون بالاصلاح الدينى و٣ فى المائة يقولون بالاصلاحين . وأما الباقون فلم يقدموا اجابة واضحة ولم يجيبوا

اخبار اجتماعية

المسلمون فى يوغسلافيا

ننقل ما يلى عن جريدة البلاغ

أشرنا من قبل إلى وصول بعض المسلمين اليوغوسلافيين إلى مصر فى طريقهم إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج ونشرنا ايضا نبأ مقابلتهم لصاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر وكلمة فضيلته فيهم و ننشر اليوم أن مندوب البلاغ فى الازهر قصد إلى دار فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد طاهر شيخ رواق الاتراك حيث اجتمع فيه بعض الحجاج اليوغوسلافيين والطلبة الرومانيين والألبانيين وغيرهم من الجاليات الاسلامية ودارت الأحاديث حوال الشؤون الاسلامية المختلفة ووجوب توثيق الروابط الحبية بين المسلمين وتحدث مندوبنا الى الاستاذ الحاج آدم فضلى وهو من كبار ضباط الجيش العثمانى ثم عاد الى وطنه فى بوسنة فاشتغل بالتحرير فى جريدة « روح الاسلام » وله إلمام باللغات العربية والتركيه والالمانية و بعض اللغات البلقانية وهو على جانب عظيم من الذكاء والاطلاع له فكاهة مستملحة طلية ويبلغ السبعين من عمره فسأله مندوبنا

— هل زرتم مصر قبل اليوم

زرتها أربع مرات فى طريقى الى الحج ثم زرتها فى أعياد زفاف صاحب الجلالة مولانا الملك حرسه الله . ثم قال :

قبل أن أتابع الحديث معك اسمح لى أن أشكو باسم الحجاج المسلمين لا فى بوسنة وحدها وانما فى رومانيا و بلغاريا وغيرها من البلاد الاسلامية من شدة المعاملة التى يجدونها من القنصليات المصرية فى الخارج والعقبات التى تحول بينهم و بين زيارة مصر والتمكن من الحصول على تذاكر البواخر المصرية التى تسافر الى الحجاز

وذلك أن القناصل المصريين يحتمون على الحجاج أن يقدموا تذاكر السفر الى جدة مباشرة

وأن يدفعوا مبلغ ١٥ جنيها بصفة تأمين فيضطر الحاج إلى ان يأخذ تذكرة من شركة بواخر أجنبية ويحرم من الانتفاع بمزايا البواخر المصرية

وكذلك الحال فى العودة فانهم يلقون من قنصلية مصر من جدة مثل هذه المعاملة

وفضلا عما فى هذا من الضرر للحجاج ليس من مصلحة مصر من الناحية الاقتصادية فى شىء فأرجو أن تلفت نظر ولاة الامر فى مصر الى ذلك

المسلمون فى يوغوسلافيا

وسأله مندوبنا عن عدد المسلمين فى يوغوسلافيا فأجاب

— انهم زهاء مليونى نفس

— هل توجد مدارس اسلامية كثيرة ؟

— يوجد نحو اربعين مدرسة وبينها مدرسة للفتيات وهى مؤسسة على النظام العصرى والدين الاسلامى يدرس فى جميع المدارس وهو فى مقدمة العلوم التى تلقى فيها

— كيف حالة الزراعة والتجارة عندكم ؟

— حاله الزراعة عندنا حسنة وبلادنا تنتج القمح والذرة والشعير وجميع أنواع الفاكهة وغيرها ويكفى أن أقول لك أن لدينا ثمانين نوعا من التفاح وحده أما حالة التجاره فحسنة كذلك

— هل عندكم مساجد كثيرة؟

— يوجد فى سراجيفو وحدها زهاء ٩٩ مسجدا وتقام فيها العبادات وفى كل مسجد امام ولكل مسجد وقف ينفق عليه من ريعه

— وهل لكم اشتراك فى الحكم

— فى كل ناحية يشترك المسلمون فى جميع جهات الحكم ووزير المواصلات فى الحكومة اليوغوسلافية الان هو السيد الدكتور محمد اسباهو مسلم وهناك جعفر بك كولى وهو وزير بلا وزارة وبين المسلمين الاطباء والعلماء

ويشرف على الشؤون الدينية فضيلة فهيم افندى اسباهو وهو شقيق وزير المواصلات

وتؤلف ولاية بوسنة من ستة الوية وهى تتفرع الى مراكز وقرى وفى كل قرية مكتب للتعليم وتحفيظ القرآن باللغة العربية وقد ترجمنا جميع الاحكام الدينية الى لغتنا حتى يسهل تفهمها

والى هذا انتهى الحديث فشكر مندوبنا محدثه وتمنى للحجاج اليوغوسلافيين حجا مبرورا

القتل

قبل بضعة أشهر قتل زوج انجليزى زوجته ثم انتحر . وترك فى وصيته كلمة شرح فيها الاسباب التى دعته الى هذا القتل المزدوج وأهمها ان الزوجة كانت قد فقدت عقلها . ثم استشهد بعبارة قالها قسيس معروف هو الكانون بيتر جرين يؤيد فيها الرأى القائل بجواز قتل المريض المتألم الذى قطع الرجاء من شفائه . وهذا القتل يسمى « يوثانيزيا » أى الموت المريح . وقد دعا اليه فريق من الاطباء فى انجلترا وامريكا . وحجتهم ان هناك أمراضا تستعصى على العلاج وهى مع ذلك مؤلمة تشقى حياة المريض . وعندهم أنه فى هذه الحال يجب أن يستشار أهل المريض ثم يقتل . ولكن الرأى العام لا يطيق هذه البدعة فى القتل ولعله على صواب

يهودى

فى الوقت الذى يعانى فيه اليهود ألوانا من الاضطهاد فى النمسا والمانيا وبولندا ورومانيا فانهم يجدون جميع الفرص للتفوق الاقتصادى والاجتماعى مفتوحة أمامهم فى أوربا الغربية وأمريكا

فقد اختير الاستاذ فليكس فرانكفورتر قاضيا فى المحكمة العليا فى واشنطون . وهذه المحكمة هى الهيئة العليا التى تفصل فى أى خلاف يقع بين ولاية وولاية أو بين البرلمان الامريكى والرئيس او بين الحكومة المركزية واحدى الولايات . وهى التى تفسر الدستور وتنفذ كلمتها على الجميع من الرئيس فنازلا . وهذا القاضى يهودى ولد فى النمسا من ابوين نمسويين ولكن الحظ ساعده بهجرة ابويه الى الولايات المتحدة حيث احترف بيع الصحف فى الشوارع ثم تعلم والتحق باحدى الجامعات ونبغ حتى عين استاذاً فى جامعة هارفارد . وهو الآن فى الخامسة والخمسين وقد يبقى عشرين سنة وهو فى مركز القضاء فى هذه المحكمة

إخبار اقتصادية

تجارتنا مع السودان

أصدر صاحب السعادة الحاكم العام للسودان تقرير عن التجارة والادارة والاحوال العامة للقطر الشقيق عن السنة الماضية . وسوف نتناول هذا التقرير ببحث الارقام الواردة فيه عن مختلف الشؤون ونقتصر الآن على بحث التجارة المصرية فى السودان . ذولك لان الاهتمام فى مصر يزداد بعلاقتنا التجارية بيننا وبين السودان ونحن لا نرغب فقط فى زيادة صادارتنا اليه بل نرغب فى زيادة وارداته الينا . وقد عنيت حكومتنا بايجاد ممثل لمصر فى الخرطوم لزيادة الروابط الاقتصادية كما ان الغرف التجارية عندنا تعاونت وانشأت فى الخرطوم أيضا معرضا للمصنوعات المصرية . فازاء هذا الجهد يجب ان نتوقع الثمرات التى تعود علينا وعلى السودانيين بالخير

ومقدار الواردات الى السودان كما جاء فى التقرير الذى اشرنا اليه فى عام ١٩٣٧ كما يأتى :

بريطانيا	١٥٢١٣٧٥	ج
مصر	١٢١٤٣٨٠	«
اليابان	١١٨٤٥٥٨	«
الهند	٤٢٦٦٣٩	«
الولايات المتحدة	١٧٦٠٠٦	«
الهند الهولندية	٢٧٤٦٣٢	«
الحبشة	١٤٥٠٤٢	«
بلجيكا	١١٤٣٩١	«
المانيا	١٦٨٣٠٢	«

اتحاد افريقيا الجنوبية	٨٣٨٨٦	«
استراليـا	١٤٥٠٧٢	«
فرنسا	٨٤٨٥٤	«
كنيـا	٧٠٦٧٥	«
أقطار أخرى	٦٧٣١٩٤	«
المجموع	٦٢٨٣٠٧٦	«

وكثير مما يرد الى السودان من هذه الاقطار لا تنتجه مصر . ولـكن كثيرا أيضا منه تنتجه مصانعنا وأرضنا فنحن مثـلا لا نستطيع أن نبارى الأقطار التى تورد للسودان البن والشاى ومعظم المصنوعات المعدنية والاتومبيلات والاخشاب والفحم . ولـكنا يمـكننا أن نكفى السودان حاجته من الاقمشة والدقيق والاسمنت وآنية المطبخ والاحذية والحلويات والصابون . وكل ما نحتاج اليه أن نتفق مع الحكومة السودانية على أن نستورد حاصلات السودان لقاء استيراده لمنتجاتنا مع صيانة التجارة الانجليزية . وليس للانجليز أية مصلحة فى أن يسبقنا قطر آخر فى مقدار صادراته إلى السودان. وللتجارة الانجليزية قـــدم راسخة فى السودان وليس لها أن تخشى مزاحمتنا . وليس فى مصر من يرغب فى ذلك . ولـكن يلى التجارة الانجليزية فى التفوق تجارة اليابان التى كانت متفوقة علينا سنة ١٩٣٦ والتى لم تنزل سنة ١٩٣٧ إلا نزولا قليلا . إذ كانت الحصة المئوية للصادرات المصرية ٣ر١٩ وكانت حصة اليابان ٩ر١٨

وأعظم ما تتغلب به اليابان هو منسوجاتها التى يمكن مصر وبريطانيا أن تقدم للسودانيين نظائرها ولـكن مع زيادة قليلة فى الثمن . وليست هذه الزيادة مما يعد خسارة على المستهلك فى السودان . لان البضائع الانجليزية والمصرية تمتاز بجودتها فى الصنع ومتانتها فى المادة . وقد جربنا نحن هـــذا فى مصر قبل أن نفرض المـكوس العالية على المنسوجات اليابانية فان الاقمشة التى كانت تصبغها مصانع المحلة كانت أغلى ثمنا ولـكنها امتن مادة وأطول عمرا وأكثر تحمـلا وفى المعرض الزراعى الاسبق استطاع بنك مصر أن يثبت هذا بآلة صغيرة تبين متانة الاقمشة

واليابانيون يبيعون الان ثوب الدمور الذى يبلغ طوله ٣٠ ياردة وعرضه ١٦ بوصة ووزنه عشرة

أرطال بمبلغ ٢٨ قرشا تسليم بور سودان . ولا يمكن مصر او بريطانيا أن تبارى اليابانيين فى هذا المضمار . لان المصانع اليابانية تشترى القطن الخام من أدون الانواع وتصنعه أقمشة سخيفة وتبيعه بالاثمان المنخفضة . وجمهور السودانيين لا يعرف متانة قطننا الذى يعد مع ارتفاع ثمنه رخيصا اذا اعتبرنا متانته

هذا هو ما يطلب من بنك مصر ومن الغرف التجارية المصرية ومن الممثل للتجارة المصرية فى الخرطوم أن يهتموا له . بل يحسن بنك مصر كل الاحسان اذا هو أرسل هذه الآلة التى أشرنا اليها لكى تمتحن بها الاقمشة المختلفة فى الخرطوم حتى يعرف الجمهور السودانى حقيقة ما يشترى وحتى الا تخدعه الاثمان المنخفضة

الحجاج

وقف الحجاج يوم الوقفة على جبل عرفات متيممنين مبتهلين . ومنهم من سوف يزور المدينة المنورة . وهم فى تنقلهم من جدة الى مكة الى المدينة بل فى انتقالهم من السويس الى جدة يذكرون بنك مصر ومؤسساته . فان هذا البنك يقوم لديهم مقام شركة كوك الانجليزية للسائحين فى أنحاء العالم . فانه يتكفل لهم لقاء ما يؤدونه لجهات الاختصاص فى المديريات أو المحافظات بجميع ما يخدم راحتهم وامنهم . فالحاج لا يحتاج الى أن يساوم واحدا ولن يحتاج الى مماسكة السواقين للجمال أو للاتومبيلات بل هو لن يحار فى البحث عن فندق فى مكة يأكل فيه ويقيم فيه ما شاء . لان بنك مصر قد كفل له كل ذلك . فما هو أن ينزل الحاج الى جده حتى يجد وكلاء بنك مصر يستقبلونه ويرشدونه الى حيث يشاء دون أن يكابد أى عناء

وليس شك فى أن المصريين سيزدادون معرفة بأرض الحجاز المقدسة بهمة طلعت حرب باشا . ونرجو أن تثمر هذه المعرفة زيادة فى الرابطة بيننا وبين الحجازيين واستثمار الممكنات الاقتصادية فى هذه البلاد كما نرجو أن تستمر وسائل المواصلات الراقية التى أوجدها بنك مصر عاملة نشيطة بين القطرين فى غير أوقات الحج أى طول العام كله

حديث الادب والادباء

ابو العلاء المعرى

عن المقتطف

حديثك عن بحر اذا هاج أرعبا	فحقك عقد الخوض ان تتهيبا
ولكنه البحر الذى لاتهزه	عواصف تذرى الراسيات لتلعبا
وخلجـانه در تنضده الضحى	وشطآنه تبر تبعثره الصبـا
ويقصده الصادى فيلقيه كالندى	وأطهر من دمع الصباح وأعذبا
سلام على شيخ المعرة أنه	أفاض على الاجيال سحراً مركباً
سلافة شعر فى أباريق حكمة	يطوف بها عان اذا افترا قطبا
رمته يد الاقدار باليتم والعمى	فكان له العقل الهادى والهدى الأبا
وغادره الجدرى صبيا مشوها	حكى جلده اللدن الطريق المحصبا
فما فيه ما يرضى العيون وانما	به كل ما يرضى الشعور المهذبا
ترى وجهه كالقفر حر ان مجدبا	وما خلفه كالروض ريان مخصبا
فيالك قفرا لا نرى غير شوكه	ويالك شوكا يبعث العرف طيبا
ويالك دنيا بين حين وآخر	تمتع محروماً بما عز مطلبا
تعمدت الاقدار إرهاق احمد	فأسمعها آياً من الهزء معربا
وحاكت له ثوبا قشيباً من الاذى	فحاك لها ثوباً من السخط أقشيا
وادبت الدنيا بنيهـا فهالها	فتى هاله ان لا يكون المؤدبا
وماعرفت نفساً اعز ولا نهى	أصح ولا عوداً أشد وأصلبا

رأت فى صباها شيبة فتعجبت ... وشب لدن شابت فزادت تعجبا
خلود لو أن الشمس تحظى بمثله ... لما جاء فى التنجيم عن موتها نبا
فقد يطفىء الموت الكواكب تاركا ... على رغمه فوق السماكين كوكبا
ويمحو جميع القول الا حقيقة ... تجوب فجاج الارض شرقاً ومغربا
ليعرب هذا المجد ياولد يعرب ... فأى كريم لا يمجد يعربا
وللشام هذا الارث ياآل جلق ... ألا فليته لبنان ولتشمخ الربى !
ولو شاءت الدنيا الى الحق عودة ... لسارت الى ارض المعرة موكبا
وحج ضريح الشيخ طلاب علمه ... كما حج طلاب التبرك يثربا
الا ايها الاعمى البصير الذى رأى ... بفطنته قلب الورى المتقلبا
وأبصر بالعقل الخفيات كاشفا ... وراء التقى والبر مكراً ومأربا
ولم ير فى الاديان إلا حبائلا ... يصيد بها الداعى اليها التكسبا
حنانيك إن الالف مرت ولم نزل ... نداري من الانسان صلا وعقربا
توخيت إصلاح ابن آدم غيرة ... وقد كان إصلاح السراحين أقربا
وحاولت إطفاء الشرور ولم يكن ... على الشيخ إطفاء البراكين أصعبا
ومن رام تقويم الطباع التى التوت ... قضى يائسا منها كما عاش متعبا
فان الذى فارقته متعصبا ... لقد زاده مر الليالى تعصبا
وما خفقت فى اللاذقية ضجة ... وما زال ذياك الضجيج محجبا
فما الناس الا اثنان صار مدجج ... ومستضعف لم يعط نابا ومخلبا
وإنا لنخشى أن نصاحب ضيغما ... وإنا لنأبى ان نصاحب ثعلبا
وما عز من يسطو على حق جاره ... ولو مد بين الارض والشمس كوكبا
وما ذل حق ، فى عراك لباطل ... وكم رب حق فى الكف قدأذل وخيبا
وليس يفيد الحق فى الحرب ربه ... إذا فل فى الكف المهند أو نبا
وفيم اقتتال الناس والموت قصدهم ... سيبلغه من هف منهم ومن حبا

فلو أنفقوا بعض الذى ينفقونه … على الشر من جهد على الخير ما كبا
قد اختلفوا روحاً وعقـلا وفطرة … كما اختلفوا دارا ودينا ومذهبا
لهم مجالس للسلم تمتـد فوقه … سحائب نقع تجعـل النور غيهبـا
اذا اجتمعوا فيه لترتيب خطة … توقعت الاعزال شرا مرتبا
وإن أنصفوا شعبا ضعيفا بقولهم … رأى نصفهم بالفعـل ظلمـا مشعبا
ولو وصلت أبحاثهم فى اجتماعهم … الي الشيخ - وهو الجهم - فى الضحك أغربا
فيا من رأى فى الدين قيداً لعقـله … فأعمـل فيـه مبرد النقـد مغضبا
فلم ير فى الدمـاغ من حلقاته … وفى قفـله الا حــديدا مذهبـا
فأعلن للغاوين لا متهيباً … ولا طامعا ما كان عنهم معيبا
« أفيقوا أفيقوا يا غواة فانما … ديانتكم مكـر » وأحلامكم هبا
فما عمـلوا الا بوحى قلوبهم … فأعرض عنهم مشفقا متعتبا
وآثر ان يحيا بقيـة عمره … سجينـا اذا جاءوا يؤاسونه أبى
على انهم لا مهرب من مجيئهم … كما جاء ظمآن غديرا ليشربا
عطاشا الى ما يسكر النفس حوله … جياعا الى ما يشبع العقـل سغبـا
صبا بهم شعر وعــلم وانه … خزانة أشعار وعـلم لمن صبا
يقول لهم عودوا الى العقـل كلما … دعيتم الى تصديق ما العقل كذبا
من اشتار ما كدت له النحلة اعتدى … ومن قتـل الشاة البـريئة أذنبـا
ومن سرح البرغوث من أسر كفه … أعـد له فى دولة الفضـل منصبـا
تعـاليم احسان وعطف ورأفـة … وليدة فكـر نوره قـط ما خبا
ولـكنهـا ما دام للشر عزة … فتـابعا يقضى شقيـا معـذبا
وما دام ناب الليث يوليـه حرمة … فأهـلا وسهلا بالنيوب ومرحبا !
سلام امام العاقلين على حجى … من الشمس يحـكى قرصها المتلهبا
ألوف وراء الالف تمضى وذكره … يظل لامثال الخليقة مضربا

برازيل … الياس فرحات

سياسة الغد

تأليف ميريت بك بطرس غالى

يعالج الخطط السياسية العامة فى مصر ويدرس المسائل القائمة الاقتصادية
من زراعية إلى صناعية وكذلك الصحة والدفاع

مطبعة المجلة الجديدة

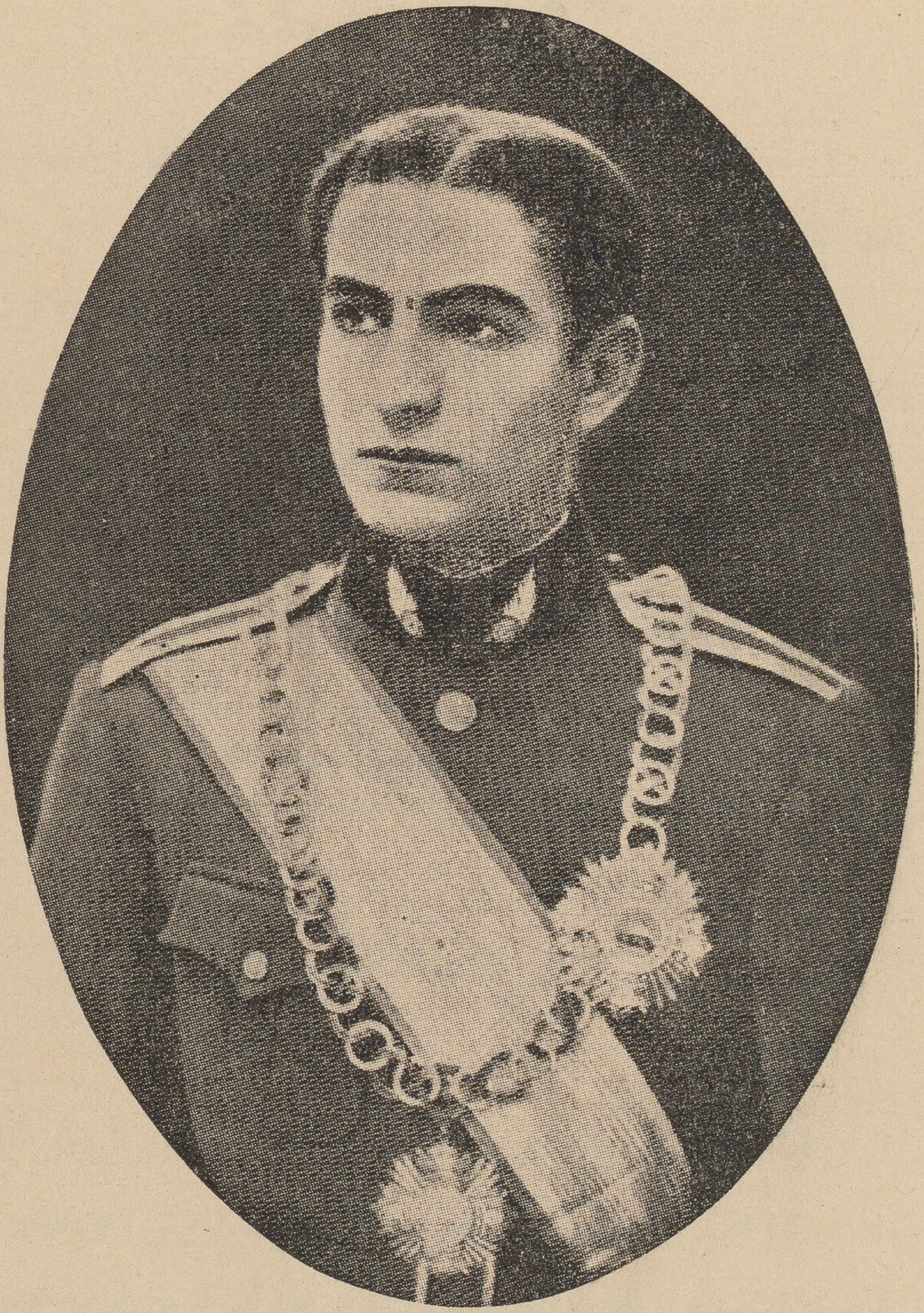
٤/٨

المجلة الجديدة

فهرست

الثمن ٣ قروش

ابريل سنة ١٩٣٩



صاحب السمو الشاهبور محمد رضا بهلوى الذى تم عقد قرانه
بصاحبة السمو الاميرة فوزية فى الشهر الماضى

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الرابع

المجلة الجديدة

العدد الرابع
من
السنة الثامنة

٢٤ حارة جاد ـ شارع الفجالة — مصر

ابريل ١٩٣٩

افتتاحيـــــات

المانيا الجديدة

لما رسم الحلفاء تخطيط دولة تشيكوسلوفاكيا قبل عشرين سنة فى باريس كان الدكتور مازاريك رئيس هـذه الدولة الجديدة يحض على الاعتدال ويكف أنصاره من الحلفاء — وخاصة فرنسا — عن الغلو . فكان مما اقترحه الا يكون الالمان فى اقليم السوديت خاضعين لهذه الدولة الناشئة . وكان يرى اما أن ينضموا الى ألمانيا واما أن يستقلوا لانه كان يشعر بان مثل هؤلاء الالمان سيكونون شوكة فى جسم الدولة وانهم لذلك ليسوا كسبا بل خسارة يجب التخلص منها . ولـكن الحقد الذى كانت الحرب الـكبرى قد غرسته فى قلوب اعداء المانيا أعماهم وقت النصر عن التبصر ليس للعواقب البعيدة بل للعواقب القريبة . لان عشرين سنة لاتعد زمنا طويلا فى نظر الساسة المدربين

وقد كان يوم ١٥ مارس المـاضى ميعاد الاحتفال بمرور عام على دخول المان النمسا وانضمامها الى الدولة الالمانية . ولـكن بدلا من أن يدخل هتلر فينا عاصمة النمسا دخل براج عاصمة تشيكوسلوفاكيا . ولا يدرى أحد أية عاصمة أوربية سيدخلها فى مثل هذا اليوم من العام القادم . أو حتى قبل هذا اليوم

ولنعد بالذاكرة الى حوادث العام الماضى فقـط فقبل عام كانت المانيا ٧٠ مليونا . فضمت اليها النمسا . فاصبحت ٧٦٫٥ مليونا . وفى أواخر سبتمبر الماضى ضمت اقليم السوديت وبه ثلاثة ملايين

ونصف مليون من الالمان فصارت ثمانين مليونا . والآن تضم نحو ١٥ مليونا من مجموعة الامم التى كانت تسمى جمهورية تشيكوسلوفاكيا وبذلك يصبح سكانها ٩٥ مليونا . وصحيح ان كلمة « الضم » لا تطابق المصطلحات القانونية لان ما حدث هو اعلان الحمايه فقط على كل من سلوفاكيا وتشيكيا ولكن الواقع ان المانيا الان سيدة فى جميع هذه الاقاليم تستخدم سكانها وتستغل مواردها بمثل ما تفعل فى المانيا نفسها

وسكان بريطانيا هم الآن أقل من ٤٨ مليونا . وسكان فرنسا نحو أربعين مليونا فقط . ولذلك لا يصل مجموع سكانهما الى ما يساوى عدد السكان فى ألمانيا الكبرى الجديدة . وهذا بصرف النظر عن ايطاليا . فاذا نشبت حرب بين المانيا وبين بريطانيا وفرنسا مجموعتين لرجحت كفة الالمان فى أوربا . ولكننا بالطبع نهمل هنا عوامل أخرى منها دخول روسيا والولايات المتحدة الامريكية

وقبل نحو عشرين يوما ساد العالم جو من الاطمئنان كان سببه أن بريطانيا أثبتت أنها تقوم بجهود لا مثيل له فى تهيئة الذخائر والاسلحة . وان أسبانيا قد أوشكت الحرب الاهلية ان تنتهى فيها بانتصار فرانكو . ولكن فى وسط هذا الاطمئنان رأينا الرئيس روزفلت يلغى برنامج رحلته ويعود فى عجلة غير مفهومة الى واشنطون . ثم تفسر عودته بان الحال فى أوربا قد تحرجت وان السفراء الامريكيين ابلغوا الرئيس بان هناك تعبئة حربية فى وسط أوربا تنذر بالشر . وكل هذا يحدث وفرنسا وبريطانيا ساكتتان

ولم لا نقول الان ان الاستعدادات البريطانية الهائلة هى التى دفعت الزعيم هتلر الى تعجل برنامجه بالتنفيذ ؟ فان المنطق يحدونا الى الظن بان المانيا اذا كانت تنوى الحرب فانها يجب الا تنتظر الاستعداد التام عند خصومها . فهل نحن فى بداية هذه الحرب الان ؟

ليس هذا بعيدا . بل ربما يكون من مصلحة العالم المتمدن كله ان تبدأ التصفية من الان . اذ ما دامت الحرب واقعه لا محالة . فمن أخف الضررين أن تقع منذ الان قبل اتمام المعدات المهلكة حتى تقل الخسارة بانواعها المختلفة . ولعل الصلح القادم يرتكز على مبادىء جديدة تقوم على المحبة الانسانية والتعاون وايجاد الضمانات لمنع المظالم فى المستقبل . بل ليس بعيدا ان يؤدى الصلح القادم الى ايجاد « ولايات أوربية متحدة » أو الى تجديد عصبة الامم بحيث تصبح حكومة عالمية قوية

ولكن هذا هو جانب الامل من الحال القائمة . وهناك جانب اليأس فى الخراب الذى سيعيش طويلا وسوف يخلق الوانا من الطغيان وقد يفتح عصرا جديدا من القرون المظلمة

ومن التعامى أن يقول الانسان ان المانيا ستسكت بعد ما أتمت احتلال تشيكوسلوفاكيا والغتها من سجل الوجود . فان فى رومانيا من البترول مالا يمكنها الاستغناء عنه . وفى أوكرانيا من القمح ما يجب أن يكون فى الاخلاق الجديدة ، ملكا للدول القوية

الاعفاء من الضريبة والحجز

يكثر الكلام هذه الايام عن الضرائب وأعبائها الجديدة . ونحن بالطبع مبتدئون فى هذا الميدان ونحتاج الى الاسترشاد بما جرت عليه الامم الاخرى التى سنت مثل هذه الضرائب . ونقتصر هنا على ذكر الاموال ، أو المؤسسات التى تعفى من الضرائب أو يمنع عنها ايقاع الحجز لغاية اجتماعية واقتصادية . ولسنا نعنى بذلك أن تأخذ بها حكومتنا فورا وانما نذكرها للاستنارة الان وللاسترشاد فى المستقبل

١ — فقد ذكرت الصحف ان الضرائب الجديدة ستفرض على ودائع « صناديق التوفير » فى مصلحة البريد — أى على الارباح التى تضاف اليها . والمعروف ان صندوق التوفير انما انشىء لغاية اجتماعية ، هى — تشجع الفقراء على الادخار ولذلك تنشىء مصلحة البريد دفاتر يمكن التلميذ الصغير فى المدرسة ان يضيف اليها من مصروفه اليومى قرشا أو قرشين لكى يتجمد له آخر العام مبلغ يتعود منه الادخار أو الاقتصاد ، فى المستقبل . وجميع الامم تقريبا تعفى المودعين فى هذه الصناديق من الضرائب وخاصة لان الربح عليها يتراوح بين اثنين ونصف الى ثلاثة فى المائة .

فالربح ضئيل لا يستحق ان تفرض عليه ضريبة ما

٢ — ومما يعفى أيضا من الضرائب عند جميع الامم أو معظمها ما يؤديه الممول من أقساط التأمين فاذا كان دخله يبلغ الف جنيه وهو يؤدى من أقساط التأمين أو التأمينات المختلفة مائتى جنيه فان دخله الذى تفرض عليه الضرائب هو ٨٠٠ جنيه فقط . وذلك لان للتأمين قيمة اجتماعية كبيرة اذ هو يحض الناس على التبصر للمستقبل والاستعداد للطوارىء من مرض أو موت أو اصابة تقع

بالشخص أو بما يملك . وبعض الحكومات تقوم بالتأمين من التعطل والمرض والشيخوخة ولذلك ينسجم الاعفاء من الضرائب هنا مع خطة الحكومة

ومما يجدر ذكره هنا أيضا أن بعض الحكومات تعفى من الضرائب ما ينفق على البناء . وذلك لكى يجد المولون ما يجرئهم على إنفاق أموالهم فى بناء المساكن التى تستخدم عمالا مختلفين وتزود البلاد بمنازل جديدة

٣ — وكذلك تعفى جمعيات وشركات التعاون سواء أكانت للاستهلاك أم للانتاج . والغاية هنا واضحة وهى تشجيع الجمهور على التعاون والتحلى بفضائلة المختلفة ومنع التاجر الوسيط من الوقوف بين المنتج والمستهلك موقف المستربح الذى يفحش أحيانا فى ربحه . والأمة التى تكثر فيها جمعيات التعاون لا تخشى انحطاطا فى زراعة أو صناعة كما لا تخشى غلاء . واعتقادنا انه لا يمكن أن تنهض زراعتنا بلا تعاون ولذلك تستحق شركات التعاون الاعفاء من جميع الضرائب

٤ — وعلى ذكر الزراعة يجب ألا يفوتنا أن حكومات كثيرة تساعد الفلاحة بمنع اجازة ايقاع الحجز القضائى على الماشية أو الآلات الزراعية التى يملكها الفلاح الاجير أو المزارع المالك . وهذا المبدأ يعمل به فى معظم الصناعات . فلا يجوز مثلا ايقاع الحجز على أدوات النجار أو الحداد وبيعها بالمزاد سدادا لدين . وكذلك ينبغى اعفاء الات الزراعة وماشيتها لان فى هذا الاعفاء مصلحة اجتماعية كبيرة هى تمكين الفلاح من زراعة أرضه واستغلالها وصيانته من التعطل

٥ — بل هناك حكومات أخرى — مثل المانيا وسويسرا — تمنع ايقاع الحجز على المنزل مادام صاحبه يسكنه . والغاية من هذا الاعفاء صيانة الاسرة من التشرد إذ قد تبلغ الفاقة بالاسرة ألا يجد عائلها عملا يتكسب منه . فلا أقل من أن يترك له منزله مأمونا يؤويه هو وزوجته وأولاده . وهذا الاعفاء من الحجز وضمان منزل الاسرة من البيع بالمزاد الجبرى يشجع الفقراء على الادخار وبناء المنازل . والمنزل هو الضمان للاجتماع المستقر وللبعد عن الجريمة

٦ — ومما يعفى أيضا من الضرائب اعفاء جزئيا الرجل المعيل . وعلى قدر عيلته يكون الاعفاء . وقد أخذت حكومتنا بهذا المبدأ الى حد ما اذ ميزت بين الاعزب والمتزوج والوالد . ولكن عدد الاولاد عندها سواء . وهذا الاعفاء الذى يتبعه كثير من الحكومات الحديثة يقصد به الى غايتين

الاولى — كما فى الدول الفاشية — تشجيع المتزوجين على التناسل . ولسنا نحن فى مصر فى حاجة الى ذلك وخاصة ازاء الفاقة العامة . والغـاية الثانية هى التخفيف عن عبء الابوين والرحمة بالمعيلين . فضريبة الدخل ينظر فيها الى عدد الاولاد ويخفض منها بمقدار الزيادة فيهم . بل ان السكك الحديدية فى فرنسا مثلا تنقل الاسرة الكبيرة باجور مخفضة لهذا السبب أيضا

وقد قلنا فى بداية هذه الكلمة اننا نكتبها للاستنارة فقط ولسنا نقصد الى أن تعمل بها الحكومة منذ الآن

ما تحتاجه الزراعة المصرية

لايحتاج الانسان الى أن يجول فى الريف لكى يرى مقدار الفاقة العامة بين العمال والأزمة السائدة بين المالكين والمستأجرين . لان متابعة الأخبار فى الجرائد تكفى ذلك .فاننا منذ سنة ١٩٣٠ ونحن فى أزمة تتزايد ولا تتراجع والفاقة تعم وتتفاقم . والمجهودات المتوالية التى قامت بها الوزارات المتعاقبة منذ تلك السنة الى الآن للتخفيف من ديون المزارعين والصيحات المتكررة عن انحطاط أثمان القطن ، والمكوس العالية التى نفرضها على القمح والاجور المنخفضة التى لاتكاد تكفى طعام الفلاح على سذاجته — كل هذا يدل على أن الأزمة التى نعانيها أعمق جذوراً مما نتصور . وأعظم ما تعلقنا به فى الوقت الحاضر هو :

١ — ان أثمان القطن قد انخفضت كثيراً . ولكنها تنخفض اكثر لو أرادت الولايات المتحدة الامريكية أن تخرج قطعها المخزون للعالم

٢ — لقد مضت علينا سنوات ونحن نزرع القمح بخسارة تخفيها المكوس الجمركية العالية المانعة لان ثمن القمح خارج مصر هو نصف ثمنه فى مصر

٣ — وحالنا أسوأ من ذلك فى زراعة قصب السكر وصناعته

فنحن فى حاجة الى تفكير جرىء ومبتكر معا لكى نخرج من هذه الأزمة التى تتفاقم عاما بعد آخر . اذ ليس هناك ما يبرر الأمل بأن أثمان القطن سترتفع ومخزون أمريكا كما هو الآن لا ينقص وليس فى النية احراقه أو منع المزارعين من زراعة القطن. وكلما مر عام تقهقر القطن امام الأقمشة المصنوعة

من الخشب لأن هذه فى ازدياد . أما من ناحية القمح فان العالم الزراعى يبدو عليه أنه راض ببيع الأردب بمبلغ ٧٠ أو ٨٠ قرشا فى حين أننا نخسر بهذه الاثمان ولولا أننا نأكل قمحنا لما جرؤ فلاح على زراعة قيراط من أرضه بهذا النبات . وليس هناك أى أمل من المزاحمة فى صناعة السكر أو زراعة قصبه

وقد قلت أننا فى حاجة الى تفكير جرىء ومبتكر . وأعنى بذلك أن نفكر وندبر ونرسم الخطط ونقدر الخسارة والكسب ثم لانبالى أن نخرج على جمهور المزارعين بنظرية جديدة . لأن زراعتنا الحاضرة اذا تركت للمزاحمة العامة فى العالم فقد تعد غير منتجة أو قليلة الانتاج جدا . وهى تقوم على العقار الصغير فى حين أن زراعات القطن والقمح والقصب قد أصبحت وقفاً على العقارات الكبيرة فى أمريكا وجاميكا واستراليا وزيلاندا الجديدة وغيرها

واذن ليس امامنا إلا أن نتخذ الطرق المتبعة فى الاقطار التى يعيش مزارعوها على العقار الصغير مثل هولندا ودنمركا حتى نصل بالتعمق الى ما يصل اليه غيرنا بالتوسع . فيقوم الفدان بالعمل الجاد المثابر مقام العشرة الافدنة بالعمل المتقطع . وقد ثبت أن العناية باستنتاج الزبدة والجبن والبيض والفراخ والاثمار والخضراوات تعود على الفلاح فى هولاندا باكثر مما يعود به علينا القمح والقطن . ولست أعنى أن هذه الزراعة الدقيقة سهلة يمكن فلاحنا اصطناعها اذ هى فى الواقع أشق مما نمارس من الزراعات سواء من ناحية تعلمها أم من ناحية الأخلاق الصارمة التى نحتاج اليها . ولكن هنا يجب أن تسعفنا الجمعيات التعاونية . فان الفلاح لايمكنه أن يعرف الدقائق فى الصناعات الزراعية المختلفة التى سنطالب بها . ولكن الجمعية التعاونية يمكنها أن تستخدم مهندساً يقوم بكل ما نحتاج اليه فى التطور الجديد

ومنذ أشهر احتفل الانجليز بمرور مائتى سنة على وفاة لورد انجليزى يدعى اللورد تونسند . وقد كان هذا اللورد سياسياً عظيما خدم وطنه سفيرا فى عواصم أوربا ووزيرا للدولة . ولكن الاحتفال لم يكن لمآثره السياسية بل كان لسبب قد يعد تافهاً فى نظر القراء أو بعضهم . ولكنه ليس تافهاً فى نظر الانجليز وهو أنه أدخل زراعة اللفت فى انجلترا

وذلك أن الزراعة الانجليزية حوالى سنة ١٧٠٠ كانت فى تدهور عظيم وكانت الفاقة تعم الامة

كلها إذ لم يكن العصر الصناعى قد ابتـدأ . وكان الفلاحون لا يعرفون من العلف مدة الشتـاء سوى دريس القمح . وكانوا لهذا السبب يذبحون ماشيتهم بكثرة فى أول الشتاء ويملحون لحمها أو كانوا يتركونها على قحط حتى اذا كان أول الربيع حملوها من الضعف الى المرعى الجديد لأنها كانت فى نهاية الشتاء تضعف عن الحركة لقلة الغذاء . وكان اللفت الذى يزرع سيئا ويبذر لكى تأكل الماشية ورقه فقط . ولـكن تونسند بتجواله فى أوربا عرف سـلالة جديدة من اللفت فجاء ببذورها وزرعها نقرا بالخطوط كما نزرع نحن القطن . فأمرع اللفت واينع . وتعود الفلاحون اختزان الجذور مدة الشتاء علفا للماشية وانتعشت الزراعة الانجليزية بعد الموات ووجد الفلاحون من الخير ما جعلهم يثبتون فى الارض الى أن جاء عصر الصناعة بأرباحها العظيمة التى لا يمكن أية زراعة أن تجاريها فيها

هذا هو الرجل الذى احتفل به الانجليز وهذا هو السبب الذى احتفلوا به من أجله فقد نسوا أنه كان وزيرا وذكروا أنه جاء بسلالة حسنة من اللفت الذى يغذى الماشية مدة الشتـاء . فهل من مفكر مبتكر فى مصر ينعش زراعتنا ؟

الأدوية الجاهزة

تثار من وقت الى آخر مسألة الادوية الجاهزة . ومثيروها هم الصيادلة المصريون الذين يرون هذه التجارة تطغى عليهم وتفقرهم مع الاضرار بمصالح المرضى والجمهور بل لما فيها من الضرر بالاطباء انفسهم ايضا . واعتقادنا ان الصيادلة على حق فى كل مايشكون منه من هذه الناحية

ونحتاج قبل ذلك الى ان نقول ان المزاحمـة الحرة التى تجرى بها جميع الاعمال فى اقطار العالم تلجىء المتزاحمين الى اتخاذ جميع السبل للوصول الى النجاح بصرف النظر عن القيمة الاخلاقية لهـذه السبل ، لان الغاية فى نظامنا الاقتصادى ان نحصل على المال وان نتكاثر به . وعلى هذا الاساس ينبنى كل شىء آخر . ولذلك تصنع الآن أدوية جاهزة وكل مافيها من ميزة انه اعلن عنها الاعلان الوافى الذى يجذب العين ويشغل القلب حتى يتم شراؤها . ولا عبرة بعد ذلك بألا يجد فيهـا مستهلكها ما اراده اذ يكفى صاحب هذه المجهزات ربحا بل ربحا عظيما ان يبيع مرة واحدة لمشتر واحد. فالدواء

قد لا يكلف صانعه فى ذاته غير مليم او بضعة مليمات . وقد لا يكلف ضعف هـذا المبلغ فى تعبئته فى القنانى او العلب . ثم بحو عشرة امثال ذلك فى الاعلان . وبعد ذلك يباع بالغلاء الى المستهلك الذى تغريه ألفاظ الاعلان وهى ألفـاظ كثيرا ما تنبو عن الذوق ولـكن الحرص على جمع المال يدفع الى استعمالها . كما رأينا قبل أيام او اسابيع فى اعلان يوهم القارىء ان الدواء الجاهز المعروض للبيع قـد صنعت خلاصته من « الثور الهائج » والتلميح المقصود هنا يكاد يكون تصريحاً ..

والمريض فى حالة نفسية تدفعه على الدوام إلى التعلق بالآمال . ولو كانت كاذبة . ومن هنا الاقبال العظيم على شراء الادوية الجاهزة . لأن المريض وهو يتنقل من طبيب الى آخر ويجد فى علتـه استعصاء يندفع الى قراءة الاعلانات ويسأل هنا وهناك ولايبالى ان يؤدى بضعة جنيهات فى تجارب مختلفـة . ومعظم الادوية الجاهزة التى يسمح للجمهور بشرائها خالية من الضرر ولذلك لن يجد المرضى مايمنعهم من التجارب الشخصية . والاعلانات التى تـكتب على القنينة او العلبـة هى دعاية ناجعة وصانع الدواء لايبالى أن يقول ان دواءه مفيد لنحو عشرة أمراض او عشرين مرضاً . مع ان كثيرا من هذه الامراض لايزال اساطين الاطباء حائرين لافى معالجته فقط بل فى الوقوف على كنهه مثل الرومتزم والضغط العالى ولا نقول السرطان وغيره

على ان هناك مع ذلك ادوية جاهزة مفيدة ينصح الاطباء باستعمالها ويمنع الصيادلة من بيعها للجمهور الا باذن من الطبيب . وجميع هذه الادوية تقريبا يمكن الصيدلى المصرى أن يصنع نظائرها . ولـكن الطبيب يرى ان كتابة اسم الدواء الجاهز ايسر واعجل من كتابة الوصفة بمقاديرها المختلفة وهو لذلك يلجأ اليها . ولـكنه هنا يضر نفسه كما يضر الصيدلى . وذلك لأن اعتماده على الدواء الجاهز ينسيه فنه الذى تعلمه فلا يستطيع بعد مدة ما ان يؤلف اجزاء الدواء . وهنا خسارة فنيـة واضحـة للطب فى مصر . ولعل هناك ايضا ضررا بالمريض . لأن الحـكمة الطبية الفرنسية التى تقول « هناك مريض وليس هناك مرض » لاتزال صحيحة . وهـذه الحـكمة تناقض تعميم الادوية الجاهزة اذ ليس المرضى كلهم سواء . والدواء مثل البذلة التى تلبس يجب ان « يفصل » على قد المريض كما تفصل البذلة سواء . والدواء الجاهز كالبذلة الجاهزة قد صنعت لـكل الناس ، وهى قد لاتليق لاحد من الناس

ثم هذا الدواء الجاهز يضر بالصيدلى لانه ينقل الربح من الصيدلى المصرى الى التاجر الاجنبى فى توكيو او واشنطون او بودابست . وهذا التاجر الاجنبى لايترك للصيدلى المصرى سوى اقل

الربح بضعة مليمات لا اكثر ، كما انها تضر بالصيدلى ضررا فنيا لانها تنسيه تأليف الاجزاء للدواء وفى النظام الاقتصادى الذى يعم العالم المتمدن كثير مما يستحق النقد لان غاية الجميع الكسب الفردى وليس الخدمة العامة. وهذه الادوية الجاهزة هى اعظم برهان على ذلك . لان الباعث على كثير منها لا يزيد على الطمع الاعمى فى جمع المال ، ونذكر فى هذا الصدد قصة للكاتب الانجليزى ولز تسمى « تونو بنجاى » وهذا اسم دواء جاهز اخترعه رجل من العامة لا يكلفه غير مليمات ولكنه يعلن عنه بألوف الجنيهات وينشىء الجرائد والمجلات والغاية الظاهرة منها خدمة الثقافة او السياسة او التسلية ولكن الغاية المستورة هى الاعلان عن هذا الدواء ويجمع عشرات بل مئات الولاف من الجنيهات بعد ذلك . وتونو بنجاى لا يقل فى قيمته عن ٩٩ فى المائه من الادوية الجاهزة التى يعلن عنها فى كل مكان .

وقد كان غاندى يشترى المسهلات بالجنيهات . ثم اهتدى الى طريقته فى العيشة الساذجة فاستغنى عنها . وهو الآن فى السبعين من عمره لا يشكو مرضا ويقنع بطعام لا يكلفه فى العام كله اكثر من جنيهين او ثلاثة جنيهات . ويمكننا جميعا ان نسلك سلوك غاندى لو كانت لنا ارادته وحكمته .

ولكن مادمنا محرومين منهما فلا اقل من ان تحمينا الحكومة من حماقتنا وتفرض قيودا تقلل من بيع الادوية الجاهزة حتى لا ننخدع بالاعلانات وحتى لا ينسى الاطباء والصيادلة فنهم الذى تعلموه وحتى لا نخسر كل عام نحو مليون جنيه يكسبه تجار فى توكيو ولندن وواشنطون وبودابست وغيرها من البلاد الأجنبية

الطاغية

لا يعد الطغيان نظاما حكومية بمقدار ما يعد موتا سياسيا . أو هو نوم ينطفىء فيه المجهود اليقظ لان الشعب يعود وكأنه مادة جامدة ضخمة يصوغها الطاغية فى الشكل الذى يشاء . وهو يبعث الى الشعب بمشعوذين يعلمون بينه باسم الكهنة ويملأون عقوله بأحلام ملائمة للطغيان . وهو يظلم عقول الشعب بهؤلاء الرجال كما لو كان يطعمهم مخدرا ذهنيا . ثم ينزع منهم رويدا رويدا جميع الاصول للعواطف الحرة التى تحوى الرجولة والشرف . وأخيرا يحاول أفراد هذا الشعب بفنون بهلوانية حتى يحيلهم الى خنازير . ثم يخزمهم من أنوفهم وبعد ذلك يخلى عنهم فى حظيرة الاستعباد لكى يأكلوا ويسمنوا فى خدمته

افلاطون

(الميعاد)

لا البرؤ زار ولا خيالك عادا ما اكذب الامال والميعـادا
عجبا لحبك يامخيلة كيف يخلق من جوارح عابد حسـادا
انى لاهتف حين أفترش المدى وأرى الجحيم الجانى مهـادا
آها على الرأس الجميل سـلا وأغفى مطمئنا لا يحس سهادا
فرشت له الاحـلام واحتفل الهـدوء به ومـد له الجمال وسـادا
واحيرتى ما بين عينك والهوى لاترعـوى وهوانى فيك تمادى
صنعت بقلبى صنعهـا وأحبها حبـا على رغم المسـاءة زادا
ياحبها ما أنت . ماهذا الذى جمع الغريب والف الاضـدادا
يمشى علينا بالقضاء كما اشتهى ويصرف الاقـدار كيف أرادا
مات الرجاء مع المساء وانما كان الممات لحبنا ميلادا
الصبح بعدك كالغراب لناظرى والليل فى ناديك ليس سوادا

الدكتور
ابراهيم ناجى

الله أكبر

كتاب مجرى عن الاقطار الاسلامية

كان المستشرق المجرى الدكتور عبد الكريم جرمانوس أستاذ التاريخ الشرقى بجامعة بودابست قد زار مصر من سنوات أربع ولقى حفاوة نادرة المثال من أدبائها ، ثم عاد الى بلده وتفرغ من ذلك الحين الى وضع كتاب يدون فيه رحلته وملاحظاته وخواطره

وقد صدر أخيرا هـذا الكتاب فى اللغة المجرية بعنوان « الله أكبر » ويقع فى مجلدين ضخمين تزينهما صور ورسوم أنيقة واضحة تشمل الأماكن الاسلامية المقدسة ، فى الهند والحجاز ومصر .

والمجلد الاول مصدر بكلمة نفيسة للدكتور جرمانوس يقول فيها « يصير العلم نفسه عدما وتزول قيمته مالم تحيه المثل العليا من الحب والاخوة . وقد أتى الاسلام بالعلم والحب والاخوة الى بنى الانسان

« هناك فى بلاد المجر النائية حيث كان منـذ قرون ينبعث الاذان من فوق مائة من المآذن ، أحسست حرارة الايمان تشع من قلوب المسلمين الاتقياء كنداء لابد من تلبيته ، فشرعت فى رحلتى لـكى أحصل على العلم والمودة من صدور إخوانى المسلمين ، وها هى ثمرة رحلتى فى هذا الكتاب . لقد اجتزت طريقاً طويلا محفوفا بالمخاطر فى تركيا والهند ومصر وبلاد العرب . ونال جسمى الأعياء من التعب وكدت أهبط ولـكن روحى ازدادت قوة عنـدما رويت ظمئى من معين لا ينضب من تعاليم الاسلام الشريفة .

« اخوانى المسلمين : الغنى يعطى من ماله ، والفقير من نفسه . لقد أتيتـكم غريباً عنكم وعدت صديقا لكم ، جئتكم أعمى ففتحتم عينى فبارك الله فيكم لقاء ما قدمتموه من كلمة طيبة وعمل صـالح ، وتقبلوا كتابى هذا دليلا متواضعا على ما أشعل به فى قلبى من اعتراف بالجميل »

وفى المجلد الاول أبحاث شائقة تدور حول موضوعات : لماذا اعتنقت الاسـلام ، الاسلام دين الفطرة ، زيارتى الاولى لمسلمى البلقان وتركيا ، رحلتى الى الهند ، اعتنـاقى الاسلام فى مسجد دلهى الكبير ، أربعة آلاف مسلم يشهدون اسلامى ويعانقوننى . عودتى الى اوربا وتوفرى على ترجمة القرآن الى اللغة المجرية .

وفى هذا المجلد باب خاص بمصر ، ووصف تاريخى لمصر الحديثة ، ثم الازهر وأثره فى الحيـاة

الدينية والعقلية للمسلمين ، وأخيراً بحث عن الادب المصرى والتطور الذهنى للمصريين ، يتخلله تحليل لمؤلفات أعلام المدرسة الحديثة كهيكل ، وسلامه موسى ، وطه حسين ، والعقاد والمازنى . ففصل قيم عن جهود أدباء الشباب واتجاههم شطر الغرب ومحاولتهم التنصل من المقاييس القديمة فى الادب كابراهيم المصرى وتوفيق الحكيم ومحمد أمين حسونه واحمد رامى ومحمود تيمور . ثم نقد لشعر كل



الدكتور

عبدالكريم جرمانوس

من شوقى وحافظ ومطران واحمد زكى ابو شادى . واختتم المجلد الاول بفصل عن رجال الازهر كالمراغى والظواهرى والنجار

ويحوى المجلد الثانى رحلة الدكتور جرمانوس الى الحجاز ووصفاً شائقا لموسم الحج وبيان أشهر الآثار الدينية ، ومقابلة المؤلف الملك ابن السعود ولمحات تاريخية وجغرافية لجزيرة العرب ودراسة ممتعة للأدب الجاهلى ثم فصل عن أحوال العرب من النواحى الاجتماعية والسياسية

وقد صدرت ترجمتان لهذا الكتاب احداهما بالالمانية والاخرى بالايطالية والمنتظر أن تذاع له ترجمتان فى الانجليزية والفرنسية .

بناء البيوت الانجليزية

أحسن ماعند الانجليز فى بلادهم بيوتهم التى لاتمثل النظافة فقط بل تدل على المتانة وتحمل فى جوها روح الألفة والاستقلال. ولعل مما يدل على هذا أن الانجليزى يكره السكنى فى شقة ويؤثر على الدوام بيتا مستقلا ببناء مستقل له حديقة . ومن الأمثال الانجليزية « بيت الانجليزى هو حصنه » وإذا كان لهذا المثل قيمة فى احترام الحرية فان له قيمة اخرى فى احترام الحياة العائلية وفى التقدير للمنزل . وكثيراً ما يؤكد الانجليز الفرق بين لفظتى « منزل » و « بيت » . وهذا التأكيد يدل القارىء على التمييز الدقيق فيما يمس الحياة العائلية والعناية بها

والبيت الأنجليزى يمثل المزاج الأنجليزى . فانه يخلو من البهرجة . بل بعض المنازل لايدل ظاهرها على قليل او كثير من الزينة لأن الطوب الأحمر يبدو كما هو بلا طلاء ولكن الرفاهية عامة فى الداخل سواء من حيث المعدات الصحية او من حيث اختيار الأثاث الجيد . وهو مع هذه الرفاهية يخلو من الترف . فلا تجد كرسيا مذهبا ولكنك تجد مقاعد مريحة كانها قد أعدت لمريض يحتاج الى الأطمئنان التام

وهذه العناية بالبيوت أصيلة فى الاخلاق الانجليزية وهى تبدو فى قوانينهم القديمة التى مضى عليها مئات السنين . ولما اخذت الحركة الصناعية الجديدة فى نهاية القرن الثامن عشر تجمع العمال فى بعض الاحياء وتزحمهم فى مساكن سيئة انشئت « جمعية » للبناء سنة ١٧٨١ فى مدينة برمنجهام لكى تبنى منازل جديدة تكافح بها الازدحام . واستمرت الجمعيات فى النمو والتكاثر تبنى المنازل وتبيعها للفقراء والمتوسطين الى ان اصبحت تعد بالمئات وزاد ماتقتنيه من اموال الى ان صار يعد مئات الملايين من الجنيهات . ففى سنة ١٩١٣ كان مقدار ماتملكه هذه الجمعيات (اى الشركات) لايزيد على ٦٥ مليون جنيه وهو الآن يبلغ ٧١٠ مليون جنيه اى انه زاد ١١ مثلا . وعلى القارىء ان يلاحظ التسمية هنا ومغزاها . فان للجمعية معنى بعيداً عن التجارة التى تتسم بها الشركة مع ان لها اسهمها وحساباتها وارباحها كما هو الشأن فى الشركات . ولكنها من حيث الخدمة العامة تشبه « جمعية » التعاون . وهى تنال من الحكومة البريطانية ومن المجالس البلدية ألوانا من

الأعانات المالية أو العقارية . بل ان وزارة المالية تتجاوز عن بعض الضرائب التى تطلب منها أسوة بالشركات التجارية . وكل هذا تقوم به هذه الهيئات الرسمية لكى تشجع جمعيات البناء على النشاط المستمر فى بناء المنازل كما تشجع أفراد الشعب على المساهمة اى شراء الاسهم التى تصدرها هذه الشركات طمعا فى الربح

وقد استطاع الانجليز ان يبنوا منذ الحرب الكبرى أى فى ظرف السنين العشرين الماضية أربعة ملايين منزل أو بالارقام المضبوطة ٩٤٨ر٨٢٤ر٣ منزل . فاذا فرضنا أن كل منزل يسكنه ستة أشخاص فان ٢٤ مليون انجليزى قد انتقلوا من مساكنهم القديمة الى مساكن جديدة منذ الحرب ولكن ليس هذا كل شىء . بل العبرة بالخطة البديعة التى تتبعها هذه الجمعيات . فانها لا تؤجر المنازل . بل تبنى وتبيع بالاقساط . فبدلا من أن يؤدى الساكن أى رب البيت اجر السكنى الذى لا ينقطع مدى حياته بل بعد موته يؤدى قسطا استهلاكيا بحيث يصبح مالكا بعد ٢٠ أو ٣٠ سنة . ويجب ألا ننسى ان الساكن الذى يؤدى أجرة سكناه ثلاثة جنيهات فى الشهر انما يؤدى فى عشرين سنة نحو الف جنيه اذا احتسبنا ربحا صغيراً جدا لهذا المبلغ . وعلى ذلك زاد عدد المالكين فى بريطانيا جملة ملايين هم الآن قاعدة متينة للامن العام والطمأنينة الشاملة . لان رب البيت الذى يملك بيته هو أبعد الناس عن الجريمة . وهو وزوجته وأولاده يشعرون جميعاً أن لهم فى الهيئة الاجتماعية مصلحة هى السهر على الرخاء العام والحضارة المنظمة

وقد يدهش القارىء اذا عرف ان مجموع ما أقرضته البنوك الانجليزية على البناء منذ الحرب الكبرى يبلغ ١٣٥٠ مليون جنيه قد استهلك بالطبع كثير منه

ولكن حتى ضخامة هذا المبلغ لاتدل على مقدار النشاط فى حركة البناء . لان هذا المبلغ المقترض ليس بالطبع كل ما انفق . فان كثيرا من المالكين قد ساهم بنصف الثمن او ربعه . ولأن بعض الارض قد سلم للجمعيات بالمجان . وعلى الرغم من الحركة الشاملة للتسلح لايزال للبناء اوفى حظ من النشاط الانكليزى

هؤلاء هم الانكليز الذين يعمرون بلادهم يهدمون القديم لكى يبنوا الجديد ويشغلون اذهانهم بالصحة الاجتماعية . وهل يحتاج الاجتماع الصحيح الى افضل من البيت الحسن يعيش فيه سكانه ويملكونه ؟

اجل . ما احوجنا الى مثل هذه العقلية الاجتماعية فى مصر

اندريه جيد والثقافة

الاستاذ جورج عزيز

الحديث عن اندريه جيد ليس من السهولة بحيث استطيع ان ألم بادبه المتناهى فى القوة والخصوبة وفلسفته التى ان بدت دانية ميسورة بعد طول التأمل والتفكير فانما ذلك لأنها بعدت عن اللغو ، فى فصل قصير كهذا ؛ ذلك بأن هذا الكاتب العبقرى الذى ذاع صيته فى جميع انحاء العالم خير النقاد الفرنسيين على اختلاف مذاهبهم فى النقد بشخصيته ومزاجه وميوله ، ثم بتنوع جوانب تفكيره وسعة وحيه والهامه . وهذا فيما ارى راجع الى حياته عامة ، وطفولته وشبابه بنوع خاص ، أضف الى ذلك أنه أديب بفطرته ، لا يتصور الحياة الا مستمدة من الفكر ، مستندة اليه ، قائمة عليه . فلقد أقسم أن يصدف حتى اليوم الذى ينتقل فيه من الوجود الى العدم عن الاوسمة والنياشين والاجازات الفخرية وآية ما أذهب اليه أنه قال منذ ثلاثين سنة تقريبا « لو لم اكن مشغوفا بالادب الى هذا الحد لكنت الان عضوا فى الاكاديمى فرانسيز »

يحدثنا «جيد» عن طفولته فى أحد مؤلفاته فيقول انه من أصل بروتستانتى ، وانه كان كصاحبه «مارسل بروست» أسير الامراض الى ان بلغ العشرين أو كاد ، وانه تأثر كثيرا بمبادىء مدرسة «الرمز» وبخاصة «ستندال» و «بودلير» و «نيتشه» و «دستوفسكى» وعرف من هؤلاء جميعا ان الحياة لا تعرف الا بالمغامرات ، وأن المرء لا يستطيع أن يحوز شيئا الا اذا لجأ الى الجهد والقوة ، وأن من حق الفن أن يتجاوز دائرة الاخلاق ، بل لا معدى له عن أن يتعدى هذه الدائرة الى حيث يستطيع أن يستمتع بالحرية !

والذى استطيع أن ألاحظه على «اندريه جيد» أنه يشعر فى نفسه بميول واتجاهات متناقضة ، وهذا التناقض يشتد حينا ، ويفتر ويضعف حينا آخر ، بيد أن «جيد» لا يرغب فى القضاء على هذه

الميول والاتجاهات ، ولا هو يريد ابادة أحدها لاحياء الاخرى ، وانما هو يتركها على ما هى عليه من التناقض رغبة منه فى أن يقف منها موقف الحكم الفنان .

وهو لا يتجاوز فى مؤلفاته نطاق الفطنة والذكاء فهو يصور لك بريشة الفنان الماهر ، وفى قالب واضح لا غبار عليه ، مختلف العواطف ، وشتى الانفعالات التى يحسها على ضوء الفطنة والذكاء .

فانت واجد فى كتبه كل أوضاع الفن ، وأنت واجد كذلك ضروب الصفات ، وألوان الطبائع والسجايا ، بيد انه يصدف عما الفه الناس منها ، ويؤثر عليها الشاذة النادرة ، وهو لذلك كثيرا ما يفضل ما تغلب عليه الصنعة على ما هو طبيعى ، اذا ما كان مستكملا للشروط التى قدمت . أضف الى هذا كله انه يجنح الى كل ما يتطلب لتفهمه ذكاء حادا ، وكل ما يحتاج الى ذوق فيه بعض التعقيد والالتواء ، كما يميل اليه القارىء .

ويقدم لك « جيد » نظريته فى التحرر الخلقى فى أسلوب سهل قوى ، هو مزاج من كثرة اطلاعه على الآداب القديمة ، ورغبته فى سبك أسلوب يتفق والعصر الحديث . ولادبه تأثير كبير فى نفوس الشباب ، اذ انه يلائم هذه النفوس من حيث نزعتها التجديدية ، ورغبتها فى الوصول الى الحقيقة واجتلائها ، ولو أدى ذلك الى انهيار صرح ما تواضع عليه الناس .

وفلسفة « جيد » قائمة أولا وقبل كل شىء على الاخلاص والصراحة . وظاهر ان الاخلاص بمعنى الكلمة ليس من السهولة على النحو الذى نتصوره ، لانه يتعين على المرء أن يعرف نفسه تمام المعرفة كيما يتيسر له اماطة اللثام عنها فى صورة مجلوة لا غبار عليها

وبعد . فما الذى يريده جيد ؟ انه يريد أن يتحرر الشعور الخلقى الذى جارت عليه القوانين وأوشكت على خنقه ! انه يريد أن يستحيل جمود الحياة وشدتها وقسوتها إلى عالم آخر مبناه الصراحة والضوء والحرية ، وملؤه المرح والبهجة والسرور

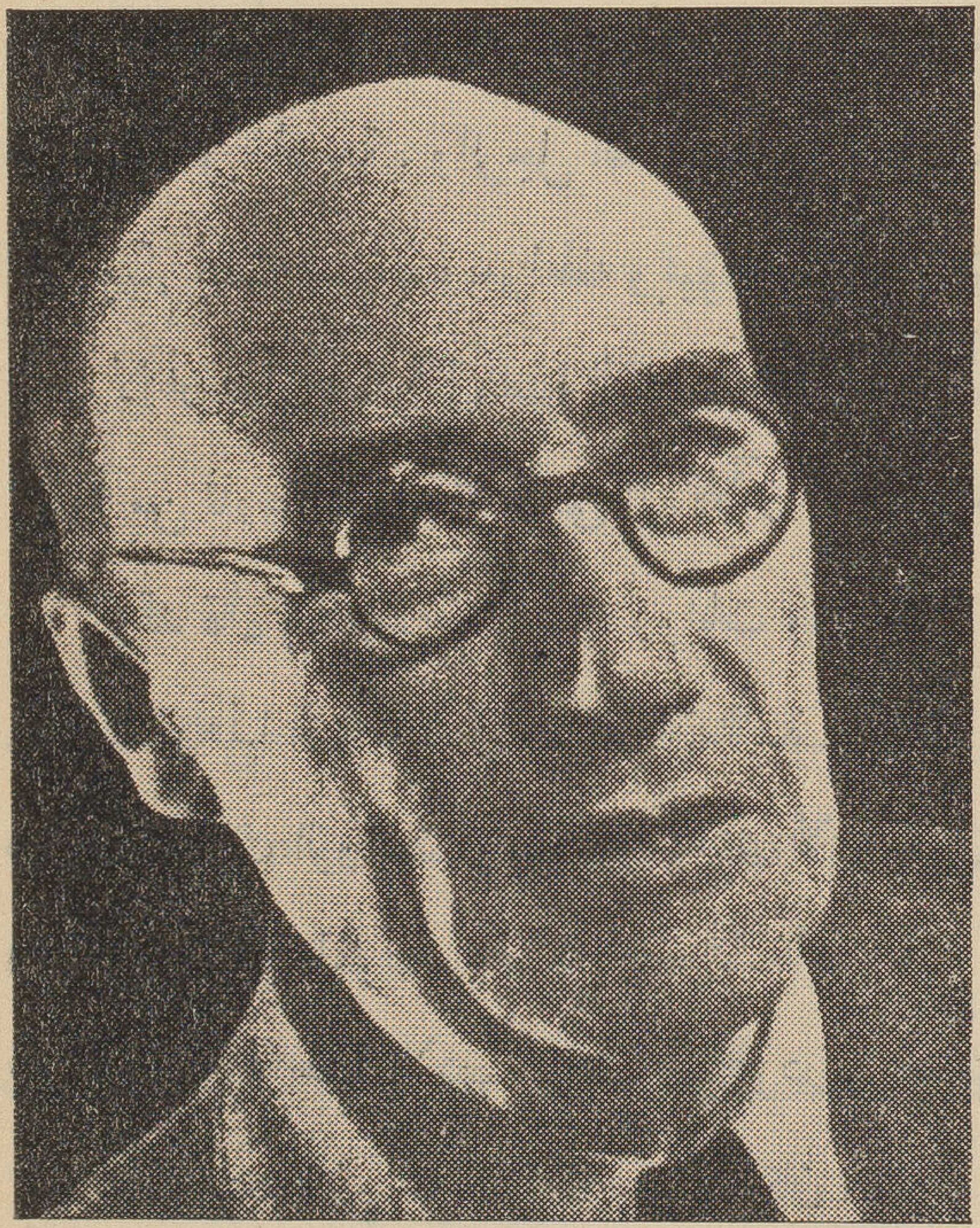
هذه صورة موجزة أشد الايجاز ، غامضة المعالم الى حد كبير ، ولكنها على الرغم من ذلك تعطيك فكرة عن هذا الكاتب العبقرى الذى يعتبر بحق أمير الناثرين الفرنسيين فى هذا العصر الذى نعيش فيه

* * *

وفى ما يلى كلمة ألقاها أندريه جيد فى الثقافة

نستمد من تأثير الخطر الذى نشعر بدنوه أو الذى جمعنا ووحد صفوفنا اليوم فى كل شعب . تعاليم عامة عظيمة الفائدة . جليلة الخطر ، لانها تتصل بالانسانية الى حد بعيد

وأنى أحاول اليوم ايضاح أمور يحيق بها اللبس والابهام ، أو لها هذا الخلط الذى يحاول أنصار الوطنية ايجاده بين فكرة العالمية وبين حب الوطن . لقد فسروا كلمة « الوطن » تفسيرا ضيقا لا نجرؤ على النسج على منواله . وأننا جميعا لا نوافق على أن حب الوطن الاصلى يقوم على كراهية وبغض ماعداه من البلاد ، إذ فى وسعنا أن نحب العالم أجمع . وظاهر أن ذلك لا يمكن أن يحول دون محبتنا أوطاننا الاصلية فى نفس الوقت .



أندريه جيد

اننى سأتكلم كأديب . وسأقتصر على التحدث عن الثقافة والادب . ان الادب يفرق بين العام والخاص ، بين العرض والجوهر ، بين ما هو انسانى وما هو فردى . الا يمثل « سرفانتس » أدب اسبانيا تمثيلا حقيقيا كما يمثل « شكسبير » الادب الانجليزى وكما يمثل « جوجول » الادب الروسى ، و « رابيليه » و « فولتير » الادب الفرنسى ؟

ان جميع هؤلاء الادباء يصلون الى عمق الافكار باظهار أمزجتهم الخاصة التى تميز بعضهم عن بعض ولذا فاننى لا أجد مانعا من أن اتكلم بينكم كفرنسى . ولست مخطئا اذا درست هذا الموضوع الخطير الذى نحن بصدده من وجهة النظر الفرنسية وسألقى أولا نظرة سريعة على أدبنا من حيث مظهره العام :

لقد ذكرت فيمن ذكرت اسم رابيليه

ادخل هذا الكاتب على الادب الفرنسى عنصرا فياضا لم يحذ أحد حذوه . وانه ليمثل بلادنا تمثيلا حقيقيا كما يمثل عصره أيضا . ولقد مال ادبنا بعده الى الهدوء والسكينة

* * *

وامتاز بالابتعاد عن الحياة وعن مصاعبها وحوادثها . وانى أتكلم هنا بطبيعة الحال عن ادبنا الكلاسيكى الذى كان يعتبر المؤلف والمتفرج والقارىء والممثل بمنأى عن الحاجة واقتصرت مهمة الاديب على التكلم عن الاغنياء أمام الاغنياء . ولم يكن علينا أن نهتم بما اذا كان الاديب سعيدا أم شقيا وكانت لاتقلقنا معرفة مصدر ثروة الممتازين الذين تقدم ذكرهم وبقى الفكر والادب بعيدين عن هذه المسائل المحرجة . والرجل الذى يظهر فى روايات «راسين» الرائعة شخص له متسع من الوقت لكى يهتم بنفسه وبعقله وبعواطفه وبميوله حتى تنمو وتترعرع .

لا أريد أن أطعن فى هذا الادب . فأنى معجب به وبآثاره الخالدة . وانى لاقول انه لم يصل من قبل (من تاريخ قدماء الاغريق الى الآن) الى درجة الكمال التى هو عليها اليوم

وقد قال بعضهم ان ما تمثله روايات ودرامات القرن السابع عشر من ملوك وملكات لا يثير اهتمامنا. وهذا خطأ ولا يسعنا الا ان نأسف لهؤلاء القوم الذين لا يشعرون من جهة بجمال عبارات وحركات تلك الروايات ومن جهة أخرى لا يعرفون اكتشاف حقيقة تلك العواطف التى تكسوها وتدار بها ثياب الملوك . ولكن جميع أشخاص هذه الروايات أناس من أصحاب الامتيازات وكادت الحياة تنعدم فى هذا الادب لاقتصاره على درس هذه الطبقة وما لها من عواطف وأفكار .

فاذا ابتعد الفن عن الحقيقة والحياة كان مصيره التصنع والتكلف . ليس فى أوربا أدب أقرب الى التكلف والتصنع من الادب الفرنسى بعد استثناء الادب اللاتينى الذى تحدى الادب الفرنسى الكلاسيكى فى هذا المضمار

لا يتجدد الفن ولا ينمو الا إذا استمد قواه من أرض بلاده ومن روح الشعب وهو شبيه بأنتيه « Antee » الجبار الذى ذكرته الميتولوجيا فكان يفقد قواه ومواهبه عندما ترتفع قدماه عن الارض والفضل فى تدعيم الادب الفرنسى فى القرن السابع عشر لا يرجع الى مونتسكيو أو فولتير رغم

نبوغهما بل يرجع الى جان جاك روسو وديدرو وكلاهما من أبناء الشعب .

ولما نشأت الحركة الرومانتية فى الادب الفرنسى أخذ أنصار هـذه الحركة يقاومون جماعة التقليديين وتكلفهم الادبى باخراجهم مؤلفات لا تقل تصنعا أو تكلفا عن مؤلفات التقليديين ، هذا راجع الى ميل الاديب الفرنسى الى الصناعة اللفظية وشغفه بها مما جعل الادب الفرنسى لا يحيد عن طريق التكلف والتصنع

وكان لامرتين وموسيه وفينى وهوجو من كبار أنصار الرومانتية ومما هو جدير بالذكر أنه ليس بين هؤلاء الادباء من خرج من « الشعب » بحيث يستطيع أن يبعث الحياة فى أدب بلاده وينفث فيه روحا جديدة . وقد شعر فيكتور هوجو بهذه الحقيقة وحاول طوال حياته أن يتقرب الى الشعب ليمثله وينطق بلسانه

هل أبالغ فى قولى أن أدباءنا يميلون الى التكلف والتصنع ؟

كلا لست أغالى فى شىء ويروقنى أن اسمع أحد نقاد اليمين يتولى الدفاع عن المدنية فى مقال نعيس ويقر بالناحية المتكلفة من ثقافتنا

واليك ما يضطرنا الى تحديد موقفنا

قرأنا فى أحد أعداد « الاكسيون الفرنسيز » الحديثة العهد ما يأتى « المدنية هى الكذب . هى المجهود الذى يبذل لاحلال الرجل المتكلف مكان الرجل الطبيعى والاستعاضة عن عريه بلباسه وزيه وقناعه »

ثم يستأنف هذا الناقد فيقول : « ان هذا الكذب البديع الذى تقوم عليه المدنية هو سبب وجودها وعظمتها وعظمتنا نحن أيضا »

اما انا فأقول كلا . لا يسعنى الاعتقاد بأن المدنية أساسها الكذب حتما . فمدنية متكلفة هى نعم المرآة والنتيجة الطبيعيتان لحالة اجتماعية كاذبة تحمل فى ثناياها جراثيم الفناء والزوال وتبدو الاعمال الناتجة عنها عليلة سقيمة كالحالة الاجتماعية التى تسمح بها فان لم نعرف كيف نقضى على ذلك كله فقل علينا السلام .

ولقد أخذت الثقافة المصطنعة وقتها

على أنى أكرر قولى بأنى لا أطعن مطلقا فى هـذه الثقافة لأنها مها كانت متكلفة فقـد صادفت ثمارها الاعجاب والاستحسان . أما انـكار الماضى فلا طائل تحتـه ولا جدوى . وانى أجاهر بأن الثقافة التى نحلم بها الآن ما كانت لتبرز الى عالم الوجود لولا ظهور تلك الثقافة المنطوية على الكذب والنفاق أولا . غير انى أقرر بان أدب اللغة والثقافة والمدنية كل هذا يمكن أن ينمو ويشب ويترعرع فى اتجاه مضاد ومخالف لتلك الثقافة الماضية

يخاصمنى صاحب هـذا المقال الذى أوردته ويجعلنى فى صفوف أعـداء الثقافة لـكونى رسول الصراحة . كلا لسنا نأخذ على الثقافة فى حد ذاتها شيئا بل نأخذ عليها ما فيها من تزييف اتفق عليه .

ثم يخرج صاحب المقال مما بسطه فى مقاله انه يجب الاختيار بين المدنية والصراحة .

أما أنا فأنى أصرح بأنى لا أسلم أبداً بأنه لا بد للمـدنية من ان تـكون غير مبنية على الصراحة وكلنا يدرى ما يجب أن يفهم من وراء ذلك ، كما انى لا أسلم بأن الانسان لا يستطيع أن يسير فى طريق المدنية والحضارة الا عن طريق الـكذب والمواربة . ويلوح لى أن فكرة الصراحة هـذه على جانب عظيم من الاهمية ولا استبيح لنفسى قصرها على الفرد .

وانى أقول ان الهيئة الاجتماعية هى الاخرى غير صريحة عند ما تخنق صوت الشعب فى صدره . ان الهيئة الاجتماعية غير صريحة عندما تدع الشعب يرسف فى أغلال العبودية والغفلة والجهل .

لقد وطنت نفسى فى مستهل حياتى العملية على العمل ضد المبدأ الذى كان ينادى به الوطنيون فى ذلك الوقت وهو « لقد قال الانسان كل ما عنده فلا يستطيع الآن سوى التكرار »

ولنرجع قليـلا الى الوراء فاذا ذكر لفـظ « أدب » خطر فى الذهن معنى « الاتصال » والمراد معرفة من يتصل به الاديب — وانه يحدث أحيانا فى بعض الآداب وفى الادب الفرنسى خاصة أن كاتباً من الطبقة الاولى لا يلتفت اليه مطلقا فى عصره . فهل يمكن أن يقال — تبعا لذلك — ان مثل هذا الـكاتب لا يكتب الا لنفسه ؟ كلا ذلك الاتصال الذى ليس فى وسعه أن يناله لا بد أن يتحقق له مع مرور الزمن

أنى اعود بفكرى الى بودلير ورامبو وستندال ونيتشه ووليم بلاك وملفيل

* * *

تسرى فى كل عمل من أعمال هؤلاء الكتاب قوة اتصال متينة ولكنها متبطنة بالمستقبل . وانى ابتغى أن أستخلص من هذا انه لا يحسن مقاطعة كاتب لم يوجه كلامه اولا الا الى قراء قليلين .

أما كبار الكتاب الذين لم يلتفت اليهم — وقد تكلمت عنهم فيما تقدم والذين يطبع من كتبهم الان العدد الوافر — فقد ادوا خدمات جليلة لنشر الثقافة .

ان اتصال الكاتب البرجوازى بطبقته ضرب من المحال كما أن اتصاله بالشعب محال أيضا طالما ان الشعب على حالته الحاضرة وطالما هو بعيد عن الحالة التى يمكنه أن يحصل عليها بمساعدتنا .

وذلك ليس فى متناول اليد الا اذا وجهنا الكلام الى القارىء المجهول الذى سيجد فى المستقبل غذاء انسانيا يعود عليه بالنفع الجزيل

اننا لا نزال فى دور النضال وهذا النضال لا نحبه أو نريده لذاته بل للغاية الموجودة فيه . أن الثقافة ترمى الى تحرير العقل وفك قيوده لا الى استرقاقه واستعباده .

نسيج

سمعنا عن النسيج الذى تصنعه ايطاليا والمانيا والولايات المتحدة من اللبن وهو صوفى القوام والملمس . ورأينا الانسجة التى تصنع من الخشب ولبسنا بعضها . وهى الربون

والآن يقول الدكتور جوبلز وزير الدعاية فى المانيا أن معرض ليبزيج الاخير قد عرض فيه نسيج جديد صنع من الفحم والجير . وهو لا يضاف اليه شىء من القطن . وهو متين وحسن . ولكنه يذوب على درجة ٠٫ من قياس سنتغراد

وهذا واحد من الانتصارات العلمية التى حققتها شركة الاصباغ الالمانية . وهى الشركة التى سبق لها ان استعملت الانيلين بدلا من النيل الهندى . وقتلت هذه الزراعة فى الهند . . . فهل هذا الاختراع الجديد يقتل زراعة أخرى يمكن القارىء أن يحدسها ؟



هذه الريح العابثة ..

بين الشاعرين جورج رسل، ومحمد الهمشرى

بقلم الدكتور ابراهيم رشاد بك

عدت من أوربا عام ١٩٢٠ ، بعد غيبة عن الوطن استغرقت خمسة عشر عاما ، قضيت أكثرها في انجلترا وارلندا ، دارسا باحثا فى مختلف الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، متغلغلا فى مختلف الأوساط ، متنقلا بين الجامعات ومعاهد الابحاث والمصانع والمزارع والبيوت والملاهى ، مسوقا فى كل هذه الأدوار والطوفات ، إلى إعداد نفسى لعمل كبير لم أكن أدرى ماهو على التحقيق.

وجمعتنى الأقدار السعيدة برجل كنت أشعر بالحنين الى معرفة أمثاله ، وكان لقائى معه أحسن ختام لهذا الطواف الطويل ، الذى ألممت فيه بأوربا من جميع أطرافها فلم تفتنى ألمانيا ولا ايطاليا ولافرنسا ولاسواها من الممالك ذات العلم والمدنية والجد والدأب .

أما هذا الرجل الذى أسعدتنى بمعرفته الاقدار ، والذى قام بينى وبينه ارتياح نفسانى متبادل ، وتوافق كامل فى المزاج وفى الروح وفى الادراك ، وفى النشأة والتربية والتعليم والميول والامال ، فهو هورس بلانكت أحد كبار أبطال ارلندا فى ميدان الاقتصاد الزراعى

عمل هورس بلانكت نصف قرن فى سبيل المدنيه الريفية فى ارلندا ، وكان رسول هذه المدنية ، الموفق فى رسالته ، الناجح فى دعوته .

ولقد بدأ عمله وامور بلاده على غير نظام ، فاستخدم ذكاءه وبصيرته النافذة فى تقسيم العمل الى نواح مختلفة : زراعية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وحمل الأولى للحكومة ، والثانية للفلاح ، والثالثة للمرأة ، ووضع قاعدته المشهورة الثلاثية الأركان :

تحسين الزراعة ... ...

تيسير التعامل ... ...

ترغيد الحياة ... ...

واختار السير هورس بلانكت مكانه بجانب الفلاح لخدمة الناحية الثانية وهى «تيسير التعامل» وتزعم حركة اقتصادية زراعية واسعة النطاق تحقق هـذا الغرض الجليل وهى «الحركة التعاونيـة الزراعية» ولقد كرس لها جهوده وسخرها قواه، فلم يبرح الدنيا الا وقدشهدنجاحها بعينيه، وخلفها حركة قومية شاملة مستتبة الأركان محكمه النظام، تؤدى للفلاح الارلندى خدمات جليلة فى مختلف ميادين الانتاج والاقراض والتوريـد والتصريف، بجمعياتهـا المنتشرة فى أنحاء المملكة، والتى أعجب بانتاجها ونشاطها العالم كله واتخذها مثلا عاليا لتنظيم المزارعين تنظيما اقتصاديا يعود عليهم بأكبر النفع



الدكتور ابراهيم رشاد بك

ولقد كان من أوائل ما أهتم به زعيم التعاون فى ارلندا، اختيار الرجال الذين يحملون معه عبء هذه الرسالة، اعتقادا منه بأنه على قدر توفيقه فى كسب ذوى المواهب العاليـة والشخصيات القوية والنفوس المخلصة، يكون نجاحه فى مهمته القومية الكبرى.

ولقد كان من توفيق الله له وللتعاون أن نجح فى كسب الشاعر الكبير جورج رسل صاحب الشخصية البارزة والصيت البعيد، والاسم الذى ملأ أسماع الناس جميعا فى ارلندا وتعداها الى ماوراء البحار، فى أوروبا وأمريكا واستراليا وسائر بقاع العالم المتحضر.

لم يمض على رسل وقت طويل فى صلته بالزعيم التعاونى ، حتى عرف مكانه من الحركة التعاونية ، وحمل عبء الناحية الأدبية فقام بتحرير مجلة التعاون ، التى أطلق عليها he Irish Homestead أو « الدوار الارلندى »

ومنذ ظهر عددها الأول حاملا اسم جورج رسل تهافت عليها الناس وأخذت مكان الصدارة بين المجلات الارلندية ، وأصبح القراء فى الريف بل وفى الحضر ينتظرونها بلهف شديد ، لما أسبغ عليها رسل من ألوان محبوبة ، فمن افتتاحيات رائعة فى مختلف الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، بأسلوب ممتع واضح موجز يقرب الموضوعات المادية الى أذهان الريفيين ، مع سمو وجمال فى العبارة لا يتفقان الا لأمثاله من الموهوبين ، نقول : من افتتاحيات رائعة الى مقطوعات شعرية بديعة تصور جمال الريف وإلهامه ، وسحر القرية وروعة مناظرها الى عرض لما ينشر فى شتى الكتب الانجليزية فى مختلف الموضوعات ، وهكذا بلغت مجلة التعاون على يدى رسل ، أعلى مبلغ فى طلاوة الأسلوب وطرافة الموضوعات وتنوعها وفائدتها ، وحسن التوفيق بين الحقائق وبين الخيال . وصارت مما لا يستغنى عنه اقتصادى ولا اجتماعى ولا فلاح ولا أديب ، لا فى ارلندا وحدها بل فى انحاء العالم ، وصار بينها وبين قرائها اتصال روحى قوى ، وصارت لهم فيها ابحاث و كتب مفتوحة ومباحثات تتبارى فيها العقول والأقلام .

كذلك كان لرسل ومجلته ودواوين شعره وأحاديثه الطلية واجتماعاته ومحاضراته الفضل الكبير فى توجيه الناس نحو المذهب الجديد وهو نشر المدنية فى ربوع الريف وعدم استئثار المدن بها ، إذ كان يرى فى هذا الاستئثار حرمانا للسواد الأعظم من بنى الانسان ، من أخص منافع الحياة كما أن فيه إضرارا بالبلاد من جراء ترك الجزء الاكبر من ثروتها الفعلية والمعنوية مهملا لا تناله تنمية ولا تحسين .

ولقد انتهى تفكيره الطويل إلى أن النظام التعاونى هو خير الوسائل إلى تحقيق هذا المذهب الاصلاحى . فنصب نفسه داعية إليه ومبشرا به واستخدم كل جهوده فى نشر الجمعيات التعاونية فى أرجاء البلاد والوصول بها إلى أعلى مستوى ممكن . كى توفر لأعضائها أسخى مايستطاع من نفع مادى . ومن خدمات فى ميادين البيع والشراء والانتاج والتمويل . ليزداد دخلهم وتقل نفقاتهم .

ومازال يقنع التعاونيين بأن جمعياتهم مهما نجحت ماديا . فهى ضئيلة الأثر إذا لم تحقق لأعضائها حياة اجتماعية راقية ، وظل ينير لهم الطريق إلى هذه الغاية المثلى . ولو قارنا حالة هذه الجمعيات وإنتاجها قبل دعوة رسل وبعدها لرأينا صورتين متباينتين . ففى الأولى ضعف وركود . وفى الثانية قرى لاعيش فيها للمرابى ولا للتاجر الطماع . ولافقر يغشاها بل الكل فى رغد وفى نظام وفى اطمئنان . تنظم لهم الجمعية التعاونية معاملاتهم وتقضى حاجاتهم . وتحدث التوازن المالى بين المزارعين . فلا يكون بعضهم فى حاجة وإقتار . بينما البعض الآخر فى وفرة ويسار . وتسهل لهم اقتناء أحدث الآلات الزراعية واستعمال أمثل الطرق العصرية فى الزراعة ومايتصل بها من اقتصاديات واجتماعيات . وتظلهم جميعا بلواء الوفاق والسلام . وتبث فيهم روح الديمقراطية . واحترام الحقوق والتزام الواجبات وتعودهم على توفير أسباب الرفاهية لقريتهم . كالنظافة والانارة وتعبيد الطرق . وتحسين الصحة العامة ونشر التعليم والتثقيف وايجاد أدوات التسلية وتكوين حلقة اتصال محكمة بينها وبين السلطات العليا من مركزية ومحلية حتى لاتتوانى هذه السلطات عن القيام بنصيبها من ترغيد الحية فى الريف .

« * »

أخذنا نحن فى مصر كثيرا عن ارلندا فى عملنا التعاونى . ونادينا بما نادى به رسل من العمل «على نشر المدنية الريفية» وبشرنا به فى خطبنا وفى أحاديثنا ومانؤلف من كتب ونحرر من مجلات وجدنا فى تعميم هذه الدعوى والقائها فى الآذان .

وفى يوم من عام ١٩٣٤ دخل على فى مكتبى فتى فى ربيع العمر . قوى الجسم مشرق الطلعة . مكتمل الصحة . وافر الرجولة . تبدو عليه الشجاعة والثقة بالنفس والتطلع إلى كبار الامال . وتظهر فى حديثه الفصاحة والجرأة ممتزجتين بالأدب والرزانة . وقدم إلى نفسه مفهما اياى أنه دائم التتبع لما أكتبه عن الحركة التعاونية وعن المدنية الريفية . وأنه مستوعب أفكارنا . مؤمن بقضيتنا . راغب فى المساهمة فى خدمتها .

ولم يكن هذا الشاب الا كما تبادر إلى ذهنى أول مارأيته وسمعته وتأملته . لم يكن إلا الشاعر المجيد م . ع الهمشرى ، صاحب قصيدة «شاطىء الأعراف» ومعرب «القرية المهجورة» وكأنما عثرت به على كنز ثمين ، ومضت الأيام والاسابيع ومعنا هذا المبشر التعاونى الجديد ،

يعمل فى تحرير مجلة التعاون ، وإذا بى أجد فى « الهمشرى » ما وجد بلانكت فى رسل ، من إيمان صادق بالتعاون ورسالته ، ومن بيان ساحر ومن نشاط عظيم .

فهو فى وقت قصير عرف مكانه من الحركة التعاونية كما عرفه رسل من قبل . وسرنى أن رأيت الشبيه ملما بأخبار شبيهه ، وأن بينهما توافقا عجيبا فى الجسم والروح والنشأة وفى مراحل الشباب الأولى ، وأنا الخبير بالشبابين ؛ فقد حدثنى كل من الشاعرين عن نفسه وعن نبعته بما هو فوق الكفاية .

وكأن العناية الالهية بعثت الهمشرى رسولا للمدنية الريفية فى مصر ، وخليفة لجورج رسل ، مع فارق واحد هو أن رسل انفسح له المجال فعمل لخدمة التعاون أربعين عاما ، أما الهمشرى فلم تمهله الاقدار فى عمله التعاونى إلا أربعة أعوام .

وإنى لتارك للشعراء والادباء أمر المقارنة بين شعر الشاعرين . وديوان رسل بين أيديهم ، وموعدهم بديوان الهمشرى قريب إن شاء الله .

أما فيما عدا الشعر من مزايا الرجلين فالتشابه محكم ، وعلى الأخص فى المقدرة الصحفية وفى الدراية بكنه التعاون والإيمان بمذهب المدنية الريفية ، وحب الريف والرغبة فى زيارته وفى الاتصال المستمر به واستمداد المعانى الشعرية من جمال مناظره وسحر الطبيعة فى مائه وسمائه ، وأشجاره وأزهاره ، ودواجنه وأطياره ، هذا إلى ما فيه من هدوء ووداعة ومفاتن ومباهج ، ولقد كان يبدع فى وصفها فى باب « زيارات المحرر » عن الجمعيات التى يزورها ، فيجيد وصف ما رأى وما سمع ، ويظهر محاسن الجمعيات ويبين أغلاطها ومواضع النقص فى عملها ونظامها ، ويسدى النصح الرفيق السديد ، بعيدا فى كل هذا عن جفاف التغييرات الرسمية والاحصاءات الديوانية . مشجعا لا مثبطا . مسرفا فى الادب وإن قسا فى النقد وقد فتح فى المجلة أبواب : « الادب التعاونى » « والاغانى الريفية » و « الثقافة التعاونية » فأضفى عليها ثوبا قشيبا ؛ وأجدى هذا التجديد فى تحبيب المجلة إلى أعضاء الجمعيات التعاونيه ، إذ انقلبت من مجلة رسمية إلى صحيفة حافلة ، ففيها التعاون ، وفيها الاقتصاد ؛ فيها الزراعة وفيها الثقافة ، وفيها كذلك ما شاء الأديب المتبحر من شعر رائق ونثر بليغ ، وما شاء القارىء الباحث أو الراغب فى التسلية من موضوعات شتى ، مقرونة بالصور الشمسية ، ومن أخبار تعاونية

تمس مصر والممالك الاخرى ، وهى بعد هذا وذاك ، مجله شعبية حكومية معا .

وكان الجانب الأكبر من مجهود الهمشرى فى شعره ونثره موجها الى التنبيه الى جمال الريف وضرورة العناية به ، إذ فيه الثروة وفيه المتاع ، وفى تقويته ماديا ومعنويا تقوية للأمة كلها .

وكان من الأوتار الحساسة التى ضرب عليها ، بث النزعة الديموقراطيـة فى أهل الريف ، عن طريق جمعياتهم التعاونية ، فى أساليب إدارتها ، وفى تساوى أصوات أعضائها . وفى دوام التشاور بين هيئاتها العديدة من مجلس إدارة الى لجنة مراقبة الى جمعية عمومية ، كل المبادىء الاساسيه للشورى وفى هذا كله تعويد لهم على تأدية واجباتهم والتمسك بحقوقهم والعمل المشترك فى سبيل اسعاد الجميع ، وكثيرا ما كتب فى شرح هذا المعنى الرائع وهو أن الريف « مشتل الامة »

هذه أبواب نافعة طرقها الهمشرى كما طرقها رسل من قبل ، ولو أراد الله لشاعرنا بسطة فى العمر لردد الريف من شمال مصر الى جنوبها تلك الاغانى العذبة التى كان ينظمها ، ولسادت فى سكان هذه الربوع الآمنة تلك الروح المحمودة التى كان يعمل لبثها فيهم ، ولاكتملت لنا فى الميدان التعاونى ثروة أدبيه نعتز بها ، ولظل اسم الشاعر الريفى « الهمشرى » مسطورا على قلوب الملايين من أهل وادى النيل ، ولبدأت يد البشر تعمل مع يد القدر فى اسعاد الريف وتحبيبه الى من لم يدرك جماله ومزاياه ، فلا يرحل عنه أصحابه الى المدينة ، ولا يهجره أهل الثراء والعلم والثقافة والادب ، لخلوه من المباهج كما هى حاله الآن .

لقد كانت فجيعتنا فى الهمشرى قاسيه أليمة ، خصوصا ولم نستفد من ادبه وإنتاجه كل ما كنا نطمع فى أن نناله ، ولم نكسب للتعاون إلا نزرا يسيرا مما املناه على يديه ولم يمهل هذا الجندى التعاونى الباسل إلا هذه الأعوام الاربعة التى قضاها مواظبا على الجهاد ثابتا فى الميدان ، بينما سعدت إرلندا بشاعرها التعاونى أربعين عاما من الزمان .

رحمه الله ، وجعل لاهله وللتعاون وللأدب فيه خير عوض وأحسن عزاء .

صحة الفلاح

محاضرة الدكتور احمد ثابت موافى فى المؤتمر الصحي الثاني بقاعة يورت التذكارية فى ١٧ فبراير سنة ١٩٣٩

عند ما تفضلت لجنة تنظم هذا المؤتمر . فأسندت الى موضوع البحث فى صحة الفلاح . تولانى شعور غريب . لم أعرف على وجه الدقة آهو الى الرغبة قريب . أم الى الرهبة أقرب . ولكني أعرف أنه كان مزيجا من الرغبة والرهبة . ولهاتين العاطفتين على تنافرهما ولع بالتقارب . كلما هم المرء بتناول المسائل القومية الهامة بالبحث والدراسة . فان أمر الصالح العام من شأنه الاغراء بالعمل . أو على الأقل بمحاولة العمل . كما أن من طبيعة مشاكله الكبرى . أن تبعث بالرهبة فى نفوس الباحثين . بسبب ضخامة الموضوع . والخوف من القصور عن بلوغ الغاية فيه .

وفى لجة هذا الشعور الغريب . تساءلت عن غرض اللجنة الموقرة من قرارها وعلى أى وضع تريد أن أتناول البحث فى صحة الفلاح . أمن الناحية الطبية الخالصة باعتبارى طبيبا . أم من الناحية العامة . باعتبارى ممن درسوا قضية الفلاح . من نواحيها المتعددة ؟

وهكذا أضاف هذا التساؤل الى شعورى السابق حيرة جديدة . أرجو أن تشفع لى عندكم . إذا ما تركت أثرها فى هذا البحث . وها أنتم ترون انه لم يكن لى منها مفر .

على أنى قد رأيت الخير . فى أن أمسك بالعصا من طرفيها . راجيا أن يكون هذا ممكنا . وأن أحاول تحليل الموضوع . من الناحية الطبية أولا . ثم أنتهى الى معالجته : من نواحيه المختلفة آخرا . وإن كنت فى الأول والآخر . لن آتى بجديد على أسماعكم . ولن أضيف طريفا على سابق معلوماتكم والذنب فى هذا ليس ذنبي . فقد أمرت لجنة المؤتمر فصدعت بالأمر . وأرادت أن أتولى الكلمة فى هذا الموضوع . فنفذت لها ما أرادت .

فأما كلمتى كطبيب عن صحة الفلاح . فيؤلمنى أن أقول لكم . انى لا أجدها . وما كان لطبيب ريفى . أن يجد كلمة يقولها فى هذا المقام . فأن صحة الفلاح فى نظرى أمل من الآمال . قربته الوعود والأقوال . وحلم من الأحلام . ضنت بتحقيقه الجهود والاعمال .

أما اذا أردتم كلمة عن أمراض الفلاح . فستسمعون كلمات لا نهاية لها . وتجدون أن لسان الطبيب . تسبقه ألسنة المرضى . فى أبلغ عبارة . وأقوى بيان . ولن تأخذكم من هذا البيان طلاوته وحلاوته . بقدر ما تنال منكم حسرته وأنته . فلست أستطيع أن أتخيل . حديثا أشد ايلاما وفجيعة . من حديث يتناول أمراض الفلاح . ولست بقادر على أن أجد تعليلا مقبولا . لما تقابل به هذه الصيحات المدوية . من تحجر فى قلوب المستمعين . الا أن تكون الانسانية . قد فقدت أخص مميزاتها . فى هذه البلاد وانى لاقسم غير حانث . أن بعض هذه الصيحات . لو وصل الى مسامع أمة متمدينة غريبة عنا . لدفعها الى اسعافنا بالبعوث الطبية . مجرد العطف من الانسان على اخيه الانسان

يعيش الفلاح فى بيئة تعتبر مرعى خصيبا لمختلف الميكروبات والطفيليات . فهو فى مسكنه وفى حقله . معرض لشتى الامراض . وقد انعدمت فى كل من المسكن والحقل . وسائل الوقاية . فلا مفر له من الوقوع بين مخالب المرض وهو اذا ما وقع . لم يجد فى متناوله من وسائل العلاج . ما يدفع عنه غائلة المرض . ولا من وسائل الوقاية . ما يقى أهله ومخالطيه . شر العدوى . فيستشرى الداء وتسرى العلة فيمن حوله . ويتسع الخرق على الراقعين .

وليت البلوى وقفت بالفلاح . عند حد التعرض . على أوسع مقياس . لما تتعرض له سائر الطبقات الأخرى من الأمراض . ولكنها امتدت . نخصته بطائفة من الامراض المتوطنة . بسبب عمله فى الحقل . واتصاله الدائم بالماء الملوث . فزادت الطين بلة . وكانت ضغثا على اباله .

فالى جانب ما يصيبه . من نزلات صدرية ومعوية . وحميات مختلفة شديدة العدوى . فتكت البلهارسيا . والانكلستوما . والدوسنطاريا . والبلاجرا بما لا يقل عن ٧٥ فى المائة من مجموع كتلته فأنهكت جسمه . وأضعفت قواه . وحدت من قدرته على العمل والجهاد فى سبيل القوت المتواضع .

ولما كان الفلاح يمثل الخلية التى يتكون منها جسم الامة المصرية .

انحط بانحطاطه المجموع . وساءت الحالة الاقتصادية . وانخفض مستوى ثروة الفرد . وقل انتاجه .

ولقد بذلت الدولة جهودا تذكر فى سبيل علاجه من هذه الأمراض المتوطنة . ولكنها لم تأت بالنتيجة المرجوة . اذ ثبت أنه ما كاد يشفى . حتى يعاوده المرض . بمجرد عودته للعمل . واتصاله بحكم الضرورة بالماء الملوث . . . وأصبحت المنشآت العلاجية . كحلقة مفرغة . لا يعرف أين طرفاها . «كعجلة تدور حول نفسها . دون أن تتقدم . . .

وأد لهذه المناسبة . أن أتناول بالذكر . مسألة تعميم الميـــاه الصالحة للشرب فى القرى . لاضعها فى المستوى اللائق بها . فقد خيل للكثيرين فى بادىء الامر . أن تعميم هذه المياه الصالحة للشرب . فيه الانقاذ من مرض البلهارسيا . الذى يفتك بالأغلبية الساحقـة من الفلاحين . . وفات هؤلاء . أن عدوى البلهارسيا . إنما تصيب الجسم عن طريق المسام الجلدية فى ٩٠ فى المائة من الحالات وأن العشرة الباقية . تصاب بها عن طريق الشرب . ومادام هذا هو الرأى العلمى . الذى لا شك فيه . فالمنتظر إذن . أن لا تهبط نسبة العدوى بالبلهارسيا بعد تعميم الميـــاه سوى ١٠ فى المائة على الأكثر . وأن يظل الباقون عرضة لها . مادامت أعمالهم الزراعية . تقتضى لمس أيديهم وأرجلهم للماء الملوث فى الحقول .

ولن ينقذهم من شرها . الا القضاء عليها . بالقضاء على القواقع الناقلة لها فى مجرى المياه . وهو عمل نرجو أن توفق إليه الأبحاث العلمية فى المستقبل القريب . .

وحاشا أن أرمى من وراء هذا البيان . إلى الانتقاص من قيمة هذه المنشآت العلاجيـة . أو مشروع تعميم المياه الصالحة للشرب . ولكنى أريد أن ألفت النظر . إلى الهدف الاساسى الذى يجب الوصول إليه . وهو استئصال هذه الأمراض . وإنقاذ الفلاح من ويلاتها . وقد يكون هذا الهدف بعيدا فى الوقت الحاضر . ولكن الواجب يقضى علينا . بالعمل على بلوغه . بتشجيع الابحاث الفنية فى هذا السبيل والسخاء المادى والأدبى . على كل معهد مصرى أو أجنبى . يقف جهوده على هذه الأبحاث : وحبذا . لو جعل هذا العمل الجليل . أساسا يقوم عليه المعهد العلمى الجديد . الذى تقرر انشاؤه تخليدا لذكرى المغفور له « الملك فؤاد الاول » رحمه الله

* * *

تلك هى كلمتى كطبيب . فى صحة الفلاح . أو بعبارة أخرى . فى أمراض الفلاح . وهى طرف من

من أطراف العصا كما قلت - ولكن بقى على أن أحاول الوصول الى الطرف الاخر - فأن وفقت فى تلك المحاولة . كنت قد قمت بواجبى كاملا - على قدر ما استطيع - ولهذا - أرجو أن أتحلل من الوضع الطبى الصرف الى الوضع الطبى الأجتماعى - فهو فى نظرى بيت الداء . وفى معالجته قد يكون الشفاء .

وسأتخذ فى هذا الوضع من البحث - قاعدتين أساسيتين - أولاهما - « الوقاية خير من العلاج » والثانية - اذا أردت العلاج فابحث عن أسباب الداء - .

وعلى ضوء هاتين القاعدتين - يثبت البحث أن حالة الفلاح الحاضرة مصدرها علل ثلاث - هى الفقر - والجهل - والمرض - وقد تكون إحدى هذه العلل سببا لغيرها . كما قد تكون نتيجة لها - ولكن الذى لا شك فيه أن كلا منها - يأخذ بنصيب كبير - فى مظهر البؤس والشقاء المخيم على الفلاح وعلى ريف مصر جميعا - .

ولقد تناول البحث فى كل من هذه العلل كثيرون . ممن عنوا بشئون الفلاح . وكان لكل رأيه . فمنهم من تناول الشئون الصحية - ووضع من البرامج ما ظنه كفيلا بمحاربة المرض - ومنهم من تناول الناحية الثقافية وأدلى بمقترحاته وخططه فى محاربة الجهل - ومنهم من درس الناحية الاقتصادية ليجد الوسيلة لمحاربة الفاقة والفقر - .

ويقينى أنهم كانوا جميعا على صواب - إلا فى تناولهم الموضوع - كل من ناحيته الخاصة - دون أن يحل النواحى الأخرى محلها من التقدير والاعتبار - .

ولاضرب لذلك مثلا . هبوا أننا استطعنا رفع مستوى الفلاح الثقافى . وتركناه . من الناحية الأقتصادية على حاله . من فقر وفاقه . أو بعبارة أخرى . جعلنا منه فقيرا متعلما . فهل يدهشنا فى هذه الحالة أن تنشأ فيه نزعة اجتماعية خطيرة . لايعلم الا الله مايكون لها من الآثار . . أوهبوا على العكس أننا استطعنا إنقاذه من وهدة الفقر . وأسبغنا عليه نعمة الرخاء . ولم نخرجه من ظلمات الجهل . فهل يبعد أن نراه مسرفا . متلافا . يترفع عن العمل فى الحقل . ليرتاد المدن . ويستمتع بما يجد أنه محروم منه فى القرى . وأخيرا . هل يمكن لفلاح فقير جاهل . أن يدرك قيمة النظم الصحية أو يستسيغ الدعاية لها . وهو لايملك الوسائل . التى تمكنه من السير على مقتضاها . وهل تتسع مداركه الحالية . للأيمان بوجود الميكروبات والطفيليات . وانتقال العدوى وجدوى المبادرة

بعلاج الأمراض . عند بدء ظهورها . وعدم الأذعان لشعوذة المشعوذين . ورفض العمل بنصائح الحلاقين والدجالين ؟ وهل تقوم مواردة الحالية بمطالب العلاج الفنى . فى سهولة ويسر .. أو تمكنه من اختيار المأكل . والملبس . والمسكن . بحيث يجد شيئا من الوقاية . يعصمه من أخطار المرض! على هذا كله . لايحتاج إلى عناء كبير . وإن من يطلب من أظن أن الجواب الفلاح . أن يعنى بصحته يكون كمن ..

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

* * *

أردت من هذه التبسط فى الفروض المتنوعة أن أتطرق هنا الى الحل المنطق العملى لمشاكل الفلاح . تلك المشاكل التى لا انفصام لها . والتى يرتبط بعضها ببعض . ولا يمكن حلها مشكلة فمشكلة بل يجب أن توجه معا . وأن تبحث معا . باعتبارها وحدة لاتتجزأ ...

ولست أستطيع أن أزعم أن علاج هذه المشاكل سهل . أو أن النجاح فيه يمكن أن يكون سريعا . فأن السهولة والسرعة . أمران لاسبيل إليهما فى عمل ضخم كهذا . واذا كان من واجبنا. أن نتغلب على الصعوبات .. بمختلف الوسائل . فأنى أعتقد . أنه ليس من المرغوب فيه . أن نبالغ فى الاسراع . فأن الطفرة قد تعقب أسوأ النتائج . ويكفى أن نجد فى السير . من غير أن نبلغ حد العدو والجرى . فأن أضمن خطوات الأصلاح الأجتماعى . ماكان منها متئدا ومطردا الى الأمام . وخير الطرق فى نظرى . هو . أن يشكل مجلس أعلى . لرفع مستوى الفلاح والريف من النواحى الثقافية . والأقتصادية . والصحية جميعا

على أن يضم هذا المجلس رجالا مبرزين . فى النواحى الثلاث . فيضع لمهمته برنامجا شاملا . يرقى بالفلاح والريف . الى المستوى المنشود . ثم يقسم هذا البرنامج . إلى مراحل . تقطع كل مرحلة منها . فى زمن معين . وتتم بها خطوة معينة . ويحتفظ بالتوازن المطلوب . وبين النواحى الثلاث . بحيث . لا تسبق ناحية منها زميلتها . على أن يبقى المجلس مشرفا على تنفيذ برنامجه متتبعا لمراحله المتوالية . وبهذه الطريقة وحدها يمكن ضمان التقدم المتسق . المأمون العواقب .

ولا غنى لى عن الأشارة الى بعض الحقائق . التى تتصل بالتعليم الألزامى . والشك الكبير الذى

يتناول فائدته على وضعه الحاضر وبرامجه الحالية . وليس من شأن هذه المحاضرة أن تتوسع فى نقده . وكيفية تعديله . ولكن من واجبها أن تلفت النظر إلى أن الغرض من التعليم . فى بيئة الفلاح . هو توسيع المدارك والمعارف المتصلة بالشئون الزراعية . مع مراعاة الناحية العملية . التى تربطه الى عمله الزراعى . برباط وثيق . وبقدر مايكون التعليم فى هـذه البيئة . مبسطا وعمليا . تكون ثمرته دانيـة ودائمة . فماذا يفيد الفلاح من دراسة التاريخ والجغرافيا وما اليهما وما الذى يربط بين هذه الدراسة . وحياته المستقبلة . بين الماشية . والمزارع

* * *

يتشكك الـكثيرون . فى استطاعـة العمل على رفع مستوى الفلاح من الناحيـة الأقتصادية . ولهؤلاء المتشككين بعض العــذر . فأنه ليس من السهل على الدولة . وطبقـة كبار الملاك . أن يعملوا على ترغيد الحياة . فى طبقة الفلاحين لأن الأغنياء . بالنسبة للفقراء . فى بلادنا . أقلية صغيرة يشق عليها . أن تقوم بهذا الواجب . لا كثرية هائلة . ولـكنى أعتقد أن المجال فيه متسع للعمل المنتج وإنى لأتساءل . فى هذا الصدد . عما اذا كان من المفيـد . أن تأخذ العلاقة بين المالك والمستأجر . شكلا آخر ... غير شكلها الحاضر . يكون أقرب الى العدالة والأنصاف . كأن تقوم العلاقة بينهما . على أساس اقتسام غلة الأرض . بنسبة منصفة للفلاح وأن يزول نظام الأيجار النقـدى . فيما يتصل بصغار المستأجرين الذين يعملون بأيديهم فى الزراعة ..

كذلك أتساءل . عما اذا كانت المصلحة أصبحت تقضى بوضع حد أدنى لاجور العمال الزراعيين . الذين يشتغلون باليومية . مع العلم بأن أسعدهم حظا . وأكـثرهم توفيقا . لا يشتغل فى العام الا نصف أيامه بواقع ثلاثة قروش فى اليوم . أى بما لا يتجاوز خمسة جنيهات ونصف جنيه فى العام الكامل . أو خمسة وأربعين قرشا فى الشهر . ثم يطلب اليه مع ذلك أن يحيا حياة صحية فى مأكله ومشربه ومسكنه .

ولعلـكم تتساءلون معى . كيف يستطيـع هذا المخلوق التعس أن يعيش هو وعائلته . على هذا الايراد الضئيل .. وكيف يمـكنه فى حدود هذا المبلغ الزهيد . أن يرتفع بنفسه وبأفراد أسرته . عن مستوى « الماشية التى يرعاها »

واذا كان العامل الزراعى . خليقـا بالعطف والرعاية فى أجره . أفلا يكون زميله . صاحب

الملكية الصغيرة . خليقا بالأعفاء الكلى أو الجزئى من الضرائب . ؟ وهلا يجب أن يكون البحث فى هذا الأعفاء فى أثناء هذه الدورة (التى سيعرض فيها قانون ضرائب الأطيان على البرلمان)

وأرجو أن أختم تساؤلى . بالاستفهام عما وصلت اليه الجهود فى تخفيض مصاريف الأنتاج الزراعى بوجه عام . حتى تخف أعباؤها على نحو - يجعل غلة الأرض - متناسبة مع قيمة الأطيان فى الوقت الحاضر ما دامت أسعار الحاصلات كما نرى - لا تخضع الا لقانون عرض والطلب وما دام رفعها بالطرق الصناعية - أمرا غير مرغوب فيه . لما ينتهى اليه من سيء النتائج ...

* * *

أرجو أن تغفروا لهذه المحاضرة انسياقها الى شئون الثقافة والاقتصاد وعدم تقيدها بحرفية العنوان « صحة الفلاح » - قد سبق لى أن اعتذرت من هذا الأنسياق - بحكم الواقع - وارتباط صحة الفلاح بحالته الثقافية والاقتصادية - واعتقادى أن رفع مستواه الصحى - متوقف على رفع مستواه الثقافى والاقتصادى ...

وأملى عظيم فى أن تكون مرحلة الكلام والبحث فى قضية الفلاح قد انتهت لتبدأ مرحلة عملية تعود بأطيب النتائج - على هذا الوطن كله -

فأن مسألة الفلاح - مسألة الوطن بأجمعه - وفى علاجها - علاج لما يوصم به هذا البلد من تفشى الجهالة والأمية والفقر والمرض - ولا أظننى فى حاجة إلى أن أشير إلى ما يربط بين صحة الفلاح وشئون الدفاع القومى - فأن فى رفع مستوى الفلاح رفعا لمستوى الجيش - فى عدد الصالحين للتجنيد من ناحية ونوعهم من الناحية الأخرى - ولا يخفى أن الحروب الحديثة تتطلب هذا وذاك ..

وإنى لأرجو أن يذكر كل مشتغل بالشئون العامة - ما أخذ به نفسه أمام مواطنيه - من وعود وعهود - فما من نائب ولا شيخ - وما من حزب أو حكومة الا واتخذ من قضية الفلاح سلما - وصل به الى موضعه من الأشراف والرقابة على شئون الدولة - وجميعهم أمام الله وأمام الوطن مسئول عن الفلاح - قبل أن يكون مسئولا عن سواه ..

ان المتسولين والمتشردين - وهم طائفة تعتبر عالة على الهيئة الاجتماعية فى مصر - قد وجدوا من يعنى بشأنهم ويهتم بأمرهم - ولا أكون مبالغا اذا قلت ان الفلاح أسوأ من هؤلاء حالا - وأشد بؤسا -

مع أنه يقوم بعمله المشروع الشاق لخير هذا الوطن . ومما لا يتفق مع المنطق أن يعنى بأمر هؤلاء وأن يهمل أمره . .

بل إن نزلاء السجون فى هذه البلاد . يجدون من المأكل والملبس والعناية الصحية . مالا يجد الفلاح شيئا منه . الا فى القليل النادر . .

وقد طال به الاستماع الى الوعود والأقوال المتكرره فى الخطب الانتخابية والمناقشات البرلمانية والعهود المقطوعة فى كل خطبة من خطب العرش . كما طال به انتظار العمل . فلم يفز منه بكثير يشكر أو قليل يذكر .

وإن أشد ما يخفينى . أن يبعث هذا الأهمال المزمن فى نفس الفلاح نزعة القلق . بعد الذى عرف عنه وأطمع القوم فيه من صبر وقوة احتمال . وليكن فى حسابنا جميعا أن الفلاح اذا تحرك للمطالبة بحقه فى الحياة . فأنه لن يكتفى بالقليل الذى نستطيعه الآن . ولن يقنع بما يدخل فى مقدورنا فى الوقت الحاضر . ولكنه سوف يطمع فى الكثير الذى لا طاقة لنا به

ان السياسة الرشيدة حقا هى التى تعنى قبل كل شىء بشئون الأغلبية الساحقة من الشعب . والتى ترسم خططها . للمستقبل القريب . والمستقبل البعيد على السواء . ولا تنتظر قيام الأزمات لتتولاها بالعلاج . بل تعمل على تلافيها وعدم ظهورها . وهى أولا وآخرا . العمل الصالح . فى سبيل الله وفى سبيل الوطن

فاشية !.



ايطاليا كما صارت على يد موسوليني

حديث للمستر تشرشل

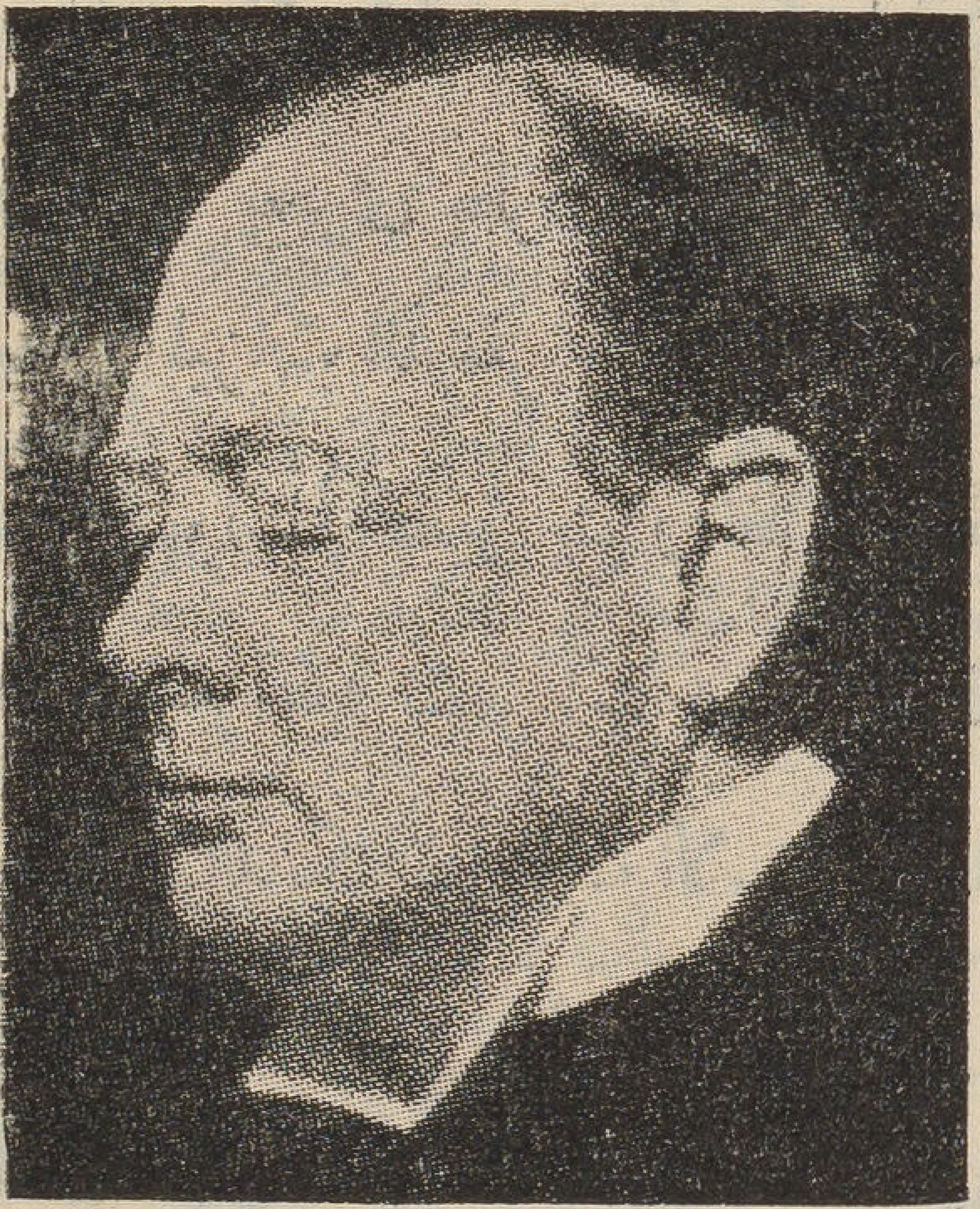
عن الديمقراطية والحرب

تحدث المستر كنجزلى مارتن رئيس التحرير لمجلة نيوستيتسمان الى المستر تشرشل السياسى الانجليزى المعروف عن الديمقراطية والفاشية . فرأينا أن نلخص هذا الحديث لقيمته فى التنازع القائم فى الآراء السياسية

قال المحرر : لقد أصبح جمهور الأمة يجمع بين شخصيتك وبين الدعوة الى الاستعداد الحربى للدفاع عن الديمقراطية وكثيرا ما يسألنى القراء هل يمكن الدولة الديمقراطية ان تستعد للحرب، فى على قدم المساواة مع الدول الديكتاتورية ثم تحتفظ فى الوقت نفسه بسجاياها الديمقراطية ؟ فهل تعتقد أن الجمع بين الحرية الديمقراطية وبين الكفاءة الحربية ممكن ؟

فقال المستر تشرشل : ان المظهر الاصلى للديمقراطية هو الحرية يمارسها الفرد فى حدود القوانين التى يفرضها البرلمان حتى يعيش العيش الذى يريد . وهو الحاكم تصدر أحكامها دون أى تدخل من السلطة التنفيذية . وهذا النظام قائم على وثائق تاريخية كسبها الشعب فى القرون الماضية . وفوق ذلك يكفل هذا النظام حماية الفرد من القاء القبض عليه من أجل جرائم لم ينص عليها القانون ويكفل له فوق ذلك محاكمة محامين يعادلونه فى المقام الى جنب القاضى . ولهم الرأى — فوق القاضى — فى اتهامه أو تبرئته . وبدون هذا الأساس لا يمكن أن تقوم حضارة أو تكفل حرية . اذ يصبح أى انسان عرضة لأن يتجسس عليه ويتهم بالخيانة حتى فى بيته . وما دامت هذه الحقوق مصونة فان أسس الحرية تبقى مصونة . ولا أرى سببا يمنع الديمقراطيات من أن تدافع عن نفسها بدون أن أن نضحى بهذه الحقوق

المحرر: يخشى الناس أن يضحى بحرية النقد على منابر الخطابة أو البرلمان أو الصحافة . فان الدول الجامعة — روسيا والمانيا وايطاليا — نظمت فى معسكرات لا يعوقها انتقاد الناقدين للحكومة هؤلاء الناقدين الذين يصفهم رئيس حكومتنا بأنهم « يعيشون فى عشنا »



المستر تشرشل

المستر تشرشل — انى أعرف البدعة الجديدة التى تقول بأن نقد رئيس الوزارة يعنى العيث فى العش وهذا رأى خطر . لان النقد ضرورى وان لم يكن مريئا . وهو يؤدى للهيئة الاجتماعية ما يؤديه الألم للجسم حين يلفت النظر الى أن حالا سيئة توشك أن تفشو فى بقعة منه . ويمكن أن نتفادى من الخطر اذا التفتنا له فى بدايته . ولكن اذا منعنا النقد تفاقم الخطر وصار مرضاً مستعصيا

المحرر — هل تعزو البطء فى الاستعدادات الحربية الى عيب أصيل فى المؤسسات الديمقراطية ؟

المستر تشرشل — انى واثق بان الحكومة الديمقراطية اذا تولاها زعماء كانت أقدر من الحكومات الفاشية . وفى هذه البلاد خاصة (بريطانيا) يمكن اقناع الجمهور بايسر عناء بأنه مطالب بالتضحية وهو يسارع الى التلبية اذا شرح له الموقف شرحا نزيها واضحا . وبدهى أنه اذا كان أعضاء الحكومة يقولون أن كل شىء على ما يرام فانه لا ينتظر من المعارضين أن يدعوا الى زيادة التسلح ولكن مما لاشك فيه أنه كان يمكن الحكومة القومية فى مدى السنوات السبع الماضية أن نزيد التسلح بما يطابق مقتضيات الحال دون أن تجد أية مقاومة من الجمهور . ولكن الحقيقة ان الزعماء لم يدركوا حقيقة الحال ولم ينبهوا الأمة . أما النظام الديمقراطى فلم يكن قط عقبة . وعندى ان السياسى الاعشى يمكن أن تصاب به حكومة ديمقراطية كما تصاب به حكومة فاشية سواء

المحرر — كنت أنت وزيرا فى الحرب الكبرى وملأت مناصب أخرى خطيرة فهل حدث فى اختباراتك ما فهمت منه أن النقد البرلمانى يعوق سير العمل ؟ وهل كان فى طاقتنا أن نسير

بالحرب باكفأ مما سرنا لو كانت لنا حكومة جامعة ؟ نسألك هل كانت من مصلحتنا أن نجند مدة الحرب العمال والممولين ونمنع المساومة الحرة بينهما ؟ وهل تعزو قلة الذخائر فى بداية الحرب الى رغبة أصحاب المصانع فى زيادة أرباحهم

المستر تشرشل — ربما يمكن الحكومة الديكتاتورية ان تزيد كفاءتها فى الاستعداد الحربى اذا كان هـذا يجرى بطرق سرية اكثر من الامم الديمقراطية . ولكن هـذه الميزة ليست بالضرورة عظيمة والميزات الديمقراطية ترجحها رجحانا عظيما فى حرب طويلة . وفى الدول الاتوقراطية حين يأخذ الجمهور ألم الضيق ينهار نظامه ويحمل زعماءه تبعة الانهيار كما رأينا فى روسيا والمانيا ولكن الامة الديمقراطية تشعر أنها هى المسئولة فاذا كانت ترى أن قضيتها عادلة فانها تصمد للقتال اكثر من الدول الديكتاتورية . والاسئلة والمناقشات فى البرلمان لاتعوق الحرب بل تساعدها لانها تكشف عن أماكن الضعف وتزيل سوء التفاهم وكانت تعترضنا مدة الحرب بعض الصعوبات حين كنا نعالج مطالب العمال ولكن هذه الصعوبات كانت تزول حين كنا نتعاون مع النقابات ونتفاوض معها ولم أر أن رغبة الكسب عند أصحاب المصانع وقفت عائقا لصنع الذخائر . وقلة الذخائر فى أوائل الحرب انما تعزى الى سوء التقدير وقلة الخبرة فقط

المحرر — افهم الان أنك تصرح بأن بريطانيا كسبت ولم تخسر من المحافظة على مؤسساتها الديمقراطية مدة الحرب الكبرى ولكن هل أنت تعتقد أن هذه المحافظة ممكنة فى حرب قادمة ؟ وان البرلمان قادر على العمل عندئذ فى نظامه الحاضر ؟ والى أى حد تتطلب الضرورات معاملة العمال بالاجبار ومعاملة المصانع الحرة بالاشراف الحكومى

المستر تشرشل — المفروض أنه ستختلف الحرب القادمة عن الحرب الماضية من حيث أن العاصمة وقسما كبيرا من البلاد سيكونان عرضة للازعاج بالغارات الجوية ولاأرى ما يمنع من فرض رقابة أقسى من تلك الرقابة التى فرضت فى الحرب الماضية فان البرلمان قد يجد من الصعوبة بل من الخطر أن يجتمع فى داره الحاضرة فى لندن . وقد يطلب منه أن يكل أعماله اليومية الى جملة لجان تحتوى كل منها أعضاء من الاحزاب المختلفة ثم يجتمع هو ثلاث مرات أو أربع مرات فى العام فى أماكن لائقة لكى يبحث تقارير هذه اللجان وانا أفرض بالطبع ايجاد قوانين تنفذ وتمنع التكسب من الحرب .

وقد درس الامريكيون هذا الموضوع . ويسهل علينا أن ننتفع بدرسهم . وعندما أقول بمنع التكسب من الحرب أعنى أنه لايجوز لفرد أن يخرج من الحرب بثروة اكبر مما كان له عند بدايتها . ولن يجد أحد ما يشكو منه أن وجد نفسه فى نهاية الحرب كما كان فى بدايتها . ولا أظن أن هذه الحقيقة تثبط الصناعيين عن النشاط مدة الحرب وان كانت تبطئهم مدة السلم

المحرر — يمكننا الآن إزاء توقع الحرب أن نتفق على ضرورة الرضى ببعض القيود للحرية . ولكن ما هو رأيك فى التجنيد الاجبارى وفى إجبار العمال والممولين مدة السلم على شروط معينة للعمل . لقد قال الكبتن هارت أن قبولنا للتجنيد الاجبارى لمكافحة الفاشية هو بمثابة من يقطع رأسه لكى يتجنب مرضا .

المستر تشرشل — لا أرى سببا يدعونا الى اضاعة أى جزء من حرياتنا لاستعداداتنا الحربية للدفاع . ولا أظن اننا فى حاجة الى جيش كبير مجيد على الطريقة الاجبارية كما هو متبع فى أوربا ولكن يجب أن يكون لنا جيش نظامى قائم ومن خلفه قوة احتياطية كبيرة . ويمكن البرلمان — اذا شاء — مدة الحرب أن يؤلف حول هذا الهيكل جيشا كبيرا . وقد ارصدت فرنسا الديمقراطية سنتين من أعمار شبابها للخدمة العسكرية ولست أرى فى التضحية ببعض الاشهر لقسم صغير من الشعب تسليما للمبادىء الفاشية .

المحرر — ما رأيك فى الدفاع عن لندن من الغارات الجوية

المستر تشرشل — أظن اننا بددنا قوانا وبعثرناها فى محاولة الدفاع ضد الغارات الجوية فى جميع أنحاء بريطانيا اذ يجب أن نحصر هذا الدفاع فى الاهداف والطرق المؤدية اليها ومنها فقط . فليس للعدو أية منفعة فى قتل الافراد . وانما غايته هدم الاحواض والمصانع ومبانى الحكومة وأشباه ذلك . والخطر على القرى لهذا السبب لا يؤبه به . ويجب لذلك أن نعنى بحماية العمال فى وسط لندن وفى الموانى وفى المناطق الصناعية وقد يكون من المفيد أن نشق طرقا تحت الارض فى لندن . وتكون طرقا طويلة متعددة وتنتهى جميعها الى خارج لندن حتى يمكن الالتجاء اليها وقت الغارات بل النوم بها . وفى مدة السلم ننتفع بهذه الطرق لايواء الاتومبيلات أو للتخفيف من حركة النقل فى الشوارع

ثم يجب اعـداد السكان منذ الآن للسلوك الحسن وقت الغارة التى سوف تفاجىء فى الأيام الاولى من الحرب

المحرر — يخشى الناس كثيرا أن نواجه بحرب وعندنا أمثال أولئك القادة الذين ارتكبوا الاخطاء العظيمة فى معركة باشنديل وغيرها فى الحرب الكبرى أولئك الذين لم يحفلوا بسلامة الجنود ولم يكن الروح الديمقراطى سائدا بينهم

المستر تشرشل — يعتقد كثيرون ان الضباط يؤخذون من طبقة صغيرة . وعندى انه يجب أن يكون من الممكن لاى جندى أن يرتقى الى مراتب الضباط وان تكافأ الجدارة فى الجيش بالترقية كما هو الشأن فى جميع الوظائف و ست أدعو الى هذا تحقيقا للروح الديمقراطى فقط بل لانه يؤدى الى الكفاءة الحربية

المحرر — لى سؤال آخر . وهو ان بعضنا يعتقـد انه اذا نشبت حرب فان جهودنا لتحقيق النصر وكذلك لاستبقاء الاسس الديمقراطية قد لا تجدى ازاء ما يمكن أن تنتهى اليه الحرب بتدمير مواد الحضارة نفسها . وبديهى أن غايتنا الكبرى لذلك يجب أن تكون التفادى من الحرب فهل يمكن أن تعتبر هـذا الاستعداد الذى نقوم به وسيلة لتجنب الحرب بدلا من الاستعداد لوقوعها المحتوم ؟

المستر تشرشل — اخشى ان اهمالنا للتسلح يؤدى حتما الى الحرب . ولو اننا كنا بادرنا بالاستعداد لما كنا الآن فى هذا التسابق الى التسلح . وكان يمكننا أن نصل الى اتفاق ما مع المانيا وهى لما تكمل عدتها . ولكن حتى الآن يزيد عـدد الدول التى ترغب فى صيانة السلم على عـدد تلك التى ترغب فى الغارة على جيرانها . ولو استطعنا ان نجمع هذه الدول تحت راية عصبة الامم بقيادة فرنسا وبريطانيا لكان من الممكن ان نصون السلم

المحرر — أليس مما يشهد به التاريخ أن كل تسابق الى التسلح يؤدى الى الحرب وهل تسابقنا الحاضر يشذ عن ذلك

المستر تشرشل — ان القول بأن التسابق فى التسلح يؤدى الى الحرب يشبه عندى وضع العربة أمام الجواد . فهنا حكومة لا تخشى الحرب وهى تستعدها وتنويها . وعندئذ تشعر الاقطار المجاورة بالخطر

فتتسلح هي ايضا ـ ثم بعد ذلك تقول أنت اننا قد شرعنا في التسابق للتسلح ـ ولكن هـذا التسابق هو النتيجة لوجود حكومة تنوى تدمير الاقطار المجاورة وليس هو السبب ـ والحكومة التي تقصر في هـذا التسابق تتأخر ولن تقـدر على صيانة مصالحها أو مـكانتها ـ وسرعة التسابق تعينها الدولة التي نوت الاعتداء ـ فاذا رأت هذه ان سائر العالم يستعد لها فانها يجب أن تختار بين التسليم أو متابعة التسابق. والحرب فاجعة لاحـد لها ولـكنها تثير العزة في الامة ـ ونحن كثيرا ما سكتنا ولـكننا الآن في حال أخرى ...

المحرر — هل هي حال الرغبة في الحرب ؟

المستر تشرشل — حال من يقول : «الى هنا ونقف» فان روح المقاومة هو الذي عـلم الانسان كيف يمشي منتصبا على قدميه بدلا من ان يسير على أربع

المحرر — هل تعتقد أن من الانفع لنا — كما يقول الاستاذ هولدين — أن نحصر كل جهـدنا في الدفاع ولا نعد أية عدة للغارة على الشعوب الأخرى ؟

المستر تشرشل — لا يمـكنني أن أوافق على الرأى القائل باننا يمكننا أن نقصر استعداداتنا على الدفاع السلبي . اذ لو وثق العـدو أن في مستطاعه أن يغير علينا دون أن يخشى غارتنا عليه لأصبحنا هدفا لغارات متوالية . ونحن نحتاج الى النفق والمأوى نأوى اليهما ولـكن حتى بصرف النظر عن مستعمراتنا يؤدى الدفاع السلبي في عقر دارنا الى الهزيمة المحققة . لان العدو يمـكنه في أى وقت أن يدمر تجارتنا وصناعتنا دون أن يخشى أى خطر . وعندئذ تثار الرغبة عند كل أمة في أن تشترك في انتزاع شطرة من البطيخة . والحرب بشعة ولـكن أبشع منها العبودية ، وكن واثقا بان الشعب البريطاني يؤثر الموت وهو يقاتل على أن يعيش في العبودية .

مشاهداتي في القارة الامريكية

للمسيو هنري بيير استاذ الادب الفرنسي بكلية الاداب

الاستاذ هنرى بيير شخصية عظيمة فى عالم الادب ، محاضر بارع ومؤلف فذ . تدل ابحاثه على سعة اطلاعه وغزارة مادته .

انتدبته الحكومة الفرنسية ليشغل منصب استاذ الادب الفرنسى بكلية الاداب بجامعة فؤاد الاول فوصل الى مصر فى اكتوبر سنة ١٩٣٣ . وفى مستهل ١٩٣٤ بدأ يلقى محاضرات عامة فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكـــية . كان الجمهور يتسابق اليها . وبقى فى منصبه الى شهر يونية سنة ١٩٣٦ حين استدعته فرنسا ليكون عميدا لكلية الاداب فى جامعة ليون لغاية شهر اكتوبر سنة ١٩٣٨ ثم انتدب مرة اخرى ليشغل من جديد كرسى الادب الفرنسى فى كلية الاداب فاتى ثانيا الى مصر التى يحبها من كل قلبه وحيث يقدره ويحبيه كثير من عارفى فضله وادبه

ودعته جمعية اصدقاء الثقافة الفرنسية بمصر ان يتكلم عن مشاهداته فى القارة الامريكية التى زارها مرارا فالقى محاضرة عن هذا الموضوع يوم الجمعة ٢٤ فبراير الماضى بقاعة الكونتنتال الخصها فيما يلى :

سافرت الى امريكا الشمالية مرتين : الاولى فى صيف ١٩٣٦ والثانية فى صيف ١٩٣٧ ثم زرت ارجنتينا فى صيف ١٩٣٨ . ولست اريد ان اتكلم عن المشاهدات العامة فى هذه البلاد ، بل عن الاثار التى تركتها فى نفسي وعن المسائل التى تهمنا جميعا وتفيدنا . وكنت قد قرأت كثيرا عن هذه البلاد قبل سفرى اليها . عن العادات والنظم الاجتماعية والسياسية واستفدت مما كتبه بعض المؤلفين الفرنسيين مثل جاستون روجو الذى يقول انه اكتشف ان امريكا فقيرة جدا وان فرنسا هى اغنى بلاد العالم .

وجورج دوهامل الذى يقول ان « اول من استقبله فى امريكا سيدة امريكية كانت تقود اتومبيلها بنفسها و كانت لطيفة مرحة وقد خلد اسمها فى كتابه « الحياة المستقبلة »

كنت اذن شديد الرغبة فى رؤية هذه البلاد للاستطلاع ورؤية كل ما هو غريب عنى وعن بلادى

ففى رحلتى الاولى كنت فى بعثة رسمية الى الاقاليم الجنوبية من الولايات المتحدة ووصلت الى فرجينيا وتكساس و كاليفورنيا الجنوبية ورأيت ريف هذه البلاد واقمت فيه ، لم اشعر انه غريب عنى ، او انى بعيد عن فرنسا ، اذ انه هادىء ، طبيعى ، قريب الشبه من ريف انجلترا وفرنسا .وفى ولاية تكساس على الاخص توجد بلاد مثل مقاطعة شمبانيا فى فرنسا ، هنا مستقبل عظيم ولنا فيها نحن الفرنسيين ميدان عظيم للدعاية الفرنسية ولنشر الثقافة الفرنسية التى اهملناها فى هذه الربوع . والرجل هناك على جانب عظيم من الثقافة و الرقى والادب وامامه مستقبل رائع رغما عن المشاكل العظيمة التى يواجهها وعلى الاخص مشكلة امتزاج السلالات

وكان من اغراض رحلتى هذه الى هذه البلاد احياء ذكرى رجل فرنسى عظيم خدم بلاده خدمة عظيمة هو « الكفاليه دلاسال » الذى اسس فى القرن السادس عشر مدينة صغيرة تمثل الحياة الفرنسية وعمل على نشر الثقافة الفرنسية فى بلاد جديدة . وما زالت للان هناك قرى وضياع تكاد تكون فرنسية وفيها اثار وذكريات خالدة لذلك الرجل . وقد زرنا معسكرا اسمه معسكر الحرية على ابعد خمسة كيلومترات من المسا كن كان قد شيده بعض الفرنسيين من اتباع نابليون بونابرت كانوا معه فى سانت هيلانة وتركوها بعد موت العاهل العظيم ويمموا شطر هذه الولاية . ولما وصلنا الى المعسكر قوبلنا بترحاب عظيم وعلى الاخص من جانب السيدات اللاتى يحببن الثقافة واللغة الفرنسية وقد اهدوا الينا مداليات تذكارية . واقام لنا الفرنسيون المقيمون هناك حفلات تكريم فرنسية وسمعنا بعض الاغانى الشعبية الفرنسية ولم نشعر مطلقا اننا فى ارض غير فرنسية وتمثلت لنا عظمة فرنسا وبقاؤها حية طوال هذه المدة .

ولفت نظرى على الاخص الطعام الامريكى فهو احسن من الطعام الانجليزى ولكنه غريب عنا وعن اذواقنا . وكان ذلك مجالا للاعتراض من جانب اعضاء البعثة . والامريكى مثل الانجليزى لم يصل الى التناسق فى الوان الطعام . ولكن فى « اورليان الجديدة » عاصمة لويزيانا كنا نجد

المطبخ الفرنسي القديم وعيبه الوحيد انه لم يكن صحيا بمعنى ان الطعام تنقصه الاهمية الغذائية اللازمة للجسم لخلوه من العناصر اللازمة

وصلت اخيرا الى نيويورك ودهشت جدا لجمالها الرائع وفتنتها ، عاصمة تختلف عن العواصم الكبرى مثل لندن وباريس ، واقفة بين نهرين ومشيدة على الصخر ذات فن معماري لا مثيل له في اي مدينة في العالم تمتاز بالشواهق « ناطحات السحاب » تذكر السائح باهرام الجيزة في مصر ومعابد الهند الصينية . ويفاخر الامريكيون بقدرتهم على قهر الطبيعة وامكانهم تأسيس مثل هذه المباني الرائعة ويتخذون ذلك دليلا على قوة الانسان وعظمته وكبريائه وهذا ما تحققته حين جولت في « الشارع الخامس » اذ هو احسن مثال للجمال الفني وبداعة التنسيق ليس فقط لضخامة المباني وعظمتها التي تعتبر بحق الرسالة الحديثة في فن البناء بل ايضا للروح المرحة الجذابة التي تسود المكان وتكسبه لونا بديعا يعجب ويسر السائح . وهذه الروح المرحة توجدها المرأة الامريكية التي تمثل السيادة والتي قلدت المرأة الباريسية من حيث اختيار الازياء وابتكارها ، والتزين . وقد نجحت الامريكية فيما ذهبت اليه ولكن الى حد معين ، نجحت في الظهور بجمال شعرها وحسن تزيينه وظهرت شخصية جديدة في عالم المرأة بجانب الباريسيات وسيدات لندن ، لها سحر وجاذبية لاشك فيهما . انما ليست لها رشاقة وفتنة الباريسية وليست في عينيها اثار الحياة المتغيرة مثل ما نرى في عين الفرنسية ذات البريق والسحر . اقول ان سيدات نيويوك يرتدين احسن الازياء ويمشين في « الشارع الخامس » ويقفن امام واجهات المتاجر الكبرى ليشاهدن الازياء الحديثة والابتكارات الجديدة ، وتعمد المتاجر نفسها الى اختيار الفتيات الجميلات فيلبسن اخر المودات ويقفن داخل الفترينات لعرضها . فكأن هذا الشارع معرض للازياء والنساء فاكتسب من ذلك ميزة الجمال والمرح وهو في نظري اهم واجمل شارع في نيويورك كلها

يلومون المرأة الامريكية لانها تحب السينماتوغراف والسياحة ، وقد انتقدوها لذلك وبنوا حكمهم على الامريكيات اللاتي شاهدوهن في خارج امريكا اي السائحات . ورداً على ذلك اقول ان هؤلاء السائحات لا يمثلن امريكا ولا المرأة الامريكية فاكثرهن بنات او زوجات جزارين او بقالين او تجار اثروا وارادوا ان يطوفوا العالم ويشاهدوا المعالم والاثار في المدن المختلفة فيه

وقد أتاحت لى الفرصة ـ نظرا لأنى كنت مدرسا ومحاضرا هنـاك ـ ان أتحدث الى كثيرات من الامريكيات ، سيدات وآنسات. فأقول ان الامريكية ليست على جانب كبير من الذكاء ولكنها تمتاز بنزعتها الاستقلالية فى كل الامور. فالسيدة تنزع الى تنظيم وتحديد النسل حتى ولو كان ذلك ضد ارادة الزوج الذى تميل الى أن تخضع له ولكن مع الاحتفاظ بشخصيتها وكرامتها . وهى لاتستطيع أن تتحمـل اعباء كثيرة كما تتحملها المرأة فى الاقطار الاخرى . وتميل الى الاطلاع. وهى على جانب كبير من الثقافة لها حرية الرأى ولهذا الرأى قيمته وأهميته



الاستاذ هنرى بيير

وتعمل دائما على أن تكون موضع احترام الناس . ولها نشاط عظيم فى ميدان الخدمة الاجتماعية وتحب الجماعة والتعاون وتضع نفسها لخدمة الاخرين ولكنها تشعر أنها مساوية للرجل ، ويعرف الرجل فيها هذا المبدأ — مبدأ المساواة فلذلك تترك واقفة فى الترام أو الاتوبيس اذا لم يكن هناك محلات خالية دون أن يعرض عليها أى رجل محله . ولذلك نجد دائما فى امريكا نزاعا بين الرجل والمرأة أدى الى « حرب الجنسين » وهذا النزاع من المشـكلات الحالية . فالرجل تنقصه روح الزمالة مع المرأة ويقول أنه يشتغل كثيرا ويكد ويعطى امرأته نقودا كثيرة وان المرأة جافية القلب لاتبـادله الحب الواجب ولاتعنى بشئونه ولاتمنحه العطف اللازم اذ أنها تخرج من النادى لتذهب الى محاضرة أو بالعكس فليس لديها وقت لزوجها

ويمتاز الطفل الامريكى بالحيوية والنشاط ويقبل على التعليم بشغف . والتعليم الابتـدائى عام للجميع ونسبة الامية لاتكاد تذكر . والتعليم الجامعى فى متناول كل شخص ولكل جامعه رأس مال كبير قد يبلغ فى بعضها ٧٥ مليون دولار وتوجد فيها فروع كثيرة للدراسة . وتعنى الجـامعة عناية

تامة يشئون طلبتها حتى ان الترشيح فى الوظائف الخالية فى بعض دوائر الاعمال يجىء عن طريق الجامعة التى كثيرا ما تعين فى الوظائف بعض الطلبة قبل أن يتموا دراساتهم وينالوا الاجازات الدراسية المطلوبة وتسمح لهم بالانتساب حتى يحصلوا على الدبلومات الخاصة . ويبدو على الشبان النشاط الدائم والحماسة وحب العمل والثقة بالمستقبل . والشاب لايدع اليأس يتسرب الى نفسه بلى يعتقد ويؤمن فى المستقبل ، له قدرة على العمل وقوة وذوق فيه ، وهو يختلف كثيرا عن طلبة جامعات اكسفورد وكامبردج

والامريكيون يحبون الفنون الجميلة ولهم قدرة على الابتكار والانتاج وفى الموسيقا مثلا استفادوا من وجود الزنوج فادخلوا على الموسيقا أغانى هؤلاء القوم وامتازت الموسيقا عندهم بطابع خاص لهذا السبب . وفى الرسم تأتى أمريكا بعد فرنسا فى الترتيب وتكون الثانية فى العالم فى الفنون الجميلة

والدين الامريكى هو النجاح كما كانت الحال فى القرن الثامن عشر فى فرنسا ولذلك لا يرى الامريكيون لتحقيق هذا المبدأ الا العناية بالتعليم والعمل على التقدم والسعى دائما . ويحب الامريكيون المؤلفات الفرنسية فى الفلسفة ويقرأون على الاخص كتب جان جاك روسو وديدرو ويحبون كذلك حرية الرأى والصراحة وحرية الرأى مكفولة هناك وهم يهتمون بالسياسة اهتماما كبيرا ومحور حديثهم فى غالب الاحيان يدور حول الحال السياسية فى العالم والتطورات العالمية المنتظرة

والسياسة الامريكية الحالية ممثلة فى شخصية الرئيس روزفلت وهو محبوب جدا من السواد الاعظم من الشعب وهو ارستقراطى فى شخص ديموقراطى يتكلم برقة وعطف ، له شخصية عظيمة ومثله الاعلى هو النجاح والسلام والعطف على الانسانية لايحب الحرب ويبذل جهده فى تجنب وقوعها وهذا ظاهر فيما فعله فى شهر سبتمبر الماضى فى اثناء الازمة التشيكوسلوفاكية وكيف ناشد الساسة الاوربيين ان يبذلوا مافى وسعهم فى سبيل السلام والوفاق .

وقد ثار عليه بشدة اصحاب رؤوس الاموال ورجال الصناعة والاعمال واتهموه بانه يشجع النظام الاحتكارى الذى يؤدى الى انحطاط الاعمال الاقتصادية فيزيد فى ثورة الشعب وقد كون هؤلاء الرجال بمعاونة اتباعهم معارضة شديدة قوية للعمل على اسقاطه فى الانتخابات وتأييد احد منافسيه ولكن روزفلت محبوب جدا من السواد الاعظم ولذلك استطاع ان يحقق المعجزة فى اعادة انتخابه رغما

عن معارضة كثير من الصحف الامريكية اذ يكفى ان تعلم بان اكثر من ثلاثة ارباع الصحف الاميريكية الكبرى كانت ضده وقد دفع لها خصومه أموالا طائلة لتقوم بالدعاية ضده ؛ فاستعان روزفلت بالراديوفون حيث كان يستطيع كل شخص سواء فى المنزل او القهوة او النادى ان يستمع الى الخطب الرنانة والدعاية الواسعة له من جانب اعوانه وانصاره .

ويقول بعضهم الآن ان روزفلت نفعى يتقلب حسب الظروف . اما الروح السائدة الآن فهى روح الديمقراطية والانسانية والبعيد عن خصومة السامية اليهودية والعطف على اليهود الالمان فى محنتهم الحالية وكثيرا ماهاجمت الصحف الامريكية المانيا لاضطهادها لليهود .

وامريكا على العموم تكن حبا عظيما لفرنسا ويقبل الامريكيون على التزود من الثقافة الفرنسية ويميلون الى مساعدتنا بل اقول ان كثيرا منهم يريدون ان ينضموا الى صفوفنا فى حالة الحرب ويساعدونا فى قضيتنا .

والمذهب الدينى السائد هو البروتستانتية ويعمل الامريكيون على نشرها فى جميع العالم ولهم ارساليات دينية لهذا الغرض فى جميع الاقطار . وهم المثل الاعلى للبروتستانت فى العالم

* * *

لما كنت فى امريكا الجنوبية ذهبت الى ارجنتينا ولاتزال ترن فى اذنى موسيقاها الشجية العذبة التى لن انساها

اعجبتنى جدا هذه البلاد وهى تشبه الولايات المتحدة من بعض الوجوه وتختلف عنها من وجوه أخرى . بلاد جذابة مرحة — بلاد جديدة لها مستقبل عظيم — غنية بثروتها الزراعية وشهيرة بتربية الحيوان . وهى تتقدم تقدما عظيما ويزداد عدد السكان بنسبة كبيرة وقد خلت تماما من الامرنديين

كانت فى أول الأمر حين فتحها الاسبانيون فقيرة جدا وقد هاجر اليها كثير من الاسبان ولكنهم لم يبعثوا اليها بالارقاء ثم تبعهم الايطاليون والفرنسيون . وهى تدين الى هؤلاء المهاجرين بتكوينهم لها . وبها اثار اسبانية كثيرة وعادات وأخلاق ونظم وتقاليد أسبانية تشاهد فى كل مكان أى أن البلاد كلها ما زالت متأثرة بألوان الحياة الاسبانية

وكان الدافع لفتح الاسبانيين لهذه البلاد الاعتقاد بوجود كنوز كثيرة بها ففكروا فى الاستيلاء على هذه الكنوز الطائلة كما كانوا يتوهمون ثم تبعهم اليها كثير من الشعوب الأخرى لنفس السبب أى للبحث عن الذهب ، أو هربا من اضطهاد دينى أو سياسى

وعاصمة ارجنتينا مدينة كبيرة جدا بها مليون من السكان تمتاز بجمال طبيعى نادر وفى جنوبها شلالات جميلة جدا أروع من شلالات نياجرا . فضلا عن المناظر الطبيعية الخلابة

وقد جرت العادة على تقسيم أمريكا الجنوبية ثلاثة أقسام

١ : أمريكا السوداء أى برازيل

٢ : أمريكا الحمراء أى شيلى

٣ : أمريكا البيضاء أى أرجنتينا

وأهم ما يلاحظ فى أمريكا الجنوبية عموما وعلى الاخص فى ارجنتنيا ميل الناس وحبهم للكرم بل لا أكون مغاليا اذا قلت انهم يعبدون الكرم الذى هو من التقاليد الاسبانية الباقية رغما عن تنوع الاقوام المهاجرة الى هذه البلاد . اذ ان فيها سبعة ملايين من الايطاليين اى اكثر من نصف عدد السكان الذين يبلغون ١٣ مليونا وقد امتزج الايطاليون بالسكان وتشبهوا بهم وقلدوهم وأصبحوا مثلهم .

أما الفرنسيون فقد حافظوا على قوميتهم وروحهم وشخصيتهم ولم يصبحوا « ارجنينيين » مثل الايطاليين .ومثلهم فى ذلك الانجليز .

والفرنسيون والانجليز اصحاب رؤوس أموال وأعمال صناعية وزراعية يتعاونون مع الشعب ماديا ومعنويا ، وقد اظهروا معهم عطفا كريما نحو أسبانيا فى محنتها الحاضرة .

ولارجنتينا شخصية قوية استطيع ان اقول انها اقوى من شخصية الولايات المتحدة والارجنتينى يعتمد بنفسه وبشخصيته ، مبدأه العمل على التقدم والنجاح ولاسيما النجاح المادى . وهناك قصة شعبية فى كتاب « مارتينى فيورو » يقرأها كل الشبان والشابات لأنها تبين طريقة الكفاح اللازمة للشباب للوصول الى النجاح ، فى قالب قصصى سهل. ومن اخلاق بطل القصة انه يشعر دائما بالسعادة حتى ولو فشل ، ولا ييأس مطلقا ، بل يستعد لكفاح اقوى ويوحى لنفسه انه سينجح المرة بعد المرة

وللشعب فلسفة خاصة مستمدة من فلسفة ونظريات برجسون : الفليسوف الفرنسى المعروف على حين ان سكان امريكا الشمالية اى الطبقة المثقفة تميل دائما الى الفرنسى ايضا ديكارت وتمتدح اراءه ونظرياته .

للشاب الارجنتنى ذكاء نادر لا ينافسه فيه اى شاب فى اى قطر فى العالم ، ذكاء فطرى يغبط عليه وقدرة على الدراسة والالمام بدراسات متنوعة لا ارتباط بينها . فقد يكون الشاب محاميا بارعا وطبيبا ماهرا ومهندسا وموسيقيا يمارس هذه المهن كلها فى وقت واحد . تسألنى كيف يتمكن من ذلك ؟ اقول هذا سر لا أفهمه . وله ولع شديد بلعبة الجولف . وهو يجرى وراء الكرة بنفسه لا يستعين بصبى لذلك والشعب على العموم يحب الثقافة والاطلاع على كل جديد فى اى ناحية من نواحى النشاط العقلى حتى ان الكاتب المشهور بول دوران يلقبهم الاوائل فى العالم من وجهة الثقافة وقد كان الاقبال على المحاضرات التى القيتها فى الجامعة عظيما جدا ذكرنى بمصر وكيف كانت قاعة المحاضرات بالجمعية الجغرافية تزخر بالجمهور المتهافت لسماع المحاضرات فى الادب والثقافة الفرنسية .

وهناك مجلتان للادب تمتازان بكثرة ما فيهما من مواد وابحاث ، وهناك ايضا مجلات وصحف للسياسة التى يحب الشعب الخوض فى ميدانها وابداء الاراء فيها بحرية مطلقة .

وللموسيقا المكان الممتاز فى قلوبهم ولهم بها ولع غريب ويكاد كل شخص يجيد العزف على آلة موسيقية ، ولقد سمعت هذه الموسيقا مرارا وطربت من عذوبتها وسحرها ولن استطيع ان انساها ؟

امين غالى

الحلويات الشهية



اماني الطفولة

عشرون سنة من التطور الاجتماعى فى الهند

منذ الحرب الكبرى أو عقب الصلح بقليل شرعت الهند تحس رجة اجتماعية تزعزع تقاليدها وتكشف عن منابع قوتها وتستغل فتوة أبنائها . وقد تولى زعامتها غاندى فاتى صعابا ما زال الى الآن يمهد بعضها ويكافح بعضها الآخر

ومسائل الهند التى ما زالت قائمة يمكن أن تنحصر فى أربع وهى :

١ — مسألة الاستقلال السياسى

٢ -- مسألة المنبوذين

٣ — مسألة المرأة

٤ — مسألة الخلاف بين المسلمين والهندوكيين

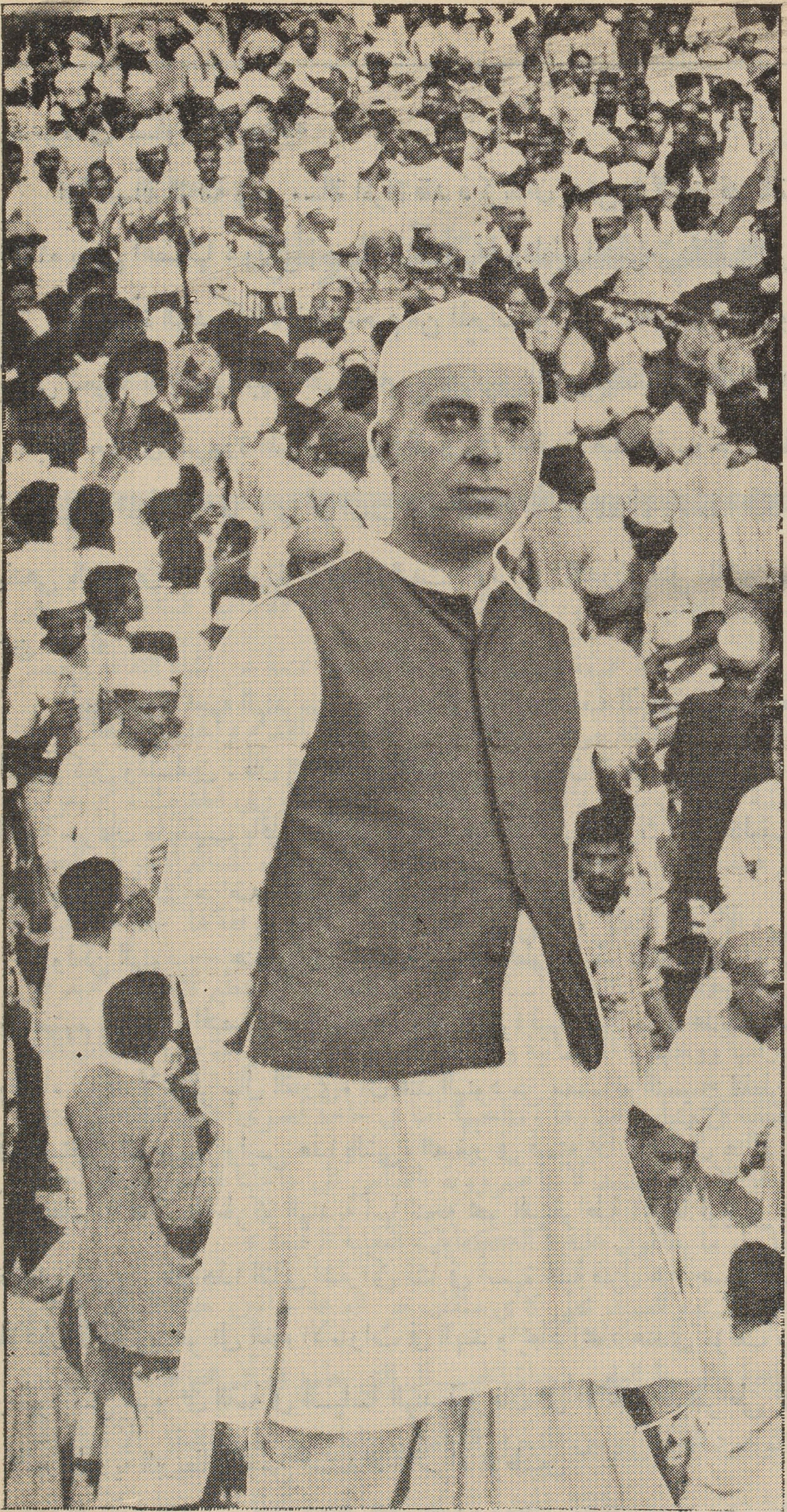
ولا يمكن أن يقال أن الهنود قد نالوا الاستقلال الذى نشدوه منذ الحرب الكبرى . ولكنهم استطاعوا أن يحققوا قسما كبيرا منه ، فان فى الهند الآن حكومات تتمتع بدساتير محترمة وان كانت السلطة جميعها ليست فى أيدى الهنود . ولكن فى حدود السلطة الممنوحة لهم يمكنهم أن يقوموا باصلاحات مختلفة فى التعليم والصحة ومكافحة الفاقة والرذائل . وقد رأينا كيف أن بعض الولايات قد كافح الخمور والغى صنعها وبيعها والاتجار بها عامة . وكيف أن بعضها الاخر قد عين بعض النساء وزيرات

وهذه الولايات التى تتمتع بالدساتير هى الولايات التى كان الانجليز يحكمونها مباشرة وهى احدى عشرة ولاية بدون راجوات أو مهراجات . أما الولايات الأخرى التى يحكمها هؤلاء فلاتزال محرومة من الدساتير . ويسعى الوطنيون من الهنود الى ايجاد حكومة اتحادية عامة للهند تدخل فيها الولايات التى يتولى الحكم فيها الراجوات والمهراجات

ولكن هذا لن يتحقق الا بعد مصاعب كبيرة. فان المهراجا أو الراجا هو حاكم مستبد ورضاؤه بالدستور سيكون بمثابة النزول عن استبداده ولم تكن الحكومة الانجليزية تتدخل فى شؤونه إلا بمقدار صغير لاينازعه فى سلطته الداخلية على رعاياه. ولكن الدستور سيقيده. ومن هنا المقاومة التى يلقاها الهنود الوطنيون من الراجوات والمهراجات. وأمنية «الولايات المتحدة الهندية» لاتزال لهذا السبب بعيدة التحقيق

وقد نص قانون ١٩٣٥ الذى أصدرته الحكومة البريطانية الامبراطورية على ايجاد حكومة اتحادية تؤلف من نواب الولايات الاحدى عشرة والولايات المستقلة. ولكن امراء هذه الولايات قد رفضوا الى الان اعلان الدستور وتأسيس برلمانات فى ولاياتهم فاذا الف برلمان اتحادى لجميع الهند وكان فيه نواب هذه الولايات المستقله فانهم سيكونون آلات مسيرة من امرائهم بل آلات رجعية لاستبقاء امتيازات هؤلاء الامراء الذين يستهلكون معظم موارد رعاياهم فى أغراضهم الشخصية. ولهذا السبب رفض الوطنيون هذا الاتحاد — مع رغبتهم فى وجوده — من قبل أن يعلن هؤلاء الراجوات والمهراجات الدستور وقبل أن يؤلف كل منهم برلماناً مسئولا يقضى على استبداده

أما مسألة المنبوذين فقد نجح غاندى نجاحاً عظيما فى تحطيم السياج الذى كان يحبسهم ويضيق عليهم. ولكن التحطيم لايزال معنويا اكثر منه ماديا. فان الولايات أو المدن أو الاقاليم التى قبلت أعتبار المنبوذ آدمياً ليست به نجاسة ويمكن الاختلاط به قليلة. ولكن المبدأ كسر والعقيدة تحطمت فلم يبق سوى التنفيذ. وليس تحطيم التقاليد مما يتيسر بالوثوب والطفرة إلا اذا كان على أيدى رجال الحرب الذين ينفذون أوامرهم بالسيف. ولكن الحركة الهندية بعيدة عن العنف. وهى تترضى ولا تتحدى. والجيل القديم الذى نشأ على استقذار المنبوذ لايزال على قيد الحياة. ورجاله لا يقتنعون بالمبادىء الغاندية الجديدة ولكن الجيل الجديد الذى نشأ على الجمع بين نشدان الاستقلال السياسى وبين النهضة الاجتماعية قد أدرك أن مكافحة التقاليد الهندوكية السيئة يجب ألا يقل المجهود الذى يبذل فيه عن المجهود الذى يبذل فى اخراج الانجليز من الهند. وقد أسست المدارس للمنبوذين وسمحت بعض المعابد بدخولهم فيها واستنار الرأى العام الهندى فى هذا الشأن بدعاية دامت عشرين سنة فى المجلة الاسبوعية التى يخرجها غاندى وسائر المطبوعات التى تؤلف فى هذا الموضوع



الزعيم
جوهر لال نهرو

للدعوة الى المساواة الاجتماعية

أما المسألة الثالثة وهى مسألة المرأة فقد ذكرنا أن بعض الولايات قد تألفت فيها وزارات كانت النساء بعض أعضائها ، ولكن يجب الا يؤخذ هذا المظهر المسرحى دلالة على الرقى النسائى العام فى الهند فان المرأة الهندوكية لاتزال تحرم من الميراث ولايجوز للارمله أن تتزوج بل لا يجوز لها أن ترخى شعرها اذ يجب عليها أن تحلقه . والمدارس الخاصة بالفتيات قليلة جدا فالضمير الهندوكى لم يستيقظ بعد الى ضرورة المساواة بين الجنسين فى الحقوق البدائية . وحركة غاندى هنا لا تعد باعثا قويا لنهضة المرأة بل هو يرى أن البيت هو المكان الأول للمرأة . وهذا الكلام بالطبع حسن ولكنه ينتهى بالرجعيين الى ابقاء المرأة قعيدة للبيت . ومرض التدرن يقتل الملايين من نساء الهند لحبسهن عن الحركة

وأعظم ما تواجهه الهند من المشاكل ولم تنجح فيه النهضة الحديثة هو الخلاف القائم بين الهندوكيين والمسلمين . فان الزعماء من الطائفتين ينشدون الوفاق ويعملون له . ولكن الخلاف بين العامة سرعان ما يلتهب بأقل احتكاك وكل مصادمة تحدث تترك آثارا كالعقابيل للمرض يثور ثم يهدأ ولكنه يترك أعراضه وأوجاعه التى تثير الذكريات السيئة

ولكن الهنود — هندوكيين ومسلمين — قد تطوروا مع ذلك فى العشرين من السنين الماضيـة . ونهضتهم سياسية واقتصادية واجتماعية . وقد حققوا فيها اصلاحات عديدة تتسم جميعها بسمة الثبات والبقاء . وقد لايخطر ببال القارىء أن عند الهنود من مصانع النسيج للقطن ما سوف يكفى الهنود فى المستقبل القريب . وليس هذا بالشىء الصغير فى قيمته اذا عرفنا أن هناك ٣٨٠ مليون هندى. على أن أعظم ما تمتاز به الحركة الهندية أنها تتجه نحو الديمقراطية اتجاهاً قويا بل قويا جداً بفضل الزعماء غاندى ونهرو . فان هذا الثانى اشتراكى نشأ فى أسرة غنية فنزل عن جميع ممتلكاته . وهو لا يؤمن بالاديان قاطبة ويدعو الى الغاء الامارات فى الهند وايجاد اتحاد هندى مؤلف من جمهوريات مستقلة . وظهور مثل نهرو على القمة فى السياسة الهندية برهان على الاتجاه الديمقراطى على الرغم من المبادىء لامبراطورية البريطانية ومن استبداد الامراء الوطنيين

وحى « مستقبل الثقافة في مصر »

العقلية المصرية والثقافة اليونانية

للاستاذ حليم مترى

أخرج الاستاذ الكبير المحقق الدكتور طه بك حسين عميد كلية الآداب كتابه الاخير عن «مستقبل الثقافة فى مصر» وهو دراسة عميقة مفصلة أو دراسة جامعية ممتعة عن نشأة الثقافة فى مصر القديمة ومصر الاسلامية ومصر الحديثة يعرض فيه للعقل المصرى القديم والحديث وعلاقة هذا العقل بالحياة العقلية اليونانية القديمة ومدى تأثير هذه الحياة فى العقل الاوربى الحديث . ثم يعرض فيه لمرحلة التعليم فى مصر فيبدأ بالتعليم الاولى وينتهى بالجامعى ويتناول هذه المسألة المعنوية بالبحث والتحليل فى الهدوء العلمى والاتزان المنطقى وينتهى من هذا كله الى نتائج موفقة لها خطرها وقيمتها ثم يعرض للانتاج العقلى والترجمة وقلة المثقفين وأسباب ذلك ثم التعاون على تنظيم الثقافة . ثم يعرض ايضا للثقافة المصرية ومميزاتها ووجهتيها الانسانية والقومية . ويبدو لى من قراءة هذا الكتاب الذى هو عرض علمى لحياتنا العقلية فى متباين صورها ومناحيها اننا فى حاجة قصوى دون شك الى درس هذه الموضوعات التى أثارها الاستاذ العميد لانها ضرورية بالقياس الى حاجتنا العقلية بل هى خصبة منتجة لمظاهر نشاطنا العقلى او ما يطلقون عليه « الكفايات العقلية الرفيعة »

ولقد يخيل الى ان الدكتور العميد يحى كأى مثقف حر النزعة حياتين حياة الواقع بما فيها من مؤثرات البيئة الأجتماعية والوسط العلمى وحياة الخيال التى يطمع فى أن يحياها . والفرق بين الحياتين هو الفرق بين الموجود الناقص وبين المتخيل الكامل . ولعل من طبيعة العقل الأنسانى أن يتم بخياله ما يراه ناقصا فيما يتصوره من حقائق المجتمع . ونحن مهما قيدنا العقل — وما اكثر ما نقيد

العقل — ومنعناه من التفكير فيما يحب ويطمع بل فيما يرجوويأمل فأنه ينصرف عنا احياناً حتى اننا لنحلم فى يقظتنا . بل قد ينساب هذا العقل الى طائفة غير قليلة من الخواطر التى تهىء لنا الواناً من التفكير عديدة بل هى قد تدعونا الى شىء من الجهاد الفكرى إن كثر أو قل ففيه ما فيه من اسباب الراحة الذهنية التى تعقب ذلك الجهاد . تلك الراحة التى هى صنو الحرية . . وهكذا دائما يفر الرجل المثقف من الجو الذى يعيش فيه والذى يتبين منه النقص والتشويه والأختلال الى داخل نفسه أو ذهنه ليستعيض من الواقع أملا و من الحقيقة حلماً .

ولقد تهيأ الدكتور العميد على أن يجلو كل ما ينصرف اليه عقله الجبار من تفكير عميق بشأن نهضتنا الفكرية . شأنه فى ذلك شأن العالم الفيلسوف الذى يعمد الى الكفاح فى سبيل تحقيق فكرة له خاصة تقوم على مافى ذهنه من هموم وما يختمر فى عقله من آراء . و كتاب مستقبل الثقافة فى مصر يدل دلالة واضحة على ان العقل العلمى لا تروقه العواطف التى تنتهى الى المبالغة لأن صاحبه يؤمن بالعلم وبالثقافة العلميـــة بل هو مشغوف بهذه الثقافة التى يدرس على ضوءها اتجاهات الآدب الحديثة كما ان طابعه الأدبى لا يخلو من ذلك الاحساس الروحى الذى يلازم العالم عن تطلبه المثل الاعلى ويقابل هذا الاحساس فى نفسه النظرة الفنية والفلسفية . والنظرتان تفترضان الخروج من الحيز النفسى الضيق الى دائرة المجتمع لنقده وتبيان حقائقه بل أن هاتين النظرتين تفترضان دقة القياس والحكم وتحملاننا إطالة النظر بشأن النقائض الكثيرة فى معرض الفكر والشعور . ومن الموضوعات التى ينبغى على المثقف المصرى إستيعابها موضوع العقلية المصرية وموقفها من الحضارات التى عرفها وادى النيل . وقبل ان نبدأ بهذا البحث ينبغى ان نعرف شيئاً عن أصل المصريين من وجهة السلالة . فالذى يحدده العلم أن السلالة هى « مجموع أوصاف جسدية توجد معاً ومشتركة بين الافراد فى جمهور من الناس وتنتقل بالوراثة » وقد اكتسبت السلائل البشرية مميزاتها بتأثيرات البيئة والعوامل الطبيعية . ولقد اختلفت روايات المؤرخين بشأن المصريين وأصلهم . ففريق يقول أن اصلهم إفريقى أو نوبى وفريق يقول أن المصريين من أصل سامى وان أهل مصر الحديثة عرب . ومهما يكن من شىء فحقيقة أمر المصريين أنهم بعد أن نزلوا بوادى النيل طبعوا بطابع بيئته المحلية الخاصة به والتى تغلبت عليهم كما تغلبت على الاعراب الذين نزلوا بمصر ولاتزال كذلك الى يومنا هذا .

نعم لقد كانت قواعد العلم بأمر القومية المصرية من مبدأ الأمر يعرض لها علماء اللغات والآثار ولم تدخل فى طور العلم التجريبى الا على أيدى المشرحين من علماء الطب الذين درسوها بطرقهم واساليبهم العلمية المستحدثة. فمن الثابت أن هنالك تأثيرات معنوية على النسل بحكم العوامل الطبيعية واحوال البيئة وهذا ما يقرره علماء الاجتماع كما قد يأخذ به علماء الآثار. وانما المشرحون وفى طليعتهم الدكاترة اليوت سميث ومحمد شرف وشوشة وغيرهم من الذين عنوا بتحديد النشأة السلالية لقدماء المصريين ينتهون الى هذا التحديد عن طريق وحدة الدم والمقارنات العضوية والشكلية الخاصة بالرأس ولون البشرة والشعر.

فالدم يحمل جميع الخواص التى تكون الوراثة ومن شأن هذه الخواص الأحتفاظ بالنوع أو الوحدة فى أثناء عملية التطور. والأحتفاظ بالنوع أو الوحدة هو الذى يربط بين الماضى والحاضر. والاشعاع التشريحى عن طريق اختبار الدم قد أثبت حقيقة علمية جازمة هى قدرة الحياة على التطور والتقدير والانتقال من كائن الى آخر كما ان فى « البروتوبلازمة » المادة الحية شيئاً من « بقاء الطابع » ينتهى بالحياة الى حدود معينة واتجاه واحد. ومن التجارب التحليلية للدم والمقارنات العضوية والفروق الشكلية اتضح للعلماء المشرحين انه ليس هنالك تفاوت فى التكوين بين سكان وادى النيل مما يؤيد وجود سلالتين. كما انه ليست هناك فروق جوهرية فى مقاييس رؤوس المصريين قبل التاريخ وسكان الصعيد الآن مع اعتبار الغزو الأغريقى والرومانى والفارسى والعربى والتركى. فالتجانس القائم بين سكان مصر الآن هو نفسه ما كان لهم منذ ٧٠٠٠ عام واذكر ان الدكتور محمد شرف قال مرة فى محاضرة له « وفى الفيوم ينبغى ان نلاحظ ان الدليل الأنفى لم يتأثر بالقنا وهو طول الانف وارتفاعه مع دقة عظامه وأرنبته. وهذا القنا من اوصاف الأغريق وكان لا بد من ظهور اثره فى اهل الفيوم لو اختلط الاغريق بهم. فقد كانت الفيوم ملكاً لجند الأغريق سنينا ولكنا نرى العكس. فالدليل الانفى فى الفيوم ليس أعلى منه فى بلاد الساحل » ويستخلص من ذلك انه مهما كان أثر المستعمرين من الاغريق فى هذه الجهة فأنه قد زال وان الشكل الأصلى قد عاد فأكد وجوده. ويقول ايضا. « قالوا ان اكثر اهل الدقهلية والشرقية والقليوبية من العرب ولكن ابحاث الدم والعظام تنفى إختلاطا كبيراً بالعرب فى هذه الجهات لدرجة تؤثر فى صور الناس ودمائهم » ولقد

عمل المصريون منذ القدم فى الزراعة وبعض الصناعات الاخرى والشعب المصرى كانت اكثريته من العمال الذين لا يتماسكون الارض أو يتقلدون الاحكام بخلاف الفاتحين المتغلبين . فكانت الاملاك فى ايديهم والادارة ودفة الاحكام وقدرة العمال على التناسل وسرعة اللقاح كثيرة جدا اذ أن نسبة اللقاح فى نساء الطبقات الغنية الى نسبتها فى الطبقة الفقيرة هى ١ فى المائة الى ٩—١٢ فى المائة ولابد ان يكون لهذا التفاوت العظيم فى الخصوبة وسرعة اللقاح شأن فى بقاء المصريين الاصليين بهذه الكثرة بالرغم من تكرار تداول الاجانب عليهم من هكسوس واغريق وفرس وعرب وترك . ومما يشير اليه هؤلاء العمال ايضا ان بين أهل مصر الحديثة ومصر القديمة تشابها عظيما فى العادات والاخلاق بالرغم من تغير اللسان ويمكن القول اننا نرى فى مصر الآن الحياة القديمة فى سائر مظاهرها من عادات واخلاق قومية ودينية كما ان مصر كانت على مدى الدهور تشاطر سواحل البحر الابيض المتوسط حظها من الرقى العقلى أو الاضمحلال كما كانت تتأثر لحد معين بأحوال العمران بوجه عام · والحضارة فى مصر كانت تسير دائما من الشمال الى الجنوب واللسان الهيروغليفى نشأ فى شمال الدلتا ثم عرف بعد ذلك فى الصعيد . وأما عن العرب فقد عرف عنهم الاهتمام بالانساب والذود عن العصبية القومية وهم الى اليوم يعتبرون الفلاحين غير اكفاء لهم فى النسب ويقولون لا تكافى العربى غير العربية بل هم قد يعتبرون بعض قبائلهم غير متكافئة بعضها مع البعض

فالزواج على هذا الاساس بين الفلاح والعربى أمر غير مشاع أو عادى بل هو غير معروف. وقد نجد لهذا السبب ان الاعراب النازلين بمصر يحتفظون بوحدتهم واستقلالهم كجماعة خاصة فهم يعيشون على البداوة التى نشأوا عليها وان كان البعض منهم قد عرف الفلاحة وامتلاك الأرض . ويقول التاريخ أن مصر قد تعربت مرتين الأولى عندما فتحها الهكسوس ولقد كان عددهم كبيراً ولذلك أمكنهم أن يتغلبوا على أمة بأسرها مهما قيل عن حالتها السياسية والأجتماعية يومئذ من حيث الضعف والأضطراب . ولقد حكم الهكسوس مصر من سنة ٢٠٩٨ الى ١٥٨٧ .ق.م اى حوالى الخمسة قرون تناسلوا فيها عشرين جيلا ومن الثابت تاريخياً انهم طردوا فى آخر الأمر طرداً تاماً كقوم منفصلين تماماً عن المصريين . والثانية عند الفتح الاسلامى . ولقد ذكر المقريزى أن كثيراً من القبائل التى نزلت بأرض مصر انتشرت فى انحائها كما قد هاجر اكثرها الى شمال افريقية والسودان عندما وجدوا

تلك الأقاليم اكثرملائمة لحياتهم البدوية. ويقول الاستاذ « سليجمان » فى بحثه الكبير عن مميزات وتوزيع الأجناس البشرية « أن غزو العرب لمصر فى الفترة بين عامى ٦٣٩ ، ٦٤١ مع ماله من أثر ثقافى لم يكن له التأثير السلالى » على أهل وادى النيل بالمعنى العلمى المعروف وذلك لقلة عدد المهاجرين من العرب . لقد كان هذا اكبر غزو فى القرن الحادى عشر ولاسيما عند هجرة قبائل من هلال والقبائل المشتركة فى الدم والطبائع والعادات . وتلك القبائل هى التى أقامت الأسلام فى شمال إفريقية ولقد كان فى إفريقية كما فى أى جهات أخرى أسلامية العصبية الدينية التى تفضل الاصل والسلالة . وإن مجرد كلمة « عرب » تعنى اى شعب يعتنق الاسلام مهما قيل عن أصله وسلالته . فقد كان يجرى فى عروق سكان شمال إفريقية دماء بربرية ودماء امم اجنبية أخرى وهذا قد لايدعونا الى انكار تأثير الثقافة الاسلامية بحكم التوطن وانتشار اللغة وغير ذلك من العوامل ولأننا لانرى دليلا على « طبع » هذه الامم نفسها بالعقلية العربية البدوية أو بمعنى آخر على قيام سلالة عربية جديدة لها الخصائص العقلية أو النفسية التى للعرب . ويكفى ان يكون للعرب الأصايين سلالتهم المستقلة بل ثقافتهم القومية التى يباهون بانتشارها فى الممالك التى استطاعوا أن يظفروا بفتحها » وقد نستطيع الآن أذن أن نجزم بأنه لايوجد دليل قوى يؤيده العلم أو التاريخ عن الأختلاط فى السلالة المصرية بل ان العلم يؤيد استقلال السلالة المصرية منذ القدم وعدم اختلاطها بسلالات أخرى فالمشابهة والمجانسة تجدها متوافرة فى جمهور الشعب المصرى والمميزات التى تبين شعباً أو سلالة هى الفروق الشكلية واهمها الجماجم والشعر ولون البشرة وعظام الأنف والفك ومحجر العين . فأذا اخذنا ايضاً بأختبار الدم والوصول الى وحدته بين المصريين لجزمنا دون شك بسلالتهم المستقلة « ويقول الدكتور اليوت سميث » اذا كان العلم الحديث بأحوال البشر قد اثبت حقيقة فهى التأكدمن أن المصريين البداريين كانوا متصلين بأوثق الروابط الشعبية والسلالية مع سكان حوض البحر المتوسط فى العصر الحجرى. وكان المصريون اول هذه الأقوام المتناسبة للتخلص من قيود المدنيـة الحجرية وللنهوض والتقدم . ووحدة أصل هؤلاء الأقوام أمر مقطوع به الآن والبينات الاثرية التى اتخذت من قبل للقول باشتقاق المصريين ومدنيتهم من آسيا قد تداعت امام البحث العلمى والنقد الحديث . والنتائج التى نستدل عليها من سياق هذا البحث هى النتائج التى خرج بها الاساتذه العلماء امثال اليوت سميث

ومحمد شرف وغيرهم. ومنها وجود التجانس بين أفراد الشعب المصرى وعدم قيام ادلة على الأختلاط السلالى وانتفاء وجود اى صلة بين المصريين وبين سكان آسيا أو زنوج افريقيـة وانتساب الشعب المصرى الى ذلك الشعب الذى وجـد فى حوض البحر المتوسط قديماً وهـذا التعين نفسه مايؤيده الاستاذ العميد بقوله « فاذا أردنا ان نلتمس المؤثر الاساسى فى تكوين الحضارة المصرية وفى تكوين العقل المصرى واذا لم يكن بد من اعتبار البيئة فى تقدير هـذا المؤثر فمن اللغو والسخف ان نفـكر فى الشرق الأقصى أو فى الشرق البعيـــد ومن الحق ان نفـكر فى البحر الأبيض المتوسط وفى الظروف التى أحاطت به . وفى الأمم التى عاشت حوله وإذن فالعقل المصرى القـديم ليس عقلا شرقيا اذا فهم من الشرق الصين واليابان والهند ومايتصل بها من الأقطار . قد نشأ هـــذا العقل المصرى فى مصر بالظروف متأثرا الطبيعية والأنسانية التى احاطت بمصر وعملت ثم نما وربا وأثر فى غير الشعب المصرى من الشعوب المجاورة وتأثر بهـا وكان من أشـد الشعوب تأثرا بهذا العقل المصرى أولا وتأثيرا فيه بعد ذلك العقل اليونانى . فاذا لم يكن بد من أن نلتمس أسرة للعقل المصرى نقره فيها . فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول بحر الروم وقد كان العقل المصرى اكبر العقول التى نشأت فى هذه الرقعة من الأرض سنا وأبلغها أثرا » ويجمع المؤرخون على أن الحضارة المصرية القديمة هى الاصل الذى قامت عليه مختلف الحضـارات القديمه .وليس ينكر أحد المكانة العليا التى بلغها المصريون فى تحصيل المعارف والعلوم والفنون والمصريون القـدماء لم يبزوا العالم بذكاء نادر خارق وانما الطبيعة نفسها قد حبتهم بالنيل العظيم الذى علمهم بفيضانه السنوى الرى وزراعة الأرض ولقد جازوا الزراعة الى الصناعة فعرفوا صناعة المعـادن والذهب بوجه خاص . ولقد كانوا فى سبيل الذهب والبحث عنه يسافرون الى الاقطار المتاخمة لبلادهم والبعيدة فيحملون معهم علومهم عن الزراعة والبناء والتحنيط كما كانوا ينشرون فى هذه البلاد معتقداتهم الدينية. وكان المصريون يرحلون الى الجزر الاغريقية للاتجار وجلب الكثيرين من أبناء هذه البلاد لكى يعملوا فى الجيش. ولقد أخذ الاغريق عن المصريين القدماء كثيرا من ثقافتهم الدينية والعلمية . فالمصريون مثلا هم أول من عرف الكيمياء وعرفها عنهم الأغريق فالعرب . وكان الاغريق يبحثون هذه الثقافات ويتناولون منها ما يلائمهم .فقد بحث الاغريق فلسفة المصريين عن « الالهيات » ولقد حضر « صالون » المشروع

الاغريقى الى مصر ليأخذ عنها القوانين والاوضاع الاجتماعية لتطبيقها فى اثينا . وقد يلوح لى أن « الكفايات العقلية » التى اشترك فيها المصريون والاغريق هى الاصول التى قامت عليها أوضاع حياتهم العقلية الاجتماعية المتقاربة . ونعنى بالأشتراك ظهور نتائج هذه الكفايات فى حياة الأمتين من الوجهتين الاجتماعية والعلمية . وتلك الكفايات خاصة بالاعتقاد والتفكير والأثبات فمن هذه الكفايات العقلية تنشأ العلوم والفلسفة . فكفاية الاعتقاد تتعلق بالدين وفروضه . والنظرة الدينية عند قدماء المصريين محددة بأوضاع مجزومة فلهم ايمان مستقل بالحياة الثانية والبعث . بينما ينظر الأغريق الى الدين نظرة البحث والتفقة والاستنتاج وانما ينتهون الى وضع خاص من اوضاع الأعتقاد ولقد مهد الأغريق للفلسفة المسيحية كثيراً . فالأخلاقيات فى التعاليم المسيحية اساسها الأغريق بل ان مذهب خلود الروح يعزى الى الأغريق وليس الى اليهود ولقد اعتبر «الآله» فى نظر اليهود « الشخصية التاريخية العظمى » التى تهىء الحظوظ للشعب المختار والتى تطلب منه التبعية والتضحية واعتبر فى نظر الأغريق الفلاسفة برهان ماوراء الطبيعة واعتبر فى نظر افلاطون نفسه القوة التى تحرك نفسها أو الروح الذى يهيمن على النظام العالمى . واعتبر فى نظر أريسطو « المظهر الذى يوضح ويبين المادة » والاساس بوجه عام ان الأنسان كائن معتقد كما هو كائن اجتماعى والاعتقاد هو الخطوة الأولى للدين . أما كفاية التأمل فهى منشأ التفكير فى الأنسان عندما يأخذه الشك بصدد رأى كان يأخذ به أو معتقد كان يعتقده . وهذا التأمل ينتهى الى الاستنتاج العقلى كما قد ينتهى الى القياس المنطقى عندما لايتلائم معتقد الانسان واستنتاجه أو عندما لايتفق المعتقد الدينى مع الرأى الفلسفى . أما كفاية الأثبات فهى نزعة فطرية من نزعات العقل اساسها توجيه العقل الى الأختبار أو الأمتحان . وهذا التوجيه الى الأختبار هو الهدف الذى يتجه اليه الاسلوب العلمى ولقد بز الأغريق المصريين فى هذه الكفاية . فقد كان اريسطو صاحب اكبر عقل علمى شغل العالم فى العصور القديمة والعصور الوسطى ولم يزل يشغلها الى اليوم فهو الذى وضع علم الحيوان وعلم الحياة وعلم الأخلاق ومبادىء علم التشريح ومبادىء المنطق الاستنتاجى ذلك المنطق الذى قاد فلاسفة العصر الحديث لأن يحددوا فيما بعد المنطق الأستقرائى الذى فرضه فرنسيس باكون على العقل العلمى والذى يقوم على الأختبار وتقديم النوع وان تتكون الآراء على الاسس العلمية دون سواها .

فمن وجهة الاعتقاد نرى المصريين لهم آلهة تختلف باختلاف القرى والمدن فلم يكن للشعب إله واحد يتوجه اليه بالعبادة وإن كانوا يرمزون الى هذه الآلهة باله واحد هو « را » اى الشمس مبعث النور والحياة . أما الأغريق فقد كانت لهم نزعة علمية خالصة . لم يؤمنوا باله واحد بل بآلهة ذات صفات انسانية مختلفة وهى آلهة عاجزة لأنها قد تقدر وقد لاتقدر على تحقيق اغراضها . والمعنى العلمى الذى يجب ان نحصل عليه من هذا ان المصريين القدماء كانت لهم عقيدة مجردة حرفية واما الأغريق فقد كان لهم رأى . فهم اول من انشأوا النظريات العلمية وقرروا النتائج الفلسفية وتركوا المذهب والتسليم . ولقد قامت على غرارهم مذاهب الشك التى تزعمها « ديكارت » عندما اتخذ من العقل علة الحقيقة والعلم فكان متمما بذلك لأفلاطون، والآراء الأرتيابية التى دفعها الى العقل «مونتانى» ولقد كان ديكارت عنوانا لطور من اطوار الحياة الانسانية التى تؤرخ قيام مذهبه منذ ثلاثة قرون كما كان ارسطو عنوانا للحياة العلمية الخالصة من شوائب التصوف فى حياة الاغريق ولقد قيل ايضا ان العلوم الرياضية والطب والسياسة والتاريخ وعلوم اللغة وكافة فروع الفلسفة والطبيعيات والمنطق والاخلاق وعلم النفس والفنون والآداب اصولها ثابتة فى الحضارة اليونانية . ويقول الاستاذ فيشر ان احرف الهجاء والمدرسة وفن التعليم . هى الفاظ اغريقية وهذه الألفاظ تعود بذاكرتنا الى النظريات التعليمية التى ابتدعها افلاطون وارسطو ويقول كذلك أن « هيكتياس » اول من عرف التاريخ والجغرافية واخترع « فيثاجورس » نظرية الاعداد . واكتشف «ديموقريطيس» نظرية الذرات والف اريسطو « علم الحيوان » وكتب « ثيوفراسطى عن النبات » «وكتب » أرخميدس، عن علم قوة حركات الأجسام والميكانيكا . وكتب الأغريق عن النجوم والكواكب . ولم تكن هذه المعارف والعلوم قاصرة على جزر الأغريق بل المعروف ان الحضارة الهيلينية التى نشأت من اندماج الجنس الآري بالعناصر الأولى المكونة من عنصر البحر الابيض المتوسط قد شملت الولايات التى استعمرها اليونانى ووجد فيها الفلاسفة والمفكرون عقلية لا تختلف عن العقلية اليونانية ، فى شىء كمصر وآسيا الصغرى وايطاليا وغيرها . فالكفايات العقلية للأغريق هى نفس الكفايات العقلية للمصريين مع تقدير التباين فى النتائج المترتبة على التوجيه التفكيرى لكل منها ولهذا يقول بعض المؤرخين أن الأغريق هم اول رواد للفكر الانسانى وأن اخلاقهم كانت مثالية ونزعاتهم انسانية ولما كانت الحرية الفكرية

أظهر طابع للعقلية اليونانية فيمكن أن نستنتج من هذا ان الاغريق عرفوا الطريق القويم فى التفكير الذى لم تؤثر عليه « الميثولوجية » — وهذا ما قد لا يتفق مع آراء المصريين بشأن العقيدة الدينية أو التفكير الفلسفى بوجه عام . فالأختلاف هنا فى المنحى التفكيرى. كان يقال ان افلاطون تحدث فى «جمهوريته» عن نظام الحكم بنزاهة وصراحة بينما الكهنة أو الملوك الذين وجدوا فى مصر القديمة كانوا يتقيدون فى نظريتهم بالكثير من التقاليد والاوضاع وأن شذ عن هذا الوضع «اخناتون» الذى عرف الله والتوحيد — والتكافؤ فى العقلية المصرية والعقلية الاغريقية قد ادى الى التبادل الثقافى فى اجيال مختلفة من حياة الاميين . ويقول الاستاذ العميد فى كتابه عن هذه الناحية ما يأتى :

« كان العقل المصرى إذن الى ايام الاسكندر مؤثرا فى العقل اليونانى متأثراً به مشاركا له فى كثير من خصائله إن لم يكن مشاركه فى خصاله كلها فلما كان فتح الاسكندر للبلاد الشرقية واستقرار حلفائه فى هذه البلاد اشتد اتصال الشرق بحضارة اليونان واشتد اتصال مصر بهذه الحضارة بنوع خاص واصبحت مصر دولة يونانية أو كاليونانية واصبحت الاسكندرية عاصمة من عواصم اليونان الكبرى فى الارض ومصدراً من مصادر الثقافة اليونانية للعالم القديم بل اعظم مصدر لهذه الثقافة فى ذلك الوقت . ومن المحقق ان الثقافة اليونانية على لختلاف فروعها والوانها قد لجأت الى مصر فوجدت فيها ملجأ اميناً وحصنا حصينا وظفرت فيها من النمو والانتشار بما لم تظفر بمثله حين كانت مستقرة فى اثينا أو فى غيرها من المدنية اليونانية الاوربية أو الآسيوية . ومن الاطالة فى غير نفع ولا غناء ان نتحدث عن الفلسفة الاسكندرية التى نشأت عن هذا الاتصال الشديد المتين بين العقل المصرى والعقل اليونانى والتى كان لها ابعد الاثر وأقواه فيما انتج للأنسانيه من حضارة . ثم خضعت مصر لسلطان الروم فلم يمنعها ذلك من ان تظل ملجأ للثقافة اليونانية طوال العصر الرومانى كما ان خضوع بلاد اليونان نفسها لسلطان الرومان لم يجردها من يونانيتها وانما فرض هذه اليونانية على الرومانيين انفسهم » مما يدعو الى الاثبات ان الثقافة اليونانية كانت المصدر الاكبر للثقافات المعاصرة لها والثقافات التى عرفتها اوروبا فيما بعد

فاوربا قد عرفت الثقافات الفارسية والرومانية والعربية . ووحدة الأصل فى هذه الثقافات . هى الثقافة اليونانية . والعقل اليونانى كان له الناحية العلميـــة المجردة التى قامت بالكشف عن الحقائق

الطبيعية كما كان له الناحية المنطقية التى قامت على النقد والتحليل . نقد الأنظمة الاجتماعيـة وتحليل العقائد السائدة . ولقد نشأ الأدب عندهم والفن على النقد والتحليل واهم ما يلاحظ فى الفنون الأغريقية انها كانت تستبقى حساسيتها وطابعها من النفس الأنسانية بل من ايمان الأغريقى بنفسه وعقله وقوته ولذلك نرى تماثيل الآلهة فى هيئة الانسان القوى الجميل . وكذلك فى الأدب . اذا تناولنـــا « سفوكليس » واخترنا قصته Qutigone رأينا انه يريد تحديد العلاقة القائمة بين الفرد والدولة وفهمنا منه موقف الفرد عندما يتعارض مع واجب الطاعة للدولة . فهو ادب سياسى يقرر النزعة الطبيعية الحرة التى تسير وفق طبيعة الأشياء . والعقل الأغريقى إذن كان يشعر الفرد انه مصدر التفكير والسلطة . والأدب الأغريقى له طابعه « الـكلاسيكى » فى الاداب الأوربية الحديثة . فأقطاب الأدب اللاتين قد اقاموا أنفسهم على غرار الأغريق بل كان الهامهم فى الحيـاة ينبع من معين الآداب الأغريقيـة المعروفة « بالانسانيات » فبغير هوميروس لانظفر « بفرجيل » كما اننـا بغير « فرجيل » لانظفر بدانتى على اننا لانقول ان فرجيل هو صورة تامة لهوميروس أو ان دانتى هو صورة كاملة لفرجيل . ولـكن من المحقق ان فرجيل ودانتى قد قرأ هوميروس وتأثر به . والثابت أن أقوى الاساليب والصور للروح الـكلاسيكى فى الأدب الاغريقى القديم . وعمد هذا الأدب نجدها فى اطـلاقة التى لاتعرف حدوداً والبساطة والاحساس بالجمـال والايجاز . فالجرأة التى نجـدها فى الاساليب الحديثة لأدباء هذا العصر اساسها اغريقى لأنها تقوم على حرية الفكر والشعور وهى الجرأة الفـكرية التى نتمثلها فى ادب أبسن وشو وولز وهكسلى وهاقلوك اليس ولطفى السيد وطه حسين وسلامه موسى والتراث الفكرى للحضارة الهيلينية قد ضعف فى العصر البيزنطى ولـكنه لم يمت . واما مصر وسوريا فقد كانتا متحدتين بالفـكر اليونانى وعندما شرع الفرس فى الحرب مع روما كان من رأيهم ان يعودوا الى بلادهم حاملين الـكثير من ثقافة عدوهم ولقـد قرر الاستاذ استانلى لين بول ما يأتى : لقد كان ملك الفرس « كسرى انوشروان » يكرم النساطرة والهراطقة . عندما كانوا يفدون الى بلاده بعامل الأضطهاد ولقد أقام جامعة عظيمه فى « جند يسابور » حيث كان يدرس فيها الفلسفة والطب ولقد عنى بتعليم الطبقة الدنيا فى شعبه . ولقد كان يرحب برجال العلم ومن بينهم سبعة من اقطاب الأفلاطونية الجديدة كان قد طاردهم « يوستانيوس » وقد جاءوا اليه ليدرسوا الفلسفـة فى

فارس » ولقد اغلق يوستانيوس مدارس الفلسفة فى اثينا وكانت قد اقفرت من التلاميذ وتناقص عدد العلماء فيها وذلك عام ٥٢٩ وانتهت الفلسفة اليونانية على هذا الوضع بعد حياة مجيدة استطالت احد عشر قرناً حفلت فيها بأروع آيات العقل البشرى ولكنها بقيت بما هى فلسفة يونانية تناولتها عقول جديدة فى الشرق والغرب . فاصطنعت منها ما اصطنعت وانكرت ما انكرت وهى فى الجوهر الأصل الذى ينهج نهجه . فكان لأفلاطون بفضل نزعته الروحيه حظ كبير عند المسيحين فى بلاد اليونان والرومان وكان لارسطو مثل هذا الحظ عند السريان نقلوا كتبه الى لغتهم ثم الى العربية ولكنهم نقلوها عن شراح كانوا قد أدخلوا عليها شيئاً من التأويل الشخصى واكبر هؤلاء الشراح « الأفروديس » ويوحنا النحوى وغيرهما وقد نقل السريان ايضاً مختارات من التاسوعات الثلاث الأخيرة واسموها « الهيات » أريسطو ومختارات من كتاب مبادىء الالهيات لأبوقلوس واسموها كتاب العلل وأضافوها الى أريسطو فقبلها الاسلاميون على هذا الاعتبار ماخلا ابن رشد فأنه أظهر أريسطو على حقيقة وبداهم مافيها من صوفية اشرافية تتمة طبيعية للكتب الحكمة الأنسانية . والفلسفة الاسلاميه قدجاءت مزيجاً من الأريسطوطاليه والافلاطونية الجديدة عدا اقتباسات أخرى من سائر المدارس الفلسفية اليونانية بحيث يتعين على الناظر فى الفلسفة اليونانية ان يرجع الى كل هذه الاصول ولما ترجمت الكتب العربية الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر ذاعت دراسة أريسطو فى الغرب وبعثت فيه نهضة فكرية قوية تطورت الى الفلسفة الحديثة . فالسلسلة متصلة الحلقات والفضل الاكثر للفلسفة اليونانية .

ونعود الى الاستاذ العميد فنراه يقول « وجاء الاسلام وانتشر فى أقطار الأرض وتلقته مصر لقاء حسناً وأسرعت اليه اسراعاً شديداً فاتخذته لها ديناً واتخذت لغته العربية لها لغة فهل أخرجها ذلك عن عقليتها الأولى وهل جعلها ذلك أمة شرقية بالمعنى الذى يفهم من هذه الكلمة ؟ كلا لان المسيحية التى ظهرت فى الشرق قد غمرت أوربا واستأثرت بها دون غيرها من الديانات فلم تصبح أوربا شرقية ولم تتغير طبيعة العقل الاوربى واذا كان فلاسفة أوربا وقادة الرأى الحديث فيها يعدون المسيحية عنصراً من عناصر العقل الأوربى فلست أدرى ما الذى يفرق بين المسيحية والاسلام . وكلاهما قد ظهر فى الشرق الجغرافى وكلاهما قد نبع من منبع كريم واحد وهبط به الوحى

من لدن إله واحد يؤمن به الشرقيون والغربيون على السواء . وكيف يستقيم للعقل السليم والرأى المنصف أن يقر الاوربيون الانجيل فلا يرون به بأساً على العقل الاوربى؟ ولا يرون انه ينقل هذا العقل من الغرب الى الشرق . فاذا قرأوا القرآن رأوه شرقيا خالصاً . مع أن القرآن كما يقول فى غير عوج ولا التواء انما جاء متمما ومصدقا لما فى الانجيل ! اذا صح أن المسيحية لم تمسخ العقل الأوربى ولم تخرجه عن غربيته فان الاسلام لم يغير العقل المصرى أو لم يغير عقول الشعوب التى اعتنقته والتى كانت متأثرة بهذا البحر المتوسط . بل يجب أن تذهب الى أبعد من هذا فنقول مطمئنين ان انتشار الاسلام فى الشرق البعيد وفى الشرق الاقصى قد مد سلطان العقل اليونانى وبسطه على بلاد لم يكن قد زارها الا لماماً ولم يستطع أن يستقر فيها استقرارا متصلا الا بعد أن استقر فيها الاسلام

اما ان العقل المصرى قد تغير فهو مالم يؤيده العلم وما لم يتحدث عنه التاريخ بل المعروف ان بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة اتصالا معنويا وثيقاً هو اتصال الدم الذى سبق ان تحدثنا عنه فالذى يجرى فى عروق المصرى القديم يجرى فى عروق المصرى الحديث والبيئة الطبيعية لم تتغير فهل تبدل الأديان أو اختلاف العقائد يدعو الى تغير ما تثبته طبيعة الزمن أو الحياة ؟ اليس الاسلام والمسيحية واليهودية هى الأديان التى يعرف كل واحد منها الدين الذى سبقه ويعترف به ؟ اليست جميعا قد نزل الوحى بها فى مصر وفلسطين وبلاد العرب وكلها متجاورة أقرب التجاور ؟ اليست اليهودية وهى أقدمها جميعا تتصل بالفراعنة وبمصر القديمة إتصالا متينا والنصرانية تتصل باليهودية وتعترف بها والاسلام يتصل بالنصرانية وباليهود ويعترف بهما . أما نظم الحكم فلا تغير من الحقائق التاريخية شيئا لان نظم الحكم تتأثر بالزمان الذى تكون منه فى مختلف أنحاء العالم . فهى أضعف من أن تترك فى نفسية الأمم أثرا عميقا ويجب الانفس شيئاً هاماً بالقياس الى الثقافة اليونانية التى تلت الثقافة المصرية القديمة . فالثقافة اليونانية قد تأثرت بالثقافة المصرية القديمة وأثرت دون شك فى العقل المصرى المعاصر لها بل تأثرت بها العقلية المصرية حتى الآن لان هذه الثقافة لم تغير العقلية المصرية عن وضعها الطبيعى بل قد تقدمت به شوطاً بعيدا نحو الحرية الفكرية . وهذه الحرية الفكرية هى التى تسود أسلوب التفكير الحديث . وقد لا نجد فى تأثير الثقافة اليونانية للعقلية المصرية شيئا غريبا . فاليونان ومصر متجاورتان وروح الزمن كانت تربط بين الفريقين بأوثق رباط . فالذى يتحدث

به الاستاذ العميد لايخالف هذه الأوضاع بوجه عام وانما المخالفة أن ينتقد الدكتور زكى مبارك كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» للدكتور العميد فلا نصل من نقده الى رأى علمى فقد كتب يقول «قلت أن عقليـــة مصر عقلية يونانية وصرحت بأن الاسلام لم يغير تلك العقلية فاسمح لى أن أشكوك الى عميد كلية الآداب فعميد كلية الآداب هو أستاذى وأستاذك واسمه طه حسين وان لم تخنى الذاكرة يعرف أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرنا وهى مؤمنة بالعقيدة الاسلامية . والأمة التى تقضى ثلاثة عشر قرنا فى ظل دين واحد لاتستطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين . ثم يقول «تعال معى يادكتور لنقضى بين علماء الأزهر ساعة أو ساعتين فتراهم جميعا يعتقـدون بان العقلية اليونانية هى التى قضت على اليونان بأن يكونوا باعة الفاصوليا والسردين» . ثم يقول ماهى تلك العقلية الاسلامية «هى لون آخر غير العقلية اليونانية» ومن الأسف أن الدكتور «زكى مبارك» لم يحدثنا لا فى هذا المقال ولا فى مقالات أخرى شيئا عن العقلية الاسلامية ولا عن خصائصها .. نعم . لقد كان يجب على الدكتور زكى مبارك ومن يذهبون مذهبه فى النقد — أو ما قد يأخـذه البسطاء على أنه نقد — أن يفرقوا بين الاسلام كدين والاسلام كحضـارة . فالاسلام كدين يقرر عنه الكتاب الكريم — كما يذهب الى هذا الرأى هيكل باشا — أنه يعيد الأديان التى سبقته فى صورتها الصحيحة ويزيل مادخل عليها من تحريف الكلم عن مواضعه ويجلو الحقيقة الأزلية الخالدة الى الناس كافة وهو قد تم كعقيدة منذ اليوم الأول فلم يكن اساسه غير الايمان بالله وحده والتسليم له جل شـأنه لاشريك له . الا ترد عليه أية صورة من صور التطور أو التغير . أما الاسلام كحضارة فقد ظل يتطور على مر القرون وظل يتمثل الحضارات التى جاورته حتى كان ابن رشد والفارابى وغيرهم ممن نقلوا الفلسفة اليونانية الى العربية وممن عاونوا أكبر العون على بعثها عندما بعثها الغرب مستعينا بهؤلاء الحكماء والفلاسفة المسلمين وانى لا أرتاب فى أن العصور الاسلامية تأثرت بالعصور التى سبقتها لهذا الذى قدمت من دراسة الفلسفة اليونانية ولما انتقل الى العرب من آداب الفرس

ويقول الاستاذ العميد شيئا يعزز به هذا الرأى فيبين أن المسلمين قد أقاموا سياستهم على المنافع وحدها بعد أن عدلوا عن اتخاذ الوحدة الدينية واللغوية أساسا للملك وقواما للدولة لأنهم فطنوا منذ عهد بعيد الى أصل من أصول الحياة الحديثة وهو أن السياسة شىء والدين شى آخر وان نظام الحكم

وتكوين الدول انما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على شىء آخر

ومما يجلو هذا التطور الذى تأثرت به الحضارة الاسلامية أن نقول انها حضارة ساهم فى بنيانها الاغريق والنساطرة والفرس والعرب وقد قيل عنها الحضارة العربية تجوزا لأن المخرج المشترك فى هذا الوضع كله اللغة العربية . واذا كان الأخذ بالتجربة والمشاهدة صفة مميزة للذهن العربى « كفاية الاثبات » فى طوره الحديث ولاسيما عند مقابلته على رأى بعضهم بالعقل العربى القائم على النزعة الغيبية ففى الناحية التجريبية من الحضارة العربية ما يؤيد أن العرب قد نزعوا الى المشاهدة والتجربة واذن فليس بين العقل الغربى والعقل العربى فاصل من هذه الناحية والاساس فى هذا أن للحضارة اليونانية تياران تيار علمى قام على مؤلفات اريسطو العلمية وفيثاغورس وغيرهما وتيار صوفى فلسفى أو أسطورى قام على بعض ما ألفه افلاطون . ومن حظ العرب أو من حظ الحضارة نفسها أن قام النساطرة والعرب بترجمة الآثار العلمية التى كتبها أريسطو ولم يترجموا عن افلاطون الا القليل

والا اذا كانت الناحية الغالبة فى النقل عن اليونانية الناحية الصوفية الفلسفية لما كان «الاحياء» العلمى حقيقة من حقائق التاريخ . فالميزة التى تفردت بها الثقافة العربية أو الاسلامية على التحديد انها عنيت بعلوم الاغريق دون آدابهم . فنقلها العرب وزادوا عليها . فقد أخذوا الكيمياء المصرية فجعلوها علماً تجريبيا لم يختلط بالصوفية الا فى أواخر تاريخهم . اما الطب والفلك والبصريات والميكانيات فقد برعوا فيها . . ويقول الاستاذ سلامه موسى فى كتابه « النهضة الاوربية » ويجمع الآن المؤرخون حوادث تلك النهضة التى سبقت كوبرنيكس بنحو اربعمائة سنة وهى قصة تسرب المعارف العلمية الى أوربا قبل النهضة الكبرى وخلاصة هذه القصة انه عقب احراق المكتبة الثانية التى كانت بالاسكندرية انتشرت الثقافة الاغريقية فى الشرق الأدنى وذلك لان البلاط الفارسى رحب بالعلماء اليهود والنسطوريين الهراطقة والأفلاطونيين فتوافدوا الى فارس . وترجمت الكتب العلمية الاغريقية الى اللغة الرمارثية ثم بعد ذلك الى العربية . ولما استتب الاسلام صارت بغداد ملتقى الدراسات الاغريقية لبطليموس وأرخميدس واقليدس وابقراط وايضا للدراسات الهندية التى عرف العرب بواسطتها الجبر هذا العلم الذى صار بعد ذلك اكبر معوان لتقدم الميكانيكا فى القرن السادس عشر فى اوربا . وكانت الأزياج الهندية فى الفلك قد أدخلت فى فارس قبل تأسيس مدرسة بغداد . ولقد افتتحت مدرسة بغداد بترجمة المجسطى لبطليموش وهندسة اقليدس ومؤلفات ابقراط نقلها الى العربية

مترجمون من اليهود وكانت أزياج «طليطلة (سنة ١٠٨٠) والازياج الالفونسية طلائع البحث فى الفلك واساس الملاحة مدة الاكتشافات الكبرى. ثم يقول وقبل ان يخرج العرب من اسبانيا كان اليهود الاسبانيون المتعربون قد انتشروا فى اوربا يحملون معهم ترجمة العلوم الاغريقية ومؤلفات الخوارزمى وابن سينا وابن رشد

« ومن هنا نعرف ان اساس النهضة العلمية فى أوروبا هى النزعة التجريبية التى نزع اليها العرب ونقلها اليهود الى اوربا فكانت البذرة الصالحة للحضارة الصناعية الحاضرة »

وقيمة هذا البحث هو معرفة الخلاف بين العقلية المصرية والعقلية الاوربية الحديثة التى لم يزل يشع فيها الاثر الريحانى للثقافة اليونانية. ولقد قال عن هذا الاستاذ العميد مايأتى: «ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم وتأثرت به فرق عقلى أو ثقافى وانما هى ظروف السياسة والاقتصاد تديل من اهل هذا الساحل لاهل ذلك الساحل وانما هى ظروف السياسة والاقتصاد تدور بين هذه الشعوب موالية هذا الفريق ومعادية هذا الفريق. فلا ينبغى ان يفهم المصرى ان بينه وبين الاوربى فرقا عقليا قويا أو ضعيفا» وهذا هو يمحق التفسير المادى أو الاقتصادى للعقليتين المصرية والاوربية فنحن لم نزل نعيش الى اليوم على الزراعة بينما اوربا قد عرفت الصناعات العديدة وقد اقبلت على حياة علمية زاخرة بالاختراعات والوسائل الحديثة التى مهدت لها نواح متعددة من الرقى العقلى، فالعقلية "الاوربية الحديثة" هى العقلية التى تلائم الاسلوب العلمى وإن فى مختلف الشعوب الاوربية «ادراك اجماعى» أو رأى عام يتكون من مجموع الاغراض التى يقوم عليها المجتمع وهذه الاغراض ارتقائية مؤسسة على الاصول الخاصة بعلاقة الفرد مع الدولة واندماج الجزء فى الكل وفى اوربا يكافحون النقائص الأجتماعية بمختلف القوانين والدعايات ويعملون على بث المبادىء الانسانية التى عرفت عن الاغريق. فالناس هنالك للناس. وانما لتغلب الناحية الغيبية على حياتنا النفسية والعقلية فبعض الناس فى مصر وفى الشرق العربى كذلك يحاولون تحقيق الحياة الاخرى فى هذه الحياة الدنيا وهذا أمر بعيد الادراك لاصطدام الروحيات بالماديات. والعقلية "الشرقية" بوجه عام لها منازع نشأت عن قوة التأثير الخاص بالمذاهب والمعتقدات وتتجه الى القضاء والقدر ورعاية التقاليد والحكم بمقتضى الشرائع المنزلة التى لا تتبدل. والفرق هنا شتان بين المبادىء "الانسانية" التى تحوطها هذه الثقافات

القديمة الصافية من آثار التصوف والمبادىء التى تخدم الواناً من التفكير القائم على ما كان يأخذ به السلف مما قد كان يلائم حياتهم وقد يكون ابعد الاشياء عن حياتنا نحن . فنحن لسنا محتاجين الى « رابطة شرقية » وانما نحن فى حاجة الى تلك الرابطة التى تهيئها لنا الثقافة الحديثة التى يسير عليها العالم والتى تتمشى ومقتضيات الزمن

اما الاستاذ العميد فيكفيه فخراً أنه قد اتاح للقارىء المثقف ان يعرف فى مواضع كثيرة من كتابه — مستقبل الثقافة فى مصر — ليفكر فى تلك العلاقة التى تربطه بتاريخ مصر وما تلقته من ثقافة فى مختلف اطوار حياتها . فنحن فى اشد الحاجة الى الكتب التى تثير فينا الوانا مختلفة من البحث والتفكير وتمحيص الرأى ؟

حليم مترى



الحب

للمثال شوديه

الزامر والراقصة



هذه الصورة منقولة عن زهرية أغريقية يرجع تاريخها الى سنة ٥٢٠ قبل الميلاد اى قبل الاسكندر المقدونى بنحو مائتى سنة . وهى تمثل زامرا يوقع الحانه على حركات الراقصة . ولم يكن الزمر والرقص يمارسان فى اغريقيا القديمة للهو والتسلية فقط . اذ كانا جزءا من الشعائر الدينية للرب ديونيسيوس . وكان ذلك شأن جميع الفنون تقريبا حتى الرياضة البدنية

شئون التعليم

١ – التعليم والديمقراطية

٢ – التعليم واللغات

القى المستر إيدن السياسى الانجليزى المعروف خطبة قال فيها ان الهيئة الاجتماعية الديمقراطية هى جامعة نحن جميعا طلبة فيها يتعلم كل منا من الآخر

وهذا يعنى ان الديمقراطية تحتاج على الدوام إلى مستوى عال من الثقافة . وذلك لان الامة الديمقراطية يحكمها ابناؤها بالتصويت الشعبى . فمستوى الحاكمين فيها لايزيد على مستواها . واذا انخفض هذا المستوى فان الكفاءة فى الحكم تنخفض أيضا ويحل العجز محلها . وقد يسع الامة التى يتولى الحكم فيها ديكتاتور ان تقصر فى التعليم ولاتستضر الادارة الحكومية بذلك لأن هذا الديكتاتور هو الذى يختار الاكفاء للحكم للتسلط على الصناعة والتجارة

فالأمة الديمقراطية مادامت قد عممت المساواة بين جميع الافراد وفتحت باب الحكم لاى فرد يحصل على رضى الناخبين قد أصبحت بذلك مضطرة الى العناية اكبر العناية بتربية هؤلاء الناخبين حتى لاينخدعوا بالبهرج من الخطب الرنانة فيبوئوا العجزة مقاعد الحكم ثم يجنوا الثمرة المرة أما من خيبة هؤلاء العجزة وأما من خيانتهم

فالمدرسة فى الديمقراطية هى الضمان الذى يكفل سلامتها وثباتها . والعقدة التى يجب على كل زعيم ديمقراطى ان يحلها هى : كيف نجعل الشعب مستنيراً حتى لايحكم نفسه بجهالة ؟

وهذه الاستنارة ليست محدودة بحدود جامدة وليس مستواها ثابتا اذ هى يجب ان تزداد بزيادة التطور الاجتماعى . فالأمة التى تعيش فى اقتصاديات زراعية ساذجة قد يكفيها ويلائمها نظام ساذج

من التعليم بل نظام ثابت . لأن الأمم الزراعية قلما تتطور لجمود الزراعة التى تمارس . أما الامة التى تقدمت فى الصناعة ويتعدد فيها الانتاج بمختلف الآلات فتحتاج على الدوام الى أن تتجدد فى تعليمها وتزيد مستواه حتى لا يتخلف العامة عن الخاصة أو لا يكون هذا التخلف عظيما يتيح للخاصة أن تستغل جهل العامة . اذ لو اتيح لها ذلك لاصبحت الديكتاتورية مرجحة أو على الاقل ممكنة

وعلى ذلك تحتاج الديمقراطيات الى أن تجعل خط الدفاع الاول عنها المدرسة وسائر الوسائل التثقيفية مثل الصحف والسينماتوغراف والراديوفون . بل هى مضطرة لكى تتفادى من تسلط الفرد أو تسلط الخاصة أن تعبىء جميع هذه القوات التنويرية . ولذلك ليس من مصلحة الامة أن تبقى هذه الوسائل فى أسر المآرب التجارية بل يجب أن تكون تحت رقابة الحكومة حتى توجهها نحو التثقيف أو التنوير العام

ومما يبصرنا بقيمة التعليم ان تلك الأمم التى ارتفع فيها مستواه حتى أصبح التعليم الثانوى الزاميا ومجانيا هى تلك الامم التى لا تخشى تزعزعا فى ديمقراطيتها .

ولكن المدرسة — سواء منها الابتدائية والثانوية — ما قيمة التعليم فيها ؟

ان التعليم لا يزال فيها على الرغم من التجديد المزعوم قائما على التلقين أو على تعليم نحو عشرة من العلوم والفنون تدرس فى الكتب ويمتحن التلميذ فيها آخر العام لكى يثبت مقدار ما تعلم وليست هذه العلوم العشرة هى كل ما تضطلع به الديمقراطية من ثقافة . ففى العالم نحو ١١٥ علما لا يغنى عنها تعلم عشرة ولكن مثل هذا النقص يمكن ان يعوض اذا نظم التعليم فى المدرسة بحيث يجعل التلميذ عندما يتخرج من القسم الثانوى حاصلا على الطريقة ومهيئا بالاستعداد الثقافى لان يزيد تعلمه سائر عمره بما يحبه من صحف وكتب وبما تهيىء له الدولة من وسائل التثقيف بالراديوفون والسينماتوغراف

فالأمة الديمقراطية لا يمكنها أن تطمئن لان التلميذ الذى تخرج من القسم الثانوى قد عرف عشرة علوم وجاز فيها الامتحان ، بل لأن الرغبة قد انغرست فى نفسه لان يعرف مائة علم فى الستين أو السبعين من السنين الباقية من عمره . فالعقدة الآن هى كيف تغرس هذه الرغبة ؟

ولكن هذا السؤال ينتهى بنا الى أن نقول ان الغاية من التعليم ليس تلقين المواد بل تنمية الشخصية . وهنا تبدو لنا المدرسة — الابتدائية والثانوية سواء — مفلسة . بل نستطيع أن نزيد

على ذلك وان نقول إن الصبى ينمى شخصيته ويزداد عرفانا بالدنيا واختباراً لعصره وهو يسير بين بيته ومدرسته كل يوم اكثر مما يجد فى الدروس التى يتعلمها فى مدرسته . إذ هو فى هذا الشارع يعيش ويختبر ويرى هنا خطرا من الترام وهناك مأساة من الارملة الفقيرة وهو يصطدم بمشاجرة ويسمع عن مظاهرة ويرى الناس فى معايشها والموعظة الحسنة تناديه من بينها . فهو هنا ينمو ويتعلم ولا يتلقن . هنا الحكمة فى الشارع . وهناك فى المدرسة الدروس . وقد حاول رجال التربية الجدد ان يجعلوا التعليم اختبارا بأن نجعل التلميذ يعيش وينمو ويعامل الناس ولكن ليست المدارس كذلك . وعلى ذلك مازلنا نقول ان التلميذ ينتفع بالشارع فى تنمية شخصيته اكثر مما ينتفع بالمدرسة التى تلقنه

* * *

كنا نقرأ كتابا لاحد الادباء الانجليز عن ذكرياته فى ألمانيا فكان مما ذكره يحتج به على تهاون أبناء وطنه أن البواخر الالمانية لم يكن بها ملاح أو أى موظف آخر يجهل اللغتين الانجليزية والفرنسية بل البوارج الحربية نفسها لم يكن بها جندى بحرى لا يعرف على الاقل لغة أو لغتين اجنبيتين . وكان يعزو بعض نجاح الالمان قبل الحرب الكبرى فى ميدان الاسواق العالمية الى عنايتهم باللغات الاجنبية

وقد ذكرنا هذا ونحن نقرأ خطبة الاستاذ محمد حمدى بك عميد كلية التجارة . فانه يرثى لحال خريجى الجامعة فى تقصيرهم عن الاتقان للغات الاجنبية التى يتعلمونها ويعزو هذا التقصير الى أن التأسيس الذى يحصلون عليه فى المدارس الثانوية سيىء . وان الضعف يلاحقهم بعد ذلك فى الجامعة ثم هو بعد ذلك لا يستطيع الا أن يأسف لهذه الحال لان اتقان اللغة الاجنبية ضرورة الان من ضرورات النجاح

ولا شك فى صحة أقوال العميد . ونحن نزيد عليه انه اذا كانت الامم الاوربية تعنى بتعليم اللغات الاجنبية فاننا هنا فى مصر يجب أن تكون عنايتنا بهذا التعليم أكثر . وليس هذا من أجل التحصيل الثقافى فقط لان الكلام عنه يعد من النوافل إذ لا نظن أن هناك شابا مصريا يمكنه أن يحلم بدرس صناعة حديثة ويقف على الجديد فيها بالاقتصار على اللغة العربية . ولكننا نكبر من شأن اللغة الاجنبيه فى المزاحمة التجارية التى تواجه الشباب المصريين فى جميع الاعمال الحرة الصغير منها والكبير .

فان غلام القهوة أو المطعم الذى يعرف الرطانة الاجنبية يمتاز على مزاحمه الذى يجهلها . وكذلك البائع الموظف فى متجر كبير أو صغير

والاوربيون فى مصر قد بدا عليهم الاهتمام بتعلم اللغة العربية . ولكن لا بد من ان تمضى السنين الطوال قبل أن نستطيع التفاهم معهم بلغتنا . فنحن مضطرون الى أن نجذبهم الى متاجرنا بالقدرة على التفاهم معهم بلغاتهم . كما أن هناك من الاعمال التجارية فى المستوى العالى ما لابد منه من اتقان اللغات الاجنبية مثل السمسرة وحركات البورصة والاتجار مع الامم الاجنبية . ومعظم هذه الاعمال الرابحة تكاد تكون الآن وقفا على أبناء الجاليات الاجنبية . بل لقد سمعنا انه ليس فى بورصة القاهرة مصرى . ونعنى مصرى الاصل وليس مصرى الرعوية لان كثيرا من الاجانب قد دخلوا حديثا فى الرعوية المصرية

فمن أين نظرنا الى هذا الموضوع من ناحية الثقافة أم الصناعة أم التجارة وسواء ارتفع المستوى لهذه الاشياء أم انخفض فاننا نجد الضرورة الملحة على كل شاب فى مصر يبغى النجاح لان يتعلم لغة أو اكثر من اللغات الأجنبية . بل حتى هنا لانستطيع الا أن نجد الفائدة فى هذا التعليم لصبيان المدارس الالزامية . فان قليلا من الرطانه الفرنسية أو الانجليزية قد يفتح لهم بابا من العيش فى المدن هو الآن مقفل دونهم لجهلهم بها

فالوطنية المصرية الحقة تدعونا الى العناية باللغات الاجنبية . ويجب أن نجعل البرامج التعليمية بحيث تساعد الطلبة على اتقان هذه اللغات . وقبل سنوات اقترحت فى هذه المجلة أن تدرس مادة واحدة فى المدارس الثانوية بلغة أجنبية بحيث تختلف هذه المادة من مدرسة الى أخرى فهى هنا الجغرافيا مثلا . وهناك التاريخ أو الكيمياء . وذلك لكى يبقى تدريس هذه المادة سائرا باللغة العربية فى معظم المدارس فلا تفقدها الثقافة العربية . وعندنا أن تعليم احدى المواد باللغة الاجنبية هو الوسيلة الاكيدة لتعلم هذا اللغة . ولاقيمة الى جنب هذه الوسيلة بتعليم النحو أو أصول البلاغة أو نحو ذلك مما يعطل اكثر مما يعين

وكان يمكن جرائدنا ومجلاتنا أن تساعد فى هذا التعليم لو أنها خصصت عمودا من أعمدتها بقطعة تترجم كل يوم بالانجليزية والفرنسية .

وقد خطت وزارة المعارف خطوة موفقة حين سنت سنتها الجديدة فى ايفاد معلمى اللغة الاجنبية الى أوربا للتكمل كل عام فى اللغة التى يعلمون فى مدارسنا . ولكنها أخطأت حين قصرت هذا الايفاد على بعض . فان معلمى اللغات الاجنبية جميعهم يجب أن يوفدوا بالمناوبة مدى شهرين كل عام الى فرنسا وانجلترا وليس ضروريا أن تتحمل الوزارة كل النفقات اذ يكفيها فضلا أن تساهم فيه فقط . كان تقوم باجرة الباخرة ذهابا وايابا مع عشرة جنيهات أو عشرين جنيها اعانة للمعلم الذى يريد فى الاغتراب شهرين كل عام أو كل بضعة أعوام

الزواج

كثرت مدارس الزواج فى الولايات المتحدة . والاصل فى انشائها تفشى الطلاق . فان مديرى الجامعات وعمداء الكليات يرون ان من واجباتهم الاولى ان يسعوا لبناء الاسرة وتماسكها . ومادام التفكك الذى تدل عليه كثرة الطلاق يزداد فان درس اسبابه يجب ان يكون موضوعا تتناوله الثقافه الحديثه فى الجامعات

وهذه المدارس تشرح للشبان والفتيات الاسباب السيكلوجية للخلافات الزوجية . كما تشرح العوامل المختلفة التى تؤدى إلى الهناء . وموضوعات الدرس هى دخل الزوجين . المرأة المحترفة . الغيرة . النسبة المئوية للملبوسات والاطعمة وايجار المنزل الخ

معالجة الحموات . تنمية الشخصية الاولاد . المطبخ . تزيين المنزل . وغير ذلك

تقدم العلوم والفنون

الغازات

اصبحت الغازات حقيقة مرعبة يخشاها الجميع . بل يخشاها المدنى اكثر من الحربى . واليوم تسلمنا اعلانا من احد التجار فى لندن عرفنا منه ان وسائل الوقاية تتعدد وتتفاوت فان القناع الذى يكسو الوجه والذى عرفناه فى القاهرة هو ابسط هذه الوسائل وهو ايضا ناقص فى الحماية ، لان الغازات تؤذى الجلد اينما تمسه . فهم لذلك اخترعوا لباسا مكونا من الجاكته والبنطلون والقفازين والاحذية المصمغة والالشين كل قطعة على حدة بحيث يبلغ ثمن السترة الكاملة نحو اربعة اوخمسة جنيهات

ومن مدة قريبة رأينا صورة فيل صنع له صاحبه قناعا على قدر رأسه وخرطومه وهو محق فى هذا لان الفيل الذى يتنقل فى عواصم العالم لتأدية الالعاب المختلفة فى احدى الفرق قد يتعرض لحرب الغازات ويموت منها وليس من السهل ايجاد غيره لغلاء ثمنه من جهة ولقلة الفيلة المدربة من جهة اخرى

الدندي

يؤكل الدندى فى الولايات المتحدة الامريكية كما يؤكل سائر الطيور عندنا او كما يؤكل الضأن او البقر . لان الجزارين يبيعونه بالرطل للبيوت

ولكن للواحد الصحيح قيمته التى لاتصل اليها الكسور مهما عظمت . ولذلك يزهى الامريكى بالدندى كاملا على المائدة وان فدح ثمنه . وهو يتكلف شراءه من اجل الضيف العزيز او احتفالا بميلاد ابنه او ابنته

ولهذا السبب عنيت وزارة الزراعة الامريكية بايجاد سلالة جديدة من الدنادى صغيرة الجسم لايزيد وزن الديك فيها على اربعة ارطال او خمسة يمكن المتوسطين ان يشتروا منها دون أن ترهقهم اثمانها . ولهذه الوزارة براعة نادرة فى إيجاد السلالات الجديدة من النبات والحيوان

البيرة

البيرة هى مشروب المانيا كما أن الوسكى مشروب انجلترا والنبيذ مشروب فرنسا والفودكا مشروب روسيا

ولكن يظهر أن الالمان الذين وطنوا انفسهم على اختراع الابدال لكل شىء بحجوا فى اختراع مشروب يصح أن يكون بدلا من البيرة ويمتاز بطعمها وتخديرها ولكنه لايحتاج الى النفقات الكبيرة التى يستهلكها تخمير الشعير

وقد استطاعوا أن يوجدوا البدل من الكوتشوك والبدل من البترول والبدل من السكر . فليس غريبا أن ينجحوا فى ايجاد البدل من البيرة

والكلمة التى يشيع استعمالها فى المانيا هذه الايام اكثر من غيرها هى «ارساتز» ومعناها البدل

الاستاذ هوكارت

نعى عميد كلية الآداب الاستاذ هوكارت الذى توفى فى الخامسة والخمسين من عمره . وهذا عمر قصير بالمقابلة الى أعمار الاساتذة . ولكن الاستاذ الراحل قد تمتع بالحياة العريضة التى كان يتمناها ابن سينا وان لم يحظ بالحياة الطويلة

فقد ولد فى الجزر القائمة بين فرنسا وبريطانيا وتعلم فى بلجيكا وانجلترا . ثم عين ناظرا لمدرسة فى جزر فيجى فى جنوب القارة الامريكية وهناك رتبت له جامعة اكسفورد معاشا لكى يقوم بابحاث اجتماعية بين السكان البدائيين والمتوحشين فى تلك الجزر وما يتاخمها

وعين بعد ذلك مديرا للاثار فى جزيرة سيلان . ورأت حكومة سيلان فيه رجلا مجداً فأوفدته الى اكسفورد لكى يدرس اللغة السنسكريتية ولغة سيلان القديمة ولغتى بالى وتاميل . وعاد من اكسفورد

فقصد الى الهند لدرس الهندوكية والديانة اليوذية

ولما عاد الى انجلترا اختص بالمحاضرة عن السلالات الانسانية وعين فى سنة ١٩٣٤ استاذا للاجتماع فى الجامعة المصرية (جامعة فؤاد الاول)

فهل حظى أحد بحياة أعرض من هذ الحياة ؟

الجذام

ظهر فى الاجبشيان جازيت مقال مسهب عن معالجة جديدة للجذام يبعث على الامل ليس فى معالجة هذا المرض الوبيل فقط بل فى اتقائه . ففى محلة المجذومين فى سونجاى بولو فى الجزر الملاوية طبيب يختص بدرس هذا المرض يسمى الدكتور ريرى . وقد قام بتجارب جديدة يقول انها أدت الى نتائج مرجية وذلك انه صنع زيتا من جرثومة القمح أى النخالة وحقن به المجذومين فشفى بعضهم وتحسن بعض آخر

والذى هدى هذا الطبيب الى هذا العلاج انه رأى ان المناطق التى لا يؤكل فيها القمح فى الصين يكثر فيها الجذام . فى حين أن منطقة القمح لا يكاد يعرف فيها هذا المرض . وان اليابانيين كانوا يشكون تفشيه قبل أن يأكلوا القمح وقلت العدوى به بعد اتخاذهم القمح . بل قد أثبت التاريخ ان أوربا كانت تعرف هذا المرض بكثرة أيام كانت لا تزرع من الحبوب غير الشوفان فلما عرفت القمح زال المرض أو قل

ونحن نلاحظ فى مصر ان الجذام يفشو بين الفقراء دون الاغنياء . فهل هناك علاقة بين حرمانهم من القمح وبين فشو هذا المرض بينهم ؟

النيون

ضوء النيون معروف للقراء . اذ هو الضوء الاحمر الذى تكتب به الاعلانات فى الليل

وقد اقترح أحدهم أن تكتب أسماء المحطات فى الليل بهذا الضوء حتى اذا مر القطار أو وقف امكن المسافر المطل ان يعرف اسم المحطة فى غير عناء . والاقتراح يستحق العناية من محمود شاكر باشا وهو على كل حال قليل التكاليف

أخبار اجتماعية

دقيق الذرة وصحة الفلاح

اطلعت فى المقطم بعنوان خلط الدقيق بالذرة وضرره بصحة الفقراء وما تتعرض له صحة الفقراء فى العاصمة من جراء خلط دقيق القمح أكثر من ٢٥ فى المئة من دقيق الذرة ورجاء المقطم بأن تشمل عناية محافظ العاصمة هذه المسألة وتشديد الرقابة على أصحاب المطاحن حتى لا يتجاوز كمية الخلط الحد الذى يضر بصحة الجمهور

وبلغ من اهتمام بعض البلدان الاجنبية ان حرمت زراعة الذرة فى بلادها حتى تضمن عدم خلطه بدقيق القمح لعدم احتوائه على مواد غذائية كافية لحفظ صحة الانسان

فأسفت لحالة الفلاح المصرى وعدم العناية بصحته فان طعامه ١٠٠ فى المئة من الذرة ولم يتحرك مخلوق للدفاع عنه والاحصاءات دلت على ان أغلبهم مرضى بمرض البلاغرا المتسبب من أكل الذرة

ان خلط ٢٥ فى المئة من الذرة على ٧٥ فى المئة من القمح جعلت محافظ العاصمة يهتم بصحة الجمهور فى عاصمة الديار مع أن فقراء العاصمة ميسور لهم أكل جانب من الزيتون أو الطعمية أو الفول أو الحلاوة الطحينية. وهذه المواد ميسورة فى العاصمة ولا وجود لها فى الريف وفيها غذاء كاف يعوض الجزء المفقود من خلط دقيق الذرة بالقمح

فما أسعدكم يافقراء العاصمة وما أشقاكم ياسكان الريف يا مهضومى الحقوق فأنتم معظم السنة فى شبه مجاعة حيث لا يوجد قوت اليوم وان وجد فهو دقيق الذرة وقليل من الملح تتجرعون معه مرض البلاغرا قطرة قطرة فما أقربكم من النهاية المحتومة: المرض فالجنون

فيا عجبا يهتم محافظ العاصمة بالمسؤولية الملقاة على عاتقه نحو سكان العاصمة ولا تهتم الجهات المسئولة عن صحة سكان الريف وهم تسعة أعشار القطر وعلى سواعدهم القوية تتكىء ميزانية الدولة

الفلاح المصرى مسكين فهو فريسة الجوع فى معظم أوقات السنة وفريسة البلاغرا اذا تيسر له القوت. وفريسة الانكلستوما والبلهارسيا من الماء

فما أشقاك أيها الفلاح المنكوب لقد حرمت كل لذة الالذة اداء الواجب فأنت تعمل بغير توان وتخرج من الارض خيراتها ينعم بها غيرك من شعب وحكومة فأنت كالشمعة تحترق لتنير لغيرها

لا فائدة من اقامة المستشفيات لعلاجك والعلة موجودة. خير منها أن تعطوه غذاء ليقاوم المرض فالوقاية خير من العلاج

لقد دلت الاحصاءات فى المدارس الالزامية على أن ٧٠ فى المئة من تلاميذها مرضى وان بعضهم يغمى عليه فى وقت الرياضة من الجوع فهل من علاج لهذه الحالة

جابر موسى

كابيك

كاريل كابيك هو الكاتب التشيكوسلوفاكى الذى مات فى الشهر الماضى ولهذا الكاتب كلمات تستحق الذكر وخاصة فى الظروف الاوربية القائمة واليك بعضها :

— تعقد المعاهدات لكى تراعيها الامم الضعيفة

— نجحت مساعى السياسيين النجاح التام فى ابقاء القلق العام قائما بين الدول

— فى رأى هؤلاء السياسيين أنه يجب لمصلحة السلام أن تتخذ اجراءات حازمة ضد ضحايا الاعتداء

— من الحكم التى يعمل بها السياسيون أنه يجب تحديد مكان النزاع . وهذا يعنى ترك الفريسة لما قدر لها

— فى العالم كثيرون يحبون أن يدفئوا طعامهم على الحريق العام

— لم تبع الامم الديمقراطية تشيكوسلوفاكيا وانما هى سلمتها بلا ثمن

ابن سينا

كان ابن سينا يقول اللهم ارزقنى الحياة العريضة . وعنده أن الحياة تقاس بالطول والعرض .

فهى فقد تكون طويلة بعدد السنين ولكنها قد لاتكون مع ذلك عريضة . إذ لا يتمتع صاحبها إلا بالحياة النباتية أو دقات القلب فقط

ولكن الحياة العريضة هى التى يجنى منها صاحبها الاختبارات والمتع المختلفة

وهذا دعاء حكيم

دنيكن

دنيكن هو القائد الروسى الذى كان يحارب الشيوعيين بعد سنة ١٩١٧ ويقود الروس البيض . وعلى الرغم من مساعدة فرنسا وبريطانيا له بالمال والرجال فانه عجز عن الانتصار . وهو بالطبع لايزال عدواً لجمهورية السوفيت

ولكن دنيكن يؤمن بالمثل القائل : « أنا وابن عمى على الغريب » فانه أعلن لحكومة روسيا أنه مستعد لمحاربة ألمانيا اذا حاولت مع تشيكوسلوفاكيا أن تخترق اوكرانيا

واوكرانيا هذه هى اقليم كبير يقع فى الجنوب الغربى من روسيا ويبلغ سكانه نحو خمسين مليونا بعضهم تحت سيادة تشيكوسلوفاكيا والبعض تحت سيادة رومانيا منهم عدد كبير فى هنغاريا وبولندا

وأعظم ما تمتاز به أوكرانيا هو القمح الذى يجود فى أرضها ويجذب اليها المطامع

والمانيا منذ الآن تدعو الى استقلال اوكرانيا أى فصلها من روسيا . وعندئذ لاتتمتع اوكرانيا بالاستقلال فقط بل أيضا بالنصائح الالمانية

الصين

التى السفير الصينى فى لندن خطبة قال فيها كلمة تستحق الالتفات فى شأن الحرب القائمة فى الصين الآن

قال انه عند ما كان يتلاكم اثنان فى الحلبة يحاول احدهما ان يلكم الاخر فى ذقنه فاذا ناله فيها اوقعه وانتصر عليه . وميزة الصين انها ليس لها ذقن

وهو يعنى بالطبع أن اليابان مهما تتوغل فى الصين لن تهزمها

الديمقراطية

يقول معجم وبستر الانجليزى ان « الديمقراطية هى حكومة الشعب » أى انها الحكومة الذاتية للشعب الذى يحكم نفسه بدلا من ان يتولى الحكم فيه فرد مستبد او طبقة معينة

فالمنطق يدل اذن على اننا اذا شئنا ان نرقى بالديمقراطية فالسبيل الوحيد الى ذلك هو أن نرقى بالشعب أى يجب ان نعلمه ونعمم بين افراده المساواة فى فرصة العيش

للسلام

قرأنا خبرا عن المرحوم اتاتورك دلنا على ان هذا الرجل العظيم لم يكن بطلا فى الحرب فقط بل كان ايضا من ابطال السلام فانه بعد ان انتصر على اليونانيين واستولى على ازمير وطردهم من آسيا الصغرى عقد اتفاقا مع الحكومة اليونانية اشترط فيه على نفسه أى على تركيا الا تحتفل فى المستقبل بانتصار ما على اليونانيين . وذلك لكى لا يثير فى نفوس الاتراك نخوة حربية تجرح كرامة هذه الجارة وردت الحكومة اليونانية هذه التحية بمثل هذا الشرط على نفسها وكان هذا العمل من الحكومتين خطوة موفقة فى خدمة السلام

كاجاوا

كاجاوا هو زعيم المسيحيين فى اليابان . وقد التقى أخيرا بغاندى فى الهند . فهمزه هذا همزة تلوى منها كاجاو

وذلك أن غاندى سأله : ما هو شعور الشعب اليابانى نحو الحرب القائمة فى الصين

فقال كاجاوا : انى كافر بالحرب . وأود أن أعرف رأيك فيما كنت تفعله لو كنت مكانى

فقال غاندى : كنت أصرح بما أعتقد وأدعو الى الكف عن الحرب . ثم تأمر الحكومة بقتلى بعد ذلك وتقتلنى

وعندئذ سكت كاجاوا

الاشتراكية

فى التلغرافات الاخيرة ان الحكومة الالمانية ابلغت جميع مصانع الاتومبيلات انها منذ الان لن يحق لها اى للمصانع ان تختار الطراز الذى تصنع به اتومبيلاتها وأن هذا الحق تحتفظ به الدولة

وهذا الخبر يدل القارىء على ان المانيا تسير بسرعة نحو الاشتراكية . اى ان الدولة هى التى تتولى — دون الفرد — تقرير الصناعات وتسيير التجارة والاشراف العام على النشاط الاقتصادى. فالصانع فى المانيا الآن ليس حراً فى اختيار الطراز الذى يريد أن يخرج سلعته على غراره بل هو يجب عليه أن يخضع فى ذلك للحكومة . كما انه ليس حرا فى تعيين الثمن ولا فى مقدار الربح الذى يريد ان يناله من عمله

السفور

لم يعد السفور « مسألة » فى مصر ، لأن آنساتنا وسيداتنا يخرجن الآن سافرات ولكنه مشكلة معقدة فى بعض الاقطار الاخرى . فان السافرات قد كثرن فى عمان عاصمة شرق الاردن أو « اردنية » كما يجب ان يسمى هذا القطر . فما كان من الحكومة الا ان سنت قانونا بمعاقبة كل آنسة او سيدة تسير سافرة بغرامة قدرها خمسة جنيهات . فاذا عادت صارت الغرامة عشرة جنيهات والغرامة على كل حال خير من ماء النار . ففى دمشق قمع الجمهور حركة السفور بين الاوانس والسيدات السوريات بالقاء ماء النار عليهن . فعدن كلهن بلا استثناء الى اليشمك الجميل الخفيف

فى السياسة

ويكهام ستيد كاتب معروف كان يوما ما رئيس التحرير لجريدة التيمس الانجليزية وهو يكتب المقالات ويؤلف الكتب فى المسائل السياسية الكبرى ، وقد ألف كتابا جديدا عن الديكتاتوريات الاوربية ابتدأه بقوله :

« الله هو الذى خلق الانسان ، والانسان هو الذى خلق الدولة »

وكتب ايضا . « الانسان غاية وليس وسيلة . والدولة وسيلة وليست غاية » .

ولم يفه أحد باحسن من هذا الكلام عن الديكتاتوريات الحديثة التى تقدس الدولة وتجعل منها كل شىء وتلغى الوجود المعنوى للفرد

أخبار اقتصادية

الاسمدة الكيماوية وانحطاط التربة

ثبت بالاحصاءات انه ليس فى الدنيا قطر يستعمل من الاسمدة الكيماوية مثلما نستعمل نحن . فقد اقبلنا على هذه الاسمدة اقبالا عظيما جدا بحيث تتخلف عنا الامة التى تلينا فى مقدار الاستهلاك تخلفا كبيرا ، حتى المانيا التى تصنع معظم الأسمدة الكيماوية لا تضع منها فى الفدان مثلما نضع . ولكن ازدياد الاستهلاك عندنا لهذه الأسمدة قد تمشى تماما مع قلة الانتاج فى التربة المصرية ومع تفشى الآفات الزراعية . ونحن قد جرينا على تعليل هذا الانحطاط بتشبع الارض بالمياه للرى الدائم وبقلة المصارف

وليس هناك شك فى صدق نظرنا فى هذا التعليل . ولكن يجب مع ذلك أن ننظر إلى هذا الموضوع من زاوية أخرى قد نبهتنا اليها مجلة انجليزية هى اسبكتاتور كبرى المجلات الانجليزية الاسبوعية .

فقد كتب فيها كاتب زراعى مشهور هو المستر بنسوزان مقالا ينذر فيه بالخطر الذى ينتظر من تعميم المخصبات الصناعية أى الاسمدة الكيماوية . وكذلك من استعمال السموم المختلفة لقتل الطفيليات التى تعيش على الخضراوات والفواكه . وهو يقول ان استعمال هذه الاسمدة يجهد الارض فتبذل من قوتها أكثر مما تتحمل فيسرع النبات فى النمو ثم يعقب ذلك خمود . لان النشاط السابق كان بمثابة مايبذله الرجل المجهود حين يستعين على اداء عمل ما بمنبه شديد فهو يعمل يومه ثم يستولى عليه الخمود بعد ذلك . وليس هذا فقط بل ان النباتات التى تنمو بفضل هذه الأسمدة الكيماوية ، ثبت انها عرضة للافات أكثر من غيرها كما انها لاتبقى بنضارتها مدة طويلة بعد قلعها أو قطفها . وكذلك لحم الماشية التى تعيش على المراعى التى سمدت بهذه الأسمدة الكيماوية هو أقل صلاحا للطعام وأقل تحملا للبقاء

من اللحم الذى تتغذى ماشيته على المراعى الطبيعية . ولهـذا السبب فشت فى العالم الزراعى فى جميع الأقطار دعاية جديدة ضد هـذه الأسمدة والاقتصار على الأسمدة العضوية أى متخلفات البهائم من روث أو غيره . لان هـذه الاسمدة ترد الى الارض عناصر صغيرة متعددة ولـكنها مفيدة . وهى أشبه بتلك المواد التى نسميها الفيتامينات فى الغـذاء الانسانى فانها على قلتهـا يؤدى غيابها الى شر الامراض

وهذا الى أن بعض السموم التى تستعمل للفتك بالحشرات والطفيليات يعلق بعضها بالنباتات . ومعظم هذه السموم قاتلة للانسان كما انها قاتلة للطفيليات . وقد اضطرت وزارة الزراعة فى انجلترا الى أن تنبه جميع المزارعين الى ضرورة غسل الخضراوات والفواكه التى نضحت ببعض هذه السموم لئلا ينتقل خطرها الى المستهلـكين . وخاصة منها مركبات الرصاص والزرنيخ والنحاس

وقد أسست بالفعل مزارع لا يستعمل فيهـا غير الاسمدة الطبيعية المتخلفة عن الحيوان والنبات . ويقول الـكاتب انها جاءت بأوفر الغلات وأجودها

ومن يتحدث الى الفلاحين فى مصر يجد فى نفوسهم بعض الشك عن الاسمدة الـكيماوية وانها هى العلة لتـكاثر الآفات فى الزراعة . واختبار كل مصرى اشتغل بالزراعة يبعثه على احترام آراء المزارعين الذين يدركون أحيانا بالسليقة — وهى ثمرة الاختبار الطويل — ما يدركه العالم فى معمله أو مشتله . ونظرية الفيتامينات التى ثبتت قيمتها فى غذاء الانسان ثبتت أيضا قيمتها فى غذاء النبات . وثبت انها تستفاد من روث البهائم وسائر متخلفاتها . وكما لا يمكن الانسان أن يعيش على مواد كيماوية أو على لحم أو نبات محفوظ عقم بالنار حتى زالت جميـع صفاته الحيوية ؛ كـذلك النبات ثبت انه فى حاجة الى مواد عضوية وان الغـذاء الـكيماوى وحده لا يكفيه . وهذه المواد العضوية هى للارض بمثابة الطعام الحى الطازج لنـا . بل نستطيع أن نزيد على ذلك وان نقول ان الفواكه والخضراوات وكـذلك لحم الماشية التى تعيش على المراعى التى لم تسمد بغـير الاسمدة الـكيماوية كل هـذه تعد فى هذا النظر العلمى الجديد غذاء ناقصا يضر الانسان

ونظن ان وزارة الزراعة عندنا تحسن اذاهى أولت هـذا الموضوع عنايتها . وخاصة لاننا — كما قلنا — اكثر أقطار العالم فى استهلاك الاسمدة الـكيماوية

السكان

في الوقت الذى تشكو فيه بعض الأقطار الأوربيـة كثرة سكانها وحاجتها الى المستعمرات للتنفيس عنها ترى هذه الأقطار بالذات تؤدى المكافآت لتشجيع الزواج وكثرة التناسل . وفيما يلى عدد السكان فى الكيلومتر المربع فى الاقطار التالية

اليابان	١٨٦
المانيا	١٣٥
ايطاليا	١٤١
هولندا	٢٤٧
بلجيكا	٢٧٤
فرنسا	٧٦

وقد كان آخر احصاء يدل على ان السكان يبلغون بالمليون فى :

الجمهورية السوفيتية	١٧١	
المانيا	٧٩	(مع النمسا والسوديت)
بريطانيا	٤٩	
ايطاليا	٤٣	
فرنسا	٤١	
بولندا	٣٥	

عتاقة

كتبت مجلة افريكان ورلد الانجليزية مقالا عن السياحـة فى مصر التفتت فيه التفاتا خاصا الى السويس وجبل عتاقة . فقد قالت ان هذا الجبل الذى يقارب ارتفاعه الف متر ولا تزيد المسافة بينه

وبين السويس على ربع ساعة بالاتومبيل هو الجبل الوحيد الذى يمكن استغلاله للسياحة فى مصر. وهى هنا بالطبع تنسى ان لنا جبالا عالية فى سينا . ولكن بعدها يحول دون استغلالها فى الوقت الحاضر

وقد برزت السويس اخيرا فى عالم السياحة المصرية . فان ميزاتها من حيث الانتفاع بها مشتى ومصيفا تزداد قيمتها فى عين الجمهور . ولذلك يكثر الاقبال على زيارتها . وزائر السويس يمكنه ان يرى المنزل الذى نزل فيه نابليون وان يتسلق جبل عتاقة وان يرى البواخر الاقيانوسية تمخر فى القناة . ويسعى محافظها الاستاذ احمد راسم بك فى ان يجعلها مشتى للقاهرة قليل التكاليف كثير المباهج

الاقتراض

كثرت تكاليف الدول للاستعدادات الحربية او للاصلاحات الاجتماعية ولذلك لا يكاد يكون فى العالم المتمدن دولة غير مدينة او لا تزيد ديونها لكى تقوم بالنفقات العظيمة الجديدة . والدول تبتكر الطرق المغرية لتشجيع الجمهور على معونتها . ومما تفعله حكومة اسوج انها تقترض بلا ربا . وذلك انها تصدر اسهمها للقرض الذى تنوى عقده قيمة السهم خمسون كرونا اى نحو ٢٤٥ قرش وهذه الاسهم ترد لاصحابها بقيمتها الاصلية بعد سنوات

ولكن مع كل قرض تذاع اوراق يانصيب على هذه الاسهم . وهى تختلف من ١٠٠٠٠ جنيه الى خمسين قرشا وقد بلغت هذه الاوراق فى القرض الاخير ٢٦٠٠٠ ورقه . وهذا هو ما يغرى الجمهور بالاكتتاب

ارقام فلكية

« الف مليون » من العبارات التى لم تكن تذكر الا فى الاحصاءات الفلكية . ولكنها مألوفة فى ايامنا للنفقات الفاحشة التى تنفقها الدول . فان ميزانية بريطانيا الف مليون جنيه أى انها تنفق اكثر مما ننفق نحن ثلاثين ضعفا . ومع هذا لا يزال عندها مليونان من العمال المتعطلين

وقد زال الامل تقريبا فى استخدام هؤلاء العمال . لان المصانع الحربية تعمل على اقصى سرعتها وبعضها يعمل ٢٤ ساعة في اليوم بثلاث مناوبات للعمال . فاذا اقفلت هذه المصانع فان عدد المتعطلين يصل عندئذ الى ثلاثة او اربعة ملايين

وقد اصبح التعطل لازمة من لوازم الحضارة الصناعية . وقد اطلق احد الاقتصاديين على المتعطلين اسم « الجيش الاحتياطى للصناعة » وعلى هذا الاساس يؤجرون على تعطلهم كأنهم يعملون

القطن

كان العام الماضى اسوأ الاعوام على التجارة الانجليزية الخاصة بالمنسوجات القطنية منذ ٨٨ عاما فان صادرات هذه المنسوجات نزلت الى اقل مما كانت عليه قبل سنة ١٨٥٠

ويجب التسليم بان جزءا من هذا الكساد يعزى الى ظهور امم جديدة مثل اليابان تستغل انخفاض الاجور عند عمالها وانخفاض قيمة نقدها لطرد المنسوجات الانجليزية . وقد نجحت فى ذلك الى حد بعيد . ولكن بعض هذا الكساد ايضا يعزى الى ظهور منسوجات اخرى تقوم مقام القطن والصوف مثل الريون غيره

الاسهم

لا يمكن تأسيس شركة فى مصر الا اذا كان ثمن السهم فيها لا يقل عن اربعة جنيهات . وهذا القانون قد مضى عليه أكثر من أربعين سنة . وهو عقبة فى تأسيس الشركات التى تحتاج اليها فى نهضتنا الاقتصادية الحاضرة

ومن الغريب انه يمكن الانجليز أن يؤسسوا الشركات فى انجلترا بما لا يزيد ثمن السهم فيها على عشرين أو ثلاثين قرشا مع انهم اقدر منا على شراء الاسهم الغالية

ونحن نرجو ان يعاد النظر فى هذا القانون وان يسمح بتأليف الشركات المساهمة على أساس القانون الانجيزى الحاضر لكى تشجع الجمهور على التعاون التجارى الذى تحتاج اليه البلاد اشد الحاجة

كتب الشهر الجديدة

مصر أرض النيل

هو كتاب وضعه باللغة الفرنسية المسيو فرنان ليبريت . وهو ليس صورة خاطفة لهذا الوادى ينقلها سائح يقضى الاسابيع أو الاشهر وانما هو درس — بالقلب اكثر من العقل — لهذا القطر وضعه أجنبي بعد أن قضى عشرين سنة فى مصر . وهو بعد هذه السنين يحب مصر وأرضها وأهلها وشمسها وآثارها وألوانها الطبيعية والانسانية . ولكنه يحب الفلاح اكثر مما يحب الافندى وتسمع فى صوته نبرة الاسف لان اللون المحلى يزول رويداً امام الحضارة الحديثة التى تكتسحه ونظن أننا نستطيع أن نتسامح معه فى ذلك لاننا نعرف أن لخان الخليلى مثلا أرجا خاصاً يستطرفه الاجنبي ويحب بقاءه فى حين هو لايبالى الشارع الحديث تنتصب على جانبيه المبانى الضخمة الجديدة . ولكنه على حق حين يقول أن مصر الحديثة تكشف عن روحها فى الريف والقرى اكثر مما تفعل ذلك فى المدن الكبرى مثل القاهرة او الاسكندرية . وهو يرى ان مصر خاضعة لثلاثة عوامل تكيف حياتها هى النهر والشمس والرمل . ويصف اثر كل منها ثم يصف مصر السفلى ومصر العليا وينقل للقارىء صورا مختلفة منهما . وهو يقارن بين الحياة القديمة التى لا تزال قائمة بين الفلاحين وفى الاحياء الوطنية من المدن وبين الحياة الجديدة التى تتمثل فى المدارس والبنوك وحركة الاتومبيلات . والمصرى القديم هنا هو الفلاح يكد فى أرضه ، والمصرى الحديث هو الموظف والطالب يعمل كلاهما بعقلية غريبة . وهو يخص القاهرة بما يقرب من تسعين صفحة ويخص الاسكندرية بست وثلاثين صفحة ويختم الكتاب بفصل عن ابناء النيل يشرح فيه اخلاقهم وقد الحق بكتابه خارطتين وأربعا وعشرين صورة ، ومن الحسن أن نرى أنفسنا كما يرانا غيرنا . ولو ترجم هذا الكتاب الى العربية لافاد من هذه الناحية كثيرا

هكذا تكلم زرادشت

هو كتاب مشهور الفه فريدريك نيتشه الفيلسوف الالمانى ونقله الى العربية الاستاذ فيلكس فارس . وليس اسم نيتشه جديدا على قراء اللغة العربية وان لم يترجم اليها شيء من مؤلفاته . فان أدباءنا اعتمدوا عليه كثيرا وتأثروا به . وقد عاش فى أواخر القرن الماضى فكانت حياته كابوسا للبعض ورؤيا للآخرين . فانه زعزع كثيرا من العقائد المحبوبة وكشف عن حقائق دميمة فى الطبيعة البشرية . ولكن الدمامة هنا اعتبارية وليست مطلقة . وكانت مهمة نيتشه التى أرصد لها حياته ان يبحث عن أصل الاخلاق والفرق بين الفضيلة والرذيلة . وقد استطاع بما كان له من ثقافة واسعة فى تاريخ الاغريق ولغتهم وأدبهم ان يرد الاخلاق الى فطرتها الاولى وان ينتهى الى أن الفضيلة هى الوسيلة التى يتوسل بها الى القوة والسيادة . وقد احتاج قبل أن يصل الى هذه النتيجة الى أن يخاصم الجميع والى أن يبنى نظاما فلسفيا جديدا يقول فيه الاستاذ فيلكس فارس :

« ان محور الدائرة فى فلسفة نيتشه انما هو ايجاد انسان يتفوق على الانسانية . لذلك تراه يهزأ بكل من عده التاريخ عظيما بين الناس قائلا ان الجيل الذى يلد العظماء لم يولد بعد . وان لا رجل فى هذا الزمان يمكنه أن يتفوق على ذاته وكل ما فى وسع الناس أن يفعلوه فى سبيل المثل الاعلى هو ان يتشوقوا اليه ليخرج من سلالتهم فى مستقبل الازمان »

وهذا الانسان المتفوق ليس « سبرمانا » بيولوجيا على النحو الذى يتخيل برناردشو . اذ هو لن يتفوق بجسمه وعقله وانما باخلاقه . وان كنا فى بعض الفترات نلمح من نيتشه شيئا قريبا من هذا الانسان البيولوجى . كما هى الحال مثلا عند ما يقابل بين الانسان والقرد . ولكنه فى أعماق نفسه صوفى ينزع النزعة الصوفية الالمانية . فى حين ان برنارد شو انجليزى ينزع النزعة العلمية الانجليزية فالتفوق عند نيتشه هو تفوق النفس التى ترتفع الى ماوراء العرف فى الاخلاق . اما عند شو فهو التفوق فى الخلية التى يبنى منها جسم الانسان

وقد لمحت وأنا أقرأ « هكذا تكلم زرادشت » ان المترجم قد تخطى مهاوى الخطر . ولذلك يمكن القارىء العربى ان يقرأ وهو لا يخشى الاصطدام وان وجد ما يعثره فى الطريق . والعثرة أحيانا تنبه السادر . ولكن هل من الرأى أن يترجم هذا الكتاب الذى يتمادى فيه المؤلف فى الخيال

والذى يسوده الروح الشعرى قبل تلك الكتب الاخرى التى توضح لنا فكرة نيتشه أى الفكرة الاساسية فى أصل الاخلاق ؟

انى أقول هذا لانى أشك فى أن القارىء العربى الذى لم يسمع قبل الآن بنيتشه والذى لم يألف البحوث الفلسفية عن الاخلاق يمكنه أن يتابع المؤلف فى الغابة الكثيفة التى يشقها! وهو يحاول بلوغ النور خلال ظلماتها . ولكن المترجم وضع مقدمة منيرة وان كانت موجزة . وهو يهنأ باخراج هذا الكتاب الى اللغة العربية فى لغة رشيقة أنيقة واضحة

الايام المئة

الاستاذ محمود عزمى كاتب معروف باسلوبه التلغرافى وعبارته المبلورة . وهو فى هذا الكتاب « الايام المئة » يسرد علينا تاريخ على ماهر باشا وخاصة تلك الايام التى تولى فيها رياسة الوزارة فى سنة ١٩٣٦ . وقد حوى هذا المجلد الصغير — ١٣١ صفحة متوسطة — وثائق أو لباب الوثائق بعد أن حذف كل حشو وجردت كل زيادة . لذلك يشبه المجلد نوته يكتبها الصحفى أو السياسى للاستذكار . وقد خص المؤلف ٤٥ صفحة وصف فيها نشأة على ماهر باشا وتربيته . ثم اشتغاله بالمحاماة فالقضاء . ثم اشتراكه فى الحركة الوطنية منذ سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٣٦

وقد يلائم ان ننقل هنا ما ذكره المؤلف عن اختبارات الاستاذ على ماهر المحامى . فقد « جاءه يوما محام يبلغه فى الجلسة انه قد تم التفاهم بين موكليهما الذين يتكون منهم طرف الخصومة على التأجيل الى ما بعد فصل الاجازات . وطلب اليه أن يتقدم معه الى القاضى بهذا الطلب . فقبل . ثم اتضح له انه لم يكن هناك اتفاق على شىء مما أخبره به الزميل فعاد اليه ملاحظا . فلم يكن الا ان أجاب : « الذنب ذنبك . لماذا صدقتنى ؟ »

« ثم حدث أن وقف محامى خصوم موكلى على ماهر يطلب التأجيل . ويقول ان هناك مستندات جديدة تستدعى هذا التأجيل . ويمد يده باوراق يقول انها تتضمن هذه المستندات وكان على ماهر يعرف از ليست هناك سندات غير التى أودعت من قبل . وكان قد تلقى درسا عن أخلاق الزملاء من ذلك الحادث الاول . فنهض وامسك بيد الزميل وطلب الى المحكمة ان تتسلم منها المستندات . وأخذت المحكمة الاوراق التى كان المحامى يمد يده بها . فوجدتها بيضاء . ونطق القاضى بالتأجيل فاحتج على ماهر على هذا التصرف وانسحب من الجلسة صائحا أعجب لمحام يكذب . وأعجب لقاض يصادق على الكذب »

مبادئ التحليل النفسى

تأليف بول باوزفيلد

وترجمة الدكتور صبرى جرجس

مقدمة الترجمة العربية

دفعنى الى ترجمة هذا الكتاب عاملان

الاول : قصور اللغة العربية قصورا واضحا فى الكتب الخاصة بعلم النفس . وقد أخذ هذا العلم يقفز قفزاته السريعة منذ حو الى أربعين سنة ، أى منذ بدأ فرويد ينشر على العالم اراءه ونظرياته عن الاضطرابات العصبية والنفسية وعن علاقة الغريزة الجنسية بمختلف نواحى النشاط أو المرض فى الانسان . منذ ذلك الحين أخذ علم النفس مكانا مستقلا بين مختلف العلوم الانسانية بعد أن كان فرعا لا غير من فروع الفلسفة ، ومنذ ذلك الحين أخذت البحوث فيه تتصل ، وأخذت النظريات عنه تدرس ، وأخذت الكتب تؤلف وتنشر ، ونال من عناية العلماء والباحثين ما لم ينله أى علم آخر فى مثل هذه الفترة الوجيزة وظهرت عنه مئات الكتب بمختلف اللغات ، الا اللغة العربية فلم يكن حظه منها الا بضعة كتب قليلة ، هى على أى حال محاولات مشكورة من بعض أبنائها للمساهمة بقسط فى هذا الميدان من ميادين الادب العلمى

والثانى : هو أن فى هذا الكتاب مميزات قل أن تجتمع فى كتاب علمى واحد . فانه على الرغم من تناوله موضوعا معقدا كثير السراديب شائك التفاصيل ، سهل الاسلوب واضح العبارة قريب الى ادراك القارىء ذى الثقافة العادية . هذا مع احتفاظه بالروح العلمية على الدوام ، وخلوه مما يجافى الحقائق العلمية المعروفة — وليست هذه بالميزة القليلة فى كتاب

وسيشعر قارؤه بان كاتب هذا الكتاب تابع مخلص من أتباع المدرسة الفرويدية . وليس فى هذا ما يضيره أو يغض من قدره ، فقد كانت المدرسة الفرويدية ولا تزال — برغم كل الانتقادات التى وجهت اليها ، وبرغم سجل التعديلات التى ادخلت على تعاليمها — هى أهم المدارس فى السيكلوجية الحديثة وأوسعها نفوذا وأكثرها انصارا وأقربها الى الاقناع فى تعليل كل الظواهر الخاصة بنظرياتها .

وحسبها فخرا على الدوام ، وحسب صاحبها ان له فضل الرائد فى هذا الميدان المجهول من ميادين الكشف الانسانى .

وقد تحاشينا ذكر مصطلحات علمية تثقل على الفهم الا مادعت اليه الضرورة ، وتسهيلا للقارىء اثبتنا فى أول الكتاب قائمة بالمصطلحات الواردة فيه مع شرح موجز يساعد على ادراك معناها . وقد تعين القارىء فيما يطالعه من الكتب الاخرى الخاصة بهذا الموضوع القريبة منه .

فاذا استطاع هذا الكتاب أن يعين القراء على تفهم العوامل التى تؤدى الى حديث الاضطرابات العصبية والنفسية الذائعة الانتشار فى الحياة اليومية ، واذا استطاع أن يقرب من أذهانهم مبادىء التحليل النفسى ، وان يساعدهم على حياة أوفر بالصحة وادنى الى تحقيق الهدوء والسعادة فتلك غايتنا منه . وذلك حسبنا والسلام ؟

صبرى جرجس

مقدمة المؤلف

الغرض من هذا الكتاب هو ان يقدم للقارىء بحثا عن التحليل النفسى — نظريته وطريقته ومداه — باسلوب سهل يقربه الى الاذهان دون دراسة منتظمة سابقة فى علم النفس او العلاج النفسى . والطالب الذى يريد دراسة هذا الموضوع ، بل الذى يريد الالمام بنواحيه الهامة فقط ، لن يكفيه فى ذلك كتاب واحد ، بل سيكون عليه ان يقرأ فيه كتبا كبيرة متنوعة ، يخرج من كل منها ببعض المعلومات ، لان كل كتاب سيفترض ان قارءه على المام تام بالتفاصيل الهامة من مطالعاته السابقة . هذا فضلا عن ان اغلب هذه الكتب تستعمل مصطلاحات علمية عسيرة الفهم ، مما يرغب القارىء المبتدىء عنها ويحد من مقدار انتفاعه منها ، بل ويعطيه فكرة غامضة او خاطئة عن كثير من الآراء الواردة فيها . وقد حدثنى عدد غير قليل من الاطباء فى هذا الموضوع ، وشرحوا لى الصعوبات التى يصادفونها فى فهم حتى ابسط المبادىء الأولية عنه ، ومن ثم شعرت ، بضرورة وجود كتاب - جامع وبسيط معاً - فى الموضوع يكون بعيدا بقدر الامكان عن المصطلحات العلمية الصعبة ، وفى الوقت نفسه ضمنته قائمة تشمل كل المصطلحات الكثيرة الاستعمال مع شرح موجز لمعناها

وقد ابحت لنفسى — فى الامثلة الاولى التى ذكرتها لايضاح الخواص المميزة لبعض الاضطرابات العصبية النفسية — ان اخترع حالات مثالية ، او اعدل فى تفاصيل بعض الحالات المعقدة ، حتى تكون الاراء الواردة فيها واضحة تمام الوضوح لاولئك الذين لم يسبق لهم قراءة شىء فى هذا الموضوع . كما انى فى الفصول الاولى الخاصة بالعقل الباطن اقتصرت — لنفس السبب — على امثلة قليله سهلة ، على الرغم من ان الاستعانة بامثله اكثر تعقيداً كان يجوز ان يعطى القارىء فكرة ادق عن بعض النظريات . وهنا يجب ان انبه ان هذه الامثلة لاينبغى ان تؤخذ كبراهين للنظريات المذكورة ؛ لان هذه البراهين يمكن ان يلتمسها القارىء فى الكتب الكبيرة . اما هذه الامثله فليست

الا طريقه لشرح نظريات معقدة بصورة سهلة مبسطة .

ولا بد ان الغالبية من القراء يعرفون ان فرويد هو مبتدع نظرية التحليل النفسى وطريقته . ولكن هذا لايمنع ان هناك بعض نقط فى تعاليمه يخالفه فيها الكثيرون ، ولا يجدون من تفسيره لها برهانا كافيا لاقتناعهم بها . وساذكر بعض هذه النقط بايجاز فى هذا الكتاب . وقد يخطر للبعض ان يسلم تسليما تاما ومطلقا بكل الاراء التى يضمنها احد كبار العلماء كتاباً له ، ولكن فى هذا الاتجاه خطورة كبيرة لانه يعوق دون البحث عن الحقيقة . فان كل عالم مهما سمت مكانته قد يجد فى بعض الاحيان ادلة لاتنطبق على نظرياته تمام الانطباق فيحاول ان يتجاهلها ، او يحاول دون وعى منه ان يزيفها لكى يجعلها منطبقة على ارائه . وسيرى القارىء فى هذا الكتاب ثلاثة أمور هامة لا تستطيع ادلة فرويد ان تقنعنى بها : اولها نظرية القضاء المطلق فى تعارضها مع الادارة الحرة . وثانيها مايقرره من ان كل الاحلام لها نفس العوامل المسببة . وثالثها نظريته القائلة بان الرغبة الجنسية هى الرغبة الاساسية التى تكمن وراء كل الرغبات والانفعالات الاخرى . ولكن القارىء سيرى ايضا ان هذا الخلاف لن يمس باى صورة من الصور قبولنا لطريقته فى التحليل النفسى ، او لنظريته عن الاحلام فى اغلب الحالات ، او لارائه فى سبب معظم الامراض العصبية والامراض العصبية النفسية . فالى فرويد يجب ان يعزى الفضل دائما فى اكتشافه ماسيكون على الارجح احد العوامل الهامة فى التطور المستقبل للنوع البشرى . وسيخصص الفصل الاخير فى هذا الكتاب لبحث الطرق التى يمكن ان يكون التحليل النفسى بوساطتها ، لاعاملا فى شفاء الاضطرابات العصبية للافراد وحسب ، ولكن فى اكتشاف المواد الضارة فى النزعات العقليه على وجه عام ايضا ، وبذلك نكون قد تقدمنا خطوة نحو اصلاح هذه النزعات ؟

بول باوز فيلد

قائمة بالمصطلحات العلمية الواردة فى الكتاب

Abasia	تغيف — عدم القدرة على المشى لنقص فى التآزر
Affect	عاطفة — الاحساس الذى يعقب المعرفة ويدفع الى العمل
Agoraphobia	رهبة المجتمع — الخوف من الفضاء والامكنة المتسعة
Algo agnia	شبق الالم — نشاط العاطفة الجنسية المصحوب برغبة فى انزال الالم او احتماله . يتضمن السادية والماسوشية
Allo erotism	الشبقية الغيرية — الاحساس بالشبق من اى نوع الموجه نحو الغير (اى فرد من اى الجنسين)
AmbivaLence	وجود احاسيس متعارضة (متناقضة) فى وقت واحد
Amnesia	فقد الذاكرة — ضياع الذاكرة ضياعاً تاماً بالنسبة لفترة او حادثة ما
Anesthesia	التخدير — فقد الاحساس
Anal eroticism	الشبقية الشرجية — الانفعالات الشبقية الناتجة من تنبيه منطقة الشرج
Aphonia	صمتة — عدم القدرة على الكلام
Astasia	فقد القدرة على الوقوف بسبب عدم تآزر الحركات
Auto—erotism	الشبقية الذاتية — الاحساسات الشبقية من اى نوع التى تنشأ فى الفرد نفسه وتتجه اليه
Bi—sexual	التناسلية الثنائية — «١» كائن يحتوى على مميزات الجنسين ، جسدية او عقلية . «٢» كائن عنده احساسات شبقية بالنسبة لافراد الجنسين
Catharsis	تفريغ — تطهير عقلى يحدث بوساطة استحضار التجارب او الاراء غير السارة الى السطح

Censor — المراقب — القوة الضاغطة فى العقل التى تعمل على منع الامور غير السارة من الظهور فى الوعى

Cloacal Erotism — الشبقيه المخرجية — الاحساسات الشبقية التى تنتج من تنبيه احدى المناطق المنطوية فى المخرج اصلا وهى الشرج والمهبل ومجرى البول

Cloaca Theory — الاعتقاد الطفلى الخاص بالولادة عن طريق المستقيم

Claustrophobia — الخوف من الاقامة فى الاماكن المقفلة او المحدودة

Coitus interruptus — العزل او الجماع المقطوع — الانزال فى الخارج

Coitus reservatus — الجماع المؤجل — تأخير احد الطرفين للارجازم اوعدم حدوثه مطلقاً

Complex — مركب — مجموعة من الاراء تشير الى فكرة مركزية ، وقد ضغطت كل هذه المجموعة اوجزء منها مع الانفعالات المصاحبة لها

Condensation — التكثيف — الامتزاج غير الواعى لبعض اراء ، حتى ينتج منها وحدة مركبة

Constellation — مجموعة من الاراء غير المضغوطة

Conversion — التحويل — اظهار اراء انفعالية مضغوطة (غير سارة) فى صورة مادية (كما يحدث فى الهستريا التحويلية)

Coprophilia — حب البراز

Dislpacement — التحويل — نقل الطاقة النفسية او الاحساس النفسى من فكرة الى اخرى ، ولكن دون تغيير فى قوة الانفعال الاولى كما يحدث فى التصعيد مثلا

Erogenous Zones — المناطق الشبقية — اى منطقة فى الجسم يؤدى تنبيهها الى انفعالات شبقية

Euphoria — الاحساس بالصحة والعافية

Exhibitionism	العرض التناسلى — الارتواء الشبـــقى من عرض الاعضاء التناسلية او اى منطقة شبقية اخرى
Fe	الارتواء الشبقى من عضو من اعضاء جسم المحبوب او قطعة من ملابسه (المنديل او القفاز الخ)
He o	الرغبات الشبقية التى تتجه نحـــو احد افراد الجنس الاخر (الاحساس الجنسى الطبيعى عند البالغين »
Homo—sexuality	عشق الجنس — الرغبات الشبقية التى تتجه نحو احد افراد الجنس ذاته « حالة طفلية او بدائية قد تستمر الى ما بعد البلوغ »
Idiogamist	رجل قادر مـــع امرأة خاصة « او نوع محدود من النساء » فقط ، وعنين مع بقية النساء
Incest	عشق الاقارب « الفسق بالاقارب » — الفعل الجنسى مع او الرغبات الشبقيه الموجهة الى الاقارب القريبين
Introjection	امتصاص الحوادث الخارجيـــة فى الذات فيستجيب الفرد لها كانها حدثت فى داخل نفسه او كانها جزء من نفسه
Libidio	اللبيد أو الشهوة — الرغبة الشبقية
Masochism	الماسوشية — شذوذ تناسلى يحس المصاب به بلذة شبقية من تحمل القسوة والألم
Masturbation	الاستنماء — اللعب الشبقى الذاتى فى الاعضاء التناسلية بغرض احداث الارجازم
Narcissism	عبادة «عشق» الذات — الارجح أنها تنشأ قبـــل الولادة . وتبقى غير جنسية لفترة قصيرة ولكنها لا تلبث ان ترتبط بالمركبات الشبقيه الذاتية
Nosophobia	الخوف من المرض

Oral Erotism	الانفعالات الشبقية الناتجة من تنبيه الفم او الشفتين .
Projection	الانعكاس — يعزو الفرد مركباته الداخليه الى سواه، وبذلك يرى صورة رغباته ونزعاته الخاصة بشخصه منعكسة على الغير أو على الحياة الخارجية
Ratirnalization	اختراع اسباب للخواطر او الافعال اذا لم يستطع العقل الواعى معرفة الدفاع الحقيقى
Regtessien	الارتداد — التحول النفسى الى حالة بدائية فى الحياه العقلية
Repression	الضغط — منع الاراء غير السارة من الظهور فى الوعى ، او ارجاعها بالقوة من الجزء الواعى من العقل اذا كان قد سبق لها الظهور
Resistence	المقاومة — القوة التى تعمل على ضغط الاراء غير السارة ، وعلى منعها من الظهور فى العقل الواعى «المراقب»
Sadism	السادية — شذوذ تناسلى يحس المصاب به بلذه شبقية من انزال الالم بالغير (الم جسدى او عقلى)
Sublimation	التصعيد (التسامى) — تحويل الطاقة الشبقية من هدف تناسلى الى هدف غير تناسلى، نافع من الناحية الاجتماعية . وهو يختلف من التحويل فى ان الاخير ينقل الطاقة الشبقية من هدف تناسلى الى هدف تناسلى آخر اقل ظهورا بهذه الصورة فى العقل الواعى
Transference	النقل — نقل (او تحويل) الطاقة النفسية من فكرة الى اخرى ، أو فى حالة التحليل من الشخص الى المحلل
Trauma	جرح — اذى ، نفسى أو جسدى
Voyeuv	نظار — اشباع الاحساس الشبقى من النظر الى الاعضاء التناسلية او المناطق الشبقية عند الغير
Zoophilia Eroticism	الشبقية الحيوانية — الارتواء الشبقى من ملامسة الحيوانات او الاتصال بها .

مبادىء التحليل النفسي

(١) العقل غير الواعى

من الضروري قبل تعريف التحليل النفسي وبحث طرائقه ان نفهم بوضوح تام العقل في عناصره غير الواعية ، ووظيفة هذه العناصر فى علاقتها بالاراء والرغبات والانفعالات .

وقد قسم فرويد وغيره من علماء النفس العقل الى اقسام متعددة ؛ غير اننا نرى — تسهيلا للامر — ان نقصر هذا التقسيم على قسمين : العقل الواعى وهو لايحتاج الى شرح طويل هنا لأنه ذلك الجزء من العقل الذى يعرف ويشعر ويفكر فى الحاضر المباشر . والعقل غير الواعى (او العقل الباطن) وهذا يحتاج الى شيء من الشرح . فانه اول كل شيء بمثابة المخزن للخواطر والحقائق ، او بعبارة اخرى هو الذاكرة التى نخزن فيها كل مايصادفنا من التجارب . وفى اى لحظة من اللحظات لايكون فى عقلنا الواعى الا ذكريات قليلة جدا ، أى اننا فى تلك اللحظة بالذات لانستطيع ان نعى ذلك القدر الهائل من التجارب التى مرت بنا فى اثناء الحياة . ونحن نعلم أننا لو حولنا انتباهنا الى جهة ما فاننا نستطيع ان نستحضر فى الوعى عددا كبيرا من هذه الذكريات التى تظل اغلب الوقت كامنة دون ان نعيها او نشعر بوجودها . فيمكن ان يقال اذن ان هذه الذكريات لحوادث الماضى تبقى «مخزونة» فى الجزء غير الواعى من العقل .

وهذا ينقلنا الى نقطة اخرى هى انه بينما نستطيع اذا بذلنا جهدا مناسبا استحضار كثير من الذكريات الى الوعى ، وبينما تأتى بعض هذه الذكريات الى العقل اذا صادفتها ارتباطات مصادفة باحد المنبهات الخارجية ، فان هناك حوادث وتجارب اخرى نسيناها كل النسيان فلا يمكن ان نستحضرها قط كذكريات واعية .

وسنذكر الآن بعض امثلة لتوضيح مانقول

فالانسان يستطيع ان يذكر بمجهود قليل جدا مع من تعشى مساء السبت الماضى مثلا لان هذا الحادث كما يقال لايزال « جديدا فى الذاكرة » . ولكنه يحتاج الى مجهود اكبر لكى يذكر آخر رواية شاهدها على المسرح ، فمن الجائز ان يكون هذا الحادث قد وقع منذ بضعة اسابيع ومن الجائز ايضا ان يكون ذلك الشخص قد اختلف الى مسارح متعددة فى الشهور الأخيرة . وطريقة العقل الواعى فى تذكر هذا الامر تحدث على النحو الآتى : يحاول الانسان اولا ان يتذكر متى حدث هذا الامر (اى متى ذهب الى المسرح) ، ثم بعد ذلك يحاول ان يتذكر مع من ذهب ، ثم يحاول ان يتذكر اين تناول عشاءه ذلك المساء : افى المنزل ام خارجا ، ثم يحاول ان يتذكر نوع العمل الذى كان يشغله فى ذلك الوقت وكيف استطاع ان يدبر الفراغ للذهاب الى المسرح وهلم جرا . او بعبارة اخرى يحاول الانسان ان يجد شيئا يتعلق به : ارتباطا يتصل بالحادث الذى يحاول ان يتذكره . وقد يكون الفكر الاخير هو الذى يعطيه ذلك الارتباط ، او بتعبير اصح سلسلة الارتباطات فتجرى المسألة على هذا النحو « من المحقق اننى كنت مشغولا جدا ولكنى اذكر الآن ان احد مرضاى لم يستطع ان يحضر ليرانى ، فكلمنى بالتليفون . نعم ، ثم كلمته أنا بالتليفون وطلبت منه أن يقابلنى فى النادى وقد تناولنا عشاءنا هناك ، ثم تحدثنا عن سهرة المساء واخيرا استقر رأينا على الذهاب الى المسرح لمشاهدة رواية هملت » .

من هذا نرى ان الذاكرة تتوقف على ايجاد حادثة مرتبطة بالامر الذى نحاول ان نتذكره ، ثم وصل هـــذا الارتباط بارتباطات اخرى . وقد تجىء هـذه الخواطر متتابعة بسرعة هائلة بحيث تبدو كأنها البرق امام العقل ، ولكن مهما يكن من هذا فان الدلائل تدل على ان كل الذكريات تتوقف على مثل هذه السلسلة من الارتباطات ، وهـذه الارتباطات ، تستحضر الى العقل الواعى الحقائق التى كانت مختفية فى العقل الباطن .

وسنذكر فيما يلى مثالا للذكريات التى تحتاج الى منبه خارجى لكى يظهرها فى الوعى : اذكر بوضوح اعلانا عن احد الادوية المستعملة لتنظيف الاسنان ، ولكننى لااستطيع ان اصل الى الارتباطات التى تمكننى من ان احدد اين رأيت هـذا الاعلان . وبطريق الصدفة بينما انا سائر فى الطريق ارى نموذجا لسفينة حربية فى واجهة احد المخازن التجارية : فيندفع الى عقلى فجأة اننى رأيت الى

جانب الاعلان عن دواء الاسنان اعلانا آخر عن أنواع الويسكى صورت معه سفينة حربية ثم أذكر الى جانب هذا اننى كنت أتحدث الى أحد أصدقائى عن ندرة هذا النوع من الويسكى بينما كنا نستقل القطار تحت الارض . فهناك اذن كان المكان الذى رأيت فيه ذلك الاعلان

وهنا نرى أن سلسلة الارتباطات تنقلنا فورا الى موضوعنا بمجرد عثورنا على نقطة البدء . ومن الجائز اننا كنا سنجد مع الوقت نقطة أخرى للبدء فى عقلنا بدلا من الخارج . ولكن الحادثة ذاتها كانت من التفاهة بحيث لم يكن لها ارتباطات نستطيع أن نستند اليها بسهولة . فالمنبه الخارجى امدنا بالارتباط الاول ، ثم تلاحقت الذكريات بعد ذلك الى وعينا سراعاً .

وننتقل الآن الى مثال ثالث ، وهو مثال التجارب التى لا يمكن ان تستحضر الى الوعى بالطرق العادية ، فاذا سئلنا أين تناولنا العشاء ليلة ٢٥ مايو سنة ١٩١١ لما استطعنا أن نذكر . فالذكرى هنا قد ضاعت ، والى الابد . ومع ذلك فاذا كان الانسان يدون يوميات متصلة فمن الجائز أن يكتشف حادثة مختفية يستطيع منها وبمعاونة عدد من الارتباطات الأخرى أن يذكر هذا الامر

والتحليل النفسى يظهر لنا انه بواسطة طريقه خاصة يمكن استحضار ذكريات بعيدة من الطفولة تبدو كانها نسيت الى الابد اذا استطعنا أن نصل الى السلسلة المناسبة من الارتباطات . كما اننا بالاستهواء نستطيع أن نستحضر بدقة وتفصيل عجيبين ذكريات قديمة لا أثر لها فى العقل الواعى ، لان النسيان المطلق التام للتجارب لا يحدث . بل من الممكن استحضار كل كلمة دارت فى حديث وقع لبعض الناس منذ عشرين سنة بوساطة الاستهواء .

وهذا بدوره ينقلنا الى بحث الاسباب المختلفة التى تجعلنا نفقد (أو ننسى) سلسلة الارتباطات التى تتصل بتجاربنا المنسية . وأحد هذه الاسباب ذكرناه قبلا ، وهو تفاهة الحادثة مما يجعل استحضار الارتباطات الخاصة بها أمرا صعبا ، وهناك أسباب أخرى نذكرها فيما يلى

انا كثيرا ما ننسى أمرا لاننا لا نحب أن نتذكره ، أو لانه يرتبط بأمور لا نحب أن نذكرها . وهذا يحدث بصفة خاصة فى المصادمات العقلية التى نرفض أن نجد لها حلا فى الوعى ؛ لان أى حل نصل اليه لا يكون سارا لنا . وهذا النوع من النسيان نسميه الضغط ، فان الذكريات غير السارة والارتباطات التى يمكن أن تستحضرها الى العقل الواعى كلها تضغط من الوعى الى العقل الباطن ،

وقد كتب داروين فى تاريخ حياته « اتبعت فى خلال سنوات طويلة قاعدة ذهبية لم أحد عنها هى انه كلما لاحظت شيئاً جديداً أو خطر لى خاطر يتعارض مع النتائج العامة التى وصلت اليه ، أسارع الى تدوينه فى مذكراتى على الفور ، لاننى وجدت بالتجربة ان هذه المشاهدات والخواطر اسرع الى النسيان مما كان يتفق مع ارائى »

وفى هـذه الحالات من النسيان بوساطة الضغـط يوجـد على الدوام نزاع بين الارادة الواعية والارادة غير الواعية ، وسنرى فيما بعد ان الارادة غير الواعية عامل من أهم العوامل فى تقرير الضغط. فان الارادة الواعية تحاول أن تتذكر أمرا ما فتعترضها الارادة غير الواعية اعتراضا شديدا قائلة «ان هذا امر غير سار فيجب الا يبقى فى الذاكرة » وفيما يلى مثال جميل ذكره ميدير : « كان أحد أطباء الامتياز على موعد لعمل هام فى المدينة ، ولـكن لم يسمح له بالخروج من المستشفى حتى يعود رئيسه من حفلة عشاء كان مدعوا اليها . ولما كان الوعد هاما فقد قرر أن يذهب مضحيا بغضب رئيسه ، فلما عاد وجد لدهشته انه ترك نور غرفته مضيئاً ، وهو أمر لم يحدث له من قبل قط على الرغم من انه شغل هذه الغرفة سنتين . وعندما فـكر فى الامر ادرك لم حدث منه ذلك ، فان رئيسه عند عودته سيمر بالغرفة ويرى نورها مضيئا فيظن انه موجود . فهنا قرر العقـل الباطن أن ينسى مسألة ايقاد النور (أى انه ضغطها) .

ونحن نصادف فى حياتنا اليومية أمثلة لاتعد من هذا القبيل ؛ فنحن كثيرا ما ننسى أين وضعنا كمبيالة مطلوبة منا ولـكننا لا ننسى أين وضعنا شيكا لنا ، ونحن قد ننسى أن نلقى خطابا كلفنا القائه ضد رغبتنا ولـكننا لا ننسى القاء رسالة غرامية وهكذا .

وسا ذكر فيما يلى مثالا من تجاربى لايضاح نوع عادى مألوف من هـذا الضغـط : كان على أن أحضر محاضرة عن العلاج النفسى يلقيها رجل أخالفه فى الرأى كل المخالفة ؛ ولم أكن أود ان احضره ولكنى كنت مضطرا الى ذلك رسميا . فالذى وقع هو اننى اولا كتبت موعد المحاضرة فى مفكرتى متأخرا اسبوعا ، ولما اكتشفت هذا الخطأ ترددت فى اصلاحه لحظة ثم عندما اصلحته كتبت يوم الثلاثاء بدلا من الخميس (يلاحـظ ان اليومين متقاربان بالانجليزية) . ثم لما سألنى بعض أصدقائى عن موعد المحاضرة اجبت انه الثلاثاء بدلا من الخميس (اى اننى بدون وعى منى حاولت ان أفوت

عليهم المحاضرة) ، واخيرا حددت موعدا لمريض فى الموعد الحقيقى المحدد لالقاء المحاضرة . هـذا مع ملاحظة اننى حضرت بانتظام كل المحاضرات التى القيت فى ذلك المعهد وكنت اتطلع اليها قبل موعد القائها فيما عدا هذه المحاضرة التى كنت اكرهها ومع ذلك قررت ان احضرها ، هنا حاولت ارادتى غير الواعية اكثر من مرة ان تعوقنى عن الحضور

وقد تناولت الامثلة التى ذكرناها حتى الآن الضغط فى امور صغيرة وقليلة الاهمية ، ولـكن القاعدة نفسها يمكن تطبيقها فى كثير من السمات الهامة بل والبارزة فى الحياة . فبعض المصابين « بصدمة القنابل » او بغيرها من امراض الحروب العصبية تضيع من ذاكراتهم فترات طويلة قد تصل الى بضعة اسابيع او شهور من خدمتهم ، او قد ينسون كل النسيان حادثة مروعة مما كان ينتظر ان تبقى عالقة فى عقولهم الى الابد . بل ليس مستحيلا ان نلقى بعض المرضى ممن نسوا ماضيهم كله نسيانا تاماً .

واحد هؤلاء — وهو من مرضاى — نسى بالكلية كيف مات اعز صديقين عليه ، على الرغم من انه كان واقفا بالقرب منهما ساعة موتهما وشاهد القنبلة التى قتلتهما وهى تنفجر ، وقد اطارت رأس احدهما وبقرت بطن الثانى . فهذه الحادثة المروعة ضغطت ضغطاً تاماً من الذاكرة الواعية ، وكذا ايضا كل الارتباطات المتصلة بها التى كان يمكن ان تؤدى الى تذكرها ، او بعبارة اخرى انفصل جزء صغير كامل من حياته عن الوعى ، ونسى . وقد امكن اعادة هذه الذكريات اليه تدريجيا بواسطة طريقة التداعى الحر التى تمارس فى التحليل النفسى . وساحاول الان ان اذكر مثالا يوضح كيف يحدث هذا « الانفصال من الوعى » :

اذا كتبت الان قائمة مكونة من ثمانى كلمات لا اتصال بينها مطلقا فسيرى القارىء العادى انه من الصعب عليه جدا ان يتذكرها بترتيبها بعد قراتها مرة واحدة او اعادتها من الاخر الى الاول

ابريق

جرس

مكتب

آله

زهرية

لزقة

مائدة

محرك للنار

وذلك لانه لا يوجد « ارتباط » بين الكلمات بعضها بعضاً ، فلا تساعد احداها على استحضار الكلمة التى تليها الى الوعى

ولكن اذا كتبنا قائمة اخرى ترتبط كل كلمة فيها بالكلمة التى تليها ارتباطا واضحاً محددا فى ناحية ما فسيكون من السهل على القارىء ان يتذكرها بعد قراءتها مرة واحدة ، او يعيدها من الآخر الى الاولى

حبر

اسود

حزن

موت

شبح

هاملت

شكسبير

باكونى

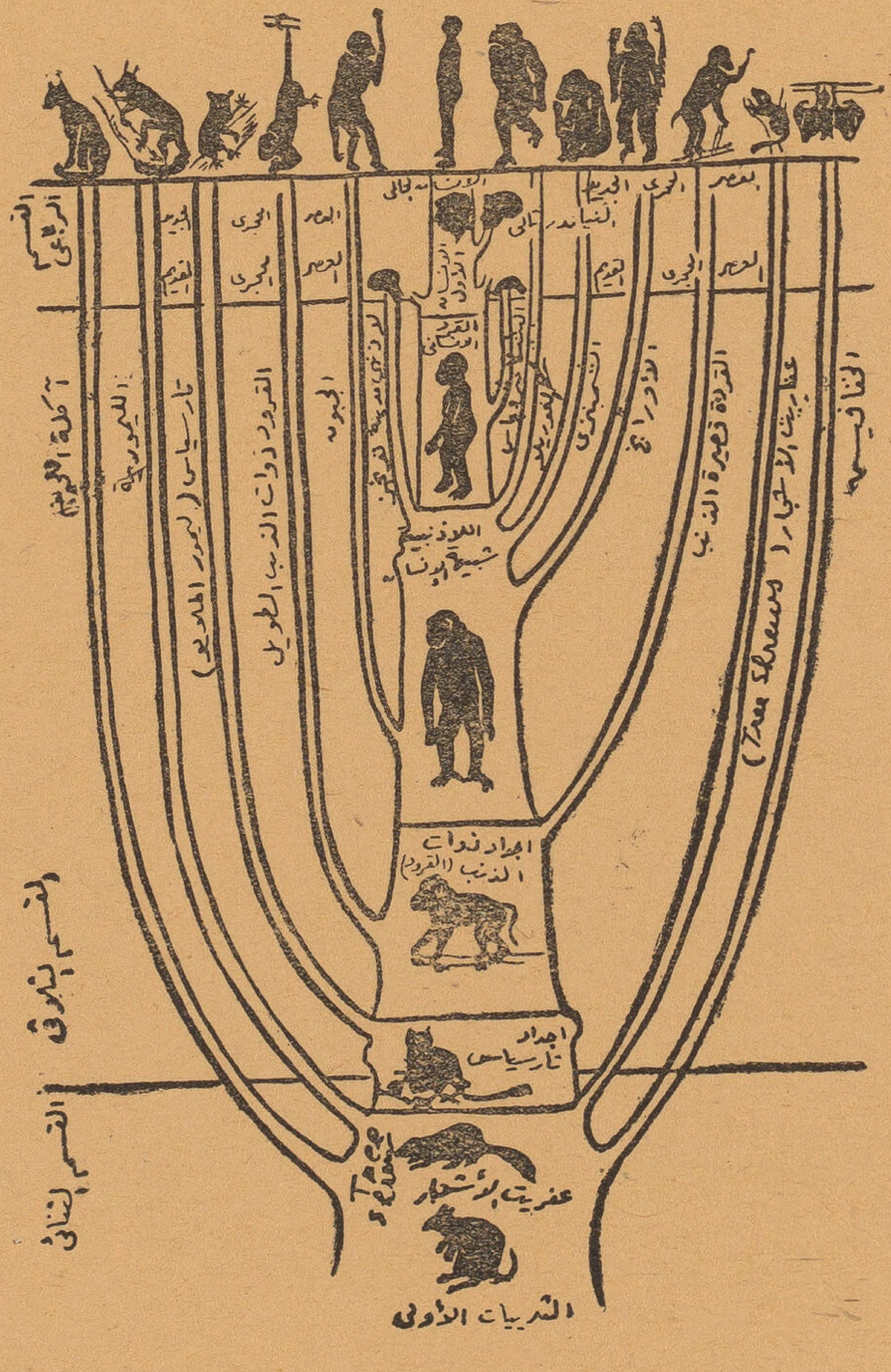
ففى هذه القائمة يوجد ارتباط ظاهر بين كل كلمة واخرى ، وبينما نحن ننطق باحداها تأتى الكلمة التى تليها دون مجهود كبير من اللاوعى . فاذا فرضنا الآن ان ذكر « الموت » و « الشبح » لا يسر واننا نود ان نضغط هذه الفكرة فاننا نستطيع ذلك بتزييف الارتباط — دون وعى — عند كلمة حزن Mourning بان نهمل حرفا من الكلمة فتصير Morning اى صباح . وهذا ميسور بطرق متعددة

١ — اما باللعب بالكلمات وذلك بان نحشو كلمة صباح Morning فتصبح كلمات القائمة :

شجرة نسب عائلة الانسان

نقله عن الاستاذ ارثر كيث العالم الانجليزى

الاستاذ ميلاد جندى بكالوريوس فى العلوم



مطبعة المجلة الجديدة

٥/٨

المجلة الجديدة

مايو سنة ١٩٣٩



صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى



المرحوم الملك غازى

عم الحزن قطر العراق وسائر الاقطار العربية لوفاة المرحوم الملك غازى فى الشهر . الماضى وقد تولى العرش مكانه ابنه الملك فيصل الثانى وهو صبي فى الرابعة من عمره

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الخامس

المجلة الجديدة

العدد الخامس
من
السنة الثامنة

٢٤ حارة جاد ـ شارع الفجالة ـ مصر

مايو ١٩٣٩

افتتاحيـــــات

مكافحة التعطل فى الولايات المتحدة

كان من أعظم ماتفخر به الدول الديكتاتورية — روسيا والمانيا وايطاليا — انها عالجت التعطل فليس فى أقطارها عامل لايجد عملا ، وكان ولايزال التعطل متفشيا فى الامم الديمقراطية لان فيها الملايين من المتعطلين . ففى الوقت الذى تحتاج فيه المانيا إلى عمل العمال الاجانب الذين تستوردهم من ايطاليا او من غيرها تجد كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أمامها الملايين من المتعطلين الذين يتناولون اجر تعطلهم . وقد يقال هنا أن ألمانيا انما استطاعت استخدام جميع عمالها وزيادة عليهم من الأجانب لأنها نقصت الاجور ولأنها انشأت عشرات المصانع للذخيرة والسلاح فى حين أن الأمم الديمقراطيـة لم تنقص أجور عمالها . بل يمكن أن يقال أن النظام الديمقراطى فى بريطانيا مثلا يسعه أن يمنح المتعطل الذى لايعمل مثل ماينال العامل فى المانيا أو ايطاليا على عمله الذى يعمله

والآن نترك هذه الاعتبارات لـكى نعرف ماذا قامت به الحكومة الامريكية لمـكافحة التعطل . فان هذه الحكومة إلى جانب ماقررته من أجور تؤدى للعاطلين ابتكرت مشروعا آخر كانت ثمرته ايجاد مايسمى « فيلق الصيانة المدنية » وهو يجمع بين استخدام المتعطلين وبين تعليمهم وتدريبهم . وهذا

الفيلق لايستخدم سوى الشبان بين سن ١٧ و ٢٤ سنة . وقد مضى عليـه الآن ست سنوات تخرج منه مليونان وربع مليون من الشبان وقضى فيـه كل منهم مابين ستة أشهر وسنتين . فأعضاء الفيلق أو جنود هذا الفيلق فى تغير لاينقطع . ولفظة « فيلق » هنا مع رائحتها العسكرية لاتدل على ان النظام الذى يخضع له الشبان يومىء من قريب أو بعيد الى العسكرية . فان الشبان يجمعون من انحاء الولايات المتحدة من كل لون الابيض والزنجى والامرندى ثم يوزعون على اربعة آلاف مخيم فيعيشون فى الهواء الطلق وتلقى عليهم دروس ثقافية وحرفية فيتعلمون العلوم والاداب مع حرفة عملية يمكنهم ان يعيشوا منها عندما يتركون المخيم . وهم يأكلون ويشربون وينامون بالمجان . وفوق هـذا يتناول كل منهم ستة جنيهـات فى الشهر . ويجب على كل عضو ان يرسل الى اهله من هـذا المبلغ ٤٤٠ قرش ويحتفظ إذا شاء بالباقى وهو ١٦٠ قرش لان الغرض ليس استخدام المتعطل فقط بل مساعدة اهله ايضا . والى جنب هذا يتعود الشاب حياة الهواء الطلق فى الخيام . ويتعلم حرفة جديدة أو يستكمل دربته فى حرفة قديمة . وينال مقداراً من الثقافة

أما من حيث العمل الذى تنتفع به الدولة مباشرة فينحصر فى « الصيانة » أى ان هؤلاء الشبان يعملون فى تخطيط الطرق وفرشهـا بالأسفلت أو الخرسانة وفى انشاء الجسور فوق الانهـار وتقوية شطوطها وفى غرس الغابات وتمديد السكك الحديدية واقامة الحواجز ضد النار فى الغابات ونحو ذلك . فالعمل كله يجرى فى الهواء الطلق الذى يحتاج اليه الشاب فى تقوية صحته وتقوية عضلاته . فالشاب الفقير يؤخذ وهو شاحب مترهل العضلات . فلا يمضى ستة أشهر فى احدى هـذه الخيام حتى يكون قد لوحته الشمس ونما ذهنه وربا جسمه . وليس الالتحاق اجباريا فلا يفرض على كل متعطل أن يلتحق باحدى الخيام . وانما هو يتطوع تغريه الجنيهات الستة الشهرية إلى ماسوف ينتفع به من صحة وتعلم . والعادة ان الالتحاق يكون لستة أشهر ولـكن يمكن كل شاب أن يبقى فى الخيام مدى سنتين يخرج بعدها الى مدينته أو قريته فلا يشق عليه أن يجد العمل الذى درب عليه وهو بالخيام

وقد افتتحت هذه الخيام سنة ١٩٣٣ فهى الآن فى سنتها السابعة وقد مر فيها كما قلنا مليونان وربع مليون شاب هم الآن أصح أجساما وأثقف أذهانا وأعظم دربة على المهنة مما كانوا قبل أن يدخلوها كما أن الولايات المتحدة انتفعت بخـدمتهم فى صيانة ثروتها وترقيتها . وفى الوقت نفسه وجـد آباء

هؤلاء الشبان مـدة غيابهم عنهم أجوراً أنفقوها فى حاجاتهم فخدموا الرواج الصناعى والتجارى
هذا مثال مما تقوم به أمة ديمقراطية متمدنة لمكافحة التعطل . وهو ثمرة التفكير الاجتماعى الذى هو دأب الساسة الديمقراطيين والذى مازلنا مع الأسف نجهله فى مصر

الصراع بين الوطنية والعالمة

يكابد العالم فى هذه الأيام من حدة الوطنية مثلما يكابد المريض من شدة الحمى . فهو فى بحران من الفرق يهذى وفى الوقت نفسه ينصرف نشاط رجاله الى التدمير أو أعداد العدة للتدمير . .

وهذه الوطنية هى فى الاصل فضيلة تنشد الخدمة لابناء الوطن وتدعو الى العزة لـكى تكتسب النفس كرامة تحث على الهمة والنشاط . ولـكن قديماً قال ارسطوطاليس أن الفضـــائل وسط بين الافراط والتفريط . وكلاهما رذيلة . وقد أفرطت بعض الأمم فى الوطنية فاستحالت فضيلتها رذيلة وكما تستحيل الشجاعة بالافراط تهورا كذلك صارت الوطنيه بالغلو الحاضر تحديا ثم تهديدا ثم اعتداء

ومما يتفق والمنطق أنه حيثما احتدت الوطنية تقهقر الدين . بل هو يحـارب عندئذ لانه ينافى الوطنية . ذلك أن الدين التوحيدى الذى يدعو الى رب واحد يقول بالمساواة بين أبناء البشر . وهذه المساواة لا تتنافى مع الوطنية المعتدلة ولـكنها لا تجد مكانا أمام الغلو فى الوطنية

وقد كانت الاديان الوثنية القديمة تتفق والوطنية مهما احتدت لأنه كان لكل قطر آلهته الخاصة وكانت هذه الحال ملحوظة وقت الحروب . فـكان أول ما ينبغى على القائد الظافر أن يعمد الى الأوثان والاصنام فيحطمها . لأن تحطيمها يعنى تفكيك الرابطة الوطنية

ولـكن التوحيد جاء بعد ذلك فتسامى بالناس فى جميع الاقطار الى فكرة الاخاء البشرى الذى يعلو على التمايز الوطنى . ولذلك يمكن أن نعد التوحيد من هذه الناحية دعوة الى العالمية كما هو دعوة الى الديمقراطية الروحية . فلا تمايز بين ملك أو صعلوك ولا بين صينى أو أنجليزى امام الله الواحد . ومن هنا هذه المقاومة التى يلقاها الدين فى الامم التى تدعو الى المبالغة فى الوطنية . لأن زعماء هذه الامم يشعرون أن الولاء للوطن يجب ان يكون تاما لا يشترك معه أى ولاء آخر

وقد اعقب الحرب الكبرى طموح الى السلام ورغبة فى التوحيد العالمى ولـكن هذا الطموح

يبدو الآن كأنه لم يكن سوى الاسترخاء يعقب الجهد أو هو الرغبة فى الراحة تعقب الاعياء . يعزز هذا الظن ان النيات لم تكن سليمة إذ فرضت شروط قاسية على المانيا لو أن صبيا صحيح العقل فى العاشرة من عمره تأملها وسئل عن عواقبها لما عجز عن أن يرى بعين عقله ما نحن فيه الآن من مشكلات كنتيجة مقدورة لهذه الشروط . اذ كيف كان يعقل ان امة عظيمة مثل المانيا ترضى طويلا بالسكوت على اذلالها وقص اطرافها ؟ بل كيف كان يعقل أنها بعد أن تعرض عليها ١٤ مادة يضعها الرئيس ولسون لتنظيم السلم وتأسيس السياسة بين الدول على قواعد العدل والحب تعود فتجد ان هذا العرض كان خدعة ؟ ثم تأتى بعد ذلك عصبة الامم فلا تصدق النيات فى تأييدها

لقد كان محتوما ان نصل الى هذه الحال لان صلح فرساى فرض بالقهر وأثمر القهر الحقد . وتكشف الحقد عن انتقام

ولكن حتى بعد هذا الصلح كان يمكن عصبة الامم لو أنها وجدت التأييد الصادق والنية الحسنة ان تصلح ما أفسدته معاهدة فرساى وان ترقى بالبشر درجة اخرى فوق الوطنية نحو العالمية وان تضمد بيد الحب جروحا لم يوجدها غير البغض . ولكننا الآن وبعد عشرين سنة من تأسيسها نراها جاثمة بين ثلوج سويسرا كما لو كانت ميتا قد ادرج فى الاكفان

ومن البعيد أن يتغلب العقل الآن على الجنون فيعقد مؤتمر جديد لتصفية المشكلات ورد الكرامة الى من أحسوا الهوان . ولكن هل يبعد على الحكمة الانسانية ان يعترف الجميع باخطائهم اوان يؤسسوا العالمية الجديدة على أسس ثابتة من الحق الذى تؤيده القوة ؟

ان هذا هو أمل الانسانية . وهو أيضا إحدى غايات الدين وهو غاية الثقافة الصحيحة . ولابد ان السنوات القادمة ستحتم بالصراع بين الوطنية والعالمية . وسوف يتوقف سلام العالم على انتصار العالمية

عقد الصلح قبل الحرب

ينحصر المغزى لرسالة الرئيس روزفلت الى كل من الزعيمين هتلر وموسولينى فى أنه يدعوهما الى عقد مؤتمر للمفاوضة فى عقد الصلح قبل اعلان الحرب . وهنا حكمة بالغة وتفكير مختمر وروية

حادثة تستحق التعليق

ذلك أن معاهدة فرساى التى عقدت سنة ١٩١٩ جاءت عقب حرب طاحنة دمرت المدن وقتلت الجنود وأغرقت السفن والبوارج وأفسدت فوق ذلك ضمائر الامم . فلم يستطع المجتمعون فى هـذا المؤتمر أن ينظروا بعين النزاهة ولا بعين الحكمة الى المستقبل القريب . بل نظروا بعين الحقد والانتقام فبدلا من أن يضعوا صلحا وضعوا عقوبات . ثم أثمر الحقد حقدا وها هو ذا يثمر الانتقام انتقاما

وعلى الرغم مما زعمته بعض الامم عن حكمة ساستها وقدرتهم يجب أن نسلم بان المهندسين الذين شيدوا معاهدة فرساى لم يحسنوا البناء الذى انهار جزء كبير من جدرانه وتوشك سائر جدرانه أن تنهار قبل أن تمضى عليهـا عشرون عاما ، وقد نستطيع أن نستثنى من هؤلاء الرئيس ولسون الذى احتقرت آراؤه ولم تنفذ المبادىء الاربعة عشر التى دعا اليها

ومما يحكى عن بسمرك السياسى الالمانى الذى بنى الامبراطورية الالمانية السابقة أنه عقب الحرب بين بروسيا والنمسا والانتصار على النمسويين جعل يستصلحهم ويترضاهم لكى ينزع من قلوبهم ما زرعته الحرب من حسك العداوة ، ونجح فى هذا حتى أصبحت امبراطورية النمسا والمجر حليفة لالمانيا

وحدث مثل ذلك أيضا فى حرب البوير ، فان الانجليز بعـد أن انتصروا عليهم تقدموا اليهم وأدوا غرامة حربية هى غرامة الظافر وليست غرامة المهزوم فبنوا جميع المنازل التى هدمتها مدافعهم وغسلوا بذلك ما خلفته الحرب من أحقاد . وأصبحت ترنسفال جزءا من الامبراطورية البريطانية . بل لقد خرج منها أمثال الجنرال سمطس الذى يدافع عن هذه الامبراطورية اكثر من دفاع الانجليز مع أنه حاربهم وقتل منهم ولكن يد الندى قد ازالت من نفسه جروح السيف

ولو أن معاهدة فرساى جرت شروطها على الاسلوب الذى أراده الرئيس ولسون لما كنا الآن فى هذه الأزمة التى توشك أن تنفجر حربا عاتية تعم العالم كله . ثم حتى بعد ذلك وبعـد الخراب والتقتيل ستعقد معاهدة يمليها الحقد الجديد وتثير بها الجروح الدامية فتكون أسوأ من معاهدة فرساى

ولذلك يعرض الرئيس روزفلت عقـد مؤتمر للصلح قبل نشوب الحرب حتى يجتمع فيه ممثلو الدول التى تعتقد أنها ظلمت فى معاهدة فرساى فيكون الاستصلاح والتضميد قبل أن تفسد الضمائر وتمرض النفوس بالحرب . وفى مثل هذا المؤتمر يمكن الالمان والايطاليين أن يعرضوا فى جو هادىء - على قدر ما تسمح به الازمة الحاضرة - حاجاتهم بشأن المستعمرات والمواد الخامة والتبادل التجارى

وما أدرانا فلعل هذا المؤتمر ينقلب الى مؤتمر ليس لمصالحة ايطاليا وألمانيا فقط بل لحل المشكلات القائمة . وهى فى الاساس مشكلات اقتصادية . فان أزمة سنة ١٩٣٠ لاتزال تمتد الى هـذا العام ولاتزال آثارها واضحة فى ارتباكات مختلفة قد رأينا منها هذا الشهر هذا الانحطاط فى أثمان القطن المصرى الذى يعزى الى قرب اخراج ٢٥ مليون قنطار من القطن الامريكى المخزون الى أسواق العالم

فاذا كان العالم يخشى الحرب واذا كانت المانيا وايطاليا حانقتين لحرمانهما من المستعمرات والمواد الخامة والقيود الجمركية فان العالم نفسه فى حاجة الى مثل هذا المؤتمر لا لكى يتوقى الحرب فقط — وان كان هذا التوقى كبير القيمة جدا — بل أيضا لكى يحل المشكلات الاقتصادية التى تعوق نموه ورقيه وتعرقل سعادة الجماهير فى جميع أنحاء العالم

نفير توت عنخ آمون

أوسعتنا محطة الاذاعة فى الشهر الماضى سخاء وابداعا حين وقف الاستاذ على خليل يتحدث إلى الاستاذ حمادة فى المتحف المصرى عن آثار توت عنخ آمون . ثم يختم الحديث بالنفخ فى نفير توت عنخ آمون . وقد سمع هذا الحديث فى جميع أرجاء العالم حين يدور حول الـكرة الارضية ويعلن للعالم كيف تجتمع حضارة الفراعنة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد بحضارة القرن العشرين بعده

وللتاريخ القديم روعة ومهابة تقاربان القداسة . وقـد انصت المستمعون وهم فى حلم كأن خمرا مسكرة قد دارت برءوسهم تنقل اليهم خيالا لحادث كانت تحدث أشباهه قبل ٣٣٠٠ سنة حين كان يخرج هذان النفيران فينفخ فيهما اعلانا لخروج فرعون أو لقدوم إحدى فصائل الجيش أو لخروجها . وقد كان لصوت النفيرين رنة حديثة عصرية . ولعل السبب الاكبر لهـذا أن اللحن الموسيقى الذى اتبعه النافخ كان حديثا . ولـكن الرنة كانت مع ذلك صافيه عذبة عالية . وليس هذا غريبا إذا علمنا أن لـكل نفير جرابا كان يحفظ فيه وأن استعماله لهذا السبب كان قليلا . اذ لو كان كثيرا لابتذل ولما احتاج الى جراب . بل هذا هو الشأن فى جميع مختلفات الملك توت عنخ آمون . فان الزائر للمتحف تأخذه الدهشة لاول رؤيته لها ، لا لنفاستها ولألاء ذهبها ومرمرها بل لجدتها ، حتى لـكأنها خرجت

أساعتها من المصنع، وحتى لتكاد العين تبحث عن بقايا الورق الذى لفت فيه ونزع عنها للعرض والتفرج

وعصر توت عنخ آمون قريب الشبه بعصرنا الحاضر من ناحية الازمة القائمة التى توشك أن تغمر العالم فى بحر من الدماء . والمتأمل فيما بين العصرين من المشابهة لا يملك نفسه من الحسرة لهذه المأساة الانسانية التى تتجدد . ونحن فى أسر المحن والتجارب نحاول التكمل فلا نكاد نحقق منه شيئا حتى نتراجع كما ينتكس المريض بعد البرء . فقبل نحو عشرين عاما ظهر رجل بار له مقام الملوك هو الرئيس ولسون ودعا الى تأليف عصبة الأمم لمنع الحروب وتعميم السلام . والفت العصبة وعاشت أعواما وهى أمل منشود تجتمع حوله قلوب الامم التى ترغب فى السلم وتؤمن به . ولكننا الآن ، وبعد عشرين سنة فقط من تأليف العصبة ، نشعر بالنكسة اذ نصبت أعلام الحرب وصرح الأقوياء بمذهب السيف

وكذلك كانت الحال وكانت المأساة فى مصر قبل ٣٣٠٠ سنة . فقبل توت عنخ آمون ظهر فرعون عظيم اسمه اخناتون كان من الافذاذ الذين يعدون الافكار وكانها الخمائر للانسانية . فقد نظر النظرة العالمية الواسعة بدلا من النظرة المصرية الضيقة . وعرف ان الله واحد يحب الاجانب ويرعاهم كما يحب المصريين ويرعاهم وكن من أناشيده « أن الله خلق النيل لمصر على الارض وخلق للاجانب نيلا فى السماء » يعنى المطر . ثم حطم هذا الفرعون الاصنام ومحا أثر الاوثان ودعا الى الحب والسلام وثارت الثورات فى سوريا التى كانت تابعة لمصر ورفض أن يحارب الثائرين لأن الحياة الانسانية كانت عنده مقدسة لا تجيز لانسان أن يقتل انسانا

وعاشت الدنيا فى أيامه وهى تتعجب من هذه الدعوة الجديدة . وفيها — كما كان فى أيامنا القريبة فى السنوات الاولى لعصبة الامم — المتفائل المصدق والمتشائم المكذب . الى أن مات اخناتون كما مات ولسون

ثم جاء توت عنخ آمون فتغيرت الدنيا ونفخ من جديد فى نفير الحرب . وأعيدت الأوثان والاصنام . وانقشع الحلم الجميل الذى انتشت به عقول بعض أسلافنا قبل ٣٣٠٠ عام ، ولكن الخميرة لم تمت . كما هو واضح من الكتب الكثيرة التى لا تزال تذكر فيها بالحرف والمعنى بعض نصوص أخناتون . وكذلك لن تموت الخميرة التى زرعها ولسون

وأمس امتزجت الصبابة الى المستقبل الزاهر بالحسرة على الحاضر القاتم . وتلفت الذهن يقارن بين خيال أخناتون وبين نكسة توت عنخ امون ويتردد فى فهم المغزى من هذا النفير . ولكننا لا نستطيع أن نعيش الا بالاحلام ولن يموت ولسون وأخناتون فى قلوبنا لاننا لا نطيق أن تموت أحلامنا

المخدرات في مصر

يرى المتصفح للتقرير الحافل الذى صدر قبل ايام عن مجهود مصر فى مكافحة المخدرات كثيرا من العبر سواء فى انتشار هذه المخدرات ام فى الحيل التى يلجأ اليها المتجرون بها أو الاسقام المرعبة التى يقع فيها المدمنون لها

والحشيش اخف المخدرات ضررا ولكنه أكثرها انتشارا وذلك لأسباب كثيرة ربما كان اهمها ان الرأى العام بين الطبقات الفقيرة لا يستنكره وان له تاريخا قديما لا يقل عن ٧٠٠ سنة فى مصر والاقطار الشرقية . حتى لقد كانت حكومة مراكش تحتكره وتبيعه الى وقت قريب للسكان كما تحتكر بعض الحكومات بيع الدخان أو غير ذلك . وسبب آخر لانتشاره هو انخفاض ثمنه وكثرة زراعته فى الاقطار القريبة منا مثل سوريا وغيرها . فان التقرير مثلا يثبت انه قد عثر فى سوريا على زراعات من الحشيش تبلغ مساحتها ٧٤٣ ر١٨٣ متر مربع فى العام الاسبق وانها اتلفت وبدهى انه الى جنب هذه الزراعات التى عثر عليها توجد اخرى لم يعثر عليها سواء فى سوريا أم اليونان أم بعض الاقطار البلقانية

ولا تكفى القوانين للمنع . لاننا فى كفاح الجريمة يجب ان نجعل الهم الاكبر ايجاد الروح المعنوى لهذا الكفاح بين أبناء الامة . فاذا لم تستنكر الامة الجريمة وتصم مرتكبها بوصمة الهوان والضعة فان القانون وحده لا يكفى لقمعها . وكذلك يجب ان يكون هذا الكفاح سلبيا وايجابيا . فمن الجهة الواحدة يجب ان نجعل الرأى العام يستنكر المخدرات ويطلب التشديد فى العقوبة . ومن الجهة الاخرى يجب ان نرفه عن الطبقات الفقيرة بحيث لا يضطرها الضيق النفسى والازمات العاطفية الى ان تنشد الانفراج والتنفس باللجوء الى المخدرات والمسكرات . والرغبة فى تخدير الحواس والذهن هى قبل كل شىء حالة نفسية يحدثها الوسط الاجتماعى . والبرهان على ذلك انه حين يكون هذا الوسط راقيا تتعدد فيه الوان الترفيه للسكان وتخفف عنهم أزمات النفس — حيث يكون ذلك لا

يكون ثم حاجة الى مخدرات أو مسكرات . وقد حدث مايقارب ذلك مثلا فى أسوج . التى ليس بها أية عقوبة لتعاطي المخدرات لأنها فى غنى عنها ولا يباع فيها من الخمور سوى المشروبات المخففة التى تقارب الاشربة المنعشة عندنا

فاذا كانت المخدرات تتفشى فى مصر والهند والصين فان تفشيها هذا هو عرض لمرض مرجعه قلة المرفهات عن نفوس السكان من الفقراء . وهنا يجب أن نذكر ان انتشار الاتومبيل والسينماتوغراف والرديوفون قد خفض استهلاك الخمور فى بريطانيا الى ما يقرب من النصف . لان النفس الانجليزية وجدت فى هذه المسليات الثلاثة مايفرج عنها ويغنيها عن الحاجة الى الخمور . ونحن بالطبع أبعد من أن نفكر فى مثل الحال الاقتصادية التى أتاحت للانجليز هذه المسليات تتفشى بين الطبقات العاملة . ولكن يمكننا مع ذلك أن ندرس بعض ما قامت به بعض البلاد الاوربية الاخرى من ضروب الترفيه عن عمالها ونأخذ منها بما يوافق بيئتنا

وقد أجدت الجهود التى بذلتها الحكومة فى مكافحة المخدرات وخاصة المخدرين المهلكين الكوكئين والهيروئين وقريب من ذلك الحال فى الافيون . ولكن يبدو أن الحشيش لايزال متفشيا وهو على كل حال اقل هذه المخدرات ضررا وحسبنا ان نعرف اننا حرمناه منذ اكثر من ٧٠٠ او ٨٠٠ سنة ولكن هذا التحريم لم يزله من بلادنا . وقد عثرنا فى كتاب ثمرات الاوراق على منشور أذاعه وزير الملك صلاح الدين . وهو أبو على عبد الرحيم جاء فيه قوله :

« وقد بلغنا .. أن الجماعة التى كانت ترضع ثدى الكاس (الخمور) عن ثديها ما فطمت . وأنها من النشوة كما خيب ابليس مسعاها . وانها ، لما اخرج المنع عنها ماء الخمر ، أخرج لها من الحشيش مرعاها . وانها استراحت من آلخمار . واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وأن ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم ما يعرف من الاحمرار فى الكأس . وصاروا كأنهم خشب مسندة سكراً . واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى . ونحن نأمر بان تجتث اصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع . حتى تشبته العيون من هذا الوسن . وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ولاخضراء الدمن »

وهذا « القرار الوزارى » لم يأت بالنتيجة المطلوبة لاننا ما زلنا فى الكفاح بعد ٨٠٠ سنة

الحياة الجنسية في نظر الدوس هكسلي

للاستاذ بشرى الضبع

بظهور فرويد ورنتجن واينشتين وبرجسون وجينز اتجه التفكير الانسانى فى اوائل هذا القرن اتجاها يختلف كل الاختلاف عما كان عليه فى القرن التاسع عشر . بل اننا نستطيع ان نقول ان التغير الذى اصاب نظرة الانسان للعالم خلال الاربعين السنة التى خلت يضارع الجهود الشاقه التى بذلها فى تعديل صورته عن العالم وتقريبها الى الحقيقة خلال الخمسة القرون الماضية . ونتج عن هذا الانقلاب اهتمام العلماء بالفلسفة والدين والفن . فقد ظهر لهم ان ايمان قادة الفكر بالعلم فى القرن الماضى لايقوم على أساس متين ، حين تبين لهم فساد كثير من النظريات العلمية التى بدت لاصحابها فى ذلك العهد كأنها حقائق ثابته لايتطرق اليها الشك او الفساد . ومن هنا بدأوا يشكون فى الحواس كسبيل فذ للوصول الى الحقائق الثابتة . وكان ظهور فلسفة « كأنه كذلك » لفايهنجر نتيجة طبيعية لما اصاب سلطان العلم من ضعف .

وانقسم رجال الفكر تبعا لذلك قسمين : فريق شك فى العقل الأنسانى جملة واعتمد على العلوم العملية التى تفيد الانسان مباشرة فتكسبه ثروة وسعة ومتاعا . هـذا الفريق يجرد الحياة من القيم والمثل العليا والحقائق الثابتة . ولايعترف الا بالناحية الحيوانية من الانسان ، بانواع الترف المختلفة واللذات الطارئة . ومعاييره الاخلاقية هى التفوق والسيطرة . والفريق الثانى يزعم ان الانسان ليس عقلا خالصا . وانما هو عقل وبصيرة معا . فالعقل وحده لايستطيع ان يفسر الحياة جملة ، وانما هم مضطرون الى استلهام عقولهم السلالية . وهؤلاء العلماء يقربون الحياة بمزاج الفنان ؛ أى ببصائرهم . وحينما نقرأ لأليوت سميث او لبرجسون او برستيد لانكاد نميز فى احدهما العالم من الفنان . فالفن عند

هؤلاء وسيلة لاسبيل الى انكارها للوصول الى الحقائق الانسانية الكبرى . ولكنهم فى الوقت نفسه يقربون هذه الحياة كما يصورها ويفسرها العلم الوصفى الحسابى الحديث . فليس هناك مايدعو عندهم الى الفصل بين العلم والفن . اذ اننا لانستطيع ان نضع حدا فاصلا بينهما . وبهذا اصبح التعريف المدرسى للعلم أثرا عديم القيمة من آثار القرن التاسع عشر . واصبحت كلمة « الخلق » ؛ وهى عملية نفسية ترتكز فى جملتهـا على الخيال ، تطلق على العلم والفن معا . اما هـذه العلوم الخاصة التقريرية الوصفية الحسابية كالتشريح وما اليه ، فقد اصبح من الخطأ ان نسميها علوما . انهـا مجرد « أنظمة فكرية » . اما التعريف الصحيح للعلم فهو « المعرفة فى دور البناء والتكون » . ومن هنا هذا الاتجاه الجديد الذى نراه فى بعض الجامعات الحديثة فى اوربا وامريكا . ففى جامعة كولومبيا مثلا لايعرفون التخصص ، وانما تدرس مظاهر الحياة من نواحيها المختلفة ، العلمية والفنية معا . فيجمعون بذلك بين دراسة الطب والشعر والاقتصاد . ومدار البحث فيها الانسان نفسه والوسط الذى يعيش فيه وتأثر احدهما بالآخر . وتسمى هذه الدراسة « بالتاريخ الانسانى » . ومن هنا ايضا ظهور جمهرة كبيرة من الكتاب الانسيكلوبديين . ومن هؤلاء الدوس هكسلى الذى احاول الآن اعرض اراءه فى الحياة الجنسية .

ولقد دفعنى الى اختيار هذا المفكر الانسيكلوبيدى أمران : اولهما هو ان هذا المفكر الكبير قرأ كثيرا وكثيرا جدا . واختبر كثيرا ايضا . فجمع بين لذات الفكر ولذات الجسد وكان مثالا للرجل الكامل كما يراه د . ه . لورنس : وهو الذى يكون حيوانا كاملا ومفكرا كاملا معا . وكان شعاره الذى يبشر به الى عهد قريب جدا ، وهو بيت من الشعر للشاعر الكبير وليام بليك ، « افعل ماشئت فالدنيا اسطورة ، انها مزاج من المتنـاقضات » . فالحياة الكاملة عنده هى الحياة المليئة المفعمة بالاختبارات والتجارب العقلية والحيوانية . فغرائز الانسـان حقـائق لا الى سبيل الى انكارها . تتساوى فى ذلك والميول العقلية ان لم تفضلها . فالفلاسفة والمتصوفه والنساك والعلماء المتخصصون ومن على شاكلتهم الذين يحصرون أنفسهم فى وجه واحد من أوجه النشاط الانســانى المتعددة انما هم مخلوقات مسيخة سقيمة هزيلة تنبعث منهم رائحـة التعفن والفساد . كل من يحكم على نفسه بالسجن المؤبد فى عقيدة واحدة أو لون واحد من الوان الحياة انما هو رجل تعس مقضى عليه . فالحياة

الحقة انما هى الحياة الحرة الطليقة ، التى لا تخضع لنظام أو قيد خاص . كالغناء المطلق فى جمع الثروة واكتناز المال والخضوع لشهوة السيطرة والتغلب وطلب المجد . فهذه كلها شر لانها تستعبد وجود الانسان كله ونقف بينه وبين الحياة الصحيحة . يجب ان يعيش الانسان قبل كل شىء بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . ويمكننا أن نلخص فنقول ان مبدأه فى الحياة هو الفرد يعيش عيشة ممتلئة موفورة لا يقيد نفسه بالمثل العليا والقيم المجردة . ليفعل ما يشاء . فالنفس البشرية ليست كلا واحدا متسقا وانما هى اشتات والوان مختلفة . فيها ما ينزع الى المتاع الجنسى الطبيعى وفيها ما يرغب فى المتاع الجنسى الشاذ . وهكذا . ولا يمكن عنده أن نقول هذا حق وهذا باطل

اما الأمر الثانى وهو الذى دفعنى مباشرة الى اتخاذ هذا المفكر موضوعاً للبحث فهو تحوله ، فى هذه السنين الأخيرة عما كان قد ذهب اليه ، تحولا غريبا يدعو الى الدهشة والاعجاب معا . ففى كتابه الأخير «الغايات والوسائل» نراه قد اصطنع التصوف . واعترف بالمثل والقيم المجردة . ولكنه تصوف من نوع جديد . هو تصوف القرن العشرين الذى يتميز به هؤلاء الكتاب العلماء الفنانين الذين تحدثت عنهم منذ لحظة .

فالانسان ، كما يقرر فى هذا الكتاب ، لا يستطيع أن يفعل ما يشاء . انما هو متقيد بمثل عليا وقيم خاصة يجب أن يأخذ نفسه بها اذا أراد أن يكون جديرا بان يسمى « انسانا » وان يبلغ من حياته ارفع أنواع الحياة واعلاها مرتبة . فقد استطاع بعد دراساته الواسعة أن يصل الى قيم ثابتة . والى معايير صحيحة يستطيع أن يزيد بها ثبوت هذه القيم وفائدتها للحياة الانسانية العالية . وهو يعلل هذا التحول تعليلا لا يخلو من الفائدة والطرافة . فقد سار فى التيار الذى سار فيه غيره من العلماء . وآمن بالعلم ايمانا جعله يصطنع هذه النظرة الكلبية الساخرة الهازئة الى الحياة . ورغب مثلهم متعمدا أن يتخذ التفسير العلمى للحياة وسيلة لتجريدها من القيم والمثل . والدافع الى هذا هو ما كان يراه حوله من الجمود فى كل مظهر من مظاهر الحياة . السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخ . فحينما يريد الكاتب تحطيم القيود والاغلال الموضوعة على النظم الاخلاقية والسياسية فانه يعمد الى سلب الحياة من معانيها جملة حتى يستطيع بذلك أن يبيح معاييره الجديدة فى الاخلاق والسياسة . ولقد عانت الحياة الجنسية من الضيق والعنت الشىء الكثير . فليهدم اذن القيم والمثل من أسسها ليستطيع أن

يضع الحياة الجنسية فى الموضع الذى يليق بها تحت الشمس .

أما المعيار الذى يقيس به القيم الاخلاقية التى يعرضها علينا فهو الاجماع . ففى الاربعين قرنا الاخيرة نجد اتفاقا عاما فيما يتعلق بماهية الغاية العليا للحياة الانسانية . فمنذ عهد اشعيا الى كارل ماركس يتحدث الانبياء والحكماء والشعراء فى صوت واحد ونغمة واحدة . ففى العصر الذهبى الذى تطلع اليه حكماء هذه الاجيال نجد الحرية والسلام والعدالة « الحب الأخوى » فى هذا العصر ولن نجد أمة تجرد سيفا على أمة » وفيه « نجد معرفة الله تغمر العالم كله كما تغمر المياه المحيطات » هذه القيم الاخلاقية لم يكتشفها العلم وانما استطاع أن ينفذ اليها الحكماء والفنانون والانبياء ببصائرهم . وانحدار الانسان من درجة منحطة من درجات الوجود لا تقلل من شأن هذه الحياة الروحية الرفيعة التى استطاع أن يكتشفها بعد أن اكتملت له الوسائل ومهدت أمامه الطرق الوعرة الطويلة التى قطعها فى سيره نحو الارتفاع والاكتمال . فمقياس الحضارة ليس السعة والترف المادى وانما هو فى التنبه للجمال وادراك المثل والقيم . انه فى هذه الالفة الباطنية التى تكون فى نفس الانسان وفى الفرح الداخلى . أنه فى هذا التوافق والتجانس بين نواحى النفس المختلفة . والانسان الكامل هو ذلك الذى يشعر بوحدة الوجود ويجد فى نفسه القدرة التلقائية السهلة اليسيرة على الاندماج فى الكل ، فى الانسانية عامة . أنه هذا الذى يستطيع أن ينبض قلبه بما تنبض به قلوب المخلوقات عامة ويشاركهم فى صفاتهم الانسانية العامة . هو هذا الذى يستطيع أن ينفصل من وجوده الشخصى ويتحرر من قيود الضرورة التى تقيده بها طبيعته الحيوانية . وفى كلمة أنه هذا الذى يقرب الحياة بمزاج الفنان : فمعنى الرقى فى الانسان. انما هو تأكيد الانسانية فيه ، وليس الارتداد به الى الحيوانية وتأكيد الحيوانية فى الانسان وتركيز الضوء على المتاع الحسى فيه انما هو من غير جدال رجوع به الى أطواره الأولى فى أشكاله السابقة ، الى الفطرة والتوحش . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقرر الفضائل العليا . انها هذه التى تساعد الانسان على الارتفاع والتجرد عن وجوده الفردى وميوله الشخصية . فالترف المادى والتكالب على جمع الثروة والاستسلام لشهوة البطش والسيطرة وحب التفوق ، كل هذا يؤكد فى الانسان فرديته ويزيده ارتباطا بشخصيته المحدودة ويصرفه عن الغايات الانسانية الرفيعة . وأشباع الرغبة الجنسية لايخرج من هذه القاعدة

وهو الى هذا يعتمد على رأى الدكتور «انوين» فى علاقة الدافع الجنسى بالتقدم الثقافى للانسان ويلخص هذا الرأى فى ان الجماعات الانسانية تنقسم من حيث تقدمها الثقافى الى أربع طبقات : الحيوانية ، الانسانية ، الالهية ، العقلية . ففى الجماعات التى تقع فى التقسيم الأول أى الحيوانية ، نجد العلاقات الجنسية سهلة مباحة بلا روابط تقيدها . ثم يلاحظ أن انتقال الجماعة من طبقة منحطة الى طبقة أعلا يصاحبه ضغط وتنظيم للعلاقات الجنسية . ومعنى هذا أن كبت الغريزة الجنسية يساعد على نمو الأمة الثقافى : ومن هذا يتضح لنا أن رأيه فى العلاقات الجنسية يدخل فى قانونه الخلقى العام . ومعنى هذا أنه يدعو الى التسامى والكبت وضبط النفس . والرأى الذى يزعم ان الانسان يستطيع أن ينعم باللذاذات الجنسية والعقلية معاً انما هو زعم باطل . فمما لاشك فيه هو أن أشباع الرغبات الجنسية والحسية لايتم فى الغالب إلا على حساب المتاع العقلى والتقدم الثقافى

ومما لاشك فيه ايضا ، اننا فى أشد الحاجة الى هذه النظرة الحديثة التى يصطنعها هكسلى كأحسن وأبدع ما يكون الاصطناع الى النظر الى الحياة هذه النظرة الانسانية الجامعة . الى أن نبعث فى أنفسنا هذه النظرة الصوفية العلمية الى الحياة ، فى حاجة الى الدراية بالعلم الحديث كأحسن ما تكون الدراية الى تنظيم حياتنا الاجتماعية والاقتصادية تنظيما يرتكز على خير ما وصلت اليه العلوم الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية الحديثة . وفى الوقت نفسه ، نحن فى حاجة الى شىء كثير من صلابة الخلق وضبط النفس وقوة الارادة . أو هذه الفضائل الخلقية الكبرى التى نصل اليها برياضة النفس رياضة صوفية على نحو ما يفهم هكسلى من هذه الكلمة . فلا نترك الدوامغ الجبرية تتحكم فى أعمالنا ولو كنا وانما نصدر فى كل ما نفكر أو نعمل عن دراية ووعى . فنتمسك بمبادىء العقل وفضائله البنائية المثمرة ونزهد فى اللذات الطارئة التى يدفعنا اليها كياننا الحيوانى واستجاباتنا الغريزية الاولى . وهذه الحضارة الاوربية الممسوخة المنتشرة فى مصر الآن ليست الا تجسيم براق خلاب لهذه الاستجابات الغريزية التى تتصل بكياننا الحسى . وفى عبارة أخرى نحن فى حاجة الى استنبات نوع جديد من الغرائز أستطيع أن أسميها «بغرائز الروح» وفى هذه الحالة يصبح البحث العلمى والرغبة فى اصلاح المجتمع والارتفاع به واصطناع الميول الانسانية فى مقدمة الرغبات التى تملأ صدر الانسان . فيتهافت عليها بوجوده كله فى رغبة جارفة كما كان يتهافت من قبل على اللذات الحسية ولعب الورق وميادين السباق

فرعونية مصر الحديثة

للدكتور اسماعيل ادهم

أما ان مصر الحديثة فرعونية فهذه حقيقة لا تتطرق اليها الريب ، ذلك ان مفهوم الفرعونية عندى قائم على أساس من وحدة الحياة المعاشية والشعورية التى تتمشى فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العصر الفرعونى . فنحن حين نقول أن أدب العقاد قائم على أساس من الروح الفرعونية فانا أعنى أن الروح المصرية تظهر فى خلجات نفسه ونبضات قلبه ، بدون أن أجعل للاشكال والمظاهر الخارجية نصيبا فى الدلالة على هذه الروح

فان المظاهر الخارجية وأشكال الاشياء تحاكى وتقلد ، ولكن الروح التى تعبر بخلجات ونبضات عن مزاج خاص لا يمكن أن تحاكى وتقلد . وأنت يمكنك أن تلمس وحدة هذه الخلجات والنبضات الداخلية بين مصريى اليوم العريقى الاسباب فى مصريتهم وبين مصريى الامس الغابر الى عهد الاسرات الاولى . ذلك أن مزاج الانسان نتيجة للبيئة الطبيعية المتفاعلة مع عوامل المحيط الاجتماعى ، والبيئة المصريه لا تزال على وتيرتها الاولى ، خصوصا فى ريفهم حيث ينزل معظم سكان البلد

أما المحيط الاجتماعى فقد تغايرت صوره من عهد الى عهد ، الا أن هذه الصور تقوم على أصل من الروح المصرية القديمة تظهر ملونة تفكير المصرى وسلوكه فى الحياة وشعوره بالاشياء تلوينا خاصا ، هذا التلوين أثر من آثار الطبيعة المصرية المتفاعلة مع العوامل الخارجية التى وجدت طريقها للمحيط المصرى

فالمصريون مثلا غيروا لغتهم القديمة باللغة القبطية ، التى هى لهجة منها ، ثم بادلوا بتلك العربية

ولـكن بقيت فطرتهم تفعل فعلها فى اللغة العربيـة ملونة اياها بلون خاص تبدو واضحة فى اللهجة المصرية .

فنحن لو ذهبنا نقارن بين اللهجة العربية فى مصر واللهجة العربية فى سوريا فاننا نجد أن الاختلاف بين اللهجتين لا يقف عند حدود النطق وطرائق الـكلام والاعراب ، انما هو اختلاف ابعد غورا من ذلك يتصل بانتخاب المفردات وبكيفية نطق احرف الهجاء الاصليـة ، وفى التعبيرات النحوية وصيغة معانى الجمل

فلهجة السورى اذا نطق بالعربيـة هى أن يمد أواخر الـكلم ويضع نبرة مخصوصة على عجز الـكلمة ؛ وكثيرا ما يعمد لابدال النون الاخيرة فى الكلام ميما ، وينطق التاء المربوطة تاء مفتوحة هذا وتعطيش الجيم عند السورى يختلف عن نطق المصرى تماما ، ومع هذا فان أهل الصعيد ابتداء من المنيـا فصاعدا ينطقون الجيم معطشة ، ولـكن مختلفة عن تعطيش السوريين والعرب . هذا الى ان اهل مديرية جرجا وما جاورها يبدلون حرف الدال جيما والجيم دالا فيقول دبل عوضا عن جبل ودوه بدلا من جوه كما أنهم ينطقون اجلع بدلا من ادلع

هذه تحقيقات معروفة عند الباحثين ولـكن الذى يهمنا منها الموافقة بين نطق هـذه الحروف العربية خصوصاً فى الوجه القبلى فى مصروما يماثلها من الحروف فى القبطية ، مثال ذلك : طريقة نطق حرف الجيم العربى توافق تماماً طريقة نطقه فى الحرف المقابل له فى اللغة القبطية ؛ وهـذا النطق كما يقدر الباحثون يختلف بالمرة عن نطق حرف الجيم فى سائر الأرض التى تتكلم بالعربية . كذلك النطق بحرف القاف جيما جامدة كما هو شائع فى لهجة اهل المنيا وأسيوط فهو عين الشىء الحادث فى اللغة المصرية القديمة لما كتبت بالحروف اليونانية لتكوين اللغة القبطية .

هذا والتغييرات الحادثة فى الحروف المقفلة والمتحركة فى لهجات مصر العربية الحالية هى بعينها نفس التغييرات والاختلافات التى كانت موجودة فى اللهجات القبطية القديمة الموافقة جغرافيـاً للهجات الجهات العربية الحالية فى مصر الحديثة. مثال ذلك مد بعض الحركات فى الصعيد وتقصيرها فى القاهرة ، وترخيم بعض الحركات فى الصعيد وحفظها القاهرة والبحيرة . ولنا ان نصل من هـذه الحقائق المعروفة الى ان اللهجة العربية فى مصر متأثرة بطريقة اللهجة القبطية القديمة . وانت يمكنك

عن طريقة دراسة لهجة كلام المصرى ان تعرف اصوله القديمة فى عصر ماقبل الاسلام وهل هو عريق فى مصريته ، ومن اى المقاطعات كان اصله . ذلك ان طريقة نطق الكلام ولهجة الانسان تتأثر بعوامل محيطه الاجتماعى فى السنين الخمس الاولى من حياته كما تحقق هذا فى بحوث علماء النفس ، وعلى وجه خاص البروفسور وندت فى كتابه « ولكر بسيكولوجى » .

ثم عندك الدين الاسلامى ، فلا يزال ليومنا هذا فى مصر الحديثة يحمل فى طياته آثار الماضى السحيق ، تظهر فى خلجات المصرى فى عبادته وعلى وجه خاص فى طرائق عبادته . مثال ذلك ان المصريين القدماء كانوا يعبدون ويقدسون الثعبان — فى مقاطعة عرفت فى لغتهم باسم مقاطعة الثعبان وفى اللغة المصرية القديمة «جوحنى» — وهذه المقاطعة معروف عن سكانها انهم كانوا يقدسون الثعبان من العصر النيوليتيكى ، ذلك قبل ان يقوم عصر الحضارات فى مصر القديمة . وظلت عبادة الثعبان قائمة فى هذه المقاطعة ، يحج اليها اهل المنطقة فى كل عام فى الربيع ، يقدمون القرابين والذبائح لحارس الارض « مرت سجر » الذى كان يتمثل فى شكل ثعبان . ويظهر ان هذا الاعتقاد كان مصدره ملاحظة ان الثعبان يعيش تحت الارض ، الشىء الذى قوم فى اذهان ابناء تلك العصور الغابرة فكرة ان الثعبان اقدم سكان الارض ، ومن هنا كان تقديسه واعتباره حارس الارض .

فلما جاء العصر الاسلامى ومن قبل العصر المسيحى ، اختفت عبادة الثعبان فى هذه المقاطعة وراء الاعتقاد المسيحى ثم الاسلامى . واليوم يعتقد اهل هذه المقاطعة ان الضريحين المقببين فى المغارة الواقعة فى هذه المقاطعة لشيخ تعرف المغارة باسمه وكذا الجبل الذى تقع المغارة فيه ، كل كراماته انه ولى يسكن هذه الارض المقدسة ويحرسها .

هذا هو الشيخ هريدى وهو فى الواقع حارس الارض « مرت سجر » القديم ، وقد لبس ثوبا جديداً بعث به الى الحياة فى العهد الاسلامى . ولا يزال اهل هذه المقاطعة يحجون الى هذا الضريح الذى لم يكن يحتوى الا على ثعبان من البرنز له رأس يقرب من رأس الاله زيوس كما دلت على ذلك الحفريات التى جرت فى تلك المقاطعة . ومن الغريب ان موسم الحج لهذا الولى يقابل موسم الحج عند قدماء المصريين الى « مرت سجر » حارس الارض الذى كان يتمثل فى شكل الثعبان .

هذا المثال واضح فى الدلالة على ان الروح المصرية القديمة تجد طريقاً للظهور فى مصر الحديثة

من وراء الاشكال التى تبدلت والصور التى تغايرت بنتيجة المدنيات والحضارات التى تعاقبت على مصر ، فى فترة مداها الفا عام . ومهما حملنا انفسنا لتفسير هذه الظواهر من الجهد لنبعد بها عن الاقرار أن مصر الحديثة فى خلجاتها ونبضات شعورها فرعونية ، فاننا نصطدم بالواقع الذى لايمكن انكاره ، وهو أن مصر على ما انتابها من التغاير فى صورها الخارجية ، لاتزال فرعونية فى صميمها ، وهذه الفرعونية قائمة فى خلجات نفسها وصورة هذه الخلجات فى خروجها عن النفس .

اذا جعلنا هذه الحقائق موضع الاعتبار ، عرفنا حقيقة ماتستند اليه مصر الحديثة من الروح الفرعونية . ولايعترض علينا بما اعترض به عباس محمود العقاد فى مقاله « بقية السحر والمثنوية» على الكاتب الانكليزى مورتون من ان هذه الخلجات لاتنتقل الا بالاسس التى تقوم عليها من النوازع النفسية الخالدة ، وليس منها الايمان بمكان محدود او ولى مخصوص ، بل ذلك من العرف والتقليد ، لان تنقل هذه الاسس بصورها التى تستمدها من العرف والتقليد كما ظهر لنا من المثال الذى اعطيناه لاتترك امكاناً لمثل هذا القول .

وبعد فتفسير هذا عندنا واضح من الوجهة العلمية على اساس من التفرقة بين الثقافة التى تأخذ الامة والفطرة التى جبلت عليها . فثقافة الامة تراثها الشعبي التى خرجت به من ماضيها انسلالا على مدى الدهور والاعوام ، وفطرتها هى روحها التى تحتضن هذا التراث . فمثلا تراث مصر الفرعونية الذى اسلمته لمصر الاسلامية فاختلط نتيجة لذلك التراث الفرعونى باللون العربى الذى وجد طريقه للمحيط الاجتماعى المصرى ، فكان من ذلك مانسميه الثقافة التقليدية لمصر . وهذا شيء والروح المصرية شيء آخر ، لان الثقافة اثر وقوع الفطرة والروح تحت تأثير ظروف ومؤثرات تجد طريقها للمحيط الاجتماعى والبيئة الطبيعية للشعب . والروح بعد ذلك شيء يظهر ولكن لايحد من بين جميع مظاهر ثقافة الشعب وتراثه . بيان ذلك ان مصر الفرعونية بتقاليدها وصور ثقافتها ولهجاتها حين انتهت لمصر الاسلامية ، فان مصر الاسلامية ، لم تطغ على مصر الفرعونية الا فى الظاهر ، لان ماانتهى الى محيط مصر الفرعونية من العوامل التى قامت نتيجة للاسلام ، وقعت تحت تأثير المحيط الطبيعى والاجتماعى لمصر ، فلونتها بلونها المصرى ، او هى ان اخذت اللون الاسلامى على الاصح ،

الا انها بقيت فى جوهرها فرعونية النزعات والاتجاهات ، وهذا يفسر لنا القالب الاسلامى والعربى لمصر الحديثة من جهة والروح الفرعونية من جهة اخرى . واذن لا تناقض فى ان تكون مصر الحديثة عربية اسلامية فرعونية ، فهى عربية اسلامية فى مظهرها ، فرعونية فى خلجاتها ووجدانها . وبعد اظن هذا التفسير كاف ليقطع السبيل على كل اعتراض يمكن توجيهه لمصر الفرعونية .

ولاشك ان مصر الحديثة تقطعت فيها مظاهرها العربية الاسلامية تحت تأثير التفاعل بين محيطها الاجتماعى ومدنية الغرب الجارفة ، ولقد وجدت الروح المصرية فى ذلك مجالا للظهور ، كان احدى علائمه تجليها بقوة فى كتابات عباس محمود العقاد وفى الهياكل التى خلفها مختار وفى الصور التى رسمها نفر من الفنانين المصريين نذكر منهم حسين بدوى صاحب اللوحات الفنية التى عرضت بالمكتب المصرى للسياحة بالشانزليزيه بباريس فى اغسطس من العام المنصرم .

على انا بعد ذلك يجب ان نكون على جانب كبير من الحيطة والدقة فى تناولنا الخصائص الفرعونية التى تقوم طبيعة الشعب المصرى وتبعده اليوم عن العالم العربى ليستقل بحياة تتكافأ فيها طبيعته الفرعونية وقالبه العربى بالمدنية الغربية التى وجدت السبيل الى محيطها . واظننى وقد فسرت مايعنى من اصطلاح الفرعونيـة من الوجهة العلمية ، قد جعلت امام الباحثين فى الاقطار العربية مادة ان لم تقنع على الاقل بعض الباحثين الذين اخذوا بفكرة العروبة ، فعلى الاقل تجعلهم يعرضون لبعض الشبهات التى توجب عليهم الحذر ، حينما يدخلون فى مناقشة علمية حول مصر الفرعونية

ابدأ بنفسك

للاستاذ أنور مشرقي

نشرت الصحف فى الشهر الماضى أن الحكومة المصرية تبرعت بمائتين وخمسين ألفا من الجنيهات لاصلاح مكة والمدينة المنورة والطرق المؤدية لهما ، وهذا العمل يقابل بالشكر وعرفان الجميل وخاصة من الدول الاسلامية التى يهمها أمر اصلاحهما ، ولكن المصلح الاجتماعى فى مصر يقف امام هذا الأمر موقف المتأمل المفكر متسائلا نفسه هل أصابت الحكومة أم أخطأت ؟

إن المتتبع للنهضة الاجتماعية فى مصر يحس والحسرة تملأ نفسه سير هذه النهضة البطىء بل وقوفها فى بعض النواحى عن السير وسأحاول فى هذه الكلمة القصيرة استعراض بعض نواحيها .

إن الحالة الصحية فى مصر توحى الى الباحث بأن المصريين شعب يسير فى طريق الانحلال السريع ، فالاحصاءات تقول لنا إن المرضى بمرض السل يبلغ عددهم حوالى النصف المليون مريض وان من يموت منهم سنويا يبلغ أربعين ألفاً فاذا ما طالب الكتاب الحكومة بتعميم المصحات فى القطر المصرى كانت اجابتها التقليدية أن لا نقود !!

بل إن هذه الاحصاءات تعطينا أرقاماً مزعجة عن أمراض البلهارسيا والانكلستوما والجذام والبلاجرا (مرض الفقر والجوع) والرمد الحبيبي وغيرها كما تعطينا نفس الارقام عن العميان والمصابين بعاهات دائمة لا يمكن البرء منها ، فاذا ما قامت الصحافة منادية بانشاء مدارس للعميان وملاجىء للعجزة واليتامى وأبناء السبيل سمعنا الجواب المعروف ... المالية لاتحتمل عمل كل هذا !

منذ ثلاثة شهور تقريباً أدلى وزير المعارف ببيان قال فيه أن ٧٠ فى المايه من تلاميذ المدارس الاولية مصابون بأمراض صدرية نتيجة الجوع وان هذا يهدد الجيل القادم بأخطر الامراض فقامت قيامة مجلس النواب لهذا ولكن الصيحة لم تتعد جدران المجلس لان الوزارة لاتستطيع أن تقدم وجبة

طعام يومية مجانية للتلاميذ والسبب معروف مقدماً ، خلو الخزانة من المال ..

وأذكر منذ عام أن قيامة الرأى العام فى مصر قامت لان مستشفى قصر العينى يلقى فى الطريق المرضى بامراض مزمنة استحال شفاؤها وان رد المستشفى كان ان الاماكن مزدحمة جداً وان محل هؤلاء هو ملجأ يشرف عليه أطباء ولكن هذا الملجأ لا يزال حلم أولئك المرضى — نزلاء الطريق المساكين — لان المالية المصرية ليس فيها ما يكفى من المال !! بل ان الناظر للزحام أمام أبواب المستشفيات فى مدينة القاهرة ، وكيف يضرب المرضى ويطردون لضيق الاماكن ليغمره الحزن والاشفاق والحكومة المصرية غير ملومة بالطبع لان عذرها معها .. الخزانة لا تسمح !!

ويضيق بنا المقام إن حاولنا بسط الحالة الصحية فى صميم الريف والماء الذى يشربه الفلاحون والاكواخ الحقيرة التى هى أشبه بالمقابر والتى يشاركهم فيها الحيوان على قدر المساواة ، استغفر الله بل يفوقهم ، لانه يشبع من الحشائش وهم لا يشبعون من الخبز ، ويكفينى هنا أن أورد الاحصاء القائل بأن سبعة ملايين ونصف من المصريين يعيشون فى المتوسط بجنيه أو نصف الجنيه فى الشهر !! واذا قلنا فى المتوسط فهذا معناه إن هناك من يعيش بخمسين قرشاً فى الشهر وآخر يعيش بخمسة أضعاف هذا المبلغ الحقير .. أناس نسوا لون اللحم وطعمه لطول عهدهم به !!

هذا هو الريف الغارق فى ظلمات الجهل والفقر والمرض لا تستطيع الحكومة أن تمد له يد الاصلاح بكثير أو قليل لان المال غير موجود !!

أما حالة التعليم والمتعلمين فقد تبين من الاحصاء الاخير أن عدد المتعلمين فى مصر « وكلمة معلمين تشمل كل من يعرف القراءة والكتابة » هو ١٠ فى المائة وان عدد حملة الشهادات « بما فيها الشهادة الابتدائية » هو نصف فى المائة وهذه نسبة ضئيلة جدا اذا ما قارناها بدول كسويسرا مثلا حيث تقرب نسبة المتعلمين من ١٠٠٪ فى المائة

ويقرأ الناس أول كل عام دراسى فى مصر فى الصحف شكوى مرة لضيق الامكنة فى المدارس بأنواعها ثم استعمال وساطة الكبراء وذوى النفوذ لدخول هذه المدارس فاذا ما طالبت الصحف الحكومة بزيادة الامكنة كان ردها المعروف الميزانية لا تحتمل !!

بل ان الشىء الذى يدعو الى الاسف حقاً أن كلية الحقوق بالجامعة المصرية تغلق الاسبو

الماضى على لوحة اعلاناتها اسم ٤٣ طالبا فى السنة الثالثة مهددة اياهم بالفصل النهائى إن لم يسددوا القسطين المدرسيين الاول والثانى فى مدة قصيرة ، فاذا سعى أولياء أمورهم « وجلهم فى ضائقة مالية شديدة » لاعفائهم من الرسوم هذا العام قوبل سعيهم بالرفض لان مالية الجامعة محدودة !!

بل أن نظرة سطحية نلقيها على حالة الطرق فى مصر « ومن أهمها الطريق الموصل بين القاهرة واسوان » لتبين لاول وهلة ضيقها وتهدمها وسوء تنظيمها ، فهى لاتزال يكسوها التراب تغوص فيها السيارات وأرجل الماشين والدواب . ولم نذهب بعيدا و كثير من الطرق فى مدينة القاهرة قذر مظلم لاتعرفه مصلحة التنظيم ، فاذا ما طالبها الاهالى برصف طريق أو ادخال نور اعتذرت بقلة المال وسوء الحال !!

وماذا نقول أيضا عن أزمة المتعلمين العاطلين وتبرمهم بحياة البطالة والكادر الجديد و كيف ضيق سبل العيش حتى أوجد فى درجاته درجة تاسعة يتقاضى الموظف فيها ثلثمائة قرش فى الشهر خاضعة لضريبة الدخل والايراد !! وعذر الوزارة فى اصدار هذا الكادر البغيض « بالنسبة لصغار الموظفين فقط » ان المالية المصرية لم تعد تحتمل المرتبات الضخمة الكبيرة !!

بل ماذا عسانا نقول عن التزامات مصر الحديثة من زيادة عدد الجيش وتزويده بالطائر والمدافع الحديثة و الدبابات ، والتزاماتها بمد الطرق ، وبناء الثكنات العسكرية ، هذه الالتزامات التى تثقل بحق كاهل الشعب المصرى ؟

أليست هناك مشروعات لتجفيف المستنقعات فى شمال الدلتا وتحويلها الى أرض زراعية فتخفف بعض الشىء ضغط السكان على الاراض المنزرعة الآن ؟

أليس هناك اقتراح يرمى الى انشاء بنك صناعى يعطى سلفيات لآجال طويلة حتى يساعد على نشر الصناعات الصغيرة فى مصر ؟

أم يفكر رجال الرى في مصر فى تنظيم رى وصرف الحياض فى الوجه القبلى يجعله ريا دائما سنويا بحيث يستطاع زرع الارض فى العام الواحد ثلاث مرات بدلا من مرة واحدة ؟

ألا تلح وتصرخ المجالس البلدية والمحلية فى غالبية بلاد القطر المصرى فى طلب اعانة لادخال الكهرباء وماء الشرب ومد المجارى ؟

كل هذا لم يتعد الأوراق لأن المالية المصرية لاتتسع له ولكنها تتسع للهبات والتبرعات !!

إن ثلاثة أرباع المصريين ، ان لم يكن أكثر من ذلك ، يعيشون فى دنيـا تزخر بالألم والحرمان والجوع بينما تجود الحكومة بالمال ذات اليمين وذات اليسار .

وأعود بعد هذه الجولة القصيرة الى موضوعنا الأصلى فاقول هل أصابت الحكومة فى التبرع بربع مليون من الجنيهـات لبلد كالحجـاز فى وقت قد اكفهر فيه وجه السياسة الدولية وكلمة الحرب تتردد على كل لسان ، وفى وقت نحن أحوج مانكون فيه للاصلاح الداخلى ومواجهة الطوارىء وتنفيذ الالتزامات العسكرية رغم ما فيها من الارهاق ؟؟

كم كنا نحب أن تتئد الحكومة فى تقرير هذا المبلغ الكبير وألا تجرى وراء النعرة الدينية فى الوقت الذى تقبض فيه الدول الاسلامية الاخرى يدها عن هذا البذل ، والمثل يقول ابدأ بنفسك ثم بمن تحب

الحجز

طلب تجار الاسكندرية من الحكومة سن قانون جديد يجيز للتـاجر ايقاع الحجز على مرتبات موظفى الحكومة

ونحن لا نشك فى أن الحكومة سترفض هـذا الطلب . لان الانزلاق فى الدين سهل والتخلص أو التملص منه صعب . ولا يمكن الموظف أن يؤدى عمله اذا كان باله من الديون فى بلبال

بل نحن نرى أنه يجب أن يزاد الاعفـاء من الحجز . فان أدوات الفلاح وآلاته وجاموسته . بل كذلك منزل الاسرة يجب كل هذه أن تكون بعيـــدة عن الحجز حتى يستقر الاجتماع ويطمئن الناس الى العيش . ولنا أسوة فى ذلك بكثير من الامم الاوربية مثل المانيا وسويسرا الخ

الجوع فى مصر الغنية

قالت جريدة الاهرام : روينا امس الاول بين « حوادث القاهرة » نبأ محاولة « على عوض » الانتحار فى ميدان الخديوى اسماعيل بان اشعل النار فى نفسه . فاسعف بالعلاج ونقل الى المستشفى وقد تلقت النيابة امس نبأ بوفاته متأثرا باصاباته . وقد كشف التحقيق واقوال المصاب التى ادلى بها قبل وفاته عن ماساة دامية نلخصها فيما يلى :

فقد كان هذا الشاب يقيم فى بلدته بنها ويعمل فى احد المخابز باجر كفل له ان يعيش فى سعة . ولكن استخدام الماكينات فى المخابز ادى الى توفير الكثيرين من العمال ، وكان هو منهم ، ففقد وظيفته منذ ثلاثة اشهر . وحضر الى العاصمة سيرا على الاقدام . واخذ يبيع ملابسه قطعة قطعة ويقتات بثمنها ، حتى لم يبق من ملابسه الا مايستر به جسده

وقبيل الحادثة باسبوعين ، اصبح ولامستقر له ، يهيم على وجهه فى الطرقات وحاول ان يستجدى فلم يفلح ، وصار يطوف بالحدائق ويلتقط اوراق الخس وقشور اليوسفى ويقتات بها ، فاذا جن الليل آوى الى احد صناديق القمامة بميدان الخديوى اسماعيل حتى الصباح

وكاد الجوع يفقده عقله ، فتوجه الى المحافظة وقابل احد الموظفين وطلب اليه ان يعمل على دخوله السجن حتى يضمن القوت والمأوى . فسخر منه الموظف واشار عليه بارتكاب جريمة سرقة حتى يدخل السجن . ولما اخبره انه لم يعتد السرقة انصرف عنه الموظف . فذهب الشاب الى قسم السيدة زينب وطلب من الضابط ان يسجنه فطرده من القسم وعند ذلك انصرف وهو يكاد يسقط اعياء من فرط الجوع

وفى مساء الحادث توجه الشاب البائس الى صندوق القمامة ليقضى ليله فيه . فتصادف مرور احد الوجهاء وكان ثملا ، فاخذ البائس يستعطفه ويستجديه مايسد به رمقه ، وقدروى له قصته فاعطاه مليما وانصرف فتناول الشاب المليم وقلبه يكاد ينفطر ، لما شعر به من الهوان

واخيرا ضاقت الدنيا فى وجهه . فآثر ان يبتاع بالمليم بترولا ليحرق نفسه ويتخلص من هذه الحيــاة . ولم يلبث ان نفذ ماقام بذهنه فابتاع كمية من البترول ، وصبها على ملابسه واشعل النار فيها . وهكذا اسدل الستار على مأساته الموجعة

لمحة في الادب الروسى

للاستاذ حليم مترى

اذا كان تاريخ الادب الروسى يعود الى القرن الحادى عشر فان القليل الجيد منه ما صدر منذ ذلك العهد حتى القرن الثامن عشر . فان «سمار كوف» (١٧١٨ — ١٧٧٧) كان أول روسى يعتقد أن الأدب قد يمكن اتخاذه مهنـة . فقد جرب الشعر والخرافات والمآسى وأثرت كتاباته فى الادب الروسى حتى عصر «بوشكين» و «كرامزين» (١٧٧٦ — ١٨٢٦) وكرامزين هـذا كتب تاريخاً حافلا للامبراطورية الروسية . وكتب بضعة روايات وقصص صغيرة وهو أول من استطاع من الكتاب أن يفصل عن اللغة الروسية الطابع الكنسى

أما «بوشكين» «ولورمنتوف» فكانا يمتان بصلة كبيرة الى العهد الرومانتيكى للقرن التاسع عشر ويعتبران الدعامة الاساسية التى قام عليها الادب الروسى الحديث . فلقد كانا شـاعرين كبيرين ولقد كتبا قصصاً صغيرة فى التقاليد الرومانتيكية ومن الخير أن تعلم انهما كانا أيضاً فى صميم حياتيهما من أصحاب الخيال حتى انهما ماتا قتلا فى المبارزة

أما جوجول فقد كان أول روائى اقترب من الادب الواقعى . وفى قصته الـكبيرة «الارواح الميتـة» يستعرض طوائف الشعب الروسى ويتحدث عنهـا . ولقد خلف جوجول ترجنيف وديستويوفسكى وتولستوى . الفرسان الثلاثة للقصة فى الادب الروسى . ولو انهم كانوا من الفنانين باعتبارهم الثقافى الا أن أدبهم كان يقسم بالعمق والتوجيه لانه يعرض لمعضلات الحياة . ولم يكونوا فى حياتهم الفكرية أو بمعنى أدق فى حياتهم العقلية من أصحاب «الفن للفن»

ودونك «تشيكوف» الذى ذاع صيته عن طريق القصـة القصيرة . فقد كان ظاهرة ملموسة فى

الادب الروسى وكان أدبه — أدب الضرورة — ان صح هذا التعبير — وفيه روح الفكاهة والسخر مما ينتهى بالقارىء الى شىء من الالم غير قليل .. أما جوركى فهو أعظم أديب ظهر فى العصر الحديث وان كان فى عقيدة جوركى ذاته أن « بينين » أولى منه بهذا التقدير

وفى العشرة السنين الاولى لهذا العصر نشأت حركة جديدة كانت لها الصدارة فى الادب الروسى وتاريخه تلك هى الحركة الرمزية . ولحد ما خيل للكثيرين أنها تكاد تحتل مكانة « الادب الواقعى » لمدرسة الثورة ويعتبر « سولوجب وبيلى » من أئمة هذه الحركة وقادتها

بوشكين

شاعر من الامجاد الذين قام على أكتافهم الادب الروسى . تخرج من الليسيه فى « تساراسكوى » عام ١٨١٧ ثم اندمج فى المجتمع الروسى ولم ينسه هـذا الاندماج أدبه الذى عشقه بفطرته وسليقته والذى حببته الى نفسه مربيته . وفى عام ١٨٢٠ نفى الى القوقاز لكتاباته التى دعا فيها الى الديمقراطية والحرية مما كان يعتبر جريمة فى نظر أصحاب السلطة اذ ذاك . ولقد كان اضطهـاد بوشكين فرصة سانحة لاضطهار أدبه . فقد أبعد ذلك الاضطهاد بوشكين عن تيارات الحياة الاجتماعية التى قد تؤثر تأثيراً سيئا فى طبيعته الادبية أو نظرته الفنية . فاتجه بأدبه نحو الشعر الغنائى والقصص القصيرة . ومن أروع آياته الأدبية « بوريس جودونوف » التى تلمس فيها وحى شاكسبير « قويا » أما تأثير الشاعر « بايرون » عليه فقد لازمه حتى أتم وضع قصته الشعرية « اونيجن » ويقول « ترجنفا » أن الأبيـات الاولى منها تفضل آثاره جميعاً وان كان الشاعر نفسه يضع « بولتافا » فى الصـدارة . ففى هذه الملحمة الشعرية القوية استطـاع أن يؤرخ النزاع الذى وقع بين بطرس الاكبر وشارل الثـانى عشر ملك اسوج .

ان مكانة بوشكين فى النفسية الروسية المثقفة كمكانة الاغنية الجميلة فى نفوس العذارى بل أن خواطره الشعرية قد سايرت الزمن فانطبعت على المزاج الروسى كما ينطبع على لوحة العقل منظر ساحر كالبحر أو القمر . والآن أحب أن أتحدث عن قصته « صانع النعش » ففى هذه القصة يرتفع بوشكين الى سماء النقد ليسخر من الاخلاق والعادات ويسجل فى غير تهيب تلك الحياة الاجتماعية التى يحياها العمال وأصحاب المهن الصغيرة والتى كتب عنها وعرض اليها غير واحد من أدباء روسيا . وانما الطابع

الذى يسود أدب هؤلاء الادباء أو النقاد — هو طابع السذاجة والوصف والايجاز على أن تؤدى هذه كلها الى تقرير الواقع دون إجهادأوتحليل أو شرح للوصول للقارىء الى نتائج عملية أو منطقية. الا ان بعض هؤلاء الادباء أو نقاد الاجتماع ـ ان استطعنا التحديد ـ وفى طليعتهم «ديستويوفسكى» الاديب المتصوف وجوركى قد استطاعوا أن يذهبوا مذهباً آخر فى النقد. اذ لم يخل أدبهم من التنديد بالمظالم التى سادت عصر القيصرية أو التى تفشت قبل عهد الجمهورية الشيوعية وقامت بقيام أقطابها. فتحدثوا عن الفقر والحياة الاقتصادية وأسباب المتاعب الاجتماعية وعن الاحرار وما لاقوه من نفى وتشريد وعن سيبيريا وما ارتكب فيها من آثام. وانك لتجد فى ثنايا هذا النقد الصورة العارية التى يبرزها الناقد لهذا البلاء الذى خيم على أصحاب المذاهب والمبادىء من أحرار الفكر كما يوضح بأجلى بيان أساس الصراع الاجتماعى والفوارق القائمة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية مما أدى الى حرب الطبقات، وقيام النظام الاشتراكى.

لم يتحدث بوشكين عن السياسة او الأدب أو التاريخ انما يتحدث فى هذه القصة عن الأجتماع. هو يصف الحياة الاجتماعية التى تحياها طبقة من الطبقات التى تحترف الصناعات الصغيرة. وعن مظاهر هذه الحياة. هو يعنى بالوصف والعرض فى غير فلسفة أو تحليل بل هو يؤثر الاسلوب الذى يمثل نفسيته وطابعه. تلك النفسية الروسية الساذجة التى تتناول الحياة بصورتها الواقعة ولا تتناولها بالبحث والمنطق والاستدلال. هو اديب شاعر وقصصى بارع وهو وان كان قد اغرم بالأدبين الفرنسى والأنجليزى الا انه لا يتقيد بهذا «الشك» الذى ينتهى اليه أدب «مونتانى» أو اسلوب ديكارت فى التفكير. بلى انه لا يجارى ادباء الأنجليزية فى أنشاء القصة للمعانى الرفيعة فى الحياة. فهو لا يعالج الأجتماع على طريقة «ولز» أو ينحو منحى «شاكسبير» فى عرضه للتاريخ أو فى الأجتماع بل هو يرسم الصورة كما هى وأنت تراها على النحو الذى تفهمه. هو قد يعرض للخير والشر والفضيلة والرذيلة والظلم والعدل والحب والبغض فى اخلاق الناس ولكنه لا يعرض اليها فى تدقيق وتعمق بل فى ايجاز ويسر. ولقد يجد القارىء فى ادب بوشكين وجوهاً للشبه كثيرة بين شخوص قصصه وبين تلك التى وضعها بيرون وشاكسبير ولعلك تجد هذا الشبه قوياً فى اوينجن لبوشكين ودون جوان لبايرون وفى كتاب تتيانا الى اوينجن وكتاب جوليا الى دون جوان. والقصة التى نعرض لها هى «حلم» ذهب فيه بطلها الى تحقيق ما كان يطمع فيه ويصبو اليه ولكنه صد‍[illegible]يه بعض الشىء كما يصدم بالحقيقة

الواقعة . وهذا النوع من التأليف ايضاً عرض اليه كثيرون من الأدباء والقصصيين . وإذن فقد ترى تجانساً فى انفكرة بين قصص بوشكين وبين القصص الفرنسية أو الأنجليزية . ولكن الروح أو الطابع فى أدبه يصدر عن النفس الروسيه وجالوالروسى واسلوب الحياة الروسية جميعاً . فالأدب الفرنسى أو الأنجليزى قد يلهم بوشكين يوصى اليه ولكنه يتجه بهذا الألهام أو ذلك الوحى الى الطبيعة الروسية ليروى عنها ويتخذ منها أداة لأدبه وفنه

صانع النعش

وضعت آخر أمتعة أدريان بور كهوروف على عربته التى يحمل عليها الموتى . وترجلت فتاتاه الحزينتان للمرة الرابعة من باسمانيا الى نيكتساكيا حيث استقر ادريان فى بيته الجديد . ولقد أغلق حانوته القديم وكتب عليه اعلاناً للأيجار أو للمبيع . ومن ثم ذهب ممتطياً قدميه الى داره الجديدة ولما اقترب من تلك الدار الصغيره ذات اللون الأصفر التى كثيراً ما أعجب بها حتى اشتراها بمبلغ كبير أدهشه من نفسه أن قلبه لم يطرب لرؤيتها . فاذا ماجاوز مدخلها وجد كل شيء مبعثراً فحن شوقا لى داره القديمه حيث سادها الترتيب والتنسيق منذ ثمانية عشر عاما . وطفق يعنف أبنتيه وخادمه على ابطائهم فى تنظيم الدار وبدأ يساعدهم بنفسه فى ذلك . ولقد نظمت الدار بأسرع مايمكن . فوضعت التوابيت مع الصور المقدسة . وزين الدولاب بالأوانى الخزفية . واحتلت المائدة والارائك والفراش غرفة خاصة

أما المطبخ وغرفة الضيافة فقد احتوتهما البضاعة التى يتجر فيها الرجل . نعوش من كافة الالوان والحجوم وخزائن تحوى قلانس الحداد ومعاطف سوداء ومشاعل . ولقد علق فى أعلى الباب لوحة تمثل كوبيد يحمل مشعلا منكسا ولقد كتب على اللوحة «هنا تباع وتجهز جميع النعوش الملونة والصافية (السادة) نعوش للايجار . وترميم النعوش القديمة »

وآوت البنات الى فراشهن أما «أدريان» فقد جال فى منزله الجديد ليعاين ما استقر عليه نظامه ثم جلس الى النافذة وأمر الخادمة بعمل الشاى

قد يعرف القارىء أن شاكسبير ووالترسكوت آثرا أن يخرجا « حفار القبور» فى رواياتهما

البليغة من أصحاب المرح والجذل حتى يكون الفارق الكبير بين المهنة والخلق مثيرا لاعجابنا ولكننا مراعاة للحقيقة لانستطيع أن ننحو نحوهما بل أننا نعترف بان أخلاق صاحبنا كانت منسجمة مع مهنته الحزينة . لقد كان أدريان بروكهوروف فى معظم أوقاته وأغلب حالاته مكتئبا مفكرا . واذا تحدث فلكى ينهر ابنتيه على كسلهما وتطلعهما للسابلة من النافذة أو ليطلب ثمنا غاليا لنعوشه لمن يضطرهم سوء الحظ أو حسنه الى مشتراها . وبينما كان أدريان جالسا الى النافذة يشرب الشاى لسابع مرة . وانه لطرق اطراقة طويلة فى لجة من الهموم . أخذ يفكر فى ذلك المطر الهاطل منذ اسبوع فى أثناء قيامه بالعمل فى مشهد ذلك القائد المتقاعد . لقد كان المطر سببا فى افساد المعاطف والقلانس . بل لقد ذهب منظر القلانس وبهت لونها . وكان لا بد له من مال وفير لاصلاحها حتى تعود سيرتها الاولى . وكان شديد الأمل فى تعويض هذه الخسارة من وفاة العجوز «تريكينا» زوجة التاجر التى يسعى اليها الموت منذ عام غير أن تريكيتا كانت تعالج سكرات الموت فى قرية (راسجولياس) النائية . ولقد يلجأ وارثوها الى أقرب مجهز للدفن رغم وعدهم أياه الا يلجأوا الى غيره . وبينما هو فى هواجسه وأفكاره اذا بالباب يقرع ثلاث مرات فقال : من الطارق ؟ فدخل رجل تلوح عليه علامات البشر والفرح. ولقد يرى فيه الناظر للمرة الاولى أنه صانع ألمانى : تقدم نحوه قائلا : معذرة يا جارى . الكريم قالها فى تلك البلاغة الروسية المصحوبة بابتسامة: معذرة لاقلاقى راحتك وتطفلى عليك . لقد جئت اليك لاتعرف بك فقد أصبحت جارى : اننى صانع أحذية واسمى «جوتليب شولتز» وأعيش فى البيت المواجه لنافذتك وغدا أعد وليمة احتفالا باليوبيل الفضى لزواجى ولقد حضرت لادعوك وابنتيك الى هذه الحفلة. فتقبل الرجل الدعوة قبولا حسنا . ودعا الحذاء لشرب الشاى . وسرعان ما تجاذبا أطراف الحديث . وقال أدريان كيف حال العمل عندكم ! أجاب شولتز السوق كما تراها كاسدة . وأنا قدلا أشكو . فبضاعتى أقل رواجا من بضاعتك . فالاحياء قد يستغنون عن الاحذية فيسيرون حفاة ولكن الاموات لايستغنون البتة عن النعوش . فقال ادريان : ان ما تقوله حقاً . ولكن افترض أن حيامفلساًجاء يستجديك نعلا من نعالك . فقد لاتكون مجبرا أن تنعله . انه يستطيع ان يسير عارى القدمين اما انا فاذا ما لجأ الى ميت كان شحاذا على ان أهبه نعشاً . وعلى هذا النحو دار بينهما الحديث ثم استأذن «الحذاء» فى الانصراف بعدأن وعد بعودته.

وفى ظهر اليوم التالى تأهب الرجل وابنتاه الى زيارة الجار ولعلى لا أطيل الوصف . فقد ارتدى صاحبنا قفطانه الروسى وتزينت « اكولينا وداريا » بالحلى وبدتا بعد وضع المساحيق فى ذلك المظهر الاوربى الجذاب . لقد لبستا المعاطف الصفراء والاحذية الحمراء التى تعودتا فقط لبسها فى المناحات والمآتم . وكان بيت الحذاء . ذلك البيت الصغير يعج بالمدعوين . اكثرهم من الصناع الالمان وكان بين المدعوين الروسيين رجل ساعاتى يدعو « يوركو » ورغم ضآلة مهنته كان محط انظار « ادريان » لقد كان يعمل « يوركو » ضمن قائدى مركبة « بوجورلسكى » حتى اذا نشب حريق عام ١٨١٢ الذى دمر العاصمة اتى ايضا على بيته الذى كان يصلح فيه الساعات فأعاد بناءه من جديد. ولقد كان يوركو معروفاً للالمان الذين يقيمون فى « تيكستا كيا » وكثيرون منهم كانوا يمضون عطلة الاسبوع تحت سقف بيته . وسرعان ما اقبل عليه ادريان يريد التعرف به فسوف يحتاج اليه إن عاجلا أو آجلا . ولما جلس الضيوف الى الخوان . جلس ادريان وصديقه جنباً الى جنب اما الهر شولتز وزوجته وابنتهما لوتشن الشابة الجميلة البالغة من العمر سبعة عشر عاما فقاموا بخدمة الضيوف . ولقد فاضت الكؤوس بالشراب . ولقد بدت شراهة « يوركو » فكان يأكل بمعدل أربعة . وحاول ادريان التشبه به . اما ابنتاه فقد التزمتا حدود اللياقة . . وعلا صخب الحديث وحمى وطيس الحوار بالالمانية ولقد قطع صاحب الدعوة على الجمع الحديث قائلا بالروسية وبصوت عال : فى صحة زوجتى الطيبة لويزا » وهدرت الأباريق بالصهباء وفارت الشمبانيا وقبل المضيف وجه زوجته الصبوح . وشرب الضيوف نخب لويزا . وصاح رب البيت ثانية بعد أن فض زجاجة أخرى « على صحة ضيوفى الامجاد » فشكره المدعوون بالتهام الاقداح . وتلاحقت الكؤوس وشربوا على صحة كل مدعو ثم شربوا على صحة موسكو واثنتى عشر قرية صغيرة المانية وشربوا على صحة جميع الطوائف والصناعات واحدة واحدة ثم على الخصوص على صحة الرؤساء والملاحظين . وشرب ادريان حتى دفعته حماسته وانطلاقة اساريره الى ان يناشد الجمع لكى يشرب على صحته كاسا خاصة . فنهض فجأة خباز ضخم قائلا لنشرب على صحة من نعمل من اجلهم . على صحة زبائننا الكرام . فنال الاقتراح موافقة الجميع وارتفع منهم الضحك وبدأو جميعا فى صحة نخب بعضهم البعض . فالحائك يشرب نخب الحذاء والحذاء يشرب نخب الحائك والخباز يشرب نخب الاثنين والجميع يشربون نخب الخباز . وهكذا الى ان قام يوركو

فى وسط هذه التحيات المشتركة متعجبا ونظر الى ادريان قائلا :

تعال يا ابتى . . هلم نشرب على صحة امواتك ! ! فضحك الجميع ولكن ادريان اعتقد ان هذا مسبة له فتجهم وأطرق ولم يفطن الى غضبته احد فظلوا يشربون وهم فى هذا الجو المرح الى ان دق جرس الغروب فنهضوا من اماكنهم متفرقين . وكانوا يملأون الجو بضحكهم . والتف يوركو بالخباز الضخم ومجلد الكتب وقصد ثلاثتهم الى بيت الساعاتى لكى يتموا ليلتهم على هذا النحو اما ادريان فقد عاد الى منزله ثملا كئيبا . وصاح متعجبا . «لم لا تكون مهنتى مكرمة كمهنة غيرى . هل يعتبر صانع النعوش أخا الجلاد ؟ لماذا كانوا يضحكون منى ؟ أظنونى مسخرة وأضحوكة ؟ لقد اعتزمت ان ادعوهم الى دارى العتيدة لكى اعدلهم وليمة فاما وقد اساؤا الى واضطهدونى فلن اصنع لهم شيئا وبدلا من دعوتى اياهم فلأدعون زبائنى الذين من أجلهم اشتغل . اجل لأدعون الاموات . لأدعون جثثى المقبور» فقالت له الخادمة وكانت قريبة منه «. ماذا بك يا أبتاه . وماهذا الهراء بل الهذيان الذى يصدر عنك : فلترسم الصليب . . أتدعو الاموات الى بيتك الجديد ياله من جنون وحمق ؟» ! . . « نعم بمشيئة الله فسوف ادعوهم وليكونن ذلك غدا . آلا فانصتوا الى أيها الاجواد . اننى لادعوكم لمأدبتى التى اقيمها من اجلكم مساء الغد . وسأطعمكم بما رزقنى الله طعاما هنيئا» وعلى اثر ذلك اضطجع الحانوتى على فراشه واخذ يغط فى نومه .

ولقد قام ادريان من نومه فى هدأة الليل . فقد ماتت العجوز تريكينا زوجة التاجر التاجر فى اثناء تلك الليلة وجاء رسول خاص يمتطى جوادا ليبلغه ذلك النبأ العظيم . فأعطاه ادريان عشرة كوبك جزاء له على هذه البشرى ولكى يشرب بها النبيذ . ثم ارتدى ثيابه على عجل وذهب فى سبيله الى قرية العجوز . ولقد وقف البوليس امام دار هذه السيدة الراحلة وكان يمر الباعة المتجولون أمام الدار وخلفها كأن انوفهم تدلهم على ان هنالك ميتا . ولقد رقدت العجوز على مخدع وظهرت بشرتها صفراء لايجرى فيها الدم . وقف بجانبها اقاربها وجاراتها وخادموها . وبدأ رجال الدين فى القرية يتلون صلاتهم اما ادريان فقد ذهب الى ابن اخيها وكان تاجرا صغيرا فى القرية واخبره ان معدات الجنازة من نعش وشموع (وأبسطة الرحمة) وغيرها معدة مجهزة . فشكره الوارث بعقل مضطرب قائلا له انه لا يعنى بالتكاليف ولكنه يعتمد عليه فى اعداد كل شىء على اتم وضع طبقا

لضميره . فقال : الحانوتى لسعادته انه سوف لا يكلفه كثيرا .

لقد أمضى الحانوتى يومه متنقلا بين «راسجولياس» و «دكيتسكاى» فاذا حان المساء فقد انتهت معدات الجنازة وانقلب عائدا الى داره مترجلا بعد ان طرد الحوذى الخاص به . وكان القمر يسطع بأشعته الفضية . ولقد قابل بالقرب من الكنيسة صديقه يوركو الذى تمنى له ان يمضى ليله طيبة فلما دنا من داره خيل اليه انه ابصر رجلا يفتح بابها ثم يختفى داخلها . فقال فى نفسه : « ماذا هنا ومن يطلبنى الليلة ثانية . اهذا سارق يريد ان يسطو على ؟ أم لبناتى المجانين عشاق يختلسون اليهن الزيارة فى مثل هذا الوقت ؟ على كل فاننى لا انتهى من تفكيرى الا الى شر » ولقد عمد أدريان إلى أن يدعو صديقه يوركو الا انه فى هذه اللحظة ابصر شخصاً آخر يقترب من الباب ويتهيأ للدخول وفيما هو يهم بذلك رأى صاحب البيت فوقف ونزع قبعته ونظر كل منهما الى الآخر . واطال ادريان النظر اليه وكأن هذا الوجه قد مر عليه ولكنه لم يتبينه بالضبط . فقال ادريان : لقد جئت تشرفنى بزيارة . مرحبا بك تقدم امامى . فأجابه الزائر بصوت أجوف هزيل . بل تقدم انت امامى يا أبتاه . ان رب الدار يهدى الزائرين اليها . ولما صعد ادريان تبعه الضيف وخيل اليه ان اناسا يجولون فى غرفته فقال فى نفسه وما عسى ان يكون هذا ايضا ؟ فلما دخل الغرفة ابصر بها ما راعه وهاله حتى ارتعدت فرائصه وخارت قواه ولم يستطع حمل ساقيه . لقد كانت الحجرة مملوءة بالجثث التى سبق ان حملها الى المدافن وكان القمر يرسل اشعته البيضـــاء فتضىء تلك الوجوه الصفراء الزرقاء والشفاه المتقلصه والعيون الغائرة والاجفان المرخاة والانوف البارزة . ولقد عرف ادريان فيهم اولئك الذين غيبهم فى الحادهم . وفى الطارق الذى كان يغدو على عقبه ذلك القائد الذى هطلت السماء على جنازته كما اشرنا الى ذلك فيما سبق . واحدق الجميع رجالا ونساء « بأدريان » وبدأو يحيونه ويسلمون عليه ما عدا رجلا فقيرا كان قد دفن مجانا فمنعه الخجل ان يتقدم فانتبذ زاوية من الحجرة يستر بها اطماره البلية اما سائر القوم فكانوا فى آنق الحلل . فالنساء فى الخز المزركش والديباج الموشى والضباط فى ملابسهم الرسمية على ان لحاهم كانت غير محلوقة ، والتجار والصناع فى قفاطين الاعياد والمواسم . ثم انبرى من بين الجماعة ذلك القائد وقال : ترى يا « بركهورف » لقد بعثنا جميعاً تلبية لندائك ولم يتخلف عن دعوتك الا الذين لم تمكنهم حالتهم من الحضور أولئك الذين قد أكل البلى أجسادهم

فاصبحوا عظاما نخرة لا تستطيع تماسكا بل لقد رأيت من بين هؤلاء واحدا لم يستطع ان يقبع فى لحده بل آثر ان يراك» وفى تلك اللحظة اندفع الباب ودخل منه هيكل عظمى دقيق فتقدم نحو ادريان وابتسم فى وجهه توددا الى «الحانوتى» وكانت تتدلى من اعطافه خرق بالية بين حمراء وخضراء ونظر الى الحانوتى قائلا: الا تتذكرنى يا ادريان؟ الا تذكر الجندى «بطرس بتروفنش» ذلك الذى بعته اول نعش من صنع يديك فى عام ١٧٩٩ وقد جعلته من خشب الزان وكان الاتفاق ان يكون من خشب السنديان. ومد الهيكل العظمى ذراعيه العاريتين المعروفتين نحو «ادريان» ولكن الحانوتى استجمع كل قواه وصرخ صرخة منكرة ثم دفع بكلتا يديه صدر الهيكل فتناثرت عظامه على البساط بددا. وعند ذلك علت ضجة استياء من الجثث ووقف الكل تحية لزميلهم وتوعدوا وهددوا الحانوتى بما أصم أذنيه حتى فقد صوابه وخر مغشيا عليه فوق عظام الجندى المبعثرة. وبعد قليل من الزمن طامت الشمس وملأت الفراش الذى استلقى عليه ادريان فلما أينع النهار تقلب ادريان على مضجعه وتمطى ثم فتح عينيه فابصر الخادمه تعد الشاى ومرت على ذهنه ذكرى يومه المنصرم فارتعدت له فرائصه لقد تذكر «تريكينا» ووفاتها. وتذكر وفد الاموات وما كان منهم. وتذكر خطاب الجندى بتروفيتش وسقوطه عظاماً مبعثرة على أرض الغرفة وظل صامتا ينتظر من الخادمة أن تبدأ الحديث فتسر عليه تلك الحوادث

تقدمت نحوه قائلة: كيف كانت ليلتك يا أبتاه؟ لقد جاء جارنا الحائك ليدعوك الى حفلة يقيمها غدا تذكارا ليوم ميلاده ولكنى عمدت الا أزعجك من منامك لتافهة كهذه. فقال أدريان ألم تحضر أحد من قبل المرحومة «تريكينا» المرحومة: ومن قال أنها ماتت؟

لك الويل من غبية حمقاء. ألم تساعدينى أنت أمس فى اعداد معدات جنازتها؟

أهل فقدت وعيك يا أبتاه أم لم تزل فى سكرة من خمرة الامس. أين كان ذلك الجناز الذى تتحدث عن قيامنا به أمس! لقد قضيت طيلة يومك فى دار الالمانى ورجوعك منها تتخبط سكر حتى أتيح لك أن تصل الى الفراش لتنام ولقد ظللت نائما الليل كله ولم تنهض إلا على صوت الاجراس

فقال — أحقا هذا ما حدث؟

فقالت — نعم هذا بالذات ما قد وقع

فقال — اذن هذا حسن. فلنعد الشاى ولنناد البنات.

جمال الجسم



هذه الفتاة من البربر فى الجزائر تمثل جمال الجسم واغراء الطبيعة . وقد زادت
هذا الاغراء بقليل من الصنعة الساذجة مثل الوشم على الوجنتين والحلى والشعر المرسل .
ولكن طبيعتها هى هنا فوق كل صنعة تنطق بالانوثة الساذجة

جمال الذهن



هذة الصورة هى للاديبة الانجليزية اثيل مانين . وهى قصصية مفكرة تمثل الجمال الذهنى . تفكير ورزانة وتأمل وجراءة وصراحة . وهى النقيض للصورة السابقة ليس لجسمها ذلك الاغراء الذى نراه فى تلك الفتاة البربرية . ولكن جمالها من طراز اعلى اذ هو الجمال الذهنى

جمال الفن



جمال الفن هو صورة أخرى لجمال الذهن . وهنا صورة الممثـــلة الانجليزية فلورا روبسون وهي فى دور «مارى تيورد» وفي وجهها من الكبرياء والذكاء ما لا يمكن أن يسمو اليه اغراء الجسم . هـذا الجمال الفنى يختلف من الجمال الذهنى من حيث اعتماده على الصنعة . ولـكنها صنعة فنية سامية ليس فيها وشم ولا حلى كالسلاسل تعلق على الصدر

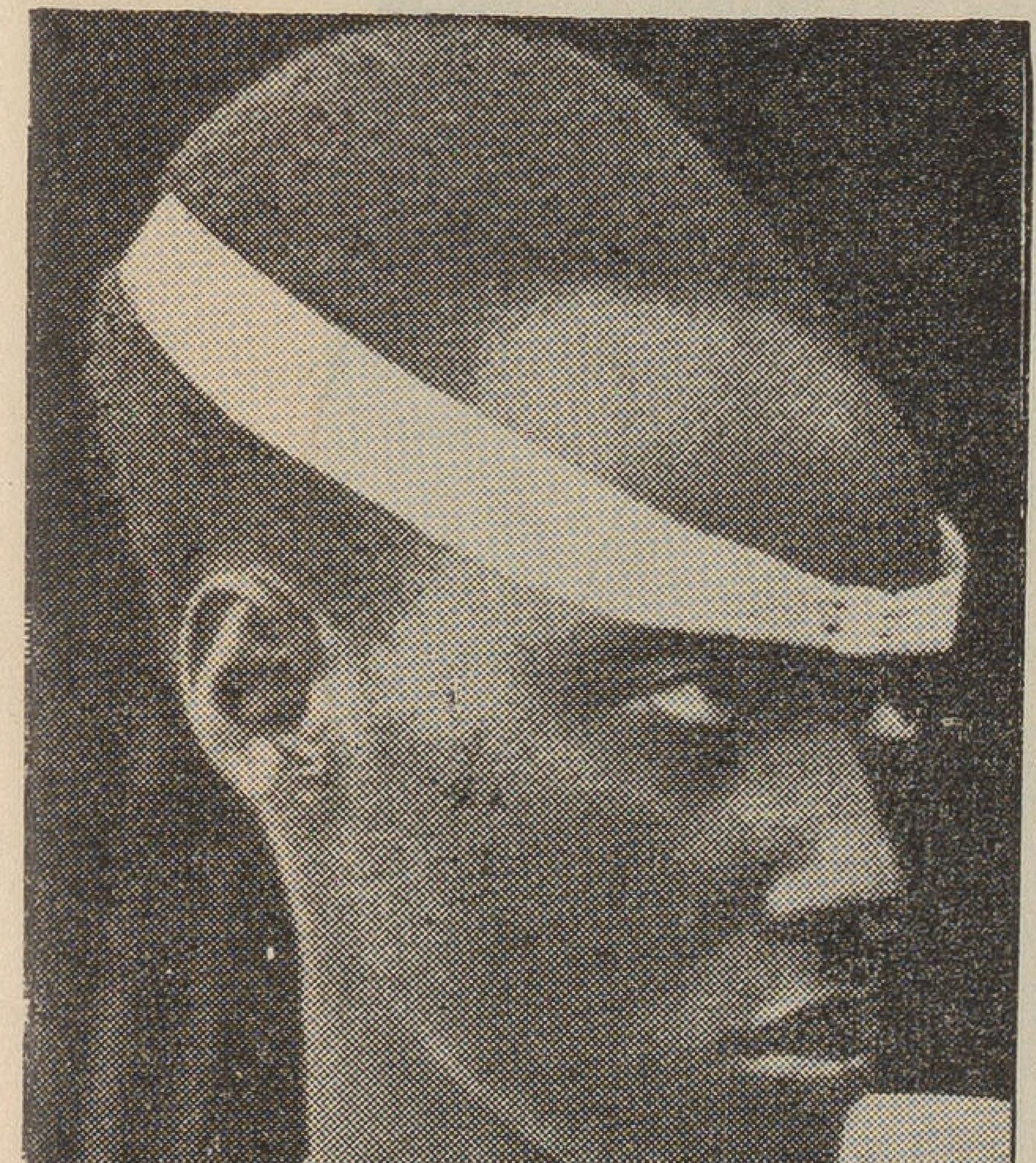
جمال اليابانيات



لليابانيات جمال هو طراز وحده لا نستطيع أن نقيسه بمساطرنا الفنية اذ هو يخرج عن مألوفنا فى العين المشروطة والحاجب المنحرف والانف المنبطح . ولكن فيه مع ذلك نعومة وانوثة تتسرقان الي النفس فتنة كأنها مكر وخبث

الزنوج يخرجون من وحشيتهم

لا تذكر افريقيا الوسطى حتى تثب إلى الذهن صورة ظلماتها : غابات كثيفة ووحوش مفترسة وزنوج سود لا يعرفون سوى القسوة والقتال والدم . ولكن هذه الصورة ليست صحيحة فى وقتنا الحاضر . فان الحضارة تتغلغل الى هؤلاء الزنوج وخاصة من أفريقيا الجنوبية حيث يحتك البيض والسود فيأخذ هؤلاء عنهم . وقد كثر منهم المتمدنون وبينهم الآن مئات بل آلاف من الاطباء والمحامين والمهندسين والمقاولين. بل الكونجو البلجيكية التى قاست من مظالم البلجيك ما يتجاوز الطاقة قد أخذ الاصلاح ينتشر فيها ويوضع الندى مكان السيف. وقد زارت سيدة أمريكية هذا القطر ونقلت منه صورا فتوغرافية تدل على أن الزنوج أخذوا يرتاحون الى الحياة التى كرهوها أيام الملك ليوبولد . فهم الآن يرقصون ويحتفلون باعيادهم فى سذاجة تتفق والحياة البدائية التى يعيشونها. وتقول المؤلفة انها رأت أميرة من قبيلة واتوسى تقوم برقصات فنية يرتاح الى رؤيتها حتى الجمهور المثقف فى باريس أو لندن. ويرى القارىء صورتها هنا



راقصة زنجية فى كونجو

* * *

ليس بعيدا أن يتضخم اسم ما كير يرى قريبا فى عالم الشهرة . فان هذه البلدة الصغيرة هى فى أوغندا فى قلب افريقيا وقد أنشئت فيها كلية حديثة تنمو رويدا رويدا الى أن تصير جامعة . وقد جمع لها من التبرعات واعانة الحكومة البريطانية مبلغ ٢٠٠ الف جنيه لتشييد المبانى اللائقة لها .

وستدرس فيها العلوم والآداب باللغة الانجليزية . وجميع الطلبة — بل الطالبات أيضا — من الزنوج فى أوغندا . ولا بد أنها ستجذب أيضا أبناء المتيسرين فى زنجبار وكينيا وتنجنيقا

وقد اختير لادارة هذه الكلية والتعليم فيها معلمون من انجلترا شهد لهم بالخبرة . وهكذا تنفذ أشعة الثقافة العصرية الى عقول الزنوج فى قلب افريقيا ولن تمضى عشرون سنة حتى يكون فى افريقيا جيل جديد من الزنوج يأنسون الى الافكار العصرية بل يتخذونها

* * *

لكل أمة أقليتها أو أقلياتها . وقد كانت تشيكوسلوفاكيا مثلا سيئا لكثرة هذه الاقليات وتعدد أهدافها القومية . والاقلية إذا لم تكن منسجمة مع الاكثرية أو راضية عن حكمها فانها تفتت فى الكيان الوطنى كله . ومركز الخطر فى أوربا الآن هو يوغوسلافيا ، حيث تتعدد الاقليات أيضا ، وحيث يلتهب الروح القومى بينها بمتاخمة الجيش الايطالى الذى احتل البانيا

ومع أن الولايات المتحدة الامريكية أبعد الامم عن مشكلات الاقليات لانها تعمم المساواة وتبالغ فى الميزات الديمقراطية فان فيها أقلية من الزنوج تبلغ ١٣ مليونا أى ما يقرب من العشر . وهؤلاء السود يجدون من القانون المساواة التامة بمواطنيهم البيض . ولكن الاجتماع ينكر عليهم هذه المساواة . والانكار هنا يتصل بالمعاملات فالزنجى لا يقعد الى جنب الابيض فى بعض العربات فى القطار وأحيانا يرفض صاحب الفندق ايواءه . وبعض المدارس تفصل بين الصبيان . والمجرم ى لا يؤخذ الى البوليس ، بل يتولى الجمهور عقابه ، أو عذابه

وهذه الحال السيئة يقاومها زعماء الفكر والقيادة فى الولايات المتحدة ولكن بلا جدوى . لان التعصب للدم بين البيض هناك عظيم جداً . ولعله يرجع الى خوف البيض من الاندغام فهو عندهم وسيلة لصيانة الدم الابيض من دم الزنوج إذ ما دامت الكراهية قائمة فلا خوف من التناسل المختلط

* * *

وزنوج الولايات المتحدة يرجعون فى الاصل الى افريقيا . فانهم أبناء العبيد الذين كان يشتريهم أصحاب المزارع من النخاسين لكى يزرعوا ارضهم . ولذلك كثرتهم الغالبة الى الآن لا تزال فى الاقاليم الجنوبية حيث مزارع القطن . فلما حرر الزنوج بالحرب الاهلية سنة ١٨٦٣ استقلوا باعمالهم

واصبحوا يملكون الملايين من الفدادين ولهم جامعات وبنوك خاصة بهم

وقد شعر الامريكيون منذ سنة ١٨١٦ بمشكلة الزنوج فى بلادهم فصار الابرار منهم يشترونهم ويعتقونهم ويردونهم الى افريقيا حيث القطر المسمى الآن ليبريا وصاروا يصطنعون الثقافة واللغة والعادات الامريكية حتى اذا كانت سنة ١٨٤٧ أعلنوا استقلالهم . وساعدتهم حكومة الولايات المتحدة على ذلك . ولا تزال الحكومة الامريكية ترعى زنوج ليبريا بالعطف حتى انها عقدت لحكومتهم قرضاً سنة ١٩١٨ لمساعدتهم على ترقية أحوالهم الاقتصادية . ولكنها شرطت إيجاد مستشار مالى أمريكى يشرف على شؤون الدولة المالية

وفى ليبريا الآن نحو ٥٠٠٠٠ زنجى متعلم أى متأمرك . ولكن سكان ليبريا من الزنوج الذين لا يعرفون الانجليزية وقد استبد بهم هؤلاء المتعلمون واستغلوهم أسوأ استغلال حتى اضطرت عصبة الامم ان تؤلف لجنة لبحث المظالم التى تقع بهؤلاء المساكين من أبناء شعبهم المتأمركين

* * *

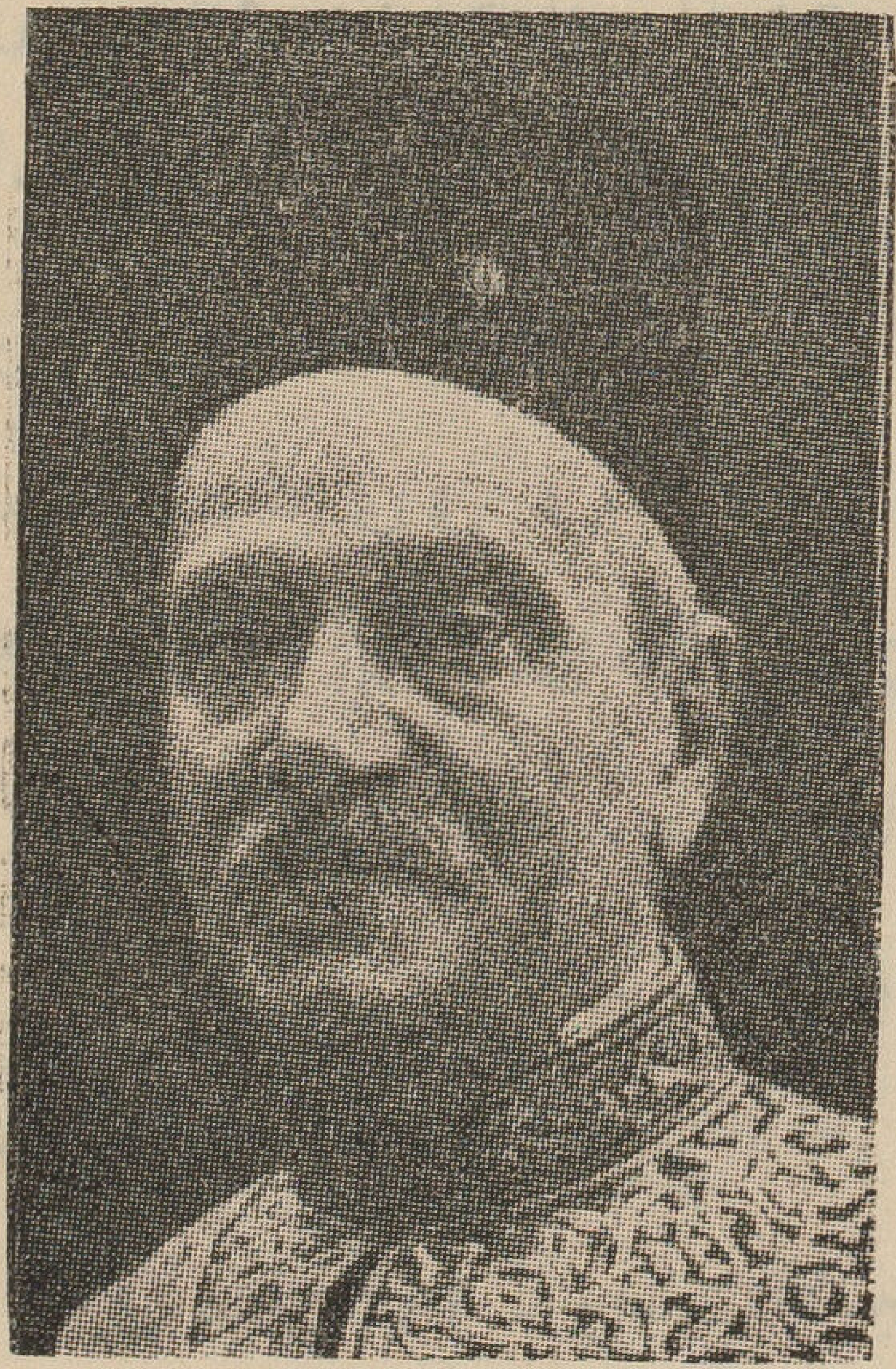
ولكن للزنوج دولة أخرى فى القارة الامريكية فى جزيرة هايتى . وهم هناك قد تأثروا بالثقافة واللغة والعادات الفرنسية . وكانت هايتى فى الاصل مستعمرة فرنسيه وزنوجها عبيدا للجالية الفرنسية . فلما نشبت حروب نابليون وأصبح الاتصال بالقارة الامريكية مستحيلا أعلن الزنوج استقلالهم فى هايتى

غير انه على الرغم من تعدد المدارس الفرنسية فى هايتى لا يزال جمهور السكان يتخبط فى الجهل وللساحر قيمة وسلطان كبيران بين العامة . ومع ان المسيحية هى الدين العام أو الظاهر للسكان فان الممارسات الدينية الافريقية قد انتقلت من افريقيا ونقلت معها ظلام الخرفات الى هؤلاء الزنوج . ويقال ان الكاهن أى الساحر يمكنه ان يقتل من يريد من هؤلاء السكان بما يوهمه اياه من فعل السحر . وايمان العامة بقوة الساحر يجعل تأثيره وضرره عظيمين وليس هذا فى هايتى فقط بل فى افريقيا ايضا حيث تكافح السلطات الفرنسية والانجليزية السحرة وتحاربهم لكى يخف أذاهم عن الناس أو يزول

يوسف سليمان باشا

توفى فى الشهر الماضى فى الثامنة والسبعين من عمره رجل من عظماء مصر الذين خدموها فى القضاء والسياسة ، هو المرحوم يوسف سليمان باشا . وقد بلغ سنا متقدمة احتفظ فيها بنشاط الشباب فكان لا يفتأ يحضر الاجتماعات ويشترك فى الاعمال العامة.

وقبل ايام ألقى كلمة عقب الانتخابات للمجلس الملى العام كان فيها مثل التفكير الهادىء الرزين . وقد اعانه على هذه الشيخوخة نحافة جسمه واعتداله فى المعيشة والسلوك اللذين لم يعرف فيهما اسرافا



المرحوم يوسف سليمان باشا

وقد ولد سنة ١٨٦٢ وتعلم فى مدرسة الاقباط الكبرى بالدرب الواسع . ولما أتم تعليمه الثانوى وجاز الامتحان الذى استحال بعد ذلك الى ما يسمى امتحان البكالوريا التحق بمدرسة الادارة سنة ١٨٧٨ . وكان يديرها المسيو فيدال وهى التى صارت بعد ذلك مدرسة الحقوق

وفى سنة ١٨٨١ نال شهادتها وعين كاتبا فى المحكمة المختلطة براتب قدره خمسة جنيهات . ثم انتقل ذلك الى مثل هذه الوظيفة فى المحاكم الاهلية بزياده جنيه فى راتبه . ورأى فيه رؤساؤه ما يؤهله للخدمة فى النيابة العامة التى انشئت اذ ذاك فنقل اليها وعين مساعدا للنيابة . ثم ارتقى بعد ذلك الى أن بلغ فى سنة ١٨٩٩ رياسة النيابة لمحكمة مصر الاهلية ، وكانت النيابة فى سنيها الاولى هيئة ادارية تشمل الاعمال التى تقوم بها ادارة الامن العام الآن كما كانت هيئة قضائية للتحقيق ثم عين سنة ١٩٠٦

قاضيا لمحكمة المنصورة المختلطة وبقى فى هذا المنصب عشر سنوات . الى أن نقل مستشارا فى محكمة الاستئناف الاهليه الى سنة ١٩٢٠ فاختير وزيرا للزراعة ثم وزيرا سنة ١٩١٦ وبقى فى هذا المنصب للمالية سنة ١٩٢١

ولما تألف الوفد الذى دعى الى لندن برياسة المرحوم عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ كان يوسف سليمان باشا أحد أعضائه وهناك فى عاصمة الانجليز جرت المفاوضة بين اللورد كرزون وبين الوفد وكان اللورد كرزون من دعاة المذهب الامبراطورى الذين لم تزدهم اقامتهم بالهند سوى زيادة لهذا المبدأ . وقد حكى المرحوم يوسف سليمان لكاتب هذه الكلمة مادار بينه وبين اللورد كرزون فى ذلك الوقت . فقال ما معناه: «عند مااستقبلنا اللورد كرزون وتعرف الينا واحدا بعدآخر ورحب بنا وتحدث فى جملة شئون همنا بالانصراف . ولكنه استبقانى وحدى . ثم سألنى هل صحيح أن الاقباط فى مصر يطلبون الاستقلال مثل المسلمين ! فقلت أجل . هذا صحيح فانهم فى هذا الطلب لايختلفون أقل الاختلاف من اخوانهم المسلمين . فقال اللورد كرزون و كيف تمت هذه المعجزة ؟ فقلت : ان حماسة الاقباط للاستقلال تفوق كل وصف واتحادهم مع المسلمين يدعو الى الاعجاب والفخر . فقال اللورد كرزون ولكن هل أنت مطمئن إلى ان الاستقلال لا يضر بالاقباط ؟ فقلت نحن والمسلمون شعب واحد تجرى فى عروقنا دماء واحدة . ولا يخطر ببال قبطى ان يتوجس من أخيه المسلم . فاجاب اللورد كرزون على هذا بصمت عميق . وانصرفت »

وقد كان المرحوم يوسف سليمان باشا كثير الاشتغال بالمسائل القبطية فكانت له أيد كريمة فى إنشاء المدارس والكنائس ولعله الوحيد بين الاقباط الذى أمضى من حياته خمسين سنة تقريبا وهو عضو بالمجلس الملى العام . اذ هو انتخب سنة ١٨٩٠ وبقى فى هذه العضوية الى يوم وفاته

وفى سنه ١٩٢٣ لما وصلت الامبراطورة منن زوجة الامبراطور هيلاسلاسى مصر نزلت هى وحاشيتها فى منزله بالعباسية وقد زارت قصر عابدين واستقبلها المغفور له الملك فؤاد . ورد لها الزيارة فى منزل يوسف سليمان باشا

* * *

ولعله يليق هنا ان نعلق على حديث هذا السياسى المصرى الكبير فى ضوء الحوادث التى

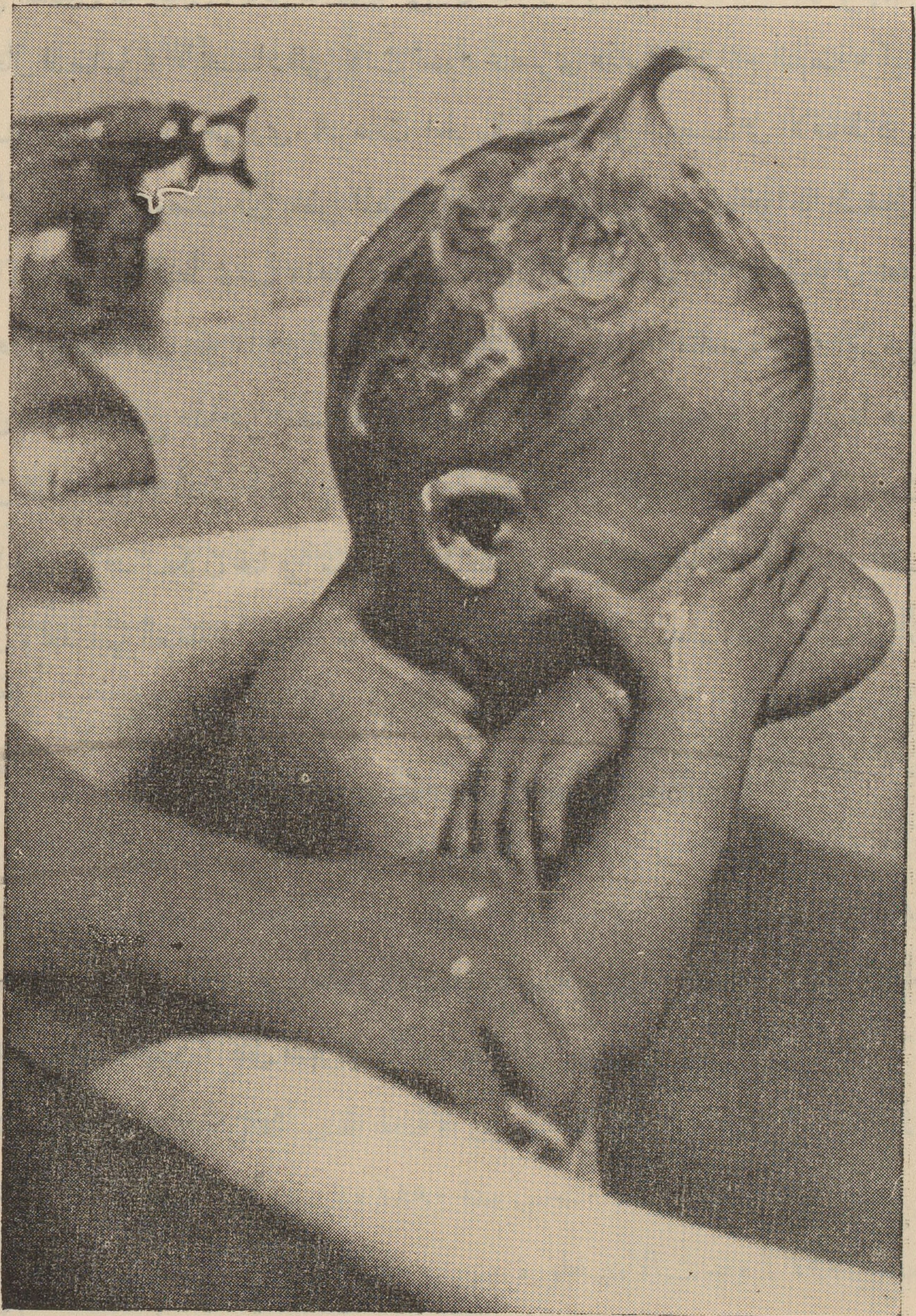
حدثت فى السنتين الماضيتين . فاننا لا نشك فى ان كثيرا من القراء الاقباط قد عرتهم الحسرة وهم يتأملون حال التضامن والاتحاد التى كانت تسود عنصرى هذه البلاد ايام النهضة وبقيت على ذلك نحو ١٨ سنة الى ان طرأت طوارىء النزعات الحزبية فجعلت من التعصب على الاقباط ذريعة للتطاحن ثم استطار شرر هذا التعصب الى بعض المصالح الحكومية . ونحن نهيب باخواننا المسلمين ان يعودوا فيذكروا انهم هم والاقباط شعب واحد كما قال يوسف سليمان باشا للورد كرزون وان يحذروا النتائج التى يغمرها التعصب . فان اقل ما فيه ان يغدو الاقباط اقلية كارهة متذمرة تشبه الارمن فى تركيا قبل ثلاثين عاما . وليس هذا من مصلحة الاقباط او مصلحة المسلمين . وهناك ما هو أخطر من ذلك . فان تعميم الروح الدينى وقياس الاشياء بمسطرة الدين يحيل بلادنا الى ما كانت عليه تركيا ايام عبد الحميد . وقد يكون هنا فى مصر من المصريين ومن النزلاء الشرقيين من يحب ان يرى هذه الحال ويجد فيها الغبطة والمصلحة معا . ولكن جمهور الامة المتعلم الذى عرف ميزات مصطفى كمال واكبر من نهضته يحب ان يعرف غير ذلك

ثراء

أعظم امم العالم فى الثراء هى أمة الولايات المتحدة الامريكية . فقد قدر دخلها فى العام الماضى بمبلغ ٨ آلاف مليون جنيه . أنفق منها على الابواب التالية

التعليم	٤٥٠	مليون جنيه
الاتومبيلات	٦٠٠	« «
الدخان	٧٠٠	« «
الطرق	٣٠٠	« «
اعانة المزراعين	٥٠٠	« «
الخمور	٨٠٠	« «

ويرى القارىء ان الخمر والدخان يستهلكان أعظم مقدار من دخل الولايات المتحدة . ويلى ذلك الاتومبيل . ثم يليه التعليم الذى ينفق عليه الامريكى اقل مما ينفق على سجارته او كأسه



لذعة الصابونه

أثر الوالدين في الأبناء

للاستاذ م . ع . ع

اذا نظرنا الى الآباء والأمهات من الناحية الثقافية والاجتماعية وما يحوطهم من الظروف الاقتصادية والتجارب التى مرت بهم وسائر الظروف الأخرى التى طبعت شخصيتهم وعوامل البيئة والوراثة ، وجدنا استحالة اتفاق اثنين منهم فى صفاتهم وطبائعهم

هذا ما يتعلق بالوالدين كافراد ، أما طباعهما كفردين جمعت بينهما روابط الزوجية ، وما لهذه الرابطة من أثر فى تغيير طباع كل منهما بحيث يقتربان من بعضهما ، فهذا أمر فى غاية الاشكال والتعقد كما أنه ليس له مقياس ثابت ، ويتوقف مدى هذا الاندماج والتغير على طبيعة الشخصين المتآلفين . فكثيرا ما نتحدث لكل منهما على انفراد فيعجبنا ما هما عليه من قوة الادراك والرزانة والتعقل وتفهمهما على وجه التحديد التزاماتهما الابوية وأن نرى فى كل منهما شخصية كريمة الاخلاق شيقة الحديث لينة الجانب ، بينما هى كزوج أو زوجة حادة الطبع فاترة المودة شديدة الانانية . وتمتد هذه الانانية الى الطفل فنراهما يتسابقان فى كسب وده فيغرقانه فى لجج من العواطف وهكذا يجنيان عليه من حيث لا يشعران

ولاشك أن شباب هذا الجيل ينزع الى التحلل من سيطرة الوالدين فى سن مبكرة عما كان يفكر فيه شباب الامس ، ومن ثم كانت علاقة الآباء بالطفل جديرة بعنايتنا .

فنفوذ الآباء يجب أن يكون له أثره فى النواحى العقلية والعاطفية للطفل فى مثل هذه السن المبكرة ، فان استقبال الابناء لهذه الحريه الجديدة وحسن تصرفهم فيما يتوقف الى حد كبير على ما يتركه أثرنا فيهم فى العشر السنين الاولى من حياتهم . ومن العبث أن نحاول فهم أبنائنا فيما وراء هذه السن الى العشرين فقد انقلب الامر — ان خطأ أو صوابا — الى جنوحهم نحو استقلالهم فى

حياتهم الاجتماعية ولما يتجاوزوا الخامسة عشر فى حين أننا لم نكن نفكر فى هذا قبل العشرين على الأقل .

ولما كان اختلاف الناس لا حصر له ، فمن العسير أن نحدد الآباء فى جماعات نحصر لكل منها على وجه التدقيق سيئاتها وحسناتها ولكنا نستطيع أن نشير الى ما يشيع بين الناس من المواقف والنتائج الخطيرة التى تترتب على الكيفية التى يساس بها الابناء

فكثير من الوالدين مع ما هم عليه من وفرة الذكاء وحسن التربية ، ومع المامهم بما يقع من الشئون كل يوم ، يعجزون عن القيام بما تفرضه عليهم الابوة من الواجبات والمسئولية . فهم لا يفرقون بين التافه والمهم ، فبينما يركزون اهتمامهم فى تكوين العادات ينسون معايير الاخلاق ، وفى الوقت الذى يعملون فيه جاهدين على طبع أولادهم على صور من السلوك والنظام ليست فى حياتهم شيئا مذكورا لايذكرون أنهم يجهلون النواحى الاساسية فى تربية الطفل ، أمثال هؤلاء انما يتعثرون وراء نزعتهم العاطفية هادمين شخصية الطفل فى ابان تكوينها

ومع أن الام والوالد يلعبان دوراً هاما على السواء فى تنمية الطفل وتربيته فالام هى التى تصرف الجزء الاكبر من وقتها على العناية به والسهر عليه . ومع ما للاهتمام والمحبة من الاهمية العظمى فانهما لا يضمنان لها النجاح فى معالجة المشاكل التى تصادفها بل قد تكون هذه المحبة هى الناحية الحساسة التى تضعف الام أمامها فلا تقف من طفلها موقف الحزم الذى تقضى به الضروره . ولكم طغت هذه المحبة على كل عيب فسترته ومرت على كل ذنب فغفرته وتمادى الابن فى الاستهتار حتى استفحل الداء وعز الدواء

وغالبا ما تكون المحبة مصحوبة باللهف الشديد والجزع المستفيض مما يحجب عنا دواعى التفكير فى معالجة شئون الطفل . فالتلهف عليه يضعه منا وضعا مخالفا لما تقضى به العاده .

فالطفل وقد أدرك أنه موضع العناية لايلبث أن يشهر فى وجوهنا سلاح الشكاية ، فيتخيل أنه مريض ليتلذذ بما يثيره فينا من مظاهر الجزع وما نبالغ فيه من تلقى ظواهر المرض ، ولنستعد بعد هذا أن نشرب الكأس المريره من ميوعته . فقد يكون ما يصيب الطفل لا يستدعى منه ما يظهره من صراخ أو بكاء أو أنين ، فنحن المسئولون عن هذا التغير الظاهر فى أخلاقه اذا ما جد له حادث أو

انتابه مرض . ثم تصور أنه فى دور النقاهة ، فالكل مرهف أذنيه لاستماع أوامره مسرع لتلبية طلباته فمعذور أن يكون مثل هذا الطفل أنانياً متسلطاً ، وكثيراً ما يتصنع المرض هروباً من واجب لا يروقه أو استدرارا للعطف عليه .

ويدفع إلى مثل هذا ، الخوف الذى يستولى على الآباء فيتوهمون السوء يطارد ابناءهم فى غدوهم ورواحهم ، فلا يأمنون عليه أن يذهب إلى المدرسة وحده خوفاً من مكروه يصيبه أو يمنعونه من الاختلاط بغيره ، وهكذا نقيد الطفل فيما يخطو دون أن ندعه يعتمد على نفسه أو يفكر لنفسه والطفل الذى يتعلق دائماً فى أذيال أمه قلما يعرف كيف يعيش مع أقرانه حتى إذا ما فك من أسار البيت والتحق بالمدرسة اعوزته القوة والشجاعة والوسيلة ولا يبعد أن يظل هكذا طول حياته .

وليس هناك من قيد أثقل من أن يكون للطفل آباء يأبون عليه حق تنمية مواهبه وينكرون عليه حق إنماء شخصيته بما أودعه الله من الصفات العقلية . والأمهات قبل غيرهن هن المسئولات عن كثير من هذه المعايب بما يأخذن من شفقة ضارة ، فقد صادفت مرة تلميذا فى الثانية عشر بالسنة الثانية الثانوية منتظرا امام المدرسة وقد مضى وقت طويل بعد الانصراف . ولما سألته عن وجهته أجاب إنه ذاهب إلى دكان بدال ليتلفن والدته لترسل له خادما يتسلمه وكان دكان البدال تجاه موقف الترام . فسألته لم لا يذهب للمنزل مباشرة بعد أن علمت منه أنه لا يبعد كذلك عن موقف الترام هناك فما أشد عجبى حين سمعت منه أنه لا يسلم من تعنيف والدته وعقابها مع وصوله إليها سالما !

أليس فى هذا قتل لابسط مظاهر الاتكال على النفس وقضاء على ملكة التفكير فى مواجهة أبسط المشاكل . هذا التلميذ بالذات مع ما يبذله من مجهود فى العناية بدروسه ، لا يستطيع أن يجيبك على سؤال بمجرد توجيهه إليه ، فلا بد له من وقت أكثر مما يلزم وإذا تكلم من فوره تلعثم ، وما ذلك إلا لأن تفكيره لا يسعفه من فوره لانه لم يتعود التفكير لنفسه . وهذا التلميذ نفسه لا نصيب له فى أية ناحية من نواحى النشاط المدرسى وأؤكد أن خوف والدته عليه لا بد له أثره فى عدم اشتراكه فى أية ناحية رياضية ، وبذلك لا تقتصر الاساءة إليه من الناحية الخلقية بل والجسمية أيضا .

حقيقة إن مظاهر النشاط فى حياة الطفولة كالجرى والتسلق وركوب العجلات والالعاب الرياضية واللعب فى الماء وغيرها تحمل فى طياتها احتمال ضرر هين فى الغالب ولكن الرغبة فى كل جديد تدفع

بالأولاد إلى شيء من المجازفة والتحمل فى سبيـل تحقيق رغبتهم وإرضاء غريزتهم ، وهم فى هـذا لا يبذلون إلا مجهودا عاديا يجعله أمراً شاقا مخيفاً كثرة ما يسمعونه دائماً من تحذيرات الخطر .

إن الاولاد بالطبع فى حاجة إلى حمايتهم ، وليس من قبيل الحماية المعقولة أن نقرن لهم الماء بالغرق والجرى بكسر الساق والتسلق بتهشيم الرأس فان هـــذا يقتل روح النشاط والمغامرة ويخرج نسبة الاخطار عن حقيقتها .

وقد تدفع شدة العناية بالابن أن يتولى عنه والداه ما يكلفه من الواجبات وينسيان أن الطفل يتعلم بما يعمل ، ولذلك كان كثير من الاولاد يعيشون فى مستوى عقلى أحط بكثير مما كانوا يصلون اليه وما ذلك الا لان آباءهم يلذ لهم أن يجعلوا كل شيء لابنائهم سهلا ميسورا دون أن يكلفوهم عناء التفكير فيه ، وهم بهذا يضعون فى أعناقهم حجرا يثقلهم فى قادم أيامهم حيث لا يجدون فيها أبا وأما يشاطرهم آلامهم .

ومن الآباء من يتدخل فى كل شيء ، فهو الذى يختار له أصدقاءه ويختار له القسم الدراسى — أدبى أو علمى — ثم الـكلية التى يلتحق بها ، وهو فى هذا الاختيار مسوق بمستقبل هذه أو تلك لا لرغبة الابن وميوله لاحداها ، وهكذا يشب الابن لا يفكر فيما يريده بل فيما يوافق عليه أبوه أو أمه حتى إذا ما استقبلته الحياة ، ألقى دلوه فيها بين الشك والتردد فى جميع ما يفعل . ومن لم تتفتح شخصيته من أكمامها فى أيامه الطليقة فـلا خير يرجى منه فى المستقبل ، فبـدلا من أن يقابل كل مشكلة بالرأى الحازم والحل العاجل ، تتجاذبه جميـع أنواع التهيب ، فهو دائمـاً يسأل نفسه هل هـذا ياترى يرضى العائلة ؟ هل ينال موافقة أمه ؟ هلا يعارض والده فى هـذا ؟ هل يحظى برضاء الأصدقاء ؟ سواء فى هذا أكان الأمر انتقاء ثوب أم اختيار زوجة .

إن شيئاً هاماً كان ينقص هذا الشاب عند إعداده وتربيته فظـل فراغه شاغرا فى نفسه ، ألا وهو الاعتماد على النفس فتبدلت ثقته بها شعورا بالنقص والتهيب . وهذا هو الثمن الذى دفعه الابناء لآبائهم فى سبيل تقـديس رغباتهم ، فحسبوا قتـل روح الاستقـلال طاعة ، وظنوا فى أثرتهم وأنانيتهم حبا وتضحية . وحسبنا من هذا أن نراجع أنفسنا بين حين وآخر فيما اذا كنا كآباء نعيق أبناءنا .

ولا شك أن الام تغتبط بما يظهره طفلها من أنواع المحبة وهى فى هذا تود المزيد غير أن هـذا

يدفع به الى أن يكون عيلا أكثر مما يلزم فتراه لا يفارقها ؛ ويرفض أن يتناول طعامه من غيرها ، أو ينام دون أن تكون بجانبه ؛ وهذا أكبر ما يضره فلا بد أن يعود الاستقلال منذ الصغر . دعه يجرب ويخطىء فهو يستفيد من أخطائه . وغالباً ما يكون أسهل أن نعمل له ما يصعب عليه أو ما يكون بطيئاً فيه ، ولكن لنعطه وقتاً أطول فعادة التواكل التى نسهلها له ستحرمه لذة الوقوف على رجليه فى المستقبل .

ومنذ البداية يجب أن يتعلم الطفل أن الاشياء ليست ملكه بمجرد رغبته فيها فلا نحاول أن نعطيه كل ما يطلب أو يرغب فيه ويجب أن ننمى فيه عادة اشراك غيره فى لعبه وأن يتجاوز عما يريده وأن يتنازل عما فى يده لغيره فى الوقت الذى تحدثه نفسه بالمزيد . وهو فى هذا لا يدرك لماذا يجب عليه أن يفعل ذلك ، ولكن أى طفل وان صغر يستطيع أن يفهم ما يصاحب فعله من ارتياح الآخرين واستحسانهم . وقليل من الملاطفة كفيل بتنفيذ هذه السياسة . بهذه الروح يتقدم فى الرجولة فتستقبله الايام صلدا عند اخفاقها شجاعا فى مواجهة صدماتها .

ويجب ألا نرشوه أو أن نعده بما ليس فى مقدورنا أو فى نيتنا القيام به فالاولاد لا ينسون بل يجب علينا أن ننفذ ما نعد حتى نكون مثلا لهم فى الصدق والصراحة . وكثيرا ما نخطىء فنقول له اذا فعلت كذا أعطيناك قرشاً ، فلن يمضى وقت طويل حتى يصبح القرش غير كاف ويطمع فى قرش آخر أو قرشين وأى طفل أوتى قليلا من الصلابة يستطيع أن يستغل نجاح هذه الطريقة لصالحه .

وكثيرا ما نكذب على الطفل – من غير قصد – لنسكته أو لنحصل منه على شىء نريده وسرعان ما يكتشف الطفل أنه خدع فتضيع ثقته بالناس جميعاً وتصبح الحقيقة عنده أمراً مشكوكا فيه .

* * *

واستعمال التهديد كوسيلة لاخضاع الطفل أمر ضار فوق أنه عديم الفائدة ، فمهما كانت عبارتنا فلا يمكن أن تكون لها قوة التهديد مالم نستطع تنفيذ مدلولها فى حالة ما إذا استمر الطفل فى مخالفته . ومع وثوقنا من هذا فلا نفتأ نردد العبارات المألوفة « اسكت وإلا نادينا للطبيب يقطع لسانك » أو « تعال هنا ولا ناديت للعسكرى يحبسك » أو « إياك تخرج وإلا خطفك الرجل العجوز فى مخلاته » وأمثال هذا كثير يجرى كل يوم . وهكذا ننشىء الطفل على كره الطبيب واحتقار رجل

البوليس وليس هناك من يجحد فضلهما . فضلا عن أن نتيجتها لا تخلو من أحد أمرين ، أما أن يستولى على الطفل الخوف وهذا له أثر أسوأ مما نتصور ، وأما أن يتبين له عدم صحة هذه التهديدات فلا يعود يعبأ بشيء منها ، وكلاهما أمر لا يؤدى إلى نتيجة سارة .

ويجب أن يأنس الطفل فى أبيه أو أمه رفيقا حدبا عليه متمتعا بثقته ، فهو إنما يتقدم لأبيه بمتاعبه وشكوكه يطلب لها حلا إذا استشعر منه روح الصداقة لا السيطرة . والأم التى تتشاغل عن الاصغاء لطفلها وإن لم يكن لكلامه معنى فلن ننتظر منه أن يركن إليها يوما فى مشكلة من مشاكله، فيجب أن نساير الطفل فى حديثه دون أن نصده .

وكثيراً ما نرى الطفل فى سن معينة يكثر من الأسئلة عن هـذا أو ذاك وهو فى هـذا إنما يشبع رغبة عنده فى تعرف الأشياء ، ويشعر بالروح التى نشعر بها نحن من شعور الارتياح لمعرفة كل جديد . فالتبرم بأسئلة الطفل جهل بطبيعته وقضاء على ناحية هامة من نواحى تكوينه ونموه

والطفل سريع الملاحظة لكل ما يقع حوله ، وكثير من الآباء لا يعلمون إلى أى حد يفهم الاطفال ما يرون وما يسمعون فلا يتحرجون عن قول أو فعل أمامه ظناً منهم أنه لا يفهم ما يرى أو يسمع . وجدير بنا أيضا ألا نسخر منهم أو نتحدث أمامهم عنهم ، فالسخرية ضارة بالطفل جارحة لشعوره ، والتحدث عنه يدفع به الى الزهو والعمل على لفت النظر اليه .

وللأطفال شئونهم وأفكارهم الخاصة بهم وقليلا ما يلحظها الكبار عنهم ، فاذا ما رأينا التدخل فى هذه الشئون ، فيجب أن يصحبه شيء من التفسير وأن نشعر الطفل بالاحترام فى معاملته ، فهـذا أجدى لترقيق شعوره وحمله على الطاعة عن هوى ورغبة لا اضطرار ورهبة . من ذلك أن طفلة كانت منهمكة فى سرور ولذة بجانب والدها ، فنادتها أمهـا من غرفة مجاورة لتذهب الى فراشها ، ولو أنها رأت انهماكها مع لعبتها لتمهلت فى طلبها ، فالتفتت البنت الى أبيهـا وعيناها مغرورقتان بالدموع تطلب منه أن تبقى حتى تنتهى من لعبها فأجابها الوالد وقد أدرك وجهة نظرها ، بأن التأخير ضار بها ، وأن والدتها لو كانت تعلم قرب انتهائها لما نادتها ، ومع ذلك فعليها أن تلبى نداءها وأن تسرع الى فراشها . من هذا تعلم أنه عطف عليها فى موقفها وأنه عضد الأم فى رغبتها وأنه توقع منها أن تقابل كلامه بالامتثال ، كل هذا بطريقة فيها كل معانى العطف والاقناع .

ومن الأمور الهامة فى تربية الطفل ألا يختلف الوالدان أمامه فى شىء من شئونه بل يجب أن يفهم أن ما يصدر له من أحدهما انما يوافق عليه الآخر ، واذا كان لأحدهما رأى يخالف شريكه فعليهما ألا يناقشاه أمامه حتى لا يظهر انه على خلافهما .

وكثيراً ما تكون أطماع الآباء هى الصخرة التى تتحطم عليها نفوس أبنائهم وذلك عندما يرسمون لأبنائهم مستوى عالياً فوق مقدورهم الوصول اليه ولا سبيل معه لتجنب الخيبة ، وهم بهذا يغرسون فيهم الشعور بالنقص يلازمهم طول حياتهم ، فالانسان انما يعتمد على آراء غيره فى شعوره بقيمة نفسه ، والنجاح ضرورى ليحفز بصاحبه لتجديد جهوده واستمراره فى تأدية عمله ، فالطفل الذى ليس فى مقدوره الوصول الى المستوى الذى يجاهده عليه والده لا يلبث أن يلازمه اليأس والخيبة . فجدير بالآباء ألا ينسوا أن هناك فروقا فردية كبيرة بين الأطفال هى التى تحدد المجهود العقلى الذى يطيقونه كما أن هناك اختلافا واسعا فى التوافق الحركى يعين عند القياس قدرتهم ومهارتهم فى النواحى الرياضية فليكبحوا جماح مطامعهم وآمالهم حتى يتبين لهم استعداد أبنائهم العقلى ويستوثقوا أنها توافق ميولهم الشخصية .

وهناك آباء يبعدون أنفسهم عن الاتصال الوثيق بابنائهم ، فلا يشعرونهم بوجودهم إلا عند عقاب يوقعونه ، أمثال هؤلاء نادرا ما يشعرون بما يبذله الطفل من المجهودات الصادقة فى أعماله اليومية حتى يلقى منهم كلمة تشجيع على ما يفعل وهم بعيدون عن ميدان حسناته حتى تشفع له إحداها إذا ما تاخر يوما فى عودته من المدرسة مثلا أو حصل على درجة غير مرضية ، عندئذ تبدو سلطة الوالد تعاقب كأنها ما خلقت إلا للاذى والانتقام ، فتولد فى الطفل شعور التبرم والكراهية لاية سلطة اينما وجدت . وهذا سر إخفاق الكثيرين فى حياتهم العملية مما يستدعى الخضوع لرياسة ، فهم ثائرون متذمرون ، وكثيرا ما يعتقدون أنهم مضطهدون أو على الاقل لم يعطوا المنزلة التى يستحقونها فمصدر هذا التبرم هو تلك العلاقة الابوية الاولى . فيجب أن يلقى الاطفال فى المنزل من التشجيع والامتداح على مجهودهم ما يتوقعه كل واحد منا وما يجاهد من اجله فى أية صورة من صور الجزاء جاها كان أو سطوة أو إثراء .

ولنوسع نطاق البحث إلى المنزل ، فكم من والد يعود الى المنزل كئيبا مهموما ، يذكر ما

صادفه فى يومه من العناء ، وما لقيه من عنت الرؤساء وما جد من خلافه مع الزملاء ، والام بدورها قص عليه مشاكل الجيران او متاعب الخدم أو ميلة الزمان وهكذا كأن المنزل وكر الشكاية وكن التعاسة ؛ فلا عجب لطفل يعيش فى هذا الجو المتبرم الصاخب أن يشب دون ان تنطبع فى مخيلته مباهج الطفولة السعيدة فاذا ما كبر بحث عن ضالته المنشوده بين الطرقات ودور اللهو والفساد .

من كل ماتقدم ندرك أن علاقة الوالد أو الام بالابن مسألة دقيقة يجب أن تنبنى على فهم واضح لاحتياجاته ، وفهم دقيق لما يترتب على تصرفهما من رد الفعل فى مختلف أدوار حياته ، فالقسوة فى تأديبه تدفعه إلى التمرد على كل سلطة ، والتهاون والتفريط يؤديان به الى الميوعة والعجز عن تكييفه لظروفه .

فالأبوة عبء ثقيل وليس هناك أكثر أهمية وأشد دقة من أن يكون الانسان والدا .

الاستفتاء

الاستفتاء هو مطالبة جميع أفراد الشعب الراشدين باعطاء اصواتهم عن مهمة ما . والذى اخترع هذه الطريقة هو نابليون . وان كان انتخاب رئيس الجمهورية فى الولايات المتحدة الامريكية كان على الدوام ولايزال يجرى كل أربعة أعوام بالاستفتاء

والغرض من الاستفتاء هو الوثوق برأى الامة مباشرة اعتقادا بان البرلمان بعدد أعضائه المحدود ربما لا يعبر عن هذا الرأى . وقد استعمل نابليون طريقة الاستفتاء فى فرنسا حين أراد أن يحصل على تخويل من الشعب الفرنسى لكى يصير « القنصل الاول » مدى حياته . وكانت نتيجة استفتائه

مجموع الأصوات ٣٫٥٧٧٫٢٥٦

الاصوات المؤيدة له ٣٫٥٦٨٫٨٨٥

واعظم الامم التى تأخذ بطريقة الاستفتاء فى أيامنا هى سويسرا

نهضة ايران الحديثة

للاستاذ محمود ثابت

يخيل الى أن مستقبل طهران بل وايران كلها سيكون عظيما بفضل مجهود الشاه الحالى ، فهو يريد أن يرى بلاده تناظر فى القريب بلاد الغرب، رونقا ورواء ، لذلك أخذ يهدم القديم وينشىء الحديث بسرعة عجيبة فى كل البلاد ، ولقد أعاد لبلاده هيبة فى قلوب الأجانب انتزعها منهم انتزاعا ، وقد كان مركز البلاد مهددا باعتداء الروس من الشمال ، والانجليز من الجنوب ، وزاد ذاك الخطر منذ سنة ١٩٠٦ حتى كانت الحرب الكبرى فتقدموا داخل البلاد بحجة مطاردة الاتراك ، ولما أن انسلخت روسيا عن الحلفاء خشيتها انجلترا واحتلت بلدة قزوين وما جاورها ، خصوصا وقد نشطت حركات البلشفيك عند بحر الخزر وفى أذبيجان . وأخذت شروط ولسون تلعب بلب الناس فى فارس تحت زعامه رضا خان ، فعرض الروس تنازلهم عن معاهدة ١٩٠٧ ، واستعدادهم للتنازل عن جميع الامتيازات التى كانت لروسيا فى فارس . وفى يونيه سنة ١٩١٩ قدم ممثل السوفيت فى فارس تصريح التالى :

١ - التنازل عن الديون الروسية فى فارس

٢ - التنازل عن التدخل فى شئون فارس

٣ - إلغاء الامتيازات والمنح الروسية هناك

٤ - التنازل عن البنك الروسى فى فارس

٥ - ترك الطرق والسكك الحديدية الروسية للحكومة الفارسية

٦ - التنازل عن كل أملاكهم هناك ، وكان غرض روسيا من ذلك إحراج انجلترا ، ولقد

اعترفت روسيا باستعدادها لمساعدة فارس عسكريا ضد أى اعتداء وجعل بحر الخزر بحرا حرا لها ، وبذلك أضحت العلاقة بين الدولتين وثيقة جدا لكن العلاقة ضعفت قليلا لما حاولت روسيا بلشفة فارس وكانت على وشك الزحف لولا أنها خشيت انجلترا من الجنوب ، وكان الفرس مهرة فى انتهاز الفرص ، وأتاحت لهم الظروف قائدا عظيما هو رضا خان من عائلة متوسطة حارب مع الروس وأحبه جنوده فزحف بهم على طهران سنة ١٩٢١ وأصبح القائد العام ووزير الحربية ، وفى أكتوبر سنة ١٩٢٣ أضحى رئيس الوزراء ، ثم اعتلى على العرش فشابه مصطفى كمال فى أنه رجل سياسة ورجل سيف معاً وهو محب للنظم الاوربية لكن يظهر أنه كان أحكم من مصطفى كمال لأنه أدخل إصلاحاته دون أن يغضب رجال الدين ، ووجه أول اهتمامه لاصلاح الجيش فأعد جيشا محترما من أربعين ألف مقاتل وبينا السلطان احمد شاه يتروض فى اوربا كعادته قام رضاخان وكاد ينتخب رئيس المجلس لكنه قال بأن النظام الجمهورى يتنافى مع أصول الدين الاسلامى فتوج ملكا سنة ١٩٢٥ . وأجلس على عرش المغوليين فى قصر جولستان ، وكان قد اغتصبه نادر شاه من الهند قديما ، ثم عدل الدستور ، وتم ذلك دون إراقة قطرة دم واحدة ، وأخذ توا فى اعادة النظام وأصلح الضرائب والمالية بمعاونة بعض الأجانب من أصدقائه ، وفى ١٩٢٨ فتح البنك الملى (الأهلى) ووطدت علاقاته السلمية مع جيرانه ، وفى ١٩٣٢ أصبحت بلاده عضوا فى عصبة الامم ، وطالبت بما يأتى :

١ — إلغاء اتفاق الروس والانجليز سنة ١٩٠٧ والغاء المحاكم القنصلية والحرس القنصلى .

٢ — تعويض عن المناطق التى خربت خلال الحرب والغاء المنح المالية لتستقل البلاد ماليا .

٣ — تثبيت الحدود الفارسية ، لكن الانجليز اشترطوا أن تتعاون فارس مع انجلترا وان تقبل مستشارين منهم ومدربين للجيش الفارسى فكان رد الشاه على ذلك الرفض فى إباء والتهديد بالحرب فكأنهم اعتمدوا على نفوسهم وأزاحوا الكابوس الاجنبى ، وألغوا الامتيازات التى كانت تفت فى عضدهم ، وأضحى بغضهم للأجانب شديدا ، وبخاصة الانجليز ، والشاه والشعب الفارسى يتصرفون فى كل ما له علاقة بالاجانب فى شدة وصرامة لاتقبل هوادة . بلغنى أنه حدث مرة أن أحد الالمان زار طهران ، ولما عاد لبلاده كتب نقدا لفارس عموما ، ولاستبداد الشاه خصوصا ، وكانت الكتابة ماسة بكرامة البلاد ، فعرض سفير الفرس فى برلين الامر على القضاء فحكم ببراءة الكاتب ، وبمجرد

وصول الخبر لمسامع الشاه أصدر أمرا بالاستغناء عن جميع الموظفين الالمان في بلاد فارس كلها — وقد كان جل الخبراء الاجانب الذين تستعين فارس بخدمتهم من الالمان والفرنسيين فكانت تلك مباغتة قاسية ؛ عاد الالمان يصلحون مركزهم بعدها من جديد ، وقد لاقاني عالم الماني في مشهد (الدكتور باسوفبس) وهو ممن يقومون هناك باصلاح ذات البين ، وارجاع المركز الالماني لما كان عليه لدى الشاه . تصرف حازم يدل على مبلغ احترام القوم لانفسهم والمحافظة على قوميتهم .

دهشت كيف تكون بلاد كهذه نحن نفوقها في التقدم بخطى واسعة قد تحررت من الامتيازات الاجنبية ، وكنا نحن نرسف في أغلالها ؟ أليس الامر مجرد جرأة في الاقدام على الغائها في غير تردد فنحفظ بذلك كرامتنا وندل على أنا شعب جدير بالاحترام ؟

بعد أن اطمأن لالغاء الامتيازات وعدم تدخل الاجنبي ، بدأ باصلاحاته الداخلية : فمن الوجهة المالية اتخذ الذهب معيارا للنقود ، بعد أن كانت الفضة من قبل ، وجعل التجارة الخارجية احتكارا حكوميا ليقاوم زيادة الواردات ومنع دخول الفضة بتاتا ، وعدل الضرائب ، فبلغ الدخل خمسة ملايين جنيه . يضاف اليه ضريبة السكر والشاي ، وهي حول مليون جنيه ، وضريبة الطرق حول ستمائة ألف جنيه ، وضريبة البترول ، وهي ١١٥١٩٧٩ جنيه ، وقد نفذت ضريبة الدخل — وكنا لا نستطيعها خوفا من الاجانب — منذ ابريل سنة ١٩٣٠ وتشمل ٣ في المائة من أرباح الشركات ، وبين ١ و٣ في المائة ممن زاد دخلهم على ٥٠٠ تومان (والتومان اثنا عشر قرشا) والجمارك اهم موارد الدخل العام وهو ينفق على الجيش ٤٤ في المائة من مجموع الدخل .

ولقد بدأ اصلاح الجيش بمعاونة مدربين من السويد ، وفي سنة ١٩٢٦ جعل التجنيد اجباريا ، فخريجو الجامعة لابد أن يخدموا في الجيش سنة واحدة ، وطلبة المدارس الثانوية سنة ونصفا . ومن يعولون أسرة يخدمون أربعة شهور ونصفا ، ويشرف على وزارة الحربية الشاه نفسه ، ومجموع الجيش النظامي كامل العدد اليوم ثمانون ألفا ويحاولون إبلاغه مائة ألف ، وفي طهران مدرستان حربيتان يدخلهما الحاصلون على الشهادة الثانوية فضلا عن البعوث الحربية الكثيرة الى المانيا وفرنسا وقد بدأ نواة الاسطول البحري والجوي . والحربية غير مسئولة أمام البرلمان بل امام الشاه وحده .

أما في التعليم فقد عمم المدارس القروية ومدتها اربع سنين ، ومدارس المدن مدتها ست أخرى

و بعدها المدارس العليا وهو يحاول جعل التعليم اجباريا ، وأهم ما يرمى اليه التعليم هناك الاعتزاز بالوحدة القومية ، وتمجيد ماضى البلاد وتثقيف العقل والجسم والتربية الدينية .

ويعنى الشاه اليوم بالطرق العناية كلها . حتما اشتهر الفرس بذلك من زمان بعيد حتى قيل انهم أول الامم فتحا لها ، فقد عبدوها منذ سنة ١٧٠٠ ق . م . وكنا نشاهد بعض أطلال من القناطر والجسور القديمة لاتزال باقية . ولقد كانت شهرتهم تفوق فى الطرق شهرة الروم . ولقد كان النقل الى الحرب الكبرى بالدواب ، ولكن تدخل الانجليز والروس ساعد على العناية بالطرق وربطت أطراف البلاد بالسيارات ، كذلك شجعت الظروف الحربية اقامة المطارات ، وقد تسلمها الفرس اليوم ، وبفضل العناية بالطرق زاد نفوذ الحكومة المركزية ورخصت أجور نقل السلع التجارية ، وخفت ويلات المجاعات وقد أمن الشاه تلك الطرق باقامة المخافر على امتدادها فى فترات قصيرة وحتى وسط الجبال المقفرة التى لايقطنها أحد الى ذلك الاكثار من « المسافرخانات » أو (كرافان سراى) فى كل مكان ، ومن أول مايشغل اهتمام الشاه السكة الحديدية التى فكر فى نشرها جديا ، وقد بدأ العمل فى وصل البحرين : الخزر والخليج الفارسى بخط حديدى لكى تستقل البلاد عن جاراتها فى أمور النقل والتجارة ، وهو ماض فى مدها رغم كثرة الصعوبات التى تواجههم كرداءة الثغور فى البحرين و كثرة الجبال فبين طهران وبحر الخزر مالا يقل عن ٢٥ ميلا من الانفاق ، لذلك تكلفهم السكة غاليا ، ويرى البعض أنه يفضل مد الخط بين طهران وبغداد ، ولم يقبل الشاه أن يعرض الأمر على شركات أجنبية بل يعتمد فى النفقات على ضرائب السكر والشاى التى تزيد وحدها على مليون جنيه كل عام ، ويخال بعض الاقتصاديين أن فى ذلك خطرا على ثروة البلاد وتعطيلا لأموالها التى هى فى حاجة اليها فى أمور أخرى ، على أن ما قاسوه من عبء التدخل الاجنبى الممقوت جعله ينأى ما استطاع عنهم وعن رؤوس أموالهم . وقد جاءت الانباء منذ شهرين بأن الخط قد تم وافتتحه جلالة الشاه

على أن البلاد ينقصها الشىء الكثير ، من ذلك الشئون الصحية والعناية بها ، فمياه الشرب مثلا من المشكلات هناك حتى فى طهران نفسها فهم اعتادوا من زمان بعيد أن يتعقبوا منابع العيون ويخضعوها لحفائر تسير منها سراديب الى أحواض تختزن فيها وكلما طغت سال الماء الزائد الى المجارى التى تسقى البلدان وتراها تجرى على جوانب الطرق مكشوفة لكل عابث ، فترى هذا يغتسل وبعده آخر يستقى ،

ثم ثالث يبصق ورابع يلقى بالماء القذر فيها ، وقد شاهدت فى طهران قوما يغسلون وجوههم من ماء يجرى بعد أن غسل به الطريق ولما وقفت مدهوشا قالوا أليس ماءا جاريا؟ لذلك يشترى غالب الاجانب ماءهم من السفارة الانجليزية التى أقامت لها مضخة ومرشحا خاصا ، فليس بمستغرب اذن أنك ترى الأمراض منتشرة و بخاصة الجدرى الذى يشوه وجوه الكثير وتشويه العيون . والقرع منتشر حتى بين الطبقة المثقفة ، فيندر أن ترى رجلا من الطبقات الفقيرة سليم الرأس ، ويزيد ذلك سوءا عدم صرف القاذورات ، فكثير من بيوتهم تخلو من «الادبخانات» وغالبهم يقضى حاجته فى الخلوات ويغتسلون على مجارى المياه التى يستمد منها غيرهم ، والاطباء هنـــاك قليلون لذلك كان متوسط المناعة الصحية فيمن تتراوح سنهم بين ٢٥ و ٥٠ سنة أقل من نظرائهم فى البلدان الراقية بعشرة أضعاف

قوة مصر في عصور الفراعنة

للاستاذ عبد الرحمن زكى امين المتحف الحربى

قال زعيم دولة كبيرة : لكى يفخر الانسان ويعتز بانتسابه إلى وطن عظيم مجيد يجب عليه قبل كل شيء أن يعرف هذا الوطن. فالوطن يحارب فى سبيل مايحبه ، وهو لايحب الا من يحترمه ، ولايحترم الا مايعرفه .

لذلك وجب علينا أن نعرف قبل كل شيء وطننا وذلك لكى نحبه .. فاذا أحببناه فديناه بأرواحنا ورويناه بدمائنا .

انه من أعز الواجبات الوطنية دراسة بلادنا ، جغرافيا وتاريخيا لنقف على جمالها وفتنتها وسحرها ولندرك قوتها ومجدها وعظمتها ، ولنعرف مكانة مصر الفرعونية ومصر فى الاسلامية ومصر القرنين التاسع عشر والعشرين ؛ فالواجب أن نلم بكل هذه الحقائق وأن نذكر دائما جيوش مصر الفرعونية وماتم على أيدى الفراعنة ، ونحى دائما ذكرى سلاطيننا ولنمجد دائما ذكرياتنا .

لنذكر أيام هليوبوليس وممفيس وطيبة ، ولنعرف ماكانت عليه الاسكندرية والفرما والفسطاط ولنقدر تلك الأيام السالفة ، أيام كانت القاهرة عاصمة دولة اسلامية مجيدة .

لنذكر أيضا عهد الدولة الفاطمية الذى وصلت فيه مصر الى أن أصبح البحر الابيض بحيرة مصرية ولنذكر عهد الأيوبيين وبيبرس وقايتباى لما كانت مصر زعيمة الشرق والغرب .

قد لا أكون مغاليا اذا قلت أننا لم ندرس أحوال بلادنا كما يجب ، ولم نكون صورة صحيحة عن مصر ومجدها وحضارتها وتقدمها ، وكأننا لم نعرف أنه كانت لنا عظمة يجب السهر على

استرجاعها ، وواجبنا أن نؤمن برقى ماضينا لكى نثق بأنفسنا ، فاذا لم نؤمن بقوة الماضى وقدرته فلن نثق بأنفسنا .

لندرس تاريخ بلادنا دراسة مشبعة بالوطنية والحماسة لكى نحيط بمجد الوطن الذى نموت لأجله ولنعرف مقام مصر عصرا بعد عصر .

لقد كانت مصر فى زمن الفاطميين والأيوبيين أقوى دول الشرق والغرب ، وكنا فى عهد السلاطين قابضين على زمام اقتصاديات للبحر المتوسط . وكنا فى عهد محمد على الكبير يرفرف علمنا على كريت والاناضول والسودان والشام والبلاد المقدسة واليونان أيضا . والى عهد اسمعيل كانت لنا دولة تمتد الى منابع النيل والصومال .

وبالاختصار أيها القراء يجب أن يعرف جنودنا العصور الزاهية المشرفة التى مرت ببلادنا العزيزة ، فمصر أجدر الأمم فخرا بتاريخها .

نعلم جميعا أن مصر عظيمة بماضيها المجيد فقد كانت نبراسا للحضارات ومعهدا للعلوم ومنهلا للفنون . كانت دولة فاتحة وظلت أجيالا طويلة تحمى الشرق من عدوان الغرب كما بهرت جميع الأمم المطلة بلدانها على سواحل البحر الأبيض المتوسط بعظمتها ومجدها بعد أن أخضعت بلدانا قوية لسيادتها .

كانت مصر أسبق أمم العالم الى ميادين العلم فى وقت كانت رومة واسبرطه وأثينا ترسف فى الخمول والجهل . مصر هى التى رسمت طريق الحضارة للجيش البشرى واختطت له وسائل الحياة .

كانت مصر أول بلاد العالم التى جرت فى طرقاتها وصحاريها ووديانها العربات الحربية تحمل الابطال الظافرين : أحمس وتحوتمس ورمسيس وابسماتيك وصلاح الدين وابراهيم . ومن وادى النيل السعيد تدفقت جحافل الجيوش المصرية لتفتح العالم ولترفع علم مصر عاليا .

وطبيعة مصر منذ أقدم الاجيال لاتسمح لها الا أن تكون أمة متحدة . فهى من بين بلدان العالم القليلة التى يغذيها نهر عظيم بلا منافس . وقد أملت طبيعتها عليها أن يحكمها رجل واحد فرأينا منذ فجر التاريخ أميرا مصريا أصبح فيما بعد الملك مينا الذى أسس ملكا عظيما شيده على أنقاض الحكومات المحلية فكان الرجل الاول الذى حكم مصر ولم يكفه تأسيس هذا الملك العظيم : بل جعل حب الوطن

أيمانا راسخا فى قلوب مواطنيه . وجعلهم يشعرون أنهم أبناء وطن عظيم مقدس .

* * *

لا نبالغ اذا قلنا اننا لا نصيب الحقيقة اذا حاولنا أن نعرف كيف اتحدت مقاطعات الدلتا وألفت منها دولة الشمال . وكيف اتحدت أقاليم الصعيد وكونت دولة الجنوب .

لكن الذى لا شك فيه أن هذا الاتحاد لم يتم بدون حرب . ومن المحتمل أن تكون أول معركة حاسمة معروفة فى التاريخ المصرى هى المعركة التى نشبت بقيادة « مينا » أول فراعنة الأسرة الاولى المصرية حين غزا البلاد الشمالية وأخضعها لسلطانه . وقام بعد ذلك بتثبيت عاصمة ملكه الجديد فى ذلك الموقع الحربى الهام « ممفيس » عند رأس الدلتا بالقرب من ضاحية القاهرة القبلية « حلوان » الحديثة .

وقد اختلفت الآراء حول المعركة الاولى . وعن نوع الحروب التى تبعتها . وهل كانت حروبا تشبه المعارك التى تقوم بين القبائل وبعضها البعض أم كانت حروبا حقيقية كالتى عرفتها مصر فى أثناء القرون الطويلة وحافظت خلالها على حضارتها العظيمة ؟ اننا نستنتج مما كشف من الآثار أن تلك المعارك القديمة كانت منظمة بلغ عدد ضحاياها ٦٢٥ قتيلا و ١٤٢ أسيرا . وأنه كانت تسودها روح حربية قوية .

ترك لنا الفراعنة الاولون براهين كثيرة تشهد بروح الاقتتال التى سادت حروبهم ، فاننا نشاهد تذكارا لانتصارات الملك نارمر « مينا » مدونة على لوحة كبيرة من اشبست على أحد وجهيها يرى رافعا دبوسه ليضرب به أسيرا ربما كان من سكان الدلتا . والمنظر الرئيسى على الوجه الثانى يمثل الملك سائرا مع أتباعه ليشرف على الاسرى المذبوحين وقد سار حاملو أعلام المعبودات المختلفة أمام الملك . ويرى تحت هذا المنظر حيوانان خرافيان خاصان بالعصر العتيق . وقد مثل الملك فى الاسفل على هيئة ثور يهدم قلعة استولى عليها .

ولم يكن اخضاع أمارات الشمال أمرا سهلا . فاننا نعلم أن الثورات الداخلية كانت تنشب بين حين وآخر . وكانت أعمال العنف مستمرة الى أيام الاسرة الثالثة المصرية . ونستنتج من قصص الاسرى المنقوشة على كثير من الآثار القديمة عدة أمور متعلقة بحروب الدولة القديمة .

* * *

ان اتفاق بعض المؤرخين على أن مصر تمتعت بنعيم السلام أحقابا طويلة حتى غزا الهكسوس

الدلتا أمر يتطلب التمحيص . على أن مما لا شك فيه انه ليس فى الديانة المصرية إشارة أو نصوص تحرم الحرب وتلعنها ، ولم تخرج مصر للعالم منذ القديم نبيا أو مصلحا كازوكا أو لاوتسى Lao tse هاجم فى تعاليمه أو وصاياه الحرب . لقد كانت فراعنة مصر أبطالا محاربين يتباهون بجنودهم فيما دونوه على نقوش الجرانيت ، وكانوا يحبون الموت فى سبيل الدفاع عن أوطانهم أو عند ما يقاتلون دولة عظيمة من دول العالم القديم ، وكانت الآلهة المصرية تحبب الى الفراعنة حب القتال ومخاصمة الاعداء كما أنها ألهمتهم الانتصار ، وان المعابد والهياكل القديمة التى شيدها الملوك المصريون بعد عودتهم ظافرين من ساحات القتال لخير شاهد على تمجيدهم للحرب . فقد كانت عقيدة سامية حازت رضاء الآلهة .

لئن كان هناك نعيم دنيوى : فلا شك أن مصر كانت جنة هذا النعيم ، فجوها المحبوب وسماؤها صافية ، وجمال طبيعتها الدائم ، وشمس شتائها الساطعة ، تضاف الى تلك الخيرات هبة نيلها السنوية ، كل هذه الفضائل جعلت مصر وحيدة فى ميزاتها ، مطمئنة فى حياتها بصحرائها وصارت بعيدة عن جشع أعدائها

كانت الصحراء كما هى اليوم على ضفتى وادى النيل حارسة لمصر تحميها من أعدائها كما تحمى جزيرة البريطانيين البحار فى عصر كان بحر الروم لا يحمل على صدره مشكلات المدرعات وحاملات الطائرات كما غدا اليوم . فلماذا أراد المصريون الحرب وهم يتمتعون بهذا النعيم . وما الذى دفع جيوش مصر لفتح بلاد الدول القديمة المجاورة ؟

لقد كان لزاما على أهل مصر أن يحافظوا بحياتهم وبكل عزيز يملكونه على هذا الشريط الفضى الذى ما زلنا الى اليوم نحميه ونقيه بكل عزيز . يحمونه من غارات أهل البادية والقبائل الهمجية من أهل النوبة ، ومن هنا نشأ أول تدريب للمصريين على القتال بعد ما الفوا وحدتهم .

فلما نمت حاجة مدنية المصريين فكروا فى زيادة ثروتهم ، فتطلعوا الى شبه جزيرة سيناء ، واستولوا بقواتهم على مناجمها الذهبية واخضعوا اهل الصحراء الشرقية واستثمروا خيراتها ، ولما لم يقنعوا بما وضعوا ايديهم عليه انشأوا السفن الكبيرة والفوا أقدم أسطول عرف فى التاريخ ليتاجروا مع بلاد بنت (الصومال) ولجلب خيرات تلك البلاد البعيدة الى مصر .

ثم اصطدم المصريون بقوات الهكسوس التى احتلت البلاد ، لكن لم يمض قرنان حتى تغير الموقف ، وتعلم الشعب المصرى دروسا فى مدرسة الحياة حتى اشتد القتال بقيادة أمير طيبة « سقنن رع » الاول فالثانى ، حتى اذا جاء عهد الملك سقنن رع الثالث كانت الحرب قد أصبحت شديدة.

قامت الحرب سجالا بين الفريقين ، وقاد سقنن رع الثالث الجيش المصرى والتقى مع العدو وتطاحنا بالقرب من الاشمونين ، واذا بسقنن رع الثالث يقع شهيد وطنيته قتيلا فى ميدان الحرب فخلفه ابنه البطل « كاموزى » فقاد الجيش ونجح فى طرد الهكسوس الى مدينة منف ، لكنه مات فتولى القيادة ملك جديد هو أحمس الاول أصغر أبناء سقنن رع الثالث واشجعهم وأقدمهم فضرب الهكسوس الضربة القاضية وانقذ مصر من الاعداء واعاد سيادتها .

عرف أحمس كيف يستخدم تلك الروح الوطنية التى كان قد بثها فى صدور جنوده الملتهبة عقب تخليص وطنهم من المغيرين ، فأنشأ أول جيش للبلاد تمتاز جنوده بخدماتهم الطويلة . وذلك لكى يحقق مطامعه فى الفتوحات السورية . وكان الجيش ينقسم الى قسمين :

القسم الاول من الجيش للخدمة فى الميدان السورى ، والقسم الثانى من الجيش للخدمة فى مصر وامداد القسم الاول عند الحاجة كاحتياطى له .

وبمرور السنين توطدت أركان الدولة المصرية ونظمت طبقات الشعب . وعم الامن البلاد وامتلأ الوادى الجميل بالآثار الفخمة والمعابد العظيمة والتماثيل السامية . ونظمت وسائل الرى وتقدمت الزراعة ومهدت الطرق وقويت الجسور . وشيد خزان لمياه النيل المتدفقة فى بحيرة « موريس » وكانت فى الامبراطورية المصرية ثلاث سلطات : الملك ، ورجال الجيش . ورجال الدين . فكان الملك يستمد سلطانه من الآلهة مباشرة وكان الى جانبه مجلس مؤلف من رجال الدين يستشيرهم فى المشكلات .

وكان رجال الجيش ينتخبون الملك . فاذا تولى شئون البلاد أحاط به رجال الدين وأمراء البلاد .

* * *

فى ذلك الحين كانت الخدمة العسكرية محببة الى الجندى لايجد فيها ما يرهقه . بل يرى فيها ما يحقق آماله فى خدمة بلاده . كان يقضى حياة رغدة يتمتع فى أثناء السلم فى ضيعته ذات الثمانية الأفدنة

فكان يشعر أنه صاحب حق مكتسب فى اسعاد وطنه والمحافظة على سلامته . وبامتيازاته التى سما بها على أقرانه من غير طبقة الجند فضلا عن حصانته فكان يقدم على الموت فى سبيل الشرف ، ونيل أوسمة البطوله جزاء له على أعماله التى يمتاز بها فى الميدان. وقد قال هيرودوت : لم يكن مسموحا للجند بمزاولة مهنة أخرى سوى الحرب وكان الابن يخلف أباه فيها ، فتكونت بذلك طبقة الجند التى أخذت تنفصل شيئا فشيئا عن الأمة ، وكان للرجل المندمج فى الطبقة الحربية الحق فى امتلاك أرض يعينه دخلها على تجهيز نفسه ، وعليه إعداد أسلحته وعتاده . وكان للملك حرس خاص يؤلف من ألفى رجل يغيرون كل سنة وينقدون أجرة الخدمة من الخزانة .

ومن الامتيازات التى كان الحربيون متمتعين بها أنهم كانوا لايسجنون من جراء الديون لأنهم ملك الملك ولايمكن أن يحال بينهم وبين تلبية ندائه .

وقد قال المؤرخ الصقلى «ديودور» ان التربية الحربية فى مصر كانت تبتدىء منذ الصغر فكانوا يعبون بجمع الصغار ، وكانوا يعودونهم على تمرينات دائمة وعلى اتعاب أجسامهم ، ولا يجوز لواحد منهم أن يتناول الغداء إلا بعد أن يقطع ثمانية عشر كيلو مترا تقريبا فى السباق ، وقيل أن أطعمة الافطار كانت ترفع لهم على أهداف عالية ، فاذا ما استطاعوا تحويلها بالسهم عن مكانها أخذوها وإلا فلا . وجميع هذه التمرينات يدأب عليها الجندى فى زمن السلم ثم يدرب بالتوالى على مختلف الحركات وعلى ما نسميه فى أيامنا بالمناورات من هجوم ودفاع وحصار .

وكانت النتيجة أن أصبح الجيش الفرعونى قويا جيد التعليم ، كامل النظام والدراية ، تجرى تدريباته بمنتهى الدقة ، مزودا بأسلحة دفاعية وهجومية من خير أسلحة ذلك الزمن . وسنرى الى أى حد اكتسب الجيش لمصر امبراطورية عظيمة .

* * *

ان الاخلاق والصفات الحربية هى سياج الوطن فى كل زمان ومكان ، وليس العالم سوى ميدان تتصارع فيه الامم . لا تخشى كل منها الا القوة ولا تفوز الا بالقوة ولا تموت الا لحرمانها من القوة.

وقد وهب الله المصرى منذ القدم الصفات الحربية ، وهو لكى يدافع عن حقوق بلاده ويحافظ عليها اتبع طريق القوة ولذا استطاع أن يحمى بلاده آلاف السنين لأنه كان قويا .

وكانت المدن المصرية فى أيام الفراعنة تموج بالشبيبة الحية المملوءة قوة ونشاطا ، واننا نلمح من خلال نظراتهم الشجاعة وحب الموت فى سبيل وطنهم . فكنت ترى أمة حربية ألفت الحرب لانها آمنت أن فيها حياتها واستقلالها ، وكانت مصر فى تلك العصور دولة حربية بكل معانى الكلمة وأصبحت الجندية السبيل المؤدى للجاه والشرف . حتى العبد كان يأمل بانضمامه الى الجيش أن يصل الى أعلا مناصب الدولة

وفى ميادين القتال كان الجندى المصرى لا يرحم ، فكان ينقض بدون شفقة لكى ينتقم من عدوه وهو فى حالة هياج وغيظ شديدين ، وكثيرا ما رأينا على الآثار المصرية نقوشا تبين الجنود المصريين وقد وطئت أقدامهم رقاب قتلاهم ، وهم يزهون بموقفهم . كما نرى جنودا آخرين يطعنون برماحهم صدور أعدائهم . ونستطيع الى اليوم أن نميز صور الجنود المصريين بوجوههم الناعمة ورءوسهم الحليقة وهم يطاردون قوات العدو ذى اللحية الطويلة والثياب الفضفاضة التى كانت تعرقل حركاتهم .

* * *

كان أعداء مصر أولا من البدو وسكان شبه جزيرة العرب ، وهم قوم رحل كانوا يرعون الماشية ، ولم تكن لهم وحدة سياسية ، بل كانوا قبائل متفرقة يهددون السهل الشرقى لدلتا النيل .

وكثيرا ما انتهزوا الفرص بالأمن والقيام بالسلب والنهب حتى استطاعوا فى فترة خاملة احتلال جزء كبير من الدلتا ، وأسسوا أسرة ملكية حكمت مصر مدة غير قصيرة ، وهم وان كانوا قد استولوا على البلاد ، فان أهلها لم يرضخوا لحكمهم وكانوا حربا عليهم . هؤلاء القوم هم الهكسوس أو الرعاة الذين تغلبوا على البلاد بفضل قواتهم الراكبة فانهم لما جاءوا ممتطين ظهور جيادهم أو جمالهم فزع المصريون الذين لم يشاهدوا من قبل هذا الحيوان الغريب فى الوادى السعيد وظنوه حيوانا خرافيا .

كان هذا الفتح سريعا وكاملا ، فاستولوا على العاصمة منفيس واستعبدت مصر ، واضطر الملك وأسرته ورجال بلاطه الى البحث عن وطن لهم فى الصحراء لمقاومة أعداء البلاد .

لم يغير هؤلاء الرعاة حياة البداوة التى عاشوا عليها ، فلم تتغير طباعهم أو تعدل عاداتهم ، بل

ظلوا على طبيعتهم يميلون الى حياة البادين ولم يشيدوا البيوت أو الهياكل ، وعاشوا بعيدين عن المصريين لا يعرفونهم ، وكانت جل أعمال حكومتهم جمع الضرائب بقسوة وبدون عدل فكرهم المصريون وأضمروا لهم العدوان وكان كل فرد منهم ثائرا عليهم .

كان الزمن وحده هو الذى قضى على حكم الرعاة فانغمسوا فى الرفاهية والترف وانحطت نفوسهم وفقدوا غرائزهم الاصلية الى أن تمكن أمير من أهالى الجنوب من جمع كلمة الامراء لانهم وجدوا فيه منقذا لهم من العبودية والرق فقاموا يدا واحدة على المغتصبين وثاروا ثورة عامة وهكذا طردهم أحمس نهائيا من مصر وقذفهم الى بلادهم الفقيرة التى أتوا منها .

كان من وراء روح التجديد الوطنى الذى بدأته فى الحقيقة « تيتى شيرى » جدة أحمس فى مصر والحروب التى قامت بها مع خلفائها على مناوأة الهكسوس أن تخلص المصريون من هذا العنصر الغريب المحتل وطاردوه الى سينا على أيدى أحمس كما رأينا ، ثم قام خلفاؤه من بعده بملاحقة هذا العدو فى سوريا لان احتلالها هو الضمان لسلامة مصر ، وذلك بالاستيلاء على طريقها الطبيعى الى آسيا وأوربا .

كانت المدة التى أعقبت عصر النهضة المصرية أروع حقبة فى التاريخ المصرى . فقد أثار طرد الرعاة روحا جديدة وحماسة قوية لا يسعهما وادى النيل على ضيق جنباته ، فلم تصبح مصر أمة مستقلة فحسب ، بل صارت أمة فاتحة تريد أن تجد لها مكانا متسعا يليق بنفسيتها الجديدة فاجتاحت جيوشها هضاب آسيا الى شواطىء الفرات ومنها الى بحر قزوين ، واكتسح أسطولها الناشىء جميع الممتلكات فى طريقه الى المحيط الهندى الى مصب نهر السند ، ونستطيع أن نشاهد على الآثار أنباء تلك الفتوح المصرية واضحة جلية .

فما الذى نراه على تلك الآثار ؟ نرى الجحافل المصرية بقواتها حملة الرماح والدروع والقسى تسير نحو أغراضها الحربية فيذوب أمامها الاعداء كما يذوب الثلج أمام النار . ونرى العربات الحربية الثقيلة وقد امتطتها جنود مصر فيشقون صفوف الاعداء ويقضون عليهم بسهامهم المميتة ويحاصرون المدن المنيعة ويسلطون عليها أدوات القتال والقذائف وسلالم الحصار وأبراج الموت المتحركة . فاذا تم لهم النصر عاد الفرعون يحمل جنوده الفائزون أعلام النصر بينما يعدو الملوك الاسرى أمام عربة

الفرعون الحربية أو ممسكين بها . وتتلو هذا الحفل صفوف الاسرى الطويلة يحملون نتاج اوطانهم من نباتات وخضر وفواكه ، تسير معهم فصائل الحيوان المختلفة مما ليس له مثيل فى مصر ومن تنوع فصائلها يستدل على البلاد التى وطئتها أقدام أبناء وادى النيل .

فاذا وصلت مواكب الفرعون منصورة الى مصر شيد الملك معبدا عظيما من الجرانيت أو الحجارة الكبيرة ، وزين مدخله بالمسلات الجرانيتية الخضراء يسبقه طريق صفت على جانبيه تماثيل أبى الهول ثم قام الفنانون بمساعدة رجال التاريخ والعسكريين بتدوين أنبائهم العسكرية وحوادث الحملة الحربية ليخلدوا ذكراهم على مر الزمان .

فكانت انتصارات الفراعنة الحجر الاساسى الذى ازدهرت به الفنون المصرية القديمة

* * *

فاذا وصلنا الى عصر الاسرة الثامنة عشرة وجدنا الروح العسكرى قد قوى فى صدور أبناء الشعب المصرى وبهذا الروح والقوة سار الملك الشاب تحتمس الثالث على رأس جيشه العظيم الى معركة « مجدو » الاولى حيث وضع القواعد الاولى لفن الحرب ، التى سار على ضوئها الفيلد مارشال اللنبى فى طليعة خيالته وأصدقاء لورنس من أبناء شبه الجزيرة العربية فاكتسحوا خطوط المواصلات التركية

ان بطل الاسرة الثامنة عشرة الحربى هو تحتمس الثالث الذى حارب السوريين عشرين سنة متتالية واستنفد جهوده وجهود رجاله فى سبيل تثبيت سلطان مصر فى هذه الاصقاع

اعتلى تحتمس العرش سنة ١٥٠١ ق . م وأخذ يعد للحرب عدتها سنة ١٤٧٩ ق . م . فقام من مصر مارا بغزة حتى وصل الى « يحيم » وعرونة على نحو عشرة أميال فى الشمال من « طولكرم » . وكانت أمام تحتمس ثلاثة طرق للوصول الى « مجدو » حيث كان يعسكر امير قادش ومن معه من امراء سوريا الوسطى وأمراء الكنعانيين فى فلسطين ، وكان هذا الامير قد اقام فى مجدو ليدفع أى خطر والطريق الاولى الى الشرق هى التى تمر بالقرب من طولكرم ونابلس وبجنين التى تؤدى الى الغرب هى التى تمر بوادى الروحه وتفضى الى مكان على نحو سبعة أميال شمال مجدو أما الثالثة فهى طريق ضيق يتسع صعب التسلق ينتهى أمام مجدو

أراد الامراء اتباع إحدى الطريقين الاولين ، لكن تحتمس أصر على اجتياز الثالثة وهكذا

كان فسار فى طليعة جيشه . وبعد مسير نحو ثمانية أميال منها ستة صعودا من عرعره (٧٠٧ قدم) الى عين ابراهيم قرب مسموس (١٢٠٠ قدم) واثنان هبوطا الى عين (كينا) أشرف على مجدو بعد أن استغرقت سفرتهم نصف شهر مايو .

كان حب الاستقلال أكبر العلل فى ضياع استقلال الشعوب السامية فكانوا يلجأون إلى نظام المدن فكل جماعة قوية تؤلف قوة مستقلة وتشيد مدينة فى نقطة معينة تحيطها بسور حصين وكان أهل كل مدينة يقيمون لهم هيكلا للعبادة ، وهذه التفرقة أضعفت وحدتهم حتى وقف تحتمس فى معركة مجدو التاريخية ، وخاطب جنوده قائلا :

« إنكم إن انتصرتم اليوم على أعدائكم قضيتم على ألف مدينة وألف ملك » مشيرا الى الحلف الذى تم قبيل تلك المعركة بين ملوك البلاد وزعمائها تحت زعامة ملك قادش لصد زحف المصريين ولكن أنى لتلك القوات المفككة أن تقف فى وجه الفاتح العظيم وجيشه المنظم المتحد تحت قيادة واحدة .

استعد الجيش المصرى فى ذلك اليوم للكفاح . وفى صبيحة اليوم التالى التقى الجيشان المصرى والسورى فتغلب الاول على الثانى ، ولف فى خط طويل يقرب من الميل الى شمال مجدو ثم تغلب القلب بقيادة تحتمس نفسه ودحر السوريين الى مجدو . واشتغل المصريون بالغنيمة فتمكن أمير قادش ومن معه من التحصين فى مجدو فحاصر الملك المدينة الى أن خضعت له . وقد كان احتلال مجدو كاحتلال ألف مدينة لان كل أمير ثائر كان فيها . وقد غنم المصريون ٢٩٤ مركبة حربية بعضها مذهب و ٢٠٠ درع وغيرها ، وقد دونت هذه الاسلاب على درج جلدى فى هيكل آمون بطيبه ، وعامل المصريون الاسرى بكل لطف كعادتهم ، وأتم تحتمس بعدها سيره الى فينيقيا واحتل «صور»

* * *

فاذا انتقلنا من فتوحات تحتمس الثالث والذين خلفوه من فراعنة الاسرة الثامنة عشرة ، أمثال تحتمس الرابع وامنحتب الثانى والثالث وجدنا الامبراطورية المصرية الاولى فى أزهى عصورها . حتى يحكم البلاد اختاتون « أمنحتب الرابع » فيشتغل بالامور الدينية ويبدأ انحلال السيادة المصرية فى آسيا الى أن تنتهى فى عصر توت عنخ — آمون . وسرعان ما يقوم البطل الجندى «حور محب» فيؤسس الاسرة التاسعة عشرة على أنقاض سابقتها ويصلح ما أفسده أسلافه ، ويعيد تنظيم

الامبراطورية الثانية ، و كانت أهم حملاته فى بلاد النوبة .

وبموته يعتلى العرش رمسيس الأول ثم سيتى الأول الذى استرجع فلسطين وأخضع البدو ثم الفينيقيين . وواصل سيره حتى التحم بالحيثيين وعقد معهم محالفة ، وفى ذلك الحين تستعيد مصر مجدها على أيدى البطل رمسيس الثانى (١٢٨٨ — ١٢٢١ ق . م) بطل معركة قادش الخالدة التى درسها كثير من رجال التاريخ المصرى فى بريطانيا وألمانيا وفرنسا ومصر وما زالت مخلدة على جدران معابدنا المصرية شعرا ونقشاً .

« . »

والحديث عن معركة قادش حديث خلاب طويل ، اذا حاولنا تلخيصه استغرق ساعات منا ، وواجب أن يكون موضوع دراسة علمية تاريخية لضباط هيئة أركان الحرب . ومن حسن الحظ أن معظم أخبار هذه المحركة مازالت محفوظة فى معبد مدينة هابو بالرمسيوم وقد بحثها بعناية المؤرخ الاميركى « برستد » وأخرج منها دراسة كاملة لاتقل فى ناحية من نواحيها عن دراسة احدى معارك القتال فى العصر الحديث .

وقد دارت هذه المعركة بين جيوش فرعون التى كانت تتألف من أربع فرق رئيسية وبين ملوك سوريا وعلى رأسهم ملك الحيثيين ، واستمرت أعواما طويلة . وهذه الحروب وان لم تحقق كل آمال رمسيس الثانى ، فقد خرجت منها مصر مرفوعة الرأس محتفظة بكرامتها بمعاهدة عقدتها مع الحيثيين كانت أول معاهدة صداقة بين مصر وقوة أسيوية .

والى اليوم نجد على الوجه الخارجى لجدار من جدران معبد الكرنك نص معاهدة السلام المذكورة ،

وبانتهاء حكم الاسرة التاسعة عشرة نصل الى رمسيس الثالث من ملوك الاسرة العشرين . الذى هزم الليبيين وسكان البحر ونظم ممالكه الاسيوية وحصن حدودها .

وقد أصابت مصر فترة خمول لحكمها اللوبيون والنوبيون فالاشوريون ، ولكن ما لبث الامر طويلا حتى نهضت على يد مؤسس الاسرة السادسة والعشرين « ابسماتيك » الذى نعده بين أقوى فراعنة مصر ، واليه يعود الفضل فى التخلص من حكم الاشوريين وطردهم من البلاد . ورغم انه

استعان بالجنود المرتزقه من الاغريق وسكان جزر البحر الابيض وألف منهم بعض فرق الجيش المصرى .

استطاع « ابسماتيك » بجيشه الناشىء أن يقضى على نفوذ منافسيه من الامراء . وكانت معركة « موممنيس » آخر المعارك التى دارت بينه وبينهم . فقضى بذلك على نفوذهم نهائيا وبدأ ينفذ سياسة التوسع . فانتهز الفرصة الملائمة لغزو سوريا وجهز جيشاً من المصريين والاغريق . سار فى طليعته وعبر به الصحراء ، وما لبث أن استولى على غزة وعسقلان ثم دخل مدينة «أشدود» منتصرا ودانت له البلاد بأسرها . وعاد الى مصر منتصرا . وقد كانت مدة حكمه ٤٥ عاما . ونعتبره من أقوى فراعنة مصر .

وخلفه ابنه « نخاو » الذى فى عهده ازدهر الاسطول المصرى . وان كانت مصر فقدت بعض نفوذها فى سوريا

وتولى الملك من بعده «بسماتيك» الثامن فأحمس الثانى وابسماتيك الثالث ، وفى عهده قدم الفرس الى مصر تحت قيادة قمبيز وانتصروا على المصريين . وحاول بعض الامراء إخراجهم مراراً الى أن استولى اسكندر الاكبر وأسس دولته الشرقية الكبيرة . ثم خلفته على مصر أسرة البطالسة المشهورة (٣٣٢ — ٣٠ ق م) وفى عهد هذه الاسرة كانت مصر سيدة العالم على الاطلاق .

عبد الرحمن زكى

انتهاك حرية الفكر

فى جامعة فؤاد الاول

حدث قبل نحو خمسة او ستة اسابيع حادث كان له اشأم مغزى فى حياة الثقافة المصرية . ذلك ان طلبة الجامعة من كلية الحقوق هجموا على طلبة كليـــة الاداب وطردوهم من مقاعدهم واعتدوا على بعض الاساتذة وطلبوا منع تدريس الدرامة الجليلة التى الفها برنارد شو وهى درامة «جان دارك» ونزلت الجامعة على رأيهم وسحبت الدرامة المذكورة

والجامعة ليست من حيث مهمتها الاولى دار تعليم . وانما هى دار للبحث العلمى ويمكن ان نتخيل الجامعة بلا طلبة . ولكننا لا يمكننا ان نتخيلها بلا اساتذة . والاعتداء على الاساتذة وضربهم اوطردهم هو اعتداء لا يقل بتاتا فى قيمته او مغزاه عن الاعتداء على القاضى فى المحكمة لكى يحجم عن اصدار حكم او لـكى يجبر على اصداره . وهذا الاجتراء هو انتهاك لحرية الثقافة فى مصر كلها والجامعة بخضوعها لهذه السيطرة الغشيمة قد سلمت فى أخص مهماتها وهى حرية الثقافة

ونزيد المشابهة بين المحكمة والجامعة . فان القاضى يجب ان يكون مستقلا فى نظره للقضية ويجب الا تتدخل الحكومة بوعد او وعيد للتأثير فيه . وكذلك الشأن فى استاذ الجامعة يجب أن يترك استقلاله الثقافى حتى يرتأى الرأى فى التاريخ والكيمياء واللغة والاداب — لا بل ف الدين ايضا . ونذكر هنا ان هوكسلى كان استاذا فى اكسفورد . وكثيرا ما القى من منابرها المحاضرات التى تتنافى والمسيحية بل تناقضها فلم يجد اية معارضة من الجامعة او تدخلا من الحكومة . والديانة المسيحية هى مع ذلك الديانة الرسمية للدولة البريطانية ولو شئنا ان نحصى الاساتذة الانجليز والامريكيين الذين يصرحون بشكهم فى المسيحية او بالحادهم لما وسعتنا هذه الصفحات

وبعد هذا الذى قلنا يجب ان نعود فنقول ان درامة جان دارك انما يقف فيها المؤلف الى جنب محمد صلى الله عليه وسلم . وهو يجعل جان دارك التى يدافع عن موقفها ويجعل منها رائدة للاصلاح الدينى فى اوربا تتهم بأنها تنزع النزعة الاسلامية ويحكم عليها بالاحراق لهذا السبب . وهو هنا مدافع عن جان دارك وليس مهاجما لها . وكثير مما يقول عنها ينطبق على نبى الاسلام . ولهذا السبب ترجم هذه الدرامة الدكتور احمد زكى بك (المسلم) الى العربية. ونحن ننقل فيما يلى عن هذا المسلم بعض ما قاله برنارد شو على لسان احد قضاة محكمة التفتيش ومنه يرى القارىء ان الفتاة جان دارك تأبى ان يكون القسيس واسطة بين الانسان وربه :



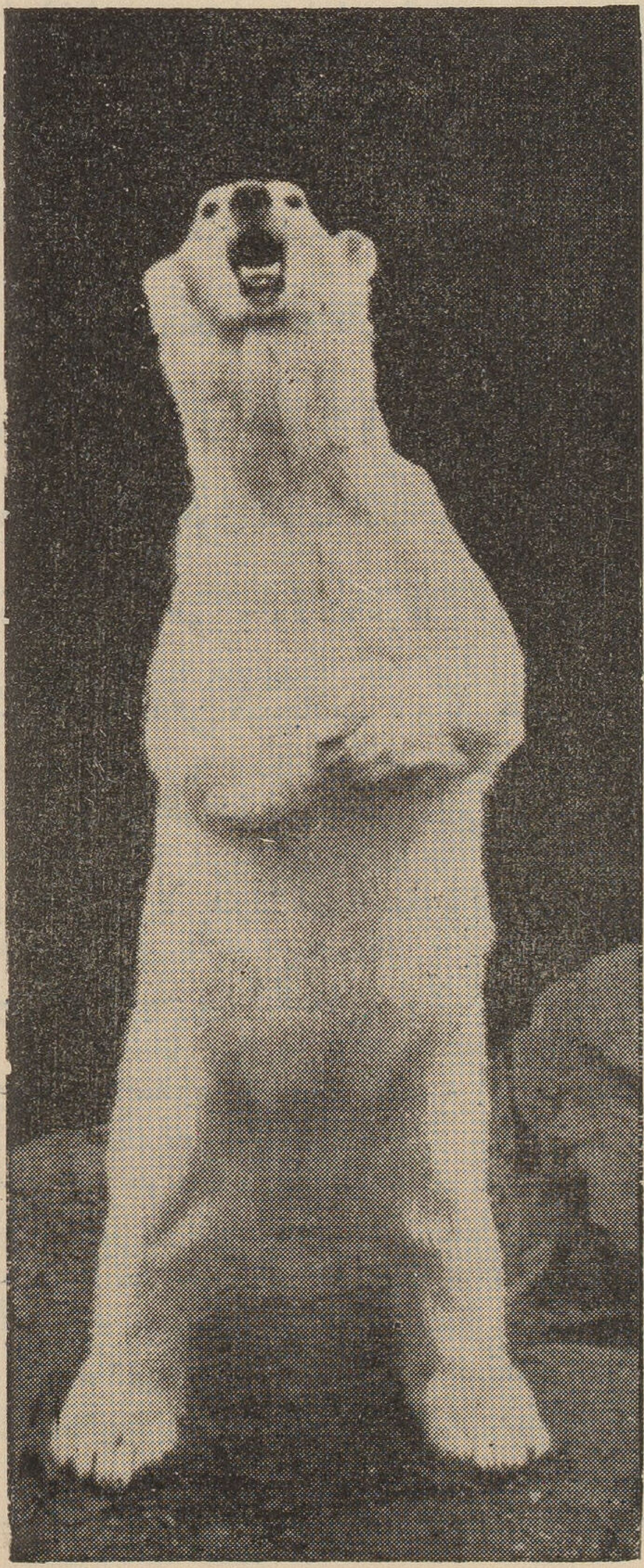
برنارد شو

« المحقق : لو انك رأيت من الزندقة ما رأيت اذن لما استخففت بها ولو صدرت عن أصول هى أبعد ما تكون عن مظاهر السوء والريبة ، حتى ولو صدرت عن أصول حبيبة من التقوى والصلاح . ان الزندقة تظهر أول ما تظهر فى أناس يتراءون فى كل مظهر من مظاهرهم خيراً من جيرانهم : فى فتاة رقيقة صالحة ، أو فى فتى أطاع الله فيما أوصاه ، فخرج للفقراء عن كل ماله ، ولبس رداء الفقر ، وعاش عيشة الزهد ، وأذل من نفسه ، وسخا بما فى يده . فهذه الفتاة أو الفتى قد يحدثا بدعة ، اذا هى لم تدمغ بلا رحمة فى حينها هزت أركان الكنيسة هزا ، وقوضت

قواعد الامبراطورية تقويضاً . ان سجلات ديوان التحقيق مليئة بقصص لا نجرؤ أن نحكيها للعالم ، لأنها فوق تصديق كل رجل طيب وكل امرأة طاهرة . ومع هذا فهذه القصص تبدأ أول ما تبدأ كلها بقوم بلهاء ، فيهم طيبة وعليهم قداسة . لقد شاهدت هذا يقع المرة بعد المرة : أنصتوا لما أقول واذكروه . إن المرأة التي لا ترضى عن لباس المرأة فتلبس لباس الرجل مثل الرجل الذي يخلع رداء الفروليلبس كما كان يلبس يوحنا المعمدان . كلاهما يجران وراءهما حتما — كما يجر النهار الليل — جماعات من ثائرين وثائرات يرفضون أن يلبسوا لباسا أصلا . إن الفتيات اذا هن ابين الزواج ورفضن أخذ العهود المعروفة ، والفتيان اذا هم رفضوا الزواج وعمدوا الى شهواتهم فرفعوها فصيروها الهامات ربانية ، فقد بدأوا عهدا يتبعه لامحالة — كما يتبع الصيف الربيع — عهد تتعدد فيه الازواج والزوجات ، يتلوه عهد تستحل فيه مضاجعة المحارم . ان الزندقة تتراءى فى أولها بريئة ، أو فوق ذلك محمودة ، ولكنها تجر فى أعقابها أهوالا فظيعة من خبائث تمجها الطبيعة . فلو أنكم رأيتم الزندقة كما رأيتها تفعل فى الناس أفاعيلها لقام أرحمكم قلباً ينحى باللائمة على الكنيسة أنها تأخذ الزنادقة بمثل هذه الرحمة التى تأخذهم بها . ان ديوان التحقيق قضى قرنين يناهض صنوفاً من هذا الجنون الشيطانى . وقد تبين له أن هذا الجنون يبدؤه دائما قوم جهلاء مغرورون ، يعارضون بآرائهم آراء الكنيسة ، وينتحلون لانفسهم تفسير مشيئة الله . على أنى أحذركم أن تقعوا فى الخطأ الذى يقع فيه الناس كثيرا ، فتحسبوا أن هؤلاء البلهاء كذابون منافقون . فهم يعتقدون صدقا واخلاصا أن وحى شياطينهم وحى من الله . لذلك أسألكم أن تحذروا أن يغلب عليكم ما أودعه الله فى قلوبكم من رحمة . نحن جميعا قوم رحماء ، أو هكذا أرجو أن نكون ، والا فكيف تأتى لكم أن تخصصوا حياتكم لخدمة عيسى الحنون ؟ أيها السادة ، بعد هنيهة تقع عيونكم على بنية صغيرة تقية عفيفة . نعم هى كذلك ، فالاشياء التى يتحدث بها أصدقاؤنا الانجليز لا يدعمها دليل ، بينما الادلة كثيرة على ان غلوها الذى غلت فيه كان غلوا فى الدين والمكرمات لا فى الدنيا والدنيات . وهى ليست من الفتيات التى تدل خشونة مقاطعهن على جمود قلوبهن . وليست من اللاتى تقضى عليهن الصفاقة الظاهرة فى وجوههن والقحة البادية فى سلوكهن ، قبل محاكمتهن . والعجب الذى بثه الشيطان فيها فانساقت به الى الموقف الخطير الذى هى فيه لم يترك أثرا على محياها . وقد تستغربون اذا قلت لكم انه لم يترك أثرا حتى على طباعها

فيما سوى الامور الخاصة التى تعجب بنفسها فيها . لذلك ستجدون فيها عجبا شيطانياً . وتواضعاً طبيعياً ، قد جلسا من نفسها مجلساً سوياً . فالى هذا فتنبهوا ، ومنه فاحذروا . ومعاذ الله أن ادعوكم إلى تقسية قلوبكم ، فان عقابها — إن نحن قضينا عليها — عقاب غاية فى القسوة يفقدنا الامل فى رحمة الله إن نحن قضينا به وفى قلوبنا ذرة من ضغن عليها . إنكم تكرهون القسوة ، وإن كان منكم رجل لا يكرهها فأنا آمره بأن ينجو بنفسه ويفر من لعنة الله بترك هذه المحكمة المقدسة توا . ولكن إن أنتم كرهتم القسوة فاعلموا أن أقسى القسوات أعقابا تسامح فى زندقة . واذكروا كذلك أن اقسى المحاكم على متهم محكمة الغوغاء من الناس إذا تجمهروا حول من يظنونه زنديقا . أما الزنديق فى محكمة التحقيق ففى مأمن من سخط العامة ، وهو ضامن محاكمة عادلة ، وإذا قضى باتهامه فهو لا يموت إذا هو تاب وأناب من بعد ذلك . كم من زنديق نجا بحياته لأن ديوان التحقيق انتشله من أيدى العامة وكم من زنديق نجا بحياته لان الناس أسلموه طواعية إلى ديوان التحقيق لينظر فى امره . وقبل إنشاء الديوان ، وحتى فى هذه الايام فى المناطق البعيدة عن الديوان ، يشتبه المشتبهون فى الرجل فيتهمونه بالزندقة ، وقد يكون اتهاما ظالماً جاهلا ، فيرجم المسكين بالحجر ، أو يقطع إربا ، او يقتل غرقا ، أو يحرق فى داره هو واولاده حرقا ، دون محاكمة ، ودون اعتراف يطهر نفسه ، ثم هو لا يدفن بعد ذلك إلا كما تدفن الكلاب ، وكل هذه أفعال لها من الله كراهة شديدة ، وللانسان منها قسوة متناهية . أيها السادة إنى رحيم بطبعى ، رحيم بمنصبي . والعمل الذى يفرضه على منصبى قد يظهر قاسيا عند من لا يدرك أن القساوة الكبرى هى فى الواقع فى رفض هذا العمل . إنى أفضل الحرق لنفسى على القيام بهذا العمل ، لولا أنى مقتنع بأن العدل بين فيه ، والضرورة ملحة به ، وأن الرحمة فى جوهره فاصدروا فى هذه القضية إذا ما صدرتم عن مثل هذا الاقتناع . واعلموا أن الغضب بئس الناصح فاطرحوه ، وأن الشفقة قد تذهب بكم مباشرة مما يذهب بكم الغضب ، فأطرحوا الشفقة ولكن لاتطرحوا الرحمة . وغاية الأمر أن تذكروا أن العدالة لها المكان الأول . والآن أعند أحدكم يا سادتى اقول قبل أن نستفتح المحاكمة ؟

الدب الابيض



الدب الابيض هو أحد سكان المنطقة القطبيـة الشمالية وهو يمتـاز بفرو أبيض ناصع يتغـالى به الفراءون اذ قد يبلغ ثمنه ٥٠٠ جنيه . وهو سباح عظيم يستوى عنده السير على الارض والسباحة فى الماء . يصيد السمك والفقمة ويأكلهما . ويقضى بعض الشتاء نائما صائما وهو من حيث الشجاعة فى لقاء الخطر لا يقل عن الاسد . وليس فى مصر نوع من الدببـة وأقرب حيوان اليها عندنا فى الترتيب البيولوجى هو ابن عرس .

النفسية السياسية في مصر

وماذا يجب أن تكون أهدافها

المستر اتلى هو زعيم حزب العمال فى البرلمان البريطانى . وقد كان وزيرا فى بعض الوزارات الماضيـة . وقد ألقى خطبة فى مجلس العموم قال فيها أن الاهداف التى يجب أن تسدد اليهـا السياسة المالية للدولة هى :

أولا — حفظ الصحة عند الشعب وقوة أفراده ومستوى معيشتهم

ثانيا — إنتاج الأشياء الجوهرية

ثالثا — ايجاد وسائل الدفاع الضرورية للوطن

وما أحرانا نحن فى مصر بأن ندرس هذه الحكمة السياسية التى تجعل الصحة فى مقدمة الاهداف للسياسة المالية فى البلاد . فان لكل أمة طريقها فى درس السيـاسة ونستطيع أن نقول أن لكل أمة « نفسية سياسية » تعين لها اتجاهاتها وتكسبها مزاجا خاصا فى درس مشكلاتها . ونحن نرى مثلا فى الوقت الحاضر اختلافا عظيما فى النفسية السياسية بين الالمان وبين الروس . وبين هذين الشعبين وبين شعب ديمقراطى مثل الشعب الهولندى أو السويسرى . فالسياسة فى روسيـا عالمية ماركسية . وهى فى ألمانيا وطنية حربية . وهى فى سويسرا وهولندا بنائية محلية قلما تنحرف نحو الخارج

وكل أمة تحتاج الى تربية سياسية طويلة والى اكتساب اختبارات متوالية فى الرقى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى حتى تستطيع التمييز بين القيم فلا تنخـدع بالقشور دون اللباب . ولا تؤثر فيهـا خلابة الدعايات وتلويها عن غاياتها المثمرة . والأمة التى تبلغ النضوج السياسى يمكنها أن تبتكر فى تعيين القيم الانسانية أو الاجتماعية لنشاطها

ومهما يكن للأمة من ثروة فان ثروتها العظمى فى ابنائها ومقدار الحظ الذى يصيبون من الصحة من الصحة والمهارة والتفكير . ولا عبرة بالأرض الخصبة ولا بالمناجم الغنية ولا بأى شيء آخر مادام أفراد الشعب الذين يعيشون على هذه الأرض وفى وسط هذه المناجم مرضى فى أجسامهم أو فقراء فى عقولهم . وليس هنـاك منجم هو أعود بالغلة الوافرة والربح العظيم من الشخصية الانسـانية اذا استوت فى نهوض الشباب وحصلت على ميزتى الصحة والمهارة

ولنعد الى المستر اتلى . فانه يطلب أن يكون للصحة المحل الأول من العناية المالية فهل نحن على عرفان تام بهذه الحـكمة . واذا كان لنا العرفان فهل لنا الوجدان بقيمته ؟

ان الجذام لايكاد يعرف فى اوربا الآن . ونزيد على ذلك بان الاوربيين لا يعرفون حمى التيفوس وقليل منهم جدا من يعرف التيفوئيد . ولا يكاد يكون بينهم من يصـاب بالعمى من الرمد . كما أنه ليس بينهم من يمرض بالبلاغرة . وكل هذه الامراض للأسف فاشية بيننـا وكلها أمراض لا تنشأ إلا من الفاقة الماحقة البالغة التى تحول دون الطعام الحسن أو النظافة المتوسطة

فنحن فى حاجة الى نفسية سياسية جديدة مثل هذه النفسية التى جعلت المستر اتلى يقول أن الغاية الاولى من السياسة المالية هى صيانة الصحة والقوة ومستوى المعيشة . ونعنى أننا يجب ألا نكف عن صك أذهان الشعب بأن خير السياسيين وأشرفهم وأحكمهم واكفـأهم هو ذلك الذى يجعل همه الرقى الصحى والمعاشى لافراد الشعب . ولو استقرت فى نفوسنا هـــذه الحـكمة لما أنفقنا شيئا فى الـكماليات والترف الا بعد أن تأخذ كل الضروريات حظها من الانفاق لان مصريا واحـدا يمرض لقلة الطعام أو لقلة النظافة هو فضيحة تلصق بنا جميعا وتدل على أننا أطفال أميون فى فن السيـاسة

ان لنا ميزانية هى اموال جمعت بشتى الطرق بين المصريين . من المالك الغنى الذى يملك الف او ألفى فدان . ومن رخصة البائع الجوال الذى يقنع بربح ثلاثة قروش فى اليوم . ومن طوابع البريد ورخص المخابز التى تبيع للناس مادة طعامهم . ومن ضرائب جديدة على كسب العامل والموظف والتاجر والصانع . فمن الشرف ان تنفق هذه الاموال على صلاح المصريين وترقية صحتهم وثقافتهم وحمايتهم من العدو الخارجى والعدو الداخلى . ولـكن هل الواقع الان ان اموالنا تنفق على هذه السبل ؟ هل المجمـــع اللغوى الذى انفق عليه الى الان ٣٥ الف جنيه قد افاد الامة اية فائدة ؟ هل

المفوضيات التى تملأ الشرق والغرب قد عادت علينا بفائدة كبيرة مع ان ما انفق عليها يبلغ الملايين من الجنيهات ؟ هل لنا الحق فى ان ننفق من هذه الميزانية ربع مليون جنيه على الحجاز فى حين ان عندنا مصريين من ابناء مصر يموتون من الجوع ؟ وهل يجوز لنا ان نقف انشاء المدارس الابتدائية والثانوية فى مصر وننشىء مدرسة ثانوية فى السودان تكلفنا — نحن الامة الجائعة — خمسين الف جنيه ! وهل يجوز لنا ان ننفق الاف الجنيهات على الفرقة القومية وان تؤوى فى معهد التربية اكثر من خمسين ومائة طالب اجنبى يأكلون ويشربون و ينامون ويتعلمون بالمجان فى حين ان الشباب المصريين ابناء مصر لا يجدون مثل هذه الرعاية من حكومتهم المصرية التى تجمع ميزانيتها من اهلهم وذويهم ؟

واخيرا السنا فى حاجة الى ان ندرس خطبة المستر اتلى الذى يقول ان الاهداف التى يجب ان تعود اليها السياسة المالية للدولة هى اولا ـ حفظ الصحة عند الشعب وقوة افراده ومستوى معيشتهم ؟

الحرب

مضى على الحرب الكبرى اكثر من عشرين عاما ومع ذلك لا تزال الخزانة البريطانية تؤدى فى العام ٤٠ مليون جنيه معاشات، ذوى العاهات الذين جرحوا فى الحرب الكبرى واستحالت جروحهم الى عاهات دائمة . وقد كان هذا المبلغ عقب الحرب ١١٠ مليون جنيه . ولكن ذوى العاهات يموتون ويقل عددهم عاما بعد آخر . ولذلك قلت المعاشات الى اربعين مليونا فى العام على أنها زادت هذا العام ٧٥٠ معاشا جديدا . ولم تحدث حرب جديدة تدعو الى هذه الزيادة ولكن بعض الجروح استحال بعد مرور عشرين سنة الى عاهة يستحق صاحبها المعاش . ومع كل هذا يجرى الاستعداد لحرب جديدة ويخطب رجال فى مجد الحروب

صياح الديك

غرد الديك صباحا قبل أن أفتح جفني
ملأ الدنيـا صياحا فلمـاذا لا أغنى

مثله للصبح لحنى

نغمة الديك تحيـة لسنا اليوم الجديد
حلوة الوقع شجية أيقظتنى من هجودى

كحلت بالنور عينى

ساعة الفجر الجميلة تملأ الصدر انشراحا
هى فى حسن الطفولة فاهجر النوم صبـاحا

واحمـد الله وغنى

غرد الطير سرورا وأنا كالطـير أشدو
زادنا الرحمن نورا وله شكر وحمـد

من فؤاد مطمئن

لك يارب دعائى فارحم النـاس جميعا
أنا فى ظـل السماء أعبد الله مطيعـا

فاستجب لى واعف عنى

عبد اللطيف النشار

تقدم العلوم والفنون

القلم فى السجن

الصيحة العالية هذه الايام لاصلاح السجون . والعناية بالمسجون تكاد تفوق العناية بغيرهم فى الأمم المتمدنة . فان انشاب الذى عاش فى انجلترا مثلا بريئاً لم يرتكب هفوة لا يجد من يبحث له عمل . ولكن الخارج من السجن يجد الجمعيات والأفراد يتلقونه هذا بيذلة .. وذلك بنقود . وآخر بكتاب . ورابع يرافقه الى منزله لمساعدته . وجميع هؤلاء يتفقدونه ويبحثون له عن عمل يعيش منه ويراقبونه اذا وقع فى الخمر أو غيرها مما يؤدى به الى العود

وآخر ما قرأنا عن هذا البر الجديد أن نادى القلم فى انجلترا قدم له اقتراح بشأن امداد المسجونين بادوات الكتابة لكى يؤلفوا . واذا لم يكن تأليفهم مفيداً للناس فهو على الاقل مفيد لهم اذ يشغل أذهانهم بالابتكار

النحافة

ليست النحافة صحة فقط ، إذ هى الآن الجمال المنشود . وعندما تتعاقد احدى الشركات فى اخراج درامة سينمائية يشترط على الممثلة أن تحتفظ بوزنها فاذا زاد أى إذا سمنت قليلا الغى العقد ، وامامى قائمة بأسماء عشرين ممثلة امريكية واوزانهن . أثقلهن جوان كروفورد التى تبلغ ١٣٠ رطل وأخفهن كاترين هيبورن ووزنها ١٠٨ رطل . مع أن الاولى تبلغ قامتها ١٦٠ سنتيمتر والثانية الخفيفة تبلغ قامتها ١٧٠ سنتيمتر

والنحافة طبيعية تأتى عفواً مادام الانسان دون الثلاثين . فاذا تجاوز هذه السن فانها تعود مجهودا ولكنه مجهود جزيل المكافأة إذ أن كثير من أمراض الكهولة يعود الى السمن . بل أن الامراض لا تتفاقم عند النحاف كما تتفاقم عند السمان والنحيف يتحمل العملية الجراحية والحمى أكثر مما يتحملهما السمين وهذا الى نشاط النحيف وخمول السمين خطر

بلاغة

للامريكيين طرق جديدة فى التعبير قد تعد بلاغة من طراز ١٩٣٩ وقد سبق أن نقلنا بعضها لاستطرافها . ونحن ننقل بعضا آخر

ديموقراطى كالموت

كانت فى المطبخ تفك أزرار الفول

وكانت الاحياء مشغولة بالربيع

واستولى على الميدان نعاس من التاريخ

وحيانا القطار تحية الوداع بمنديل كبير من الدخان الأبيض

وكانت الحديقة تغلى بالنحل

وبدت عليه ملامح الكبرياء الضعيفة التى ترتسم على الوجه قبيل العطاس

وهو مريض بالتسمم الشكوكى

وكانت حروف المكتاب تنقر بحدة كما تنقر الفرخة الحب

واستحالت رفقتها من الشعر الى النثر

كانت كل مرة تنظر اليه تراه يقلبها

وكان الفستان الأبيض من القطيفة معلقا ينتظرها لكى تكسبه الانسياب

وتماست نظراتهما كما يصك شاربان كأسى الخمر

كتاب يقتل الوقت عند اولئك الذين يؤثرون رؤية الوقت ميتا

ماء المطر يحمل عبير الجو الذى سقط منه

وهى مثابرة على الكلام كأنها تريد أن تكون لها الكلمة الاخيرة بعد الصدى

وكان متأخراً حتى لم يقو على أن ينظر الى الساعة وجها لوجه

نظرت الى وجهها أقرأ بين السطور

آه لو كان يمكننا أن نستقطر الايام الحلوة وندخر عطرها فى زجاجة

قبعة كأنها تقويم يحوى تاريخ الايام

منفيس

منفيس هى عاصمة مصر القديمة . والاجانب فى مصر يتذكرون الاسماء الفرعونية اكثر منا . ففى الابراهيمية بالاسكندرية مدرسة أجنبية تسمى مدرسة منفيس . ولا أظن أن مصريا يخطر بباله أن يسمى مدرسة مصرية بهذا الاسم

وقد شاع اسم «ازيس» أو «اسيس» فى اوربا اكثر مما شاع فى مصر . وفى اكسفورد مجلة يصدرها الطلبة بهذا الاسم . واسيس هى الربة المصرية القديمة وهى أحد الثالوت أوزوريس وهوروس واسيس واسم كليوبطره وكذلك اسم نفرتيتى قد سبقنا الاجانب الى استعمالها . وقليل من المصريين من يتسمى بأسماء خوفو أو ستى أو أحمس . ولكن اسم رمسيس شاع كثيرا

دواء جديد

فى أخبار الجرائد أن دواء جديدا وجد لمعالجة الالتهاب السحائى . وهذا الدواء هو واحد من مجموعة سوف يكون لها أكبر الاثر فى المعالجة الحديثة على ما تقول المجلات الطبية . بل أن هذه المجلات تقول أن هذه المجموعة لاتقل فى فوائدها العلاجية عن السلفرسبان الذى يوشك أن يقضى على السفلس المرض الزهرى المعروف ويمحوه من العالم

أما هذه المجموعة فترجع الى الابحاث الكيماوية التى يقوم بها الالمان فى الاصباغ وقد أمكن استخراج عقاقير منها تشفى حمى النفاس والالتهاب السحائى والتسمم والنزلة الشعبية . والغريب أن الاهتداء الى هذه العقاقير كان مصادفة لأن الغاية الاصلية كانت البحث عن أصباغ للأقمشة

المخدرات

صدر تقرير المكافحة للمخدرات . وهو مثل التقارير السابقة يشرح المجهود الذى تبذله الحكومة فى هذه المكافحة ويشكو - كما يفعل فى كل عام - من قلة أعضاء البوليس المختصين بهذه المكافحة . وطرافة الصور هذا العام تزيد على نظائرها فى الاعوام الماضية . فهنا ترى كيف تخبأ المخدرات فى أشياء لا تخطر بالبال

ومن أعجب ما يذكره التقرير أن ٤٩٫٥٠٠ محقنة تباع للجمهور أى لغير الاطباء . وهذا العدد كبير جدا اذا اعتبرنا أن سكان المدن هم الذين يتناولون المخدرات وعددهم قليل بالمقارنة الى مجموع السكان وهذه المحاقن قد تستعمل لاغراض أخرى . ولكن ليس شك فى أن الغاية الاصلية منها هى حقن المخدرات

فهل يكون من الاصلح لسلامة العقول أن نفرض قيودا جمركية عالية على المحاقن الواردة أو يمنع الصيدليون من بيعها بالا باذن الطبيب ؟

اتحاد الديمقراطيات

وضع المستر كلارنس ستريت كتابا بالانجليزية عنوانه « الاتحاد هـذه الساعة » وهو يدعو فيه الامم الديمقراطية الى أن تتحد . وعنده أن فى العالم نحو ٢٠ أمة ديمقراطية خطيرة اختار منها ١٥ أمة يؤلف منها الاتحاد وهى :

بريطانيا . الولايات المتحدة . فرنسا . بلجيكا . أسوج . هولندا . كندا . استراليا . سويسرا . فنلندا . دنمركا . نروج . أرلندا . اتحاد أفريقيا الجنوبية . زيلاندة الجديدة

وعنده أن هذا الاتحاد يؤدى الى توحيد الدفاع الحربى والرعوية بين السكان والغاء الجمارك وتوحيد النقد ، وتوحيد المواصلات . ثم يتدرج فى الزيادة الى أن يصير منه حكومة عالية

وهو يرى أنه اذا لم تنشط الامم الديمقراطية الى تحقيق هذا الاتحاد فان العالم مضطر الى أن يتخذ خطة العزلة السياسية واخطارها معروفة . أو خطة المحالفات التى تشق العالم الحربى فريقين فينتهى الى الحرب أو الرجوع الى عصبة الامم التى لاقوة لها لان كل دولة مشتركه فيها تستطيع بما لها من « سيادة » أن تجعل العصبة عقيمة من ناحية منع الحروب

اخبار اجتماعية

الاقليات في يوغوسلافيا

وجدت المانيا أنها لم تحتج الى حرب لتفكيك تشيكوسلوفاكيا • لأن الاقليات العديدة فى هذا الامة كانت بمثابة الجراثيم فى الخميرة . تبدو صغيرة متفرقة ثم لا تلبث أن تطمو فى حرارة وقوة • وهذا الذى حدث فى هذه الدولة البائدة قد يحدث مثله فى يوغوسلافيا وقد تكون الغاية من احتلال ايطاليا تفكيك هذه الدولة وعندئذ نرى أن الفن البارع الذى استعملته المانيا فى تشيكوسلوفاكيا قد انتقل الى ايطاليا التى سوف تستعمله فى يوغوسلافيا . بل ان هذا الفن يمكن أن يجاد استعماله أكثر مما أجيد فى تشيكوسلوفاكيا

فان يوغوسلافيا هى دولة سربيا القديمة ولم تكن هذه الدولة تطل على البحر الادرياتى الذى تزعم ايطاليا انه بحرها وحدها . ولكن الدولة الجديدة أطلت عليه ومن هنا النفور الذى بين الدولتين. ويبلغ سكان يوغوسلافيا نحو ١٤ مليوناً . أكثريتهم من السرب، والكروات والسلوفين . وقد كان الكروات خاضعين لامبراطورية النمسا والمجر . وهم من الكاثوليك الذين غمرتهم الحضارة الصناعية الحديثة . فى حين أن سائر يوغوسلافيا من الارثوذكس الذين يعتمدون فى أكثر عيشهم على الزراعة . ومن هنا نشأ نفور دعا الكروات إلى المطالبة بالاستقلال الذاتى . وكانت مطالبتهم بهذا الحق من الاسباب التى جعلت الملك اسكندر ملك يوغوسلافيا السابق ينقح الدستور ويجعل من ديكتاتورا

وغير هذه الشعوب الثلاثة نجد أقليات أخرى مثل البوسنيين والدلماتيين والالبان والبلغار والرومانيين . وكل هؤلاء يعدون أنفسهم غير مدينين بالولاء لدولة يوغوسلافيا . ولذلك سوف

يكونون أداة فعالة لبعث القلق الذى قد يؤدى فى النهاية إلى مطالبة إيطاليا بالحماية كما طلب السلوفاك — فى دولة تشوكوسلوفاكيا — هذه الحماية من المانيا

المسجون بعد الافراج عنه

قبل اسابيع بحثت اللجنة المؤلفة لتعديل لائحة السجون برياسة وكيل الداخلية حسن فهمى رفعت باشا موضوع المسجونين بعد الافراج عنهم . والذى دعا الى هذا البحث ان كثيرين بل الكثرة الغالبة من هؤلاء المساجين يعودون الى الجريمة لأنهم يجدون ابواب الرزق امامهم مقفلة الا باب الجريمة . والمعروف ان جميع الامم المتمدنة قد اخذت بالعناية بالمساجين سواء فى السجن أم بعد الافراج عنهم . وهذه العناية لانكاد نعرفها فى مصر . وليس اللوم كله على الحكومة فى هذا الاهمال . فأن ما يحصل عليه المسجونون فى أوربا من عناية انما قام به الجمهور متطوعا للبر . ثم بعد ذلك اشتركت الحكومة فى هذا البر

وهذا هو ايضا الشأن فى كثير من الوان البر التى نراها فى الامم الاوربية . فان التعليم المجانى انما قامت به الجمعيات الخيرية فى بريطانيا . . ولم تضطلع الحكومة البريطانية بهذا الواجب الا سنة ١٨٧٠ حين جعلته الزاميا فاحيلت مدارس الجمعيات عليها . بل كذلك المستشفيات فانها أنشئت بسعى الجمهور وتطوع أفراده بالعمل وتبرع أغنيائه بالمال . ولاتزال المستشفيات الكبرى فى لندن تستجدى الجمهور الى اليوم لانها من صنع هذا الجمهور وهى تعيش بما فى نفوس أفراده من سجايا البر . ولم تأخذ الحكومة البريطانية بانشاء المستشفيات الا حديثا جداً عن طريق المجالس البلدية . ولكن المستشفيات الحرة وكذلك المدارس الحرة أى التى لا تتصل بالحكومة هى التى تفضل سواء فى فخامة البناء أو عدد المنتفعين بها على ما تديره الحكومة من هذه المؤسسات .

بل كذلك تأمين العمال من التعطل والمرض . فانه نشأ تطوعا من بين العمال الذين الفوا النقابات وصاروا يعينون بعضهم بعضا . ولم تقم الحكومة بهذه الخدمة إلا منذ زمن قريب

وهذا هو الشأن فى السجون والمسجونين .فان الابرار من رجال الاصلاح الفوا الجمعيات وألحوا

فى اصلاح السجون وجعلوا ينتظرون كل مسجون عند الافراج عنه فيتولونه بعنايتهم يبحثون له عن عمل يكسب منه ويعولون اسرته مدة سجنه ويتعهدونه بالزيارات المتوالية لكى لا يعود إلى السقوط واخيراً وفى زمن حديث جدا عرفت الحكومة فضل هذه الجمعيات فجعلت تساعدها بقليل من المال الذى لا يبلغ عشر ما تجمعه هذه الجمعيات من اعضائها او غيرهم بالتبرع

وليس من مصلحة الامة أن تقوم الحكومة بجميع الخدمات الاجتماعية لانها تستحيل بهذا العمل إلى اداة بيروقطية ضخمة . كما ان الامة لم الوقت نفسه تتراخى بل تقعد هذا العمل فلا ينتفع اعضاؤها بممارسة الخير . ويبدو مما ذكرته الصحف ان الحكومة متنبهة الى ذلك وانها تنوى تأليف لجان من الجمهور تشترك فيها الحكومة لكى تبحث احوال المسجونين عقب الافراج عنهم وتهىء لهم وسائل العيش الذى يغنيهم عن الاجرام

وهذا حسن . ولكن قبل ذلك نظن ان نظام السوابق يجب ان ينقح بحيث لا تؤدى اثاره الى تعطيل المسجون السابق عن الارتزاق . اما فى حاله الحاضرة فهو يؤدى إلى هذا التعطيل

العراق

عم الحزن جميع افراد الجمهور المصرى لوفاة المرحوم الملك غازى فى السادسة والعشرين من عمره ، وقد كان الاثر الاول لهذه الفاجعة شك مقلق بشأن العلاقات بين وفاته وبين الاضطرابات القريبة الماضية. ولكن اتضح انه ليست هناك اية علاقة وان الوفاة كانت بسبب الاصطدام لا اكثر

ولكن سن الملك الجديد (وهو فى الرابعة من عمره) قد يبعث على الشكوك فى مستقبل الطمأنينة فى العراق . فان الخلافات الحزبية هناك عنيفة ولذلك يخشى ان تؤدى الى اضطرابات ولكن حكمة العراقيين سوف تلهمها الرشاد

أخبار اقتصادية

صرخة الصناعيين المصريين

نظرت اللجنة المالية فى مجلس الشيوخ فى ميزانية وزارة التجـارة والصناعة فابدت ملاحظاتها عليها وضمنتها المقترحات التالية :

١ ـ التعجيل بانشاء بنك التسليف الصناعى

٢ ـ مساهمة الحكومة فى انشاء الشركات

٣ حماية المشروعات الجديدة من المزاحمة

٤ ـ الاكثار من اقامة المعارض السنوية المحلية

٥ ـ مضاعفة العناية بالمصايف المصرية

٦ ـ تشجيع السياحة باصلاح المشاتى

وقد وضعت اللجنة هذه المقترحات وهى بالطبع متأثرة بالانخفاض المؤلم فى أثمان القطن وبالخطر الذى نستهدف له جميعاً باعتمادنا على محصول يكفى فى خفض ثمنه خمسين قرشاً أو جنيها كاملا أن يفوه رئيس حكومة من الحكومات باقتراح أو تنتهى احدى الحكومات الى قرار .

وجميع هذه الاقتراحات الستة تستحق الثناء ، فان الصناعة المصرية يجب أن تلقى التـأييد من الحكومة والامة . والامة لم تتأخر فى التأييد فانها تعد الاقبال على المصنوعات المصرية بعض الواجبات الوطنية وهى تتحمس لكل مشروع جـديد . ولا بد أن جميع الصنـاعيين فى مصر سيطربون لهذه المقترحات وعليهم أن يلحوا على وزارة التجارة والصناعة بوضعها موضع الدرس ثم التنفيذ العـاجل للصناعيين فى مصر شكاوى تكررت وأوضحت . ولكنهم الى الان لم يجدوا من ينصفهم فيها

مع أن انصافهم هو انصاف للثروة الوطنية باستغلالها وانصاف للعمال والشبان باستخدامهم. ومن العجيب أن هذه الشكاوى اوضحت وتكررت كما قلنا — فى مدى السنين العشر أو العشرين الماضية بلا جدوى. وإزاء التكاليف الجديدة التى يطالبنا بها الاستقلال والدفاع والاصلاح، وكذلك ازاء الانخفاض المروع فى اثمان القطن وحيرتنا التى تقارب اليأس فى تجديد الزراعة المصرية، نظن انه يجب على الحكومة ان تلتفت الى الصناعات المصرية الناشئة التفات الرعاية والحماية وان تسارع الى ذلك. اذ هى بهذا العمل تخدم نفسها بزيادة مواردها بما سوف تفرضه من رسوم كما تخدم الامة بزيادة الرخاء

وجميع هذه المقترحات التى قدمتها اللجنة المالية فى مجلس الشيوخ هى مقترحات ايجابية ولكن الصناعيين المصريين يشكون مر الشكوى من الحال القائمة ويطلبون الاصلاحات السلبية أى رفع الضرر عنهم وازالة العراقيل التى تؤخر رقى الصناعة فى مصر. وبين يدينا مجلة مصر الصناعية التى يصدرها الاتحاد الصناعى وهو مؤلف من كبار المشتغلين بالصناعة المصرية وهو مفتتح بمقال هو صرخة الصناعيين من عشرات العراقيل القائمة أمامهم

١ — ففى كل أمة صناعية يجاز دخول المواد الخامة التى تستخدمها المصانع بلا مكوس على هذه المواد الا فى مصر. حتى لقد بلغت الحال ان اشترت وزارة الاوقاف أسرة من الحديد من اوربا مع أن مثلها يصنع فى مصر. ولكن لان الحديد لا يدخل مصر الا بعد أن يؤخذ عليه مكس لم تستطع معه المصانع المصرية ان تزاحم المصانع الأوربية

٢ — المألوف ان الالات الجديدة تدخل بلا مكس. ولكنها فى مصر يفرض عليها مكس جمركى

٣ — فى أمة مبتدئة بالصناعة لا يمكن باية حال أن يطالب الصناعيون بشروط هندسية وصحية تستوى وما يجرى فى أمة متقدمة مضى عليها ٢٠٠ سنة فى الصناعة. ولكن هذا هو القائم الان فى مصر فان مئات من المصانع تقفل بحجة أن الشروط الصحية والهندسية غير مستوفاة

هذا هو بعض ما يشكو الصناعيون فى مصر. وقد تكررت الشكاوى فننبه المسئولين عن الضرر البالغ الذى يعود على الامة كلها بتأخير الحركة الصناعية فى مصر.

واذا كان هؤلاء المسئولون يعتقدون أن المصنع يجب أن يكون صحيا فليس معنى هذا أن يكون من الطراز الاول في الصحة كما هو الشأن فى برلين أو لندن . لان العامل الذى يعمل فيه لايعيش فى مثل المنزل الذى يعيش فيه العامل فى برلين أو لندن . واقفال مصنع يؤدى فى كل حال الى افشاء التعطل. والتعطل فى مصر يعنى الجوع لا أكثر ولا أقل وليس عندنا أى نظام لتعويض المتعطل فاقفال المصنع فى مصر لايعد رحمة بالعامل بل قسوة

فاذا زدنا على هذا أن الشركة المساهمة فى مصر لايمكن أن تنشأ إلا اذا كان ثمن السهم على الاقل فيها أربعة جنيهات (مع أنه فى انجلترا بضعة شلنات) عرفنا أن للصناعيين كل الحق فى صرختهم الحاضرة

البذرة

انخفض ثمن بذرة القطن انخفاضاً ليس له نظير فى السنين العشرين الماضية اذ بلغ الاردب ٥٣ قرشاً . وقد ينخفض اكثر جريا وراء الانخفاض الذى وقع فيه القطن المصرى على أثر القول باخراج المخزون الامريكى

وبذرة القطن تصدر كلها تقريبا . إلا القليل الذى يعصر لاستخراج الزيت ومزارعونا يهملون البذرة وكسبها . مع أنها من أعلى أصناف العلف . ومع الانخفاض الحاضر نظن أن وزارة الزراعة تحسن اذا هى قامت بالدعاية بين المزارعين لكى يقبلوا على شراء البذرة وكسبها معا فان الانجليز والالمان يكلفون أنفسهم شراءها ومشقة نقلها الى بلادهم ويعلفون بها ماشيتهم ويكسبون من ذلك. فماذا يمنعنا أن نفعل فعلهم بأقل من تكاليفهم ؟

كتب الشهر الجديدة

١ ـ الاسلام والدول الاسلامية فى الهند للاستاذ محمد عبد المجيد العبد

٢ ـ براكسا : درامة للاستاذ توفيق الحكيم

٣ ـ اعترافات فتى العصر تأليف دوموسيه وترجمة الاستاذ فيلكس فارس

٤ ـ الجوع : تأليف كنوت هامسون وترجمة الاستاذ محمود حسنى

٥ قصص مصرية للاستاذ محمود تيمور مترجمه الى الفرنسية

٦ ـ عصبة الامم

* * *

أول هذه الكتب هو تاريخ موجز عن الاسلام والملوك المسلمين فى الهند . والمؤلف راوية اكثر منه مؤرخا . فانه يذكر الملوك المسلمين وحروبهم وفتوحاتهم ولكننا لانستنير عن شئون المسلمين باعتبارهم شعبا أو شعوبا يخضعون لعوامل اقتصادية ويحتكون بانظمة اجتماعية . ولعل الوقت لم يئن لمثل هذا الدرس . وعلى كل حال فنحن فى حاجة الى مثل هذا الكتاب الذى يعالج موضوعالم يعالجه كتاب عربى حديث . ويرجع تاريخ الاسلام فى الهند الى ايام الحجاج ذلك السياسى العظيم الذى كان ينظر النظرة الامبراطورية للدولة الاموية . فانه انفذ محمد بن القاسم فى جيش صغير فغزا السند بجيش عربى . ومن ذلك الوقت توالت الغزوات الاسلامية على الهند . ولكن الهند لم تشعر بقوة هذه الغزوات الافى بداية القرن الحادى عشر حين غزاها السلطان محمود غزنوى بجيش تركى او تركستانى او افغانى وقد كانت عاصمة غزنة كعبة العلماء والادباء زاره فيها الفارابى والفردوسى

وغيرهما ولكن حكم الاتراك أو الافغان للهند لم يكن ثابتا . وانما ثبت الاسلام فى الهند على ايدى المغول ورسخ منذ ان تولى السلطان اكبر الذى حكم بين سنة ١٥٥٦ و ١٦٠٥ واكبر هو سليل اولئك المغول الذين اجتاحوا الدول الاسلامية فى القرن الثانى عشر ثم انتصر عليهم الاسلام فاعتنقوه وتفرقوا امارات وممالك وتحضروا بحضارة الاسلام وحضارة ايران فكان دينهم الاسلام ولغتهم وادابهم فارسية . وقد نقلوا كل هذا الى الهند . واكبر هذا من الشخصيات النادرة فى التاريخ . فانه يجمع بين حكمة الاسكندر المقدونى وشجاعته وبين توحش تيمورلنك . والهندوكين — قبل المسلمين — يذكرون حكمه بالثناء للعدل الذى التزمه . وهنا يقول المؤلف

« ان طريقة الحكم الجديدة التى اتبعها اكبر كان من مقتضاها ان تزيل عداوة الكثيرين من الهندوكيين بل وتجذب اليه حب بعضهم . فانه حين ولى الامر بنفسه لم تكن سياسته ان يصير حاكما يحكم بقوة المسلمين بل كان يرمى الى ان يصير حاكما هنديا يحكم لمصلحة الهند . فهو بذلك يحكم الكل ويعمل لمصلحة الكل . فلا تمييز بين هندوكى ومسلم . ولا امتياز لمغولى على افغانى . بل الكل سواء »

ولكن اكبر لم يكتف بالمساواة . بل عمد الى فكرة تدعو الى استغرابنا . ذلك انه على ما يقول المؤلف . « عقد مؤتمرا من رجال الاديان واختار له مكانا وسماه بيت الحكمة . ثم ابدى لهم رغبته فى ايجاد دين جديد يجمع كل الطوائف وسماه دين الله . واستمد تعاليم هذا الدين الجديد من كل الاديان ومنها الهندوكية . والاسلام . والمسيحية . واراد من وراء هذه الفكرة ازالة الفوارق الدينية ومايترتب عليها من اسباب الشقاء بين الطوائف والطبقات »

وهو بالطبع — كما نتوقع — لم ينجح فى هذه الفكرة . ولكنه نجح فى اشياء اخرى . منها انه منع احراق الارملة اذا مات زوجها . ومنع زواج الاطفال . وأباح زواج الارملة .

واشترط لصحة الزواج ضرورة الرضى والقبول من الزوج والزوجة . وحرم التحقيق بواسطة التعذيب ولكنه مع هذه الاصلاحات قد اثبت انه سليل تيمورلنك فانه « كان احيانا وقت غضبه ربما امر ان يرمى خادم من اعلى البناء اذا هفا هفوة وربما قتل الفا او الفين من الاسرى واقام من جماجمهم اهراماً » هذا واحد من ملوك المسلمين فى الهند وهو اكبرهم واشهرهم بل هو يعد من اعظم الملوك فى العالم سواء اعتبرناه فذا او شاذا .

* * *

و «براكسا» هى درامة جعل الاستاذ توفيق الحكيم مسرحها فى أثينا قبل الميلاد بنحو ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة . ولكن مع بعد الزمان والمكان فان « الكلام لك ولكن اسمعى ياجاره » وقد قرأت وسمعت ولكن لم أقتنع

وقد قال المؤلف انه كتب هذه القصة على أساس كوميديا قديمة لارستوفان . ثم يقول :

« على انى احب لكل قارىء مدقق أو ناقد محقق ان يراجع الاصل الذى كتبه ارستوفان قبل أن يطالع هذا الكتاب . فان هذه المراجعة ستظهره على كثير من خصائص الاساليب . ذلك ان مجرد الاشتراك مع ارستوفان فى قصة واحدة قد كشف لعينى مالم تكشفه تجاريب خمس عشرة قصة تمثيلية كتبتها . وعلمنى مالم اعلم من أسرار هذا الفن العسير واطلعنى على صفات وعيوب لم يكن ادراكها من اليسير . وبعد فانى التمس العذر فى القصور . فمن ذا يقيس قامته بقامة ارستوفان »

ونحن نجد سيدة جميلة تدعى براكسا تجمع النساء وتطلب اليهن ان يحتلن حتى يأخذن مقاليد الحكم من الرجال . ثم يحكمن اثينا بالعدل . ويلتهين الى يتخذن اللحى والعصى ثم يقصدن الى المجلس فيقررن نزع الحكومة من ايدى الرجال وتسليمها للنساء . ويتم هذا . وتحكم النساء اثينا حكما لايمتاز من حكم الرجال . وحيوية الحوار على المسرح يقوم بها ثلاثة اشخاص امرأة وجندى فيلسوف وبذلك يتصل الاهتمام والانتظار . ولكن الدرامة قصيرة لايحتاج قارئها الى اكثر من ثلث ساعة . وكان يمكن المؤلف ان يتوسع ويتعمق

* * *

« اعترافات فتى العصر » هو قصة لالفريد دوموسيه . وصنعها قبل نحو مائة سنة . والمؤلف واحد من أولئك الشعراء البارزين فى الحركة الرومانتية الفرنسية فى القرن التاسع عشر مثل لامارتين وفكتور هيجو . وجميع دعاة هذه الحركة يجدون قراءهم فى اللغة العربية فى العصر الحاضر حيث يعلو القلب على العقل وحيث تصدمنا الحقائق فنتعلق بالخيال . ولسنا فى ذلك مبطلين بل نحن محقون كل الحق

لأن مانرسمه فى هذا الخيال نعود فننقله الى الحقائق الواقعة . ولـكن بعد فترة من الاختمار

ويقول المترجم الاستاذ فيلـكس فارس فى المقدمة : « ان شبيبتنـا اليوم تعانى داء روع الغرب فى أوائل القرن التاسع عشر . وهو لم يزل يتوض فى أساس مجتمعاته غير انه استحال هناك الى علة مزمنة أدمنها الشعور . ومامن علة اقتل للفرد وللمجتمع من علة لاتؤلم ضحاياها ..:

«ويقينى ان كل فتى يقذف به تيار التقاليد الى هذه الحياة التى يصفها موسيه فى اعترافاته تجتاحه من صراع الحقيقة مع الباطل فى أعماق سريرته . لذلك اكملت نقل الاعترافات الى العربية لاهديها الى الشبيبة الحائرة المتألمة فى اوطانى شهادة على المدنية الزائفة التى تراود حياتهم وتغالبها فطرتهم شهادة حق يؤديها للتاريخ شاعر تسامى بألهامه فوق ألحاد فولتير ويأس جوتيه وشكوك بيرون »

ولست اعتقد أن شبيبتنا يخشى عليها ممـا يخشى المترجم . ولذلك فان القيمة الفلسفية التى قصد اليها المؤلف هى عندى دون القيمة الفنية . فان القصة ضرب من الخيـال الجميـل الذى يستهوى القارىء أو القارئة فى سن الشباب ويتسامى بهمـا الى أفق من الانسانية والعطف والرحمـة نحن فى أمس الحاجة اليها وخاصة فى النزعات الفكرية الحاضرة

* * *

كنوت هامسون كاتب نروجى له شهرة ادبية . وقصة الجوع التى نقلها عنه الاستاذ حسنى العرابى (من المانية) تصف بؤس المؤلف فى ايامه الاولى حين كان يـكافح الفقر ويحاول الظهور فلا يجد من يلتفت اليه . فهى فى الحقيقة ترجمة فنية لـكفاح كاتب يغالب الظروف حتى يغلبها

ونروج قطر بعيد عنا ليس بالمسافة فقط بل بالمزاج والمناخ . فان برودة المناخ قـد اثمرت برودة المزاج فلا حماسة ولا هياج . والمؤلف ينساب فى غير عجلة وبلا تحنن يصف الواقع المؤلم كأنه طبيب يشرح الجثة بعد الوفاة .

ومن الحسن ونحن أمة شرقية نعيش فى مناخ البحر المتوسط أن نعرف ما يختبىء فى زوايا ذهن أديب نروجى من أولئك الشماليين الذين ينفرون من الخيال . وهـذه القصة هى النقيض لاعترافات فتى العصر لالفريد دوموسيه . فهنا خيال وتحنن واشتهاء الى الايمان وهناك حقائق مؤلمة ومثابرة على مجابهتها واشتهاء الى الطعام . فان بطل القصة وهو المؤلف ينشد عمـلا فلا يجده أو يجـد منه القليل

الذى لا يمسك رمقه . وهو يقص علينا مصادفاته . وهنا واحـدة منها . « الساعة الثالثة الآن وقـد ابتدأت وطأة الجوع تشتد الى حدما . وخارت قواى . فسرت خلسة هنا وهناك . ثم انقطعت الى ناحية مطعم وأخذت أقرأ (من النافذة) قائمة الطعام . وهززت منكبى لـكى الفت الى النظر . كأن اللحم القديد ليس بالطعام الذى يليق بى ثم أخذت طريقى الى المحطة .

« وسرى دفعة واحدة دوار عجيب فى رأسى . فاستأنفت السير . واردت الأعيره شيئا من الاهتمام . ولـكن الحال ازدادت سوءا على سوء . فاضطررت فى النهاية الى الجـلوس على احـدى درجات السلم . وحدث انقلاب فى أعصابى . فكنت أحس كأن شيئا قد انسل الى أعماق قلبى . أو كأن ستارا أو نسيجا فى مخى قـد تمزق أو انشطر شطرين فتنفست بضعة انفاس وبقيت جالسا مبهوتا . ولـكننى لم أفقد صوابى . فقد كنت أحس فى جلاء كيف كانت أذنى أمس تؤلمنى بعض الألم كما أنى استعرفت فى الحال على أحد معارفى بمجرد مروره بى ونهضت واقفا وحييته

« ويا ليت شعرى : اى احساس جـديد مؤلم هذا الذى جاء ضغثا على أباله ؟ ترى أهو نتيجة لنومى على الارض بالعراء ؟ أم نشأ عن عدم حصولى على طعام الفطور بعد ؟ الواقع ان الحياة على مثل هذه الحال سخافة . وانى لا استطيع أن أتصور ما استحق عليه كل هذه الآلام المصبوبة على . وخطر فى ذهنى فجأة ان انقلب شريرا »

ينقلب شريرا أى مجرما من الجوع . فيخطر له أن يبيـع ملحفته لـكى يأكل بثمنها . ولـكنه ينتصر على هذا الخاطر . ويغمره السرور لانه على الرغم من الام الجوع لا يزال رجلا شريفا

ولـكن القصة ليست كلها سوداء حالـكة . فان فيهـا فترات يشع فيها النور وتبتسم له الدنيا . ولـكنها فى مجموعها كفاح مؤلم

* * *

والكتاب الاخير هو قصة للأستاذ محمود تيمور باللغة الفرنسية نشرت تحت عنوان

Les Amour De Samy

يلى ذلك عشر قصص كل قصة منها تتناول موضوعا مصريا فى الريف أو المدينة . وأنه لمما يسر كل مصرى أن تنقل مؤلفات الادباء المصريين الى اللغة الفرنسية وأن يعرف جمهور القراء فى عاصمة النور

أن مصر المعاصرة تستحق الالتفات بمقدار ما تستحقه مصر القديمة . فان ٩٩ فى المئة مما يكتب عن مصر انما يتناول عصور الفراعنة وهذا بالطبع لطرافة التاريخ القديم ولألأة الاثار الفرعونية القديمة . ومع افتخارنا بالاسلاف فاننا نشعر ببعض الهوان لان نكون نحن موضع الاهمال وهم موضع الاحتفال. ومحمود تيمور خير من يمثل مصر الحديثة للقارىء الاوربى . فان مهارته فى نقل الجو المصرى لاتنكر وهو من آن لآخر يحيى لنا أخلاق الاغوات الذين انقرضوا أو كادوا من القاهرة أو من هم فى سابل الاغوات من بقايا الجيل الاسبق . كما أنه حين يرسم لنا صورة سيكلوجية لبعض الاثار التى تخلفها الحوادث فى الاشخاص ينقل الينا حركات العواطف واختلاج النفوس بما نحسه فى أنفسنا . فاذا كنا نهنىء الاستاذ المؤلف بالتقدير الذى وجده فى فرنسا فاننا أيضا لنغتبط لان يعنى الفرنسيون بمؤلفينا

* * *

نشرت سكرتيرية العصبة هذه الايام نسخة عربية فى ٢١٤ صفحة لكتابها المعروف باسم «غايات العصبة ووسائلها وأعمالها» ولم ينشر هذا الكتاب من قبل إلا باللغتين الأنجليزية والفرنسية . وقد أظهرت العصبة بهذا العمل تقديرها العظيم للمنزلة التى تنالها اللغة العربية يوما بعد يوم فى ميدان الثقافة والسياسة .

وكان الدافع على نشر هذا الكتاب باللغة العربية كثرة الطلبات التى أبداها عدد عظيم من الجماعات الدولية لكتاب عربى يتناول اعمال العصبة ويقبل الناس على قراءته اقبالا كبيرا . وقد ظهرت الطبعة الاولى باللغة الافرنجية فى سنة ١٩٣٥ وكانت موضوعة فى أسلوب سهل واضح . ولاقى الكتاب نجاحا كبيرا فى انحاء العالم باللغتين الانجليزية والفرنسية فكان هذا النجاح حافزا الى اعادة طبعه عدة مرات . والكتاب فى هذه الطبعة الحديثة المنقحة مقسم الى أربعة أقسام:

القسم الاول — وقد خصص للشئون التى يهتم بها الرأى العام مثل النظام الدولى قبل وجود العصبة ومثل نظام العصبة وغاياتها ووسائلها . القسم الثانى — ويصف أعمال العصبة سياسية وفنية . القسم الثالث — ويتناول أعمال محكمة العدل الدولية الدائمة فى لاهاى (وهى المحكمة التى أنشأتها العصبة) وأعمال مكتب العمل الدولى . القسم الرابع — ويتضمن النص الكامل لميثاق العصبة .

صحتك من طعامك

لمؤلفه الاستاذ ابراهيم كامل البرديسى وهو يشرح تلك المعارف الجديدة التى تتعلق بالصحة من حيث الاعتماد على ما يجب ان يكون فى الجسم من املاح او فتيامانات .

والمؤلف ينزع الى مكفادن زعيم الثقافة الجسمية فى الولايات المتحدة . وهذه الثقافة قد انتهت الى ان الجسم النحيف خير من الجسم السمين . والى أن الاطعمة الساذجة التى تحتوى الكثير من الفواكه والخضراوات الطازجة خير من الاطعمة التى اجيد طبخها وتأنق طهاتها فى توبلتها . والى ذلك تضاف ضرورة العناية بالرياضة البدنية . وحسن ان نكثر بيننا مثل هذه الاراء فان مطبخنا كثير الدسم . وقد تفشى بيننا المرض السكرى وترهلت اجسامنا لهذا السبب . وقد دعانا الدكتور جورجى صبحى بك الى الا نخزن السمن فى بيوتنا ولكننا لم نستمع له . وقد رأت الحكومة ان تنشىء مستشفيات خاصة للمرضى بالسكرى . وهذا كله يدعونا الى قراءة هذا الكتاب الذى يعلمنا كيف نأكل لنعيش فى سلامة الجسم وصحة الذهن .

واليك ما يقوله تحت عنوان «التغذية و كرات الدم الحمراء»

أن المواد النشوية والسكرية يجب أن تكون قوام غذاء الرياضيين العاملين لان هذه المواد هى التى تحدث الحرارة والنشاط اللازمين للحركة العضلية أما المواد البروتينية أو بعبارة أخرى الزلالية ، ونخص بالذكر منها اللحم فقيمتها الغذائية للرياضيين وغير الرياضيين ضئيلة جدا بخلاف ما يعتقدون يضاف إلى ذلك أن الافراط فى تناولها يؤدى إلى كثير من الامراض

ننتقل بعد ذلك إلى عامل آخر مهم فى تغذية الرياضيين وهو توافر كمية الحديد فى الدم ومعلوم أن كرات الدم الحمراء هى التى تحتوى الحديد أو بمعنى أوضح الهيموجلوبين فى كرات الدم الحمراء هو الذى يحتوى مادة الحديد وهذه المادة هى التى تنقل الاوكسجين من الرئتين إلى جميع الخلايا فى ارجاء الجسم

وقد أثبت الاستاذ (برون) أن الحركة العضلية إذا طال امدهـا تستهلك جانبا كبيرا من كرات الدم الحمراء لذلك وجب على الرياضيين أن يتناولوا من الاطعمة ما يمدهم بمادة تكوين تلك الكرات وتلك المادة هى الحديد ويتوافر الحديد فى الخضراوات ونخص بالذكر منها الخص (والسبانخ) والكرنب والطماطم كذلك تتوافر فى أنواع البقول كالفول والبسلة كما تتوافر أيضا فى بعض اللحوم كالكلى والكبد

وقد حدث فى الالعاب الاولمبية سنة ١٩٢٤ أن الفائز فى سباق ماراتون وهو مسافة ٢٦ ميلا كان رجلا فى الاربعين من عمره وصل إلى نهاية السباق وهو فى كامل قواه ولم تفارقه الابتسامة بينما لم يصل منافسوه من شبان الانجليز والفرنسيين والامريكيين بعده إلا بمدة طويلة وهم فى درجة الاعياء وكانت حالة بعضهم تستدعى الاسعاف وبعد أن تساءل الناس عن السر فى نجاح هذا الرجل واحتفاظه بقوته بعد هذا المجهود اتضح لهم أن طعامه كان مكونا فى معظمه من الخضراوات ومنتجات الألبان وكان يتناول الجبن مع كل وجبة من غذاءه اليومى ويتناول الخبز الاسمر بدلا من الخبز الابيض ولم يتناول من اللحم طعاما قط

أحدث الطرق فى تفصيل وخياطة الملابس

هذا كتاب فنى . ولكن فنه يجب أن تعرفه جميع ربات البيوت . فان هناك كثيرا من الثقافة المنزلية التى تجهلها نساؤنا . وقد أشرنا الى أن المطبخ المصرى الذى تشرف عليه سيداتنا يصيبنا بالامراض لوفرة مافى الطعام الذى يطهى فيه من دسم . والآن نقول ان السيدة الاوربية تستطيع أن تخيط كثيرا من الملابس لنفسها ولأولادها بلا حاجة الى الخياطة المحترفة . ولست أعنى أن هذا الكتاب سيغنى سيدة أو آنسة عن الخياطات المحترفات . فان تفصيل الملابس من الفنون الجميلة الدقيقة التى تحتاج الى مواهب وكفاءات ليست من حظ الجميع . ولكن هناك من التفصيل ما يجب أن تعرف كل آنسة أو سيدة بسائطه ومألوفه . ولذلك تستحق المؤلفتان الآنستان الهام عبد الفتاح وعائشة محمد صبرى كل ثناء لاخراجهما هذا الكتاب الذى يجب أن يحتل مكانا حسنا فى مكتبة البيت

حبر	INK
اسود	BLACK
حزن	MOURNING
صباح	MORNING

٢ — او باضافة ارتباط جديد فتصبح

حبر	INK
اسود	BLACK
ليل	NIGHT
صباح	MORNING

وفى كلتا الحالتين تكون ارتباطات كلمة « مورننج » (بمعنى الصباح) مختلفة كل الاختلاف عن ارتباطات كلمة « مورننج » (بمعنى الحزن او الحداد) ، وبذا لا يمكن استحضار الكلمات الباقية الى الوعى ، فنحن اذن قد فصلناها ، فضغطت .

وكل مجموعة من الاراء المضغوطة يطلق عليها اسم « المركب »

وقد تنتهى بعض الدرجات القصوى من الانفصال الى احداث الحالة التى تسمى « الشخصية المزدوجة » فيبدو الشخص الواحد كانه يحيا حياتين مختلفتين كل الاختلاف ، لكل منهما خصائصها وذكرياتها التى تختلف عن الاخرى . ومن الامثلة المعروفة لهذه الحالة قصة ستيفنسن الشهيرة « الدكتور جيكل والمستر هايد » . ويعلل اختلاف الصفات فى هذه الحالات بان الارادة الواعيـة تكون هى المتسلطة فى احدى الشخصيتين بينما تكون الارادة غير الواعية هى المتسلطة فى الاخرى (يلاحظ هنا ان الارادة الواعية فى اساسها انانيـة . تسعى وراء مصلحتها وتحاول جهدها ان تحمى صاحبها من المكاره) .

غير ان للعقل غير الواعى (العقل الباطن) وظيفـة اخرى غير اختزان الذكريات او تزييفهـا او ضغطها . فقد رأينا فى الامثلة السالفة ان الذكريات لم تضغط دون وعى وحسب ، بل أن هـذه

العملية غير الواعية تضمنت ايضا عوامل الارادة والذهن والرغبة والانفعال . فالعقل الباطن فضلا عن ممارسته هذه الوظائف يستطيع اذن ان يعمل فى بعض النواحى بكفاءة اكثر من العقل الواعى : يستطيع ان يفكر بتعقل reason ، ويستطيع ان يضبط الى حدما الوظائف الفسيولوجية للجسم ، وان يقوم بالافعال الاتوماتيكيه المعقدة التى نسميها « عادات » ؛ بل يستطيع ان يسجل الى حد ما افكار الغير « بحاسة سادسة » لانعرف كثيرا عنها حتى الان . وهى التى نسميها التليباثية

وقد ذكرنا من الامثلة على تقدير العقل الباطن قصة طبيب الامتياز الذى نسى ان يطفىء نور غرفته ، ولكن هذا التفكير برغم مافيه من التحايل لم يصل الى مستوى عال . واخبرنى صديق لى انه حاول اياما متعددة ان يحل مسألة صعبة فى الشطرنج دون جدوى ، وفى ذات يوم صحا وفى ذهنه صورة مضبوطة للحل المطلوب مع كل التنقلات اللازمة . فعقله الباطن قد استطاع ان يحل هذه المسألة فى اثناء النوم، دون ان يذكر عند يقظته انه بذل اى مجهود واع للوصول الى هذا الحل . واذكر من تجارب الصبى اننى لم استطع حل مسألة حسابية فى احد الامتحانات . وفى صباح اليوم التالى بينما كنت لاازال فى الفراش مر الحل بعقلى فى مثل لمح البرق . ولست استطيع الجزم تماما هل وصلت الى هذا الحل فى اثناء النوم أو اليقظة ولكنى استطيع الجزم تماما باننى لم ابذل أى جهد واع فى التفكير، وكل ماحدث أن عقلى كان يطوف بكسل وخمول حول فشل الامس ، وفجأة رأيت الحل الصحيح يظهر امامى دون جهد . ولا ريب فى أن كل قارىء قد صادف فى حياته امثلة فى التفكير غير الواعى على هذا النحو .

ومن الامثلة على ضبط العقل غير الواعى للوظائف الجسدية ان لعابنا يجرى عندما نشاهد أحد الناس يمتص ليمونة . فالايحاء — سواء اكان بالاستهواء أم بدونه — يمكن أن يزيد بعض الوظائف الفسيولوجية او يعطلها ، وقد أعطيت وانا طالب احد زملائى — وكان يشكو من امساك شديد — حبتين من لباب الخبز مؤكدا له انهما مسهل قوى جدا فاخذهما شاكرا ، وبعد ذلك احس بمغص شديد واسهال . ومما اذكره ان صديقى هذا كان سهل الاستهواء وسريع القبول للايحاء ، ولكن هذا لايمنع من التقرير بان عقله الباطن هو الذى ضبط النشاط الفسيولوجى لامعائه ، دون ان يبذل فى ذلك اى تفكير واع آخر . وكثير من حالات الشفاء العجيب بادوية لاتأثير فعال لها انما يحدث على هذا

النحو . وساذكر فيما يلي مثالا او مثالين لوظائف العقل الباطن المختلفة ، لاني اريد ان الم في هـذا الباب الماما موجزاً بمدى هذا العقل ومدى ماتصل اليه قوته فيسهل علينا فيما بعد ان نفهم كيف تحدث لامراض العصبية والامراض العصبية النفسية المختلفة .

فاذا انتقلنا الى بحث تلك الافعال المعقدة ، وفي جملتهـا تلك التي تنطوي تحت اسم العادات فحسبنا أن نشير الى مثال مألوف هو العزف على البيانو . فان العازف يقرأ نوتة الموسيقى الموضوعة امامه ويدركها بعقله الواعى ؛ ولـكن ترجمة هـذه القراءة فى مخه ثم ظهور اثرها فى حركة اصابعه : كل هـذا يقتضى سلسلة من الحركات المعقدة التى تتم بسرعة هائلة عن طريق العقل غير الواعى . فالعازف لاينظر الى مفاتيح البيانو ولا يفكر لنفسه قائلا « باى اصبع العب هذه النغمة او تلك ؟ » وانما يقوم بكل هذه الاعمال عن طريق العقل الباطن .

وقد ذكرنا مسألة انتقال الفكر او التليباثية باعتبارها احدى وظائف العقل الباطن ، لا لأننا نعدها ذات أهمية كبيرة ولـكن لان فرويد واتباعه ينكرون وجودها البتة . وسنرى عنـد تقسيم الاحلام كيف انها تعلل لنا بعض الظواهر التى لايستطيعون ان يجدوا لها تعليلا معقولا

ومن حسن الحظ ان لى صديقا يملك قوة تليباثيه كبيرة ، وقد اتيحت لى ولاقاربى الفرصة مرارا ان نشهد قدرته فاصبحنا ننظر اليها الآن كانها شيء عادي مألوف . ولـكن هذا لاينبغي ان ينسينا اهميتها ودلالتها .

وفى كل الامثلة التى ذكرناها نلاحظ ان فى عقلنا الواعى ، كما فى العقل غير الواعى لاسلافنا البعيدين حتى نصل الى ابسط انواع الحياة — تلعب غريزتان اساسيتان على الدوام هما غريزة حفظ الذات وغريزة حفظ النوع . ويمكننا ان نرى هاتين الغريزتين فى كل طفل منذ اول سنى حياته حتى يتقدم به العمر . وحتى انقى الناس عقلا ؛ اولئك الذين لايلتفتون لحظة الى التفـكير فى الامور الجنسية ، والقديسون الذين يستطيبون الاستشهاد يملكون هاتين الغريزتين بكل مايصاحبهما من الرغبات المعدلة او المضغوطه أو المقنعة . وسنرى فيما بعد من الحالات التى يمكن فيها كشف الارادة والرغبات غير الواعية ان دوافعها فى الاغلب تتركز حول الذات . فالعقل الباطن بعبارة اخرى يتركز حول ذاته ، وهو يحاول على الدوام ان يحمى الذات . وان يمهد لها السرور ويشبع لها الرغبات ويمنع عنها الاعتراضات التى لاتسرها والعقل الباطن بدائى النشأة ، وكثيرا مايكون همجيا . وحتى فى أكبر القديسين على هذه الارض نستطيع أن نطبق هذه القاعدة وهى أننا اذا حللنا أفعاله غير الواعية فسوف تتكشف لنا دوافعه المعقدة التى تتركز حول الذات

الخلاصة

١ ـ الارادة والذكاء والرغبة وبعض صفات (سجايا) العقل الواعى توجد نامية فى العقل غير الواعى (العقل الباطن) الى درجة كبيرة .

٢ ـ العقل الباطن هو مركز الذاكرة والعادات وغيرها من الوظائف غير الموجودة فى العقل الواعى

٣ ـ الاراء والرغبات غير السارة او المستحيلة الحل يمكن أن تضغط وتنسى بالكلية مع الارتباطات التى قد تؤدى الى عودتها الى الذاكرة

٤ ـ الذكريات المضغوطة او المنسية منذ عهد بعيد يمكن أن تعود إلى الذاكرة إذا وجدت الارتباطات المناسبة .

٥ ـ كثيرا مايتشاحن (يصطدم) العقل الباطن مع العقل الواعى ، فاذا كانت الارادة الباطنة اقوى من الارادة الواعية فان الذكريات والقرارات ومحل « المواد » غير السارة تضغط من الوعى الى العقل الباطن . وقد تجد الرغبات غير الواعيه مجالا لارتوائها

٦ ـ أن العقل الباطن هو دائما والى درجة بعيدة عقل بدائى وذاتى (يتركز حول ذاته) .

(٢) الرغبات والقوة النفسية

يكرس جزء كبير من حياة كل انسان فى الرغبات ومحاولة تحقيقها ، وهذه الرغبات متنوعة وتشغل اكبر جزء من وقتنا ، فالسكير يرغب فى الخمر على الدوام ، والعالم يرغب فى الاكتشاف ويكره ان تعطل شؤون المنزل بحوثه ، وبعض النساء يرغبن فى الملابس « الجميلة » والبعض يحببن المنزل الجميل وبعض الناس يحب الهدوء والبعض الآخر يحب المرح والسرور . وسنرى من تحليل هذه الرغبات ان القوة الكامنة وراءها يمكن ان تقتفى الى الغريزتين البدائيتين اللتين ذكرناهما فى الفصل السابق : حفظ الذات وحفظ النوع ، او بتعبير ادق غريزة خلود الحياة .

ولنذكر هنا مثالا : يتعلق أحد النـــاس بلعبة التنس ، ويصرف جزءا كبيرا من قوته فى ممارستها ، ولكن وراء هذه القوة يلزم ايضا جانب كبير من القوة العقلية او النفسية . فان الرغبة فى اللعب ، ان لم يكن وراءها قوة ، وتنتهى الى شىء . ينبغى اذن ان يكون وراءها قوة كافية للعمل والتنفيذ كامساك المضرب والكرات ومقاومة النزوع الى الكسل وخصوصا فى اثناء الجو الحار . ولو بحثنا هذه الحالة بحثا سطحيا ، ولو مؤقتا ، لتذكرنا اننا كثيرا ما نسمع بعض الناس يقول « يجب ان امارس بعض الرياضة » او « إنى احتاج الى زيادة رياضتى » فما معنى هذا ؟ معناه ان الرياضة لازمة لحفظ الصحة والصحة لازمة لاطالة الحياة . فالرغبة فى لعب التنس عند بعض الناس تخفى وراءها — ولو الى حد ما — غريزة حفظ الذات . غير ان هناك ايضاً دافعاً غير واع اذ المعروف ان الالعاب الرياضية تنال كثيرا من التشجيع فى المدارس ، والتجارب تدل على ان الذين يمارسون الالعاب الرياضية يصرفون فيها جزءا من النشاط الذى كان يتجه الى الناحية الجنسية لولا ذلك .

والرغبة الجنسية هى احدى الرغبات التى ندرب على ضبطها منذ الطفولة ، وعلى الرغم من اننا كثيرا ما ننجح فى ضغط نزعات هذه الرغبة الى العقل الواعى الا ان القوة المتصلة بها تظل باقية وتحاول بل ينبغى ان تجد مخرجا لها . ولعبة التنس بما فيهـا من الانفعالات العقلية والجسدية وما

يصاحبها من الحركات الموزونة تعد — الى حد ما — مخرجا مناسبا . ومن ثم فان ضغط الرغبة الجنسية قد يؤدى الى انصراف قوتها الى طريق آخر وبذا يخفى لاعب التنس شيئا من غريزتى حفظ الذات وحفظ النوع وراء رغبته فى لعب التنس.

هذا الانتقال بالقوة « الطاقة » النفسية من مخرج غير مرغوب فيه الى مخرج مرغوب يسمى بالتصعيد « التسامى » . وليست الالعاب الرياضية هى الطريقة الوحيدة للتصعيد وانما يوجد ايضا الدين والفن والموسيقى والرياضيات والعلوم الخ كما نجد فى الناحية المقابلة ان الخمور والمخدرات والهستريا والاضطرابات العصبية النفسية على اختلافها تعد مخرجا منحطا للنشاط المضغوط لهذه الرغبات ولكنه على اى حال كثيرا ما يمنع ظهور هذه الغرائز وما يصاحبها من المنازعات العقلية فى العقل الواعى . وليس الامر من السهولة التى يظنها قارىء هذه السطور ولكننا لا نحاول الآن اكثر من ان نعطى القراء فكرة عامة عن الموضوع .

وهذا بدوره يقودنا الى بحث عبارة « قوة الرغبة » او « القوة » « الطاقة النفسية » او « القوة العقلية » كما يسميها البعض . وسيساعدنا على ذلك ان نبحث اولا ماذا تعنى عبارة « القوة المادية »

ففيما يختص بهذه القوة المادية نعرف انه لا توجد انواع متعددة منها ولكن توجد مظاهر مختلفة لها يمكن ان يتغير احدها الى الاخر ولكن المجموع النهائى للقوة الاصلية يبقى ثابتا دون زيادة او نقصان . ولايضاح ذلك نقول انه يوجد قدر معلوم من القوة فى طن من الفحم . وهذه القوة قد تظهر على شكل حرارة اذا تعرض الفحم للنار . وقد يتغير هذا الشكل الى حركة اذا وضع الفحم فى آلة او قد يكون كهرباء اذا وضع فى دينامو . وهذه الكهرباء قد تأخذ شكل الضوء كما يمكن ان تتخذ مرة اخرى شكل الحرارة او الحركة . فالقوة واحدة ولكننا نستطيع ان نظهرها فى اشكال مختلفة ويلاحظ هنا ان تحول القوة من مظهر الى آخر لا يمكن ان يحدث بصورة كاملة قط . وذلك راجع الى نقص آلاتنا . فعند تحول الحرارة الى كهرباء لاتتحول كلها وانما يبقى جزء منها كحرارة فتمتصه البيئة المحيطة ولكنه لا يفقد .

وتدل الدلائل على انه يوجد شبه كبير بين القوة النفسية والقوة المادية . والراجح انه لا توجد قوة الا نفسية واحدة يمكن ان — توجه كالقوة المادية — فى طرق مختلفة . فمثلا قوة الرغبة

الشبقية يمكن ان توجه — الى درجة كبيرة الى قوة رغبة فى الموسيقى او الدين او العلوم او الرياضة . كما ان قوة رغبة الرياضة البدنيه يمكن ان توجه الى قوة رغبة الرياضة العقلية « كالانهماك فى لعب الشطرنج او حل المسائل الحسابية والعلمية الخ » .

والقوة النفسية كالقوة المادية ايضا لا يمكن ان تتحول كلها من طريق الى اخر . اذ يتبقى منها جزء — كبير فى بعض الاحيان — كما هو دون ان يتحول . ويتوقف مقدار هذ الجزء على الشخص ذاته . كما يتوقف المقدار الذى يتحول من القوة المادية على كفاية الالة المختصة .

واهم ما يعنى به المشتغلون بالتحليل النفسى هو امكان تحول قوة الرغبة من طريق الى اخر . فطريقة التحليل النفسى ترمى فى لبابها الى تخليص « تنقية » الرغبات المضغوطة من اهدافها الضار ثم بعد ذلك تحويلها الى اهداف نافعة . فمثلا اذا حسنت الظروف يمكن تحويل القوة الكامنة وراء رغبة تعاطى الخمور او المخدرات الى قوة لرغبات اخرى اكثر سموا . ويطلق على العملية الاولى اسم « التحويل بالنقل » وعلى الثانية اسم « التصعيد »

ويمكن ان يقال ان كل عقل عنده قدر من القوة النفسية لا بد ان يجد مخرجه الملائم فى اشباع الرغبات .

وبهذه المناسبة نذكر ان مقدرة الاشخاص المختلفين او عجزهم عن تحويل قوة الرغبات عندهم من مستوى منحط الى مستوى اعلى لا يتوقف على الوراثة او على الظروف التكوينية للشخص وحسب ، ولكن يتوقف الى درجة كبرى على البيئة وعلى تصرفات الوالدين فى السنوات الثلاث او الاربع الاولى من الحياة . وهذا هو السبب فى ان نسل بعض الوالدين الممتازين يجىء فى بعض الاحيان فاشلا ، فالتحليل النفسى يظهر ان الوالد المتطرف فى حزمه قد ينجب ابناً ذا نوع خاص من النقص . والوالد المتطرف فى تدليله قد ينجب ابنا ذا نوع آخر مختلف من النقص . وهنا ينبغى الا ننسى أن المربية ، والزائر العابر والحديث العارض التافه ، والحركات غير المقصودة ، لها كلها أثر بالغ فى السنوات الاولى من حياة الطفل . والوالدون لا يستطيعون أن يدركوا كيف أن طرائفهم فى تربية أبنائهم تنتهى الى نتيجة غير التى كانوا يتوقعونها لانهم لا يعرفون أن عقله البدائى غير الواعى (الباطن) يفهم ويمتص ما يراه حوله بصورة لا يستطيع أن يفهمها الرجل المتمدين . وقد ينجب الأب الردىء — عن طريق الصدفة

أو الاهمال — ابنا متفوقا ، بينما قد ينجب الاب الطيب، على الرغم من كل عنايته ابنا رديئا جداً ، ولسنا نقصد بهذا أن نقول أن كل تصرفات الطفل فى أثناء نموه متوقفة على تأثير البيئة الأولى، ولكننا نقصد فقط أن نقول أننا لا نستطيع قط أن نقارن بين الطيب والردىء فى مختلف الناس ، فان الأب الطيب الحسن النية قد يبذل جهـــدا كبيرا فى تعليم ابنه ضغط الرغبات الشهوية ، ولكنه ينسى أو لا يعرف كيف يمهد له سبل التسامى الذى يلزمه جدا فى الوقت نفسه ؛ فيذهب هـذا الجهد هباء ، بينما يجد شخص آخر سبل التسامى — بطريق الصدفة — ممهدة امامه ، فينتفع منها .

وكثيرا ما تستعمل كلمة اللبيد (الشهوة) بدلا من عبارة «قوة الرغبة» ويبدو لى أن المعانى المختلفة التى استعملت لها كلمة اللبيد تجعل استعمالها غير مرغوب فيه ، فان المدرسة الفرويدية تطلقها على قوة كل أنواع الرغبة الجنسية ، فى أوسع معانيها ، بينما يستعملها آخرون لتشمل كل أنواع القوة النفسية ويستعملها فريق ثالث لمعنى متوسط بين الاثنين . ولهذا السبب سأحاول فى هذا الكتاب أن أتحاشى استعمال هذه الكلمة ، ولكنى انبه الى لزومها لاولئك الذين يعتزمون قراءة كتب أخرى عن التحليل النفسى حتى يكون عندهم فكرة عن المعانى المختلفة التى تستعمل هذه الكلمة فيها

والآن ننتقل الى بحث المصدر الاساسى والبدائى للقوة النفسية

يقول فرويد بعد دراسات واسعة أن قوة الرغبة الجنسية تكمن وراء كل الانواع الاخرى لقوة الرغبة حتى فى أثناء الطفولة. وقد وصل الى هذا الرأى بعد سنوات طويلة من البحث والتحرى ، فهو رى مص الرضيع لثدى أمه أول أنواع أشباع الرغبة الجنسية فى الطفل . وهو يقـارن الرغبة . ثم السرور البادى ثم الاحساس بالارتواء الكامل مع احمرار الوجه والرغبة فى النوم بما يحدث عند اداء العملية الجنسية فيما بعد . وهو يرى أن الثـدى والفم والذراعين والانف وبعض مناطق اخرى من الجلد والاعضاء التناسلية ذاتها هى مناطق شبقية . أى أن لهـا بعض الدلالة الجنسية فى السنوات الاولى من الحياة التى قد تبقى عند الكثيرين من الناس فى صورة معـدلة بعد البلوغ . ولكنى لا أظن أنه مع كل ما قدم من الادلة استطاع أن يثبت أن رغبة التغذية فى الطفولة هى جزء مبكر وغير متميز من الرغبة الجنسية .

وقد تحدثنا سـابقا عن الغريزتين البدائيتين العظيمتين : رغبة حفظ الذات ورغبة حفظ النوع (الرغبة الشبقية) . ولا ريب فى أن الاتصال بين الاثنتين قريب جدا . بل لعلهما مشتقتان من أصل

بدائى واحد غير متميز هو رغبة الحياة «ارادة الحياة» والادلة القائمة تجعل غريزة التغذية أقرب الى حفظ الذات منها الى الرغبة الجنسية

ولنأخذ مثلا تاريخ حياة الاميبا وهى أسهل الكائنات الحية وأقربها الى البدائية : فان الاميبا الصغيرة تبذل كل قوتها فى النمو وفى تحصيل الغذاء . وهى كفرد لها فعل تناسلى واحد فى كل تاريخ حياتها . اذ عند انتهاء حياتها الفردية تنقسم نواتها الى قسمين ويتبع كل قسم جزء من بقية الجسم «البروتوبلازم» وبذا نجد اثنين من الاميبا الصغيرة . وقد يقال أن الاميبا الصغيرة تبدأ حياتها بفعل تناسلى من الاميبا الكبيرة . وانها فى خلال حياتها كلها تنصرف الى الاستعداد للفعل التناسلى الذى ينتهى بانقسامها الى اثنين .. وبذا يبقى النوع . ولكن يمكن أن يقال أيضا أن اكبر مقدار من قوتها ينصرف الى تحصيل الغذاء ، وانها لاتفكر فى الراحة والانقسام الا حين ترى ان قدرتها على تمثيل الغذاء قد بدأت تضعف وتهن ، فالعملية الجنسية هنا هى اذن نوع من الاستجمام حتى تعود لها القدرة ومن ثم اللذة من تمثيل الغذاء .

ويؤيد هذا ان أطول فترة من حياة الاميبا تنصرف الى حفظ الذات لا الى حفظ النوع ، ولكن كلا العمليتين لازمة لاستمرار الحياة فى النوع . ولعل افضل شىء ان نعتبر القوة فى كلتا العمليتين كمظهر متعاقب لغريزة واحدة هى غريزة الحياة ، بدلا من ان نعد العامل الغذائى مظهرا للعامل الجنسى واذا كان لا بد من شىء من هذا فالاقرب الى المنطق ان نعد العامل الجنسى . فى اى فرد مظهر الغريزة حفظ الذات ، وان نعده مستخرجا — فيما بعد — من عمليات التغذية ، بدلا من القول ان عملية التغذية الطفلية هى مظهر من مظاهر الرغبة الجنسية الطفلية .

ولست بهذا اعارض الحقيقة التى يقررها فرويد من ان الرغبات الجنسية تبدأ فى الظهور منذ عهد الطفولة ، ولكنى اعارض قوله بان كل مظاهر الرغبة ترجع الى اساس جنسى . وكثيرون من اتباعه يرجعون كل انواع الخوف الى اساس جنسى : فخوف الموت هو خوف غير واع من عدم قدرة الشخص على حفظ نوعه عن طريق التناسل والاقرب الى المعقول ان نزعم ان مثل هذا الخوف هو نتيجة الغريزة غير الواعية : ارادة الحياة ، وانه فى ذاته تفاعل ضد انعدام الحياة لا ضد عدم القدرة على حفظ النوع ، فان الكل دائما اكبر من الجزء

الخلاصة

١ — يتألف نشاط الحياة من الرغبات المتعددة ومن المحاولات الدائمة لاشباعها

٢ — معظم الرغبات يمكن ان ينتهي الى الرغبة البدائية فى استمرار الحياة وحفظها « رغبة او ارادة الحياة »

٣ — لتحقيق اى رغبة يجب ان نبذل نوعا من القوة نسميها القوة النفسية او العقلية

٤ — القوة النفسية — كالقوة المادية — هى نوع واحد فقط ، ولكنها قد تتخذ مثل القوة المادية الوانا مختلفة فى مظهرها

٥ — اى لون من القوة النفسية — كالقوة المادية — يمكن ان يتحول الى لون آخر ، ولكن التحول لايمكن ان يكون تاما ، اذ يتبقى جزء منه على صورته الاولى . ويتوقف مقدار هذا الجزء الذى لا يتحول على كفاية كل شخص بعينه

٦ — تضغط قوة الرغبة الجنسية على الدوام وباستمرار ، ولكن ينبغى ان تجد هذه القوة ، بل لا بد ان تجد لها مخرجا « منفذا » ولو فى صورة اخرى

(٣) تطور الرغبة الشبقية

ملحوظة : لم أحاول أن أثبت النتائج التى انتهيت اليها فى هذا الفصل ، فان هذا العمل وحده يتضمن مادة تكفى عدة مجلدات وينطوى على نتائج كل الابحاث التى عملت على التحليل النفسى . وقصاراى فى هذا الفصل أن أعطى القارىء فكرة واضحة عن بعض الحقائق ، مستعينا على ذلك بالمقارنة ، وبضرب الامثلة المستخرجة من الحياة البدائية ، وهى أمثلة يعرف الكثيرون أنها قد تبقى الى ما بعد البلوغ عند المصابين بالشذوذ . وقد حاولت أن أوضح خطوات التطور النفسى باشارات بسيطة الى السيكولوجية المقارنة ، كما توضح القيم التشريحية الانسانية بالاشارة الى علم التشريح المقارن . أما أولئك الذين يريدون التوسع فى معرفة الشواهد التى تؤيد الحقائق الواردة فى هذا الفصل فعليهم بالرجوع الى ما كتبه فرويد ، وخاصة «ثلاث مساهمات فى نظرية الجنس» و«مقالات مختارة فى الهستريا وغيرها من الاضطرابات العصبية النفسية» و«تفسير الاحلام» وكذا كتاب فستر «طريقة التحليل النفسى» وكذا كتب ايمرى وبريل ، فانها جميعها تساهم فى تقديم الشواهد اللازمة على هذه الحقائق ، التى لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون لها محل فى عرض سريع مثل هذا

رأينا فيما سبق أن الغريزة الاساسية «رغبة الحياة» تتفرع الى غريزتى حفظ الذات وحفظ النوع ، وسنرى الآن انه يمكن فصل هاتين الغريزتين أحداهما عن الاخرى فصلا تاماً ، فان ما يكون وسيلة لحفظ الذات قد يصبح فيما بعد عاملا هاما فى حفظ النوع ، واذا كانت مظاهر القوة الكامنة وراء غريزة حفظ الذات سهلة واضحة ، فانها ليست كذلك فيما يتعلق بغريزة حفظ النوع . وهذا هو أحد الاسباب التى تسبغ على بحث التطور التناسلى أهمية خاصة .

أما السبب الثانى — وهو على قدر كبير من الاهمية — فهو أن تقدم المدنية قد جعل الرغبات والنزعات المتعلقة بحفظ الذات لا تضغط لانها لا تقتضينا كثيرا من الجهد والعناء كما كان الحال مع اسلافنا فى عصر ما قبل الانسان ، فانصرف جزء كبير من القوة التى كانت تبذل لها قبلا الى اشباع النواحى الشبقية ، وتبدو هذه الحالة بصفة خاصة فى المرأة وفى أولئك الذين لا يعرفون الجهاد فى

سبيل القوت . ومن ناحية أخرى فاننا نربى منذ الطفولة على ضغط الرغبة الجنسية وكل الافكار المتصلة بها ، وهذا — مع الاعتبار السالف — يزيد من صعوبة الضغط . وبذا نرى أن الحياة المتحضرة قد مهدت على الدوام للتمييز المتصنع للجنس ، وزادت القوة الشبقية باستغلالها جزءا من قوة حفظ الذات ثم — بعد ذلك — عملت من ناحية أخرى على ضغط هذه القوة — وهذه كلها أمور لا يعرفها أى نوع من الانواع الحيوانية . والنتيجة انه — ما لم نلجأ الى التصعيد — فلن يكون أمامنا الا أحد طريقين : طريق الامراض العصبية النفسية ، أو طريق الانحرافات المختلفة والعادات السيئة . ومن هنا كان من الزم الضرورات عند عمل أى تحليل للعقل غير الواعى ان نلم الماما تاما بكل مقومات النفسية التناسلية ، وبجميع الطرق الجانبية التى يمكن أن تنصرف اليها قوتها

والفكرة السائدة هى أن الغريزة الجنسية تنحصر فى دافع قوى نحو الجنس الآخر يظهر وقت البلوغ ، وليس أبعد من هذه الفكرة عن الصواب ، فان الميل الى الاتصال الجنسى ليس الا آخر المرحلة ، أو هو النهاية ، لدوافع مختلفة كثيرة تنشأ فى فترات مختلفة منذ الطفولة ، ولها أهداف منفصلة كل الانفصال عن الاتصال الجنسى باحد أفراد الجنس الآخر

وكما أن أجسادنا تعيد أدوار تطورنا كلها فكذا عقولنا ، وكما أن أجسادنا لا تزال محتفظة بكثير مما يتعلق باسلافنا الاولين البعيدين فكذا أيضا عقولنا .

وقد ذكرنا فيما سبق شيئا عن «تناسلية» الاميبا البدائية ، فنقول الان انها أبسط الكائنات ، اذ ليس لها جنس ولا أعضاء تميزة ، وقدرتها على التناسل كامنة فيها ، وهذا التناسل يحدث بطريقة الانقسام : تنقسم النواة أولا ، ثم بقية الكائن ، فاول الانواع اذن هو كائن أحادى الجنس وذاتى التناسل

ويأتى بعد الاميبا فى سلم التطور كائن اسمه البارميسيام وفيه نرى المثال للجنس الثنائى مع ذاتية التناسل . لانه فى دور من حياته يمثل فى تناسله دور الاميبا (التناسلية الذاتية) بان تنقسم نواته اولا ثم ينقسم الجسم كله بعد ذلك . ولكنه يمثل فى ادوار اخرى الفعل الجنسى البدائى ، وذلك بان يلتصق اثنان منه من الامام ويتقاسمان نصف النواة عن طريق الفم ، ثم ينقسم كل منهما الى قسمين ويختلط نصف احدهما بنصف الاخر . وليس للكائنين جنس معروف ، اى ليس لاحدهما اعضاء

تذكير والآخر اعضاء تأنيث ، ولكن لابد ان النواة تحتوى على جزء « مذكر » وجزء « مؤنث » لان تبادلهما على هذا النحو لازم لبقاء النوع . ففى هذه الحالة نرى ثنائية الجنس فى مبدئها ، وان كنا نرى ان التناسلية الذاتية عامل هام ايضا فى الانسال

ثم تأتى بعد ذلك الهيدرا وهى كائن متعدد الخلايا . وفيها ايضا نرى التناسلية الذاتية (اذ يمكن ان يتبرعم منها كائن آخر) ، ولكننا نرى ايضا ثنائية الجنس بمعناها الصحيح ، اذ تتكون فيها خلايا للتذكير واخرى للتأنيث ، وهذه تتحد وينتج من اتحادها كائن جديد . هذا النوع تتمثل فيه التناسلية الذاتية مع ثنائية الجنس وآثار مبكرة من الخنوثة .

ثم تأتى بعد ذلك دودة الارض ، وتحتوى كل دودة على اعضاء الجنسين (المبيض والخصية كاملى النمو) ، ولكن كل دودة تحتاج ان تلقح من دودة اخرى ، فهى على هذا الاعتبار مثال للخنوثة الصحيحة ولثنائية الجنس الكاملة . ويمكن ان يقال ايضا ان فى دودة الارض شيئا من عشق الجنس لانها تنجذب الى دودة من نفس تكوينها . وهذا صحيح ايضا عن البارامسيام

وكلما ارتقينا صعدا فى سلم التطور رأينا ان اعضاء التذكير واعضاء التأنيث — على الرغم من بقائها مجتمعة فى جميع الحيوانات — تأخذ فى التمييز ، فتنمو اعضاء احد الجنسين فى الكائن بينما تبقى اعضاء الجنس الثانى فى حالة بدائية ، ومن هنا ينشأ تقسيم الكائنات الى ذكور واناث . ولكن حتى فى الانسان ، وهو ارقى الانواع الحيوانية فى سلم التطور ، نجد ان كل فرد منه يحتفظ باعضاء الجنسين فى درجات متفاوتة من النمو ، قد تتقارب فى بعض الاحيان فتكون خنوثة حقيقية . ومن ذلك اننا نجد فى الذكور بقايا الثدى والحلمة والرحم ، ونجد فى الاناث مقابلا للقضيب والصفن ، فكل فرد ثنائى الجنس من الناحية التشريحية .

والتطور فى النفسية التناسلية يتبع نفس هذه الخطوات التى ذكرناها الان . ونحن نستطيع ان نشاهدها فى جميع أنواع الحيوان حتى ارقاها نموا .

وتظهر التناسلية الذاتية فى الطفولة المبكرة جدا ، وكثير من الاباء يتضايقون حين يرون فى فى ابنائهم الرضع ميلا الى الاستمناء او الى غيره من مظاهر النضوج التناسلى المبكر او الانحراف التناسلى . ولكن الابناء يظهرون الوانا اخرى من الميل التناسلى لايدرك الاباء دلالتها التناسلية لحسن

الخظ . وعلى اى حال فليس فى هذه التناسلية الذاتية اى شذوذ ، ولكنها دور فى النمو الطفلى للجنس سيحل محلها فيما بعد مظاهر عادية اخرى اذا لم تستعمل فى كبتها طرق خاطئة خالية من التصعيد . غير انها لن تختفى من العقل الباطن ، بل ستبقى فيه ، بدليل ان بعض هذه التناسلية الذاتية تبقى فى البالغين ، ولكن فى صورة اخرى .

ولا ينفرد الجنس الانسانى وحده فى الاحتفاظ بهذه التناسلية الذاتية ، ولكنها موجودة فى بعض الانواع الحيوانية الاخرى مثل الكلاب والوعول والماشية والخيل والحمير والقردة ، اذ المعروف انها جميعها تمارس الاستمناء . بل ان انثى القردة تحاول — كالطفلة الصغيرة — ان تلتمس الارتواء التناسلى من حك فخذيها او من اللعب فى نفسها .

وفى سن الصبا لا يكون الميل الى الجنس الاخر قويا ، بل قد يثير الجنس الآخر شيئا من النفور والاشمئزاز . انما يتحول الميل الى عشق الجنس ، ومن هذه الصداقات القوية التى تنشأ بين افراد الجنس الواحد فى هذه الفترة من الحيوة (تلاحظ بصفة خاصة بين فتيان المدارس وفتياتها) واذا لم تلق التصعيد المناسب فانها قد تذهب الرغبة فى محاولة اشباع العاطفة الجنسية بالاستمناء المتبادل وهذا الى عشق الجنس قد يكون الميل واعيا أو غير واع ، وقد يضغط أولا يضغط ، ويتسامى أولا يتسامى بحسب الظروف . وقد يوجد هذا الميل الى عشق الجنس فى الكلاب وغيرها من الحيوان

وبعد البلوغ يتحول هذا الميل من عشق الجنس تدريجيا الى الميل نحو الجنس الاخر ، ولكن على الرغم من هذا قد يبقى جزء كبير من الميل القديم الى عشق الجنس ، وتحت الظروف العادية يضغط هذا الميل أو يتسامى . ثم يشتد الميل الى الجنس الاخر مع الزمن ، ولكن تبقى مع ذلك آثار من الميول السابقة

ويمكننا بذلك أن نقول أن تناسلية الطفل الرضيع هى :

١٠٠ فى الماية تناسلية ذاتية

وان تناسلية صبى فى الثانية عشرة من عمره هى :

٤٠ فى الماية تناسلية ذاتية

٥٠ « « عشق الجنس

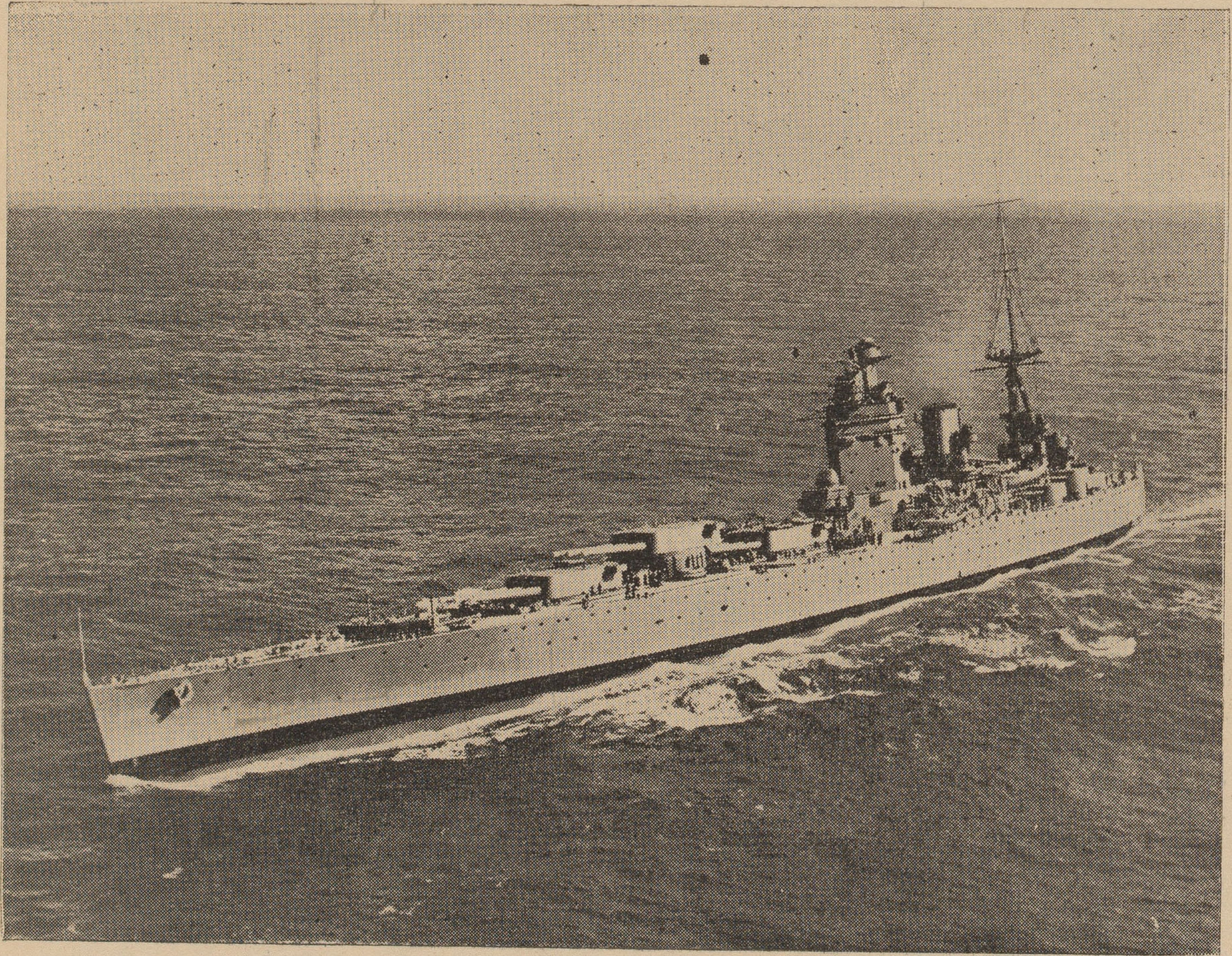
مطبعة المجلة الجديدة

المجلة الجديدة

الثمن ٣ قروش — يونيه سنة ١٩٣٩

همهمة الحرب

لما فشت اشاعة الحرب فى الشهرين الماضيين هيأت بريطانيا اساطيلها للعمل. وترى هنا احدى بوارج القيادة وهى البارجة رودنى التى تحمل تسعة مدافع ضخمة يبلغ قطر كل منها ٤٠ سنتيمترا وبها ١٣١٤ ضابط وبحار وهى من اكبر البوارج فى العالم



صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد السادس
من
السنة الثامنة

٢٤ حارة جاد ـ شارع الفجالة — مصر

يونيه ١٩٣٩

افتتاحيـــــات

الحكومة الجديدة في الهند

الاعتقاد الشائع أن بريطانيا تملك الهند . ولكن هذا الاعتقاد يخالف الواقع على الأقل من الناحية الشرعية . ذلك أن الهند قسمان :

أحدهما ما يسمى الهند البريطانية وهو أحد عشر ولاية أو مديرية يبلغ سكانها نحو مائتى مليون نفس وهى : اسام . بنجال بهار . بومباى . المديريات الوسطى . مدراس . مديرية الحدود الشمالية . أوريسو . بنجاب . سند . المديريات المتحدة

والقسم الثانى مؤلف من ٥٦٢ دولة يبلغ سكانها نحو ٨٠ مليونا . وهذه الدول تختلف اقطارها مما يساوى مساحة ايطاليا إلى مساحة مركز صغير فى مصر . ويرأسها امراء يرتبطون بمعاهدات مع بريطانيا . ولبعضهم مستشارون انجليز

ويذكر القراء ان مشروع الدستور الذى منحته الحكومة البريطانية للهند سنة ١٩٣٥ شرع فى تنفيذه فى أوائل ابريل سنة ١٩٣٧ فيما يختص بالولايات الاحدى عشرة البريطانية التى عينا اسماءها وأصبح لكل منها برلمان

ويعرف القراء أيضا كيف تسير هـذه البرلمانات بسلطان غاندى الذى يعمل من وراء الستار

ويوجهها جميعها وجهات اجتماعية تتفق ورقى الهند . من ذلك مثلا الغاء الخمور وتعميم التعليم وإعانة المصانع الهندية ونحو ذلك

ولكن بقى فى الدستور جزء خاص بهذه الدول المستقلة التى يتولاها أمراء يتسمون باسم مهراجة أو راجة أو نظام أو غير ذلك . وهذا الجزء لم ينفذ للآن . اولا لأن تنفيذه يحتاج إلى مدة طويلة لاستتمام الاجراءات . وثانياً لان غاندى وأعضاء المؤتمر يرفضون إيفاد مندوبين من هذه الدول مادام الحكم فيها غير ديمقراطى . لان المندوبين عندئذ لا يمثلون الشعب بل يمثلون الامراء . فاذا الف برلمان اتحادى من الولايات البريطانية ومن الدول المستقلة فانه لا يمكن أن يكون ديمقراطيا . ولذلك يطلب غاندى والمؤتمر أولا وقبل كل شىء إيجاد برلمانات محلية لكل دولة مستقلة يكون الانتخاب فيها ديمقراطيا ويكون تمثيل الشعب فيها كاملا . ثم بعد ذلك يشرع فى ايجاد البرلمان الاتحادى . وهذا البرلمان يؤتمن عندئذ على سن القوانين التى تخدم الشعب الهندى

وليس من السهل أن يقبل الامراء هذا لانه يحرمهم من أن يكون لهم رأى فى توجيه سياسة رعاياهم أو فى تقييد حريتهم

وينص الدستور على ايجاد برلمان اتحادى لجميع الهند على النمط التالى :

١ — « مجلس الدولة » الذى يؤلف من ١٠٤ عضو من الدول المستقلة و١٥٦ عضو من الولايات الاحدى عشرة أى الهند البريطانية

٢ — « الجمعية الاتحادية » التى تؤلف من ١٢٥ عضو من الدول المستقلة و٢٥٠ عضو تنتخبهم برلمانات الولايات الاحدى عشرة

والاول هو بمثابة مجلس النواب والثانى بمثابة مجلس الشيوخ . ويطلب غاندى والمؤتمر قبل ايجاد هذا البرلمان ان الاعضاء الذين سيمثلون فيه الدول المستقلة يجب أن ينتخبوا انتخابا ديمقراطيا ولا يعينهم الامراء . ولكن هذا يستدعى بالطبع ايجاد برلمان ديمقراطى لكل من الدول المستقلة التى يبلغ عددها كما قلنا ٦٦٢ دولة . ولذلك فان هذا البرلمان ليس مشكلة قائمة بين الحكومة البريطانية وبين الهنود ولكن بين هؤلاء وبين الأمراء . ورويدا رويدا تتبلور الاتجاهات . فالشعب الهندى يحدث الآن الفتن فى بعض الدول المستقلة وأصبح الهنود بعد ثلاثة آلاف سنة من الخمود يجرأون على مجابهة السلطان القائم

تعليم اللغة العربية والشخصية

تهتم وزارة المعارف هذه الايام بدرس الطرق التى تؤدى الى زيادة الاتقان لتعليم اللغة العربية فى مدارسها . وقد اتجه التفكير فى هذا الموضوع منذ مدة اتجاها حسنا حين أخذ المعلمون يؤكدون قيمة الانشاء الكتابى والشفاهى والمحادثة بين المعلم والتلاميذ باللغة الفصحى ويرون أن هذه الممارسات اجدى على التلميذ فى تعلم اللغة من درس النحو والصرف . ولسنا نعنى انه يجب الغاء النحو والصرف. فان احدا لم يقل قط هذا القول . وانما نعنى ان الاولوية يجب أن تكون للانشاء والمحادثة

والذين يعالجون هذا الموضوع ينحصر تفكيرهم فى اتقان اللغة العربية لا اكثر . ولكنا نعتقد أن هناك غاية اخرى يمكن أن يتجه اليها التفكير هنا . وهو ان اتقان اللغة ينمى الشخصية وهو وسيلة للتفكير الدقيق. ذلك أن الشخصية التى كثيرا ما يتوقف عليها نجاح الفرد فى ميادين الاعمال وخاصة الحرة منها تحتاج الى قدرة خاصة على التعبير الحسن واختيار اللفظة اللائقة . وقد يؤدى الاهمال فى التعبير والاختيار للالفاظ وقت المشافهة الى ايجاد اثر سىء ينتهى الى عكس النجاح المنشود

ولذلك نعتقد ان معلم اللغة العربية يجب ان يكون معلما للشخصية . اى ليس عليه فقط ان يقوم السنة التلاميذ ويحرر عباراتهم من الخطأ بل عليه ان يعودهم الحديث البارع مع النغمة اللائقة والاشارة اللبقة والتقدير للفكاهة الذكية والمنطق المقنع والحوار المهذب . وقد يقال هنا وما شأن كل هذا فى اللغة ؟

والجواب ان الشأن كبير . فان اللغة وسيلة للتعامل يراد بها صحة الاداء وقوة الاقناع . وكل هذه الحركات التى نشير بتعليمها هى بعض الاداء وهى وسيلة إلى الاقناع . والفرد الذى يهمل بعض هذه الاشياء فى حديثه قد يحملنا على ان نتهمه بالسماجة وقد ننفر منه ونشيح عنه فلا يستطيع اقناعنا. واذا كان اللحن خطأ فى الفصاحة فان السماجة خطأ فى الرشاقة . والشاب أو الفتاة التى تتكلم العربية يجب ان تحسن التعبير باللسان وبغير اللسان وان تجعلنا نشعر من حديثها ان لها شخصية قوية محببة. فمعلم العربية اذن يجب ان يكون فى مدارسنا معلما للشخصية وألا يقتصر تعليمه للغه على شرح قواعد النحو والصرف والتطبيق والانشاء . بل يجب ان يتجه قبل كل شىء الى اتقان الحوار الفصيح

والقاء الخطب المنبرية . وهذا يحتاج الى تنظيم الجمعيات فى المدرسة . وهى يجب ان تكون جمعيات خاصة بعضها لدرس هواية ما ثقافية يمكن ان يجد فيها التلاميذ تعبيرا باليد أو باللسان

وهنا نحب ان نلقى شكا فى أذهان المفكرين وهو هل من المستطاع ان نعلم احدا اللغة بتعليمه اللغة فقط ؟ ليست اللغة الا طريقة للاداء لا اكثر ويجب ان نعلمها عن طريق مادة اخرى بل مواد اخر ؟ فان الغاية من تعلم اللغة ان نتحدث ونخطب وندرس بها . فسبيل ثقافتها والتوسع فيها انما يكون باتقان الحديث عن هذه الموضوعات والخطابة بها والدرس لها . وهذا المنطق يحملنا على أن نقول ان الطريقة المثلى لتعليم اللغة ان نجعل جميع المعلمين الذين يدرسون المواد المختلفة كالجغرافيا والتاريخ والكيمياء والطبيعيات والزولوجية والجيولوجية يتكلمون هذه اللغة فى فصاحة وبلاغة . وهذا عندنا هو كل شىء فى تعليم اللغة

فاذا شئنا ان نخص اللغة بمعلم فعندنا انه يجب ان يكون — كما قلنا — معلما للشخصية يؤلف الجمعيات فى المدرسة ويعود التلاميذ الخطابة ويفتح أذهانهم للادب العربى القديم والحديث ويبعث فيهم حب القراءة ويعودهم الكتابة للصحف واقتناء الكتب ونحو ذلك . واذا كانت وزارة المعارف تريد ان تشجع صغار تلاميذنا على درس اللغة فانها يمكنها ان تكل الى بعض معلميها تأليف الكتب الصغيرة لهم فى شتى الموضوعات من القصص الى العلوم مع الصور الزاهية والورق الجيد المغلف بالقماش . والصبى الذى يقرأ قبل العاشرة من عمره نحو خمسين كتابا صغيرا فى شؤون هذه الدنيا قد كفلت له حياة حافلة بالقراءة ورسخت فيه عادة الاطلاع التى لن يستطيع الاقلاع عنها . وهذا هو المطلوب

فرانك هاريس أديب بغى

لى صديق يرغب من وقت لآخر فى الاقتحام فى الظلام . وقد يخرج أحيانا بثمرة شهية وأحيانا بالعلقم . ففى باريس تطبع بعض المجلدات الانجليزية التى يمنع القانون الانجليزى او الامريكى من طبعها فى بريطانيا أو الولايات المتحدة وقد اشترى صديقى هذا أربعة مجلدات هى ذكريات لاديب

معروف يدعى فرانك هاريس . فقرأتها . وهى علقم زاعق

وفرانك هاريس اديب صحفى تغلب عليه النزعة الصحفية من حيث الرغبة فى الارجاف . وهو امريكى من حيث الاكبار لقيمة النجاح — أى نجاح . وقد ولد على ما يقول فى انجلترا وقضى صباه فيها ثم فر صبيا إلى الولايات المتحدة . وهناك تصعلك ثم احترف المحاماة ثم عاد الى اوربا حيث أخـذ يطلب الثقافة فى المانيا وفرنسا . وانتهى به المطاف الى لندن . وهناك اشتغل بالصحافة واصطنع الطريقة الارجافية التى لا تـكاد تخلو منها جريدة يومية الآن ثم حرر بعد ذلك مجلة اسبوعية تدعى مجلة السبت . وقد عاونه فى تحريرها برنارد شو وويلز وغيرهما من النجوم . وفى مدة الحرب الكبرى عاد الى الولايات المتحدة ولكن حكومتها أنكرت عليه رعويته الامريكية . وقبل نحو عشر سنوات أخرج ترجمة لبرنارد شو ثم اذاع هذه الذكريات فمنع تداولها فى كل الولايات المتحدة بعد أن عرضت فى المحكمة وقرر القاضى فى الحـكم انها لا تليق للنشر . وأغلب الظن أن المنع فى انجلترا كان بقرار من وزارة الداخلية ولم يكن بحكم محكمة

وقد قرأت هذه الذكريات وهى اربعة مجلدات ضخمة . وخرجت منها بنتيجة هى الاسف على إضاعة الوقت فيها والحسرة على أن الدعوة للحرية فى الادب قد تصل أحيانا الى ما يقرب من العهر . بل انى لاشعر أن هذا الكاتب هو بغى فى نفسه كما كان بغيا فى سيرته . واليك البيان:

ليس فى الشهوة الجنسية ولا فى الممارسة الجنسية أى عيب لانهما من الطبيعـة البشرية وكلتاهما تؤدى حاجة حيوية للفرد والجماعة بل عليها يقوم النظام البيولوجى للتناسل . ولكن أيضا ليس فى شهوة الطعام أى عيب لأنها هى الاخرى من الطبيعة البشرية . وليس فينا من يستطيع أن يترفع عن شهوة الطعام او عن الشهوة الجنسية او يقول باحتقارهما او كراهتهما . ولو فعل لا تهمناه بالمرض أو الشذوذ او حتى الجنون

ولـكن هذه الشهوات البدائية التى نشترك فيها والحيوان قد أبت انسانيتنا إلا أن نرتفـع بها ونتسامى الى افاق تجعلنا نلتذها ونستمتع بها على مستوى سام . فنحن لا نأكل لكى نشبع فقط . وقد أصبحت المائدة عند الجماعة المتمدنة مركزا لحلقة اجتماعية نتسامر حولها ونأتنس فيها ونجمع فيها بين الفن والفائدة . ولو أن أحدا منا دعى الى مأدبة ثم طلب اليه ان يصفها وكان على شىء ولو قليل

جدا من مبادىء الحضارة والثقافة لما عنى اقل العناية بوصف الرز والصلصة وكيف كان طعمها ومقدارهما وما كان فيها من توابل أو لحم . ولو فعل لاستهجنا ذوقه واتهمناه بالسماجة والفظاظة . ثم لو اخذ بعد ذلك يسهب فى شرح سائر الالوان التى اكل على هذا الاسلوب لطلبنا اليه ان يصمت أو تركناه آسفين على انه حيوان لايعرف غير النهم . وانما ننتظر من الرجل المثقف المتحضر حين نسأله عن المأدبة ان يشرح لنا ما سمعه من حديث شهى وما رأى من شخصيات بارزة وماذا كان فى هذه النكتة البارعة من مغزى وما الى ذلك . ونحن هنا لا نعدو ان نكون بشرا قد ارتفعنا على المستوى الحيوانى واننا نهتم للحديث والشخصية والنكتة اكثر مما نهتم للكرنب والبطاطس والرز . أو بكلمة اخرى نقول انه اذا كان الاصل فى المائدة هو الطعام ومتعة المعدة فان الغاية هى المؤانسة ومتعة الذهن والقلب وكذلك الشأن فى الشهوة الجنسية . فاننا قد ارتفعنا بها الى الحب هذا الحب الذى لا يكاد يعرفه الحيوان . وليس الحب هنا غريزة غشيمة منفردة مثل الشهوة الجنسية بل هو مجموعة من الغرائز يتألف منها ميل سيكلوجى عام . لاننا حين نحب نقدر فى شخص الذى نحبه جماله وسيرته معا ونفسيته العامة . نحب اخلاقه وتفكيره ومشيته وحديثه وشخصيته ونأتنس بحديثه عن آماله ونستنير بآرائه . فهو شريك وزميل . وأنا استطيع ان أقرأ قصة غرامية والتذها لهذا السبب لانها تروى لى وقائع انسانية اشترك فيها بعواطفى وذهنى واجد فيها مجالا للتأمل والعبرة . ولكن إذا كنت — كما قلت — لا أطيق من الكاتب أن يروى لى وصف الرز والصلصة ومقدار اللذة التى وجدها وهو يلتهمهما فانى أيضاً لا أطيق من الكاتب أن يصف لى الشهوة الجنسية عارية غشيمة لانى اشعر أن الشهوة إنما هى الوسيلة الى الحب . وهو اكبر منها وأروع وهو همى باعتبارى رجلا مثقفا متمدنا أحب فى المرأة تفكيرها واعجب بشخصيتها وأخلاقها كما أعجب بوسامة أعضائها

لهذا اقول ان فرنك هاريس عاهر بغى فانه يصف الممارسات الجنسية الخامة كما تقع بين كلب وكلبة أو حمار وحمارة . وقد يستطرف هذا الوصف لأول مرة ولكنه يستبشع ولا يطاق عند ما يتكرر وهذا هو ما يفعله فرانك هاريس . ومثل هذه الذكريات لهذا السبب لا يمكن أن تعد من الادب الذى يجب أن تكون له غاية انسانية تسمو بالقارىء . واذا كانت لهذا الكتاب أية قيمة فهى القيمة الاجتماعية فقط لانه يدلنا على حال ربما نجهلها

الفكريات المتناقضة

فى أوربا سياسات عامة تنهض على قواعد مذهبية . ولكل مذهب «فكريات» سائدة هى مجموعة من الاراء والعقائد فى الاقتصاديات والاجتماعيات . وهذه الفكريات تنمو رويدا رويدا بالعوامل الاقتصادية التى تتكون منها طبقات فكرية فى الاجتماع والاخلاق والفلسفة ثم ينعقد التكون مذهبا جديدا فى السياسة تسير به الدول وتقاتل من أجله الامم

فالنظام الاقتصادى فى القرن التاسع عشر قد أوجد مذهبين لكل منهما «فكرياته» أى المجموعة الفكرية التى يستند اليها ويزكى بها أغراضه السياسية . وهما مذهب الحربيين دعاة الحرية ومعاونة العمال. ومذهب المحافظين دعاة الجمود ومعاونة الممولين .. ثم احتد النزاع بينهما فبالغ كل منهما فى التعصب لآرائه وفكرياته حتى انتهى الحربيون بأن صاروا اشتراكيين وانتهى المحافظون بأن صاروا فاشيين

ويمكننا أن ننظر الى أوربا من حيث انها الآن معسكران . احدهما ينتسب الى الحربين ويدعو الى المبالغة فى الحرية . حرية التجارة وحرية المرأة وحرية الثقافة وحرية العامل ونحوها . وهذا المعسكر هو الذى يضم الامم الديمقراطية . والمعسكر الآخر هو الذى ينتسب الى المحافظين . وهو يدعو الى التقييد أو التحفظ فى التجارة والثقافة والعمل . فهى كلها مقيدة بقيود تختلف من الرقابة الى الاشراف الى التوجيه

وقد انتهت آراء الحربيين فى أقصى طرفها الى «الاتحاد السوفيتى» وانتهت آراء المحافظين فى أقصى طرفها الى الفاشية الايطالية أو النازية الالمانية . ولكل من هذين الفريقين «فكرياته» السائدة التى تنسجم والقواعد الاقتصادية الاولى التى نهض عليها المذهبان. ففى روسيا تنال المرأه أقصى حريتها وفى ألمانيا وايطاليا أقل الحرية . وفى روسيا قد زالت الوطنية الجغرافية وطنية العقار والارض وظهرت وطنية تكاد تكون فلسفية . فى حين قد اشتدت وطنية العقار والارض فى كل من ايطاليا والمانيا

ويمكن أن نقول أن النظام الاقتصادى — مالا وتجارة وصناعة الخ — وصل فى أيامنا الى مأزق . لان الازمات تكاد تكون طبيعية فيه . وهذه الازمات تعنى التعطل لجملة ملايين من أبنائه فى فى الامم الديمقراطية . ولاتستطيع طبقات المحافظين أن تنظر بعين الاطمئنان الى هذا التعطل . فهى

تفكر فى معالجته على الطريقة الفاشية التى تلائم فكرياتها . فى حين لا يطيق المعسكر الآخر المؤلف من ورثة الحريين ودعاة الديمقراطية هذا الحل . فهم يفكرون فى المذهب الاشتراكى ويودون لو يصلون اليه باقرب الوسائل

ان أوربا الآن تخشى دولتى المحور أى دولتى الفاشية والنازية اللتين ترثان مبادىء المحافظين وتبالغ فى ممارستها والوصول بها الى غايتها المنطقية . ولكنها تعرف أن فى عقر دارها فاشية مستكنة تكافح اشتراكية مستكنة هى وريثة مذهب الحريين . وبكلمة أخرى نقول أنه اذا كانت روسيا هى العدوة الرسمية لالمانيا فان فى كل أمة ديمقراطية حربا مصغرة مضمرة بين روسيا والمانيا هى حرب الحريين الذين انتهوا الى الاشتراكيه والمحافظين الذين انتهوا الى الفاشية

ويجب أن نذكر هذه الحرب المضمرة حين نرى هذا التلكؤ عند الانجليز وهم يحاولون ضم روسيا اليهم فى مقاومة الاعتداء الاوربى . فانهم لا يريدون أن يتوقوا شر العفاريت برعب الغيلان فان الاشتراكية التى تمارسها روسيا تخيفهم بمثل ما تخيفهم الفاشية الالمانية أو الايطالية . فهم يريدون أن يبقوا أمة ديمقراطية توجهها أحزاب الحريين والمحافظين والعمال بدون الغلو الذى انتهت اليه «فكريات» هذه الاحزاب فى روسيا والمانيا وايطاليا . ولكن هل هذا فى المستطاع وهل يجمد الزمن ويقف عن التطور ؟

الاخلاق والتربية

مقتبسات من الخطاب الذى القاه الدكتور تشارلس واطسون
التي فى الحفلة السنويه لتوزيع الاجازات العلمية للجامعة الامريكية بالقاهرة في الشهر الماضي

طالما وجه الى كثير من السائحين الامريكيين هذا السؤال ، « ما السبب الذى يدعو الطلاب الى الانتظام فى سلك جامعتكم ؟ »

فأجيبهم بان هنالك ثلاثة اسباب — أحدها الشغف بالروح العلمية والعملية معاً . فان عنايتنا بالتجارب العملية فى معاملنا الكاملة الدقيقة ، لا تقل أهمية عن محاضراتنا العلمية بين جدران الفصول . وثانيها الرغبة فى اتقان اللغة الانجليزية لانه من الطبيعى أن هذه اللغة تبلغ غاية الاتقان فى معهد تدرس أكثر المواد فيه باللغة الانجليزية ، هذا مع فائق عنايتنا بتدريس اللغة العربية

أما السبب الثالث فيرجع الى رغبة الآباء فى ارسال أبنائهم الى معهد يعنى أتم عناية بتهذيب الاخلاق

وسواء أصبنا هذه الاهداف الثلاثة وحققنا الرغبة فيها أم لم نصل بعد ، فان هذه هى اغراضنا ومرامينا التى نعمل جاهدين على تحقيقها ، وسأتحدث اليكم عن ثالث هذه الاسباب وهو ثمرة التربية فى تهذيب الاخلاق

اجمع الناس بغير استثناء على تمجيد الخلق الكريم . ومع ذلك دعونى أبين لحضراتكم عدة مواطن كان للاخلاق فيها فضل عظيم .

ليس من ينكر قيمة الاخلاق فى ميدان الأعمال . فمن عدة سنين خلت كان المرحوم جون مورجان المثرى الاميركى العظيم يؤدى شهادة أمام لجنة تحقيق برلمانية . فسئل عما تشترطه المصارف المالية فى الولايات المتحدة الأميريكية من الضمانات لاعطاء سلفيات منها ، فاجاب بان هنالك مسائل

فنية يجب اتخاذها ، بيد أن أخلاق طالبي السلفيـات لها الاعتبار الاول من هذه الاشتراطات . فاعترضته اللجنة قائلة « هل تعني بقولك هذا أنه اذا توافرت الضمانات المادية ، ولم يتوافر الخلق الكريم تمتنع المصارف عن اعطاء اسلفية ؟ وعلى النقيض من ذلك أتقرها إذا توافر الخلق وقل الضمان المادي اعتمادا على الخلق وحده ؟ » فأجاب مستر مورجان « بكل تأكيد . فان للأخلاق قيمتها وأثرها في ميادين الأعمال »

وقام الدكتور مان من مؤسسة كارنيجي مرة بدراسة أهم العوامـل التي تؤدي إلى النجاح في الاعمال الهندسية فاستفتى عددا كبيرا من المهندسين ، فوصل إليه خمسمائة وألف إجابة عن اسئلته ، منها ٤٢ في المائة تذكر كلمة الاخلاق كعامل أساسي في النجاح ، وإذا اضفنا الصفات الاخرى التي اشترطها المهندسون ، وهي لاتخرج في مجموعها عن دائرة الاخلاق وليس لها أي اتصال بالمعلومات الفنية التي يتلقاها الطالب في حجر الدراسة لارتفعت النسبة الى ٨٧ في المائة تؤكد أهمية الأخـلاق للنجاح في الاعمال الهندسية

إنني لا أشك لحظة في أنكم لو سألتم أحد رؤساء الشركات الكبرى في مدينة القاهرة عما يريد أن يتحراه عن طالب الالتحاق بشركته لصارحكم القول بأن الاخلاق هي أهم ما يتوق الى معرفته . وكما لا يغيب عن أذهانكم أنه كلما انخفض المستوى الخلقي عند موظفي أية شركة من الشركات ، كلما ازدادت تبعا لذلك أعباء التفتيش والرقابة . وأدى ذلك إلى زيادة النفقـات والجهود . من أجل ذلك يتسنى لنا أن نحكم بأن الاخلاق الفاضلة إذا تحلى بها الموظفون كانت عونا على الاقتصاد في نفقات الادارة . ونستنتج من ذلك إذن أن الاخلاق تزكي من يتحلى بها في ميادين الأعمال .

وقد أصبحت الاخلاق اليوم لشباب مصر الناشيء من الاهمية بمكان عظيم لما طرأ على تاريخ البلاد من التغيير الذي لم تصادفه من ذي قبل . فقد تعرض الشبان لظروف ذات أثر بالغ يتجه بعضها إلى الخير وبعضها إلى الشر .

ذلك لان انتشار التجارة وسهولة المواصلات وكثرة الاسفار وذيوع الصحافة والمذياع وتعدد دور الصور المتحركة كان من أثرها أن زادت اتصال الحيـاة بالعالم أجمع بما فيه من الاتجاهات المتباينة ، والافكار المختلفة . وأكثر من هذا فان نيل مصر استقلالها كان له أثره البالغ في نفوس

الشباب الذى يهم بالوثوب ليحلق فى سماء العالم حتى يتبوأ مكانته اللائقة به بين الشعوب المتمدينة .
لهذا يشعر الشباب الناشىء بان عليه واجبا يدعوه الى تلبية الدعوة فتراه ينبذ التقاليد القديمة ويتخطاها الى حرية جديدة فى التفكير والنظر إلى العادات الاجتماعية وحتى فى الاتجاهات الدينية . حقا انها لفترة محفوفة بالاشواك بل والمخاطر فليت شعرى أيصبح الشباب المصرى عرضة لكل ريح تهب وضحية لكل نوع من الدعاية التى تعصف بالبلاد سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية وما الى غير ذلك؟

ليس ثم من ضمان أعرفه يحول دون هذه المؤثرات الخادعة التى طغت على فتياتنا وفتياننا غير التمسك باهداب الاخلاق القويمة الفاضلة فانها الدرع المتين الذى ندرأ به خطر الحريات الجامحة التى يستبيحها شباب اليوم ، وانى لاثق وثوقا تاما بأن شباب مصر إذا تحلى بهذا الخلق الرصين ، فانه يحسن الانتفاع بحرياته ولا يسيء استعمالها . فينتقى ويختار الدر ويترك الاصداف من بحر زاخر بآراء وأفكار وتجارب ومذاهب فلسفية جديدة مما ابتكرته ثقافة الجيل الحاضر .

وإذ تحدثنا عن الزعامة القومية فى مصر . فانى أعتقد أن الاخلاق هى أهم عنصر تتطلبه هذه الزعامة . واليكم مثلا من تاريخ بلادى : ها كم لنكلن رجلا غير متأنق فى ملبسه ، أقرب الى الخشونة فى منظره ؛ غير محنك فى اساليب السياسة وخداعها ، صريحا لا يعرف المواربة ، إلا أنه كان على خلق عظيم . فأولاه الشعب ثقته . وكان نقى الصحيفة ، طاهر الذيل فى ميوله واتجاهاته فلم يؤخذ بجريرة غش أو خداع طول حياته . فهل من عجب أن نرى رجلا كهذا يقود شعبا عظيما وسط أعاصير وعواصف كادت تودى بوحدة الامة بل بكيانها فيصل سالما إلى بر النجاة؟

وانى أضرب مثلا آخر عن أهمية الاخلاق الشخصية فى الحياة القومية . كان إلفان فولر يشغل منصب مساعد محافظ ولاية ماسوشتس وهى من اكبر ولايات أميركا المتحدة . وبعد أن لبث فى منصبه هذا أربع سنين أنتخب محافظا لهذه الولاية ثم أعيد انتخابه بعد انتهاء دورته مرة ثانية ، وكان بحكم مركزه هدفا لحملات النقد الشديدة . فكيف استطاع اذن أن ينهض باعباء عمله على أحسن وجه طيلة هذه السنوات الشاقة؟

لقد كانت نزاهته وأمانته وقوة أخلاقه الشخصية أكبر عون له على النجاح . أتريدون إيضاحا؟

هاكم صفحة من تاريخ حياته -- كان فولر فى السابعة عشر من عمره بطل ولايته فى سباق الدراجات وحدث مرة أنه حين كان يسابق منافسه أن وصل الاثنان إلى هدف السباق متقاربين حتى شق على الجمهور معرفة الفائز منهما . وبعد أن تداول الحكام قليلا قر رأيهم على فوز فولر وأعلنوا النتيجة للجمهور ولكن سرعان ما وثب فولر إلى منصة الحكام واخذ يجادلهم ويناقشهم ، وإذا بالحكام يعدلون عن قرارهم الاول ويعلنون فوز منافسه . وقد ذاع فيما بعد أن فولر أفضى إلى الحكام بانه عند ما وصل إلى نهاية الشوط حانت منه التفاتة إلى مقدم دراجته ودراجة منافسه وقد كانتا متلاصقتين فابصر الطرف الامامى لدراجة منافسه يمس الهدف قبل مقدم دراجته هو . فهل ندهش بعد ذلك إذا قلنا أن أخلاقه ونزاهته كانتا أكبر عون له فى حياته العامة ؟

ومع ذلك فانى لا أريد أن أهبط بقيمة الاخلاق فاجعل مقياسها ما تحققه من كسب اقتصادى أو سياسى . إذ ليس فينا هاهنا من لا يؤمن بقيمة الناحية الروحية الادبية ، ومن لا يعتقد أن الاخلاق هى أسماها وأعظمها أهمية للانسان .

إذا انتهت الحياة هل ناخذ معنا ما تملك من متاع ومال ومركز اجتماعى الى العالم الآخر ؟ لما حانت وفاة اسكندر الاكبر أمر بان تخرج يداه من الكفن لترى الجماهير الحاشدة ان قاهر العالم لم يأخذ من دنياه شيئا . ولكن مهلا فان هناك أمرا يستطيع كل انسان أن يأخذه معه بل حتما عليه ان يدخره لآخرته ، واعنى به الاخلاق ، وأنى أستشهد لكم على ذلك بما جاء فى الكتب المسيحية المقدسة « العالم يمضى وشهواته . وأما الذى يصنع مشيئته الله فيثبت الى الأبد » كذلك بما جاء فى القرآن الكريم « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وأيضا بالبوذية التى تقول « كل ما يجمعه المرء من جواهر وذهب يتركه عند موته ، أما العمل الصالح الذى يعمله فيثبت ولا يفارقه إلا الابد »

أليس فى ما قدمنا أوضح دليل يثبت ما للاخلاق من رفيع القدر ، عظيم المنزلة ؟ وهنا نسائل أنفسنا « هل يتسنى تهذيب الاخلاق ؟ هل تستطيع التربية تعهد الخلق بالنماء ؟ وهل التربية الخلقية من واجبات المدرسة ؟ نحن فى امريكا نعتقد أنه يمكن تهذيب الاخلاق ، ونؤمن بان هذا التهذيب من أهم الواجبات التى يجب على المدرسة ان تؤديها . نحن لا ننكر أن للمنزل أهمية عظمى تفوق ما للمدرسة ، وأن للابوين أثرا أبلغ من أثر المدرس فى هذه الناحية

ومع ذلك نستطيع أن نضع المدرسة فى المرتبة الثانية بعد المنزل. والمدرس بعد الوالدين مباشرة فى تهذيب أخلاق النشء ، حتى إذا قصر الآباء والأمهات فى واجباتهم نحو أطفالهم يقع العبء كله على المدرسة فى إصلاح ماقصر فيه الآباء لايعزب عن حضراتكم مايؤثر عن المدارس الانجليزية الخصوصية الشهيرة مثل إيتون ورجبى وهارو التى تعرفونها خير معرفة — أنظروا كيف تطبع طلابها بطابعها الخاص . ألا يدلنا ذلك على أهمية الحياة المدرسية ومدى تأثيرها فى حياة النشء؟ ولدينا فى أميركا مدارس لها هذه المنزلة . غير أن هنالك أمماً لا ترى هذا الرأى فى وظيفة التربية بل تعتقد أن المدرسة ليست الا مكتبا للاستعلامات . لذلك لم تعر طلابها أى أهتمام من الناحية الادبية والتهذيبية ولاتهتم بحياة الأساتذة فيها . أذكر حادثة وقعت أيام دراستى بالكلية . كان أستاذنا الألمانى يشكو ازدحام الجامعة بمساكن الطلبة . فقال ذات يوم « إنه ليعرونى الخجل إذا زارنى صديق من ألمانيا وسألنى ما هذا البناء ؟ فأجيبه أنه مسكن للطلبة ، ثم يشير الى بناء آخر سائلا وهذا البناء ؟ فأجيبه جوابى الاول . ويشير الى ثالث والى رابع دواليك : فأجيبه نفس الجواب فتتولاه الدهشة ، ويقول : إذن هذه ليست جامعة ؟ أليس عندكم شىء سوى منازل الطلبة » ؟ ! إن سبب خجل هذا الاستاذ الالمانى هو فى الواقع مفخرة للجامعة . أعنى بذلك أنها لم تقصر عنايتها على العمل المدرسى ولكنها تعنى بحياة التلاميذ أيضا ، اذ هى بتنظيم حياة طلابها ترفع مستوى المؤثرات فى التكوين الخلقى .

اذا أردنا أن نشير بالتفصيل الى الطرق التى تستخدم فى تهذيب الاخلاق فانا نذكر فى مقدمتها أولاً الاهتمام بالمثل العليا .

لكل مدرسة جوها الخاص الذى فيه يتنفس الطلبة ففى مدرسة ما مثلا نجد الغش موضع احتقار وفى أخرى قد يكون مدعاة للتفكهه . وفى بعض المدارس تؤدى الالعاب الرياضية بأمانة وتسودها الروح الرياضية السامية وفى الاخرى يكون هدفها الوحيد الفوز ان لم يكن بوسائل عادلة مشرفة فبنقيضها ونجد أن الكذب فى مدرسة ما قد يكون سببا فى القضاء على الشرف الشخصى ، ولكنه قدلا يكون عيباً يذكر فى مدرسة غيرها . والطالب يتلون بصبغة المعهد الذى ينتمى اليه دون قصد منه . فالمعهد الذى يحرص على المثل العليا ويتمسك بها يشرب طلبته هذه الروح السامية — ولولم يستمع الطالب

كلمة عنها — وينطبع فى الغالب بطابعها الادبى والثقافى . فترى الطالب يمتنع عن عمل أمور خاصة لا لأن هناك قانونا يحرمهـــا ولا خشية عقاب يصيبه ، ولكن لأن مثل هذه الامور لا تتفق وبيئة المدرسة . حقا ان أثر المثل العليا هو العامل الاول فى تكوين الاخلاق

ثانيا — وثمة عامل آخر فى تكوين الاخلاق وأعنى به ايجاد الفرصة لتطبيق هذه المثل العليا . وقد أبدى الفيلسوف العلامة جيمس أستاذ علم النفس ملاحظة على ذلك فقال « ان تكوين العزيمة الصادقة والطموح الى هذه المثل لا يتحقق بمجرد التفكير فيها ولكن بالتنفيذ ، فعلينا أن ننتهز الفرصة كلما سنحت ، اذا أردنا تحقيق هذه المثل . » وعلى ذلك فان تثبيت الاخلاق يستدعى العمل على دعمها

اذا اشترك فريق كرة القدم فى مباراة وكانت تسود ألعابه روح الانصاف والأمانة فانه حتى اذا خسر المباراة لاشك أن الامانة تنمو فى أفراده وتهذب أخلاقهم أكثر مما لو استمعوا الى أحاديث طويلة عن الامانة ، وذلك الطالب النابه الذى لا يأبى أخذ دور غير هام فى رواية تمثيليـة مدفوعا برغبته فى نجـاح الرواية ينمى صفة الاخلاص فى أخلاقه أكـثر ممـا لو قرأ عشرين موضوعا عن الاخلاص . ان الاخلاق تتهذب على أساس العمل ولهذا السبب نحن نعنى بمنهاج واسع للنشاط المدرسى

ثالثا — ونعتقد ان هنالك وسيلة هامة تؤدى الى كسب الاخلاق وانتقالها بالتأثير من شخص الى آخر وهى الصداقة — لاحظت فى كثير من المعاهد العلمية فاصلا كبيرا يفصل بين الاساتذة وطلبتهم . ترجع هذه القطيعة الى أسباب كثيرة منوعة أولها الكبرياء المصطنع من جانب المدرس وخوف الطالب وشعوره بالضعة ، والايمان بذلك الرأى التقليدى الذى يحتم الفصـــل بين المدرس وطلبته ، وعدم المبالاة بالتلميذ ومشاكله على أنه مهما يكن السبب فان هذا التباعد يحول دون تأثير المدرس فى حياة التلميذ وأخلاقه ولئن نجح فى تعليمه المواد الدراسية وملأ دماغه بمعلومات الكتب فلن يتسنى له أن يؤثر فى أخلاقه . ما أعظم الفرق اذا كانت الصداقة هى الصلة بينهما . فالصداقة تستطيع أن تفتح أبواب قلب الطالب المغلقة فيتسنى للمدرس أن يغرس فيه أسمى وأرقى المثل العليا للحياة

عواقب الحرب القادمة

وهل يعقبها تقرير مبادىء جديدة لصيانة السلم ومعالجة لمشكلات العالم

على الرغم من التصريحات السياسية التى أصبحت مقتضبة نارية كأنها طلقات المسدس وعلى الرغم من الاخبار الكثيرة التى تعمم التوجس وتثير الشبه فى انحاء أوربا بل حتى على الرغم من اكتساح ايطاليا لالبانيا ووقوف جيوشها موقف الترصد عند حدود اليونان ويوغوسلافيا لا يزال هناك من يعتقد أن الدول الديمقراطية قد رضيت التضحية بالبانيا لصون السلام . ومنطق القائلين هذا القول يشير الى الصواريخ التى أطلقها موسولينى فى خطب متوالية بشأن تونس وقناة السويس وجيبوتى . فكأن احتلاله لالبانيا هو العوض وهو ثمن سكوته القادم. وسوف ترينا الايام القادمة قيمة هذا النظر الذى يجب ألا ننتقصه

ولكن على فرض أن الحرب واقعة لا محالة فكيف تكون وما هى عواقبها ؟

يرى بعضهم أن دولتى المحور مع اليابان واسبانيا ستكون لهن الغلبة فى الصدمات الاولى وذلك للاستعداد الحربى العظيم الذى مضت السنوات وهن يعملن له . وربما تظهر أسرار جديدة لا يدريها أحد . فقد دخلت الدول الاوربية الحرب سنة ١٩١٤ وهن لا يعرفن الدبابات أو الغازات ولم تكن واحدة فيهن تؤمن الايمان الكبير بالطائرات

فلما كانت نهاية الحرب كان لهذه الاسلحة الثلاثة الشأن الاول الذى لا تزال تحتفظ به . وما أدرانا أن هناك أسلحة اخرى مخبأة للمصادمات القادمة ؟

ولكن ازاء هذا الاستعداد للهجوم قد هيئت المعدات للدفاع . فان بريطانيا بعد أربع سنوات من الحرب الكبرى عرفت كيف تكافح الغواصات . ووسائل الدفاع ضد الغازات والطائرات قد

كثرت الآن وتعددت . ولابد أن هناك أسراراً أخرى مخبأة للدفاع ازاء ماسوف يظهر من معدات الهجوم

وأغلب الظن ان الولايات المتحدة الامريكية لن تتأخر سوى أيام أو أسابيع عن الاشتراك فى الحرب القادمة وستكون بالطبع فى صف الدول الديمقراطية . واشتراكها سيقرر فى النهاية الانتصار للدول الديمقراطية . ولكن هذا الانتصار لن يكون حاسما كما كان الانتصار فى سنة ١٩١٩ . وذلك لأسباب اولها أن دولتى المحور ستكتسحان الاقطار الصغيرة التى حولها مثل سويسرا وهولندا ودنمركا وبلجيكا ويوغوسلافيا ورومانيا . وموارد هذه الاقطار ليست صغيرة . ثم هناك ضمان انحياز اليابان واسبانيا للمحور وهما لايستهان بهما

غير أن موارد الامم الديمقراطية — كما قلنا — لاحد لها . فان الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة تملكان وحدهما — بدون حساب فرنسا — أكثر مما يملك سائر العالم من الموارد الغذائية والحربية . فاذا أضفنا الى هذه الدول روسيا فان دولتى المحور ستجدان البقاء على الحرب مدة طويلة شاقا جدا . ولكن الجوع الذى كابدته المانيا من الحصار البريطانى فى الحرب الماضية لن يعود لأن استعدادها — وكذلك استعداد ايطاليا — فاق كل ما كانت تنتظره هاتان الدولتان. ولذلك ليس بعيدا انه بعد مضى ستة اشهر أو عام من الحرب يقف الفريقان موقف التعادل لا انتصار ولاهزيمة من الناحية الحربية . وان كان الانتصار الاقتصادى سيكون من حظ الفريق الديمقراطى لأن اقطار العالم الاخرى ستكون بفضل الاسطولين البريطانى والامريكى فى ايديهما . وهذه الحال قد تضطر دولتى المحور واسبانيا واليابان الى الصلح أو قد لاتضطرها

ويرى فريق من الساسة أن من مصلحة العالم كله ألا يكون هناك أضطرار وألا تكون هناك هزيمة قاطعة لاحد الفريقين . لان مثل هذه الهزيمة تجرىء الظافر على أن يفرض شروطا قاسية كما حدث فى معاهدة فرساى . ثم يكون القهر على التنفيذ فالاحقاد والغضب المحتقن . ثم يكون الانفجار بظهور رجل مثل هتلر أو موسولينى . ويعود تمثيل الدرامة من جديد

أما اذا كان الصلح عن اختيار وعن حسبان معقول ونظر منطقى لسير الحوادث المستقبلة ولو الى مدى ثلاثين أو اربعين سنة فان الاغلب أنه سيكون صلحا معقولا بعيدا عن الشطط الذى رأيناه

فى معاهدة فرساى . وعندئذ نرى تقريرا لمبادىء جديدة يحتاج اليها العالم ليس لصيانة سلمه فقط بل أيضا لرقيه ومعالجة مشكلاته الاجتماعيــة والاقتصادية التى هى فى النهاية اسباب للمشكلات الحربية. فليس بعيدا مثلا ان تتحقق فــكرة المسيو بريان فى ايجاد « الولايات المتحدة الاوربية » على النسق الامريــكى . وليس بعيدا أن تسترد عصبة الامم عافيتها وتعود الى سابق نشاطها فى السنوات الخمس التى تلت الحرب الــكبرى . وليس بعيدا أن تتفق الامم على مراعاة بعض المبادىء التى تعد الآن من المسائل الخاصة مثل مسألة اليهود او مسألة العمال او المواد الخامة . فان كل أمة تعد نفسها حرة فى هذه المشكلات مع انها جميعها تنشأ خاصة ثم تنتهى بان تصير مشكلات عامة

* * *

واذا كانت أوربا تغلى الآن بالاستعدادات الحربية واذا كانت نفوس أبنائها تتفزز هلعا من همهمة البركان الذى يوشك ان ينفجر من تحت اقدامهم فان فى بعض زواياها — وهى زوايا بارزة — اختماراً ليست له حرارة الغليان ولــكنه مع ذلك يحتوى على جراثيم الحياة المستقبلة . وهذا الاختمار يحاول ان يجمع فى ادغام جديد بين العقائد القديمة والثقافة الجديدة لايجاد دستور ذهنى يسترشد به أبناء القرن العشرين من الاوربين ويتسلحون به فى السياسة والاجتماع والاقتصاد بل أيضا فى الآداب والعلوم . وقد نستطيع أن نسمى هذا الادغام بانه « بشرية » جديدة تنهض على أساس البشرية التى شاعت أيام النهضة الاوربية ولــكنها تسمو عليها بسمو التوسع والتعقد والشمول معا لانهــا ستشمل جميع نواحى النشاط الانسانى

وناحية من هذا الاختمار نراها واضحة فى أيامنا هى ناحيــة التدبير للتضامن البشرى فى ايجاد هيئة عالميــــة يكون لها السلطان فى تقرير المصلحة العالمية فوق مصلحة الدولة . وقد يقال ان عصبة الامم التى كانت ثمرة هذا التدبير قد خابت وأوشكت على الموت . ولاشك فى صدق هذا القول . ولــكن هذه العصبة هى طور ابتدائى من أطوار هــذا الاختمار . بل نستطيع ان نقول ان الصراع القائم الآن بين الحــكومات الديمقراطيــة والحكومات الديكتاتورية هو فى أساسه — او على الاقل فى بعض أسسه — صراع بين سيادة الدولة وبين سيادة العصبة . بل نزيد على ذلك بان نقول انه اذا نشبت حرب جديدة فان الصلح مهما تكن شروطه سيكون أهم مافيه ايجاد نظام جديد لتسوية

الخلافات بين الدول بغير الحرب . أى بانشاء عصبة جديدة تكون لها القوة والحق فى الفصل فى هذه الخلافات . وأينما اتجه الانسان يجد هذا الاختمار يزداد حيوية وقوة بهذا الخوف العام من الحرب . كما يجد الشعور بالفوضى القائمه بين الدول وتعقد المشكلات الاقتصادية التى تحتاج الى الحل العاجل مثل المستعمرات والاقليات والمواد الخامة والمكوس الجمركية والاسواق العالمية ونحو ذلك

وتزداد الرغبة فى ايجاد حكومة أو عصبة عالمية للتطور المطرد فى زيادة الروابط بين الامم . فان البخار جعل الدنيا أصغر مما كانت من حيث المساحة . وساعد الطيران على ذلك أيضا . ثم جاء الاتصال الكهربائى فجعلنا من حيث لا نشعر كأننا أمة واحدة بالراديوفون والسيماتوغراف ، لنا أزياء بل أذواق موحدة فى طرق العيش ، ثم ارتبطت الاقطار النائية بروابط اقتصادية لا غنى للحياة الحديثة عنها . والى جنب هذه العوامل الايجابية هناك العامل السلبى وهو هذا الخوف من الحرب الذى ينحدر اليه العالم اذا لم يقبل الخضوع لنظام حكومى عالمى

وقد يظن القارىء أننا نستسلم للخيال فى هذا الامل وخاصة للتدهور الذى أصاب عصبة الامم ولكن العصبة لم تكن كل شىء فى هذا الاختمار الذى يسود أذهان المثقفين فى جميع أنحاء العالم المتمدن ونستطيع أن نعدد فيما يلى بعض المحاولات التى تنسجم مع الفكرة عن عصبة الامم حتى يتضح منها للقارىء ان الاتجاه نحو العالمية ليس اختياريا بل حتميا

١ — ففى سنة ١٨١٥ عقب انهزام نابليون ونفيه ألف «الحلف المقدس» من روسيا وبروسيا والنمسا والمجر لمنع الحروب . ونص فى المادة الثانية منه — كما نص فى المادة الثانية أيضا من ميثاق عصبة الامم — على أن الدول الاخرى يمكنها أن تشترك اذا تعهدت بالضمانات الواردة فى الحلف

٢ — بعد ذلك أنشئت جائزة نوبل لمكافأة كل انسان يخدم العلوم أو الاداب أو السلم العام بغير نظر لرعويته

٣ — عقد بين الدول اتفاق الصليب الاحمر لمعاملة الجرحى سنة ١٨٦٤

٤ — انشىء المعهد الزراعى فى رومة لخدمة العالم كله (وفيه الان موظف مصرى)

٥ — انشىء المعهد الصحى فى باريس سنة ١٩٠٧ لخدمة العالم كله فى الاوبئة والوافدات

٦ — فى اوربا الان هيئة تشترك فيها جميع الدول لتنظيف المحيط الاطلنطى من الثلاجات وابلاغ

البواخر والسفن عنها بصرف النظر عن رعويتها . فهى بوليس بحرى عالمى لمكافحة الثلاجات

٧ — عصبة الامم اسست سنة ١٩١٩

٨ — ونستطيع أن نذكر نجاح الاتفاق البريدى بين جميع الامم : فان الخطاب الذى تلقيه فى القاهرة يجب أن يحافظ عليه البوليس فى القارات الخمس ويرده اليك اذا لم يجد الشخص الذى أرسلته اليه . وهذا الاتفاق هو فى الحقيقة معجزة فى التنظيم العالمى . ولكننا لا نشعر بها لالفتنا له

فهنا يرى القارىء ثمانية أنظمة عالمية أى يراد بها خدمة العالم بصرف النظر عن الدولة وهى كلها ناجحة باستثناء العصبة التى نعدها خائبة لاننا نطلب منها أكثر جدا مما تتيح لها الوسائل التى فى يديها ولا نذكر هنا سعى ه. ج. ولز فى ايجاد حكومة عالمية وموسوعة تترجم الى جميع العلوم ولا سعى هنريك اندرسون فى انشاء مدينة عالميه تقوم بها «جمعية ضمير العالم» لان هذا التفكير البذرى الذى يغذوه الروح البشرى سوف ينتهى الى مشروعات يكون منها القضاء على الحواجز والفواصل ليس بين الدولة والدولة ، ولكن قبل كل شىء بين الانسان والانسان بايجاد نزعات جديدة توجه العالم نحو الرقى العام

النفق

تتحدث الصحف الانجليزية هذه الايام كثيرا عن حفر النفق بين فرنسا وبريطانيا تحت مضيق المانش . وقد عرض هذا الاقتراح مرات ولكنه كان يرفض من ناحية الانجليز . أما الان فان الرغبة فى حفره كبيرة اذ هو يعود وسيلة مأمونة لنقل الجنود الانجليزية الى فرنسا عند نشوب الحرب والنفق سيحفر فى صخر طباشيرى يبعد عن الماء بنحو ٩٥ قدما ولن تزيد تكاليفه على ٢٠ مليون جنيه . ولن تصل اليه غواصات العدو أو طائراته . ثم هو سيتسع لسير الاتومبيل والقطار وقت السلم



صبى جزار فى لندن

قوس قزح

للاستاذ رزق الله مخله

يصف أحـد الشعراء الانجليز قوس قزح بانه مزيج من ابتسامة السماء ودموع السحب ! واني أرى فى هذه العبارة العجيبة روح الخيال تتجسم فتجمع بين جلال الشعر وجماله وبين التفسير العلمى الجاف فى غير خطـأ ولا تعثر . ذلك لان التفسير العلمى لهـذه الظاهرة لا يخرج كثيرا عن تفسير الشاعر لها وإن خلا من نعومة الشعر وعذوبته . وأشعة الشمس التى ترسلها الينا اذا ما قابلتها فى طريقها قطرات ماء دقيقة كان نتيجـة ذلك أن الاشعة تتحلـل الى أضواء مختلفة الالوان مرتبة كما نراها فى قوس قزح تبدأ من الخارج بالاحمر يليه البرتقالى فالاصفر فالاخضر فالنيلى ثم الازرق محدودا من الداخل بقوس بنفسجى . هذه الالوان هى ما نسميها بألوان الطيف السبعة

والآن هل فى مقدورنا أن نكون قوس قزح صناعى ؟ وللاجابة على هذا السؤال أقول نعم فاذا ما اتينا بمصباح كهربائى نستعمله كمصدر للضوء ووضعنا أمامه كرة من الزجاج الخفيف مملوءة بالمـاء لـكى تمثل قطرة مطر كبيرة فاننا نرى ضوء المصباح الابيض وقـد تحلل الى طيف يشبه تماما قوس قزح بالوانه السبعة : وهذا هو دليلنا على أن قوس, قزح انمـا ينشأ من تحليـل ضوء الشمس الابيض بواسطة قطرات المطر . وهو فى نفس الوقت دليل على أن ضوء الشمس الابيض مركب من ألوان مختلفة

وكما أمكن تحليل الضوء الابيض الى الوانه السبعة كذلك يمكن تكوين اللون الابيض من الوان الطيف السبعة . فاذا أتينا بقرص دائرى من الورق المقوى وصبغنا عليه ألوان الطيف بشكل قطاعات ثم جعلناه يدور بسرعة على محوره فاننا نراه أبيض اللون ذلك لان العين فى هذه الحالة لا يمكنها أن تميز بين كل لون على حده بل تؤثر عليها الوان الطيف مجتمعة فتختلط على النظر ويراها بيضاء اللون

ويجدر بى الآن أن أبين الفارق بين الضوء الاحمر كالضوء المنبعث من جمرة متوهجة وبين الصبغة الحمراء وهو لون الطربوش مثلا . فلو أن الطربوش نراه أحمر اللون فى ضوء الشمس الا أنه اذا ما عرض لاشعة خضراء أو زرقاء أو بنفسجية فاننا نراه اسود اللون . ذلك لان ضوء الشمس اذا ما سقط عليه يمتص منه كل الوان الطيف ما عدا اللون الاحمر الذى يعكسه الى أعيننا لنراه . واما اذا سقط عليه أى ضوء آخر من لون غير لونه فانه يمتصه ولا يعكس منه شيئا ولذلك يظهر اسود اللون

ليست الوان الطيف السبعة هى كل الاضواء التى يتحلل اليها الضوء الابيض ولكن هناك أضواء أخرى تقصر العين عن الاحساس بها فيمتد من ناحية الاحمر الضوء تحت الاحمر . ويمتد من ناحية البنفسجى الضوء فوق البنفسجى وقد يعترض البعض على تسمية هذه الاشعاعات ضوءا مع أننا لا نراها ولا نميزها بالعين . والجواب على ذلك ان هذه الاشعاعات لها خواص الضوء الطبيعية المميزة لذلك لامانع من اعتبارها ضوءا وبما انها تتفق مع الضوء المرئى فى خواصه الطبيعية فعدم رؤيتنا اياها ان دل على شىء فانما يدل على أن اعيننا ليست من الحساسية بحيث تتأثر لهذه الاضواء

تصل الينا الاشعة فوق البنفسجية من الشمس والكمية التى نستقبلها منها تتوقف على مقدار رطوبة الجو وبعض عوامل جوية أخرى كذرات التراب مثلا ، ويمكن تحضيرها فى المعامل اما بامرار شرارة كهربائية بين عمودين من الحديد وإما باستعمال المصباح الزئبقى ، ولعل أغلبنا شاهد عمال شركة الترام وهم يولدون شرارة كهربائية يستخدمون حرارتها فى احداث الالتحام بين القضبان الحديدية . إن الضوء المنبعث من هذه الشرارة الكهربائية يبلغ من الشدة حدا تتأذى منه الابصار نظرا لاحتوائه على الاشعة فوق البنفسجية ، ولما كان من خواص هذه الاشعة أن الزجاج العادى يمتصها فلا تنفذ خلاله لذلك كان من الحكمة أن نضع على أعيننا عوينات زجاجية سوداء تحميها من تأثير هذه الاشعة ومن وهج الضوء

وللاشعة فوق البنفسجية تأثير فعال فى التفاعلات الكيميائية وأهم تأثير ظاهر لنا هو تأثيرها الفوتوغرافى . ومنذ زمن طويل اكتشف تأثير هذه الاشعة على بعض أملاح الفضة ومن هنا نشأت فكرة التصوير الشمسى . فان الطبقة الجلاتينية للشريط الحساس وأقصد به الفيلم الفوتوغرافى تحتوى على ملح من أملاح الفضة حساس لهذه الاشعة . فاذا ما تكونت صورة شخص مثلا على الشريط

الحساس حجبت الصورة هذه الأشعة عنه فلا تؤثر إلا فى الجزء الذى سقطت عليه وبعد تثبيت الصورة تظهر لنا صورة الشخص المعرض ولكى نثبت أن المؤثر الفعال فى التصوير الشمسى هو الاشعة فوق البنفسجية نعرض شريطاً حساسا لاجزاء الطيف كلها فنجد أن الجزء الذى يلغ فيه التأثير حده الاعلى هو الجزء الذى كان معرضا للمنطقة فوق البنفسجية . ولذلك نجد عادة أن الغرف المعدة للتثبيت والطبع الفوتوغرافى تضاء بنور أحمر وذلك لانه لا يؤثر على الشريط الحساس

ويستعمل الطب الحديث هذه الاشعة فى علاج كثير من الامراض كالسل مثلا . وإنى أصف الآن تجربة أجراها أحدهم على نفسه ليعرف تأثير هـــذه الاشعه على الجلد وعلى حالة الجسم العامة . فعرض جسمه لأشعة فوق بنفسجية قوية لمدة نصف ساعه . فبعد ثلاث دقائق شعر بدفء فى جسمه أخـــذ يزداد رويداً رويدا حتى أحمر فى مدى ثلاث ساعات وبعد ثلاثة أيام زال الاحمرار ولـكن أصبحت الطبقة الخارجية من الجلد جافة وأخذت تتقشر فى مدة أسبوع وتغيرت بطبقة أخرى سمراء اللون . وبعد الجرعة مباشرة وبعدها بعدة أيام كان يشعر بانتعاش فى جسمه وزيادة فى نشاطه

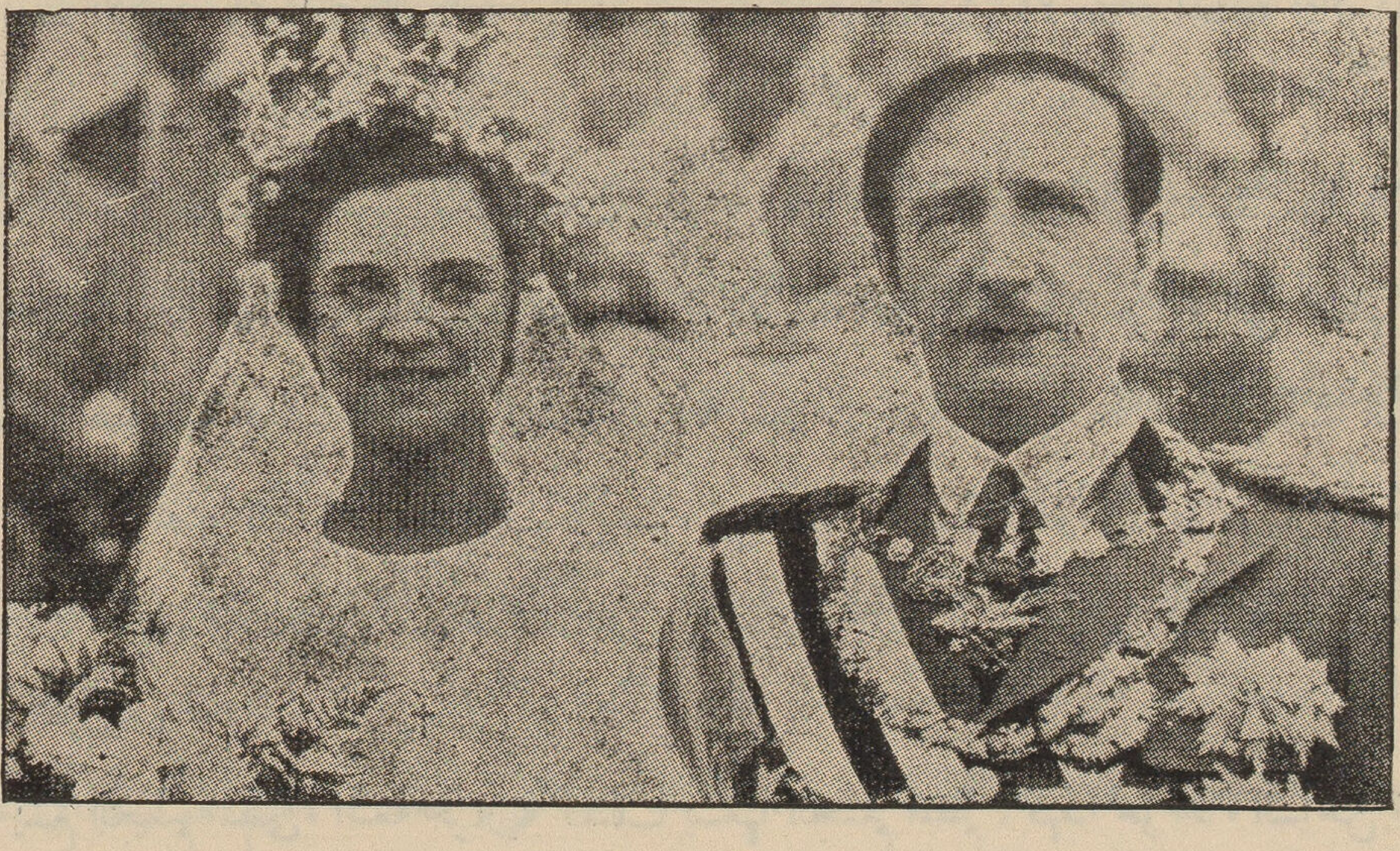
ولا أنسى أن أذكر الآن استعمال هذه الأشعة فى الكشف عن الالماس الحقيقى . فاذا ما عرض الألماس لتأثير هذه الاشعة فانه يحدث وميضا خاصا به وبذلك يمكننا أن نفرق بين الألماس والزجاج وتستعمل هذه الاشعة كثيرا فى الصناعة فيها يمكن اختبار قوة احتمال الأصباغ المختلفة لتأثير أشعة الشمس

والآن أنتقل للكلام عن الأشعة تحت الحمراء . فاذا أسمينا الأشعة فوق البنفسجية بالاشعة الـكيميائية يجـدر بنا أن نسمى الأشعة تحت الحمراء بالأشعة الحرارية فان الحرارة التى تحملها الينا أشعه الشمس تصل الينا بواسطة هـذه الاشعة ولو أنه تشاركها فيها الاشعة الحمراء . ويمكننا التأكد من ذلك عمليا بان تختبر التأثير الحرارى لـكل ضوء من أضواء الطيف . فلو أتينا بترمومتر وعرضناه لمناطق الطيف المختلفة وجدنا أن أشد هذه المناطق من حيث التأثير الحرارى هى المنطقة دون الحمراء التى تميزها العين

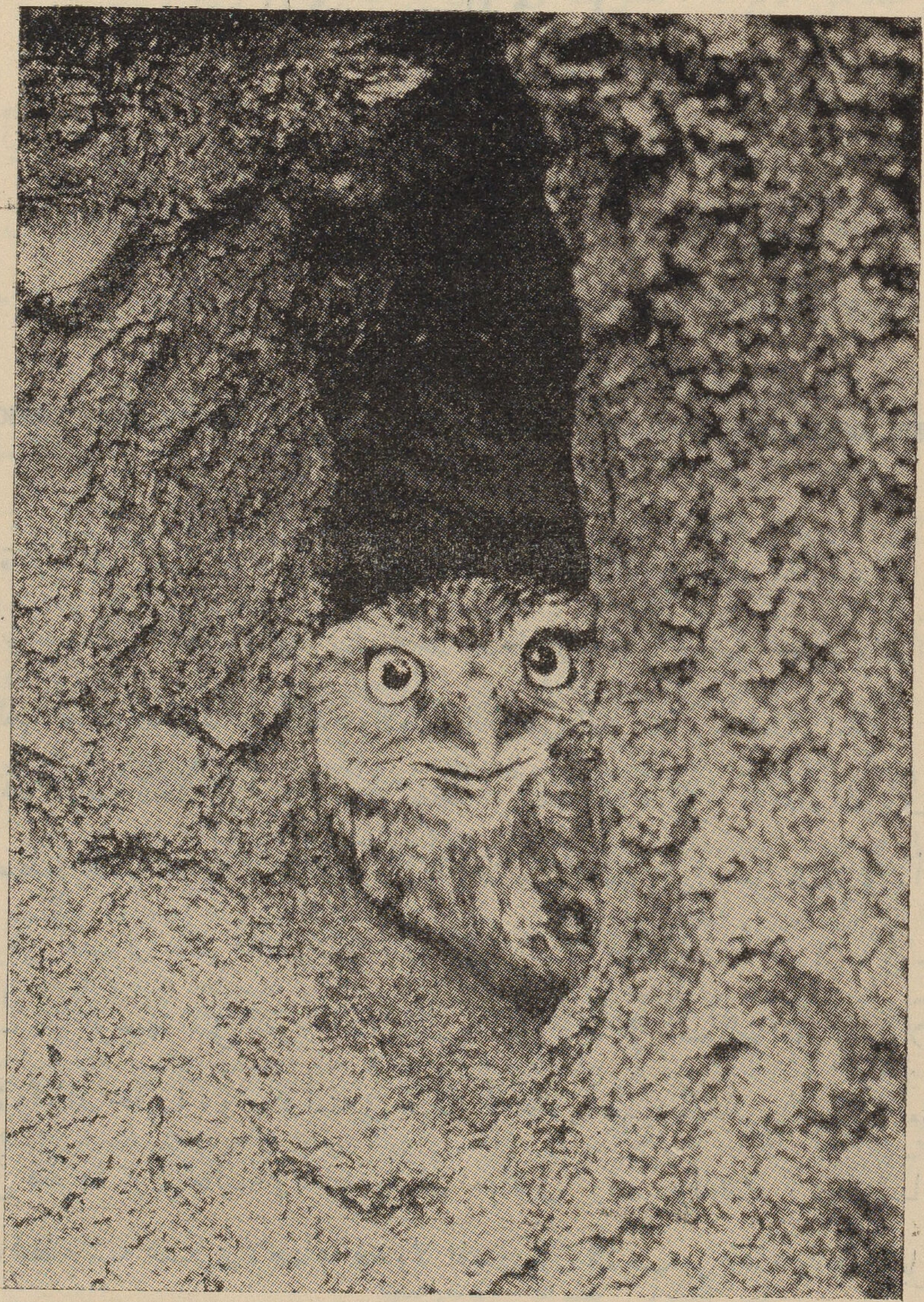
وكما يشع الجسم المضىء أشعة حرارية كذلك يشعها الجسم المظلم . فهذا هو الماء الساخن نشعر بحرارته بمجرد الاقتراب منه ومعنى ذلك أن الاشعة الحرارية ولو انهـا تؤثر على أعصاب الجـلد

فنحس بها الا انها لا تؤثر على أعصاب العين فلا نراها . وتسخن هذه الاشعة الحرارية الاجسام التى تسقط عليها ولكن ليست بنسبة واحدة . فالاجسام السوداء والمعتمة تمتص هذه الاشعة فى حين أن الاجسام اللامعة تعكسها . ولاثبات ذلك عمليا نأتى بانبوبة من الزجاج تشبه الحرف U منتهية بانتفاخين أحدهما معتم والآخر لامع ونضع فيهما مقدارا من الكحول . ثم نضع بين الانتفاخين وعلى مسافة متساوية منها كاسا به مادة ساخنة . فنجد أن ارتفاع الكحول فى الانبوبة التى تحمل الانتفاخ المعتم قد نقص عن الاخرى. وذلك معناه أن الانتفاخ المعتم امتص حرارة من الكاس الساخن أكثر من الاخر فسخن الهواء الذى يملأ الانتفاخ فضغط عمود الماء الى أسفل . وهى الظاهرة التى تجعلنا نلبس الملابس القاتمة اللون فى الشتاء حتى تمتص الحرارة ، والملابس البيضاء فى الصيف حتى تعكس الحرارة فلا تقع على أجسامنا

ومن ذلك نرى أن قوس قزح يتكون من جزء مرئى يبدأ بالضوء الاحمر وينتهى بالضوء البنفسجى ولكن هناك وراء هذين الطرفين أشعة لا يمكن رؤيتها هى الاشعة تحت الحمراء ذات التأثير الحرارى والاشعة فوق البنفسجية ذات التأثير الطبى والكيميائى



الملك زوغو والملكة جيرالدين ملكا البانيا اللذان غادراها عقب احتلال ايطاليا لها فى ٧٠ ابريل الماضى



البومة «طائر من طيور الليل»

الادب الايرانى

كما رأيته فى رحلتي الي طهران

للأستاذ محمد عبد القادر حمزه

فى الحياة الايرانية نهضة عمرها أربعة عشر عاما بدأت منذ اعتلى الشاه الحالى عرش ايران وهى تنتاب اكثر نواحى هذه الحياة وتنهض بها وتأخذ بيدها نازعة عنها عوامل الخمول والتواكل والتأخر السابقة لهذا العهد متمسكة باهداب التقدم والتطور اللازمين لكل أمة تريد الحياة الحقة

ولكن هذه النهضة تأخذ فى أيران شكلا خاصاً أو تتجه اتجاهاً يغاير الاتجاه المعروف عندنا على الاقل فهى تصطبغ بصبغة حربية لأن الشاه قائدها وصاحب الفضل فيها رجل عسكرى وأى عوامل الأنحلال والوهن تدب فى جسم أمته وتكاد تأتى عليها وتنهش عظامها فبدأ اصلاحه ووجهه وجهة عسكرية يعرف انها الوسيلة المثلى لتعزيز استقلال بلاده وازالة كل هذه العوامل واحلال عناصر النشاط والقوة والجلد محلها ، وتبعته أمته فى هذا الاتجاه وأصبح الجيش الايرانى أمل الأمة الايرانية ومحل فخرها تلون تعاليمه وتقاليده ألوان الحياة فى ايران . ولذلك ترى النشاط والعمل هناك يخضعان لنظام شبه عسكرى لاصناعة فيه ولا افتعال لان الشعب درج عليه واعتاده بل استساغه

وحياة الادب فى ايران من النواحى التى أصابها هذا التطور فانتعشت بل بعثت من مرقدها بعد أن خبت شعلتها وكادت تموت ، ولكن يجب أن تفهم هذه الحركة الادبية على الاساس الذى ذكرته من قبل وهو أن ايران أمة ناهضة نهضة لاتتجاوز سنها أربعة عشر عاما قامت على أنقاض رثة بالية ، يضاف الى ذلك أن الاتجاه العسكرى قد لايفسح فى بعض الاحايين للفنون الجميلة أن تنمو وتزدهر بنفس السرعة والقوة اللتين تنمو بهما نواحى الحياة الاخرى فى الامة . لان الحياة الحربية ربما

لاتحتمل من عدد من الافراد الانصراف الى خيال الادب وهدوئه والتوفر عليه بل تتطلب تكريس جهود كل فرد للدفاع والتدرب على فنون الحرب وعدده

ولكن الشعب الايرانى ذا التاريخ القديم ما زال يحفظ فى نفوس أفراده ميلا طبيعياً الى الادب وحباً لفنونه المختلفة ولذلك تراه يوفر لحركة الادب طريقاً لا أقول فسيحا ولكنه يوافق — الى حد ما — حياة ايران فى عهدها الحالى وينتج لهذه البلاد نتاجا يسرنى أن أقول أنه يعتمد بعض الاعتماد فى نموه وازدهاره على الادبين العربى والمصرى

وهذا الاعتماد ينقسم الى شطرين : الاول منهما مطالعة الكتب العربية بلغتها الاصلية وهى لغة الضاد وحركتها تتجه الى الكتب العربية القديمة أكثر منها الى الكتب المصرية الحديثة

ويجب أن نقرر مبدئياً أن اللغة العربية مازالت معروفة فى ايران يفهمها بل يتحدث بها حديثا صحيحا غير قليل من الرجال المثقفين ثقافة عربية والمولعين بالترنم بالشعر العربى فى مختلف عصوره ففى طهران رجال يحدثونك عن المتنبى وامرىء القيس والشريف الرضى ومهيار الديلمى وأبى نواس حديثا عذبا صحيحا يستشهدون فيه بقصائد هؤلاء الشعراء وبقصائد غيرهم ممن تركوا لابناء العربية هذا التراث العربى الجليل . وفى أقليم خوزستان أقلية أصلها عربى رأينا بعضهم يتحدث اللغة العربية أحسن مما يتحدث بها العامة فى مصر لأن أغلب كلماتها صحيحة نقية لاعوج فيها ولاخطأ . وقد دفعت الحماسه شاعراً من ساكن هذه البقاع العربية فوضع قصيدة حماسية حيا فيهاصاحب الجلالة الملك فاروق وأعضاء الاسرتين المالكتين المصرية والايرانية والعروسين الكريمين منها الابيات الآتية :

ان البلاد بطولها وبعرضها
لافرق بين الشيب والشبان
تهتز من طرب لموكب عرسها
بجلاله وجماله الفتان
من نور أقمار تجلت فى الضحى
من أرض مصر فى سما ايران

أما المليك الشهم فاروق الذى

ساس البلاد بحكمة وحنان

من شاد مصر بعزمه وبنى لها

بيتا يفوق مدى على كيوان

ذاك الذى حاز العلاء لأنه

فخر الشباب وقدوة الايمان

وأذكر اننى لما كنت مدعواً الى حفلة رجال الصحافه الايرانية لرجال الصحافة المصرية والاجنبية الذين قصدوا الى طهران للاشتراك فى حفلات الزفاف الامبراطورى جلست الى المائدة بجوار أستاذ فى جامعة طهران حدثنى فى أول الأمر باللغة الانجليزية ثم تركها وتحدث باللغة العربية الفصحى قائلا أنه يعشق هذه اللغة الموسيقية التى جمعت فأوعت والتى نزل بها القرآن الكريم ثم رتل بعض آياته فى ايمان وخشوع . وعرج على الشعر العربى قديمه وحديثه قائلا انه يجل لغة العرب ويعكف كثيرا على قراءة تراثها ومؤلفاتها الحديثة ليجد فيها اللذة العقلية التى تشبعه وتفيد ذهنه وتملأ قلبه اطمئنانا ونشاطا وايمانا

ولعل أهم مافى حديث هذا الاستاذ انه امتدح خطوات مصر الرزينة وخاصة فى حركتها الادبية وفى سعى مجمعنا الملكى لاتمام كل نقص فى اللغة العربية وعقب على ذلك قائلا انه يعجب بالمصريين لاحتفاظهم بتراثهم ولاعتزازهم بتاريخ اجدادهم ولابقائهم على التقاليد التى ورثوها واستطاعوا المحافظة عليها إلى الآن مضيفا إلى ذلك ان حيوية الامم وقوتها على البقاء تظهران فى امكانها التوفيق بين ماضيها وحاضرها دون ان تتنكر لواحد منهما

ومثل هذا الاستاذ غير قليل فى طهران بل فى ايران كلها

أما فيما يختص بالشطر الثانى وهو ترجمة الكتب العربية إلى الايرانية فهو مظهر واضح لحركة الادب فى ايران ينمو ويطرد نموه بشكل يدعو الى الاغتباط ونصيب مصر من هذا النقل وافر لان اغلب الكتب التى تتخذ عمدة فى النقل مصرية وأظن أن هذه الحركة ستزداد نشاطا بعد المصاهرة الملكية لان الاذهان فى ايران متلفتة الآن الى كل ماهو مصرى . وحظ الكتب الدينية فى هذه

الحركة كبير لان حاجة الناقلين اليها اكثر من غيرها .وقد علمت وأنا فى طهران أن أديبا ايرانيا أسمه أبو القاسم باينده ترجم كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل باشا منذ عدة اشهر ثم نفدت الطبعة الاولى فأخرج هذا المترجم طبعة ثانية . وترجم الاديب محمد على الخليلى بك عشرة اجزاء من دائرة المعارف الاسلامية اخرجها إلى المكاتب وهو جاد الآن فى ترجمة الاجزاء الباقية وهناك أديب ثالث لا أذكر اسمه الآن نقل كتاب « الوحى المحمدى » للمرحوم الاستاذ محمد رشيد رضا إلى اللغة الايرانية فنالت ترجمته نجاحا كبيرا اعيد معه طبعها ثلاث مرات متواليات

وقد ترجمت كذلك بعض الكتب العلمية والاجتماعية المصرية الحديثة ولاقت بعض هذا النجاح. ويسرنى أن أذكر أن كتاب « فاروق الاول » الذى أصدره زميلى فى الرحلة وفى الصحافة الأستاذ طاهر الطناحى ترجم الى الايرانية ولكن المترجم أغفل اسم المؤلف فلما نبه الى ذلك وعد بأن يذكره فى طبعته الثانية معتذراً عن هذا الاغفال

والقسم الأخير من هذا البحث هو التأليف بلغة البلاد ، وقد عرفت انه يجتاز دورا بدأته مصر ولما تنته منه وهو الاعتماد على الانتاج الادبى الخارجى واقتباس أساليبه وطرقه فى التأليف أو بمعنى آخر تناوله الموضوعات والدراسات . وهذا أمر طبيعى لان بداءة النهضة الادبية توحى إلى النفس الاستعانة بمن سبقها فى هذا الميدان والاستفادة من التجارب التى مر بها الغير . وايران تعرف أهمية الاتصال بالمحيط الخارجى على ألا يتعدى هذا الاتصال الفائدة المعنوية للايرانيين لأنهم قوم شديدو المحافظة على استقلالهم وتحررهم من كل تأثير أجنبى . ومنهم طبقات أحسنت الاتصال بالمضمار الاوربى واقتباس حسناته ولكن ايران لاتتجه اليه لتخضع الأدب الايرانى له أخضاعا رضى به الغير عن طيب خاطر بل تقدر لكل أدب ميزاته وخصائصه التى يجب الا تفارقه . وتفهم ان لكل أمة عادات وتقاليد وذوقا أدبيا خاصا يجب أن يبدو وأن يتفوق على غيره

ولا يسعنى ان أختم هذا المقال قبل أن اشير إلى نادرة وضح منها عطف جلالة شاهنشاه ايران على الأدب الايرانى وخاصة الشعر . وقد اشرت اليها فى برقياتى التى أرسلتها من طهران وهذه البادرة هى اشتراك الشعر الايرانى فى حفلة الزفاف الأخيرة التى اقيمت فى قصر جولستان يوم ٢٥ إبريل الماضى إذ تقدم الشاعر الايرانى المعروف «أورانج» عند وصول الاميرين العروسين أمام «تخت نادر» والقى قصيدة طويلة حيا فيها الاميرين وجلالة الامبراطور وأعضاء الاسرتين المالكتين خير تحية

الجوع فى مصر الغنية

قالت جريدة المصرى :

كان . . . يدير محلا للبقالة وعنده ولدان وثلاث بنات كانوا محل عطفه ورعايته . وبعد مدة توفيت زوجته فأخذ ينفق على أولاده فى المدارس حتى حصل أحدهما على وظيفة فى احد المتاجر كما حصل الآخر على الشهادة الابتدائية والتحق بعمل بسيط . ومرض الرجل مرضا أقعده عن العمل فصار ينفق على نفسه من محل تجارته حتى أوشك على الافلاس فنفر منه أولاده وتركوه وحيدا ذليلا . وكان مدينا لاحد التجار بمبلغ من المال فرفع عليه دعوى وحجز على البقية الباقية من البضاعة واستولى عليها وفاء للدين . وبعد ذلك شفى التاجر من مرضه وأصبح طريدا لا مأوى له ولا عمل فقصد الى دار شقيقته فآوته الى حد ما ثم طردته من دارها بدعوى أن أولادها أحق بعطفها منه فقصد الرجل الى أولاده فنبذوه واحتقروه وهددوه بالاعتداء ان هو أتاهم فى منازلهم . ! وعندئذ أخذ المسكين يجوب الطرقات ويستجدى المارة .

وحدث فى يوم من الايام فى ساعة متأخرة أن كان الكونستبل الممتاز عبد الرازق النقيب أفندى من قوة بوليس الآداب يسير فى الطريق فشاهد هذا البائس وهو يستجدى المارة فاعتقله واقتاده الى مخفر بوليس قسم عابدين للتحرى عنه . فعز على المسكين أمره ، وما وصلت اليه حالته من فقر شديد وبؤس مدقع ونكد فى الحياة فأخرج مبراة كانت معه ووضعها فى فمه محاولا الانتحار حيث وصلت الى زوره

وأبلغ الحادث الى النيابة العامة والجهة المختصة ثم نقل هذا البائس الى المستشفى لاجراء عملية جراحية سريعة له .

أما محضر التسول فأجل الفصل فيه حتى يتم شفاؤه

الامبراطورية الالمانية النازية

للأستاذ احمد خاكى

قامت ألمانيا عند توحيدها فى القرن التاسع عشر على فكرة امبراطورية أخاذة ، كانت هى التى كونت الفلسفة السياسية عند المفكرين الألمان ، بل هى التى دفعت مؤسسى الأمبراطورية إلى الكفاح فى سبيلها . ولقد انحدر المذهب الامبراطورى فى تاريخ ألمانيا من القرن التاسع حين قامت الامبراطورية الرومانية المقدسة . وانتقلت فكرة التوسع والفتح من أيام شارلمان حتى ورثها آل هبسبرج . وكانت فينا قاعدة تلك الامبراطورية الشاملة حتى تزايلت حينما قوضها نابليون فى سنة ١٨٠٦ على ان تلك الفكرة الامبراطورية قامت مرة أخرى سنة ١٨٧١ حين تألفت ألمانيا فى فرساى وحينما أصبح ملك بروسيا وليم الاول امبراطور المانيا .

هذا العنصر السياسى فى التاريخ الألمانى هو الدافع الاول الذى بعث خلفاء وليم إلى اتباع سياسة الفتح والتوسع . فقد انحدرت فى أصول السياسة فى ألمانيا تقاليد أوحت إلى الزعماء والسياسيين أن يترسموا خطة السيطرة والغلبة . وكانت تلك الفكرة الامبراطورية أكثر من سياسة فى السنوات القلائل التى سبقت الحرب العظمى : لانها كانت تملأ خيال الالمان ولانها كانت عقيدة سياسية شائعة بينهم . وكان محور برلين — بغداد هو الاصل الذى انشعبت منه كل السياسة الخارجية فى ألمانيا فيما قبل الحرب . وكانت قد أقبلت ألمانيا متأخرة فى نطاق الحياة الدولية وكانت فرنسا وانجلترا قد سدتا عليها المسالك فى الشمال والشمال الغربى فكان على ألمانيا أن تتجه صوب شرق أوربا والجنوب الشرقى . لذلك اتجهت أنظارها إلى النمسا والمجر والى بلغاريا وإلى تركيا واتخذت من هؤلاء جميعا أحلافا وحاولت أن تمد خطا حديديا من برلين الى بغداد يمثل ذلك المحور السياسى وبين برلين وبين بغداد بلاد بسطت ألمانيا عليها نفوذها وحاولت أن تخلق منها وحدة اقتصادية

وحربية عامة : وتلك الوحدة هى التى انطوت على أمبراطورية النمسا والمجر وعلى جزء كبير من روسيا وعلى رومانيا وبلغاريا وصربيا وتركيا . كذلك بسطت ألمانيا نفوذها على دول البلقان . ولم يكن الأمر عند السياسة الالمانية قبل الحرب أمر حدود ولم يكن الامر أمر معاهدات للدفاع ؛ وانما كان التوحيد الاقتصادى بين تلك الدول هو غاية السياسة العليا . فقد حاولت المانيا أن تخلق من كل الممالك التى ذكرنا وحدة اقتصادية تغذى بعضها بعضاً ولا ريب أن ألمانيا كانت فى مكان الزعامة من تلك الوحدة



المبنى الالماني الجديد لمعهد تخريج قادة الشباب فى برنشفيك

وكان قد أوشك الالمان أن يفلحوا فى تأليف تلك الوحدة الاقتصادية الكبرى لان حوادث الحرب الاولى كادت تحقق ذلك الخيال الذى لعب بخيالهم . وقد أوشكت دول أوربا الوسطى أن تشعر بتلك الوحدة فكان بينها وبين ألمانيا ولاء حربى واقتصادى .وأوشكت بولنده ودول البلطيق والاوكرين أن تكون مستعمرات ألمانية ، تمد جيوش ألمانيا بكل ما استطاعت من عدة وعتاد . لكن حوادث السنة الاخيرة من الحرب أزالت كل النتائج الاولى . ففشلت الامبراطورية الالمانية الثانية

ولم تخلف فى تاريخ الالمان إلا ذكريات الخيال المدبر والمجد الغابر . وما هو إلا أن قام هتلر حتى كان لتلك الذكريات، أن تستيقظ فى صدور الالمان . وقد استيقظت بالفعل منذ عشر سنين . إلا أنها حينما تنبهت خلقت خلقاً جديدا . فلم تصبح فكرة الامبراطورية سياسة فحسب ولم تصبح عقيدة فحسب بل لقد أصبحت ديناً جديداً هو الذى يتمثل الآن فى كل مايبديه الالمان من نشاط سياسى واقتصادى واجتماعى فى داخل بلادهم وفى خارجها

واختلفت الفكرة الامبراطورية خلال السنين السود التى عانتها ألمانيا بعد صلح فرساى إلا أن الاشتراكية القومية هى التى تتمثل فى أعمال هتلر . ويؤمن هتلر بأن العالم مقبل على مدنية جديدة تقوم على القوة والشجاعة واصالة الخلق . ويؤمن كذلك بأن الجنس أساس الخلق القومى . وان الجنس الآرى هو وحده الموكل من عند الله بزعامة الشعوب الاخرى والتقدم بها الى تلك المدنية المنشودة . وحينما انضمت تقاليد الامبراطورية الالمانية الى ذلك الدين السياسى الذى دعا اليه هتلر كان ذلك باعثا قويا الى الفتح والغزو والتوسع . وكان مسوغا لكل أعمال العنف والارهاب التى يلجأ اليها هتلر . ومن تقاليد الامبراطورية الاولى ومن الدين السياسى الجديد نستطيع أن نتفهم السياسة الخارجية التى ترسمها ألمانيا الجديدة بل نستطيع أن نتبين كذلك أى باعث قوى دفع بهتلر نحو الشرق فدخل النمسا وضم أقاليم السوديت وما يزال الى اليوم يحوم حول مناطق الوسط والشرق فى أوربا

وسواء أكان هتلر مخلصا فى الدعاية لذلك الدين الاشتراكى القومى أم لم يكن ، وسواء آمن أتباعه بما يؤمن به أم كانوا فى ريب منه ، فقد التأم ذلك الدين مع الفكرة الامبراطورية التى انحدرت فى تاريخ ألمانيا . وخرجت الى الوجود امبراطوريه ألمانية ثالثة تتصف بما اتصفت به الاولى والثانية من القداسة . والحق ان الامبراطورية والنازية فكرتان متكاملتان : لان الايمان بقوة الجنس الآرى تحقيق لسيادة ألمانيا . فاذا هى استطاعت أن تضم ممالك ذلك الجنس فى صعيد واحد تتزعمه لقيت فى تلك الوحدة القوة والثروة وبسطة النفوذ . فهى تستطيع بذلك أن تسيطر على السوق من ناحية الاقتصاد كما تسيطر على الدين والفلسفة من ناحية الثقافة

وقد كان « كفاحى » هو الانجيل الذى تنزل بهذا الدين السياسى الجديد . ويستطيع قارىء

« كفاحى » أن يلمس ذلك الايمان بالامبراطورية خلال السطور . ويرى هتلر فى كتابه هذا أن فناء فرنساليس غاية فى ذاته وانما هو وسيلة لسلطان الالمان على ناحية الوسط والجنوب الشرقى من أوربا . ويرى أنه لاسبيل الى تكوين هذه الامبراطورية الا اذا تخلص من فرنسا قبل أن يتوجه نحو الشرق والجنوب الشرقي . وهو فى نفس الوقت يذهب الى أن انجلترا حليفة طبيعية لالمانيا وان العالم سوف يتسع للامبراطورية البريطانية كما هى وللامبراطورية الالمانية كما ينبغى أن تكون من غير أن يتنافى وجود الاولى ووجود الاخرى بل هو يرى فوق ذلك أن الكفاح بين ألمانيا وبريطانيا خلال الحرب لم يكن فى نفسه أصيلا وان الجفوة التى أنتجتها الحرب العظمى ينبغى أن تتلاشى من بين الدولتين .

على أن « كفاحى » قد أصاب كثيرا من التأويل والتفسير : فهو ككل كتاب روحى قد أقام مدرسة باسرها من كتاب الالمان يخرجون منه المذهب النازى الى جانب الفكرة الامبراطورية . ولعل الفريد روزنبرج أكثر الكتاب الالمان احتفاء بالتعليق على آيات « كفاحى » . وقد ألف ذلك المعلم كتباً أصبح لها فى ألمانيا من بسطة النفوذ وذيوع الذكر ما يكافىء « كفاحى » نفسه . ففى كتابه « أسطورة القرن العشرين » يفصل ذلك المذهب الامبراطورى الجديد . وهو يتنبأ بعصر تزدهر فيه امبراطورية المانية عالمية ينطوى تحت لوائها كل الالمان الذين يسكنون أوربا . وينضوى تحت لوائها كذلك كل الآريين والنورديين فى الجنوب الشرقى والشمال . ويذهب روزنبرج إلى أن العالم ما يزال يرتقب السبرمان الذى تنبأ به نيتشه وأن الألمانى سوف يكون سيد الارض حين يقوم على رأس تلك الامبراطورية العالمية المكينة

وفصل روزنبرج فى نفس الكتاب ذلك « الاندفاع نحو الجنوب الشرقى » حتى لقد أصبحت هذه الكلمات هى الصيحة التى يستجيب لها الوطنيون من الالمان . وقد تنبأ بأن الامبراطورية الالمانية سوف تشمل النمسا ثم السوديت الالمان فى تشيكوسلوفاكيا . (وقد صحت نبوءته فى الحالين) وقد تنبأ كذلك بأن السلالات الالمانية من أهل الالزاس واللورين وسويسره ولكسمبرج وبلجيكا والاراضى المنخفضة وبولنده ولتوانيا وروسيا وهنغاريا : كل أولئك سوف يجتمعون تحت لواء الامبراطورية المنشودة . فعنده أنه مهما باعدت بينهم القوة ومهما أقيم فى سبيلهم من العقبات فسوف

يعودون إلى وطنهم الروحى وسوف يرجعون كأول ما بدأوا أمة واحدة متسقة سليمة . بل هو يضع تلك الرجعة الى ألمانيا فى الذروة من المثل العليا التى يؤمن بها الالمان ، ويرى أن كل نوع من أنواع الدعاوة بنبغى أن يوجه نحو تثبيت ذلك المثل الاعلى ، وأن على الحكومة والشعب أن يضحيا بكل شيء وبكل مبدأ آخر لتحقيق تلك الوحدة الألمانية الهائلة التى تأتلف الالمان جميعاً وتجعلهم سادة الأرض وتقيم من عملهم وعلمهم مدنية أخرى غير المدنيات التى سلفت فى عصور التاريخ

ولا يقتصر روزنبرج على الألمان — أو سلالات الألمان — الذين ذكرنا بل هو يرى أن السلالات الآرية والنوردية الاخرى ينبغى أن تنضم إلى تلك الامبراطورية الالمانية . وهو يرى أربع وحدات أخرى تكاد تشمل أوربا من الشمال إلى الجنوب الشرقى

ويرى أن سياسة ألمانيا يجب أن تتوجه الى خلق تلك الوحدات . أما الوحدة الاولى فتتكون من الدانيمارك والسويد والنرويج وفنلنده ويطلق عليها روزنبرج فى كتابه سالف الذكر « الوحدة التعاهدية الشمالية الألمانية » ، وأما الوحدة الثانية فتشمل يوجوسلافيا ورومانيا وبلغاريا وهذه سوف تكون تحت الحماية الألمانية ، وأما الثالثة فسوف تتكون من لتوانيا ولاتفيا وإستونيا واسمها عند روزنبرج « مناطق النفوذ الألمانى فيما حول البلطيق » وكذلك يزعم روزنبرج أن مناطق أخرى للنفوذ الالمانى سوف تقوم فى الاوكرين بين روسيا وبين شبه جزيرة القرم وبحر آزوف

وأنت ترى من كل ذلك أن الفكرة الامبراطورية القديمة قد تنبهت مرة أخرى . لكنها استطالت ثم استطالت حتى أصبحت أقرب إلى الخيال . وأنت ترى أن الأمر فى كل الحركات السياسية التى قامت بها ألمانيا منذ وليها هتلر لم يكن أمر سياسة الساعة ، وإنما الفتح والتوسع وخلق تلك الامبراطورية الهائلة : كل ذلك هو الذى رسم هتلر الطريق التى اختطها . وقد أفلح هتلر فى تحقيق جزء قليل من ذلك المنهج الهائل . فضم فى أقل من سنة عشرة ملايين ونصف من الالمان إلى حكومة الريخ . وأنت ترى بعد كل الذى أسلفت عليك أن اطماع ألمانيا وفتوحها لن تقف عند حد حتى تحقق تلك الامبراطورية التى تقوم على كواهل الالمان فى بقاع أوربا والتى تنتظم أربعة أتحادات من الجنس الآرى والجنس النوردى تكون كلها توابع لالمانيا تتوثق بينها وبين ألمانيا علائق المال والثقافة . وأنت ترى أن الامر أمر دين سياسى جديد سوف يكتمل لو قدر على الدول الديمقراطية

أن تتوزع جهودها كما توزعت فى ضم بلاد السوديت فى تشيكوسلوفاكيا

« • »

ذلك هو السر النازى العظيم الذى فصله روزنبرج فى كتابه عن « أسطورة القرن العشرين » لكنه يبسط اراءه هذه فى كتب أخرى غير هذا . فهو يقول فى كتاب آخر عن « السياسة الالمانية الخارجية فى المستقبل » : « ان نهضة ألمانيا ينبغى أن تتمثل فى فكرة الامبراطورية القومية التى تشيع فى الشعب الالمانى جميعه لان الشعب الالمانى ينبغى أن يصيب متسعا من الارض يتنفس فيه حتى يحيا حياة قوية سليمة .. وعلى الشعب الالمانى أن يعلم علم اليقين أنه فى حاجة الى الارض والا حاق به الفناء فالارض ضرورة للألمان فى هذا الجيل وهى ضرورة لسلائل الالمان فى الجيل المقبل وليس من سبيل الى كسب تلك الارض فى أفريقيا لانه لم يبق فيها ما يصلح للفتح . وانما ينبغى أن يصيب الالمان هذه الارض فى أوروبا وفى الجزء الشرقى منها . اذا أدرك الألمان كل ذلك ادراكا ماديا لاريب فيه كان ذلك أساساً حيا للسياسة الخارجية الالمانية فى السنين المقبلة »

وأنت تدرك من تلك الكلمات أن الموقف ما يزال يشاكل الموقف الذى اتخذه وليم الثانى حين اتخذ من برلين — بغداد محوراً لسياسة الامبراطورية الثانية . وماتزال فرنسا وانجلترة عند الالمان يسدان المسالك فى الشمال الغربى والشمال « فالاندفاع نحو الجنوب الشرقى » هو النتيجة الطبيعية للكفاح بين الامبراطورية الألمانية الجديدة وبين الامبراطوريتين القديمتين . هذا الى أن ألمانيا ترى أنها قد عانت كثيرا من تحيف تلك الدول القديمة التى سبقتها الى الاستعمار . فهى دولة « غير مكفولة وغير راضية » لأنها لا تملك المواد الاولى التى تحوزها الدول الاخرى . وهى ترى أنها سلبت أمبراطورية بأسرها حينما وزعت مستعمراتها بين الحلفاء فى غداة الصلح . وهذا النقص الذى يساور الالمان كالالم الملح لن ينفك مستبدا بهم حتى يحققوا ذلك الخيال العريض الذى يفتح لهم عالما جديدا يسيطرون عليه

ولأن يبلغ هتلر تلك الآمال التى يتضمنها ذلك المنهج الهائل فقد خرج على عصبة الامم فى سبتمبر ١٩٣٤ وقرر التجنيد العام فى السادس عشر من مارس سنة ١٩٣٥ . ووضع مشروع السنين الاربع . الذى حاول أن يضع به نظاما اقتصاديا عاما يوفر للدولة ما ينقصها من المال لخلق الجيش

الجديد . ثم أنه دخل منطقة الرين التى حرمتها معاهدة فرساى فى ٧ مارس سنة ١٩٣٦ وتدخل فى الحرب الاهلية الاسبانية وأمد الثوار بالجنود والعتاد حتى يدرب جيشه الناشىء على أعمال الحرب وأعد العدة فى السنتين التاليتين حتى أغار على النمسا فى اليومين الحادى عشر والثانى عشر من مارس سنة ١٩٣٨ ولم تمض ستة شهور على ذلك حتى ضم أرض السوديت الى المانيا ، وقليل أولئك الذين يقدرون ما تتمخض عنه الايام المقبلة : فانه لا يحفز الى النجاح مثل النجاح . وقليل أولئك الذين يقدرون مبلغ النصر السياسى الذى أصابه هتلر فى سنة ١٩٣٨

كانت تنطوى الوسيلة التى اتخذتها ألمانيا لضم النمسا وتشكوسلوفاكيا وغيرها على ثلاثة عناصر كل منها يكمل الآخر وهى عناصر سياسية وحربيه واقتصادية . أما من الوجهة السياسية فقد كانت الدعاوة تعمل عملها بين الاقليات الالمانية فى النمسا وتشكوسلوفاكيا . وكان على هذه الدعاوة أن تثير أفراد الاقلية على الحكومة القائمة حتى إذا لجأت تلك الحكومة الى الضرب على أيدى هؤلاء كما تفعل كل حكومة منظمة ذات سيادة ثارت ثائرة الفوهرر وملأ الدنيا وشغل الناس ، وتدخل فى الامر لانه يعد نفسه الحامى الاول لهؤلاء الالمان المضطهدين . وأما من الوجهة الحربية فأنه يسير جيوشه نحو الحدود التى تفصل بين ألمانيا وبين الضحية التى يريد أن يفتك بها . فاذا اجابت النمسا أو تشيكوسلوفاكيا بان سيرت جيوشا فى الناحية الاخرى خلق من ذلك حالة قلقة من حالات الحرب وأنذر العالم باجمعه بحرب تجتاح أمامها كل الدول التى تتردى فيها . وأما من الوجهة الاقتصادية فان ألمانيا تتدخل تدخلا سلمياً قبل أن تحرك أذناب الحرب .ذلك بأنها تجعل العلاقة بينها وبين دول الجنوب الشرقى علاقة الدائن والمدين فيوجوسلافيا مثلا مدينة لالمانيا بعبء باهظ من المال . ثم أن ألمانيا تستورد بضائع الدانوب والبلقان ثم تصدرها الى البلاد الاخرى فهى تفسد السوق على تلك البلاد التى لاتستطيع أن تتحلل من اتفاقاتها مع ألمانيا ولاتستطيع أن تبيع بضائعها لغير ألمانيا . هذا الى أن ألمانيا تبيع بلاد الدانوب والبلقان أسلحتها القديمة فهى تأخذ كفاءها ماتريد من السلع وهى فى نفس الوقت تتخلص أولا بأول من الاسلحة التى يمضى عليها سنة أو سنتان . وقد أفلحت كل هذه الوسائل الاقتصادية فى اليونان وبوجوسلافيا وهى لم تفلح بعد فى رومانيا وتركيا الا أن الدائرة سوف تدور على أولئك وهؤلاء

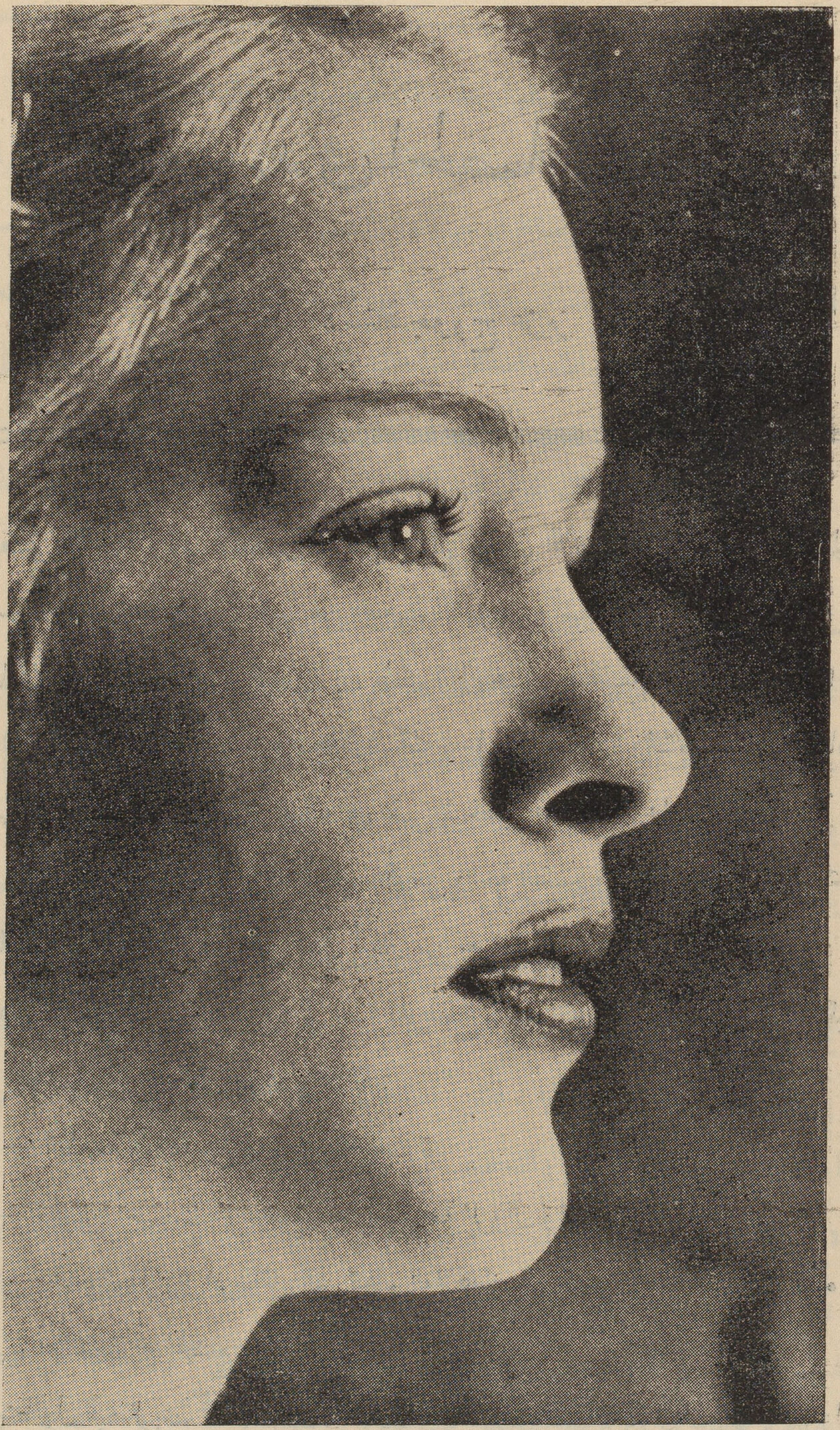
تلك هى الوسائل الثلاث التى تتخذها ألمانيا فى الاغارة على الجنوب الشرقى من أوربا . ولقد رأيت أن الوسائل الثلاث تمثلت فى ضم النمسا وضم بلاد السودبت . وقد رأيت أن الوسيلة الثالثة الاقتصادية مازالت تعمل عملها فى دول الدانوب والبلقان . وقد بقى علينا أن نرى ماذا يكون من أمر الضحايا الاخرى التى يتربص بهـا هتلر . فاذا جرت انجلترة على تلك الخطة التى ترسمتهـا فى اتفاق ميونخ كان لامناص من أن يتحقق الحلم الهـائل الذى فصله روزنبرج فى كتاباته وكان على الاجيال المقبلة أن تشهد الملحمة العظيمة التى سوف تدور بين الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الألمانية الجديدة

الغواصات

تقول إحدى المجلات الانجليزية أن مجموع الغواصات التى تملـكها المانيا وايطاليـا واليابان يبلغ ٢٦٥ غواصة . فاذا صح هذا العدد فان خطورة الحرب القادمة — عندما يتغلب الجنون على العقل — ستكون كبيرة جدا

وحرب الغواصات تمثل الدرك الاسفل الذى يمكن ان تنتهى اليه الخسة الحربية . فان الغواصة سلاح خفى يختبىء تحت الامواج ثم يهاجم بلا رحمـة السفينة وهى فى عرض البحر فلا تترك فرصة النجاة لواحد من المسافرين عليها سواء اكان حربيا أم مدنيا

ونحن نحتقر الجندى الذى يقتل أسيره . ولـكن الغواصة تقتل جميع أسراها لأنها تغرق السفينة والبارجة . وبعيد جدا ان ينجو أحد منهما



ايفا نجلين

رأى فرويد فى الحضارة الاوربية

بقلم الاستاذ جورج عزيز

من الحقائق الاجتماعية التى لامعدى لنا عن التسليم بها أن الانسان مهما يوجه اهتمامه الى السعادة ومهما يقف سعيه عليها ، فان وصوله اليها من أصعب الامور ، وأشدها تعقيدا والتواء

وقد حاول الفلاسفة من قديم الزمان أن يفطنوا الى هـذه الحقيقة المجلوة ، ويسبروا غورها ، فتضاربت آراؤهم تضاربا يدل بما لايدع مجالا للشك ، على أن السعادة والشقاء أمران اعتباريان . ومعنى كونهما اعتباريين ان مايبعث الهناء فى نفس شخص قد يقض على شخص آخر مضجعه : شخص يجد السعادة ، كل السعادة ، فيما أولاه الله من راحة الضمير وسلامة النفس والحس ، وشخص آخر لايجد السعادة الا فى الحرص على المال أكثر من حرصه على صحته أو كرامته .

ولقد أدلى سيجموند فرويد برأيه فى هذا الموضوع فذهب مذهبا متحدثا لم يسبقه اليه أحد اذ قال ان بؤس الانسانية راجع الى أسباب ثلاثة :

الاول — الطبيعة ومالها من قوة ساحقه جبارة .

الثانى — تكوين أجسامنا على نحو يجعلها سريعة الزوال والفناء .

الثالث — عدم توافر كل الوسائل التى تنظم العلاقات بين الناس ، سواء أكانت هذه العلاقات خاصة بالأسرة أم الدولة أم المجتمع .

ومما لايتطاول اليه الريب أن السببين الاولين أمران واقعان لامحالة ، فلا مفر لنا من الاعتراف بحقيقة كل منهما ؛ ذلك بأنه يتعذر على الانسان أن يبسط نفوذه على الطبيعة بمقدار يمكنه من السيطرة على نفسه ، على الرغم من الدوافع التى حفزته وحرضته ، وما تزال تحفزه وتحرضه الى يومنا هذا والى

غد ، وهى بقاء الفرد واستمرار النوع كما يقول علماء الانثروبولوجيا أى علم الانسان .

ولقد أخذت الانسانية فى القرون الاخيرة تبدى اهتماما لا يعدله اهتمام بعوامل التقدم والحضارة وبمختلف الوسائل الصناعية ، وشتى أوضاع الوجود ، وتمكنت من قياس أجزاء المعمورة واستطاعت أن تقف على قوانين حركتها ، ووفقت فى استغلال كنوزها الى أقصى حدود الاستغلال . معنى ذلك أن العلم يتقدم بخطوات سريعة وطفرات واسعة والمباحث والنظريات تتابع فى صور تبعث على الدهشة والعجب .

أو ليس فى وسعنا والحالة هذه أن نقول إن الانسانية نجحت فى مقاومة الطبيعة والتغلب عليها نجاحا باهراً ؟

هذا صحيح بدليل أن الناس مطمئنون كل الاطمئنان إلى هــذا التوفيق العظيم ، بيد انهم يعتقدون أن تمكنهم من قياس الزمن والفضاء . ووصولهم إلى استثمار الطبيعة بركوب البخار والاستضاءة بالكهرباء وإلجام الاثير وضربهم بسهم وافر فى حلبة المدنية والعمران ، لم تضاعف السعادة التى يسعون إلى تحقيقها فى الحياة ؛ مااستطاعوا الى ذلك سبيلا

أما فيما يتعلق بالسبب الثانى فانه يستحيل علينا بحكم طبيعة الأشياء ان نحول دون فناء جسومنا وانتقالها من الوجود الى العدم . لأن الوفاة من مستلزمات الحياة .

على انه يحسن بنا ألا ندع هذه الحقائق الصارخة تبعث فى نفوسنا اليأس والقنوط لأنها بالعكس تمهد لنا الطريق التى ينبغى لنا أن نسلكها . فلئن استحال علينا القضاء على كل ألوان البؤس والشقاء فلا شك فى اننا نستطيع إزالة بعضها . والتخفيف من وطأة البعض الآخر .

ويرى « فرويد » أن السبب الثالث — وهو عدم توافر الوسائل التى تنظم العلاقات بين الناس — لا يمكن بأية حال أن يستند إلى أساس معقول ، وما دمنا قد خلقنا هذه النظم بأنفسنا فما الذى يمنعنا من تعديلها على النحو الذى يتفق والغاية التى ننشدها ونرنو اليها ؟ وللاجابة عن هذا السؤال يتعين علينا أن نضع حضارتنا فى بوتقة التحليل لان التبعة واقعة عليها بشكل واضح جلى .

والذى يمكن استخلاصه مما قدمنا أن السيطرة على الطبيعة ليست الشرط الوحيد للسعادة ، كما أنها ليست الهــدف الوحيد للحضارة والمدنية ، وان حضارتنا الراهنة — على الرغم من انطوائها

على دعامة مجتمع منظم يقوم على الدولة والحكومة والقوانين ، والعرف والتقاليد ، والآراء والمعتقدات والمثل العليا — لا توفر لنا أسباب الراحة والهدوء ، والأمن والطمأنينة .

واليك ما يقوله « فرويد » فى هـذا الصدد : « لقد حان الوقت الذى يجب علينا فيه أن نبذل قصارى جهدنا لاستكناه هذه الحضارة التى أصبحت قيمتها أمراً محفوفا بالشك ، بعيداً كل البعد عن اليقين . ولن نحاول أن نضع لها تعريفاً جامعا مانعاً — كما يقول أصحاب المنطق -- قبـل أن نلقى عليها بعض الضوء . ولـكن يكفى أن نقول إن الحضارة هى مجموعة من الأعمال والنظم التى تبعدنا عن الحالة الحيوانية التى كان يعيش فيها أسلافنا ، وانها ترمى الى غايتين اثنتين : الاولى حماية الانسان ضد الطبيعة ، والثانية تنظيم العلاقات التى تربط الناس بعضهم ببعض . وفى رأينا أن الاعمال العمرانية هى جميع ألوان النشاط التى تبذل فى سبيل تقوية الانسان وجعـله قادراً على استثمار الارض استثمارا يعود عليه بالنفع والفائدة . وحضارة بلد ما مرهونة بمستواه الثقافى والنظام المتبع فيه لاحياء الارض واستثمارها ، وتأكد الانسان من أن قوى الطبيعة لن تقف حجر عثرة فى الطريق التى يحاول بقدر ما يصل اليه جهده أن يشقها لنفسه فى الحياة . »

وثمة شىء آخر نرى لزاماً علينا أن نشير اليه فى هـذا الفصل إذ أن « فرويد » يعلق عليه أهمية عظمى اعتقادا منه أنه بيت الداء ومصدر البؤس والشقاء فى الحضارة الراهنة .

عند ما أدرك الانسان الفطرى انه يستطيع أن يحسن مركزه الدنيوى بالعمل رأى أنه ليس فى مكنته أن يقف من بنى جنسه موقف التغاضى وعدم الاكتراث والاهتمام فلقد شعر أن هذا الكائن البشرى الذى خلق على شاكلتـه يعينه على تحمل متاعب الحياة وأوصابها . ومن هنا نشأت فـكرة الاسرة وتبعتها الحاجة الى الاشباع الجنسى بدافـــع الغريزة الاجتماعية التى هى أهم وسيلة للبقاء . والعنصر الاول فى الاجتماع هو العشيرة « الطوطمية » (*) وأفراد هذه العشيرة كانوا يعتبرون أنفسهم أقارب بعضهم لبعض ، ويعتقدون أن « الطوطم » — وهو حيوان أو نبات كانت الجماعة توقن أنها من سلالته — مصدر هذه القرابة . ولقـد كانت الحضارة الطوطمية قائمة على التعاون بين الافراد الذين كانوا مضطرين بحكم الظروف الى التضحية بمنافعهم الشخصية من أجل الصالح العام . وقواعد

(*) العشيرة الطوطمية هى جماعة تتبع نظاماً دينياً يدعى الطوطمية

« الطبو » — وهى طائفة من الطقوس الدينية — هى أول مجموعة للقوانين عرفها البشر .

وعليه كانت حياة البشر الاجتماعية آنئذ تستند إلى شيئين الاول ضرورة العمل الناجمة عن الحاجات الخارجية ، والثانى قوة الحب وهذه القوة كانت تحتم على الرجل والمرأة أن يستعملا حيويتهما الجنسية خضوعا لحكم الليبيد (الطاقة الانسانية المكبوتة) وتدفع المرأة من ناحية أخرى الى التعلق بالجزء المنفصل عنها وهو الطفل .

وهكذا أصبحت الحضارة البشرية تستمد عناصرها من الحب والحاجة ananké (*) فهل استطاعت الانسانية أن تبلغ بهاتين الضرورتين الحيويتين الشأن الذى كان مرجوا لها ؟

يقول علماء الاقتصاد إن الحاجة هى كل رغبة تساور النفس وان حاجات الانسان هى المحرك للنشاط الاقتصادى فلكى يعيش الانسان يجب أن يستمد بعض العناصر من العالم الخارجى وحرمانه من هذه العناصر يجعله يقاسى ألماً كبيرا . ويقول «شوبنهور» فى هذا المعنى « ان الانسان دائم الحاجة، دائم الرغبة فهو والحالة هذه دائما ابدا يرغب ويريد وغير خاف أن الحاجة ألم يحسه الانسان . اذن فحالة الانسان العادية هى الالم . اما اللذة التى هى نتيجة الاكتفاء والرضى واشباع الحاجات والرغبات فليست سوى انقطاع الالم السابق . وحاجات الامم لا تختلف فى شىء عن حاجات الافراد وهى تلعب دورا من الخطورة بمكان فى الاضطرابات التى تطرأ على الحالة الاقتصادية نتيجة لاختلال التوازن بين الانتاج والاستهلاك .

أما الحب ، وهو ثمرة الجمع بين التصور والغريزة فحائر بين الخطى الواسعة التى يتقدم بها الانسان فى سبيل العلم والمعرفة . والتى ستنتهى به إن عاجلا أو آجلا الى الحضارة الصناعية التى استهوته وستستهويه حتى اذا ما الفى نفسه امام حياة آلية بحتة عالج العلم من جهة غير الجهة التى كان يعالجه منها وحاول استخدامه مرة أخرى فى تقويض صرح هذه الحضارة الآلية .

وهناك حقيقة أخرى ينبغى الا تغيب عن أذهاننا وهى أن الحضارة الصناعية قائمة على العمل المادى بيد ان الحيوية التى فقدها العمل تهدد بالحيلولة دون الوصول الى الهدف الذى كانت ترمى اليه حضارة القرن التاسع عشر . ويرى «فرويد» ان اكثر شعوب الارض حضارة ومدنية ينتظرها بؤس وشقاء لاحد لهما ، وأن عدد الرجال الممتازين والنابهين يتضاءل ، وهى نفس الظاهرة التى

(*) لفظة اغريقية كتبناها بالحروف اللاتينية .

لوحظت عندما أشرفت الحضارة اليونانية أولا ، والحضارة الرومانية ثانيا على هاوية الانحطاط . يضاف الى ذلك ازدياد عدد المجانين والمصابين بالأدواء النفسية والعصبية بشكل يجعلنا نخشى أن يسرى هذا الوباء إلى الجنس البشرى كله ولكنه يعتقد مع ذلك أن الرسالة التى وجد الانسان لتأديتها هى التغلب على العوائق التى يواجهها ، والحوائل التى تقف فى طريقه ، وهو يقول « أعتقد أن القيم الأدبية والخلقية أصبحت متفرقة فى طائفة من المباحث الفكرية والتصورية والوهمية التى لا تمت بأقل وشيجة إلى الحصافة والادراك الصحيح ، ولا تقوم الا على لغو الآراء السرابية . والافكار المجنحة بيد أنى لا أحب أن أحكم للحضارة أو عليها . ولقد تفاديت دائما من التأثر بذلك التيار الجاوف الذى يؤكد أن حضارتنا هى أثمن شىء نستطيع الظفر به والحصول عليه »

جورج عزيز

البوذيه

ذكرت الصحف أن البوذيين اليابانيين هيأوا بعثة منهم لكى تسافر الى الهند وتقابل الزعيم غاندى وتدعوه الى البوذية

والبوذية من الاديان الهندية القديمة . فانها نشأت حوالى سنة ٥٠٠ قبل الميلاد على يد أمير هندى وكانت تختلف من الهندوكية فى كثير من المبادىء وانتشرت فى الهند ولكن الاسلام أخذ مكانها . وليس لها الان من يؤمن بها غير عدد قليل جدا وغير جزيرة سيلان ولكنها منذ أكثر من الفى سنة خرجت من الهند وتفشت فى الصين واليابان

وفى أيام البطالسة جاءت الى مصر بعثة بوذية تدعو المصريين الى هذا الدين . ولكنها لم تلق نجاحا . وليس شك فى ان وطنية غاندى من أعظم الاسباب التى تجعله يتعلق بالهندوكية على الرغم من قارص انتقاده لها وثورته على بعض تقاليدها . والهندوكية مثل اليهودية دين يختص به شعب معين

الحكم الذى يرضى أطماعنا

للاستاذ حسن الجداوى

ان الحكم الذى يرضى أطماعنا ، والذى نشعر فيه بأننا نسير الى مانحن أهل له ، من مكانة أدبية ورفاهية مادية ، هو الحكم الذى تعالج فيه مشاكلنا علاجا صحيحا منتجا ، سريع الاثر ، نحس فائدته ننظرها بأعيننا ، ونلمسها بأيدينا .

اننا — كما نرى — نشكو تراخيا فى استغلال الثروة القومية ، ونطلب من كل حكومة تلى حكم البلاد أن لاتدخر وسعا ، ولا تضيع لحظة لاتصرفهـا فى انماء الثروة القومية . لأنه لايليق بنا ، كما تساءل حافظ ابراهيم ، رحمه الله

أيشتكى الفقر غادينا ورائحنـا ونحن نمشى على أرض من الذهب

لقد عشنا زمنا طويلا وزراعة القطن هى كل عماد ثروتنا القومية ، جهودنا كلها تبذل فى تحسين نوعه ، والاكثار منه ، وقيل انا إن قطننا المصرى لامثيل له فى العالم ، ولايمكن انتـاج مثله فى غير وادى النيل ، فازددنا ارتكانا عليه واطمئنـانا ، وصدقنا أنه لا مثيل لقطننا فى العـالم ، كما صدق ابن القرية أن مصر (القاهرة) هى أم الدنيا . وأخذ العالم يجد وينتج من أنواع القطن ، ما يعادل قطننا أو يفوقه ، حتى زالت الغشاوة عن أعيننا ، وأيقظتنا ضرورات الحياة من سباتنا ، فتلفتنا ، نبحث عن مورد آخر للايراد غير القطن ، فلم نجد . ولازلنا الى اليوم فى بحثنا .

والموارد كثيرة من ذلك ، وفى متناول أيدينا ، ولكننا سوفنا ولانزال نسوف فى استغلالها . فأمامنا مورد طبيعى كان يجب أن يتجه اليه تفكيرنا ، من يوم أن افتتحنا فى أوائل هذا القرن ، خزان اسوان . فالنيل ، الذى يروى أرض مصر منذ القدم ، والذى جعلها من أخصب بقاع العـالم ، هذا النيل نفسه ، من غير أن يصيب ماءه نقص أو فقدان ، يستطيع أن يهب مصر قوة كهربائية عظيمـة

تكفى لانتاج جميع كمية السماد الآزوتى التى تحتاج اليها الزراعة ، وتكفى لاستخراج الحديد ، المبعثر فى صحراء اسوان ، ينتظر من يجمعه ، والذى يكفى ، على حد توكيد الخبراء ، استهلاك مصر خلال قرنين كاملين ، وقد تكفى بعد ذلك لمئات من الصناعات الصغيرة الاخرى ، ولكهربة بعض خطوط السكك الحديدية

فاذا علمت أن مصر تستورد من السماد والحديد فى العام ما يساوى سبعة ملايين من الجنيهات عداً ونقداً ، استطعت أن تدرك مقدار الخسارة المتوالية التى تخسرها مصر من تسويفها فى اتمام هذا المشروع . لقد أضعنا على أنفسنا — على أقل تقدير — عشر سنوات كنا نستطيع أن نوفر فيها على الاقتصاد الوطنى سبعين مليونا من الجنيهات

ولقد أضعنا — فوق ذلك — ولهذا أهميته ، تأخير تحويل القطر الى ناحية الصناعة طيلة هذه المدة ، وكنا نستطيع أن نخلق جيلا صناعيا يخرجنا من الازمة الخانقة التى نتردى فيها ، أزمة قلة الانتاج الزراعى ، وصعوبة تصريف محصول القطن ، وأزمة المتعلمين العاطلين والعمال العاطلين

فكل ثروة فى البلاد يمكن استغلالها ، يجب أن تكون الشغل الشاغل لكل حكومة جديرة بهذا الاسم ، أو بهذا اللقب ، على حد تعبير زميلنا الاستاذ عبد المجيد نافع

ونحن نشكو ضعفا فى صحة المصريين وبنيتهم ، ضعفا يجب أن نقلق له حكومة وشعبا ، والاحصائيات مريعة مرعبة . الانكلستوما ، البلهارسيا ، الملاريا ، السل ، العمى ، هذه كلها أمراض بلغت فى حد الشيوع ، لم يسلم منها إلا القليلون . وأثر ذلك واضح فى الفرز الطبي للمقترعين العسكريين وفى الكشف الطبي لاختيار الصالحين فى الكليات والمدارس . ولقد سمعنا ، حتى صمت آذاننا ، عن مشروعات مياه الشرب الصالحة ، والمساكن الصحية والقرى النموذجية ، وردم البرك . ولكننا نسمع ولا نرى عملا . نسير الهوينا ونزحف زحف السلحفاة

ان العناية بصحة أبناء الوطن ، هى الواجب الاول ، بل هى أهم واجب تطالب الحكومات بالنهوض به . ما فائدة هذه المبانى الشاهقة التى انتشرت فى مدننا حتى جعلتها تضارع العواصم الغربية ؟ ما فائدة أعمال الرى العظمى التى تزيد أرض مصر خصبا على خصبها ؟ ما فائدة الغنى ، أو الثروة أو التعليم ؟ اذا كان المصريون ، الذين من أجلهم تعمل هذه الاعمال ، يزدادون فى كل عام

ضعفا على ضعف ، وسقما على سقم !

حقاً إن مواليدنا فى ازدياد وكثرتنا فى اضطراد ، ولكننا نولد ضعافا ، ونعيش مرضى ، ونموت صغاراً . لأن أجسامنا مرتع لشتى الأمراض والعاهات . والعلاج فى مقدورنا ، وفى متناول أيدينا ، ولكننا عنه معرضون — أستغفر الله . بل عندنا برنامج لردم البرك يستغرق خمسين أو سبعين عاما ، وعندنا مشروع للمساكن الصحية والقرى النموذجية . ألم ننشىء قريتين كلفتا الدولة ستين أو سبعين ألفاً من الجنيهات ؟ وفى مصر أربعون الف قرية وعزبة . فهل كثير عليها أن تصرف الف مليون من الجنيهات فى مائتى عام ؟

هذا هزل لاجد فيه ! إن مائتى عام كافية لقتل الملايين من المصريين فريسة الأمراض ، يعيشون طوالها ضعافا مهزولين ، لا ينتجون ، ولا يفكرون ، ولا يقوون على الدفاع عن أنفسهم ، فضلا عن الدفاع عن وطنهم .

قد يسألنى القارىء عن طريقة الخلاص من هذا المأزق الذى يبدو أن لامخرج منه . أما الطريق ، فقد سنته لنا دول أخرى ، وما علينا إلا أن نقلدها . فلقد لجأت ألمانيا ، ومن قبلها إيطاليا ، إلى العمل الاجبارى لخدمة البلاد . ان عدد الذين يدعون الى الجندية فى مصر -- لو رفعنا من القانون سخرية الاعفاءات — لا يقل عن مائتى الف مقترع . اذا كان نصفهم أو أكثر أو أقل لا يصلح للخدمة فى الجيش فانهم كلهم يصلحون للخدمة الاجبارية لأنهم فى حياتهم الخاصة يفلحون الارض ويزرعونها ، ويعملون فى الحقل أو فى المدن .

ولن يحتاج الجيش من بين جميع المقترعين — مهما زدنا فى عدده — لأكثر من خمسة عشر الف سنويا . فلماذا لا ننشىء للآخرين فى قراهم وبلدانهم أو بالقرب منها وحدات صغيرة يدربون فيها على الحياة العسكرية — فينفعون حين تدعو الحال لتجنيد الامة كلها — ويؤدون فى الوقت نفسه هذه الاعمال النافعة لوطنهم ، والتى يملأهم اداؤها شعورا براحة الضمير والزهو ؟ ١٨٠ الف عامل يعملون يوميا فى ردم البرك وانشاء المساكن الصحية . هل يتصور القارىء كمية العمل الهائلة التى يستطيع هذا العدد الجبار ، وتلك السواعد المتينة أن تنتجه فى كل عام ؟ ومقدار ما تكسبه البلاد ؟ ليس بمصر برك أكثر مما كان بايطاليا من مستنقعات ، ومع ذلك استطاعت ايطاليا أن تردم

مستنقعاتها كلها ، فى أقل من عشرة أعوام . أما نحن فنشكو ، ولا نزال نشكو ، وسنظل نشكو ونحن نشكو من فقدان روح النظام وشيوع الفوضى والاستهتار بالواجب بين معظم طبقات الامة بل بين جميع طبقاتها . فالطالب يهمل درسه ليشتغل بالسياسة إن كان جادا ، وليرتاد عماد الدين إن كان هازلا . والموظف يهمل عمله ويكتفى بالسير فى ظل كبير أو حماية وزير . ونحن فى حاجة لحكومة تعرف كيف تكون قوية مع احتفاظها بديمقراطيتها . تعرف كيف توقف كل طائفة عند حدها ، وان تركت لها فى داخل حدودها كامل حريتها . تعرف كيف تفهم الموظفين أن أوقاتهم كلها وقف على أداء أعمالهم ، وتفهم الطلبة أن لا شأن لهم بغير تحصيلهم ودروسهم ، فلا تتخذ من بينهم أعوانا تحابيهم ، أو خصوما تصب عليهم نقمتها وتفهم العمال انها غنية عن تأييدهم لا تطلب منهم إلا أن يعملوا فى حدود القوانين والنظام .

نريد الحكومة ان تعدل بين الجميع؛ لا تفرق بين أنصارها أو خصومها لافى داخل الحكم ولا فى خارجه . حكومة تشعر عن يقين أنها وجدت لخدمة الامة لا لخدمة حزبها تعرف للصحافة قيمتها ولحريتها حرمتها ، فان حرية الصحافة هى الدرع الذى تحتمى وراءه جميع الحريات . والشعب الذى لا يتمتع بصحافة حرة ، ينتقل من خطأ الى خطأ ، ومن استبداد الى استبداد . فلا يجد من يصغى لكلمة الحق لانه لا يجد من يقولها . والتاريخ أمامنا يحدثنا فى أخبار الامم جميعا أن حرية الشعوب فيها كانت تتبع حرية الصحافة ، ظهورا واختفاء ، وأن مصير حرية العمل مرتبط بحرية القول والكتابة . والحكومة التى نريدها هى الحكومة التى تطلق لحملة الأقلام حريتهم خصومها قبل أنصارها وناقديها قبل مادحيها .

أما اطلاق العنان للانصار المؤيدين ، وكم أفواه الخصوم والمعارضين والاستعانة بالقضاء على المنتقدين فعبث جربته أكثر من حكومة فى مصر وفى غير مصر فكانت نتيجته دائما وبالا .

نريد حكومة تسرف الى حد السفه فى ضرورات الدفاع والاصلاح ، وتقتر إلى حد البخل . . . فى الكماليات . حكومة لا تتقيد بالاجراءات المالية فى انشاء مصانع الذخيرة والاسلحة وفى ترقية وسائل النقل التى هى شرايين الحياة الممتدة فى أنحاء البلاد ، وفى البحث عن موارد الثروة فى باطن الارض وظاهرها وفى رفع مستوى معيشة الفلاح وتحسين صحته ، . . . وتبخل بكل مليم يصرف

فى المظاهر والكماليات ، وفى زخرفة المبانى وتنميق الاثاث

نريد حكومة لا تستسيغ طعم المحسوبية والاستثناء ، ولا تهضمهما . يخجل الوزير فيها من أن يصيب أحد أقربائه علاوة أو ترقية استثنائية ولو بحق . يعدا بنفسه عن مواطن الشبهات

نريد حكومة لا يقال فى مدحها ان اخطاءها أقل من غيرها أو انها لم تقع فيما وقع فيه غيرها . بل حكومة يقال عنها انها لا ترتكب الاخطاء ، معصومة بقدر ما يكون المخلوق معصوماً . ومن الاخطاء مالا يجد الانسان صعوبة فى الاعتصام منها لو صحت عزيمته

ان الوزير فى حياته الخاصة لا يسرق فيجب أن لا يسرق فى حياته العامة . واستثناء القريب أو النسيب فى التعيين أو الترقية سرقة ! والوزير فى حياته الخاصة لا يحابى مقاولا أو متعهدا على حسابه فلماذا يحابيهم على حساب الدولة ومال الأمة ؟ والوزير فى حياته الخاصة لا يقبل خادما خائنا أو كسولا أو فاسد الخلق . فلماذا يقرب منه فى الوزارة موظفين من هذا الطراز ؟ والوزير فى حياته الخاصة لا يبذر أمواله ولا يصرفها ألا فيما يعود عليه وعلى أسرته بالنفع فلماذا يبذر أموال الامة فيما لا تجنى منه أية فائدة ؟ نريد — باختصار — وزيراً يشعر بواجب الرجل النزيه الأمين الشريف ويؤديه فى تصريف شئون الدولة كما يؤديه فى تصريف شئونه الخاصة

* * *

والآن ؟ الآن وكلنا يشعر أنه لابد من بث روح جديدة فى طريقة حكم هذا البلد الآن ونحن نشعر أن الآلة تسير ببطء وفى غير انتظام . هل يجوز لنا أن نبقى مكتوفى الأيدى نشكو ولا نتكلم نرى المنكر ولا نسعى لازالته إلا بأضعف وسائل الايمان ؟

كنت أتحدث يوما الى أحد الرجال الذين حكموا هذا البلد فى فترة من الفترات أظهر فيها كل ما يستطيعه الحاكم المنتج متى صح عزمه على الانتاج فجاء ضمن حديثه أن رجال الحكم عندنا يأتيهم الحكم فجأة دون أن يكونوا قد أعدوا له عدتهم لأنهم طالما كانوا خارج الحكم لا يفكرون فيما يجب عليهم نحو الوطن ، ولا يضعون لانفسهم برنامجا ينفذونه متى وصلوا الى الحكم فيضيع وقتهم وهم فى الحكم فى دراسة المواضيع وبحثها ، ووقت الحاكم قصير ومشاغله متعددة . أما اذا كانوا يدرسون تلك المسائل فى أوقات فراغهم الطويلة خارج الحكم فانهم لا يصلون الى كراسى الحكم حتى يبدأوا بالتنفيذ

فتتلاحق أعمالهم ويغزر جهدهم ويجنى الوطن ثمار ذلك

تلك شكوى حقة قد سلم منها رجال الغرب لأنهم اعتادوا أن يشعروا انهم فى الحكم مرتبطون بثقة أغلبية مجلس النواب وان سبيلهم لاستبقاء تلك الثقة أن يثبتوا للمجلس انهم رجال انتاج وان يشغلوه بما يقدمون له من أعمال

ولم نسر على غرارهم فى مصر لاننا لم نعتد بعد حكاما وأعضاء برلمان أن نشعر الشعور الكافى بمسئولية الوزارة أمام مجلس النواب وبأنها عرضة للسقوط اذا فقدت ثقة أغلبيته

وهذه حال يجب ألا تدوم

يجب أن يرد للبرلمان اعتباره وأن ينهض بواجبه مطمئناً شاعرا بحقوقه، أمينا عليها

ويجب أن يحكم البلد بروح جديدة روح الثورة المصرية الكبرى التى تلقينا من وحيها دروس الثبات والجرأة والاقدام، والتى علمتنا أن لا نخضع للاجنبى فى يوم من الايام وأن نتعلم منه الجد والعزم والانتاج والحزم

ليست المسألة عندنا أن نأخذ بتلابيب الاساليب القديمة ونحورها، ونقول انها أصبحت جديدة كتاجر الحلوى الذى يأخذ الفطيرة الكبيرة وقد مضى عليها فى محله الايام الطوال فيقسمها قطعاً صغيرة ثم يقول انها طازجة. وليست المسألة أن نستبدل برجال رجالا ينهجون نفس النهج ويسيرون الهوينا كمن سبقهم

انما نريد لهذا البلد أن يحكم حكما صالحا حقا حكما تتمثل فيه ارادتنا الثابتة القوية فى انشائه نشأة جديدة تقوم أخلاقه وتزيد فى انتاجه وتملأ جوانبه عزة وحدوده وشواطئه منعة

نريد حكما يدرك كل موظف فيه — أو يجب أن يفهم بكل الوسائل أو يفصل — أنه فى وظيفته ليخدم الأمة، لا ليخدم نفسه، وليقضى مصالحها لا ليقضى مصلحته، وليضحى بأوقاته كلها من أجلها لا ليقتل الوقت فى مكاتبها بغير عمل

نريد حكما يدرك الوزير فيه أن الوزارة تكليف لا متعة وأن الحكم جهد وتعب لا راحة ودعة وأن الوزير الذى يستغل سلطان الوزارة لقضاء مصالحه الشخصية ومصالح أقاربه وأصدقائه وأنصاره خائن للامانة التى وضعتها الامة فى عنقه فهو لا يستحق البقاء لحظة واحدة فوق كرسى الحكم وان

الوزير الذي يعين قريباً له في وظيفة لا تؤهله لها كفايته ودرجاته العلمية لص يضع يده في خزانة الدولة التى اوتمن عليها ويختلس منها فى أول كل شهر المرتب الذى يقبضه قريبه بغير حق. فهو سارق وسرقته مستمرة. وهو جان على مصلحة الوطن لانه يحرمه خدمات موظف كفء مفيد ليثقل كاهله بقريبه الذى يضر ولا ينفع! والوزير الذى لا يحجم عن ارتكاب الاستثناء لنفسه لا يستطيع أن يرفضه لغيره

ان الوزير الذى يوزع وظائف الدولة بغير استحقاق على الاصدقاء والمحاسيب سفيه يسىء التصرف فيما عهد به اليه، وأن بقاءه فى الحكم اجرام فى حق الوطن يسأل عنه نواب الأمة الذين انتخبتهم ليراقبوا أمثال هذا الوزير، ويحولوا دون استرساله فى سفهه

نريد حكماً يشعر فيه عضو البرلمان أن الامة انتخبته ليراقب الوزارة ويحاسبها فيراقبها ويحاسبها ويقتصر على المراقبة والمحاسبة

ذلك أننا نعتقد — والتجارب تؤيدنا — أن الذى يحول دون مراقبة عضو البرلمان للوزارة، ودون قوامته عليها كما هو واجبه أنه يلجأ اليها فى قضاء مطالبه ومطالب أسرته ودائرته الانتخابية. والنائب الذى يطلب إلى وزير أن يحابيه أو يحابى قريباً له أو صديقاً لا يستطيع بعد ذلك أن يلوم الوزير لانه حابى نفسه أو غيره!

نريد إذن حكماً يقتصر فيه عضو البرلمان على مهمة الرقابة والمحاسبة ويجد فيه الوزير جرأة على رفض كل رجاء أو الحاح أيا كان مصدره ما دام بعيدا عن الحق. فبذلك، وبذلك وحده تستقيم الامور ويؤدى كل واجبه وينال صاحب الحق حقه بغير سعى أو رجاء. فأن شر الحكومات حكومة يخافها البرىء ويظفر بحاجته الافاق

نريد حكماً يضع كل سلطة فى موضعها لا تتعداه ولا تتخطاه: فللسلطة التشريعية التشريع والرقابة وللسلطة التنفيذية الحكم والادارة وللسلطة القضائية القضاء بعيدة عن الاهواء مستقلة تمام الاستقلال

فى مثل هذا الجو وحده ينهض الوطن ويسير نحو الهدف بخطوات سريعة لا يعوق طريقه عائق ولا تقف فى سبيله العراقيل

وعند ذلك نستطيع أن نعالج جميع العيوب التى ضربنا أمثلة على بعضها علاجا حاسماً مفيدا.

وعيوب الحكم عندنا متشابكة متلاحقة بحيث انك — كلما عالجت عيبا — أثر فيما يجاوره فامتد العلاج ناحية بعد أخرى حتى شمل جميع النواحى

ولا ترجع عيوب الحكم فى مصر — كما تدل عليه جميع هذه الخطرات التى طالت وآن لنا أن نختتمها — إلى عيب فى نظام الحكم نفسه فان تقصير الناخبين فى مراقبة ممثليهم وعدم نهوض الاحزاب بواجباتها ونكول أعضاء البرلمان عن أداء واجب الرقابة على الوزراء وتخطى بعض الصحافيين الحقائق فى كتاباتهم هذه كلها عيوب عرضية تزول مع الزمن ولا تعيب نظام الحكم فى جوهره فهو خير سياج عرفته مصر لحرية الافراد . والشعوب لا تنتج ولا تنهض ولا ترقى إلا فى جو الحرية

انما العيب عيب الرجال . يقول تاسيتوس : « إن أفضل آلة للحكم هم الرجال الطيبون » . إن الحاكم القادر الامين يصلح الفاسد من الانظمة كما يصلح القاضى العادل السليم التقدير ما فى القانون من غموض أو ظلم

فالمسألة إذن مسألة أخلاق قبل كل شىء . وانما تأتى الامثلة الطيبة للاخلاق من أعلى . واجب الوزراء منحصر فى السعى لجعل أفراد الامة أكثر فهما وأمتن خلقا وأقوى اتحاداً وصفاء . واجب الحكام الدعوة للخير والاكثار من أسباب الرخاء فى البلاد والاقلال من بواعث الشكوى والالم ، وتخفيف حدة البغضاء بين المواطنين وتشجيع الجدارة والعمل المنتج وتنمية معنى الخلق وروح التضحية وحب الوطن فى النفوس

ان المثل الطيب تضربه وزارة قوية فى الحكم بما تبديه من سهر على الصالح العام وقصد فى المظاهر وعدل تام فى معاملة الناس وامتناع عن كل استثناء وابتعاد عن مواطن الريب ليسرى فى أنحاء البلاد سريان الدم فى جسم الانسان . وكما أن الفساد يدب فى السمكة من رأسها ويمتد حتى يصل الى أطرافها فكذلك الاصلاح يبدأ فى الامة من أعلى ويمتد الى الافراد

فمتى ظفرت بالوزير النزيه المخلص المنتج المتسع الصدر للنقد ضمنت الناخب المستقل الساهر على حقوقه وعالجت اهمال الناخب وتراخيه . ومتى عولج الناخب واهتم بشؤونه وسهر عليها استرد النائب سلطانه وحاسب الوزير وقوم اعوجاجه وهكذا يهبط الاصلاح من أعلى لاسفل ثم يرتد من أسفل

لا على أكثر قوة وأشد فعلا

ولا بد لهذه القوى المشتتة الآن ، لهذه القوى التى شعرت بضعف طريقة الحكم القديمة وعدم صلاحيتها والتى تريد للوطن ان يستنشق جوا جديدا وأن يحس دما جديدا يسرى فى عروقه لا بد لها من أن تصل إلى الحكم فى يوم من الايام أراه قريبا وان رآه البعض بعيدا

ولكن ما سبيلها للوصول إلى الحكم ؟

أما سبيلها الاول فهو فى أن تتجمع وتوحد جهودها وخطة سيرها وأن تطلب الحكم فى اقدام واعتداد بالنفس واعتصام بالحق وتقدير للمستقبل

ان الوصول الى الحكم فيه جزء كبير من الحظ ، والحظ — كما يقول مكيافيلى — كالمرأة يجب معاملتها بالجرأة والعنف لاخضاعها وهى تبسم على الاخص للشاب الجرىء المخاطر لما فى أخلاقه من الاقدام والقوة

يجب اذن أن نطرح عن أنفسنا رداء الضعف والاستكانة وأن نعلم أن للسن احترامه وله أيضا ضعفه وتردده وأن للتجارب أهميتها وفائدتها ولها أيضا ماتشعه من روح الخوف والنكوص وأن للتواضع ميزته وفيه أيضا قبر الكفايات ومنعها من الظهور

يجب علينا اذا أن نعلن — فى صراحة وقوة — عن اطماعنا وعن رغباتنا عن الطريقة التى نريد أن نحكم بها البلاد لو عهد الينا بحكمها

وهذا أوان الصراحة والاعلان . إن الوطن يبحث عن طريقه وان له لاطماعا يريد أن يحققها وأن للشعب لمطالب يريد أن ينفذها فللعمال مطالب قد عبروا عنها ولا يزالون يطلبونها وللفلاحين حقوق — اذا كانوا لم يطالبوا بها حتى اليوم فسيطلبونها غدا وويل لنا من ذلك اليوم ان لم نمهد له من الآن — وللنهضة القومية مطالب تشمل الجيش والتعليم والتجارة والصناعة والزراعة والشعب فى سعيه لتحقيق تلك المطالب يبحث عمن يستطيعون تحقيقها له

فكيف يرانا الشعب إذا كنا عن أنظاره مختفين ؟ كيف يطلب الشعب الينا انقاذه من محنته إذا بقينا فى عزلتنا لانصاحه بآرائنا ولا نشرح له وجهة نظرنا ؟

لا بد لنا اذا من برنامج واضح صريح يوقظ الضمائر النائمة وينير العقول المظلمة ويذكى الحماسة

الخامدة ويشعل اللهيب المنطفىء . أما هذه الآمال التى تملأ تفكيرنا منفردين وتخالط أنفسنا منعزلين فكأنها والعدم سواء ما دمنا لا نعلن عنها ولا نعرف الشعب بها ولا تدعوه للالتفات لها . فالشعب حين يبحث عن حكامه — وشعبنا الآن يبحث عن حكام يرتضيهم وينقذونه من محنته — لا يبحث عنهم فى الزوايا والجحور . وإنما يبحث عنهم بين البارزين الظاهرين لا المتوارين المنزوين

هذه هى دعوتى لكل مصرى يريد الخير لوطنه ، ويجب أن يساهم فى علوه ومجده

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

دوبردجه

هذا الاسم يجب أن يذكره القارىء فى هذه الايام القلقة لانه سوف يتردد كثيراً باعتباره لقمة النزاع بين بلغاريا ورومانيا . وهو اقليم تبلغ مساحته ٩٠٠٠ ميل مربع . يقع فى الشمال الشرقى من بلغاريا وسكانه بلغار وأتراك ولكنه الآن جزء من رومانيا . ولما كانت بلغاريا فى وسط البلقان ويخشى من انحيازها الى ايطاليا أو الى بريطانيا فى الانتظام الحربى القادم فان دوبردجة ستكون بلا شك احدى المكافآت التى ترشى بها من أحد الفريقين . وتطل دوبردجة من الشرق على البحر الاسود . ولذلك قيمتها كبيرة بانزال الجنود الروسية أو للاسطول البريطانى



القديسة — للرسامة مارجريت كاميرون

الشاعر الايطالى: لوتاس
وملحمته: أورشليم المحررة

بقلم الاستاذ محمد حاج حسين

العبقرية دائما معذبة، لن تجف مآقيها

ولقد تتالت الالام الصاهرة العنيفة، على قلب الشاعر لوتاس فمزقته، وجعلته يسبح فى بحيرة من الظلام الفاحم. وكأن الشقاء الهاصر كتب على أولئك الذين أرسلتهم الحياة ليريقوا الوهج والنور على أبناء الحياة، سنة طبيعية لا نجوة منها، ولا سبيل الى النبوة والجفوة بينها، والالام والطرد والنفى ترعش الذعر فى لوتاس، وتدب الوهل والفزع فى أوصاله، ويتمنى الحياة التى بدأها المليئة بالعطر والزهر المحفوفة بالمحبة الوضاءة، والاجلال المرموقة، والدعة الهنية اللذة، ولكنه وهو الشاعر العبقرى الموهوب، والحياة قد أضاءت عليه هذه النعمة الرضية السابقة، فلا بد أن تنحره الالام الضاوية، وترهقه قترة حتى لا تنشف له دمعة، فلطبيعة الرؤوم لا تمنح شيئا الا وتسلب أشياء

نشأ لوتاس فى بيئة شاعرة. وخفق فى بيت يرجم الشعر، ويدوى فى الخيال المجنح، ويرنق بالعاطفة العذبة، فوجد الواحة المخضلة التى يتطاحن عليها ليعب منها، ويملأ صدره بأعرافها النادية الوانية. فكان أبوه شاعرا ينغم القصائد، ويدبج المسرحيات، ويتردد اسمه فى الاندية الادبية. ولوتاس الطفل، ينعم فى هذا الانساق الشعرى الذى تهفو اليه جوارحه الطفلة. وراح أبوه يتعهد برعايته هذه النبتة الشاعرة، ويهمى عليها الرى والغضارة، حتى تورق وتينع وتوتى أكلها الشهى المستطاب

فى اليوم الحادى عشر من شهر مارس من سنة ١٥٤٤، ولد توركاتو تاسو (لوتاس) فى سورنت

التى تحاذى وتصاقب نابولى ولم يهفو الى العاشرة من عمره المعنى حتى نفى أبوه من بلدته الهادئة فانزوى الى روما ، وبعدها الى مانتو . ودرس « لوتاس » القانون فى بادوا . وكانت نفسه متململة من هذا الجفاف الذى ينثال من القانون فيتطلع الى أفق أسمى فتعتلج فيه الشاعرية الخصبة. وفى الهدأة الهاجعة من الليالى الساجية المطمئنة كانت شفتاه الملهمتان تهمهمان بالشعر الحى . ولما نهد الى الثامنة عشرة طبع أولى تواليفه « رينلدو » يعزف فيها على نغمة الفروسية الذائعة الشائعة تدوى فى آذان العصر وهذا المؤلف الذى نضحت به قريحته الفتية جلب اليه المجد فتأفقت شهرته مما حدا بالفونس دالت الثانى ان يدعوه اليه ليضمه تحت جناحه ويشبله فى رياض ترفه . واهتبل الشاعر الفرصة السانحة فى هذا القصر العامر بأفانين اللذة ليبدأ ملحمته : اورشليم المحررة

ويذهب الى فرنسا فى مهمة سياسية ، ويستقبل بحفاوة زاهرة ويؤوب الى بلاده أوبة ظافرة ، وتسرى اشاعة ان لوتاس التقى بالشاعر المجدد الكبير دونسار رئيس الثريا فى البلاط الفرنسى . وعند عودة لوتاس الى فرار تمثل له مسرحية تنال النجاح المزهو الاكيد ، ويستفيض اسمه وتتدافع عليه النعم فهذا زمنه يتلذذ وينعم ويتيه فى ابراد السؤدد ورفاغة العيش الرسيغ فى عائلة دست الحاكمة التى أظلته برعايتها . وأختا الفونس لوكراس والينوركانتا تطفحان بالاعجاب، بعبقريته المتوقدة التى تسلسل الشعر الصافى الديباجة الأنيق اللفظ الملىء بالعاطفة الشادية

ويحدثنا جوتيه شاعر المانيا أن لوتاس عشق الاميرة لينورا عشقا قويا وارتفعت به الى أفق سماوى فراح يتغذى من طلقها الملائكية المشبوبة وعيونها الهائمة الحالمة ووجهها المبلج الذى تترقرق فيه نضرة ناضرة وتتهادى فيه حمرة الورد الزاهية . وينفض لوتاس القصائد الوامضة بالاشراق المنساب منها الوجع يحى زهرته التى لا يستطيع نشق ارجها العبق ولا إمتاع نفسه باوراقها الملثمة بالندى وكأن الغرام والهيام اثم حرام . وكأن حب الأميرات لا يجوز فكان هذا الهيام العنيف يتسكب فى أغانى رائعة بارعة فيها وجاعة صارخة ودموع دافعة . غير أن حبه المضطرم اللافح كان الخطوة الاولى لشقوته البائسة فتعانقه الرزايا الكالحة وتتواثب عليه الاحن المحطمة . وكان قد فرغ من ملحمته اورشليم المحرره فيتعاوره رنح شديد وتعروه رجفات ، فيصدف عن طبع ملحمته ويزوز عن اذاعتها فى الناس خشية ان تكون محملة بأخطاء دينية ليطمئن لها قلبه المؤمن ونفسه الدينية ويمسك

يعرضها على اللاهوتيين ليروا رأيهم الصراح فيها وعلى النقاد لينقحوها أو يجملوها . فراح يعرض الآراء المتناقضة والنظريات المتضادة يدرسها درساً محكما ليرى أحقها فى الأخذ والرمق بعين الاعتبار وفى هذا تشويه وتصحيف وتشنيع للمخلوق الفنى الذى اندفق من أعماقه لا يد له فيه ولا حيلة كما ينبعث الشذا من الزهر أو كما تنطلق الأغاريد من العصافير الثملة بخمرة الطبيعة العباقة

ولحسن حظ الادب ظهرت طبقة من كتابه قسراً عنه فتدافع يأس كريه كريه وافت فى عضده وفى غمرة هذه الآلام العارمة ذاعت جلبة حارة « تدوى فى البلاط عن سلوكه المشين المهين نحو اخوات دوق فرارولى نعمته فيلقى عليه القبض وقد كان فى حفلة ساهرة راقصة فى البلاط وينفى الى رهبان دير القديس ، ورانسو ليقضى حياته بين الجدران الجهمة يذوق مرارة الاسى وفجعة الحرمان . غير انه لا يستكين الى هذا القضاء الظالم فيفر ويلوى عنانه ونراه فى توران ونابولى حيث يذهب الى شقيقته . ويظل فى رحلته متنقلا مختفياً وقد مردت نفسه على الآلام الهادة

ويغتنم فرصة زواج الوفنس دست دوق فرار مع مرغريت دى غونزاك الفاتنة الآسرة فيظهر فى البلاط . ويرى انه استقبل بما لا يليق وتحدث رجة ويلقى عليه القبض ويزج فى مستشفى القديسة حنة ليمنع النور والحياة والحرية التى يمجدها ويغنى بها . ويظل فى هذه الفحمة سنوات حتى يستطيع الخروج بعد أن ذاق الامرين فانجلت عنه الفحمة وراح يضرب فى مناكب ايطاليا الجميلة ويدحو أرضها ويجوب مدنها الضاجة العاجة ويستقر فى نابولى فى دير مونت أوليفى . ويشعر ببعض الراحة من ذلك الارهاق الغليظ الذى عناه به الدوق الفونس دست وهو لم يجترح أى جريمة مشينة تستحق هذا الفيض من الشقاء المدمر . ويهجع على أحلامه الهادئة ، فيفىء الى عزلة قريرة ليتمتع بالطمأنينة الرخية ، وبالاستقرار والسرور المنشود ، وليبعث الشعر حيا ، تختلج فيه عواطفه المكبوتة ، فراح يعيد ملحمته بالصقل والتشذيب ، فكان له « اورشليم المحتملة » صدى خافت باهت ، وترجيع حائل فاشل لتلك الدفقة الشعرية الخالدة لملحمته « اورشليم المحررة » التى تاهت على الزمن وبسمت فى ثغر الخلود ولحسن حظ الأدب ، أنها طبعت رغماً عنه ، ولولا هذا لكانت لنا النسخة الأخيرة الكسيحة المتعثرة فى خطاها ، وحرمنا روعة الشعر المنسابة من ثنايا سطور « اورشليم المحررة » وهكذا فالفنان يخلق ويبدع ويبتكر . وينفخ الحياة فى اثره الفنى ولكنه يظل ساهما واجماً

ازاءه ، يود أن يكر عليه ويعود بالتهذيب والدرس ، ليكون قمينا بفنه السامى الذرى ويسمق الى العلا ، وقد يكون فى هذه الحادثة الفشيلة ، حنق الاثر الفنى ، وترديته فى هوة الفناء ، بنزع الطابع الحار الذى اندفق مغلغا فيه .

ويهدى نسخته الاخيرة « اورشليم المحملة » الى الكاردينال سينيتيو الدوبرنديني الذى طلب البابا ، أن يتعطف فيمنح الشاعر « التاج الذهبي » الذى ناله بترارك العظيم ، ووافق البابا برغبة صادقة ونية موفقة ، غير أن لوتاس قد زحمه مرض قتال وأدنفته علل مدنفة فلم يقو جسده النحيل الذبيل ، على احتمال الداء البراغ وحشرجت روحه مودعة هذه الدنيا الملتوية ، عندما كانت الاستعدادات على قدم وساق لاقامة الحفل المتألق بالبهج النضر فلم يمتع نظره بهذا الحفل الفخم ، لأنه كتب عليه الشقاء وكانت موتته فى ربيع سنة ١٥٩٥ فخبت هذه الجذوة وهمدت هذه الفورة ، ولما تمرع فى الربيع المخصاب الممراع .

وننتقل الى تحليل ملحمته « اورشليم المحررة » وعرضها بدقة لنرى موضوعها ونجوس فى خلالها لنساير احداثها ونتغلغل الى أبطالها وننعم بحبكتها . ولا يعزب عن البال وينِد عن الخاطر ، انها إحدى الملحمتين التى يزهو بها الآدب الايطالى ويرفع الرأس شامخا فى الكوميديا الالهية لدانتى واورشليم المحررة الغرة الشادخة فى الادب الايطالى الخصيب .

وليجرى معى القارىء فى هذه الاجواء النابضة باختلاجة الحياة وايماضتها النقوية ليرى كنه هذه الملحمة التى تفتقت بها شاعرية لوتاس الفسيحة الجوانب البعيدة المدى المغمورة بالالهام الدفيق

فى بدء الملحمة وحين تتسلل الاناشيد الاولى نرى أن جمهرة الصليبيين بحشدهم الحاشد الذى يزخر بجموعهم المتلاطمة من كل فج عميق تحت امرة « كودفرا ودى بويون » قد زحفوا كالجراد ، نحو انطاكية الحصينة وبعد جهد جاهد ، وكفاح مرير ، وحرب زبون استولوا على أسوارها المنيفة فدكوها دكا وتدفقت جموعهم موارة صخابة الى أسواق انطاكية الخالدة يمرحون ويهرجون ، بعد نصرهم الرقراق ، ومجدهم الاثيل ، ولقد عبوا من نسيمها الناعش وملأوا صدورهم الواجفة بأعرافها الشاذية ، فانهم صرفوا خمس سنوات طوال فى مقارعة ومصاولة ومدافعة ومجاذبة أبطال انطاكية الاشاوس ، أولى العزم الحديد والبأس الصليب . وها هم الصليبيون يأخذون الاهبة ويعدون العدة

للسير نحو مهوى آمالهم ونجوى أرواحهم والخفقة التى تخفق فى قلوبهم ، أورشليم المقدسة ، ينبوع الضياء وبلد المسيح ، والارض النورانية التى عطرت الكون بأفياء النبوة . وان لفى أعماقهم عزمة حافزة وجرأة نادرة لانقاذ البلد القدسى وتخليصه من المسلمين

ويخفق الملاك جبريل بأجنحته النـــادية وبطلته السنية ، وأنواره الملائكية على كودفروا الزعيم المؤزر ، فيلقى له النصائح الغالية ويمحضه اياها خالصة من كدرات الشوائب ، فيجمع كودفروا ، زعماء الصليبيين المغاوير ، انصياعا لرغبة الملاك جبريل الالهية ويحدثهم بخطاب يتفجر فصاحة ويسح إلهاما عن غرضهم الذى تركوا أوطانهم وأهلهم فى سبيله واقالته من عثرته والقداسة التى تجنحه وتسمو به الى سامق الذرى ولا يذهل عن تذكيرهم بالعهود المخلصة التى اقتطعوها على أنفسهم راضين مغتبطين بالتضحية السامية لدرء الاذى ورد العوادى عن اورشليم التى ترنو جوارحهم لنشق أرج تربتها الذكية التى قدستها أقدام المسيح الطاهرة وألهبتها أنفاسه الشريفة ، وها هى تنتهك حرمتها فى هذا العهد الاليم ، فلنسعى الى خلاصها ، تعربد فى أفواهنا أهازيج الفرحة الداوية لان الله قداختارنا لهذه الرسالة المليئة بالنور المفعمة بالاشراق

وينهض بيار لارميت (بطرس الراهب) مؤجج هذه الغزوة ومذكى ثورتهـــا ، يشب كالهواء النواح ويرتقى المنبر ، ويهتف أناشيد مقدسة ، ويردد الادعية الضارعة ويقرأ الاوراد التقية ، وهو مسبوه الالب ، ساهم النظرات منتفض اللجنة ويمنى نفسه بالعيش الاغلف فى ربى فلسطين ، وسهولها الفياحة ، وجبالها الواجمة . فيحرك القـلوب بلسانه الفتيق ويوقد الحماسة ببـلاغته المنقطعة النظير ، فيتهادى الفرسان الـكماة على صهوات الصافنات ، وقد تدافعوا وتلاحموا ، وهدفهم الفريد أورشليم وتحريرها وتجفيف دموعها المتحدرة من ما قيها التى قرحتها النوائب ونصبت عليها هالات زرقاء فيها اغبرار وفيها قتومة صارخة

وتعرض الحملة وتمر امام الانظار مزهوة برجالها فخورة بكثرتها ، مدلة بعسفها تتباهى بقادتها الغر الميامين : فيرى اخوى كودفراى القائد « بودوان » و « ايستاش » يمران ملتثمين بلباسهم الحربى وشعاع الشمس يضرب فى أخواذهم الفولاذية فترى كأنها شعلة لاهبة . ويتـلوهم « دودون » عميد المخاطرين ، ومعاذهم و « جرنود » الشاب ابن ملك نروج وهو يتسعر ذكاء ويتوقد حزاما و « رنود »

و «تانكراد» و «ريمون» كونت تولوز وغيرهم من الذادة المساعير والحماة الاباة .. وهم يمورون بحماسة رائعة لمسح كلوم فلسطين الدامية

ويترامى الى السلطان علاء الدين حاكم القدس أخبار هـذه الحملة المهاجمة وتأتى عيونه تبث الحديث عن «الصليبيين» الزاحفين لاخذ القدس من أصحابها الشرعيين فينتفض السلطان انتفاضة جبارة ويرمضه أن يرى هؤلاء الناس الزاحفين يسعون للاستيلاء على أورشليم ، فيأخذ كامل الاهبة ووافر العدة ، ليتقى الطوارىء الفاجئة ويكون بنجوة من الجيش الصليبي العرمرم الذى يثور ويفور ويغلى ، ويعطى علاء الدين ، أذناً واعية وقلبا صاغيا ، الى نصائح الساحر ايسمان الغالية ، الذى يهيب به بحجة نافذة ، ان يأخذ صورة للعذراء مريم الطاهرة المتهادية سعيدة ، فى احدى الكنائس المسيحية فيتهيأ علاء الدين ، وينفذ هذه المشورة ، واذا بصورة العذراء يؤتى بها من كنيستها وتوضع فى مسجد تغلق منافـذه . ولما تصرم النهار ، وطفلت الشمس منحدرة بصفرتها الى الغروب ومد الليل غلالة سوداء فاتنة على اورشليم ، وهجع الناس الى فراشهم ، يحلمون بالغـد العصيب ، ولما لألأت ذوائب الصباح أفتقدت صورة العذراء فى المسجد ، فوجدت مختفية وعن مكانها نائية ، فيتدفق الماء الحميم فى عروق السلطان ، وتحفظه هذه الفعله الشنعاء فينزو غضباً ويأمر بمذبحة عامة للنصارى لتسيل دماؤهم البريئة كالأنهار جزاء وفاقا لما اجترأوا عليه من سرقة صورة العذراء من المسجد .

واذا بصوت رقيق حلو ، فيه عذوبة الصباح ، يدنو رويدا رويدا حتى يصب فى الآذان فاذا به واضح النبرة ، نير اللهجة ، يدوى فى المكان الراعش ويتبين الناس هذا الصوت الموسيقى الذى شق السكون الساجى ، فاذا هى العذراء «سوفرونى» فتاة مسيحيه كالوردة الـكمينة تعلن على الملأ ، بلا وجل انها الجانية ، التى سرقت صورة العذراء من المسجد ، وأطعمتها للنار اللاظية ، ذات المشعل الزرقاء . ولم يرعش الذعر فى اعضاءها المتسقة حين نفضت بهذا الاعتراف المسهول . ويحكم عليها حكما غليظا فظا لتلقى فى النار الحامية ، وهى حيـة ، وفجأة يرسل خطيبها أولند زفرة حبيسة وأنة مكتومة ، ويعلن انه شريكها فى هـذه الجريرة ، ويتقدم فى هشاشة باشة ليشاركها مصيرها ، وينعم بجسدها الرشيق وهو نهبة للنيران المندلقة ، عله يخفف عنه بعض ما يعانى .

وفجأة يلتمع الافق الصاحى بوهج غريب وتشعشع الدنيـا بألق باهر وتبدو للعيان الفارسـة

كلورند ، وقد اتشحت بلباسها الحربى الخلاب ، وقد جاءت من بلاد فارس العجم ، وتقول لعلاء الدين ، انها مستعدة لتضع ذراعها العبل ، وحسامها المشبق ، تحت طوعه ، وترهن نفسها فى خدمته ، على شريطة أن ينقذ العذراء الرعبيب وخطيبها الصنديد ، من هـذا الحكم الشديد الذى ترزح تحت وقره همم الجلاميد .

فتطغى فرحة على علاء الدين لأنه يعلم قوة هذه الفارسة ، فيصيخ لرغبتها النبيلة .. فينجو الخطيب وخطيبته من الحـكم الـنكر القاسى ، ويهيما ليترشفا رضاب الحب والحياة والشباب .

وتصل جيوش الصليبيين ، وتتدفق جماهيرهم الفقيرة الى أسوار أورشليم ، ويتعاورهم رنح شديد وحنة غريبة وعواطف متباينة ، أمام أورشليم ويعتزمون العزمـة الأكيدة لينتصروا بأقرب مـدة ليتضمخوا بعطور القدس وينشقوا نسماتها العذاب ،

وتقع الموقعة الأولى بين الفارسة « كلورنيد » التى افتـدت الخطيبين ، وبين الفارس الصليبى تانكراد الرئبال وينعقـد الغبار وتتوالى الفزع ، والاخذ والرد ، وتشتد الملحمة ، فيضرب الفارس الصليبى الفارسة على خوذتها ، فتشق وتتناثر منها الخصل الذهبية الوهاجة ، وتتماوج فى الهواء العاوى شعيراتها الشقراء الرهاجة ، فتكلل جبهتها المصقولة ، ولها لمعان يأسر العين ويكهرب اليدين ، فتعرو الفارس الصليبى جنة ، فيرسل كوبيد سهامه الحادة الى فؤاده فيتدله بهذه المحاربة الحلوة ويبرحه حبها فيراوغ ويدارى ولاتطاوعه نفسه الصادية لجمالها البسيم ، لن يضربها بسفه التيار بل كان ديدنه ووكيده أن يدرأ عنه ضربات سيفها النافذة ويتقيها بلباقة ماهرة وهو مفتون اللب مستطار النهى مجنون بهذا الشعر الذى له رونق الضحى وبهجة الحياة ومتعتها المستمرة الشعر الذى لايفتأ فينحدر على وجهها الصابح الذى له رقة النسيم ونضرة الزهرة فيغرقه فى ذهول كبير ..

ويرى « كودفروا » قائد الحملة الصليبية بثقب ذهنه ، وفطرته الشفافة وباصرته الملهمة انه بحاجة قصوى لصنع آلات ليحاصر اورشليم من جهة الشمال ، فيرسل جنودا الى الغابات الـكثيفة الشجراء المجاورة ليجتثوا الأشجار اللازمة لهذه الغاية التى تفتقت عنها قريحته البكر الوثابة .

... وها نحن ننتقل الى الجحيم ، يقودنا اليها الشاعر لوتاسو برشاقة وخفة ، فلا يقطع عنها هذه الاوركسترا من الموسيقى الشعرية الجائشة ذات الالفاظ المتلاحقة المتتابعة التى تؤلف اجواء غريبة

من جلال الشعر وجمال وقعه ولذيذ ادائه

وفى اعماق الجحيم الحمراء نرى « بلوتون » زعيم الابالسة يعقد فى جوف قصره الشامخ جلسة مريعة ، يحضرها الكثرة الساحقة من الشياطين فيقوم بلسانه الذرب ، موقداً الحماسة فى نفوسهم ، يدعوهم بصراحة نادرة ، الى مجابهة المسيحيين وصدهم عن بغيتهم ، وخنق أمانيهم الحسان . فتتردد فى الصدور آهات جيشه ، وتنطلق زفرات حرى . وماجت أفكار الشياطين بصور ربداء فانطلق أحدهم يخفق بجناحيه حتى حاذى دمشق الريانة الخالدة ، وذهب لطيه الى ساحر نبيه الذكر ، ذائع الشهرة كان قد اتخذ دمشق مقراً . ينفث بسحره واسمه هيدارو عم ارميدا الخلابة ، الطافحة بالمحاسن ، وكانت ساحرة بليغة الفقه لاسرار السحر وأبوابه ، لاتمس شيئا الا وتفعل به العجب ، وتداف هذه الساحرة وتأخذ سمتها ، الى خيام الصليبيين متشحة بثياب أميرة ، كسيرة النفس ، بادية الحزن وتقول لكودفروا قائد الحملة الاكبر ، انها أميرة محطمة ، تتابعت عليها الاحن وتلاحقت الرزايا ، فطردوها من دمشق محط امارتها ، وهى ترجو منه أن يرق على بؤسها الضاوى ، فيرسل معها كتيبة من الفرسان المغاوير ليردوا عنها العوادى ، ويغمزوا قناة المغتصبين ، ويعين القائد عشرة من أبطاله الاشداء ، ليرافقوها وتنشب معركة حامية بين هؤلاء الذين كان لهم الشرف الاسمى فى مرافقتها . فان جمال أرميد داع مغر محرك لاسمى النزعات .. فيشك البطل دنو ، فى رمحه الاسمر زميله جرنود ، شكة نافذة يترنح على اثرها ، ويهوى متشحطاً بدمه ويهرب دنو خشية أن يقبض عليه ويساق الى حتفه ، فيرف فى البرارى منطلقا على غير هدى ولاوعى . وتثور معركة أخرى متسعرة بين الفارسين : « تانكراد » و « اركان » فيجرح الاثنين ويرامقا بعضهما بعين عدوة ، ظمأى الى الدم ، ولكن الفسق الفاسق كان الفاصل بينهما فلم يستطيعا المصادلة والمقارعة فى سدفة الظلام .. فخلدا الى الراحة ليستأنفا القتال اذ لألأت ذكاء فى الصباح

وتثب « هرمنى » الفتاة المسلمة التى انتشلها علاء الدين عندما سقطت انطاكية وكان قد تصباها « تانكراد » وفتنها رجولته ، فترقرقت صورته فى صدرها الناهد ، الذى يشد هذه الصورة الى وجيبه المتصل ، ووجيبه الجبار ، فتحفزها عزمة حازمة ، لتذهب الى فارسها الجريح ، تضمد جرحه الدامى وتزقه قبلها المشتاقة ، عساه ينجو من الشر المحيق ، الملتمع فى الافق . . وتتنكر فى لباس الفارسة

كلورنيد ، السالفة الذكر ، وتذر اورشليم ، وفؤادها ينتفض فرحا للقاءه من تروم وتهوى وتصاقب خيام العدو ، ووراءها تبعها ، ولكنها تتوجس خيفة ، فتلوى عنان حصانها ، وتسبح على ظهره هاربة من المأزق الحرج . ويطير بها الجواد ، الى غابة شجراء ، مزهرة ملتف دوحها شادية ينابيعها بثرثرة عذبة طلقة : وترى نفسها فى وسط دعاة يقبلون عليها ، وكلهم بشاشة باسمة وترحيب فى الضيف الطارق

وراح تانكراد الفارس الجريح يتبع أثر المحبوبة الجميلة ، ولكنه ند فى الطرق الشائكة وتاه فى هذا الفضاء لايدرى أين تسعى به رجلاه ، وكان قد شم عبق الحبيبة الغالية وتناوحت عطورها تملأ صدره ، ويفتح عينيه من الغرق الذى يهده فيلفى نفسه قرب قصر الساحرة أرميد الماكرة فتدفعه الى جوف القصر لتقيد حريته وتصفده بسلاسل الاسر فيقع فى شباكها ، ناقما على مصيره متفجرا حنقا على هذه الاسرة القاسية .

ويفك كودفروا ، هذا السحر الذى تقوم به الجنية الموكلة من أرميد ، وفى غضون هذا ، يقوم السلطان سليمان بهجوم مريع على معسكر الصليبيين ، وينسحب الى القدس بعد أن أثخنهم جراحا ، ودب الجزع فى صفوفهم المتحمسة . وراحوا يأخذن الاهبة لمهاجمة اورشليم واحتلالها ، ويؤوب اليهم تانكراد ، ليخوض الغمرة ويؤزرهم بسيفه المصقول ، كما ترجع الى الصفوف المحاربة قبضة من الفرسان الصليبيين الذين كانوا ضحية أرميد الساحرة الماكرة ، وها هم يعودون للجهاد ، يعودون ببأس شديد ، بعد أن جليت عنهم الغواشى ونفضوا عنهم هذا السحر المجرم الذى افاءته عليهم الساحرة ذلت الغدر والارجاف .

وتتوجه جموع الصليبيين ، الى جبل الزيتون الأخضر ، ويقومون بصلاة عميقة وهم خشع ركع يطلبون من الله النصرة العاجلة ، ويهرعون بجموعهم الغفيرة ، وجماهيرهم الوفيرة الى أسوار اورشليم ليدكوها حتى تسلس لهم من شموسها ونشوزها فيدخلوها مطمئنين ، ويقابلهم عساكر المسلمين الاشاوس مقاومة صلبية فيجرح كودفروا قائدهم الاكبر ، وتخرج كلورنيد من المدينة لتقارع تانكراد وهذا يصمد لها ، ويصوب اليها سيفه الماضى وهو لايعرفها ، وتندلق من ثديها وصدرها الدماء غزيرة فيكاد تانكراد يجن وتعروه آلام مميتة . يالبؤسه لقد قتل أميرة أحلامه حبيبته الحسناء قد أذاقها الردى بيده .. انه وجهها الوضىء الذى تطفح منه الانوار ، أنها لتحتضر ، ولسانها يتلجلج ويدنو منها فاغر

ها ، فيحتويها بين ذراعيه ويضمها الى قلبه ضمة هادئة فتقول له لا تبتئس . وتطلب اليـه أن يريق عليها ماء العماد لتصبح نصرانية، تلاقى ربها على هذا الدين الذى يقـدسه محبوبها ، وترجو أن تلتقى معه فى السماء حيث النعيم الدائم المقيم ويرتمى امامها فاقد الحس ذاهلا عن الدنيا ، تبرحه الشواجن الكوامن ، بعد أن يعمدها ويريق عليها أنوار الدين ، وتستبـد به ترحة عنيفة ، فيغمى عليه ويحمل برفق الى خيمته ، فيستقر فى غيبوبته الذاهلة وفجأة يستيقظ ولا يلبث أن تأخذه سنة من النوم ، فيعقد اهداب جفونه ، ويستسلم الى حلم أسحم ، يرى فيما يرى النائم ، أن كلورنيد غارقة فى لذائذ سماوية تتمتع بقرب الاله وهى تتراءى من فرط السنى كأنها جثة من لؤلؤ ، وترنو اليه بنظرات حلوة فيها نعومة وفيها إيناس

وتتدفق جنود الصليبين كالامواج الهادرة الى الغابة الشجراء ، ليقتطعوا الشجر اللازم لمحاصرة «القدس» ولكنهم لا يستطيعون الآن تنفيـذ هذه الامنية الماتعة لان الغـابة قد حوصرت بالارواح الجهنمية التى طفرت من الجحيم لتحتلها وتصد عنها جنود المسيح

ويفيق «تانكراد» من حلمه المديد ، على جو صحو وهواء رخو ، ويسمع قصة الغاب المسحور فيندفع اليه تحفزه عزمة جبارة ، ويترقرق فى صدره ايمان بقوته على فك هـذا الرصد، ولكنه يؤوب بفشل ذريع ، فالسحر مكين فيشرق بغصته مروعة .. وتحزه لوعة مهلكة ..

وتتكلح الطبيعة فى وجه الصليبين ، فاذا بجفاف وجدب ماحل ، ويبوسه فى كل مكان ، والمزن ممسكة أفواهها ، فلا تجود بقطرات الغيث ، فتتصاعد الانات من القلوب المهيضة التى يبرح بها الظمأ وتتوجه جموعهم فى صلاة عميقة مؤمنة تنبع من القلوب المتقدة فترق السماء وتبكى عطفاً ، فتسح المياه بغزارة ، حاملة الرى والغضارة فتنبع القلوب ، وتنطلق الوجوه ، وتختلج الشفاه ناطقة بالشكر الى الله الرحيم ، ذى المحبة والحنة الكبيرة على عبيده المخلصين

ولنرجع الى الساحرة أرميد التى صبت كل سحرها وقوتها ، ونفوذ فنها الاسود ، حتى استطاعت أن تكسر من حدة البطل «رنود» وتفل من غربه حتى يتماوج فى الطريق التى دلفت اليها ، ويجرى وراءها مذهولا مشرداً ، لا يدرى كيف تتدافع الحركة الى رجليه ، فتقوده الى الجزيرة المسحورة ليظل هناك فى قصرها الممرد ، ويقلق عليه زملاؤه الأبطال فينتدب فارسان مغواران للبحث عنه ، ودفع

الاذى الكريه الذى ألذه وبهره .. ويضرب الفارسان المسيحيان ، شارل واوبالد ، فى مناكب البلاد الواسعة الأرجاء ، وهما يفتشان عن «رنود» وتظل تتقاذفهما الفلوات والمدن حتى يهتديا الى قصر الساحرة «ارميد» بعد طول السفر وجهده المضنى

وتنجاب الظلمة عن عيون «رنود» ويحس الشوق يدوى فى أرجائه ويعصف بشدة يدعوه لتلبية نداء زميليه ويهم بالاوبة الى اخوانه ليشاركهم فى كفاحهم المؤزر ، فينصاع لرغبة الفارسين ليصول فى الحومة ، ويشتبك فى الملحمة : فيفوز برضى المسيح وبركته الميمونة

فتند من أرميد الساحرة صيحات كاوية شاوية ، وتخفق على عربة ذات أجنحة فتمتطيها ، وتصفر الريح عاوية بين الاجنحة فتعلو العربة وتعلو حتى تضرب السماء ، وتحط على الجيش المصرى ، الفتى الباسل فتحرك حفيظتهم وتوقد حماستهم ، ليجتاحوا المعسكر المسيحى ، ويذروه هشيما ..

وها هو «رنو» الرئبال يتهادى على صهوة جواده الاصيل ، وبقربه الفارسان يمتطيان الخيول المطهمة فيقطعون الطريق ، تعربد فى أفواههم أهازيج الحرب ، وكلهم حماسة جائشة ، ويمر «رنو» بالغاب المسحور ، فيقرأ عليه التعـــاويذ ، فيفك عنه الطلاسم ، وتتسارع اليه جنود الصليبيين فرحين مرحين ، ليجتثوا الاشجار التى امتنعت عليهم الجنود ردحا من الزمن بفعل السحر اللعين

ويحكم حصار «القدس» وتزحف عليها الجنود الصليبيون كالجراد ، فتتهـــاوى الاسوار تحت هجومهم العنيف ويشتبكون فى الحرب مع فرسان المسلمين ، وتنشب معركة حادة منقطعـة النظير ، ويلتحم «تانكراد» للمرة الثانية مع «أركان» ويكتب له الغلبة والنصر ، ولكنه يدفع ثمنه غاليا ، فقد جرح جرحا بليغا فنزف منه الدم واذا بالعذراء «هرمنى» الملتهبة تتراءى وتحضر مومومقة مرموقة ، وتأخذه الى صدرها الخفاق ، وتضمد جرحه الدامى . وتقوم معركة أخرى عامة وكان النصر حليف الصليبيين ، فيزهون بهذا النصر الاكيد ، الالاق . وتحـاول «ارميد» الساحرة التى كانت تحارب بنفسها مع الجيش المصرى ، ان تضع حدا لحياتها فتذوق حتفها بيدها ، وهمت أن تضرب رقبتها بسيفها الصارم ، ولكن «رنو» يدفعها عن هذه الرغبة المجنونة ويعطيها الامان ، ويتعهدها برعايته ويمنحها عطفه وبعدها أن يضمها مليكته على عرش دمشق الجبارة تزهو بتاجها الدرى اللماع الجواهر ويتأمل ويرجو أن تقلع عن غيهـا وتكسب ماء العماد على جسدها الرشيق المشيق لتصبح نصرانية ،

وتتدفق جموع الصليبيين الزاخرة الحاشدة الى القدس وعلى رأسهم القائد المظفر «كودفر وادى بويون» وحوله الغر الميامين من الذادة السادة والابطال الصناديد

وتنتهى ملحمة «لوتاس» البكر

ومهما أخذ عليه النقاد من المآخذ ومهما قالوا وعللوا ونقبوا ودرسوا ، فلا شك انهـا مخلوق فتى جميل ، لا يخلو من معايب ونقائص والكمال لم يدرك بعد .. ونحن الآن أعطيناك صورة مقتضبة لذة لهذا الاثر الايطالى الرائع ، ونأمل أن تقرأه فى الاصل لتحس الجمال والالهام ،

الغام

ولز كاتب انجليزى معروف بنزعته العلمية فى الادب . وهو الذى تكهن قبل أربعين سنة بالحرب الجوية . وقد أصبح للطائرات فى أيامنا شأن كبير . وأعظم ما تخشاه المدن والجنود فى الميدان القاء القنابل التى تبعث الانفجارات والحرائق أو تنشر الغازات

وقد عاد ولز الى التفكير . وهو يقول أن من الممكن أن تصنع الغام جوية مثل الالغام البحرية فان اللغم يصنع لكى يطفو قريبا من سطح الماء فيبقى مختبأ الى أن تمسه باخرة أو بارجة فينفجر ويشقهـا أو يمزقها .

وعلى هذا المبدأ يمكن أن تصنع الغام جوية تطير فى الجو ببلونات صغيرة . فاذا كانت غارة جوية اطلقت هذه الالغام بمقدار الفين أو عشرة آلاف فى الدقيقة فتتفرق فى الجو وتصطدم بالطائرات وتنفجر ولما كانت الغارات الجوية تحدث فى الغالب فى الليل فان الطائرات لن ترى هذه الالغام . بل هى فى النهار لن تراها واذا رأتها لن تجد الوقت للانحراف عنها



شارع فى ايطاليا



متحف في ايطاليا

المخدرات وكيف تكافح

مختارات من تقرير رسل باشا عن سنة ١٩٣٨

ان ٧٥ فى المائة من الأفيون المهرب يدخل البلاد من جهة قناة السويس وهو اما أن ينزل الى البر الى موانىء القناة بطرحه من البواخر وهى تجتازه أو أنه يهرب من فلسطين عن طريق سيناء إلى القناة ثم يعبر المهربون القناة بالافيون سباحة والبقية اما أن تنزل الى البر على الساحل الممتد بين دمياط ورشيد أو تهرب من ميناء الاسكندرية

* * *

وبازاء ما يبدو اليوم فى حالة المواد المخدرة من تضخم فى كيانها بالشرق الأقصى فان أقل انتكاس يعترى جهود البوليس فى مصر أو أقل ضعف بها فى سياسة مكافحة المواد المخدرة ليس من دأبه إلا النكوص بهذه البلاد الى حيث ما كانت عليه منذ عشر سنوات

وما يجعل المواد المخدرة ميسورة التناول كما كانت الحال فى سنة ١٩٢٩ عن طريق خفض ثمنها فى البلاد الا أمر غير مأمون العاقبة لطبقة الفلاحين الذين كفوا الان عن شرائها

ان البلاد لم تنعم بعد بالبرء من شهوة المواد المخدرة وفى اليوم الذى تتيسر فيه ويصبح الحصول عليها فى متناول الايدى فلا تلبث أن يتهافت عليها الناس

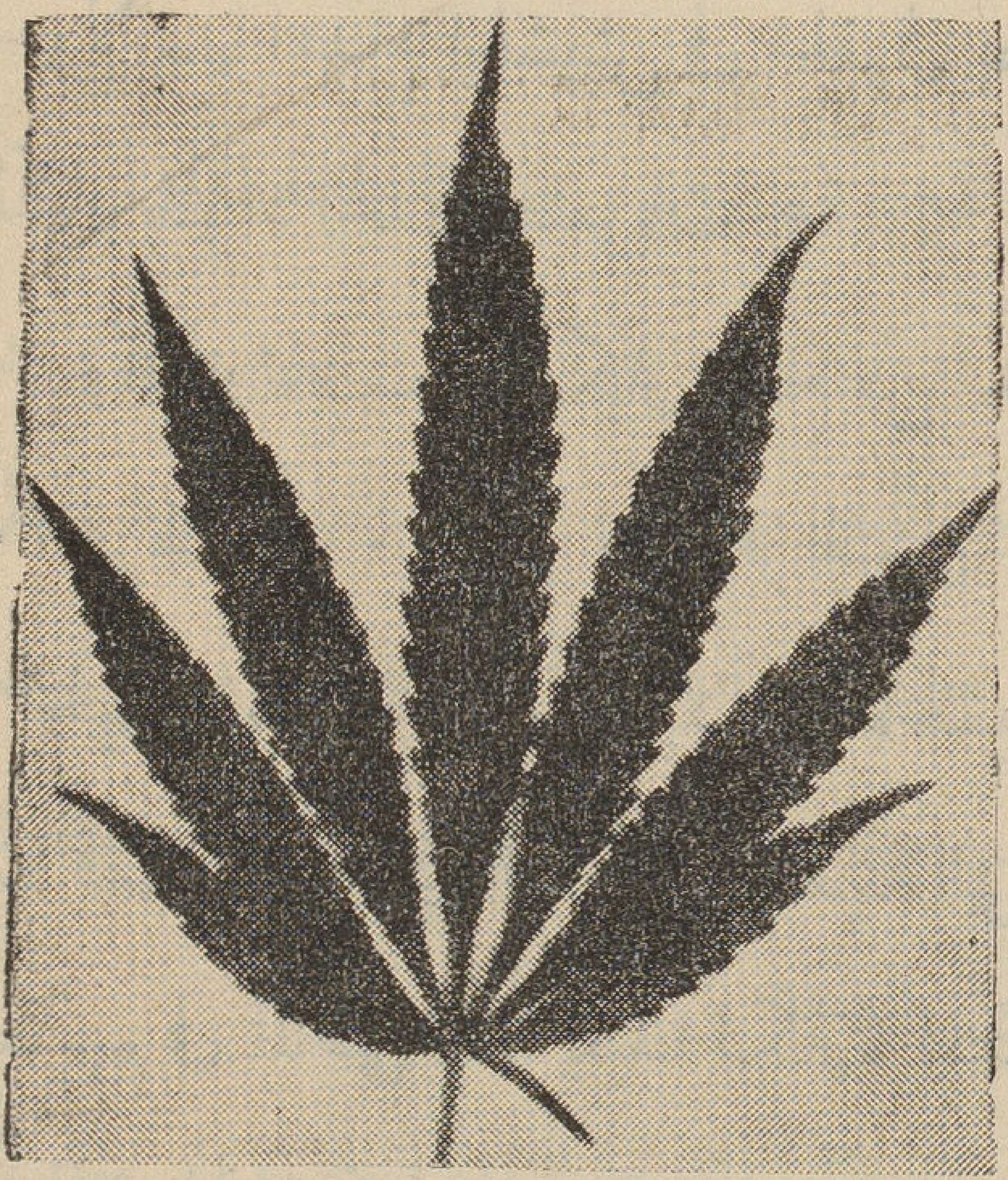
وقد برهنت مصر فى الماضى على قدرتها على قتل الشر الذى يتهددها وما عليها الان الا أن تدلل على أنها تستطيع وحدها مواصلة الجهود لمنع التنين من أن يطل ثانية برأسه السام

* * *

والطريقة المستعملة فى التهريب هى أن الحشيش والأفيون المهرب اما أن يطرح من الباخرة بمجرد رؤية منارة رشيد ويترك هكذا حتى تقوم بالتقاطه قوارب شراعية معدة لهذا الغرض ثم تنقله

الى ناحية صحراوية بالساحل أو أن التهريب يرتكب بمختلف الوسائل متى كانت الباخرة بالميناء ، واحدها هى أن تنزع الباخرة ليلا الى القذف بالمواد المخدرة على جدار الجمارك فى غياب الحارس ثم يتناولها الشركاء من الناحية الأخرى

* * *



ورق الحشيش

ليس أدل على الجهود المبذولة من جانب الولايات المتحدة الامريكية لوقف استعمال الشرور الناجمة من من الاتجار بمادة الحشيش من القانون المتحد الذى صدر حديثا بتلك البلاد وكان من مقتضاه وضع مادة الحشيش فى موضع بقية المهربات من المواد المخدرة الأخرى

وقبل سن هذا التشريع فى اليوم الثانى من شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ كانت حكومة الولايات المتحدة عاجزة عن مقاومة انتشار الاتجار الحشيش المطرد إلا عن طريق استخدام سبل منوعة للدعاية بغية لفت النظر الى خطورة المسألة ومناشدة أبناء بلاد الاتحاد الامريكى للجوء الى اتخاذ تدابير وافية عن طريق سن قوانين

وما وافى اليوم الاول من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٧ حتى كان القانون المتحد فى حيز الوجود ومن نصوصه توقيع العقوبة بالغرامة لغاية ٤٠٠ جنيه أو الحبس لغاية خمس سنوات أو بكليهما حسبما يتراءى للمحكمة

وصودق أيضا على قانون جديد للاتحاد فى اليوم الثانى عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ يتناول العائدين فى جرائم المواد المخدرة فيجعل الغرامة فى العقوبة الثانية ترتفع الى ١٠٠٠ جنيه ومدة الحبس الى عشر سنوات، أو كليهما حسب رأى المحكمة ثم تزاد العقوبة للمرة الثالثة فتصل الغرامة الى ٢٠٠٠ جنيه أو مدة الحبس الى ٢٠ سنة

* * *

ذكر بالتقرير السنوى الذى أصدرته الحكومة الفرنسية عن سنة ١٩٣٧ عن حالة المواد المخدرة فى سوريا ولبنان انه قد اعتور الاتجار بالحشيش ركود فى خلال السنة فى المناطق التى تحت الانتداب الفرنسى

وكان من جراء الجهود المبذولة من جانب المكتب الخاص بالمواد المخدرة والكميات التى ضبطت — ولا سيما اعدام الحشيش فى الحقول بطريقة منتظمة كلما حاول المحاولون زراعته — أن اكتنفت الاتجار بالمواد المخدرة صعوبات جمة

وقد ارتفع سعر الكيلو جرام من الحشيش الجيد الذى كان يباع فى سنة ١٩٣٦ بما يقرب من ٢٠٠ فرنك الى ٥٠٠ أو ٦٠٠ فرنك فى سنة ١٩٣٧ والتقرير يأخذ هذا الارتفاع فى السعر دليلا على أن الجهود المبذولة فى عرقلة الاتجار بالحشيش قد أسفرت عن نتائج محسوسة بالرغم من أنها قضت أيضا قضاء مبرما على العصابات القديمة التى كانت تربط المتجرين بعضهم بعضا وهم أولائك الذين بلغ سلطانهم فى الماضى حدا بعيدا لكثرة عددهم واتساع نفوذهم وكانوا لهذا السبب عقبة كؤودا فى وجه السلطات المختصة

وقد ذكر أيضا بذلك التقرير أن جميع كبار المتجرين بالحشيش قد تنحوا بتاتا عن المغامرة فى أمر محفوف بالمخاطر مع تدرج السعر فى الانخفاض وانحصر الاتجار فى الوقت الحاضر فى فئة منعزلة تشتغل بمعدل ضئيل جدا والارصاد مبثوثة حولها بلا انقطاع

وفى خلال شهرى يوليه وأغسطس سنة ١٩٣٧ عمل تفتيش دقيق بمقتضى تعليمات أصدرها المكتب الرئيسى للمواد المخدرة فى بيروت على الاراضى المحتمل استنبات الحشيش غير المشروع بها وكانت النتيجة الكشف عن مساحة منزرعة قدرها ١٨٣٧٤٣ متر مربع فأعدمت بأكملها

واقليم الجزيرة فى شمالى سوريا الذى جاء ذكره فى التقرير الصادر عن السنة الماضية قد وضع فى سنة ١٩٣٧ تحت رقابة خاصة وقد أعدمت إدارة الأمن العام ١٤ هكتارا وهى عبارة عن ٧٠٠٠ كيلو جرام من المزروعات غير المشروعة يملكها ثلاثة زعماء لعشائر هامة بتلك المنطقة

واصف بطرس غالى باشا

سفير الثقافة العربية فى فرنسا

ذكرت الصحف أن الحكومة الفرنسية انعمت بوسام اللجيون دونور من الدرجة الأولى على صاحب السعادة واصف غالى باشا . وليس فى مصر غير واحد أو اثنين قد نالوا هذا الوسام بل لايزيد عدد الذين نالوه فى فرنسا نفسها على أصابع اليد . وهذا التقدير الذى وجده واصف باشا لايعود فقط الى مكانته السياسية بل الى مآثره الأخرى فى الأدب إذ هو يعد سفيرا للثقافة العربية فى فرنسا يشيد باثارها وينقل تحفهـا الى اللغة الفرنسية . وقد كانت له مواقف خطابية وكتابية فى تزكيـة الحضارة والثقافة العربيتين تثير الاعجاب والفخر معا عند جميع الناطقين بالضاد

وفرنسا هى اولى الأمم الاوربية التى تعرفنا إلى حضارتها ونقلنا اثارها الثقافية واخذنا بنظمها الادارية والتعليمية . ولغتها تفشو فى عاصمتى القطر بالجرائد والمجلات والكتب وهى تسمع فى المتجر والشارع ويتحدث بها ابناء الجاليات الاجنبية مع ابنائنا بل ترطن بها سيداتنا احيانا على سبيل التأنق والتعالى . ولـكن لغتنا واثارنا العربية وتاريخ العرب لاتجد من الفرنسيين العناية التى نوليها للاثار الفرنسية . ولذلك يجهلون عنا الشىء الـكثير . ومن هنا القيمة الـكبرى للخدمة السامية التى يؤديها مثل واصف باشا حين ينقل إلى اللغة الفرنسية بعض أثارنا الادبية . وواصف باشا هو واحد من أولئك المصريين القليلين الذين يقضون مايقارب من نصف العام فى فرنسا . وبحكم هذه الاقامة وبتكرارها على مدى العمر الطويل الذى يزيد الان على ستين سنة قد استطاع أن يتفهم العقلية لا بل النفسية الفرنسية وأن يستبطن جوهرها . وهو لذلك حين ينقل الى اللغة الفرنسية بعض الآثار الادبية العربية يعرف كيف يختار وفى أية صيغة لائقة يجب أن يصوغ مانقله . ولـكن ميزة واصف باشا لاتقتصر على انه يعرف فرنسا وأبناءها أو ان حضارتها وثقافتها قد سرت كلتاهما فى عروقه بل أيضا وأكثر من ذلك أنه يحب العرب . ولم ننس بعد موقفه فى عصبة الامم حين واجه أكثر من خمسين دولة ممثلة فى هـذه العصبة



صاحب السعادة واصف غالى باشا

يدافع عن حقوق العرب فى فلسطين ويصرخ صرخات العربى المتألم لاى أجحاف يقع بهم . وقد ناشدهم العدل والنزاهة . ولكنه أيضا طلب اليهم أن يذكروا فضل العرب فى حضارة أوربا الحديثة وانهم هم الذين جعلوا هذه الحضارة ممكنة اذ كانوا جسرا عبر عليه التاريخ من العصور القديمة الى العصور الحديثة . ولواصف باشا ثلاثة كتب فى اللغة الفرنسية عن الادب العربى :

أولا — « حديقة الزهور » وهو مختارات من الشعب العربى نقلها الى الفرنسية مع الاحتفاظ

بالرئة العربية وهذه المختارات تتناول الموضوعات الغزلية والوصفية . ولكن المترجم عنى كثيرا بمواقف الفروسية العربية ونقلها النقل الامين الذى يدل القارىء على أن صفات الشهامة والمروءة والنجدة والكرامة هى صفات عربية مأثورة سجلها الأدب نقلا عن الحياة

والكتاب الثانى يختص بهذا الموضوع أى الفروسية سماه « تقاليد الفروسية عند العرب » جمع فيه القصص العربية التى تستطيع فيها الفروسية العربية ان تبلغ اسمى مواقفها واشرف غاياتها وهو هنا يكتب فى نصاعة واتقان تعينه عليهما لغة تمتاز بالبيان والنصاعة . ومثل هذا الكتاب هو دعاية عربية تقوم على الحقائق التى يثبتها التاريخ وهو خير الاعلان عن الحضارة العربية التى كثيرا مايسىء اليها الاوربيون لقلة عرفانهم بحقائقها . وهـذه الاساءة تظهر فى المغزى السيء الذى يقصد اليه الاوربيون حين يذكرون لفظة « اراب » كانها تعنى الصعلكة والتشرد . ومثل هذا الكتاب جدير بان يجعل الشرف والشهامة بل الشجاعة والنجدة هن الصفات المقصودة فى هذه اللفظة « اراب »

والكتاب الثالث هو « الدرر المنثورة » وهو قصص وأساطير عربية احتفظ فيها المؤلف بالأرج العربى . وقد عنى احيانا بالترجمة والتزم العبارة العربية حتى ليظن القارىء الفرنسى كأن الجو العربى قد أحاط به يستنشق نسماته ويتنفس عبيره أو كأن الف ليلة وليلة قد انتفضت فجأة وتجسمت خيالاتها اشخاصا احياء يتحدثون ويعملون

والقارىء لهـذه الكتب يتولاه العجب لهذه الاجادة النادرة فى كاتب مصرى يكتب اللغة الفرنسية . ولكن هذا العجب يزول حين نعرف الكفاءة الموروثة والبيئة الاولى أيام الصبا والشباب. فان الوراثة والوسط هما كل شيء فى التكوين . وقد قضت الاقدار بان يجد واصف باشا منهما خير ما يقدر لانسان أن يجد فى هذه الدنيا . وحسبنا أن نعرف أنه تلقى تعليمه الثانوى فى فرساى ضاحية باريس . وأنه الف قصة فى ذلك الوقت — وهو لم يبلغ الثامنة عشر — نالت جائزة سنية مع أن الذين دخلوا المباراة كانوا يزيدون على العشرين وكلهم من الفرنسيين الذين رضعوا اللغة من امهاتهم ولسنا نذكر هنا تاريخ واصف باشا السياسى . فان هذا حديث يعرفه القراء . ولكن قد يكون من المفيد أن نذكر تلك التجربة القاسية التى كابدها سنة ١٩١٩ حين قضى نحو عام معتقلا فى ثكنة قصر النيل ثم فى قرة ميدان ثم فى المالطه . فان لمثل هذه التجربة أثر لايمحى فى الحياة الادبية والغايات الثقافية لان فيها نارا ونورا معا يحمى بهما القلب وتهتدى بهما البصيرة

اتصال العرب بالهند

بقلم الدكتور حمدانى

غزا العرب السند من أيام الدولة الاموية . ثم غزا الاتراك والمغول الهند بعد ذلك بقرون . ومع أن هؤلاء كانوا يدينون بالاسلام مثل الفاتحين العرب السابقين فانهم اختلفوا عنهم فى أساليب الحكم ذلك أن محمد بن قاسم الذى غزا السند أسس حكومة قوية ولكنها متسامحة فلم يتعرض مثلا للمعابد . ولما حوصرت دايبول كان الهدف الذى سدد اليه العرب حملتهم هو المعبد الكبير الذى كان ينيف على سائر ما حوله من المبانى فى وسط المدينة ولكن ما هو أن افتتحت المدينة حتى ترك محمد بن قاسم هذا المعبد وقنع باقامة مسجد بالقرب منه . وقد عاش هذا المعبد حتى الى مابعد انقراض البوذية من السند. وكذلك الحال فى معابد نيرون ومولتان فان العرب لم يمسوها بل بقيت طول مدة الحكم العربى وقد ذكرها سياحوهم وذكر أحد الكتاب العرب أن واحدا من هذه المعابد قد استعمل سلاحا سياسيا . فكان كلما هدد الامراء السنديون بالهجوم كان العرب يهددون بأنهم سينتقمون بهدم المعابد

وكان أسلوب التسامح المعروف عند العرب فى جباية الضرائب ، ملحوظا عند سكان السند حتى جاء فى أحد كتبهم التاريخية «شاش نامه» قوله عندما غزا العرب السند أذيع بين الناس أن من دخل فى الاسلام سيعفى من الضرائب ولكن من يبغى البقـــاء على دينه يجب أن يؤدى جزية . وقد التزم بعضهم دينهم السابق وأدوا الجزية وبقيت لهم عقاراتهم وممتلكاتهم

وكان حـكم التسامح الذى مارسه العرب سببا لتقوية العلاقات الثقـــافية والاجتماعية والادبية والمدينية ونموها الى جنب نمو التجارة مع الهند . وكان بذل الجهود متبـادلا مدة العباسيين وأسرة البرامكة . وقد استطاع العلامة الهندى سيد سليمان الندوى أن يثبت بما لا يترك محلا للمناقشة أن البرامكة كانوا فى الاصل بوذيين هنودا وان نوبهار بلخ لم يكن معبدا للنار كما كان الظن سابقا وانما

كان ديرا بوذيا من تلك الاديرة العديدة التى كان السند حافلا بها أيام الغزو العربى . وقد قال ابن العمرى فى كتابه «مسالك الابصار»

بيت النوبهار بناه متوشهر الهندى بمدينة ... وكان يسمى المتولى لسدانته برمك

فلما دخل البرامكة فى الاسلام جابوا الى العراق — فى زعم بعضهم — كثيرين من العلماء الهنود ومنحوهم المناصب العالية فى البلاط العباسى فقويت بذلك الثقافة الهندية . ومع أن النقل الى اللغة العربية كان قد ابتدأ قبل ذلك بكثير فان هذا النقل لم يندفع بقوة من اللغات الآرية الا أيام المنصور

وقد حدث حادث عظيم فى سنة ١٥٤هـ ٧٧١م . حين وفد من السند جماعه من العلماء اختصوا فى الحساب والحياة وترجموا علومهم الى العربية بمساعدة العالم المسلم ابرهيم الفارازى . وترجم بعد ذلك كثير من المؤلفات الهندية عن الحساب والفلك والتنجم الخ . ويروى انه كان لهارون الرشيد طبيب هندى وان البرامكة كانوا يعينون الأطباء من الهنود فى مستشفياتهم وكانوا يبعثون الخبراء الى الهند لكى يجلبوا العقاقير الطبية . وفى أيام الخليفة الموفق بالله أرسلت بعثة للبحث العلمى فى الهند . وربما كان معظم الزائرين الهنود لبغداد من البوذيين . وتذكر الكتب العربية أسماء عدد كبير من العلماء الهنود وان كان يصعب تعيين أشخاصهم . ولكن أعظم ما أمدت به الآداب الهندية اللغة العربية كان يتعلق بالاساطير والاخلاق والفلسفة . مثال ذلك كتاب السندباد (ولا نعنى هنا سندباد الف ليلة وليلة) وكليلة ودمنه وبداصاف وبالوهار فى ترجمة بوذا

ومن الرجال الذين عملوا لتبادل الثقافة يمكننا أن نذكر رجلا لا يعرفه كثيرون هو محمد ابن اسماعيل التنوخى الذى زار الهند فى القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) وأبو ريحان البيرونى المشهور وكان كلاهما عارفا باللغات الهندية

ولا يمكن أن نهمل حتى مع هذا الايجاز ذكر اللعبتين الهنديتين الشطرنج والنرد اللتين اصطنعهما العرب

أما فى ميدان الدين فقد تبادل فيه العرب والهنود وكان الاهتمام به عظيما . ويروى أن يحيى البرمكى أرسل الى الهند مبعوثا خاصا لكى يحصى المذاهب الهندية ويشرحها . وقد تكلم الكتاب مثل

الشهر ستانى والبيرونى كثيراً عن العقائد الدينية بالهند وذكر المسعودى فى «مروج الذهب» ان أحد البراهمة بانيا وهو وكيل عن بالهارا كان يناقش كل قادم من المسلمين . وهذا ما قال .

«الملك يومئذ بانيا وكان برهمانيا من قبل البلهرى . وكان لبانيا هذا عناية بالمناظرة مع من يرد الى بلده من المسلمين وغيرهم من أهل الملك»

ويزعم بزرج ابن شهريار مؤلف كتاب «أعاجيب الهند» ان القرآن الكريم ترجم الى اللغة الهندية المحلية حوالى سنة ٢٧٠ . وهو يقول : «أن ملك الراوهو أكبر ملوك بلاد الهند . كتب فى سنة سبعين ومئتين الى صاحب المنصورة وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز يسأله أن يفسر له شريعة الاسلام بالهندية فاحضر عبد الله هذا رجلا كان بالمنصورة أصله من العراق . قد نشأ ببلاد الهند وعرف لغاتهم . على اختلافها . ففسره له»

والخلاصة أن حكم المسلمين فى الهند أوجد ثقافة هى مزيج هندى اسلامى يبدو فى الفنون والصناعات والبناء وفى الحياة الاجتماعية والذهنية . وأوجد لغة جديدة وهى التى تسمى فى الهند أوردو أو هندى وهى التى يتكلم بها كافة الهنود بصرف النظر عن طبقاتهم أو أديانهم . وهذا الى أن أكثر من ثلث السكان فى الهند يؤمنون برسالة النبى العربى ولا يفتأون يتصلون بمهد الاسلام بالحج الى مكة . وقد وصف المرحوم السر محمد اقبال وهو من أعمق المفكرين المسلمين العصريين موقف المسلمين الهنود حين قال ان الاسلام ليس وطنية ولا هو امبراطورية وانما هو عصبة أمم تعترف بالحدود الصناعية وبالاختلاف فى السلالات بغية السهولة فى التعرف فقط وليس القصد تقييد الآفاق الاجتماعية المؤمنين به

تقدم العلوم والفنون

أخطر المدافع وأمتنها

كتب المستر يواكيم جومستون مقالا عن المدافع يلفت النظر فى هذه الايام القلقة المرتجفة باشاعات الحرب . قال فيه :

عند ما يذكر المدفع تخطر بالبال مصانعه الكثيرة المشهورة وهى كروب فى المانيا وشنيدر فى فرنسا وسكودا فى بوهيميا وفيكرز فى انجلترا . ولكن مع كل ماتنال هذه المصانع من صيت وذكر لا يبلغ أحدها سواء فى الكم أم الكيف مبلغ المصانع الاسوجية بوفورز . فان أسوج مشهورة بما تملك من مناجم الحديد التى يستخرج منها أمتن الفولاذ فى العالم . وهذه المناجم تقع فى وسطها بين الشمال والجنوب حيث الطبيعة هادئة بل باسمة تجرى فيها جداول الماء الصافى بين أعشاب وغابات وتمرح الثعالب وتشدو الطيور . ولكن هذه الطبيعة الباسمة تخفى تحتها نيران المصانع المتأججة التى لا تنطفىء بل يبقى لهبها مدى الأعوام . فان تبر الحديد يحمل من المناجم بعد تمزيقه بالديناميت إلى هذه المصانع وهناك يحول إلى فولاذ تصنع منه أمتن المدافع وافتكها فى العالم كله . وتقبل على شراء هذه المدافع أربعون دولة . ولذلك تجد عند بوفورز مندوبى الدول المختلفة والوسطاء والتجار من جميع الالوان والرعويات . فهناك البرازيلى إلى جانب اليونانى والايرانى إلى جانب الاسبانى ينزلون فى فنادق فخمة ويعاينون ويشترون ماشاءوا من المعدات المهلكة

وقد مضى على أسوج أكثر من مائة سنة وهى لا تعرف الحروب . وسنحت لها « الفرص » لتحارب وتنتصر وتغنم الغنائم ولكنها لم تستغل واحدة منها لانها قانعة بأن تقدم للعالم مواده الحربية

دون الاشتراك فى حرب . وفى بوفورز خمسة آلاف عامل يؤجرون أعلى الاجور فى العالم وهم يتناوبون العمل ليل نهار كل مناوبة ثمانى ساعات . ومثل مصانع بوفورز لا يمكن اطفاؤها لان ماتحتويه من وقود كبير جدا بحيث يحتاج الى مدة طويلة للاشعال وهو يفقد كثيرا اذا أطفىء وأشعل ولذلك مضى على المصانع أكثر من قرن وهى مشتعلة

وقد كانت مصانع بوفورز فى أيدى المالكين المستقلين الى سنة ١٨٧٣ حين ألفت شركة مساهمة واشترتها من أصحابها . وفى سنة ١٨٩٤ اشتراها كلها الدكتور نوبل الذى يعرف قراء الصحف اسمه فان هذا الرجل كان شاعرا بفطرته ينزع الى الادب والفنون . ولكنه رأى نفسه ينساق الى الثروة ويتفوق فى صنع الديناميت والاسلحة . فلما أحرز الملايين من بيع المواد المهلكة الف ما يسمى « جائزة نوبل » وهى طائفة من الجوائز التى تمنح للمتفوقين فى العلوم والآداب والفنون . ومنها جائزة خاصة بمن يسعى للسلم

ولما عقدت معاهدة فرساى اشترط على المانيا تعطيل شركة كروب ومنعها من صنع الاسلحة والذخائر . فاتجه رجال هذه الشركة الى اسوج واشتروا فى سنة ١٩٢١ من مصانع بوفورز ما يقرب من الثلث . ولكن جماعة كروب باعت سنة ١٩٣٥ ما كانت قد اشترته وخرجت من بوفورز . فعادت هذه المصانع مرة أخرى ملكا خالصا للاسوجيين

« • »

وأعظم ما تمتاز به مصانع بوفورز متانة فولاذها . فان أنبوبة المدفع تحمى بالحرارة وتتمدد كما انها تتسع فى بعض جوانبها بالانفجار فاذا لم يكن فولاذها متينا جدا بليت وفسدت بسرعة فلا يمكن تسديد الرماية بها . وأعظم المدافع التى تبيعها مصانع بوفورز هو المدفع المضاد للطائرات لانه يطلق ما بين ١٢٠ و ١٥٠ قنبلة فى الدقيقة . ولكل قنبلة تقذفها هذه المدافع ساعة صغيرة تعين وقت انفجار القنبلة التى تخرج من المدفع بسرعة ابتدائية قدرها ٩٠٠ متر فى الثانية . وهى أى هذه المصانع تصنع أيضا مدفعا مزدوج الانبوبة يخرج فى الدقيقة ٤٠٠ قنبلة . ومدفعا آخر يضاد الدبابات ويخرج قنبلة تخترق لوحا من الفولاذ يبلغ عرضه ٣٠ سنتيمترا على مسافة الف متر

واسوج مثل ابنها نوبل كلاهما يتجر بالمواد الحربية ولكنه يكره الحرب

البر البريطاني

فى بريطانيا أكثر من مليونى شخص اشتروا منازل لايزالون يؤدون اثمانها بالتقسيط على مدد تختلف اقصاها عشرون سنة . وهذه المنازل قد بنتها جمعيات بمساعدة الحكومة أو المجالس البلدية

ولما راجت اشاعة الحرب ودخل فى الحسبان احتمال التجنيد خشى هؤلاء المالكون الجدد أن يعجزوا عن أداء الاقساط المطلوبة منهم لان اجر الجندى لايتسع لذلك وشعرت الحكومة البريطانية بذلك فسارعت الى طمأنتهم بانهم فى حال الحرب لن يؤدوا قسطا واحدا ولن تنزع منهم منازلهم . أو بكلمة أخرى سيعلن « موراتوريوم » عن المنازل المقسطة. وهذا بعض ماتقوم به الحكومه البريطانية لتشجيع جميع ابنائها على امتلاك المنازل

* * *

يعرف القراء أن المرأة فى أوربا تعمل فى المصانع والمكاتب والمتاجر كما يعمل الرجل سواء . وفى بريطانيا عدد كبير من الفتيات اللاتى تتقدم بهن السن وهن يعملن للتكسب فى ميدان الاعمال الحرة بلا زواج . وللفتاة قيمتها المالية فى المتجر اذا كانت جميلة أو حتى فى سن الشباب فاذا أسنت أى صارت عانسا فان قيمتها تنحط . وعندئذ قد تستغنى عنها المتاجر فلا تجد من يعولها

وهنا فكر الابرار من رجال الاصلاح الاجتماعى فى بريطانيا فى هؤلاء العوانس اللاتى لم يتزوجن ووضعوا مشروعا عرضوه على البرلمان الذى ألف لجنة لدرسه . وهذه اللجنة قدمت تقريرها فى الشهر الماضى وهو يقول بمنح العانس التى تبلغ من العمر ٥٥ سنة معاشا سنويا سائر حياتها الى يوم وفاتها . والعانس تنال الان هذا المعاش منذ سن الخامسة والستين . فاللجنة تشير بان يبدأ المعاش منذ الخامسة والخمسين ويقدر ماسوف تتكلفه الحكومة بهذا البر الجديد بمبلغ ٤٫٤٠٠٫٠٠٠ جنيه وهذا نوع من الاصلاح الاجتماعى الذى يسعى له الساسة المتمدنون

المعلم

المعلم الذى لايستطيع ان يعلم الصغار إلا اذا استعان على ذلك بالضرب يجب أن يحرم من

هذه المهنة . لان احتياجه الى الضرب يدل على قلة حيلته وعجزه عن الاقناع باللطف . وهو لذلك غير جدير بالتعليم

وقد ذكرت الصحف حادث ذلك المعلم الذى ضرب صغيرا ففقأ عينه . وقد حكم عليه بالحبس جزاء هذه الجريمة

وقد رأينا صغيرة فى العاشرة من عمرها تناولتها يد معلمة بالضرب واستعملت عصا الخيزران على ظهرها حتى تركت اثارا تختلف بين الزرقة والحمرة ومثل هذه المعلمة كان يجب ان تحترف حرفة أخرى غير التعليم

ومن النظريات التعليمية الجديدة أن العقوبة لاتثمر فى حمل الصبي عل الدرس والملاحظة والنشاط ولكن المكافأة تثمر . وبكلمة أخرى نقول أن الخطة المثلى فى التعليم يجب ان تكون اللطف لا العنف والاقناع بالمكافأة وليس الانذار بالعقوبة

في اليابان

تستعمل الجامعات اليابانية اللغة الانجليزية فى درس العلوم . ويجب على كل طالب فى كلية الحقوق أن يدرس الى جنب القوانين اليابانية قانونا أجنبيا هو واحد من ثلاثة الانجليزى أو الالمانى أو الفرنسى حتى يزداد ثقافة وبصيرة بالمقارنة . وقد اخذت اليابان منذ سنة ١٩٢٣ بنظام المحلفين الانجليزولكن بتنقيح مهم . ففى بريطانيا يجب على المحلفين ان ينتهوا الى رأى بالاجماع وليس بالاكثرية فاذا وجد القاضى ان الاجماع لم يتم حبسهم حتى يصلوا اليه . ولكن فى اليابان يؤخذ برأى الاكثرية فقط ولكن هذه الاكثرية يجب ان لا تقل عن الثلثين أى ٨ من ١٢ محلفا

الصناعات

كان مقدار المصنوع من السليلوز أى المادة التى يصنع منها الورق والريون وسائر الاقمشة الصناعية فى ايطاليا سنة ١٩٣٨ يبلغ ٤٠٫٦٠٠ طن . وهو يزيد بمقدار ٢٨٫٠٠٠ تقريبا على المصنوع منذ سنة ١٩٣٥ . ومن هنا يرى القراء مقدار اهتمام الايطاليين بصنع هذه المادة لكى يستغنوا بها عن القطن

والـكتان والصوف وجميعها تستورد من الخارج. أما السليولوز فيصنع من خشب بعض الاشجار التى تنبت فى ايطاليا

ومثل هذا يحدث ايضا فى المانيا التى استطاعت — زيادة على السليولوز — أن تستخرج البترول من الفحم المستنبط من مناجمها . ولم تكن فى سنة ١٩٣٣ تستخرج اكثر من ٢٩٦ الف طن ولكنها فى سنة ١٩٣٧ استخرجت ١٫٣٠٠٫٠٠٠ طن من بترول الفحم

التـــاريخ

كانت عصبة الامم قد أرسلت الى حكومتنـا تطلب المواد التى تعلم عن التاريخ فى مدارسنا وذلك لان أعضاء العصبة يعتقدون ان الطريقة التى يعلم بها التاريخ قد تخدم السلم أو تخدم الحرب . فاذا كان كتاب التاريخ ينحصر فى رواية أخبار الحروب والتمجد بالانتصارات والتفاخر بالفاتحين والغزاة فانه يثير فى نفس التلميذ هذه المفاخر فيشب وهو يكبر من شأن الحرب ولا يجد فيهاما يدعو الى الـكراهة أو ما يستوجب النفور . واذا كان التاريخ يعلم بحيث يشعر التلميذ ان الرقى البشرى لا يتوقف على الحروب وانه انما يقوم على مجهود جميع الامم بالاختراع والاكتشاف وانتشار التجـارة وتقدم الصناعة وتعميم المســاواة والعدالة فانه أى التلميذ ينشأ وفى نفسه نزعات اجتماعية سليمة تجعله يتوخى السلم قبل الحرب

وقد انشئت جمعيات كثيرة فى انحـاء العالم غايتها تعليم التاريخ على الاساليب الجديدة التى يراد منها خدمة السلم والتنفير من الحرب

أخبار اجتماعية

الانشقاق الطائفى فى بلجيكا

كان الشقاق بين التشيكيين والسلوفاك من العوامل القوية التى فككت دولة تشيكوسلوفاكيا . والآن نرى مثل هذا العامل فى الخلاف — الذى لم يبلغ شقاقا — بين الكروات والسرب فى يوغوسلافيا . ومثل ذلك يوجد أيضا فى بلجيكا التى تنقسم طائفتين :

١ — طائفة الوالون الذين يتكلمون الفرنسية ويحبون فرنسا ويسمونها « أمنا ووطننا » وهم مستعدون للدفاع عن فرنسا والدخول فى حرب من أجلها

٢ — طائفة الفلمنكيين الذين يتكلمون لهجة هولندية ولكنهم لا يختلفون من حيث الكتابة عن الهولنديين . وهم لا يحبون فرنسا ولا يرغبون فى الدفاع عنها اذا نشبت حرب بينها وبين المانيا

وفى أوربا مثال حسن -- بل حسن جدا — للطوائف المختلفة فى لغاتها وأديانها تعيش متآلفة متآزرة فى وطن واحد . نعنى سويسرا . فان فيها الايطاليين والفرنسيين والالمان وكل منهم سويسرى لا يرضى بوطنه بدلا ولا يفكر فى مساعدة احدى الدول الكبرى الثلاث المحيطة به . ولكن نجاح سويسرا يقوم على فكرة «الحكومة الاتحادية» لأنها مؤلفة من « كنتونات » كل كنتون يستقل بادارته . وحكومة الاتحاد فى برن لا تتدخل إلا فى الشئون العامة التى تربط الطوائف الثلاث

ولو كانت تشيكوسلوفاكيا أو يوغوسلافيا أو بلجيكا قد ألفت حكوماتها على هذا النظام (الاتحادى) الذى يكفل لكل طائفة استقلالها الادارى والثقافى لما كان هناك سبب للخلاف أو الشقاق

وقد حاول الملك ليوبولد الثالث التوفيق بين الوالون والفلمنكيين فى بلجيكا فاقر التعليم فى الجامعة الفلمنكية باللغة الهولندية واجاز تسمية الشوارع والمصالح والمدن والمحطات بالهولندية . ولكن

أكثرية الوالون الفرنسية التى لم يرقها نهوض الفلمنكيين والتى يتألف منها معظم الموظفين عارضت هـذه الاصلاحات بطرق مختلفة. بل استطاع هؤلاء الموظفون أن يصلوا إلى اعتقال أحد زعماء الفلمنكيين وحبسه لانه الف جمعية تولت بنفسها تبديل الاسماء الفرنسية ووضع أسماء هولندية مكانها

ويزداد امتعاض الفلمنكيين وسخطهم حتى لقد تفشت بينهم نزعات انفصالية غايتها الانضمام الى هولندا . ولكن الهولنديين مع عطفهم على هـذه الحركة يكرهون التورط فى مساعدتها لئلا يؤدى هـذا الى اشتباكهم فى هذه الشبكة السياسية الاوربية التى قـد تنتهى يوما ما الى حرب عامة . والهولنديون يتوقون هـذه الحرب بكل قواهم ويحبون أن يظهروا بمظهر الحياد التام سواء من ناحية فرنسا أو المانيا أو بلجيكا

وقد أعلنت بلجيكا حيادها قبل سنتين ولذلك لا تنظر فرنسا بين الاهتمام الكبير الى هذه الحركة . بل هى واثقة منذ الآن انه لو نشبت حرب لكان الفلمنكيون مع الالمان عليها أو على الاقل فى موقف الحياد الذى لا يضر ولا ينفع . ولكن ربما يكون من مصلحة السلم فى أوربا أن ينضم هؤلاء الفلمنكيون الى هولندا التى يمكنها أن تتقوى بهم فى العدد . وقوة هولندا تعد عاملا من عوامل السلم فى أوربا . لان سكانها مثل السويسريين والدول الاسكندناوية ينزعون النزعة السلمية ويجدون كل منفعتهم فى دوام السلم . بل هناك من يقول ان من مصلحة أوربا أن تلغى بلجيكا من الاطلس وينضم الجزء الفرنسى منها الى فرنسا والجزء الفلمنكى منها الى هولندا

الدنيا تزداد

تقول احدى المجلات الالمانية ان الدنيا زاد سكانها فى سنة ١٩٣٧ الى ٢١٣٩ مليون . وان سكان القارات الخمس تبلغ الان :

أوربا ٥٢٩ . وأسيا ١٠٧٧م . وافريقيا ١٥٢م وامريكا ٢٧٠م . والاوقيانوسية ١١ مليون

أما من حيث علاقة السكان بالارض فان الكيلو متر المربع فى أوربا يبلغ متوسط سكانه ٤٦٫٥ وفى آسيا ٢٨٫٣ . وفى افريقيا ٥٫١ . وفى امريكا ٦٫٣ . وفى الاوقيانوسية ١٫٢

ويبلغ سكان الامبراطورية البريطانية ٥٠٠ مليون أى ربع سكان العالم تقريبا

النجاح فى الزواج

يعنى الامريكيون كثيرا هذه الأيام بمسألة الزواج . ذلك أن الطلاق قد فشا حتى بلغ نحو ١٦ فى المئة من الزواج . وهذا يعنى أن من كل ستة بيوت جديدة تؤلف بالزواج يفشل بيت . ولما كانت الاسرة هى أساس الحضارة القائمة كما هى أساس الاجتماع الحسن فان الامريكيين يبذلون جهداً كبيرا فى بحث هذه الحال بغية الوصول الى استقرار الاسرة بلا طلاق بتـاتاً أو على الأقل يجب أن ينزل الطلاق حتى لايزيد على واحد فى المائة أو أقل . وهم يعنون لذلك بتعميم الثقافة الجنسية بين الفتيات والشبان قبل الزواج كما تلقى الآن محاضرات فى الجامعات وتؤلف الكتب عن هذا الموضوع وعن المعاملات الزوجية وماتحتاج اليه لكى تؤدى الى فشل الزواج

وقد كتب المستر جوزيف سابات مقالا فى هذا الموضوع . والكاتب يمتاز بميزتين أولهما أنه عاش مع زوجته على وفاق خمسين سنة واحتفل فى الشهر الاسبق بيوبيلهما . والثانى أنه كن قاضيا فى محكمة الطلاق عشرين سنة . فله اختبارات فى سعادة الزواج وشقـائه ولذلك يستحق أن نسمع له . وهو يوصى الزوجين عشر وصايا لكى يهنأ كلاهما بالمعيشة الزوجية . وهى :

١ — يجب أن تكون بين الزوجين زمالة . يلعب كلاهما معا . واذا أمكن فليعمـلا معا . وبدلا من أن تقصد الى صديقك فى النادى أو القهوة لكى تلعب معه اقصد الى زوجتك لهذا الغرض . واذا استطعت أن تشركها فى عملك فانك تضع بذلك أساسا متينا للسعادة الزوجية

٢ — تحمل وتسامح . فهناك أوقات يحملنا فيها الحرج النفسى على المناقرة فتحملها . وتسامح فى كثير مما يخالف آراءك وذوقك

٣ — تجنب المشاجرات الصغيرة . لانها تتراكم فتحدث الكراهية فى النهاية ثم النفور ثم الطلاق واذا تجنبت هذه الصغائر فان الكبائر لن تقع

٤ — اعتمد على المصالحة . واعتبر أن المصـالحة دليل القوة والذكاء . والخصومة هى برهان العجز وقلة الفهم

٥ — ليكن بينكما تبادل فى الفهم وتعاطف . فاذا نموت فى الثقافة فاحرص على أن تنمو زوجتك

معك حتى لا ينقطع ما بينكما فى التفاهم . فاذا كنتما على مستوى واحـــد فى الذوق والفهم والثقافة تم التعاطف بينكما

٦ — لاتتذمر وخاصة قبل الفطور . ولاتكثر من الشكوى

٧ — احترم أصهارك ولا تقل كلمة سيئة فيهم ولكن امنعهم من التدخل فى شئون بيتك

٨ — استقل أنت وزوجتك فى بيت منفصل ولو كان مؤلفا من غرفة واحدة

٩ — اشتركا فى الكفاح

١٠ — اجعل للاسرة قداسة وامسح على البيت مسحة دينية

في الهند

يعرف القراء أن النظام (أى الامير) فى حيدر أباد زوج ابنيه بنتى الخليفة عبد المجيد آخر سلاطين تركيا . وقد عقد مؤتمر نسائى فى حيدر أباد ألقت فيه خطبة الرياسة الاميرة نيلوفر زوجة الأبن الثانى للنظام وهى ابنة السلطان عبد المجيد كما قلنا

ومع أن هذه الاميرة تركية . وقد أخرجت أسرتها من استانبول فى ظروف لا تبعث ذكراها على السرور فانها فى هذا المؤتمر امتدحت العمل العظيم الذى قام به المرحوم أتاتورك كمال وقالت أنه هو الذى بعث النهضة التركية وخاصة لأنه حرر المرأة وبعثها على العمل الحر وخدمة الوطن وألغى النقاب والحجاب معـا . ودعت النساء الهنديات الى ممارسة الحرية فى خدمة البر وانهـاض الريف والاسعاف الصحى للمرضى

وهكذا يجد أتاتورك حتى من خصومه القدماء من يقدر وطنيته ومآثره لوطنه

الهتلريون

قل أن تجد كلمـة حسنة فى ألمانيا لبريطانيا وفرنسا أو العكس . ولـكن مجـلة سبكتاتور وهى خصمة لدود للاشتراكيين الالمان خالفت هـذه القاعدة وكتبت مقالا تبين ميزات النظام الالمانى وتهيب بالحكومة البريطانية الى النشاط وهى ترى انه على الرغم من تقييد الحرية الفكرية فى ألمانيا

حققت الحكومة هذه الميزات الثلاث

١ — استخدام جميع المتعطلين حتى صارت بعض المصانع لا تجد حاجتها من العمال فى حين أن هؤلاء المتعطلين كثيرون فى الامم الديمقراطية

٢ — زاد عدد المواليد من ١٥٫١ الى ١٩ فى الالف ، وليست هناك زيادة فى الامم الديمقراطية

٣ — تحقيق التقارب فى الميزات الاقتصادية بين الاغنياء والفقراء

دنمركا

يخيم على دنمركا هذه الايام ظل كثيف هو ظل الصليب المعقوف شارة النازية الالمانية . ودنمركا هنا لا تقاوم الغارة الالمانية وحدها بل هى تجد جراثيم هذه الحركة فى وسط بيتها يقوم بها دنمركيون. ذلك أن النازية قد استهوت الشباب فألفوا الجماعات ونشروا الدعايات فلا تكاد تخلو قرية من هؤلاء الشباب الذين يدعون الى نهضة دنمركية عن طريق الغاء البرلمان وتعبئة الصناعة والزراعة لخدمة الأمة وتجنيد الرجال والنساء للخدمة الحربية والمدنية معا

وللالمان وكلاء فى دنمركا ولكن شأنهم ليس عظيما فى نشر النازية . فان الدنمركيين يقرأون الالمانية كما يقرأون لغتهم وهم على الفة تامة بتطور الحوادث فى المانيا ومنهم من زعم ان الانضمام الى المانيا قد يعود بفوائد اقتصادية كبيرة على دنمركا ولكن الحكومة متيقظة وهى تقاوم الى الآن بنجاح هذه النزعات

الشماليون

رفضت أمم الشمال فنلندا واسوج ونروج ما عرضته المانيا عليهن من عقد مواثيق لعدم الاعتداء وقدم الرفض فى لهجة مهذبة افتتحت بانهن لا يخشين اعتداء المانيا

والواقع ان هذه الامم لاتريد الاشتباك فى معاهدات أوربية . فان اسوج ونروج قد مضى عليهما نحو مائة سنة وهما تقفان من الحروب الاوربية موقف المتفرج فقط . وهذا الموقف أسلم عاقبة من مواقف أخرى قد يكون فيها الفزع الأكبر . أما فنلندا فانها حديثة العهد بالاستقلال وحسبهامنه

الاستكانة والبعد عن مواطن الشبه السياسية . فهى وادعة آمنة فى ثلوجها التى تقرب من القطب الشمالى وجميع هـذه الأمم تتصل بالمانيا اتصالا ثقافيا لان اللغة الالمانية هى اللغة الثانية عند جميع الامم الاسكندناوية . وإذا وقعت حرب فانها مضطرة بطبيعة موقعها الى التزام الحياد الدقيق الذى التزمته فى الحرب الـكبرى الماضية

الامن العام فى ثمانى سنوات

أصدرت إدارة عموم الامن العام تقريرها عن ثمانى سنوات تبتدىء من سنة ١٩٣٠ وتنتهى فى سنة ١٩٣٧ . ومما يستغرب ان هذا التقرير أهمل إصداره منذ سنة ١٩٣٠ كأن جنايات القتل والحريق والتزوير والتزييف والسرقة والاغتصاب وأمثال ذلك لم تكن تستحق الدرس والمقارنة بين عام وآخر . والحكومة تصدر مئات المطبوعات التى تطبع لـكى تحفظ فى رفوف المصالح ولا يكاد احد يرجع اليها حتى لقد قيل لنا ان مجلدات الجريدة الرسمية التى ترسل لبعض المصالح قـد تـكدست وضاق بهـا المـكان وهى تهدد باستغراق المصلحة كلها اذا استمرت اعدادها وجلدت مجلداتهـا وحفظت فى رفوفها وخزاناتها

ولـكن هذا التقرير الصغير عن الامن العام فى مصر لايتحيز مكانا كبيرا . وهو يعالج موضوعا حيويا يتصل باخلاق الأمة وسعادتها او شقائها . لأن الجناية وان كان المسئول عنهـا فرد معين فى مكان معين ليست فى الحقيقة سوى البثرة تنفجر فى الجسم الاجتماعى وهى عرض لا اكثر لمرض يختفى فى هذا الجسم . وقد أهمل التقرير شيئا مهما فى بحث الجرائم هو المقارنة بين مايحدث فى مصر منها ومايحدث فى الأقطار الاجنبية . لان هذه المقارنة لو دونت بدقة الارقام لـكانت نورا جديدا يكشف لنا عن مساوئنا . وقد سبق ان وقف اللورد لويد وحمل علينا فى احدى خطبه فـكان مما قاله ان جنايات القتل فى مصر تزيد على مثل هذه الجنايات على بريطانيا مع ان السكان فى بريطانيا يزيدون ثلاثة اضعاف السكان فى مصر ولا نظن أحداً هنا يمكنه أن يقول أن الطبيعة الانسانية فى مصر تختلف عما هى عليه فى بريطانيا . وانما الاختلاف يعود إلى ان أجتماعنا يحوى من المساوىء التى تبعث على

ارتكاب الجرائم أكثر مما يحوى الاجتماع الانجليزى . واذا وقر هذا فى اذهاننا امكننا ان نشرع فى تفهم العلل والنتائج ونعالج بالوقاية ما نعالجه الآن بالتنكيل والعقوبة . وخاصة لان هذا التنكيل او هـذه العقوبة ، لم تثمر ثمرات الخير والسعادة للامة بل أثمرت شقاء يكفى للبرهنة عليه أن نقول أن عدد الذين تشنقهم الحكومة المصرية كل عام قد يزيد على عدد من يشنقون فى ست أو سبع أمم غربية لكل منها عدد سكاننا

فاذا تركنا هـذا جاز لنا أن نقول أن التقرير وثيقة حسنة للدرس الاجتماعى فى بلادنا . فانه يشير قبل كل شىء الى الأزمة الاقتصادية التى شملت جميع نشاطنا منذ سنة ١٩٣٠ ثم خفت بعض الشىء وأثر ذلك فى الجرائم — وهو أثر لا يمكن أن ينكر . وأشأم مافى الطوالع الاقتصادية أن هذه الازمة ستزداد هذا العام للتدهور فى أسعار القطن . وسيكون لذلك أثره السىء على الجرائم أيضا

ويقول التقرير أن الجنايات فى سنة ١٩٢٩ بلغت ٦٧١٤ فصارت ٧٩٧٦ فى سنة ١٩٣٧ أى أن الزيادة ١٢٦٢ جنايه وهى زيادة مرعبة يجب ان تنبهنا الى ان الطرق التى نتبعها والتى يعتمد عليها الموظفون بالوانهم المختلفة — هى طرق عقيمة بل مضرة ، فنحن نسير من سىء الى اسوأ وفسادنا الاجتماعى الذى يؤدى الى هذه الزيادة فى الجنايات لن يجدى فى علاجه كثرة الشنق والسجن وسائر الوان التنكيل . ولبعض الجنايات مغزى كبير الاثر فيما نقول هنا من عقم التنكيل . فان جرائم العود قد زادت فى الفترة الواقعة بين السنتين المذكورتين من ٤٩٨ الى ٧٦٧ والزيادة هنا كبيرة جداً وهى تدل على أن المجرم الذى نسجنه لا يخشى السجن بل يعود الى جنايته ولا يبالى . ونحن فى هذا المقام بمثابة الذى يبيع دواء لمعالجة السكيرين . ولكن العربدة تزيد بفضل هذا الدواء من ٥٠٠ حادثة الى ٨٠٠ بدلا من أن تنقص

ومما يبعث على القلق ان جرائم الانتحار زادت فى الثمانى السنوات الماضية . فقد كانت ٤٤٧ فصارت ٦١٦ وهذا يدل على أن سلطان الايمان قد تزعزع بعض الشىء

وخلاصة القول ان التقرير مفيد ومنير وكان يجب ان يكون اصداره كل عام . وهو يبعث مع ذلك على الاكتئاب لسوء الحال الاجتماعية فى بلادنا

كتب الشهر الجديدة

خطرات في عيوب الحكم في مصر

كان من أثر المعاهدة بين مصر وبريطانيا أن قوى الشعور بالمسئولية الوطنية والاهتمام بشؤون البلاد وهذا طبيعي لاننا كنا قبل المعاهدة نشعر بان يداً أخرى غير الايدى الوطنية تتدخل ان لم يكن فى أخص شؤوننا ففى العامة منها كما أن همنا الاكبر كان يتجه على الدوام الى تحقيق الاستقلال

ولذلك ما كدنا نوقع المعاهدة حتى رأينا نشاطا جديدا بل نفسية سياسية جديدة تستولى على تفكيرنا السياسى هى نفسية الاصلاح والتجديد مع البعد عن النقاش الحزبى العقيم . فرأينا صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا ثم الاستاذ مريت بك بطرس غالى يؤلفان الكتب فى بيان العيوب الاجتماعية والاقتصادية التى يجب اصلاحها . وكتاباهما بعيدان عن النقاش أو التوجيه الحزبى اذ هما ينتقدان التعليم والاقتصاد والادارة ونحو ذلك مما تستوى فيه جميع الاحزاب اهمالا أو نشاطا . لان ما اتبعناه من الخطط فى هذه المسائل جميعها ترجع أسسه الى اكثر من ٤٠ أو ٥٠ سنة

وقد أصدر الاستاذ حسن الجداوى كتابا ينسجم وهذه النفسية الجديدة موضوعه «خطرات فى عيوب الحكم فى مصر» وقد مهد له صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا بكلمة تقدير وتزكية

وقد تناول المؤلف موضوعات منها : الحياة النيابية والأحزاب المختلفة المصرية وادارة الحكم والوساطة والمركزية والصحافة وطرق الاصلاح . ونحن ننقل بعض ما يراه المؤلف من الآراء التى تستحق الدرس وقد تستحق النقد . فقد قال عن الاحزاب المصرية :

« ليس لحزب من هذه الاحزاب مبادىء اقتصاديه تختلف عن مبادىء الاحزاب الاخرى .

ارتكاب الجرائم أكثر مما يحوى الاجتماع الانجليزى . واذا وقر هذا فى اذهاننا امكننا ان نشرع فى تفهم العلل والنتائج ونعالج بالوقاية ما نعالجه الآن بالتنكيل والعقوبة . وخاصة لان هذا التنكيل او هـذه العقوبة ، لم تثمر ثمرات الخير والسعادة للامة بل أثمرت شقاء يكفى للبرهنة عليه أن نقول أن عدد الذين تشنقهم الحكومـة المصرية كل عام قد يزيد على عدد من يشنقون فى ست أو سبع أمم غربية لـكل منها عدد سكاننا

فاذا تركنا هـذا جاز لنا أن نقول أن التقرير وثيقة حسنة للدرس الاجتماعى فى بلادنا . فانه يشير قبل كل شىء الى الأزمة الاقتصادية التى شملت جميع نشاطنا منذ سنة ١٩٣٠ ثم خفت بعض الشىء وأثر ذلك فى الجرائم — وهو أثر لايمكن أن ينكر . وأشأم مافى الطوالع الاقتصادية أن هذه الازمة ستزداد هذا العام للتدهور فى أسعار القطن . وسيكون لذلك أثره السىء على الجرائم أيضا

ويقول التقرير أن الجنايات فى سنة ١٩٢٩ بلغت ٦٧١٤ فصارت ٧٩٧٦ فى سنة ١٩٣٧ أى أن الزيادة ١٢٦٢ جنايه وهى زيادة مرعبة يجب ان تنبهنا الى ان الطرق التى نتبعها والتى يعتمد عليها الموظفون بالوانهم المختلفة — هى طرق عقيمة بل مضرة ، فنحن نسير من سىء الى اسوأ وفسادنا الاجتماعى الذى يؤدى الى هذه الزيادة فى الجنايات لن يجدى فى علاجه كثرة الشنق والسجن وسائر الوان التنكيل . ولبعض الجنايات مغزى كبير الاثر فيما نقول هنا من عقم التنكيل . فان جرائم العود قد زادت فى الفترة الواقعة بين السنتين المذكورتين من ٤٩٨ الى ٧٦٧ والزيادة هنا كبيرة جداً وهى تدل على أن المجرم الذى نسجنه لايخشى السجن بل يعود الى جنايته ولا يبالى . ونحن فى هذا المقام بمثابة الذى يبيع دواء لمعالجة السكيرين . ولكن العربدة تزيد بفضل هذا الدواء من ٥٠٠ حادثة الى ٨٠٠ بدلا من أن تنقص

ومما يبعث على القلق ان جرائم الانتحار زادت فى الثمانى السنوات الماضية . فقـد كانت ٤٤٧ فصارت ٦١٦ وهذا يدل على أن سلطان الايمان قد تزعزع بعض الشىء

وخلاصة القول ان التقرير مفيد ومنير وكان يجب ان يكون اصداره كل عام . وهو يبعث مع ذلك على الاكتئاب لسوء الحال الاجتماعية فى بلادنا

كتب الشهر الجديدة

خطرات في عيوب الحكم في مصر

كان من أثر المعاهدة بين مصر وبريطانيا أن قوى الشعور بالمسئولية الوطنية والاهتمام بشؤون البلاد وهذا طبيعي لاننا كنا قبل المعاهدة نشعر بان يداً أخرى غير الايدى الوطنية تتدخل ان لم يكن فى أخص شؤوننا ففى العامة منها كما أن همنا الاكبر كان يتجه على الدوام الى تحقيق الاستقلال

ولذلك ماكدنا نوقع المعاهدة حتى رأينا نشاطا جديدا بل نفسية سياسية جديدة تستولى على تفكيرنا السياسى هى نفسية الاصلاح والتجديد مع البعد عن النقاش الحزبى العقيم . فرأينا صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا ثم الاستاذ مريت بك بطرس غالى يؤلفان الكتب فى بيان العيوب الاجتماعية والاقتصادية التى يجب اصلاحها . وكتاباهما بعيدان عن النقاش أو التوجيه الحزبى اذ هما ينتقدان التعليم والاقتصاد والادارة ونحو ذلك مما تستوى فيه جميع الاحزاب اهمالا أو نشاطا . لان ما اتبعناه من الخطط فى هذه المسائل جميعها ترجع أسسه الى اكثر من ٤٠ أو ٥٠ سنة

وقد أصدر الاستاذ حسن الجداوى كتابا ينسجم وهذه النفسية الجديدة موضوعه «خطرات فى عيوب الحكم فى مصر» وقد مهد له صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا بكلمة تقدير وتزكية

وقد تناول المؤلف موضوعات منها : الحياة النيابية والأحزاب المختلفة المصرية وادارة الحكم والوساطة والمركزية والصحافة وطرق الاصلاح . ونحن ننقل بعض ما يراه المؤلف من الآراء التى تستحق الدرس وقد تستحق النقد . فقد قال عن الاحزاب المصرية :

« ليس لحزب من هذه الاحزاب مبادىء اقتصاديه تختلف عن مبادىء الاحزاب الاخرى ،

فليس فى مصر حزب لاصحاب رءوس الاموال . ولا فيها حزب اشتراكى . ولا حزب بلشفى كما أنه ليس بين هذه الاحزاب — والحمد لله — حزب عنصرى أوطائفى أو حزب يدعو الى الديكتاتورية أو أى مرض من تلك الامراض التى طغت على بعض الدول فافقدت أفرادها الحرية والرأى والتفكير وجعلتهم آلات مسخرة لا ارادة لها ولا اختيار . وهذا التوافق بين الاحزاب المصرية جميعها فى مطالبها وفى مبادئها وفى القواعد التى ارتضتها للحكم هو الذى جعل مهمة الناخب صعبة وهو الذى يجعل مهمة المشتغل بالحياة النيابية مرهقة لانه لايكاد يدرى على أى أساس ينتمى لهذا الحزب أو ذاك . اللهم الا ذلك الاساس الواهى وهو ميله لرئيس حزب دون الاخر أو فى ذلك الرئيس أو صداقته لافراد منتمين لحزب دون آخر »   وقد نقلنا منه فصلا يراه القارىء فى هذا العدد

الصحافة المصرية : نشأتها وتطورها

وضع هذا الكتاب باللغة الالمانية الدكتور كمال الدين جلال . ونال عليه اجازة الدكتوراه من جامعة برلين . وهو تاريخ ممتع للصحافة والاحوال التى تقلبت عليها . وقد استطاع المؤلف أن يعين تطورها منذ قدوم نابليون الى الآن . وهنا يجب أن نذكر انه ازال وهما كان عالقا بالتاريخ وهو أن نابليون أصدر جريدة عربية . فقد تورط جميع المؤرخين فى هذا الخطأ ورووه ناقلا عن ناقل عن واهم . والاصل فى هذه الرواية أن أحد القواد الفرنسيين كان قد قرر اصدار جريدة عربية فى القاهرة ولكن هذا القرار لم ينفذ

وقد قسم الدكتور جلال ، بعد هذا ، رسالته الى العصور السياسية الهامة التى أثرت فى تاريخ الصحافة المصرية وتطورها ، بعد أن تمت نشأتها فى عهد « اسماعيل » الذى يرجع اليه فضل تقدمها بما عرف عنه من الميل الى تعضيد الكتاب والادباء

ثم بحث فى كل من هذه العصور عن العوامل السياسية والاقتصادية والعلمية التى أثرت فى تطور الصحف ، متحدثا عن الصحف والصحفيين الذين ظهروا فى تلك العصور

وهنا يجدر بنا أن نقول ان المراجع التى استند اليها المؤلف تزيد على الخمسين ، وهى باللغات العربية والالمانية والفرنسية والانجليزية

وقد ختم الدكتور جلال كتابه ببحث وسائل تطور الصحافة المصرية فى المستقبل ومما قاله فى ذلك :

« ان مستقبل تطور الصحافه المصرية متعلق باطراد النقص فى عدد الاميين ، وبرفع مستوى التعليم الوطنى الذى لا بد أن نصل اليه بعد أن أعلن استقلال البلاد . فما من شك أن انتشار التعليم الاولى بين الفلاحين والطبقات الفقيرة ، سيضم الى عدد قراء الصحف طبقات أخرى

« واذا راعينا اهتمام الجمهور المصرى بصحفه ، فالذى ننتظره هو أن تطور الصحافة المصرية — بالرغم من العوائق والعقبات التى تصدمها — سيخطو الى الامام دائما »

الثقافة الجنسية

هذا الكتاب وضعه الدكتور حنا حنا . وقد عالجه لانقول بروح الاختصاصى الذى يدرى العلم والفن معا والذى أكتسب من الاختبارات الحرفية ما يخوله الحديث ، بل بروح الرجل الحكيم الذى يعرف اكثر جدا مما يقول والذى يتحفظ لان فيه تلك الفضيلة الاغريقية فضيلة ارسطوطاليس وهى الاعتدال . ومما هو ذو مغزى هنا ان يفتتح الفصل الاول من كتابه بعنوان : ثقافة ام اباحية . ولكننا لانحب ان يفهم القارىء ان الدكتور حنا حنا قليل الصراحه . فانه يواجه المشكلات مواجهة الطبيب المريض : وهى عارية . كما ترى فى العنوان : اللواط فى نظر هرشفيلد وبرتراند رسل

ونحن ننصح لكل شاب ان يقرأ هذا الكتاب . فانه كله نور بلا نار وحكمة بلاشعوذة قد اقترنت فيه خبرة الشيخ المسن الى العالم الفنى وهذا الى طائفة من الصور لاتدل على ان المؤلف طبيب فحسب بل اديب فنان ايضا

عاصفة فوق مصر

قصة اجتماعية وضعها الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف . وهى تجمع الى براعة الرواية صحة الوقائع او انطباقها على الحقائق الريفية . وهى حقائق فظيعة مؤلمة رآها المؤلف او رأى مثلها بعينه . بل من منا ممن عاشوا فى الريف المصرى المحروم لم ير مثلها ؟ فقر وشقاء ومرض وضعف فى ناحية

وقوة ومال ونهب واغتصاب فى ناحية أخرى . وماهى النتيجة ؟ هى أن الذين ينتجون لنا طعامنا من القمح والذرة واللحوم والطيور والزبدة واللبن لا يجدون كفايتهم منها حتى مرضوا وتفشى بينهم مرض البلاجرا مرض الجوع والحرمان ثم احتاجت وزارة الصحة اخيرا الى ان تشترى البيض وتوزعه على محروميهم لكى يأكلوه ويستعيدوا صحتهم

لو كان لنا شرف لحثونا التراب على وجوهنا من هذا العار ولصببنا اللعنات على الذين ينهبون هذا الفلاح المصرى الكريم بعمله المسكين بحكامه . وهذا الكتاب جدير بان يبصر العيون العشواء

الترقيص والغناء عند العرب

يصدر هذا الكتاب فى وقت يظهر فيه السعى الى اصلاح الاغانى ، والرغبة فى اشاعة روح القوة والحماسة فى نفوس ابناء الجيل ، بعد أن ادرك المصريون خيرا أن للاغانى اثرا مباشرا فى الاخلاق

واغانى الاطفال ، تسبق فى اهميتها الاغانى العامة لمن تجاوزوا سن الطفولة ، ففى هذه الفترة من العمر ، يكون الطفل مستعدا للتأثر بكل شىء . وقد كان للعرب عناية بالاغانى التى يرقصون بها الصبيان : وكانوا يتخذونها وسيلة فذة من وسائل التربية والتهذيب ، واشاعة القوة والشجاعة والاقدام والكرم فى نفوس الصغار . وقد وفق البحاثة القدير الدكتور احمد عيسى بك الى جمع طائفة ممتازة من أغانى العرب فى ترقيص صبيانهم . فاخرجها فى كتاب قيم يمتاز بالدقة والضبط والتحقيق . ولقد قدرت وزارة المعارف القيمة الادبية والخلقية لهذا الكتاب ، فقامت بطبعه وتوزيعه فى المدارس رجاء الانتفاع به . ونحن نرجو أن يعم به الانتفاع وأن تجد فيه الامهات قدرة فى ترقيص أطفالهن .

كتب أخرى

وصلت هذه الكتب متأخرة وسنتناولها بالعرض والنقد فى اعداد قادمة : قصص فى البطولة والوطنية للاستاذ محمد عطيه الابراشى . رحلة الصحفى العجوز للاستاذ توفيق حبيب . فى كتاب القرية للاستاذ محمد عبد الجواد : أروع القصص للاستاذ محمد عطيه الابراشى

١٠ فى المائة عشق الجنس الآخر

وان تناسلية شخص طبيعى بعد البلوغ هى

٢٠ فى المائة تناسلية ذاتية

٣٠ فى المائة عشق الجنس

٥٠ فى المائه عشق الجنس الآخر

وكل واحد من هذه الميول يمكن أن يلقى ما يأتى

١ — يضغط ثم يتسامى

٢ — يضغط دون أن يتسامى (فتنتج الاضطرابات العصبية والعادات السيئة الخ)

٣ — لا يضغط ولكن يظهر

٤ — يحول

وهذه الأنواع الثلاثة من الاتجاه التناسلى يمكن أن تسمى الاهداف التناسلية الابتدائية، أى أن الفرد يرمى الى تفريغ قوته الشبقية فى أحد هذه الطرق، متجاهلين الى حين امكان حدوث التصعيد والتحويل الى طرق أخرى

فاذا حدث فى أثناء أى فترة من حياة الطفل ان وقع ما يعوق السير الطبيعى للنمو التناسلى النفسى أو ما يتداخل فى هذا السير فقد تتجه القوة الشبقية عند البلوغ الى طريق التناسلية الذاتية أو طريق عشق الجنس . أو اذا حدثت بعد البلوغ موانع فى طريق الميل الى الجنس الآخر فقد تجد العاطفة الجنسية منفذا لها فى أحد الطريقين البدائيين . والعاملان اللذان يقرران — كما يبدو لنا — النصيب النسبى من كل من هذه الانواع التناسلية فى كل فرد هما

(١) عامل الوراثة أى الميل المزاجى وهذا أثره قليل

(٢) عامل البيئة المبكرة وهذا يكاد يكون كل شىء

وقد تحدثنا حتى الآن عن نمو الاهداف التناسلية ، ولكننا لم نذكر شيئا عن الدافع الجنسى (الرغبة الجنسية) . فاول ما يجب معرفته هو بحث كل العوامل الداخلة فى تركيب هذا الدافع الجنسى وسنرى أن بعض هذه العوامل تتصل أولا بحفظ الذات وليس لها الا أهمية ثانوية من الناحية التناسلية

لحفظ الذات عند الحيوان البدائى يستند الى عامل من أهم العوامل هو الألم ، والالم قد يكون من جرح أو من اعتداء حيوان آخر ، وهو على أى حال انذار بان حياة الفرد مهددة وتوشك أن تنتهى ، ومن ثم فان تجنب الألم وتجنب المواقف التى يمكن أن تسببه هو فى ذاته عمل من أعمال حفظ الذات . ولكن فى كفاح الحياة الذى يقضى ببقاء الاصلح لا يكفى مجرد تجنب الألم ، بل يصبح التعدى واحداث الألم للغير من الضروريات . اذ يرى القوى أن خوف الضعيف من تعديه يجعله (أى الضعيف) يفضل الموت البعيد (من الجوع مثلا) على الموت القريب اذا أعتدى عليه، ومن ثم يصبح من التعدى الضروريات الحيوية فى الحياة البدائية . أى يصبح القتل ، أو احداث الألم وما يصاحبه من الخوف على الأقل من العوامل الاساسية فى الحياة . وبذا يبدأ التسود على الغير ضرورة ثم يكون غريزة

فاذا انتقلنا الى الحيوانات الثنائية الجنس فاننا نستطيع أن نشاهد حقيقتين ، الاولى: ان فترة الرغبة عند أحد أفراد الجنس قد لا تتفق مع فترة الرغبة عند الجنس الآخر ، ولما كان الاول قد اكتشف ان الرغبات انما تتحقق بالاعتداء فانه يعتدى على الثانى ويخضعه بالقوة . ومن المحتمل بالالم أيضا بينما يقوم باداء الفعل التناسلى .هذا فضلا عن أن الحيوان الثانى كان فى مبدأ الامر يقرن الاعتداء والالم بالخوف من الفناء ، ولكنه أصبح فيما بعد يقرنهما بدافع آخر مختلف هو الدافع التناسلى . والثانية : انه بعد أن يبدأ المعتدى الفعل الجنسى دون أن يرى المعتدى عليه فى هذا العمل ما يهدد حياته ، فانه (أى المعتدى عليه) يشعر بالطمأنينة ، ثم يشعر باللذة من العمل نفسه وان كانت الرغبة الواعية اليه لم توجد قبل البدء فيه . وبذلك يقرن كل من الفريقين التعدى والقسوة بالفعل التناسلى ، ويكون أحدهما هو مسبب الالم بينما يكون الثانى هو محتمله ، ولما كان كلاهما له مميزات الجنس الثنائى ، فانهما يقرنان احداث الالم واحتماله من الناحية النفسية بالفعل التناسلى

وقد لا يكون هذا التعليل صحيحاً فى تفاصيله ، اذ قد يكون الاعتداء ولذة الالم فى ذاتهما هما اللذة التناسلية الرئيسية عند الانواع البدائية ، ولكن الحقيقة مع ذلك تبقى بان لذة احداث الالم واحتماله — من أى نوع كان — من الدوافع التناسلية البدائية . وقد أطلق فرويد عليها اسم «الدوافع الجزئية» ، التى تكون عند اكتمالها الدافع التناسلى الكامل فى البالغين

ويمكن توضيح هـذا الـكلام بطرق متعددة . فان هـذا الدافع اذا لم يضغط يظهر على صورة الصادية أو الماسوشية . وقد روى لى أحد مرضاى ، وكان طبيعيا من نواح كثيرة — انه كان وهو صبى يجلد نفسه عند ممارسة الاستمناء لكى يزيد من احساسه باللذة . كما ان عددا غير قليل من الشعوب الجنوبية ذات العواطف الحارة تكثر من العض فى اثناء الجماع وتقول انه يزيد من لذة الفعل. والقسوة التى تبدو من الصبيان فى المدرسة تـكاد تكون على الدوام مظهرا تناسليا ، وهى كعشق الجنس ، ينبغى ان تكون طورا عارضا فى حياة الصبى ، لا يلبث ان يضغط فى العقل الباطن ولا ريب فى ان الرهبان الذين حرموا انفسهم من الاتصال الجنسى ثم التمسوا اللذة من جلد بعضهم بعضا هم مثال للقوة التناسلية التى تلتمس لنفسها مخرجا بدائيا عندما تحرم من السير فى الطريق الطبيعى . وللصبيان ميل ملحوظ الى القسوة ، فهم يمسـكون الذباب والفراش ويقطعون اجنحتها ويقابل هذا الميل عند البالغين رياضة الصيد

ومن ثم نرى ان كل ما له علاقة بالالم لهذا القانون الهام: كل لون من الوان القوة النفسية يمكن ان يظهر فى صورتين تناقض احداهما الاخرى كل المناقضة :

فالمجتمع مثلا يعد القسوة عملا ضارا بالمصلحة العامة ، ومن ثم فاننا نعـلم منذ ابعد عهود الطفولة ان ننظر الى القسوة برعب وان نضغطها . والعطف هو العاطفة المضـادة للقسوة (يمـكن بشىء من التجاوز ان يقال انه التصعيد للقسوة) ، ولذلك فان التحليل يظهر انه كلما زاد ما يظهره الشخص من العطف زاد ما يحتويه عقله الباطن من القسوة المضغوطة .

وكما ان القسوة يمـكن ان توجه ضد الغير وضد الذات (فى الانواع ذات التناسلية الذاتية) فكذلك العطف ايضا . والشخص الذى يرغب دائما فى العطف والحنان هو شخص منعته ظروف البيئة وغيرها من تصريف قوته التناسلية (سواء لافراد من الجنس الاخر او من الجنس نفسه) ، فانصرفت هذه القوة نحو ذاته . ومن ثم فانه ليس فى العطف فضيلة ، لانه ليس امرا متعلقا بالارادة ولـكنه متعلق بالانفعالات العاطفية ، ولا يخرج عن كونه من مركبات الرغبة الشبقية .

ويمكننا ان نمضى فى الحديث عن موضوع القسوة والعطف ، ولـكن حسبنا هذا القدر ففيه ما يكفى للالمام بالموضوع بقدر حاجتنا اليه فى هذا البحث .

والان ننتقل الى بحث الدوافع الاخرى التى تكون الرغبة التناسلية المعقدة .

١ — رغبة اللمس — الملامسة : من اهم الدوافع الشبقية عندنا . وهى لاتقتصر على ملامسة الاعضاء التناسلية وحسب ، ولكنها تشمل ملامسة بعض اجزاء اخرى من الجسم ايضا . وتدل مشاهدة كثير من اسلافنا على ان هذا الدافع لعب دورا هاما فى الوصول الى الفعل الجنسى . وليس للكائنات البسيطة قوة ذهنية تفكر وتقدر ، كما ان ليس لها اعضاء تناسلية فعالية . فهى اذن لا تستطيع ان تقول « هلم الى الاقتراب من هذا الكائن الاخر لالمسه واشبع رغبتى الجنسية » . فالدافع الى الملامسة عندها هو دافع غالب فى ذاته . وليس من المعقول ان كائنا مثل الباراميسيام حين يلتصق افراده ويتبادلون نصف النواة عن طريق الفم يفعل ذلك عن تفكير وتدبير . ولكن الامر المهم هنا هو ان الملامسة هى الجزء الأساسى فى العملية الجنسية .

ويزداد اثر الملامسة فى الفعل التناسلى كلما ارتقينا صعودا فى سلم التطور . ونحن نرى مثلا ان الملامسة فى دودة الارض تحدث قبل الفعل ذاته بفترة طويلة . كما نرى ان بعض الحيوانات تتلامس اجسامها زمنا طويلا دون ان تتلامس اعضاؤها التناسلية (وخصوصا فى الحيونات ذات الاعضاء التناسلية الداخلية مثل الضفادع)

ويمكننا ان نرى مثل هذا فى الانسان فملامسة اليدين والشفتين (التقبيل)ومداعبة الثدى والشعر والوجه والجلد عموما كلها تسبق ثم تؤدى الى الفعل التناسلى ، بل لولا هذه المقدمات لوجد كثير من الناس عسيرا عليهم ان يقوموا بالفعل التناسلى (ضغط البيئة المبكرة قوى عند هؤلاء الناس). وبذلك يمكن ان يقال فى درجات متفاوتة هى احدى اللذات ، بل المقومات الاساسية فى عملية الانسال .

وننتقل الان الى بحث بعض تفاصيل هذه الملامسة الجسدية ، لأنها تلعب دورا هاما فى النمو التناسلى للانسان ونحن نعلم ان الخطيبين يجدان لذة كبيرة فى مداعبة اليدين وتأبط احدهما ذراع الآخر فى اثناء السير الخ . فكل هذه اعمال تناسلية ، ولكن الضغط يمنعها من تجاوز هذا الحد ، اوحتى من الظهور فى الوعى على هذه الصورة فى كثير من الاحيان . وفى بعض الاحيان نرى نساء يشعرن بلذة من مداعبة يد امرأة اخرى او من احتضانها او تقبيلها . . فى هذه الحالات يوجد مقدار كبير

من عشق الجنس فى العقل البـاطن : اى ان هذه الاعمال على براءتها الظاهرة هى فى حقيقتها اعمال تناسلية . والملاحظ ان عشق الجنس المضغوط او التناسلية الذاتية المضغوطة اكـثر انتشارا فى النساء منها فى الرجال ، لان تربية المرأة تنطوى على قدر كبير من الضغط لرغباتها ، ومن ثم فانها تحتفظ بجزء غير يسير من حالتها التناسلية الطفلية . وسنتناول هذه النقطة بشرح اوفى فى الفصل القادم

المناطق الشبقية : بعد ان تبين ان لمس الجسم على وجه العموم له دلالة تناسلية كبيرة استطاع فرويد ان يحدد اجزاء معينة منه باعتبـار ان لها دلالة تناسلية خاصة ، واطلق على هذه الاجزاء اسم « المناطق الشبقية » . وصحيح ان نشاط هذه المناطق الشبقية لايقتصر على حاسة اللمس وحدها ولـكنه يتناول ايضا حواس النظر والشم والسمع الخ ، اذ تلعب كل واحدة من هذه الحواس دورا فى النشاط التناسلى لهذه المناطق ، غير اننا نرى ان الفرصة مناسبة الان لبحث هذا الموضوع باختصار .

واهم المناطق الشبقية هى : الشرج ، عنق المثانة ، الفم ، الثدى ، العين ، اليد ، الشعر ، القدم ، داخل الفخذ .

الشرج : من الناحية الهستولوجية يغطى الشرج والاعضاء التناسلية بنفس الغشاء المخاطى ، وفى بعض الحيوانات البدائية (الضفادع والطيور وغيرها) يشترك الاثنان فى فتحة واحـدة هى المخرج . وليست العلاقة بينهما علاقة تشريحية فقط ، بل هى علاقة وظيفية أيضاً . فالقضيب والشرج يؤديان وظيفة متشابهة هى الافراز ، والمدد العصبي للعضلات القابضة فى كليهما يجىء من أصل واحد . ومن ثم فاننا نلاحظ أن العقل البدائى يرى اتصالا كبيراً بين الشرج والأعضاء التناسلية ، وكذا الاطفال فانهم يعـلمون أن يضغطوا كل ما يشير الى الاثنين ، وهم ينظرون اليهما نظراً متشابها من نواح متعددة . ثم انه نتيجة لخروج المـدد العصبي لـكليهما من أصل واحد ان كان هناك ما يسمى اللذة المسموعة . فـكثيراً ما يشعر الاطفال بلذة من الامساك اذ تضغط المواد البرازية الصلبة على العضلة القابضة للشرج ، فتسمع اللذة فى الاعضاء التناسلية . وقـد اعتادت أم احـد مرضاى وهى طفلة أن تدخل أصبعها بعد تلينه بالصابون فى المستقيم لكى تساعدها على التبرز ، فكانت الطفلة تشعر بلذة كبيرة من هذا العمل ، وكانت أحيانا تشعر برغبة قوية فى تقبيل أمها فى أثناء هذه العملية

وفى المصابين بالهستريا قد نجد احساسا تناسليا فعليا فى الغشاء المخاطى للشرج . وفى بعض الاطفال

(بل والبالغين أيضا) قد تزيد لذة الاستمناء بالضغط على الشرج فى أثناء الفعل ، وقد يشاهد هذا أيضا عند المتزوجين فى أثناء الجماع، كما أن بعض الناس عندهم عادة هرش أو دعك منطقة الشرج لغير سبب ظاهر . وقد اظهر التحليل النفسى ان هذه التناسلية الشرجية توجد بصورة مضغوطة فى كل شخص ولكن درجتها تختلف اختلافا كبيرا فى كل شخص ، فهى عند بعض الناس مضغوطة الى درجة أنهم لا يعونها ، وهى عند البعض الآخر (من البالغين) قد تصل الى درجة الفساد ، فتجعلهم يشعرون باللذة من الجماع الشرجى . وكل الدرجات المتوسطة يمكن أن توجد بين هذين الطرفين ، والمريضة التى أشرت اليها منذ قليل تشعر الآن بلذة كبيرة من الامساك ومن محاولتها التبرز بوضع أصبعها فى المستقيم ، اذ لم يعد ممكنا أن تمارس أمها هذا الامر بعد أن كبرت

والنقطة الهامة هى أن الشبقة الشرجية هى دافع تناسلى طبيعى فى الطفولة ، ولكنها عند الشخص العادى تضغط وتتسامى بعد البلوغ . وقد يمثل الشرج عند الذكور المصابين بالفساد المهبل ، فيكون هذا دليلا جديدا على التناسلية الثنائية النفسية

الفم فم من بعض النواحى أهمية تناسلية تفوق الشرج . وقد رأينا فى أبسط الكائنات وهى البارا ميسيام ان الفم لا يستعمل للغرض الغذائى فقط ، ولكن الفعل التناسلى يحدث عن طريقه أيضا حين يتم تبادل النواتين بواسطته . وفى بعض الكائنات الاكثر رقيا مثل الهيدرا نرى أن هناك فتحة خارجية واحدة تؤدى وظيفة مزدوجة هى وظيفة الفم والشرج .

وتتعدد أمثال هذه الظاهرة فى الكائنات الاخرى ، فترى مثلا ان الكلاب تلعق الاعضاء التناسلية فى نفسها وفى غيرها . اما فى الانسان فان الارتباطات المتعلقة بالفم تعطيه أهمية كبرى كعضو من أعضاء الدافع التناسلى ، لان شفتى فتحة المهبل تشبهان بواسطة ارتباط الآراء شفتى الفم الى حد كبير ، بل ان مجرد اطلاق اسم الشفتين (أو الشفرتين) عليهما يدل على هذه العلاقة النفسية . كما ان للسان ارتباطا بهذا مع القضيب ، ومن أكثر أنواع الانحراف (الفساد) انتشارا عند البالغين ذلك الذى تقوم فيه علاقة بين الفم والاعضاء التناسلية ويدل التحليل النفسى للمصابين بالهستريا وللاحلام انه كثيرا ماتكون أعضاء النصف الاعلى من الجسد (الفم والاسنان والرأس والثدى) رمزا للاعضاء التناسلية المضغوطة . وبذا يمكن أن تعد جميع أنواع التقبيل كأنها دوافع تناسلية .

وليس الدافع التناسلى موجودا فى الصلات المتبادلة بين افراد الجنسين فقط، ولكنه موجودا أيضا فى

قبلات أفراد الجنس ذاته أيضاً ، ولكنه فى هذه الحالة يكون مضغوطا فى العقل الباطن ، وفى بعض الاحيان يكون رمزا لتلامس الاعضاء التناسلية. وليست الملامسة هى الدلالة التناسلية الوحيدة فى وظيفة الفم بل ان للنظر أيضا دلالة هامة فالرغبة فى مشاهدة شفتى المرأة ووصفهما «بالفتنة» و«الامتلاء» و«الرقة» وغير ذلك من الاوصاف فى القصص والروايات هو كله وصف لجاذبيتها التناسلية. والمرأة التى تصبغ شفتيها بالاحمر انما تظهر « مركب العرض » ، فهى تلفت النظر الى شفتى فمها بدلا من شفرتيها ، وقد ضغط الخاطر التناسلى فى العقل الباطن بينما استطاع الدافع التناسلى أن يجد له مخرجا بدائياً ورمزيا . ومص الابهام فى الاطفال هو بديل الاستمناء حيث يكون للشفتين والاصبع دلالة تناسلية ، وكذا قضم الاظافر ، ولكن بصورة أقل وضوحا

الثدى : اما الثدى فلها دلالة تناسلية فعلية الى جانب فائدتها الغذائية . وتكاد تكون مداعبة الثديين باليد عملا شبقيا مجمعا عليه بين العاشقين قبل الجماع .

اليدان : اكتسبت اليدان دلالة تناسلية حقيقية مع أهمية تناسلية ثنائية . وهذه الدلالة واضحة من نصيب اليدين فى مداعبة الثدى والاعضاء التناسلية ، وفى ملامسة الشعر والجلد الخ . وفى الاحلام نجد ان اليدين كثيرا ما ترمزان للاعضاء التناسلية ـ كما تؤديان وظيفة تناسلية . وملامسة اى جزء من الجلد كثيرا ما تكون مخرجا للدوافع التناسلية « دافع الالم واللذة فى الصادية والماسوشية وبالعكس»

«٢» رغبة النظر : الرغبة فى ان ينظر الفرد ، وفى ان ينظر «العرض» . هنا ايضا يوجد المعتدى « النشط » والمعتدى عليه « المستسلم » فى الجنسين ، كما توجد الرغبة فى القسوة . والسبب هو دائما واحد : ثنائية الجنس فى جميع الافراد . وهذه ايضا تتحول فى الاشخاص ذوى التناسلية الذاتية الى الرغبة فى مشاهدة الذات .

والراجح ان الرغبة فى النظر نشأت من ضرورة النظر ففى الحيوانات التى لا تكفى حاسة الشم او السمع عندها الى تمييز الجنس اصبح من الضرورى ان تنظر الى الاعضاء التناسلية لكى يتيسر لها الحكم على جنس الفرد الآخر ، ومعرفة ما اذا كان هدفا مناسبا لنشاطها الشبقى . وفى حالة الاناث حين ينتبه عندها الدافع الى قبول الاعتداء نرى هذه الحالة فى صورة معكوسة : اى تبدو فى صورة رغبة فى عرض الاعضاء التناسلية حتى تلفت نظر الذكر المعتدى عليها وبمضى الوقت تمتد رغبة

النظر هذه « بشطريها الايجابي والسلبي » حتى تشمل مناطق اخرى غير الاعضاء التناسلية ، فمثلا نرى فى الطاووس وغيره من الطيور ان هذه الرغبة تمتد الى الذيل وهو مكان قريب من الاعضاء التناسلية . وليست ملابس السهرة عند النساء الا عرضا غير واع لهذه الرغبة

وصحيح ان الذكر فى حالة الطاووس هو الذى يعرض نفسه ، كما ان الانثى فى بعض الانواع الاخرى هى التى تعرض نفسها . ولكن لنذكر ان جميع الكائنات ثنائية الجنس وكلها عندها الرغبة فى أن تنظر وتنظر . وتتوقف غلبة احدى هاتين الرغبتين فى حيوان ما « ذكرا كان او انثى » على ظروف بيئته وعلى تطوره الجنسى والفردى وعلى الدور الذى اضطره الانتخاب الطبيعى الى سلوكه

ويمكننا ان نرى هذا الميل الى العرض فى صغار الاطفال . فمن المعروف ان الطفل فى سن الثانية او الثالثة يحب ان يرى وهو يخلع ملابسه ، وان يتجول مختالا امام حلقة اصدقائه المعجبين . ومن العبارات المألوفة على اذاننا ان نسمع طفلا يدعو زائرا يميل اليه بصفة خاصة الى رؤيته وهو يستحم . وهذه هى الحاله السلبية فى العرض . اما الحالة الايجابية فتكون حين يحاول الطفل بواسطة اختلاس النظر من خلال ثقوب الباب ورؤية الغير وهم يخلعون ملابسهم . والرغبة فى عرض الاعضاء التناسلية اقوى فى الاناث منها فى الذكور ، الذين تكون الرغبة فى النظر « المشاهدة » اقوى عندهم وتنتقل هذه الرغبة ، بواسطه بعض الارتباطات الى المناطق الشبقية الأخرى ، فنرى مثلا الرغبة فى رؤية الجلد والثدى والفم والشرج والشعر والعينين والهيئة عموما . بل اننا نستطيع ان نقول ان فكرة الجمال عند الانسان هى فكرة عرفية محضة تستند الى الادراك الواعى للجنس . وهى كهذا تختلف اختلافا كبيرا عند مختلف الشعوب

ولاشك ان الفنانين الذين يختصون فى رسم الجسد العارى انما يظهرون ميلا قويا للعرض ، فى حين انه يمكن ان يقال ان اولئك الذين يرسمون المناظر الطبيعية يتسامون بهذا الميل . ونحن نعنى بالتسامى هنا تحويل قوة الرغبة الجنسية الى قوى اخرى ليس لها معنى جنسى . ونحن نعنى بالتحويل هنا تغيير القوة الى نوع آخر من التناسلية التى قد تكون مقنعة ولكنها تناسلية لا ريب فيها .

وقد قضى المجتمع لاسباب متعددة « بعضها نافع وبعضها خاطىء » ان رغبة النظر « بشطريها المشاهدة والعرض » رغبة غير صحيحة ، ولذلك فقد تعلمنا ان نضغطها وكان لهذا نتيجتان : الاولى

أن هذه الرغبة قد تتحول الى ضدها الخجل والحشمة « القسوة — العطف » . ولما كانت رغبة المرأة الفطرية فى العرض اقوى ، وكانت هى بصفة خاصة تعلم منذ الطفولة ضغط كل ما له علاقة بالجنس فان حاسة الخجل والحشمة اقوى نموا فى المرأة منها فى الرجل . والحشمة كالعطف تماما ، لافضيلة فيها فهى ليست الا احدى المميزات التى تتوقف كلية على ظروف البيئة الاولى لكل فرد ، وكلما زادت فى شخص ما كان هذا دليلا على قوة الدافع غير الواعى للعرض فى هذا الشخص . وبغض النظر عما يمكن ان يستخرج من التحليل النفسى فانه من الامور المشاهدة كثيرا ان الطفل الذى يظهر ميلا قويا الى العرض تقوى عنده الحشمة ويكون كثير الخجل ، كما ان اكثر الناس تحشما ـ تحت تأثير بعض الظروف الخاصة مثل الهستريا — قد يصبح اشدهم عرضا دون خجل

والنتيجة الثانية هى ان هذا الميل الى العرض بدلا من ان يتسامى قد يتحول من الشخص ذاته الى الاشياء التى تخص هذا الشخص او تحيط به . واوضح مثال لهذا نراه فى الملابس وخاصة فى الملابس النسائية . فليس عرض الفرد نفسه فى ملابس جميلة « وفى حالة الجنس الآخر الاعجاب بلابس الملابس الجميلة » الا تحويلا للدافع التناسلى للعرض . وفى الحالات التى يوجد فيها ضغط كثير للدوافع التناسلية الطبيعية ، وبالتـالى ارتداد الى التناسلية الذاتية الطفلية ، تشتد الرغبة فى ان يرى المرء نفسه ويشاهد جسمه او اعضاءه التناسلية وهذه فى حالة العرض تستحيل الى الرغبة فى ارتداء ملابس داخلية جميلة * اذ يمنع الخجل الدافع البدائى الحقيقى من الارتواء . وليست هذه الطرق كلها الا انواعا منحطة تافهة من التعويض ، لم تعد صالحة الان للجماعة . ولاريب فى ان التطور الذى ينحو الآن نحو الناحية الذهنية بدلا من النـاحية الجسدية سيضيع الفوارق بين الرجل والمرأة فى الملابس وهيئة الشعر الخ . اما الان فان نحو ٩٠ فى المائة من تجارتنـا واعلاناتنا وملذاتنا مشغولة بمضاعفة وتأكيد هو النوع من العرض التناسلى بصورة من الصور

وننتقل من العين الى علاقة الاذن والانف بالجنس

ولا حاجة لاطالة الكلام عن الاذن فهى تلعب دورها فى غزل الطيور وغيرها من الحيوانات ، وليست نجوى العشاق ومدحهم لمحاسن المحبوب الا نوعا من صدح الاطيار

* يلعب مركب عشق الذات، والمركبات الوالدية دورا غير قليل فى هذه الحالة

وللشم ايضا دور هام ، وهو قد يقوى فى بعض الحيوانات حتى يكون العامل الهام فى التمييز بين الجنسين . ولسنا نستطيع ان ننكر ان قد يصبح تدريجيا من الملذات التناسلية ، او من الدوافع التناسلية . ولما كانت منطقة الشرج قريبة من الاعضاء التناسلية فقد ارتبطت رائحة الاثنين معاً . وتلاحظ هذه الظاهرة بصفة خاصة بين الكلاب الذين يشمون رائحة الاعضاء التناسلية ورائحه الشرج عن بعضها البعض بلذة ظاهرة . وهذا يعلل ايضا لم يتبول الكلب فى المكان الذى تبول فيه كلب قبله حين اكتشاف الموضع .

والاطفال يبدون ميلا ظاهرا الى شم رائحة البراز ، وقد تبقى هذه الحالة عند البالغين ايضا « وهى تتوقف على ظروف البيئة ومقدار الضغط » . ولكن المجتمع قد وضع قيوده على هذه المتعة المكشوفة للدافع الشبقى ، ومن ثم اصبح تصعيدها هو ضدها ـ اى النفور والاشمئزاز من البراز ورائحته ، وعن طريق الارتباطات بكل ما تقرب رائحته من ذلك « مثل البيض الفاسد والبصل والثوم الخ » . وكلما زاد ميل الشخص من التذاذ هذه الرائحة كان هذا دليلا لزيادة سخطه عليها « عن طريق القمع » .

والخلاصة ان الدوافع التناسلية مختلفة ومتعددة ، وان عملية الجماع الاخيرة ليست الا دافعا واحدا من دوافع كثيرة . وكل دافع من هذه الدوافع يمكن ان يتجه هدفه الى التناسلية الذاتية او عشق الجنس او عشق الجنس الآخر وذلك بحسب الظروف المختلفة التى سنبحثها فى الفصل القادم

الخلاصة

١ — جزء كبير من القوة النفسية التى كانت مخصصة فى اول الامر لحفظ الذات تتحول الى تناسل الذات . والتناسلية الحديثة اكثر من ان تكون امرا ضروريا او مرغوبا فيه وكثير من القوة يمكن ان يصعد فى طرق ذهنية او جسدية

٢ — كل فرد ثنائى الجنس من الناحيتين الجسدية والنفسية .

٣ — الاهداف التناسلية ثلاثة انواع : التناسلية الذاتية ، وعشق الجنس ، والميل الى الجنس

الآخر . وكل هدف من هذه الاهداف طبيعى فى دور من ادوار الحياة

٤ — يتألف الدافع التناسلى من دوافع جزئية كثيرة ؛ وليس فى ذاته مجرد دافع نحو عملية معينة هى عملية الجماع مع فرد من افراد الجنس الآخر

٥ — التعليم المبكر والبيئة يسببان ضغط الأهداف والدوافع التناسلية سواء اكانت طبيعية أم غير طبيعية فى العقل الباطن . والتناسلية فى البلوغ تتوقف على نوع هذا الضغط ومداه ، وعلى نوع ومقدار التصعيد الناتج عن ذلك .

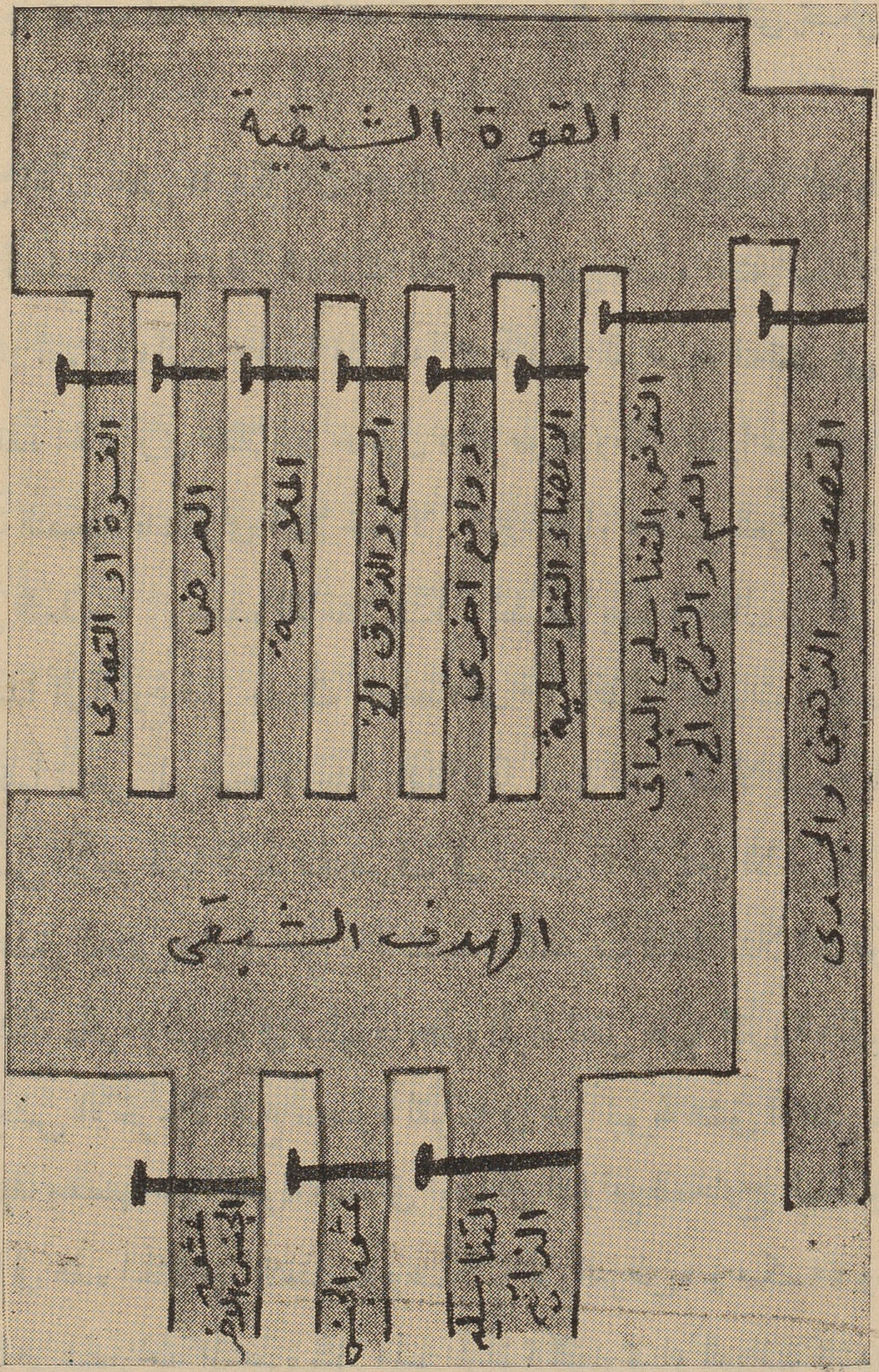
الفصل الرابع

مصير الدوافع والاهداف الشبقية

بحثنا فى الفصل السابق مسألة القوى التناسلية النفسية ، وكذا الاهداف والدوافع التناسلية النفسية ، رأينا أن هذه الأخيرة تشبه أن تكون حلقة اتصال بين القوى الشبقية والاهداف الشبقية . والآن علينا أن نبحث ماذا يحدث فى الاحوال العادية لهذه الدوافع والاهداف ؛ وماذا يمكن أن يحدث فى الاحوال غير العادية

وقد ابنا فى الفصل السابق أن أحد ثلاثة أمور يمكن أن تحدث فى الحياة الواقعية ، وهذه الأمور الثلاثة هى أولا : ان تظهر الغرائز البدائية كما هى دون ضغط أو بضغط قليل ، ثانيا : انها قد تضغط ثم تظهر بصورة مقنعه ، ثالثا : انها قد تضغط ثم تصعد . ومثال ذلك اننا لو أخذنا الميل الى العرض وطبقنا عليه هذه القاعدة لوجدنا انه قد يبدو فى احدى هذه الصور الثلاث : «١» ان يستمر فى أثناء الحياة كرغبة اما لعرض الاعضاء التناسلية والمناطق الشبقية أو للنظر اليها تبعا للناحية الغالبة فى الثنائية الجنسية للفرد . «٢» أو قد يتحول وذلك باخفاء الرغبة فى العرض أو النظر فيما يتعلق بالاعضاء التناسلية ، فتبدو هذه الرغبة فيما يتعلق بالملابس و بعض أجزاء الجسم . «٣» أو قد تصعد الى أهداف ذهنية أو مادية . ويمكن تطبيق هذه القاعدة لا على رغبة العرض فقط ، ولكن على جميع أنواع الدوافع الشبقية طبقا للرسم التالى

ففى هذا الرسم تبدو القوة البدائية موضوعة فى وعاء اطلق عليه اسم « القوة الشبقية » ، وقد خرجت من هذا الوعاء أنابيب متعددة ، وهذه الانابيب تمثل المخارج للميول الطفلية « الدوافع البدائية » مثل التعدى والعرض والملامسة والدوافع المتعلقة بالاعضاء التناسلية وباجزاء أخرى من الجسم «الشرج والفم الخ» . ثم توجد أنبوبة اخرى هى طريق التصعيد الذهنى والمادى . وكما بينا سابقاً لا يستطيع التصعيد ان يستغرق كل القوة الشبقية ، وقصاراه أن يستغرق أكثرها ، ومهما بلغ



من أمره فلا بد أن يتبقى جزء من القوة ليمر فى الانابيب البدائية أو ليبقى فى الوعاء، وهـذا القدر يختلف طبقا لـكفاية الشخص، التى تتوقف بدورها على ظروف البيئة الاولى. ثم يبين الرسم فضلا عن ذلك كيف تنتهى «تصب» كل هذه الدوافع الشبقية الى وعاء آخر هو «الهدف الشبقى»، وقد ذكرنا ان هذه الاهداف الشبقية ثلاثة: التناسلية الذاتية، وعشق الجنس، وعشق الجنس الآخر

فلنفرض ان كل واحدة من هذه الانابيب يمكن أن تفتح وتغلق بوساطة حنفية، فالنتائج التى

يمكن أن نصل اليها تختلف اختلافا هائلا باختلاف عدد ونوع الحنفيات التى يمكن أن تفتح أو تغلق فى وقت معين

ولنستعرض الآن بعض ما يمكن أن يحدث لوعاء القوة الشبقية فى أثناء الطفولة : من الممكن أن نغلق « بواسطة التعليم الابوى وظروف البيئة العامة » بعض هذه الحنفيات ولا ندع الا حنفية أو اثنتين ليمر منها تيار القوة ، ولتكن الحنفية المركبة على أنبوبة العرض والتعدى هى المفتوحة ليمر منها هذا التيار : فى هذه الحالة نرى طفلا غير خجول « العرض » وطفلا قاسيا مشاغبا « التعدى » . أو اذا أمكن حدوث التصعيد فاننا نرى طفلا خجولا كثير الحياء « عكس العرض » وطفلا شفوقا كثير العطف « عكس التعدى » . وهذه القاعدة يمكن تطبيقها بطبيعة الحال على أى واحد من الدوافع الاخرى . فاذا وصلنا الى البلوغ قبل حدوث الضغط « أى قبل اقفال الحنفيات » فسنرى بضعة حوادث مختلفة ولكنها كلها تنتهى الى نتيجة واحدة . فمثلا اذا كانت الظروف لا تسمح بانصراف القوة فى انبوبة عشق الجنس الآخر فانها لا بد ستنصرف فى احدى الانبوبتين الاخريين « انبوبة التناسلية الذاتية أو أنبوبة عشق الجنس » أو فى أنبوبة التصعيد . ولنضرب لذلك مثلا . لنفرض أن امرأة تربت حتى سن البلوغ بحالة عادية وطبيعية فى مظهرها ، هذه المرأة تقفل عليها التربية والبيئة سبيل التناسلية الذاتية وعشق الجنس الاخر ، ولا تدع منصرفا لقوتها فى غير أنبوبة عشق الجنس . وبالنسبة لظروف أخرى « يرجع العهد ببعضها الى الطفولة » ستغلق أيضا كل الدوافع للمخارج التناسلية . واذن فستكون الدوافع التى عندنا فى هذه الحالة هى التعدى « وعكسه » والعرض « وعكسه » وسيكون الهدف هو عشق الجنس . ماهى المميزات المنتظرة لمثل هذه المرأة ؟ القسوة أو العطف الشديد « وهو التعدى المضغوط » نحو افراد من جنسها ، والرغبة فى ارتداء ملابس ثمينة « او البساطة المطلقة فى الملابس وهذه المميزات تمثل الدوافع الشبقية ، اما عن الهدف الشبقى « عشق الجنس » فانها ستتجنب الرجال وتسعى الى مصاحبة النساء وتسر من صداقتهن وتسرف فى تقبيلهن ومداعبة ايديهن الخ . ولكن لما كانت حنفية دوافع الاعضاء التناسلية مقفلة فانها لن تشعر باى رغبة واعية نحو عشق الجنس فيما يتعلق بهذه الاعضاء .

مثال آخر : لنأخذ صبيا عنده كل حنفيات الدوافع مقفلة ماعدا الحنفية المركبة على انبوبة الشبقية

الشرجية والاعضاء التناسلية ، كما ان كل حنفيات الاهداف مقفلة ما عدا حنفية التناسلية الذاتية . هذا الصبى سيكون ذاتى التناسل ، وترتوى تناسليته الذاتية من الامساك « شبقية شرجية » ، ثم فيما بعد « لسبب سنذكره مستقبلا » من الرغبة فى جمع طوابع البريد والفراش الخ هذه مناسبة تمثل الدافع الشبقى الشرجى . ثم انه سيمارس الاستمناء « الدافع هنا هو الاعضاء التناسلية والهدف هو التناسلية الذاتية » . ثم قد يكون فيما بعد دقيقا جدا وحريصا وتعيسا « الدافع الشبقى الشرجى » .

وبطبيعة الحال من النادر جدا أن نرى حالة تكون فيها بعض الحنفيات محكمة القفل وبعضها مفتوحا فتحا تاما . ولكن هذه امثلة سهلة لا نصادفها فى الواقع ، لان حالات الحياة الواقعية تتعقد وتتضاعف بوجود دوافع ثانوية اخرى لم تبين فى الرسم ؛ ولان معظم الحنفيات الموجودة على هذه الدوافع تختلف فى درجة قفلها أو فتحها . وقد فرضنا فى الامثلة السالفة ان حنفية التصعيد نصف مقفلة ولولا ذلك لتسامى ذلك المصاب برغبة العرض فاصبح رساما او عالما يتجه هدفه الى البحث العلمى بواسطة الميكروسكوب . ومن هذا نرى كيف يتكيف الخلق بعوامل البيئة الاولى . ومن النقط التى اثارها هذا ذكرنا ثلاثة اصطلاحات تحتاج الى شىء من الشرح هى

الضغط : نعنى بكلمة الضغط منع الغرائز الطفلية او البدائية وكذا الدوافع والاهداف من الظهور فى الوعى منعا باتا مطلقا ، وبقاؤها فى العقل غير الواعى « الباطن » ويكون هذا غالبا من أثر البيئة او التعليم ، وبذا تنفصل المركبات والخواطر المتعلقة بهذه الدوافع البدائية من العقل الواعى .

الفساد : هو الحالة التى لا يحدث فيها الضغط تاما ، فتبقى الميول الطفلية فى اثناء الشباب وبعد البلوغ . فمثلا اذا اتجهت الميول الطفلية الى عشق الجنس دون ضغط فان الشخص يصبح بعد البلوغ معروفا بعشق الجنس ، او اذا كانت الاهداف الطفلية متجهة الى التعدى فان الشخص يصبح ميالا الى القسوة فى الامور الجنسية وهكذا . فكلمة الفساد تعنى ان بعض الاهداف الطفلية او الاهداف او الاهداف الشبقية البدائية تبقى نشطة وبدون تغيير بعد المراهقة

الارتداد : قد تؤثر ظروف البيئة على الشخص فما بعد فترغمه على ان يهجر الاهداف والدوافع الشبقية الطبيعية ، ولما كان طريق التصعيد مسدودا امامه فانه يضطر الى العودة بقوته لكى تتصرف

فى طرق طفلية مرة اخرى . فاذا كان طريق عشق الجنس الآخر مسدودا فانه ينصرف الى التناسلية الذاتية وما يصاحبها من الاستمناء . او قد تكون كل المخارج التناسلية الفعلية مسدودة فينصرف الى العرض او التعدى « وقد يكون من هؤلاء القتلة والمجانين » . ولكن اذا كان طريق التصعيد مفتوحاً فان جزءا كبيرا من هذه القوة الشبقية الزائدة تتحول اليه . وبذلك يمكن تجنب كل النتائج الضارة

والخلاصة أن الضغط يعنى أن الرغبات الشبقية الطفلية تدفع الى العقل الباطن حيث تبقى هناك . فاذا بطل هذا الضغط ، أو اذا لم يكن قد حدث اطلاقا نشأ الفساد لان الفساد هو هدف أو دافع شبق طفلى يبقى كما هو بعد انتهاء عهد الطفولة . أما الارتداد فانه عودة الى الميل الطفلى ، وهو يؤدى اما الى الفساد أو الى الضغط . والواقع ان كل تمييز متصنع بين الجنسين مثل الملابس وغيرها يعد نوعا من الفساد ، ولكننا تعودنا أن ننظر اليها كانها عادية وان لم تكن فى الحقيقة غير عرض طفلى محول

التحويل يعنى أن قوة أحد الدوافع الشبقية تحولت بالقوة من طريقها — وهو تناسلى — الى طريق آخر ، تناسلى فى هدفه أيضا ، ولكنه مقنع بحيث لا يستطيع الشخص أن يدرك حقيقته . فهو نوع من خداع النفس ، وهو يحتفظ الى حد كبير بطبيعته الشبقية القوية

التصعيد هو أكثر من التحويل ، وفيه تتحول قوة أحد الدوافع الشبقية الى طريق غير تناسلى ، طريق ذهنى أو جسدى بحت ، ولكن يجب ان تظل الانفعالات العاطفية متصلة به ، أى يجب أن يثير الطريق الجديد للذة أو الانفعال من أى نوع كان . فمثلا اذا أصبح العرض ميلا الى الملابس الجميلة كان هذا تحويلا ، اما اذا انصرف الى الدين أو الموسيقى أو البحث العلمى كان هذا تصعيداً . وينبغى أن نلاحظ هنا أن التحويل يمكن أن يكون فى أكثر من طريق واحد ، فهو يمكن أن يكون فى أحد طرق الحياة اليومية المألوفة كما ذكرنا سابقاً ، أو قد يكون فى طرق أخرى ، وهذه تتوقف على مقدار المقاومة الموجودة وعلى نوع الفساد الطفلى الذى يحاول أن يقتحم طريقه الى السطح . ومن هنا ينشأ التعشق الخيالى وسلسلة الامراض المعروفة بالأمراض العصبية النفسية

التعشق الخيالى : هو تحويل يتركز فيه الدافع الشبقى على مادة ليست لها دلالة شبقية فى ذاتها ولكنها ترمز الى الهدف التناسلى الحقيقى

مطبعة المجلة الجديدة